



البرهان في تفسير القرآن

إعجاز وبيان

المصالح



البرهان في تفسير القرآن

إعجاز وبيان



الشيخ محمد عبد الله بن أحمد العزيم المصالح



المشاركون:

- (١) الشيخ أحمد بن خدادين شاغف
- (٢) د. الهادي بن الحسيني الشبيلي
- (٣) د. عبد الحفيظ الحداد
- (٤) د. صالح السنباني بن عبد القوي السنباني
- (٥) الشيخ أمين أبو علي
- (٦) د. أنيس بن نور محمد عبد الله عبد الرشيد
- (٧) د محمد بن محمد العبالي

مقدمة التفسير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد فقد أنزل الله كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجعله معجزة خالدة يتجدد عطاؤها كل حين بإذنه تعالى وضمنه من العقائد والشرائع والآداب ما يصلح حياة الناس في الدنيا من أجل الآخرة وقد تنوعت جوانبه الإعجازية ليقوم الحجة على أهل كل زمان بجنس ما برعوا فيه فكانت معجزته الأولى بلاغية ومنها المعجزة العقلية والتشريعية والعلمية ولاحد لأوجه إعجازه، وستتجدد أوجوه أخرى كلما تقدم الزمن وزاد المكتشفات العلمية مصداقا لقول الحق تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وحفظه من كل تبديل وتحريف وتغيير ويسره للحفظ والعمل وأمر بتدبره وأجزل المثوبة على ذلك.

ووفق الله علماء الأمة على مدار التاريخ لخدمة هذا القرآن الكريم في جوانب مختلفة تدوينها ورسما وقراءة ومن ذلك العناية بالتفسير وإبراز مناحي الإعجاز المختلفة فألفت الكتب المطولة والمتوسطة والموجزة في ذلك ومع ذلك فما زالت المكتبة الإسلامية بحاجة إلى المزيد من هذه الجهود لتقدم في كل زمن بما يناسب أهل ذلك العصر وليرجم إلى المسلمين والعالم في مشارق الأرض ومغاربها ليلبغ هذا النور العظيم ما بلغ الليل والنهار.

ومن ثم يأتي هذا المؤلف الذي نقدم له اليوم: «البرهان في تفسير القرآن - إعجاز وبيان» مكملا ومتكاملا مع جهود أخرى إلا أنه ينفرد بميزة لا يشاركه فيها أي جهد سبقه ألا وهي التركيز على وجه الإعجاز العلمي والتفسير العلمي المنضبط لما لهذا الوجه من أهمية في زيادة اليقين عند المسلمين وإقناع غيرهم بأن هذا القرآن كلام الله حيث يستحيل على شخص أمي ولد قبل أربعة عشر قرنا أن يأتي بمثل هذا القرآن الذي يشتمل على حقائق علمية ما كان للبشر أن يصلوا إليها في ذلك العصر، كما سعينا إلى إيصال المعنى كاملا بأسلوب سهل بين ليفهم معنى كتاب الله ولتسهل ترجمته إلى اللغات الأخرى.

إن شرف أي علم وأهميته تكون من خلال متعلقه وعلم التفسير يتناول فهم كتاب الله تعالى وتوضيحه ليتسنى العمل به وبهذا تظهر مكانته وعلو شأنه بين العلوم المختلفة.

وهذا ما جعل الأمة تولي هذا العلم عناية فائقة، وفي هذا الزمن الذي قلت فيه القراءة غدا الناس في حاجة ماسة إلى تفاسير مختصرة ومن هنا تنوعت وكثرت وكان من بينها هذا التفسير المبارك الذي يتميز بمميزات عديدة أخرى من أهمها:

- دقة العبارة ووضوحها مما يسهل فهمه وترجمته إلى اللغات الأخرى.
- كونه في جزء واحد، ومعه مصحف ليسهل الرجوع إلى المعنى الإجمالي للآية الكريمة.
- ترقيم التفسير بترقيم الآيات ليسهل الرجوع إلى المعنى أثناء القراءة.
- الإيجاز دون إخلال بالمقصود.
- البعد عن الإسرائليات - والاستطراد والخلافات، ونقل الأقوال والمذاهب.

- التركيز على المعاني اللغوية الصحيحة وتحاشي الآراء الشاذة والغريبة، ولذلك تم الاعتماد على المراجع العلمية التي هي محل إجماع من الأمة قاطبة كالطبري.
- إضافة الإعجاز العلمي والتفسير العلمي.
- الاعتماد على رواية حفص عن عاصم باعتبارها أوسع الروايات انتشارا في العالم الإسلامي.

التأليف والإشراف:

وقد عمل على إنجاز تفسيره كل من :

- ١) د. عبد الله عبد العزيز المصلح
- ٢) الشيخ سيد محمد محمد المختار
- ٣) د. إسماعيل القرشي الشريف
- ٤) الشيخ أحمد بن خدادين شاغف
- ٥) د. الهادي بن الحسيني الشبيلي

كما عملت المجموعة الثانية على الإعجاز العلمي والتفسير العلمي وهم:

- ١) د. عبد الحفيظ الحداد
- ٢) د. صالح السنباني بن عبد القوي السنباني
- ٣) أمين بن علي أبو علي
- ٤) د. أنيس بن نور محمد عبد الله عبد الرشيد
- ٥) د محمد بن محمد العبالي

ثم عمل كل من : د. عبد الله المصلح والشيخ سيد محمد المختار والدكتور إسماعيل الشريف على مراجعته لغويا وإملاثيا وشرعيا وتلخيصه و التقريب بين أساليبه وصياغته وقاموا بمراجعته مرة ثانية وتحقيق بعض ما يحتاج إلى ذلك وإخراجه في هذا الشكل المتميز لله الحمد والمنة.

والله تعالى نسأله أن يجعله عملا خالصا صوابا متقبلا ويشيب كل من أسهم في إنجازهِ أو شارك فيه بأي عمل أو تمويل، وأن ينفع به أمة محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها.

الأمين العام للمركز الدولي للإعجاز العلمي «للبحث والتدريب»

د. عبد الله بن عبد العزيز المصلح

سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

- (١) أبدأ القراءة باسم الله، الرحمن الذي عمت رحمته الخلق (٤) مالك يوم يوم القيامة الذي يجازي فيه الله عباده.
 في الدنيا، الرحيم الذي اختصت رحمته بالمؤمنين في (٥) نخصه بالعبادة والاستعانة دون غيره.
 الآخرة.
 (٢) جميع الثناء بالجميل لله دون غيره، مربى جميع المخلوقات،
 ولا رب لهم سواه. (٧) اهْدِنَا طريق الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ من النبيين والصدّيقين
 والشهداء والصالحين، وجنبتنا طريق اليهود المغضوب
 عليهم والنصارى الضالين عن الحق. (٣) الرحمن الذي عمت رحمته الخلق في الدنيا، الرحيم
 الذي اختصت رحمته بالمؤمنين في الآخرة.

النعمة تدفع للحمد، فمثلاً علماء التشريح من القديم وجدوا خمسة آلاف نوع من المنافع في تخليق بدن الإنسان، وأقروا بأن هذا القدر المعلوم بالنسبة إلى ما لم يُعلم قطرة في البحر المحيط (الفخر باختصار) ومن النعم التي تستوجب الحمد التخلص من أنواع الآفات، ومن طالع كتب الطب يقف على كثير من ذلك ومنها نعمة البصر، فمن تأمل بديع صنع الله في العين وآلية قيامها بعملها ودقة ذلك عرف مقدار هذه النعمة.
 وقد خلق الله للعين غدة دمع في زاوية العين الخارجية تتصل بقناة تصب في كيس في المآق، ثم بقناة أخرى تفتح في الأنف، يفيض عبرها ما زاد من الدمع، فإذا الدمع يغسل العين من كل أذى، وإذا هو يربطها ويمنحها البريق الأخاذ، وهذه جزئية من الكل المشتمل على آلاف الأجزاء مما يطلق عليه جهاز الإبصار. أليس كل هذا يستوجب حمداً لا حدود له للخالق المبدع لذلك كله بعيداً عن أوهام تأثير الطبيعة، كما يتوهمون أو تدخل الأصنام كما كانوا يشركون أو محض الصدفة كما يتخرصون وهناك نعم لا تحد ولا تعد لها من الفضل كما ذكر وأكثر منه.
 رب العالمين: القائم بخلق وتديبير ورعاية كل موجود سوى الله من الإنس والجن ومن الأفلاك والكواكب، وعالم النبات والحيوان، ومن الإنسان وغيرها من العوالم.

الرحمن الرحيم: مضافاً إلى ما سبق بيانه في معنى الرحمن الرحيم فإن من رحمته أنه الرحمن في طرد السموم عن أجسامنا مع كثرتها في البيئة والأغذية والعقاقير الطبية والكائنات الدقيقة التي لا ترى. ورحيم بنا بتوالي نعمه التي تحفظ وجودنا كالأغذية وسلامة الأعضاء ودفع المضرة بالحفظ بالغلاف الجوي من الشهب والنيازك.

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا
يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

- (١) الم من الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض السور، وفيها إشارة إلى التحدي بهذا القرآن للمعاندين والمشركين إلى يوم القيامة، فهذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف ومع ذلك أنتم - أيها العرب - عاجزون عن الإتيان بسورة من مثله، واللسان لسانكم، فغيركم أعجز.
- (٢) هذا الكتاب المنزل على محمد ﷺ لا شك فيه، وهو هدى للمتقين لربهم بالخضوع لأمره ونهيه.
- (٣) والمتقون هم الذين يؤمنون بأمر الغيب كالجزاء والعذاب، وهم يحافظون على أداء الصلوات على الوجه المطلوب وينفقون من أموالهم التي أعطاهم الله إياها؛ يريدون أجرها من الله.
- (٤) والذين يؤمنون بالكتاب الذي أنزل إليك - أيها النبي - وبالكتب المنزلة على الأنبياء من قبلك، وهم الذين يوقنون بالآخرة وما فيها من بعث وجزاء.
- (٥) أولئك الموصوفون بتلك الصفات على هدى من ربهم، ولهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.
- (٦) إن إنذارك - أيها الرسول - هؤلاء الكفرة المعاندين وتركهم سواء فهم لا يؤمنون؛ لأن كفرهم كفر جحود. وذلك أن الله طبع على قلوبهم وسمعهم، وجعل غطاء على عيونهم فلا يقدرون أن يميزوا بين الحق والباطل، ولهم في الآخرة عذاب موجه.
- (٧) ومن الناس من يقول بلسانه دون أن يؤمن قلبه: آمنا بالله وباليوم الآخر وهم ليسوا بمؤمنين.
- (٨) فلنناقض بجهله يظن أن الله لا يعلم ما في قلبه فيريد أن يخدع الله ورسوله والمؤمنين، والحق أنه لا يخدع إلا نفسه دون أن يدرك ذلك.
- (٩) في قلوب المنافقين شك فزادهم الله شكاً فهم لا يؤمنون ولهم عذاب مؤلم بسبب كذبهم ونفاقهم.

١٠ تحدث المختصون في القلب عن وجود علاقة ثنائية الاتجاه بين الدماغ والقلب، وأن كليهما يؤثر في الآخر عن طريق أربع وسائل: النبضات العصبية، والرسائل الكيميائية عن طريق الهرمونات، وفيزيائياً بموجات الضغط والطاقة بواسطة المجال المغناطيسي، كما وجدوا أن المجال الكهربائي للقلب أقوى ٦٠ مرة من الدماغ وأن المجال المغناطيسي للقلب أقوى بـ (٥,٠٠٠) مرة من المجال الذي يبعثه المخ. وتشير الآية إلى أن الخوف يؤدي إلى عوارض نفسية وهذه تؤدي إلى أمراض عضوية، وهكذا يتضاعف الحال ويستدعي أمراضاً أخرى، وقد أثبت العلم الحديث أثر القلب في العقل. وما هذه الملامح إلا دليل على علاقة القلب بقضايا الإيمان والكفر.



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لُقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِيهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَحِمَتْ بَجَدَرْتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ ۞

- (١١) وإذا نهوا عن الفساد في الأرض أجابوا المسلمين أنهم مصلحون، لا مفسدون.
- (١٢) فكذب الله ادعاءهم الإصلاح بتأكيد أنهم هم المفسدون، دون شعور منهم.
- (١٣) وإذا قيل لهم: آمنوا مثل المؤمنين أجابوا: أنؤمن كما آمن هؤلاء الذين لا عقول لهم، فأجابهم الله بأنهم هم السفهاء حقيقة ولكن لا يعلمون.
- (١٤) من عادات المنافقين أنهم إذا لقوا المسلمين يقولون نحن مؤمنون، وإذا قابلوا رؤسائهم من المنافقين يقولون نحن معكم، وإنما نقول للمؤمنين «أما» سخريّة ولسنا منهم بل نحن نهزأ بهم.
- (١٥) إن الله يجازي المنافقين في الآخرة مجازاة الكفار،
- (١٦) المنافقون هم الذين رجحوا الدنيا على الآخرة فخسروا خساراً ميبئاً.
- (١٧) مثل الله المنافقين بالذي استوقد ناراً فاستفاد منها استفادة محدودة حيث آمن بلسانه فاستفاد في الدنيا قليلاً ولكن خسر في الآخرة خساراً ميبئاً، لأن قلوبهم خالية من الإيمان.
- (١٨) لا يسمعون الحق ولا ينطقونه ولا يبصرونه ولذلك لا يرجعون إلى الحق.
- (١٩) وضرب لهم مثلاً آخر بالذي يمشي في مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فيدخل أصابعه في أذنيه خوفاً من الصواعق أن يموت، ولا مفر لهم من الهلاك.

١٧ وفي الآية إشارة إلى التفريق بين منبع طاقة النور والنور الحاصل منها، فلما ذكر النار التي هي منبع النور وأصل الضياء عبر عنها بـ (أضاءت)، ولما ذكر الأشياء المستتيرة حولها عبر عنها بـ (نورهم) قال: «ذهب الله بنورهم» وأن وجود النور هو السبب الأول لحصول الإبصار، وهذه حقيقة علمية لم تكن معروفة في زمن التنزيل.

١٨ وقد أثبت العلم الحديث أن هناك ترابطاً بين العمليات الذهنية كالفهم والتعقل والاستدكار وبين عمليات الاستقبال التي تقوم بها الحواس وعمليات الاستجابة كالكلام في آية واحدة، وهذا يتفق مع المعرفة الحديثة لترابط الوظائف بالمخ كما أشارت إليه الآية الكريمة. وعند أخذ مقطع تشريحي للمخ وجد العلماء مركز بداية تكون الكلام بين مركز البصر ومركز السمع تماماً، وأن البكم ذكر بين السمع والبصر.

١٩ يقول علماء الأرصاد إن البرق عبارة عن وميض من الضوء يحدث نتيجة الشحن الكهربائي في الغلاف الجوي، وأما الرعد فهو عبارة عن الصوت الذي يحدث نتيجة للتمدد الفجائي للهواء بفعل الحرارة الشديدة الفجائية الناجمة عن حدوث البرق. كما أن هناك إشارة إلى علاقة الصواعق بحصول الموت الناتج عن صوتها الذي يتخطى حدود التحمل البشري كما أثبتته العلم المعاصر. كما أن لفظ ظلمات يشير إلى ما قرره علماء الأرصاد من أن الصواعق تحصل نتيجة تراكم سحب متباينة والتي تكون كل سحابة بمفردها ظلمة.

﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

بساطا، والسماء محكمة البناء، وأنزل المطر من السماء فأخرج به الثمرات والأرزاق من الأرض ليأكل منها الناس، فلا تجعلوا له أندادا في العبادة إن كنتم تعلمون أن الله المنعم بتلك النعم.

(٢٣) وإن كنتم - أيها المشركون - من العرب والمعادون من أهل الكتاب في شك - مما نزلنا على نبينا محمد وهو القرآن فأتوا بسورة من مثله واستعينوا به بمن يعينكم إن كنتم صادقين.

(٢٠) يكاد لمعان البرق من شدته يسلب نور أبصارهم، ومع ذلك كلما أومض البرق مشوا فيه وإذا أظلم وقفوا في الطريق متحيرين ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم، إن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

(٢١) ينادي الله الناس أمرا إياهم أن يعبدوه فهو خالقهم وخالق غيرهم من الأمم السابقة؛ ليكونوا من المتقين.

(٢٢) ويذكرهم بنعمه عليهم جميعا فوجب عليهم أن يعبدوا المنعم عليهم دون غيره فهو الذي جعل لهم الأرض

٢٠ كيف يخطف ضوء البرق البصر؟

إن ومضة البرق بسرعتها وشدتها لمعانها تؤثر سلباً على العين، وتحدث نوعاً من العمى المؤقت، حالها حال ضوء الليزر إذا تم توجيهه على العين بشكل مفاجئ، حيث يتسبب هذا الضوء بتثبيط عمل المستقبلات الضوئية في شبكية العين بحيث يستمر العمى المؤقت لبضع ثوان. إن الكمية الكبيرة من الضوء التي ينتجها البرق تحتوي على أنواع مختلفة من الأشعة الضارة بالبصر، والتي تصل إلى العين على شكل طاقة حرارية تتسبب في تلف القرص البصري، وتتطور مع الوقت وتحلل النسيج الموجود بمركز الماقولة (المنطقة المركزية من الشبكية) (البقعة الصفراء) وتتحول إلى ثقب يؤدي بدوره إلى فقد البصر المركزي بصفة دائمة.

أما جوانب الشبكية فلا تتأثر بفعل الضوء بل يظل سليماً وبه يستطيع المصاب رؤية الأشياء الموجودة حول البقعة المركزية المعتمدة في حقل النظر، وفي ذلك التوضيح تفسير علمي لمعنى كلمة (يكاد) فالله سبحانه وتعالى رفق بعباده وجعل أثر البرق جزئياً، وكان باستطاعته أن يعمي العين كلياً إن أراد.

٢٢ في الآية الكريمة سبق لما قرره علماء الأرض من أن طبقة الأرض السطحية أوقشرتها تشبه البساط الواقي وأن هذه الطبقة السطحية رقيقة بالنسبة لجوفها وأن سمكها يشبه سمك قشرة التفاحة بالنسبة لحجمها الكامل، وأن هذا البساط يؤمن الوقاية والحماية مما تحته كما تحمي قشرة الأرض الحياة التي فوقها من حرارة جوف الأرض. (والسماء بناء) كان ظن العلماء في البداية أن الكون في معظمه فراغ فأطلقوا عليه اسم (فضاء) وبقي هذا المصطلح معتبراً صحيحاً حتى وقت قريب. ولكن في أواخر القرن العشرين الميلادي اكتشف العلماء شيئاً جديداً أسموه (البناء الكوني) حيث تبين لهم يقيناً أن الكون عبارة عن بناء محكم، ولا وجود للفراغ فيه أبداً. فبدأوا باستخدام كلمة بناء وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة.



﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ۝

حكمة الله وأما الكافرون فيسخرون ويقولون ما أراد الله بضرب المثل بالبعوضة وغيرها من الحشرات الحقيرة؟ فيجيبهم الله أن ضرب هذه الأمثال فيه اختبار للناس من يؤمن ومن يكفر فمنهم من يضل بإنكارها ومنهم من يزداد إيمانا، وما يضل به إلا الخارجين عن طاعته.

(٢٧) الذين ينكثون عهد الله الذي أنزله في التوراة بإقرار التوحيد والعبادة لله وحده والإيمان بالرسول الذي يأتي، ويقطعون ما أمر الله بوصله كالأرحام ويسعون لنشر الفساد في الأرض فلهم الخسران والهوان في الدنيا والآخرة.

(٢٤) فإن لم تأتوا بسورة من مثله - ولن تفعلوا - ظهر عجزكم وعلمتم أنه من عندي فإن لم تؤمنوا فمآلكم النار فاتقوها، ثم وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.

(٢٥) وبشر - أيها الرسول - الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل، وإنما كان متشابهاً. ولهم في الجنة أزواج مطهرة، وهم فيها خالدون.

(٢٦) إن الله لا يمنعه الحياء أن يضرب المثل بما صغر أو كبر كالبعوضة فما فوقها، فأما المؤمنون فيصدقون أن في ذلك

٢٤ أشارت الآية إلى إمكانية استخدام الحجارة كوقود مما لم يكن معهوداً في الدنيا حتى وقت قريب، بل كان المعروف بين الناس أن الحجارة تستعمل كوسيلة لإطفاء الحرائق. وقد نجح العلماء في تنفيذ إنتاج الطاقة من الحجارة بالتسخين الشديد والذي يصل لدرجات حرارة عالية جداً.

٢٦ وضرب المثل بالبعوضة هو من جملة المتحدي به مما يحمل علماً لم يدرك أغواره أحد زمن تنزيل القرآن الكريم، يتضمن المثل في الآية (٢٦) خمسا أوجه الإعجاز، أولاً أن كلمة بعوضة ذكرة نكرة وذلك لأنه يوجد أكثر من ٣٠٠٠ نوع من البعوض. ثانياً ذكرت بعوضة بصيغة الأنثى وذلك لأن أنثى البعوضة فقط هي التي تمص دم الإنسان والحيوان أما الذكر فيتغذى على السكر. ثالثاً معنى فما فوقها أي المخلوقات الأدنى منها أو الأكبر من البعوضة حيث الكائنات الأدنى من البعوضة والتي تعيش في معدتها مثل الفيروسات والتي تنقلها البعوضة وتسبب بعض الأمراض، أيضاً الكائنات الأولية مثل الملاريا، أيضاً توجد كثيراً من أنواع البكتيريا التي تعيش في معايشة مع البعوضة وهذه البكتيريا مفيدة حيث أنها تفرز مضادات للفيروسات والملاريا وتقتلها داخل معدة البعوضة في أحيان كثيرة. رابعاً معنى ما فوقها أيضاً أي ما هو أكبر من البعوضة ولقد تم اكتشاف أن كل الحيوانات الفقارية تتغذى على البعوضة وتقتلها مثل الأسماك، البرمائيات، الزواحف وأيضاً الطيور ومن الثدييات الخفاش. خامساً وجد على صدر وبتن البعوضة من الخارج أنواع من حيوان الحلم وهو يتطفل على البعوضة ويمص دمها ويقتلها.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَادُمُ أَنْبِئْتَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾

(٢٨) كيف تكفرون بالله تعالى الذي خلقكم من أجسام لا حياة لها ثم سواكم ونفخ الروح فيها فأحياكم ثم يميتكم بعد انقضاء الحياة ثم يعيدكم يوم البعث ثم ترجعون إلى ربكم لتحاسبوا فيجازيكم بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

(٢٩) هو الذي خلق للناس ما في الأرض جميعا مما يحتاجونه في حياتهم الدنيوية من المأكل والمشرب والملبس والركب، ثم استوى إلى السماء فخلقهن سبع سماوات، وأحاط علمه بما في الأرض وبما في السماوات وبما في أنفسكم.

(٣٠) يبين ربنا أنه أخبر الملائكة قبل خلق آدم أنه سيجعل خليفة في الأرض يخلف بنوه بعضهم بعضا للقيام بعمارتها فقالوا: ما الحكمة في خلق هؤلاء؟ وهم سيفسدون في الأرض بإراقة الدم ظلما ونحن ننزهك ونقدسك فأجابهم الله «إني أعلم ما لا تعلمون».

(٣١) بعد ما خلق الله آدم علمه أسماء الأشياء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أخبروني بأسماء هؤلاء - إن كنتم صادقين - بأنكم أكرم وأفضل منه.

(٣٢) قالت الملائكة منزلة ربها عن الاعتراض عليه: ما علمنا إلا ما علمتنا، لا يخفى عليك شيء وأنت العليم بخلقك، الحكيم في صنعك.

(٣٣) وحينئذ قال الله تعالى لآدم أخبرهم بأسماء هؤلاء الأشياء كلها، فلما أخبرهم آدم بها كما علمه الله قال الله للملائكة: ألم أخبركم أنني أعلم ما خفي في السماء وفي الأرض وأعلم ما تظهرون من أحوالكم وما تخفونه في أنفسكم.

(٣٤) بعدما أخبر آدم بالمسميات التي علمه الله إياها أمر الملائكة أن يسجدوا له تكريما له فسجدوا جميعا امتثالاً لأمره إلا إبليس امتنع تكبرا وحسدا فصار بسبب الإنكار والعصيان من الكافرين.

(٣٥) وحينئذ أمر الله آدم أن يسكن مع زوجته الجنة وأن يأكلا منها أكلا هنيئا ونهاهما أن يقربا هذه الشجرة فيكونا من الظالمين.

(٣٦) فبدأ الشيطان يوسوس لهما حتى أوقعهما في الزلل فأكلا من الشجرة المنوعة، وبهذه الخطيئة أخرجنا من الجنة التي كانا فيها فقال الله لآدم وزوجته وإبليس اهبطوا إلى الدنيا فلكن فيها استقرارا ومتاعا إلى انتهاء آجالكم ويكون بينكم وبين إبليس وبين أولادكما عداوة إلى يوم القيامة فاحذروا منه ومن ذريته.



﴿ فَلَقِيَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣٧) ﴿ قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٨) ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ (٤٠) ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴾ (٤١) ﴿ وَلَا تَلْسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤٣) ﴿ اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤) ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٤٥) ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦) ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧) ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٨) ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (٤٩) ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾ (٥٠) ﴿

بجميع أحكامها فهم ينقضون العهد والميثاق فالذي يتلو القرآن ويأمر الناس بأفعال البر وينسى نفسه يشمله هذا الخطاب كأنه لا يعقل.

(٤٥) ويأمرهم أن يطلبوا العون في أمورهم من ربهم مستعينين بالصبر والصلاة وإن الصلاة لشاقة إلا على الخاشعين.

(٤٦) الذين يوقنون بملاقاة ربهم وأنهم إليه راجعون للحساب يوم القيامة.

(٤٧) يا بني إسرائيل لا تنسوا إنعامي عليكم قد بعثنا أكثر الأنبياء فيكم وآتيناكم ملكاً في الدنيا وأنزلنا على أنبيائكم الصحف والتوراة والإنجيل وبهذه النعم فضلتكم في الدنيا على أهل زمانكم.

(٤٨) واتقوا عذاب يوم القيامة، ففي ذلك اليوم لا تغني نفس عن نفس شيئاً، ولا يقبل الله شفاعة لأحد، ولا يأخذ فدية من أحد، ولا ينصر أحد أحداً.

(٤٩) واذكروا نعم الله عليكم حين أنقذناكم من بطش فرعون وأتباعه وهم يذيقونكم أصناف العذاب، يقتلون أبناءكم ويبيعون نساءكم للخدمة والامتهان، وفي ذلك اختبار عظيم من ربكم.

(٥٠) واذكروا نعم الله عليكم أن شققنا لكم في البحر طريقاً يابساً فعبرتم، وأغرقنا فرعون وجنوده في البحر أمام أعينكم وأنتم تنظرون.

(٣٧) فلتقى آدم من ربه كلمات توبة تأتي في سورة الأعراف فقبل الله توبتهما وغفر لهما ذنوبهما والله يقبل توبة عباده وهو التواب على من تاب من عباده، الرحيم.

(٣٨) قلنا: انزلوا جميعاً من السماء إلى الأرض فإن جاءكم هداية مني فمن قبلها وعمل بها فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

(٣٩) أما الذين جحدوا آياتي وكذبوا رسلي وأمري فهم أصحاب النار المخلدون فيها لا يخرجون منها أبداً.

(٤٠) يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واشكروها والتزموا بالوفاء بعهدي إليكم وإياي فخافوني وحدي.

(٤١) يا بني إسرائيل آمنوا بالقرآن الذي أنزلت على محمد وهو موافق لما جاء في التوراة قبل تحريفها ولا تكونوا أول من يكفر به ولا تستبدلوا آياتي ثمناً قليلاً واتقوني وحدي.

(٤٢) ولا تخطوا الحق الذي أنزلت على محمد بأكاذيبكم واحذروا كتمان الحق الذي في كتبكم ومنه صفة محمد ﷺ.

(٤٣) أمر الله اليهود أن يدخلوا في دين الإسلام وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة مع أمته ﷺ.

(٤٤) في هذه الآية ذم لمن يأمر الناس بالبر ولا يفعله والمخاطبون فيها هم أهل الكتاب لأنهم يقرأون التوراة ولا يعملون

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِشْقَ الْإِثْمِ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَعْفُوكُمْ وَخَطَايَكُمْ سَبَّزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَا كَانُوا يُفْسِقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

- (٥١) واذكروا حين واعدنا موسى أربعين ليلة لننزل عليه التوراة هداية ونورا ثم ما كان منكم إلا أن عبدتم العجل في تلك الفترة وأنتم ظالمون باتخاذكم العجل معبودا.
- (٥٢) ثم قبلنا توبتكم بعد رجوع موسى من الطور وتجاوزنا عن ذنوبكم لعلكم تشكرون ربكم.
- (٥٣) واذكروا إذ أنعمنا عليكم أن آتينا موسى التوراة فرقانا بين الحق والباطل لتهتدوا بها إلى الحق وتجتنبوا الباطل.
- (٥٤) واذكروا نعم الله عليكم أن وفقناكم للتوبة من عبادة العجل إذ قال لكم موسى إنكم ظلمتم باتخاذكم العجل معبودا فتوبوا إلى خالقكم بأن يقتل بعضكم بعضا وهذا خير لكم عند خالقكم من أن تتمادوا في الكفر وتدخلوا النار فقمتم بذلك بتوفيق من الله إنه هو التواب على التائبين، الرحيم بهم.
- (٥٥) واذكروا إذ قال آباؤكم لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله عيانا فأخذتهم العقوبة فقتلتهم بجرأتهم على الله وأنتم تنظرون.
- (٥٦) ثم أحياهم الله بعد موتهم بالصاعقة ليشكروا نعمة الله عليهم.
- (٥٧) ومن نعمنا عليكم حين كان آباؤكم في التيه فأرسلنا عليهم السحاب يظللهم من حر الشمس وأنزلنا عليهم مطعوما له حلاوة العسل وطائرا طيب اللحم وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما نقصونا بجحد هذه النعمة وكفرانها ولكن نقصوا أنفسهم بحرمانها من الجنة.
- (٥٨) واذكروا نعم الله على آباءكم إذ قلنا لهم ادخلوا بيت المقدس فكلوا من طيباتها هنيئا من أي مكان شئتم وادخلوها راكعين وقولوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا نستجب لكم وسنزيد المحسنين ثوابا خيرا على أعمالهم.
- (٥٩) فمن آباءكم من ظلموا وحرفوا وغيروا القول الذي أمروا بأن يقولوه فدخلوا يزحفون على أذبارهم وقالوا حبة في شعرة مستهزئين بأمر الله فأنزل الله عليهم عذابا بسبب تمردهم ومخالفة أمره.
- (٦٠) واذكروا نعم الله عليكم إذ كان آباؤكم في التيه وأخذهم العطش الشديد فدعانا موسى أن نسقي قومه فقلنا له اضرب بعصاك الحجر فلما ضرب انفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد قبائلهم لكل قبيلة عين خاصة حتى لا يقع بينهم نزاع، وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تسعوا في الأرض مفسدين.



﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا
 وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ
 مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَانَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
 اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
 وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ
 الَّذِينَ ءَاعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُ لِنَبِّئَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُفْسِدُونَ الْعِلْمَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ
 وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنُذْخِدُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ
 بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ
 عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تَأْمُرُونَ ﴿٦٧﴾ ۞

الدنيا والآخرة.

(٦٥) يا بني إسرائيل لقد علمتم ما حل بأسلافكم من العذاب حينما حرم الله الصيد يوم السبت فاعتدوا على أمر الله واحتالوا على ذلك بوضع الشباك قبل يوم السبت واستخراجها بعد يوم السبت فجعل الله من احتال منهم قردة منبوزين.

(٦٦) فجعلنا من في هذه القرية المعتدية عبرة لمن جاورها من القرى الأخرى وعبرة لمن يعمل بمثلهم فيستحق مثل عقوبتهم وجعلناها تذكرة للمتقين الذين يخافون عقاب الله.

(٦٧) واذكروا ما جرى بين أسلافكم وبين موسى عليه السلام من المحاوراة حيث أمرهم بأمر الله أن يذبحوا بقرة فقالوا متعنتين: أتجعلنا موضعاً للاستهزاء فقال موسى رداً عليهم أستجير بالله أن أكون من الجاهلين المستهزين.

(٦٨) فقالوا لموسى ادع لنا ربك أن يبين لنا صفة البقرة التي أمرنا الله بذبحها، فأجابهم: أن الله يقول لكم: اذبحوا بقرة ليست كبيرة ولا صغيرة وإنما هي متوسطة فبادروا بامتثال أمر ربكم.

(٦١) واذكروا حين أنزلنا عليهم المن والسلوى فلم تعجبهم هذه النعمة وطلبوا أدنى من المن والسلوى حيث طلبوا من نبات الأرض من بقولها وخضرها وعدسها وبصلها وغير تلك الأجناس فقال موسى عليه السلام مستنكراً: أتستبدلون الذي هو أدنى وأقل من المن والسلوى؟ الذين كانا خيراً لكم، اهبطوا أي بلدة فستجدون ما سألتهم ولأجل إعراضهم عن النعمة التي اختارها الله لهم لازمهم الذل والهوان والفقر ورجعوا بغضب من الله، ولإعراضهم عن دينهم وكفرهم بآياته وكل ذلك بسبب عصيانهم لله وتجاوزهم لحدوده.

(٦٢) إن الذين آمنوا وعملوا صالحاً بعد بعثة محمد ﷺ من اليهود والنصارى والصابئة وغيرهم فلهم ثواب من عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

(٦٣) واذكروا إذ أخذنا على آبائكم العهد المؤكد من الإيمان بالله ورسوله، ورفعنا فوقهم جبل الطور وقلنا لهم خذوا التوراة دون تهاون وكسل واعملوا بما فيها من الأحكام وإلا أطبقنا عليكم الجبل.

(٦٤) ثم عصيتم فتركتهم العهد والميثاق ولولا فضل الله عليكم بقبول التوبة والتجاوز عنكم لكنتم من الخاسرين في

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتُ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْهَا ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

- (٦٩) فاستمروا في جدالهم قائلين لموسى ادع لنا ربك يوضح لنا صفة لونها فقال لهم موسى: إنه يقول إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة تسر كل من ينظر إليها.
- (٧٠) فما اقتنعوا بما ذكر الله من صفات البقرة بل تمادوا في تعنتهم وقالوا لموسى: سل ربك يبين ويوضح لنا مزيد صفات البقرة لنهتدي لما يريد منا، وقد اشتبه علينا تعيينها، وإنا إن شاء الله لمهتدون إلى البقرة المطلوب ذبحها.
- (٧١) قال موسى إن الله يقول: إن هذه البقرة ليست بذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث، مسلمة من العيوب، لا لون فيها يخالف جلدها قالوا الآن بينت لنا وصفا دقيقا يعين البقرة المطلوبة فذبحوها وقد قاربوا أن لا يذبحوها بسبب الجدال والتعنت.
- (٧٢) أتذكرون حين قتلتم نفسا منكم فتنازعتم فيها كل يدفع إلى غيره والله مخرج ما كنتم تخفونه من قتل القتيل.
- (٧٣) فأمر الله بني إسرائيل أن يضربوا القتيل بجزء من لحم البقرة المذبوحة فإن الله يحييه ليخبر من القاتل؟ وكما أحيا الله هذا القتيل فإنه سيحيي الموتى يوم القيامة، ويريكم دلائل قدرته لعلكم تعقلونها وتؤمنون بيوم البعث والحساب.
- (٧٤) ثم قست قلوبكم بعد ما رأيتكم المعجزات الباهرة حتى صارت مثل الحجارة بل هي أشد منها قسوة؛ لأن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ومنها ما يسقط من خشية الله، والله أعلم ما تفعلون وسيجازيكم عليه يوم الحساب.
- (٧٥) لا تتوقعوا أيها المسلمون أن، يصدقكم اليهود، وقد حرفت طائفة منهم التوراة، من بعد ما فهموها، وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون.

٦٩ تسر الناظرين:

أوضح العلماء المعاصرون أن الدراسات التي أجريت على الألوان أظهرت أن اللون الأصفر يتغلغل في خلايا المخ فيسبب نشاطاً ذهنياً ملحوظاً فيزيد من معدل الذكاء كما يستخدم هذا اللون للحد من نشاط بعض الأمراض، ويزيد ثقة الإنسان بنفسه، كما ثبت فاعليته في تقوية جهاز المناعة، وزيادة نسبة الكالسيوم عند الكبار والصغار.

٧٤ لقد كشف علم الجيولوجيا عن تنوع الصخور من حيث الصلابة والقوة ومقاومة الضغط والنفاذية، ولذلك اكتشفوا أن النوع القاسي جداً من هذه الصخور هو الذي يتفجر جراء ضغط الماء الهائل فينتج عن ذلك الأنهار الغزيرة، أما النوع النفوذ الذي يسمح بتسرب الماء خلال ذراته فإنه يصل إلى مرحلة تتوسع فيها المسامات انتهاء إلى مرحلة التشقق فيه وجريان الماء من هذه الشقوق بكميات أقل.



﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْتَا مَا مَعْدُودَةٌ قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ۚ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْتُلُوهُمْ وَهِيَ مُحْرَمَةٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ۞

- (٧٦) ومن عادات اليهود المكر والخديعة فهم إذا قابلوا المسلمين يقولون بلسانهم نحن آمننا بدينكم ورسولكم المبشر به في التوراة وإذا خلا بعضهم إلى بعض يتلاومون فيما بينهم ويقولون لماذا اعترفتم بصدق دينهم وبرسالة محمد فهم يقيمون حجة علينا يوم القيامة عند ربكم أفلا تفهمون.
- (٧٧) هؤلاء اليهود يفعلون هذه الجرائم وكأنهم يغفلون عن أن الله يعلم ما يخفون وما يظهرون.
- (٧٨) ومن اليهود طائفة لا يعرفون القراءة والكتابة ولا يعلمون ما في التوراة وغيرها من الكتب، من صفات النبي ﷺ إلا أكاذيب علمائهم سمعوها وآمنوا بها.
- (٧٩) فهلاك ووعيد شديد لمن يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هذا من عند الله ليكتسبوا من الدنيا قليلاً فلهم عقوبة مهلكة في الآخرة.
- (٨٠) قد زعم اليهود أنهم لن يدخلوا النار إلا أياماً قليلة فأمر الله نبيه أن يسألهم: أعندكم عهد من الله بهذا؟ فالله لا يخلف وعده، أم تقولون على الله زورا وبهتاناً؟ بلا علم.
- (٨١) فرد الله زعم اليهود أن من ارتكب معصية الله من الشرك والكفر وأحاطت به ذنوبه فجزاؤه نار جهنم خالداً فيها.
- (٨٢) بعد ما رد الله زعم اليهود بين ثواب المؤمنين الذين صدقوا رسوله وآمنوا بالكتاب الذي جاء به وعملوا عملاً صالحاً بأنهم أصحاب الجنة مقيمون فيها أبداً.
- (٨٣) اذكروا العهد المؤكد أنني نهيتكم عن عبادة غير الله وأمرتكم أن تحسنوا للوالدين والأقربين والأيتام والمحتاجين وأن تكلموا الناس بكلام حسن وأن تؤدوا الصلاة على الوجه المطلوب، وأن تؤتوا الزكاة، فأعرضتم عن الوفاء إلا من رحم الله.
- (٨٤) واذكروا العهد المؤكد أنني نهيتكم عن سفك الدماء وإخراج بعض إخوانكم من دياركم وأنتم شاهدون على صحة هذا الإقرار.
- (٨٥) ولكنكم خالفتم هذا العهد فقتل بعضكم بعضاً وأخرج بعضكم بعضاً من ديارهم بغياً وعدواناً، فأنتم تؤمنون ببعض الأحكام وتتركون بعضها فتفدون الأسارى، وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم، وهو محرم عليكم إخراجهم، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا الذلة والهوان في الدنيا، وفي الآخرة أشد العذاب والله يعلم يقينا ما تفعلون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفُنَا بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْثِقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾

غضباً مضاعفاً من الله بإنكارهم وعدم الإيمان به وبالقرآن المنزل عليه وللمنكرين من اليهود والنصارى عذاب مذل يوم القيامة.

(٨٦) هم الذين استبدلوا الآخرة بالحياة الدنيا فلهم عذاب أليم فلا يخفف عنهم من العذاب وليس لهم ناصر ينصرهم بإخراجهم من النار.

﴿٩١﴾ وإذا قيل لهؤلاء المنكرين من اليهود والنصارى آمنوا بما أنزل الله على محمد ﷺ أجابوا: نحن نؤمن بما أنزل الله على أنبيائنا ويجحدون ما أنزل الله بعدهم وهو الحق الذي أمر الله بالإيمان به في التوراة فلو كانوا يؤمنون بكتبهم لآمنوا بالقرآن المنزل عليك أيها النبي وقل لهم: إذا كنتم تؤمنون بأنبيائكم فلماذا قتلتموهم من قبل.

(٨٧) ولقد آتينا موسى التوراة وأرسلنا رسلاً من بعده وآتينا عيسى الآيات المينة كإحياء الموتى وغيرها وقوبناه بجبريل وأنتم - يا بني إسرائيل - كلما جاءكم رسول من عند الله بما لا يوافق أهواءكم فمنكم من كذبه ومنكم من قتله.

﴿٩٢﴾ لقد جاء نبيكم موسى بالبينات الواضحات بصدق نبوته ومع ذلك جعلتم العجل لها تعبدونه بعد ذهابه لميقات ربه وصرتم من الظالمين بشرككم بالله.

(٨٨) يذكر الله في هذه الآية حجة اليهود في عدم اتباع محمد ﷺ فإنهم قالوا قلوبنا مغلفة لا يدخلها شيء وليس الأمر كما يقولون بل طردهم الله من رحمته وطبع على قلوبهم بسبب كفرهم فهم لا يؤمنون أبداً.

﴿٩٣﴾ واذكروا العهد الذي أخذنا منكم باتباع موسى وقبول ما جاء به ورفعنا فوقكم الجبل تخويفاً وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم بجدة واسمعوا وأطيعوا وإلا أسقطنا عليكم الجبل فقلتم سمعنا بأذاننا وعصينا بقلوبنا ورسخ في قلوبكم عبادة العجل، قل لهم - أيها الرسول - بس الذي يأمركم به هذا الإيمان من الكفر والإعراض عن أمري فليس إيمانكم إيماناً حقا لو تعلمون.

(٨٩) وعندما جاء القرآن من عند الله موافقا لما في التوراة والإنجيل أنكروه وكانوا من قبل نزوله وبعثة نبينا ﷺ يستنصرون به على المشركين يقولون إذا بعث محمد تتبعه ونقاتلكم معه فلما جاء به محمد ﷺ عرفوه حق المعرفة ثم كذبوه ولم يؤمنوا بما جاء فلعنة الله على الكافرين.

(٩٠) بس الذين استبدلوا الكفر بالإيمان عدواناً وحسداً من أنفسهم بسبب إنزال الله القرآن على نبيه فاستحقوا



﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يُوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَلَّهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَدَّ وِرْقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَرُوحِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنْ أَشْرَبَهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ۞

- (٩٤) أمر الله نبيه أن يقول لبني إسرائيل الذين يدعون أن الجنة خالصة لهم دون غيرهم: تمنوا الموت كي تدخلوا الجنة فوراً إن كنتم من الصادقين في دعواكم.
- (٩٥) ولن يفعلوا ذلك أبداً بسبب ما قدموا من أعمالهم الكفرية والشركية وعدم الإيمان بالنبي الموعود به في التوراة وهو محمد ﷺ، والله يعلم الظالمين وسيجازيهم بما يعملون.
- (٩٦) ولتجدن - أيها الرسول - اليهود أشد الناس حرصاً على حياة الدنيا بل رغبتهم أكثر من رغبة المشركين فيها، يتمنى أحدهم أن يعيش ألف سنة ولا يبعده هذا العمر الطويل إن عمر من عذاب الله، ولا يخفى على الله شيء من أعمالهم، وسيجازيهم بحسب أعمالهم.
- (٩٧) أخبر - أيها الرسول - اليهود: أن من قال إن جبريل عدونا من الملائكة فإنه الذي نزل القرآن على قلبك بإذن الله وهو يصدق ما عندهم في التوراة، وهو مبشر للمؤمنين بما أعد الله لهم في الآخرة.
- (٩٨) كانت اليهود تعتقد أن جبريل عدوهم وميكائيل وليهم، فأخبر الله أن من كان عدواً لله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو لهم ومن كان الله عدواً لهم فمآلهم النار.
- (٩٩) ولقد أنزلنا إليك - أيها الرسول - آيات واضحات على صدقك ولا يجحد بها مع وضوحها إلا الخارجون عن دين الله.
- (١٠٠) ومن سوء حال اليهود كلما أخذوا على أنفسهم عهداً نبذ فريق منهم ورائهم، وأكثرهم لا يؤمنون بما جاء به محمد ﷺ، والإيمان به كان معهوداً في كتبهم.
- (١٠١) أكد الله نقض اليهود عهدهم بعدم الإيمان بمحمد ﷺ، والقرآن يصدق بما عندهم في التوراة، وقد طرح فريق منهم الكتاب المنزل إليهم وراء ظهورهم بترك العمل به، وهم كالأعمى لا يعلمون ما في كتبهم.
- (١٠٢) واليهود تركوا العمل بالتوراة واتبعوا ما تتقوله الشياطين كذبا على أن نبي الله سليمان ثبت ملكه بالسحر وهذا كفر، وما كفر سليمان وما تعلم السحر، ولكن الشياطين كفروا وتعلموا السحر وعلموه الناس، وعلموا الذي أنزل على الملكين هاروت وماروت في بابل امتحاناً وابتلاءً، والملك لا يعلمان السحر إلا إذا أخبرا متعلمه بأنهما ابتلاء ونهايه عن تعلمه فهو كفر، ومن السحر الذي يتعلمونه منهما، ما يفرق بين المرء وزوجه وما يضر أولئك السحرة أحداً إلا بإذن الله ومشيتته، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولقد علم اليهود أن من استبدل كتاب الله بالسحر وترك الحق ما لهم في الآخرة من نصيب، وبئس ما باعوا به أنفسهم من السحر الذي هو كفر عوضاً عن الإيمان ومتابعة الرسول ولو كانوا يعلمون ما ينفعهم ما أقدموا على هذا العمل والضلال المبين.

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا أَنظِرْنَا وَأَسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّنَّهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَكَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ ۞

- (١٠٣) ولو أن اليهود آمنوا بالله حقاً وخافوا الله لأيقنوا أن ثواب الله خير لهم مما هم عليه، لو كانوا يعلمون ما ينفعهم في الدنيا والآخرة.
- (١٠٤) نهى الله المسلمين عن موافقة كلام اليهود بدون فهم مرادهم؛ لأن اليهود كانوا يقولون لنبينا راعنا بمعنى فاسد، فأمر الله المسلمين أن يقولوا: انظرنا واسمعوا، وللكافرين من اليهود عذاب مؤلم.
- (١٠٥) ما يحب الكفار من اليهود والنصارى و المشركين أن ينزل عليكم أدنى خير من الله، ولكن الله يختص برحمته من يشاء من عباده، فاختص محمداً ﷺ بالنبوة والله ذو العطاء الواسع.
- (١٠٦) يبين الله أن نسخ الحكم وتبديله يكون بمثله أو أحسن منه، وقد كانت اليهود تعتقد أن التوراة لا تنسخ بل حكمها باق إلى يوم القيامة فنزلت هذه الآية ردا عليهم ثم قال مخاطباً نبيه محمداً إنك تعلم أن الله على كل شيء قدير فأخبر أمتك أن لا يشق عليهم النسخ والنسخ إما إلى خير من المنسوخ أو مساو له.
- (١٠٧) ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله له الحكم في السماوات والأرض يحكم ما يشاء ويغير ما يشاء، ومالك ولأمتك ولي ولا نصير غيره.
- (١٠٨) يا أمة محمد لا يليق بكم أن تسألوا نبيكم بقصد العناد والاعتراض كما سأل قوم موسى من قبل فقالوا أرنا الله جهرة، وعندما أمر الله بذبج البقرة سألوا موسى عدة أسئلة عن البقرة، ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل عن الطريق المستقيم.
- (١٠٩) كثير من أهل الكتاب كحيي بن أخطب وأبي ياسر بن أخطب وكعب بن أشرف يتمنون حقداً أن يردوكم إلى الكفر بعد أن من الله عليكم بالإيمان، فيا أيها المؤمنون تجاوزوا عن إساءتهم واصفحوا عن جهلهم حتى يأتي الله بحكمه فيهم، والله على كل شيء قدير فلا يعجزونه، فجاء الحكم بإخراجهم من المدينة فأخرجوا منها.
- (١١٠) وأقيموا الصلاة بأدائها على الوجه المطلوب، وأدوا زكاة أموالكم وكل ما تقدمون من أعمال الخير تجدونه يوم القيامة عند الله، وهو بصير بما تعملون، لا تخفى عليه أعمالكم.
- (١١١) كل من اليهود والنصارى يقولون لا يدخل الجنة إلا من كان منهم، وتلك أمنياتهم لا برهان لديهم عليها. فاطلب - أيها النبي - منهم حجة واضحة من كتاب الله إن كانوا صادقين في قولهم.



﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِوٰنٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ ۖ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ۞

جهة، وصلاته صحيحة، والله واسع عليم يعرف عذر عبده.

(١١٦) يرد الله على الذين يجعلون الله تعالى الأولاد كاليهود والنصارى والمشركين، تقدس وتنزه عن ذلك، بل كل ما في السموات والأرض ملك لله، وهم يحتاجون إليه ولا يحتاج الله إليهم، وهم مقرون له بالعبودية.

(١١٧) الله سبحانه وتعالى منشئ السموات والأرض وما بينهما من دون مثال سابق، وشأنه في خلق شيء إذا أراد خلقه أن يقول له كن فيكون ذلك الشيء.

(١١٨) وقال الذين لا يعلمون من أهل الكتاب والمشركين: لم لا يكلمنا الله مباشرة ويخبرنا بنبوتك أو يأتي بآية، وبمثل هذا القول قالت الأمم المكذبة من اليهود والنصارى وغيرهما، فقلوب هؤلاء المشركين مثل قلوب المكذبين من الأمم السابقة سواء، وهذا بيان واضح من الله تعالى لقوم يوقنون.

(١١٩) يخبر الله رسوله ﷺ خبراً مؤكداً أنه أرسله بالحق مبشراً ومنذراً، وأنه لا يسأل يوم القيامة عن أعمال المجرمين الذين يدخلون الجحيم بكفرهم.

(١٢٠) يخبر الله نبيه - وإخباره إخباراً لأُمَّته - أنه لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تترك ما أنزل الله عليك وتتبع ما هم عليه فلا تفعل، وإن اتبعت أهواء هؤلاء بعد الذي جاءك من الحق الواضح فلن تجد من الله نصرة ولا معونة.

(١١٢) ليس الأمر كما زعم هؤلاء أن الجنة لهم، بل يدخل الجنة كل من أخلص في عبادة الله وعمل الصالحات متبعاً رسول الله محمداً في جميع أموره فله ثوابه عند ربه في الآخرة، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يوم الجزاء.

(١١٣) كل من اليهود والنصارى يقول للآخر لست على الحق، ويقرأ اليهود التوراة والنصارى الإنجيل وفيهما أمر الله بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفریق، ومثل قولهم قال مشركو العرب، فهم كذبوا محمداً ﷺ وقالوا إنهم على الحق فالله يحكم بين هؤلاء يوم القيامة ويجازي كلًّا بما يعملون.

(١١٤) لا أحد أظلم من الذي منع الصلاة وذكر الله في المساجد قبل بعثة محمد ﷺ وبعد بعثته إلى يوم القيامة، ولا أحد أظلم ممن جاهد في تخريبها وإغلاقها، فهؤلاء الظلمة ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين، وجزاؤهم في الدنيا الذل والهوان على أيدي المؤمنين، ولهم في الآخرة عذاب عظيم.

(١١٥) ثم يهد الله لتبديل القبلة إلى الكعبة بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، فإذا أمر الله عباده أن يتوجهوا إلى أي جهة في الصلاة فهو الحق، فعلى العباد امتثال أمره بدون اعتراض عليه، ومن لم يعرف جهة القبلة فيصل إلى أي

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ءَأُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ؕ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ ؕ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١١١) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١١٢) وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (١١٣) وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١١٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١١٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴾ (١١٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ الرَّحِيمُ ﴾ (١١٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١١٩) وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٢٠)

- (١٢١) يذكر الله أن طائفة من بني إسرائيل يقرؤون كتبهم المنزلة إليهم ويجدون فيها علامة نبوة محمد ﷺ ويؤمنون بها ولا يحرفونها والذين يجحدونها - وهم الأكثر - لهم الخسران في الدار الآخرة.
- (١٢٢) يذكر الله بني إسرائيل بالنعمة التي أنعم عليهم وفضلهم على أهل زمانهم بالنبوة.
- (١٢٣) ثم يرهب الله الذين حرفوا كتاب الله وكذبوا محمداً ﷺ ولم يؤمنوا برسالته فحذرهم أن لا يقبل الله الفدية منهم يوم القيامة، ولا تنفعهم شفاعته، وليس لهم ناصر ينصرهم.
- (١٢٤) يذكر الله في هذه الآية اختبار خليله إبراهيم بأوامر وأحكام، فأداها على أكمل وجه، فقال الله له إني جاعلك قدوة للناس يتبعونك، فسأل إبراهيم ربه أن يجعل من ذريته قدوة، فأجابه الله أنه لا يعطي القدوة الظالمين منهم.
- (١٢٥) يبين الله في هذه الآية أنه جعل الكعبة مرجعاً للناس، كلما رحلوا عنه رجعوا إليها بالأمن والسلامة، وأمر الطائفين أن يتخذوا مقام إبراهيم مصلى، يقومون للصلاة عنده، وأمر إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت من كل رجس وندس للطواف والعكوف والصلاة.
- (١٢٦) عندما ترك إبراهيم زوجته هاجر وولده إسماعيل دعه ربه فقال: اجعل مكة بلداً آمناً، لا يتعرض فيه لأحد بسوء، وارزق مؤمني أهل مكة من أنواع الثمرات، فقال الله مخاطباً إبراهيم: ومن كفر منهم فأمتعه قليلاً في الدنيا بشيء من الرزق، ثم أجهته إلى عذاب النار وبئس المصير يرجع إليه الكفار.
- (١٢٧) واذكروا إذ يرفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت، وهما يقولان ربنا تقبل أعمالنا التي أمرتنا بها إنك تسمع ما نقول وتعلم ما نعمل.
- (١٢٨) ربنا واجعلنا مستسلمين لأمرك خاضعين لك واجعل لنا من أولادنا أمة مطيعة لأحكامك وعلما أصول عبادتك وتجاوز عن سيئاتنا إنك تقبل توبة عبادك وأنت أرحم بهم.
- (١٢٩) ربنا وابعث في هذه الأمة رسولا من ذرية إسماعيل والمراد به محمد ﷺ يتلو عليهم آياتك المنزلة عليه، فيها أحكام العبادات، وغيرها، ويعلمهم القرآن والسنة ويظهرهم من الشرك وسوء الأخلاق، إنك أنت العزيز في ذاتك، الحكيم في أفعالك وأحكامك.
- (١٣٠) ولا ينصرف عن دين إبراهيم إلا من كان سفيها جاهلاً، ولقد اخترناه في الدنيا رسولا، وهو في الآخرة من الصالحين في أعلى درجات الجنة.



﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمٌ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِن ءَأْمَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَأْمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

- (١٣١) اختاره الله لمسارحته إلى الإسلام، حين قال له ربه أخلص لي العبادة، قال: أسلمت لرب العالمين.
- (١٣٢) ووصى بها إبراهيم ويعقوب أبناءهما أن الله اختار لكم الإسلام ديناً فلا تفارقوه حتى الموت، وأنتم مسلمون منقادون له.
- (١٣٣) هل كنتم حاضرين عند وفاة يعقوب إذ جمع أولاده وسألهم ما تعبدون بعد موتي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن منقادون له لا نشرك به شيئاً.
- (١٣٤) تلك أمة قد مضت فيمن مضى من الأمم لهم أعمالهم ولكم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم ولا هم يسألون عن أعمالكم، كل سيجازي بما كان يعمل.
- (١٣٥) وقالت اليهود والنصارى للمسلمين: إن تدخلوا في اليهودية والنصرانية تهتدوا، فأجابهما الله بلسان نبينا: بل الهداية باتباع دين إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً، وما كان يشرك بالله أحداً.
- (١٣٦) قولوا - أيها المؤمنون - لليهود والنصارى: صدقنا بما أنزل على نبينا ﷺ وهو الحق، وبما أنزل على الأنبياء السابقين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وبما أوتي موسى وعيسى، لا نفرق بين أحد منهم ونحن مسلمون منقادون لله.
- (١٣٧) فإن آمن اليهود والنصارى وغيرهما بمثل إيمانكم فهم على الهداية، وإن أعرضوا عن الإيمان فإنما هم في اختلاف شديد، وسيكفيك الله شرهم، وهو يسمع أقوال الناس ويعلم أعمالهم الظاهرة والباطنة.
- (١٣٨) عليكم بدين الله الذي فطركم عليه ظاهراً وباطناً ولا أحسن ديناً منه فهو الذي يوافق الفطرة، ونحن لله عابدون.
- (١٣٩) قل - أيها الرسول - لبني إسرائيل أتجادلوننا في توحيد الله وربوبيته وهو رب العالمين جميعاً، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، ونحن له مخلصون في العبادة والطاعة ولا نشرك به شيئاً.

١٣٨ الآية الكريمة تبين ما توصل إليه العلماء من أن الصبغ يشمل: الألوان والصفات الوراثية في الكائنات الحية، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام عن الآية (٢٢) من سورة الروم.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَعْلَمُ أَمْرَ اللَّهِ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ زُرَى نَقْلُكُمْ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞

غيركم من أهل الأديان جعلناكم أمة عدولا؛ لتشهدوا على الأمم السابقة يوم القيامة، أن رسلهم بلغوا رسالة الله، ويكون رسولكم يوم القيامة شهيدا عليكم أنه بلغكم رسالة ربه، وما جعلنا تحويل القبلة التي كنت عليها - أيها الرسول - إلى الكعبة إلا لنتظهر من علمناه في الأزل يتبعك ومن يرتد عن دينه، ولقد كانت حادثة التحويل عن القبلة الأولى عزيمة إلا على من هدى الله لاتباعك، والذين ماتوا على القبلة الأولى صلواتهم مقبولة عند الله وكذلك صلواتكم - أيها المؤمنون - إن الله بالناس لرؤوف، رحيم.

(١٤٤) وكان رسول الله ﷺ قبل تحويل القبلة يرفع رأسه إلى السماء رجاء أن يحوله الله إلى قبلة إبراهيم فبشره ربه أنه سيحوله إلى القبلة التي يحبها، فالآن ول - أيها الرسول - وجهك في الصلاة إلى جهة المسجد الحرام، وفي أي مقام كنتم - أيها المؤمنون - توجهوا إليها، وأهل الكتاب يعلمون كما في كتبهم المنزلة أن محمداً ﷺ وأمه يتوجهون بصلاتهم إلى الكعبة المشرفة، وليس الله بغافل عن أعمالهم وإعراضهم فسيجازيهم يوم القيامة.

(١٤٠) يا بني إسرائيل أنتم تدعون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا على ملة اليهودية أو النصرانية هل عندكم به علم من الله! بل قولكم هذا كذب وبهتان، والذي يكتف شهادة الله عنده فهو أظلم عند الله وعند الناس جميعا، وليس الله بغافل عن أعمالكم وسيجازيكم يوم القيامة على كتمانكم الحق وهو يعلم أعمالكم.

(١٤١) تلك أمة قد مضت من قبلكم، وأفضت إلى ما قدمت من عمل، فلها ما كسبت ولكم ما كسبتم، وهو يعلم أعمالكم، ولا تسألون عن أعمالهم ولا هم يسألون عن أعمالكم، وكل يؤخذ حسب عمله وكل يجازى على ما قدم.

(١٤٢) سيقول الجهال من اليهود وغيرهم: ما الذي صرف المسلمين عن قبلتهم التي كانوا يتوجهون إليها في صلواتهم من قبل؟ قل لهم - أيها الرسول: لله المشرق والمغرب، وهو الذي يهدي من يشاء من عباده إلى الطريق القويم إلى قبلة إبراهيم الذي جعله الله للناس إماما.

(١٤٣) وكما جعلنا لكم قبلة ارتضيناها لكم، وفضلناكم على

١٤٣ في هذه الآية مظهر من مظاهر التناسق والإحكام في القرآن، فحين يصف الله أمة محمد ﷺ بالوسطية، ويأمرهم بها تأتي الآية في وسط سورة البقرة بالتمام.

١٤٤: ١٥٠ مع تسليمنا بقول بعض العلماء إن الاكتفاء بالتوجه إلى الجهة يجزئ المصلين، ولكن كمال السنة يتحقق بالدقة في إصابة عين الكعبة لمن كان داخل المسجد الحرام، أما من كان داخله فإنه يجب عليه أن يتوجه إلى عين الكعبة.



﴿ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًّا فَاسْتَبِقُوا الْحَيْرَةَ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمِمْ عَلَىكُمْ وَأَنَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ .

(١٤٥) أهل الكتاب لا يؤمنون بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، ولو جئت بجميع الأدلة ما تبعوا قبلك عنادًا وإنكارًا، وما أنت بتابع قبلتهم مرة أخرى لأنك على الحق وهم على الباطل، وما أحد منكم يتبع قبلة أحد، ولئن اتبعت أهواءهم ورجعت إلى قبلتهم بعد ما جاء أمر الله إليك بتحويل القبلة إلى الكعبة فإذا تكون من الظالمين، وفي هذه الآية تهديد شديد لنا بواسطة نبينا ﷺ. اللهم احفظنا من اتباع أهل الكتاب الظالمين.

(١٤٦) أهل الكتاب وبخاصة علماءهم يعرفون حق المعرفة أنك الرسول الموعود كما في كتبهم، يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم، ويعرفون أن الرسول الموعود وأمه سيتوجهون في صلواتهم بأمر الله إلى الكعبة المشرفة، ولكن جماعة من علمائهم يكتمون الحق ولا يؤمنون به، ولا يخبرون عوامهم ليؤمنوا به.

(١٤٧) (١٤٨) ولكل أمة قبلة يتوجه كل واحد منهم إليها في عبادتهم فأنتم - أيها المؤمنون - تسابقوا إلى فعل الخيرات المشروع في دينكم الحق، وسيجمعكم يوم القيامة جميعًا من أي مكان كنتم لأنه قادر على ذلك، وسيجازيكم حسب أعمالكم يوم الحساب.

(١٤٩) (١٥٠) وحيث سافرت - أيها الرسول - وجاء وقت الصلاة فصل بهم متوجهًا إلى الكعبة المشرفة كما أمركم الله فحافظوا عليه، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم على ذلك يوم الحساب.

(١٤٩) (١٥٠) وحيث سافرت - أيها الرسول - وجاء وقت الصلاة فصل بهم متوجهًا إلى الكعبة المشرفة كما أمركم الله فحافظوا عليه، وليس الله بغافل عن أعمالكم، وسيجازيكم على ذلك يوم الحساب.

(١٤٧) تحويل القبلة هو الحق فلا تكونن من الشاكين في صحته.

١٤٦ ومن الحق الذي يعلمونه ولم يدخله التحريف ما ورد في التوراة النص العبراني للجزء الخامس من نشيد الإنشاد من العدد التاسع حتى السادس عشر؛ الجزء الخامس من نشيد الأناشيد: «حِكْوَمَتَكِيم فِكْلُو مُحَمَّدِيم زِيه دُودِي فَزِيَة رِيْعِي» وترجمته: «كلامه أحلى الكلام إنه محمد هذا حبيبي وهذا خليلي».

١٥٠ مع تسليمنا بقول بعض العلماء أن الاكتفاء بالتوجه إلى الجهة يجزئ المصلين، ولكن كمال السنة يتحقق بالدقة في إصابة عين الكعبة لمن كان خارج المسجد الحرام، أما من كان داخله فإنه يجب عليه أن يتوجه إلى عين الكعبة. ونشير هنا إلى تحديد رسول الله ﷺ قبلة مسجد صنعاء الكبير ببعض المعالم، وذلك في حديث وبر بن يوحنا الخزاعي لأنصاري والذي ثبت في زماننا هذا بعد مرور أربعة عشر قرنًا بواسطة الأقمار الصناعية أن الإحداثيات التي ذكرها الرسول ﷺ هي متطابقة بدقة متناهية مما يدل على أن تحديده ذلك كان بوحى من الله (انظر البحث بتمامه بعنوان: الأقمار الصناعية تشهد بصدق ونبوة الرسول ﷺ، مجلة الإعجاز العلمي العدد ٢٦ ص ٣٢).

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾ يَتَّيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْعَيْنُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ءَمُوتٌ بَلْ ءَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبِّئُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَبِّئِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَوَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ۞

- (١٥١) قد أرسلنا إليكم - أيها المؤمنون - رسولا من أنفسكم، وهو يقرأ عليكم آياتنا المبينة للحق والباطل، ويظهركم من الشرك ومن الرذائل والمنكرات، ويعلمكم القرآن والسنة، ويعلمكم أخبار الأنبياء السابقين وقصص الأمم السالفة التي لم تكونوا تعلمونها.
- (١٥٢) اذكروا الله بقلوبكم وجوارحكم، يذكركم بالثناء الجميل في الملائكة المقربين عنده، ولا تجحدوا إناعمي عليكم.
- (١٥٣) واطلبوا العون في أموركم الدينية والدينية بالصبر الجميل، وإقامة الصلاة، والله يعين الصابرين في أمورهم.
- (١٥٤) نهى الله المؤمنين أن يقولوا للذين قتلوا في الجهاد هم أموات، بل هم أحياء عند الله، ولكن لا يعلم أحد كيفية حياتهم.
- (١٥٥) ولنمتحنكم بأنواع من المصائب مثل الخوف من أعدائكم والجوع والنقص من الأموال والأنفس بالموت أو القتل وينقص الثمرات بقلة ناتجها أو فسادها، وبشر - أيها الرسول - الذين صبروا على هذه المصائب من أمتك.
- (١٥٦) ومن صفات هؤلاء الصابرين أنهم إذا أصابهم شيء مكروه يقولون نحن عبيد من عباد الله يتصرف فينا كما يشاء، ونحن نرجع إليه، ثم نبعث للحساب والجزاء.
- (١٥٧) هؤلاء المتصفون بهذه الصفة لهم ثناء من ربهم، ورحمة، وأولئك هم المهتدون إلى الحق والرشاد.
- (١٥٨) حقا إن الصفا والمروة - هما جبلان معروفان عند المسجد الحرام - من معالم الشريعة، فمن جاء بقصد العمرة أو الحج فعليه السعي بينهما، ومن تطوع في أفعال الخيرات كلها فإن الله عليم بعمله ومثبه عليه.
- (١٥٩) إن الذين يخفون ما أنزل الله من الآيات البيّنات الدالة على نبوة محمد ﷺ وصفته في التوراة والإنجيل وهم علماء اليهود والنصارى مطرودون من رحمة الله، ملعونون عند اللاحين جميعا.
- (١٦٠) إلا من تاب منهم وبيّن للناس صفات نبينا التي في كتبهم، وأصلح ما أفسدوه في فهم الدين فإن الله يقبل توبته، وهو التواب على من تاب من عباده، الرحيم.
- (١٦١) إن الذين جحدوا الحق وماتوا على الكفر فعليهم لعنة الله والناس أجمعين، وهم مطرودون من رحمة الله.
- (١٦٢) فهؤلاء مقامهم النار خالدين مخلدين لا يخفف عنهم العذاب، ولا يمهلون يوم القيامة.
- (١٦٣) أيها اليهود والنصارى إن معبودكم ومعبودنا واحد لا غير، وهو الرحمن لجميع الخلق في الدنيا، الرحيم بالمؤمنين خاصة يوم القيامة.



﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّرْنَا بِآيَاتِنَا مِنَ السَّمَاءِ نَارًا نَسْفِتُ بِهَا الْفَاحِشِينَ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ لَأَبْلَقْنَا لَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا آيَاتٍ مُبِينًا ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

لهم بعد انقطاع وقت العمل، فلهم عذاب شديد.

(١٦٤) ويومئذ يتبرأ الرؤساء المتبعون من الذين اتبعوهم حين يشاهدون العذاب، وتقطع بهم جميع أسباب النجاة.

(١٦٥) وقال التابعون ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا، وكما أراهم الله العذاب الشديد يوم القيامة لمتابعة رؤسائهم على الباطل يريهم اتباعهم رؤسائهم ندامات وليسوا بخارجين من النار أبداً.

(١٦٦) يا أيها الناس كلوا حلالاً طيباً من الذي يخرج الله لكم من باطن الأرض ومن الحيوانات على ظهرها مما أباح الله لكم من ذلك، ولا تتبعوا سبل الشيطان في التحليل والتحریم وغيرها، فإنه عدو أذلي لكم.

(١٦٧) والشيطان لا يأمركم إلا بما يسوؤكم من الآثام والمعاصي، وبأن تقولوا في شرائع الله بغير ما أنزل الله زوراً وبهتاناً عليه.

(١٦٤) إن الذي خلق السموات والأرض وما فيهما من عجائب الخلق وبيده اختلاف الليل والنهار، وبقدرته تجري الفلك في البحار بما ينفع الناس، وهو الذي أنزل المطر من السماء وبه أحيا الأرض بعد موتها، فنبتت الأشياء التي يحتاج إليها الناس والحيوان وغيرهما، وهو الذي يصرف الرياح ويسخر السحاب بين السماء والأرض، فهذه الآيات الواضحة من دلائل وحدانيته لمن يعقلون، فهو يسع الجميع، لا كما يدعي المشركون أنه لا يسع المخلوقات كلها.

(١٦٥) ومع تلك البراهين الواضحة فإن من الناس من يتخذ آلهة من دون الله ويعبدونها ويحبونها كحب الله أو أكثر، وأما المؤمنون بالله فيحبون الله حباً جمماً ولا يشركون به، والذين يشركون بالله في الحياة الدنيا يوم القيامة يشاهدون العذاب، فيومئذ يعلمون ويوقنون أن القوة لله وحده، وهو يكفي الناس أجمعين، وهذا اليقين حصل

١٦٤ وهذه الآية فيها إثارة للفكر الإنساني وتحريض على معرفة أسرار الكون، وبيان إلى أن ذلك طريق لتأسيس اليقين ورد على توهم وجود التناقض بين العلم والإيمان. ففيها إشارات لحقائق كونية في علوم الفلك والبحار والنبات وعلوم الحياة والأرصاد مما يحفز همم العلماء لاكتشاف المزيد من المعارف الكونية مما سيأتي تفصيله لاحقاً في آيات كثيرة.

١٦٨ الآية تفيد بالنص الصريح خطر الخبائث التي لم يكن البشر على إحاطة بأضرارها، وأثبتت البحوث العلمية المتطورة أضرارها البالغة وتسببها في أمراض خطيرة كلحم الخنزير والميتة وغير ذلك، وسوف يأتي مزيد بيان فيما يتعلق بذلك كله في سورة المائدة.



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطَرَّ غَيْرَ بَاجٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

(١٧٠) وإذا قيل لهؤلاء المنكرين: اتبعوا ما أنزل الله على محمد ﷺ، قالوا معاندين: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات، وإن كان آباؤهم ضالين لا يعلمون الحق ولا يهتدون إليه.

(١٧١) مثل الكفار في اتباعهم لأبائهم كمثل الراعي الذي يصيح مناديا بهائمه فتسمع صوته ولا تفهم كلامه، فهؤلاء الكفار صم عن سماع الحق، وبكم قد خرست ألسنتهم عن النطق به، وعمي لا يبصرون براهين الحق، ولذا هم لا يقدر أن يفهموا الحق.

(١٧٢) وكلا - أيها المؤمنون - من الرزق الحلال الذي أعطيناكم، واشكروا لله ظاهراً وباطناً ما تفضل به عليكم من النعم، إن كنتم حقاً تعبدونه وحده، ولا تشركون به شيئاً.

(١٧٣) قد حرم الله عليكم ما يضركم كالميتة التي لم تذبح، والدم المسفوح السائل، ولحم الخنزير، والحيوان الحلال إذا ذكر غير اسم الله عليه عند الذبح، فإذا اضطر أحد من المؤمنين إلى أكل شيء ولم يتجاوز في أكله فوق حاجته فلا إثم عليه في أكله عندئذ، إن الله يعلم ضرورتكم فيغفرها لأنه غفور، رحيم.

١٧٣ كان العرب في الجاهلية بمتدحون الميتة ويفضلونها على ما ذبح فيقولون: (ما أماته الله خير مما أمته)، فأتى علم الكائنات الدقيقة بأسرار هذا التحريم، حيث وجد العلماء أن جسم الحيوان محصن ضد غزو الجراثيم ما دام الحيوان حياً، ولكن بمجرد موته بعد (١ - ٥) ساعات تتحول جثة الحيوان إلى مستودع للجراثيم والعفونات، وعن عملية التذكية يذكر العلماء كما في مجلة الإعجاز العلمي العدد الثالث (ص ٢٦) ما يلي: (بهذه الطريقة نكون قد استخلصنا المصدر الأساسي لنقل هذه الجراثيم وهو الدم ولا يمكن بعدها السماح بانتقالها إلى الأعضاء).

الدمر: وقد أشار المختصون إلى أن الدم مادة خصبة لنمو الجراثيم والبكتيريا والتي تستطيع أن تتحرك إلى أسفل نقطة في الجسم بينما اللحم صلب لا تستطيع الجراثيم أن تخترقه بمعدل اختراقها للدم، وبالتالي تفقد غذاءها فلا تتكاثر ولا تنمو.

لحم الخنزير: تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة والذي توصلت إلى أن الخنزير حيوان سبعي له أنياب يأكل الجيف والفئران، ولو سنحت له الفرصة لأكل الأطفال. كما أن عدم وجود إنزيم أكسيد الأكسنتين وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك في أنسجته ولا يتخلص إلا من (٠.٢٪) فقط من هذا الحمض والباقي يختزن في جسده، وهذا عكس الأنعام.

وحول الشبهة التي يثيرها المغرضون بصدد إعطاء الخنزير مضادات حيوية وطعام جيد وعناية صحية يقول العلماء المختصون في هذا النوع من العلم: (لاستطيع أن نقول أن الخنزير خال من الأمراض لا سيما الدودة الشريطية، والمعروف أن دورتها لا تتم إلا في الإنسان أو الخنزير بالرغم من أن الخنزير يعالج بالمضادات الحيوية الكثيرة، كما أنه يحتوي على كميات عالية من هرمونات النمو والتي تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تقتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير، كما أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الكبريت السام على عكس الأنعام، ويحتوي على كميات كبيرة من الهيستامين والأميدازول المسبب للحساسية وإكزيم الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا يحتوي على هذا الهرمون. أما الكلسترول في لحم الخنزير فهو يفوق كلسترول البقر بخمسة عشر ضعفاً. كما أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به من حمض البوليك مما يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان، وهذا يجعل الخنزير نجساً في ذاته رغم تحسين الأحوال الغذائية والصحية له.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أَوْلِيَتْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كِتَابَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأَنْثَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبْعَاقُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ .

حاجتهم والإنفاق في تحرير الرقيق، والذي أقام الصلاة بحقها وأدى الزكاة المفروضة من أمواله، والذي وفي بعهده، ومن صبر في حال الفقر وفي حال المرض، وفي شدة القتال في سبيل الله أولئك المتصفون بالصدق الذين امتثلوا ما أمر الله به واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، فهم المتقون.

(١٧٨) يأبها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله فرض عليكم أن تقتصوا من القتال بمثل جنائته، الحر يقتل بالحر والعبد يقتل بالعبد، والأنثى تقتل بالأنثى، فإن عفا المقتول قبل فراق روحه من جسده أو ولي المقتول مقابل الدية وهي مقدار من المال يدفعه القاتل مقابل العفو، فيطالب الولي الدية من القاتل بالمعروف، ويدفع القاتل إلى ولي المقتول الدية من غير تأخير ونقص، فمن قتل القاتل بعد أخذ الدية فله عذاب أليم.

(١٧٩) ولكم في تشريع القصاص حياة لكم بحقن دماءكم، ودفع الاعتماد بينكم، لا يدرك ذلك إلا أهل العقول المتقون لله.

(١٨٠) فرض الله عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت وعندة مال الوصية بجزء من تركته للأبوين وللأقرباء بما حدّه الشرع، وهو أن لا يزيد عن ثلث المال، وذلك حق ثابت للذين يتقون الله، وهذا كان قبل نزول آية الميراث، فلما نزلت آية الميراث حدد الله نصيب كل من يكون له حق من تركة الميت وبقية الوصية لغير أهل الإرث.

(١٧٤) إن الذين يكتُمون الحق من أهل الكتاب ولا يبينونه للناس كصفة محمد ﷺ المذكورة في التوراة، ويأخذون عنه عوضاً قليلاً في الحياة الدنيا كالرئاسة والمال، فهؤلاء ما يأكلون في بطونهم إلا النار حيث يدخلون النار يوم القيامة، ولا يكلمهم الله ولا يطهرهم من ذنوبهم ولهم عذاب مؤلم.

(١٧٥) أولئك المتصفون بكتمان الحق والعلم، هم الذين استبدلوا الضلالة بالهدى، وعذاب الله بالمغفرة، فما أصبرهم على فعل ما يسبب لهم دخول النار! كأنهم لا يباليون بما فيها من العذاب.

(١٧٦) ذلك العذاب جزاء على كتمانهم الحق والعلم الموجود في كتبهم، وكذلك الذين اختلفوا في الكتب المنزلة عليهم كتموا بعضها وأظهروا بعضها، وآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها، فهم بعيدون عن الحق.

(١٧٧) لا خير في مجرد الاتجاه إلى جهة المشرق أو المغرب بدون أمر الله، وإنما الخير كل الخير في الإيمان بالله وحده، والإيمان بيوم القيامة، والملائكة والكتب المنزلة من عند الله، والأنبياء المبعوثين من عند الله دون تفريق بينهم، وإنفاق المال مع حبه على ذوي القربى والأيتام والفقراء الذين لا يملكون ما يكفيهم، والمسافرين المحتاجين الذين بعدوا عن أوطانهم، والسائلين الذين اضطروا إلى السؤال لشدة

﴿ فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

(١٨١) فمن غيره بعد ما سمعه بزيادة أو نقص أو منع أحدا منه، فإنما يكون إثم ذلك التبديل على الذي غير وبدل، إن الله سميع لوصيتكم، عليم بما تخفيه صدوركم وسيجازيكم على ذلك.

(١٨٢) فمن عرف أن الموصي انحرف عن الحق في الوصية وكان انحرافه على سبيل الخطأ أو العمد، فأصلح بين المختلفين على الوصية فلا ذنب عليه، إن الله غفور لمن تاب، رحيم به.

(١٨٣) فرض الله عليكم - أيها المؤمنون - صيام شهر رمضان، وهذه الفريضة فرضت على الأمم السالفة، والحكمة أن تكونوا من أهل التقوى ويكون الصيام لكم وقاية من عذاب النار.

(١٨٤) وهذه الفريضة معلومة العدد، قليلة في السنة، وقد خفف الله على المريض والمسافر فشرع لهم أن يفطروا أيام المرض، وأيام السفر، ويقضيان عدد ما أفطرا من الأيام فالمريض بعد الشفاء من مرضه، والمسافر بعد انتهاء سفره، والذي أفطر بعد أن كان قادرا على الصوم فعليه فدية بدل ما أفطر عن كل يوم طعام مسكين، فمن تطوع في إعطاء الفدية أو بصوم أيام أخر بعد إعطاء الفدية فهو خير له، وكانت هذه الرخصة في البداية ثم نسخت بقوله « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وأكد الصوم بقوله والصوم هو الأفضل للذي يطيقه إذا علم ما فيه من خير في الدنيا والآخرة.

١٨٣ هذه الآية مع تسليمنا بأن المعنى الأساسي والأهم فيها هو ما يتحقق للإنسان في عبادة الصيام من تقوى الله التي هي جماع فعل الأوامر وترك النواهي والتزام أحكام الله في كل شأن من شؤون الحياة تحقيقا لكمال العبودية لله عز وجل فإنها مع ذلك تحوي إشارة إلى الوقاية من كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية، فالصيام يقوي جهاز المناعة ويبقي من أمراض السمنة وأخطارها، ومن تكوّن حصيات الكلى إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة البولينا في البول تساعد في عدم ترسب أملاح البول التي تكوّن حصيات المسالك البولية.

كما أن الصيام يقي الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه وبين أنسجته من جراء تناول الأطعمة خصوصا المحفوظة والمصنعة منها، كما أن الصيام يهدئ ثورة الغريزة الجنسية؛ وبذلك يقي الجسم من الاضطرابات النفسية والجسمية. وللصيام تأثير على السلوك والأزمات النفسية وهي تسبب الأمراض العديدة.

١٨٤ في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ كشف العلماء أخيراً عن بعض الأسرار المذهلة لعبادة الصيام، وكانت النتائج مفاجئة للباحثين وبخاصة من غير المسلمين، فقد تبين أن الامتناع عن الطعام والشراب لفترة منتظمة يعزز النظام المناعي للجسم، كما أن له تأثيرا يؤدي إلى تنشيط الجينات المسؤولة عن إفرازات هرمونات تساعد الخلايا في مواجهة زحف الشيخوخة على الإنسان وترتد من حيوية ونشاط الجسم. كما أن العطش أثناء الصيام له فوائد عديدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة نتيجة لزيادة مادة البروستجلاندين حيث يمكن أن يقوم بتحسين كفاءة الجسم، وحماية الجسم من قرح المعدة، والمشاركة في علاج العقم، وتحسين الذاكرة وآليات عمل الكلى.



﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَّاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَّاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَدِكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِّلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

فالآن جامعوهن وابتغوا ما قدر الله من الأولاد وكلوا واشربوا وجامعوا نساءكم إلى طلوع الفجر، وأمسكوا من بعد طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومجامعتهن حرام للمعتكف، فهذه حدود الله لا تقربوها فالله بين أحكام رمضان لتكونوا من أهل التقوى إذا اتبعتموها.

(١٨٨) حرم الله أن يأخذ أحدنا أموال الآخرين من غير طريق مباح كالسرقة أو الرشوة أو الغصب ونحو ذلك، ولا تدلوا بها إلى الحكام لتأخذوا أموال الناس، وأنتم تعلمون حرمة ذلك.

(١٨٩) يسألك - أيها الرسول - الناس عن تكوين الأهلة وتغيير أحوالها، فقل لهم تعرف بها أحكام عبادات الله كالحج والصوم وغير ذلك واختتام الشهر. وكان الناس إذا أحرموا للحج أو العمرة في الجاهلية لا يدخلون في بيوتهم من أبوابها ولكن يدخلونها من ظهورها، فنهى الله عن ذلك وأمرهم أن يدخلوا من أبوابها هذا هو الأمر المباح، وهو سبب اكتساب البر لا غير، وأمرهم أن يتقوا الله لعلهم يفلحون.

(١٩٠) وقاتلوا في سبيل الله إذا قاتلكم عدو الله ولا تتجاوزوا الحدود بأن تقتلوا الشيخ الفاني والنساء والصبيان ومن لم يقاتلكم، لأن الله لا يحب المتجاوزين للحدود.

(١٨٥) بدأ إنزال القرآن في شهر رمضان، والقرآن هداية واضحة لمن أراد الهداية، وهو الفرقان بين الحق والباطل، فمن أدرك شهر رمضان في الحضر وكان صحيحا فقد وجب عليه الصوم، وللمريض والمسافر رخصة بالإفطار في هذا الشهر، وعليهما قضاء ما أفطرا فيه في أيام آخر، فإن الله يريد بكم التيسير، ولا يريد بكم العسر، ويريد أن تصوموا شهرا كاملا، وتختموا الصيام بتكبير الله في صلاة العيد شكرا لله على الهداية. (نزلت هذه الآية بعدما كان التخيير للقادر بين الإفطار وإعطاء الفدية، فالآن لا رخصة للقادر في الإفطار).

(١٨٦) سأل سائل النبي ﷺ: أقریب ربنا فنناجیه أم بعيد فننادیه؟ فنزلت هذه الآية قل لعبادي إني قريب أجيب دعوتهم إذا دعوني فليطيعوني، لعلهم يسلكون بذلك سبيل الرشده.

(١٨٧) كان في بداية الأمر إذا نام أحد قبل العشاء حرم عليه الأكل والشرب والجماع فشق ذلك على المسلمين فأباح الله لهم ما كان ممنوعا من ذلك، وأباح لهم جماع نسائهم، فهن سكن لهم وهم سكن لهم، يخالط بعضهم بعضا لا يستغني بعضهم عن بعض، عفا الله عن من خالف حكم الله فجاءع في ليالي رمضان قبل الرخصة،

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ فَفَعْنُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْبَلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَبِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا نِيَّ أُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ .

المناسك زيارة بيت الله، وتمام العمرة إذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة وحلق أو قصر شعره فحل، فإن أحصرتم بمرض أو عدو ولم تستطيعوا الإتمام فعليكم أن تذبحوا ما تيسر من الهدى، فترسلوه إلى البيت وابقوا على إحرامكم حتى يبلغ الهدى إلى البيت ويذبح، فتحلقوا رؤوسكم فتحلوا، ومن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق رأسه فعليه فدية بأن يصوم ثلاثة أيام أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، أو يذبح شاة لفقراء الحرم، ثم قال فإذا أمنتكم بعد زوال الخوف من العدو فمن تمتع بالعمرة فعليه ما تيسر من الهدى ومن لم يتيسر له فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام بعد الرجوع من الحج، هذه عشرة كاملة، والهدى والصيام، والإطعام على الذي ليس من أهل المسجد الحرام، واتقوا الله باتباع شرع الله في الحج وتعظيم حدوده، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره وحدوده.

(١٩٧) إن للحج أشهرها معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة، فمن أراد الحج فعليه أن يحرم في هذه الأشهر فمن أحرم للحج حرم عليه الجماع ومقدماته والمعاصي والجِدال والسب والشتم وغيرها. وما تفعلوا من أعمال الخير في هذه الأيام والشهور فإن الله يعلمه ويجازيكم عليه. وتزودوا بما تحتاجون إليه في أشهر الحج في كل شئونكم هذا هو التقوى، وليس التقوى أن لا تأخذوا الأزواد وتسلوا الناس حوائجكم، وخافوني يا ذوي العقول السليمة.

(١٩١) واقتلوا - أيها المؤمنون - الذين يقتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم وأمكنكم قتلهم، وأخرجوهم من المكان الذي أخرجوكم منه من منازلهم بمكة، والشرك والكفر والصد عن الإسلام أشد من القتل، ولا تبدأوا بقتال المشركين عند المسجد الحرام حتى يبدأكم به، فإن بدأكم به عند المسجد الحرام فاقتلوهم فيه، ذلك جزاء الكافرين.

(١٩٢) فإن انتهوا عن قتالكم، وتابوا عن كفرهم وآمنوا فإن الله يغفر ذنوبهم، لأنه رحيم بالمؤمنين.

(١٩٣) وقاتلوا الكفار حتى لا يكون شرك بالله ولا يعبد أحد من دونه وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره، فإن انتهى الذين يقتلونكم من الكفار عن قتالكم ودخلوا في طاعتكم في دين الإسلام وتركوا عبادة الأوثان وتركوا الاعتداء عليكم فإنه لا ينبغي أن يعتدى إلا على الظالمين.

(١٩٤) وإذا بدأ المشركون القتال في الشهر الحرام جاز لكم القتال فمن انتهك حرمة تنتهك حرمة فمن انتهك حرمة الشهر انتهك حرمة فيه، وفي المدافعة لا تعتدوا إلا بمثل ما اعتدى المشركون والظالمون عليكم، واتقوا الله وأيقنوا أن الله مع الذين يتقونه بالتأييد.

(١٩٥) وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، ولا تبخلوا في الإنفاق في سبيله، وأحسنوا فيه، بل في جميع أعمال الخير؛ لأن الله يحب المحسنين.

(١٩٦) ومن أحرم بحج أو عمرة فليس له أن يحل حتى يتمها، وتمام الحج إتمام جميع المناسك في أيام الحج المعروفة وآخر



﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا أَقَضَيْتُمْ مِنْسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشْكَدْ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءِئِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءِئِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ .

(١٩٨) لا إثم عليكم في البيع والشراء في مواسم الحج، بل ابتغاء فضل الله خير، فإذا رجعت من عرفات فعليكم بذكر الله من التسبيح والتلبية والدعاء عند المشعر الحرام كما علمه الله بوساطة رسوله، وقد كنتم قبل ذلك في ضلال لا تعرفون الحق.

(٢٠١) أولئك الذين يدعون بخيري الدنيا والآخرة لهم حظ وثواب عظيم بما كسبوه من الأعمال الصالحة في الدنيا، والله سريع الحساب في الآخرة.

(١٩٩) ثم ادفعوا من عرفات كما كان إبراهيم عليه السلام يفعل: يدخل عرفات ثم يفيض بعد غروب الشمس لا كما كانت قريش تفعل في الجاهلية، فإنهم لا يخرجون من الحرم ولا يدخلون عرفات، فنهى الله عن ذلك ثم قال: اطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم فإن الله غفور رحيم.

(٢٠٣) واذكروا الله بالتكبير والتسبيح في أيام قلائل، وهي ثلاثة أيام بعد يوم العاشر فمن خرج من منى يوم الثاني عشر بعد رمي الجمرات قبل غروب الشمس جاز له ذلك، ومن بقي إلى اليوم الثالث عشر، فله أجر زائد وهذه كلها لأهل التقوى، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيها في هذه الأيام واعلموا أنكم ترجعون إليه يوم الحساب.

(٢٠٠) فإذا فرغتم وأنهيتهم أعمال الحج فأكثروا الثناء على الله كما كنتم تفخرون في الجاهلية من ذكر آبائكم بل أعظم من ذلك، ومن الناس فريق يطلب الخير في الدنيا فقط، ولا حظ لهم في الآخرة.

١٨٩ يعد الإسلام الأهلة واختلاف أحوالها بياناً لمواقيت الناس في العبادة والأمور الدنيوية لأنها مظاهر حسية يعرف التاريخ بها، فصور الهلال تتغير، لأن القمر يعكس ضوء الشمس نحو الأرض من أجزاء سطحه المرئية في الأرض فتظهر الأهلة، فإذا كان القمر في الاقتران أي بين الشمس والأرض فهو المحاق، ويبدأ بعده ميلاد الهلال الجديد فإن ولادة الهلال الفلكية تكون في لحظة واحدة على مستوى مداره الفلكي، ومن قال باختلاف المطالع فقد نظر إلى إمكانية الرؤية من الأرض باختلاف مواقعها، ولعل الله يجمع المسلمين جميعاً على أن يجعلوا من رؤية مكة المكرمة وما حولها من الجبال وما قد يعين على هذه الرؤية من المراسد الفلكية والمناظير الكبرى على أن تكون الرؤية فيها جامعة للمسلمين في الأرض وما ذلك على الله بعزيز والله المستعان.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَ ءَاتَيْنَهُمْ مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اٰخْتَلَفُوا فِيهِ مِّنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ۝

يأتيهم الله يوم القيامة بما يليق بجلاله في ضلال من السحاب ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وتأتيهم الملائكة محيطة بهم، يومئذ يقضي الله تعالى فيهم، وإليه ترجع أمور الخلائق جميعاً.

(٢١١) أسأل - أيها الرسول - بني إسرائيل وذكرهم كم بين الله لهم من آيات واضحات فكذبوها وبدلوها، ومن يبدل نعمة الله كفرًا وعنادًا فإن الله شديد العقاب له.

(٢١٢) زين للكافرين الحياة الدنيا وما فيها من اللذات العاجلة، وهم يستهزئون بالذين آمنوا بالله واليوم الآخر، وهؤلاء الذين يخشون ربهم في الحياة الدنيا فوق هؤلاء الكافرين في الآخرة، حيث يدخلهم الله في جنات عدن، والله يعطي المؤمنين ما يشاء من فضل بلا عد ولا حساب.

(٢١٣) كان الناس أمة واحدة على الإيمان بالله، حتى أضلتهم الشياطين فاختلّفوا، فمنهم مؤمن بالله ومنهم كافر به، فبعث الله الرسل وأنزل معهم الكتب بالحق مبشرين للمؤمنين بالمغفرة ورضوان من الله ومنذرين من كفر به، وما اختلف في شأن محمد ﷺ إلا الذين أوتوا الكتاب بغياً وحسداً، فهدى الله الذين آمنوا لمعرفة الحق من الضلال، والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم.

(٢٠٤) ومن الناس حسن المنطق فيعجبك أيها النبي كلامه، وهو منافق كاذب، والله يشهد على كذبه ونفاقه، شديد العداوة والخصومة للإسلام والمسلمين.

(٢٠٥) وإذا أدبر من عندك يجتهد في الإفساد في الأرض بالمعاصي وبإتلاف الزرع والنسل، وبقتل المواشي، والله لا يحب الفساد والمفسدين.

(٢٠٦) وإذا قيل لذلك المنافق المفسد: اتق الله بتعظيم حدوده، واحذر عقابه، لا يقبل النصح بل يحمله الكبر وحمية الجاهلية على الإصرار، فجزأوه أن يدخل جهنم، فبئس المأوى والمستقر.

(٢٠٧) ومن الناس من يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله فقط، والله ذو رحمة واسعة لمن يشري نفسه فيجزيه أحسن الجزاء.

(٢٠٨) أمر الله من يدخل في الإسلام أن يتبع جميع أحكام الإسلام وشرائعه، ويجتنب اتباع الشيطان فإنه عدو للمؤمنين ظاهر.

(٢٠٩) فإن عدلتكم عن طريق الحق بعد ما جاءكم الدلائل الواضحة التي لا لبس فيها فاعلموا أن الله عزيز في قدرته حكيم في تدبيره فخافوه في السر والعلن.

(٢١٠) ما ينتظر الذين يتبعون الشيطان بعد قيام الأدلة إلا أن



﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقِتَالِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَالُونَ لَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتٌ وَهُوَ كَاوِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ أَكْبَرُ مِنْ دَرَجَاتٍ وَأُولَئِكَ هُمُ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا فِي خَوَانِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُنْهَدِ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

الشهر الحرام، ولا يزال المشركون مستمرين على ظلمهم حتى يردوكم عن الإسلام إن استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومن يرجع منكم عن دينه ويمت على الكفر فقد بطل عمله في الدنيا والآخرة، وماله في الآخرة عذاب النار أبداً.

(٢١٨) يقينا الذين صدقوا بما جاء به الرسول وتركوا أوطانهم لأجل الإسلام وجاهدوا في سبيل الله هم الذين يبتغون رضوان في الدنيا والآخرة والله غفور لذنوب هؤلاء، رحيم بهم.

(٢١٩) يسأل - أيها الرسول - أصحابك عن شرب الخمر وبيعها وشرائها، وكذلك يسألون عن القمار؟ فقل لهم: أضرارهما كثيرة في الدين والدنيا، وفيهما منافع قليلة، فإثمهما أكبر من نفعهما، وكان هذا تمهيدا لتحريمها، وكذلك سؤالهم عن القدر الذي ينفقونه من أموالهم على وجه التطوع، فقل لهم: أنفقوا من أموالكم ما زاد عن حاجتكم، وقد كان هذا قبل فرض الزكاة، كذلك يبين الله لكم الآيات والأحكام لعلكم تتفكرون.

(٢٢٠) شرع الله لكم تلك الشرائع لعلكم تتفكرون فيما ينفعكم في الدنيا والآخرة، ويسأل أصحابك - أيها النبي - عن اليتامى كيف يتصرفون في أموالهم؟ قل: إصلاح لهم خير إذا كان بدون أجر، ويجوز لكم مخالطة أموالهم بأموالكم بدون إفساد، والله يعلم منكم المفسد من المصلح، ولو أراد الله لضيق وشق عليكم بتحريم المخالطة، إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره.

(٢١٤) أظنتم - أيها المؤمنون - أن تدخلوا الجنة بدون ابتلاء واختبار ولما يصيبكم مثل ابتلاء المؤمنين في الأمم السابقة حيث أصابتهم شدة الفقر والمرض والخوف والرعب، وبلغ بهم البلاء حتى قال رسولهم والمؤمنون: متى نصر الله؟ فأجيبوا: ألا إن نصر الله قريب من المؤمنين المتوكلين عليه.

(٢١٥) يسألك - أيها الرسول - أصحابك من أي أصناف أموالهم المختلفة ينفقون تقرباً إلى الله، قل لهم ما أنفقتم من خير يتيسر لكم واجعلوا نفقتكم للأبوين ولأدنى قرابكم بحسب الحاجة، وللأيتام والمحتاجين، وما تنفقوا من خير قليلاً أو كثيراً فإن الله به عليم.

(٢١٦) فرض الله عليكم - أيها المؤمنون - القتال في سبيله، وهو مكروه لديكم طبعاً لمشقتة وكثرة مخاطره، وقد لا تحبون شيئاً كالقتال في سبيل الله وهو خير لكم، وقد تحبون شيئاً كترك القتال في سبيل الله وهو شر لكم في العاقبة، والله عز وجل يعلم ما هو خير لكم، ولذلك يأمركم به، ويعلم ما هو شر لكم ولذلك يمنعكم عنه، فبادروا بإتيان ما يأمركم به ربكم.

(٢١٧) يسألك - أيها النبي - المشركون عن حكم القتال في الأشهر الحرم؟ فقل لهم: القتال فيها واستحلالها عظيم عند الله، ولكن منعكم الناس من الدخول في الإسلام، ومنع المؤمنين عن المسجد الحرام وإخراج أهله منه ظلماً أعظم ذنباً عند الله، والشرك بالله أعظم من القتال في

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا مَؤْمِنَةٌ حَتَّىٰ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيْنَ أَيْتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْرَضُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُوَٰخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُوَٰخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ۞

- (٢٢١) ولا تنكحوا - أيها المؤمنون - المشركات من الوثنيين حتى يدخلن في دين الإسلام، والمرأة المملوكة المؤمنة خير من الحرة المشركة ولو أعجبتكم المشركة بجمالها، ولا تزوجوا المسلمات من المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من حر مشرك ولو أعجبتكم، أولئك المتصفون بالشرك رجلا ونساء يدعون إلى الأفعال التي تسبب دخول النار، والله يدعوكم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الجنة والمغفرة، ويبين آياته وأحكامه للناس ليعتبروا ويميزوا بين الحق والباطل.
- (٢٢٢) ويسأل - أيها الرسول - أصحابك عن الجماع في أيام الحيض قل لهم: هو أذى مستقذر، فلا تباشروهن حتى ينقطع الدم عنهن، ويغتسلن فإذا تطهرن فجامعوهن على الوجه الذي أباح الله لكم في قبلهن، والله يحب التوابين والمتطهرين.
- (٢٢٣) أزواجكم - أيها المؤمنون - موضع زرع لكم، فأتوا زرعكم من أي طريق في مكانه المعروف وهو قبلها، وقدموا لأنفسكم أعمالا صالحة بمرعاة أوامر الله، واعلموا أنكم ملاقوه يوم القيامة، وبشر - أيها الرسول - المؤمنين بما يسرهم عند لقاء ربهم يوم الحساب.
- (٢٢٤) ولا تجعلوا الحلف باسم الله مانعا لكم من فعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس، بل إذا حلفتكم على ترك البر والخير فكفروا عن أيمانكم وافعلوا البر، والله سميع لأقوالكم، عليم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها يوم الحساب.
- (٢٢٥) لا يعاقبكم الله بأيمانكم التي حلفتنوها من غير قصد، ولكن يعاقبكم بما قصدتموه، والله غفور لمن تاب إليه، حلیم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه.

٢١٩ ونشرت مجلة «اللانست» البريطانية وهي من أشهر المجلات الطبية في العالم مقالاً عام ١٩٨٧م بعنوان: الشوق إلى شرب الخمر استهل المؤلف مقاله بالقول: إذا كنت مشتاقاً إلى الكحول فإنك حقاً تموت بسببه.. وذكر المؤلف أن (٢٠٠ ألف شخص) يموتون سنوياً في إنجلترا بسبب الكحول. وقد نشرت الكليات الملكية للأطباء الداخليين والنفسيين والأطباء الممارسين تقارير أجمعت كلها على خطر الكحول (الغول) وأن الكحول لا يترك عضواً من أعضاء الجسم إلا أصابه، وجاء في بعضها ذكر الأمراض الناجمة عن شرب الخمر فذكر منها أمراض الفم والبلعوم والمرئ والمعدة والأمعاء ومرض الكبد الكحولي وتشمعه وأمراض المعثكلة (البنكرياس)، ثم قال: وتظهر تأثيرات الكحول فوراً على الدماغ، وبعض هذه التأثيرات عابر والآخر غير قابل للتراجع. وقال واحد من أكابر العلماء أمام الجمعية الطبية البريطانية: «لا أعلم مرضاً قط شفي بالخمر، كما قرر ذلك علماء الطب».

والمنافع التي أشارت إليها الآية هي المنافع المادية والكسب الخبيث: الذي يبدو في ظاهره، وفي عرف الناس أن هناك منافع، وكسبا لمن يصنعها، أو يبييعها لمن يشربها. أما في حق شاربها فهي سم قاتل لا منفعة ولا مصلحة من ورائها.



﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلِهِنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

(٢٢٦) للذين يحلفون عن جماع نساءهم انتظار مدة أربعة أشهر، فإن رجعوا إلى جماع نساءهم في تلك المدة فإن الله غفور لما وقع منهم من الحلف، رحيم بهم لرجوعهم بعد انقضاء المدة، ولا كفارة عليهم.

(٢٢٧) وإن قصدوا الطلاق واستمروا على ترك جماعهن فإن الله سميع لأقوالهم، عليم بما قصدوه، وسيجازيهم عليها.

(٢٢٨) والمطلقات ينتظرن بأنفسهن ثلاثة قروء لا يتزوجن خلالها ولا يجوز لهن أن يخفين ما خلق الله في أرحامهن من الحمل والحيض، إن كن صادقات في الإيمان بالله واليوم الآخر، وأزواجهن أحق بمراجعتهن في العدة، إن قصدوا الإصلاح والخير، وللمرأة حقوق على زوجها وللرجل مثل ذلك، وللرجل على المرأة منزلة زائدة من القوامة وأمر الطلاق، والله عزيز لا يغلبه شيء، حكيم في شرعه وتدبيره.

٢٢٢ ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى﴾

أثبتت الدراسات الطبية تضاول مقاومة المرأة أثناء الحيض إلى أدنى مستوياتها وانعدام النشاط الوقائي للرحم وانخفاض المفرزات الحامضية التي تقاوم الجراثيم والميكروبات، وانعدام الرغبة في الجماع نتيجة انخفاض الهرمونات النخامية. وأما تأذي الرجل فمنها تسرب مفرزات المهبل والجراثيم التي تكون متكاثرة في دم الحيض إلى الرجل مؤدية إلى التهابات عنده ومسببة ألماً شديدة. ﴿يَطْهَرْنَ﴾: لا شك أن رأي الجمهور باغتسال المرأة قبل وطئها يتوافق مع الرأي الطبي، ففيه تنشيط لأعضائها ودورتها الدموية بعد فترة الحيض، وما يرافقها عادة من هموم وتعب. خاصة وأن الرائحة الخاصة للمرأة أثناء حيضها لا تقتصر على موقع الأذى، بل تمتد غالباً إلى مفرزات الجلد كافة، فيكون الغسل هو المناسب صحياً لزوجها، وهو الأقرب لمحبة الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾. وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى وسيلة إضافية لمزيد التطهر من آثار الحيض عندما أرشد الحائض التي انتهت حيضتها بقوله: (ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها) أي تتبع أثر الدم. ﴿مَنْ حَيْضٌ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾: أي في موضع الحرث، وقد قال النبي ﷺ «ملعون من أتى امرأته في دبرها» أخرجه أبو داود. حيث أثبت العلم أن الإتيان في الدبر (الفاحشة) يؤدي إلى أضرار فادحة، والإصابة بالأمراض الجنسية وانتشارها كالزهري والسيلان والإيدز، كما يؤدي إلى ارتخاء المعدة الشرجية والإصابة بالسلل الغائطي والانتكاس النفسي.

٢٢٣ ﴿سَأَلَكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾

في الآية: عندما يمر على النطفة ستة أيام تنغرس في بطانة الرحم وهي نهاية مرحلة النطفة الأمشاج حيث تكون قد أصبحت بشكل كيس فتغرس في بطانة الرحم، وتتوغل إلى كيسة أريمية تنقسم إلى فلقات ثلاث، وانغراسها هذا يماثل تماماً انغراس البذرة في التربة في عملية حرث الأرض، وهذا المعنى يجلي لنا تماماً الإشارة في قوله تعالى: ﴿سَأَلَكُمْ حَرْثَ لَكُمْ...﴾. ويزيدنا علماء الأجنة فهما لهذا المعنى بقولهم: تنغرس النطفة في بطانة الرحم بواسطة خلايا تشأ منها تتعلق بها في جدار الرحم والتي ستكون في النهاية المشيمة، كما تنغرس البذرة في التربة ثم ينتقل الحميل بنهاية ذلك من شكل النطفة إلى العلقة حيث يتعلق بجدار الرحم، ومعلوم أن هذا الحميل يستقي غذاءه من المشيمة المتعلقة ببطانة الرحم، وبذلك يستفيد من كل شئ يؤثر بهذه المنطقة، وهذا يذكرنا بقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره» (سنن أبي داود).

٢٢٨ أثبتت الدراسات الحديثة أن ماء الرجل يحتوي على (٦٢) نوع من البروتين، وأن هذا الماء يختلف من رجل لآخر فلكل رجل بصمة في رحم زوجته فإذا تزوجت من رجل آخر بعد الطلاق مباشرة تصاب المرأة بمرض سرطان الرحم وغيره لدخول أكثر من بصمة مختلفة في الرحم، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن أول حيض بعد طلاق المرأة يزيل من (٠.٣٢-٠.٣٥) من تلك الشفرة، والحيضة الثانية تزيل من (٠.٦٧-٠.٧٢) من بصمة الرجل، والحيضة الثالثة تزيل (٠.٩٩، ٩) من بصمة الرجل، وهنا يكون الرحم تم تطهيره من البصمة السابقة، وقد استعد لاستقبال بصمة أخرى.

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾

يخفى عليه شيء، وسيجازيكم بحسب أعمالكم.

(٢٣٢) وإذا طلقتم نساءكم طلاقاً رجعيًّا وانتهت عدتهن فلا تمنعهن - أيها الأولياء - عن مراجعتهم بعقد جديد إذا أردن ذلك وعلمتم حصول التراضي بالمعروف، ذلك يوعظ به من كان منكم صادق الإيمان بالله واليوم الآخر، ذلك أكثر نماء للخير، وأطهر لأعراضكم وأعمالكم، والله يعلم ما فيه صلاحكم وأنتم لا تعلمون ذلك.

(٢٣٣) والوالدات عليهن أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة، وهو سنتان لمن قصد إتمام المدة، ويجب على الآباء نفقة المرضعة بعد الطلاق، لا يكلف الله نفساً إلا قدر طاقتها، لا يحل لأحد الأبوين أن يتخذ الولد لإضرار الآخر، وبعد وفاة الأب إذا لم يكن له مال فعلى الوارث مثل ما وجب على الأب، فإن أراد الوالدان فطام المولود قبل تمام السنتين فلا إثم عليهما إذا كان بعد التشاور والتراضي فيما بينهما على ما فيه مصلحة المولود، وإن أردتم أن تطلبوا مرضعة غير الأم فلا إثم عليكم إذا سلم الأب حق الأم وللمرضعة أجرهما بما تعارف عليه الناس، واتقوا الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه، واعلموا أن الله بما تعلمون بصير، فلا يخفى عليه شيء.

(٢٢٩) الطلاق الذي تجوز فيه الرجعة للزوج مرتان، واحدة

بعد واحدة، فإمسك بمعروف، أو تخلية بالمعروف بأداء حقوقها، ولا يحل للزوج أن يأخذ مما أعطاه من المهر ونحوه شيئاً، إلا إذا خاف ألا يقوم بأداء الحقوق الزوجية فحينئذ تدفع المرأة ما أخذته من مهر وغيره، تلك هي الأحكام الشرعية بينها الله لكم فلا تتجاوزوها، ومن يتجاوز حدود الله فهم الظالمون لأنفسهم بإيرادها للهلاك.

(٢٣٠) فإن طلقها زوجها طليقة ثالثة فلا تحل له حتى تنكح غيره نكاحاً صحيحاً، ثم يطلقها وتنقضي عدتها، فلا إثم عليهما بعد ذلك أن يتزوجا بعقد جديد ومهر جديد، إن غلب على ظنهما أن يقيما حدود الله في حياتهما الزوجية، تلك هي الأحكام الشرعية التي يبينها الله لقوم يعلمونها ولا يخالفونها.

(٢٣١) وإذا طلقتم نساءكم فقاربين انتهاء عدتهن فعليكم أن تراجعوهن بالمعروف أو تتركوهن بالمعروف، ولا تراجعوهن لأجل الاعتداء عليهن والإضرار بهن، ومن يفعل ذلك بقصد الإضرار فقد ظلم نفسه واستحق العقوبة، ولا تجعلوا آيات الله لعباً وهزواً، واذكروا نعم الله عليكم بالإسلام وتفصيل الأحكام ترهيباً وترغيباً وخافوا الله بامثال أوامره، واعلموا أن الله بكل شيء عليم، ولا



٢٣٣ إن للرضاعة الطبيعية من أم الطفل فوائد متكاثرة نجلها بما يأتي:

- (١) توثيق العلاقة بين الطفل والأم وشعور الطفل بالأطمئنان والسعادة لدى رضاعته من صدر أمه، كما أن الأم تشعر بالغبطة والسعادة مع استمرارها بإرضاع فلذة كبدها، وعملية الرضاعة هذه تعزز من إفراز هرمون أوكسيتوسين الذي يسمى هرمون الثقة الموطن للعلاقة بين الرضيع وأمّه، وكذا هرمون البرولاكتين المدر للحليب والموقف لنزف الأم بعد الولادة والذي يرجع الرحم إلى حجمه الطبيعي، كما أن هذا الرضاع من شأنه تزويد الوليد باللباء الذي يحتوي على عوامل مناعية وخلايا تدافع عن جسمه، علاوة على كون حليب الأم موثوقاً به وسليماً وصحياً مما يكسب رضيعها عافية وقوة.
 - (٢) ورضاع الوليد من أمه ينمي الذكاء لديه وينشط القوى العقلية والذهنية كما دلت الإحصائيات الحديثة، حيث إن حليب الأم ينمي خلايا الدماغ والجهاز العصبي، حيث يحتوي على الأحماض الدهنية غير المشبعة ومركبات أوميغا ٣ وحامض التاورين وغيرها.
 - (٣) الرضاعة الطبيعية - وكما أثبتت الأبحاث الطبية المتعددة - فيها وقاية للرضيع من أمراض الحساسية كالربو والأكزيما وحساسية المجاري التنفسية العليا والربو القصبي والتهاب المفاصل والأمعاء ومرض التصلب الصفائحي، كما تقلل هذه الرضاعة من الإصابة بداء السكر بنوعيه، بل إن هذا الإرضاع من الأم يقلل حاجتها إلى العلاج إذا كانت مصابة بالسكر لدى إرضاعها لطفلها، كما يقلل إصابتها بالسكر بنسبة ١٥٪ لمدة (١٥) سنة قادمة.
 - (٤) وأهم من ذلك كله الاكتشاف المذهل الذي توصل إليه الطب الحديث وهو احتواء حليب الأم على الخلايا الجذعية التي يمكن بها بناء أنسجة الجسم وخلاياه وإصلاحها وتجديدها، فإرضاع الأم لوليدها يساعد على مرور تلك الخلايا الجذعية والخلايا المناعية عبر جهاز هضم الطفل لتساعد على نمو جسمه وبنائه وتوجيهه وتطويره، وسيكون له تطبيقات طبية في غاية الأهمية في علاج الأمراض خاصة الوراثية منها.
 - (٥) أطلق أحد الأطباء المعاصرين عبارة (الصحة تاج على رؤوس المرضعات من الأمهات) لأن هذه الرضاعة الطبيعية منهن لأولادهن فيها وقاية من الإصابة بسرطان الثدي والمبيض والرحم، وكذا الإصابة بالأورام، كما أثبتت الدراسات الطبية الحديثة بأنها تقلل من الإصابة بالسمنة المفرطة حيث اكتشف بروتين (ليبتين) الذي يساعد على تنظيم الدهون في الجسم.. هذا غيض من فيض من الفوائد المتكاثرة.
- وأما عن محاذير الرضاعة الصناعية (من الأبقار وغيرها) فقد أثبتت الأبحاث في مجال طب الأطفال أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الرضاعة من منتجات الألبان الحيوانية المصنعة وغير المصنعة وبخاصة لبن الأبقار وبين انتشار مرض الداء السكري بين الأطفال الرضع وانعدام ذلك في حالات الرضاعة الطبيعية من الوالدة، وكان لتعليل ذلك أن البروتين الموجود في لبن الأبقار يؤدي إلى تكوين أجسام مناعية مضادة في دم الرضع دون العامين لأن أنزيمات الهضم عندهم لا تستطيع تكسير البروتينات المعقدة في ألبان الأبقار، وأن هذه الأجسام المناعية تقوم بتدمير أعداد من الخلايا المهمة في بنكرياس الرضيع من قبل الخلايا التي تقوم بإفراز مادة الأنسولين.
- كما أثبتت الدراسات العلمية أخيراً أن ألبان الأنعام خاصة ألبان الأبقار تحتوي على عدد من الأحماض الأمينية تزيد بثلاثة إلى أربعة الأمثال على ما في لبن الأم مما قد يؤدي إلى ارتفاع نسبة تلك الأحماض في دم الرضيع فيعرض للإصابة ببعض الإعاقات الذهنية، ويؤدي إلى رفع نسب وفيات الرضع الذين يتغذون أساساً على الألبان الحيوانية المصنعة وغير المصنعة. وقد أوصت منظمة الصحة العالمية الأمهات بضرورة إرضاع أطفالهن لمدة عامين كاملين.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرَهُ، مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ ۞ .

- (٢٣٤) والذين يتركون زوجاتهم بعد وفاتهم غير حوامل يجب عليهن انتظار أربعة أشهر وعشرة أيام، لا يخرجن من بيوت أزواجهن أثناء العدة، فإن انقضت العدة فلا إثم عليكم - أيها الأولياء - فيما فعلن في أنفسهن مما كان ممنوعاً عليهن في العدة على الوجه المعروف، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه شيء، وسيجازيكم عليه.
- (٢٣٥) ولا إثم عليكم في التلويح بالرغبة في خطبة المعتدة من وفاة أو المطلقة طلاقاً بائناً في أثناء عدتهن، ولا إثم عليكم فيما أخفيتن في أنفسكم من الرغبة في نكاحهن بعد انقضاء عدتهن علم الله أنكم ستذكرون النساء المعتدات، واحذروا أن تتواعدوا سرّاً على النكاح وهن في عدتهن إلا بالمعروف من القول وهو التعريض، ولا تعزموا على عقدة النكاح، واعلموا أن الله غفور لمن تاب من عباده، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.
- (٢٣٦) لا إثم عليكم إن طلقتم زوجاتكم بعد عقد النكاح وقبل أن تجامعهن أو تحدوا مهرًا لهن، فلا يجب عليكم المهر، بل متعهن بشيء يتنفعن به، وهذه المتعة تلزم بحسب حال الرجل، على الغني قدر سعته، وعلى الفقير قدر ما يملكه، متاعاً على الوجه المعروف، وهذا العطاء حق ثابت على المحسنين في أفعالهم ومعاملاتهم.
- (٢٣٧) وإن طلقتم زوجاتكم اللاتي عقدتم عليهن قبل جماعهن وقد أوجبتم لهن مهرًا فيجب عليكم نصف المهر المتفق عليه، إلا أن يسمح لكم فيترك نصف المهر المستحق لهن، أو يسمح الزوج للمطلقة بالمهر كله، وتسامحكم - أيها الرجال والنساء - أقرب للتقوى، ولا تنسوا - أيها الأزواج - الفضل بينكم، إن الله بما تعملون بصير، وسيجازيكم على تسامحكم وغيره من أعمالكم الصالحة.

٢٣٤ ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ ... ﴾

سبق الكلام عند الآية (٢٢٨) من هذه السورة حول الحكمة من عدة الطلاق. وأن تلك العدة وعاء لتطهير رحم المرأة من آثار علاقتها الزوجية السابقة، وهنا نقول: إن العدة للمتوفى عنها زوجها تحقق نفس الغاية سابقة الذكر علاوة على ما في هذه الآية من مراعاة مشاعر أهل الزوج ومشاركتهم الوجدانية في فقد عزيزهم علاوة على كون زيادة مدة العدة تزيد في تثبيت البصمة لديها. وقالوا أنها تحتاج لدورة رابعة كي تزيل البصمة نهائياً، وبالمقدار الذي قال عنه الله عزوجل «أربعة أشهر وعشراً». كما أنه في اليوم السادس والعشرين بعد المئة، أي اليوم العاشر بعد الأشهر التي ذكرها القرآن ينبض قلب الجنين، ومع نبض قلب الجنين يتحرك ومع الحركة تشعر المرأة بحركته تلك، وبهذا تدخل المرأة مرحلة ما يسميها الأطباء بمرحلة اليقين، فحركة الطفل في أحشاء أمه دليل قطعي على الحمل.



﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَرْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَا فَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَقَاتِ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

ولا عليهن فيما فعلن في أنفسهن من أمور مباحة من التزين في اللباس وغيره، والله عزيز في ملكه لا غالب له، حكيم في شرعه وتدييره (وهذه الآية منسوخة بآية ٢٣٤ من هذه السورة).

(٢٣٨) واطبوا على الصلوات المكتوبة في أوقاتها وعلى الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر، وقوموا لله في الصلوات مطيعين خاشعين لله.

(٢٣٩) فإن خفتن من عدوكم فصلوا مشاة أو ركباناً على أي حال استطعتم، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون من قبل.

(٢٣٩) فإن خفتن من عدوكم فصلوا مشاة أو ركباناً على أي حال استطعتم، فإذا زال الخوف عنكم فاذكروا الله لتعليمه إياكم ما لم تكونوا تعلمون من قبل.

(٢٤٢) كما بين الله لكم - أيها المؤمنون - ما يلزمكم لأزواجكم ويلزم أزواجكم لكم يعرفكم أحكامه والحق الواجب لبعضكم على بعض لكي تعقلوها وتعملوا بها.

(٢٤٠) والذين يتركون زوجاتهم بعد وفاتهم، عليهم أن يوصوا لهن أن يمتعن سنة كاملة بالسكنى لا يخرجن من منزل الزوج، فإن خرجن قبل انقضاء السنة فلا إثم عليكم

٢٣٨ ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ .. ﴾

إن المحافظة على الصلاة علاوة على المكاسب الشرعية والتعبدية منها فإن هناك أبحاثاً علمية مدهشة عن فوائد الصلاة منها:

- تنظيف مداخل الجسم ومخارجه عبر الطهارة التي هي شرط لها.
- وقاية الجسم من الدوالي.
- تقوية جهاز المناعة في الجسم.
- الوقاية من الأمراض النفسية لأن الصلاة تسبب الطمأنينة والتوازن النفسي، وتقلل من الانفعالات الشديدة والقلق، وتقي من الوسواس القهري.
- شد العضلات وتقوية المفاصل فتقل الإصابة بالربو (آلام أسفل الظهر).
- الوقاية من أمراض الغدد الصماء ومن أمراض حساسية الجلد.
- تنشيط الدورة الدموية بشكل ممتاز والوقاية من اضطرابات القلب وأعصابه.
- تقوية إرادة المصلي وإكسابه حسن التكيف النفسي والأسري والاجتماعي.
- تحول دون نشوء المشاكل الاجتماعية، وكما قال تعالى: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).
- وأما تأكيد الآية على الصلاة الوسطى فنلاحظ الحكمة الطبية فيه من خلال دور الصلاة الوسطى في تنظيم إيقاع الأدرينالين وتنظيم النشاط القلبي كذلك لأنها تحول دون تعرضه للإجهاد الإضافي الذي يعرضه لتوترات محرجة ومؤذية بما يحصل من الاسترخاء والهدوء المناسبين.
- ومن المناسب أن نشير إلى أن المضاعفات الخطيرة لمرضى القلب تقع في فترة بعد الظهر، كما أن هرمونات الكاتيكول أمين لا تتغير بالمحافظة على الصلاة الوسطى مما يفضي إلى السلامة.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَتَنَزَّلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْعَمَلُ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقِضُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلَكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلَكِ مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ۞

- (٢٤٣) ألم يبلغك - أيها النبي - خبر الذين خرجوا من بيوتهم وهم كثيرون، خوفا من الموت بسبب الوباء أو القتل، فقال لهم الله: موتوا فماتوا، ثم أحياهم الله بعد مدة ليبن لهم أن الأمر كله بيده، وهو ذو فضل على الناس، ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضل الله عليهم.
- (٢٤٤) وقاتلوا أعداء الله لنصرة دينه، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم، لا يخفى عليه شيء.
- (٢٤٥) من ذا الذي ينفق من ماله في سبيل الله إنفاقا حسنا طلبا لمرضاة الله فيضاعفه الله له أضعافا كثيرة، والله بيده قبض أرزاق العباد وبسطها دون غيره، وإليه وحده ترجعون، فيجازيكم على أعمالكم.
- (٢٤٦) ألم يبلغك - أيها النبي - خبر الأشراف من بني إسرائيل من بعد زمان موسى؟ حين طلبوا من نبيهم أن يولي عليهم ملكا فيقاتلون في سبيل الله تحت رايته عدوهم، قال لهم نبيهم: هل عسيتم إن فرض الله عليكم القتال أن لا تقاتلوا، قالوا: منكرين ظنه فيهم: أي مانع يمنعنا من القتال في سبيل الله - وقد أخرجنا من بيوتنا وأبعدنا عن أولادنا؟ فلما فرض الله عليهم القتال مع الملك الذي عينه نبيهم، أعرضوا عنه إلا قليلا منهم، والله عليم بالظالمين المعرضين عن أمره فيجازيهم على ذلك.
- (٢٤٧) وقال لهم نبيهم: إن الله قد بعث لكم - كما طلبتم - طالوت ملكا، قال كبارهم: كيف يكون طالوت ملكا علينا وهو لا يستحق ذلك، ولم يعط مالا واسعا، ونحن أحق بالملك منه، قال لهم نبيهم: إن الله اختاره عليكم وزاده سعة في العلم والجسم، والله يعطي ملكه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بحقائق الأمور، ولا يخفى عليه شيء.
- (٢٤٨) وقال لهم نبيهم إن علامة اختياره ملكا لكم أن يرد الله عليكم التابوت، وهو صندوق يعظمه بنو إسرائيل، أخذ منهم، فيه طمأنينة وبقايا مما تركه آل موسى وآل هارون، يأتيهم تحمله الملائكة، وفي ذلك علامة وبرهان عظيم إن كنتم تؤمنون بالله حقا.
- (٢٤٩) فلما خرج طالوت بجنوده لقتال العدو من البلد قال: إن الله يمتحنكم بنهر فلا تشربوا منه عند عبوره، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس على طريقي فلا يصلح لقتال العدو، ومن لم يشرب منه فإنه على طريقي ويصلح للجهاد، إلا من شرب غرقة بيده فلا شيء عليه، فلما وصلوا إلى النهر لم يصبروا، فشرب الجنود إلا قليلا منهم، فقال الذين شربوا: لا طاقة لنا اليوم بالقتال في سبيل الله، وقال الذين يوقنون أنهم ملاقو ربهم يوم القيامة: كم من طائفة مؤمنة قليلة غلبت طائفة كافرة كثيرة العدد بإذن الله وعونه، والله مع الصابرين من عباده بالتأييد والنصر.



﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَئِكَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ .

اختلّفوا فمّنهم من آمن بالله ومنهم من كفر به، ولو شاء الله ألا يقتتلوا ما اقتتلوا، ولكن الله يوفّق من يشاء لطاعته والإيمان به ويضلّ من يشاء بعدله وحكمته.

(٢٥٤) وأنفقوا في سبيل الله مما آتاكم الله من الأموال من قبل أن يأتي يوم القيامة فيومئذ لا تجارة تنفع ولا صداقة ولا وساطة تدفع ضرا والكافرون هم الظالمون لكفرهم بالله ويوم الحساب.

(٢٥٥) الله لا معبود بحق غيره، الحي في نفسه لا يموت أبدا، القيم لغيره، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء لا يغيب عنه شيء؛ له، جميع المخلوقات عبيد له وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه، لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذن له في الشفاعة، أحاط علمه بجميع المخلوقات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه؛ وسع كرسيه السموات والأرض؛ لا يتقله سبحانه حفظهما؛ وهو العلي: بذاته وصفاته على جميع مخلوقاته؛ العظيم: في ملكه وصفاته. هذه الآية أعظم آية في القرآن.

(٢٥٠) ولما خرجوا ظاهرين لجالوت وجنوده توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا صب على قلوبنا الصبر صبا، وثبت أقدامنا حتى لا نفر، وانصرنا بقوتك وتأيدك على القوم الكافرين.

(٢٥١) فأجاب الله دعاءهم فهزمهم بإذن الله، وقتل نبي الله داود جالوت، وأعطى الله بعد ذلك داود الملك والنبوة في بني إسرائيل، وعلمه مما يشاء من العلوم، ولولا سنة الله أن يدفع ببعض الناس فساد بعض لفسدت الأرض بتسلط المفسدين فيها، ولكن الله ذو فضل على جميع المخلوقات.

(٢٥٢) تلك آيات الله وبراهينه نقصها عليك - أيها الرسول - متضمنة الصدق في الأخبار، وإنك لمن المرسلين من رب العالمين.

(٢٥٣) تلك الرسل الذين ذكروا من قبل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلمه الله كموسى عليه السلام ومنهم من رفعه الله درجات عالية كمحمد ﷺ بعموم رسالته وختم النبوة به، وتفضيل أمته على سائر الأمم، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الواضحات، وأيدناه بجبريل عليه السلام، ولو شاء الله ما اقتتل الذين جاءوا من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم الآيات الواضحة، ولكن

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رِيءِهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحِىِّى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحِىِّى وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحِىُّ هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةً عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحِى الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنُّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعِيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ۞

- (٢٥٦) لا تکرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، قد تبين الرشد من الضلال، فمن يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويؤمن بالله فقد استمسك من الدين بأقوى سبب للنجاة يوم القيامة وهو سبب لا ينقطع، والله سمیع لأقوال عباده، علیم بأفعالهم و سيجازيهم عليها.
- (٢٥٧) الله يتولى الذين آمنوا فيخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الحق، والكافرون وليهم الشيطان يزين لهم الكفر فيخرجهم من نور الإيمان إلى ظلمات الكفر أولئك أصحاب النار هم فيها ماكثون أبدا.
- (٢٥٨) هل علمت - أيها الرسول - جرة الطاغية الذي جادل إبراهيم عليه السلام في ربوبية الله، لأن الله أعطاه الملك فطغى وسأل إبراهيم عليه السلام من ريك؟ فقال إبراهيم عليه السلام ربي الذي يحيى الخلائق ويميتها، قال الطاغية: أنا أحیی وأمیت بأن أقتل من أشاء وأترك من أشاء، فقال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق فأت بها أنت من جهة المغرب، فتحير الطاغية وغلب من قوة الحجة، والله لا يوفق الظالمين إلى الحق والصواب.
- (٢٥٩) أو هل رأيت مثل الذي مر على قرية قد تهدمت جدرانها وهلك سكانها فقال المار: كيف يحيى الله هذه القرية وأهلها بعد موتها، فأماته الله مائة سنة، ثم أحياه وسأله كم مكثت ميتا؟ قال: مكثت مدة يوم أو بعض يوم، قال الله: بل مكثت مائة سنة، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه، بقيا دون تغير هذه المدة، وأمره أن ينظر إلى حماره الميت، كيف أحياه الله بعد أن كان عظاما متفرقة، كيف نرفعها ونضم بعضها إلى بعض، ثم نكسوها بعد ذلك لحما، ثم نعيد فيها الحياة، فلما تبين له حقيقة الأمر وعلم قدرة الله قال معترفا بذلك: أعلم أن الله على كل شيء قدير، فلا يعجز عن إحياء هذه القرية.
- (٢٦٠) واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم عليه السلام يا رب أرني كيفية البعث؟ فقال الله له أولم تؤمن؟ قال: بلى، قد آمنت، ولكن أريد اطمئنان قلبي بزيادة اليقين، قال الله: فخذ أربعة من الطيور فاضممهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا، ثم نادهن يأتينك سعيا، ففعل إبراهيم عليه السلام ونادهن فإذا كل جزء يعود إلى موضعه مسرعا، واعلم يا إبراهيم أن الله عزيز في ملكه حكيم في شرعه وأمره.

٢٥٩ وقد أثبت العلم الحديث (علم التشريح) أن مراحل الخلق تمر بعدة أطوار وأن طور تكوّن العظام يسبق طور كساء العظام باللحم، كما سيأتي مفصلاً في سورة المؤمنون.



﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءً لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَتَّبِعَتَا مِنْ أُنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾

يبدل أمواله بقصد أن يراه الناس ويمدحوه، وهو كافر لا يؤمن بالله ولا بيوم القيامة فمثل هذا مثل حجر أملس فوقه تراب، هطل عليه مطر غزير فأزاح التراب عن الحجر وتركه كما كان لا شيء عليه، فكذلك المراءون يذهب ثواب أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئاً من ثواب ما أنفقوا، والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في إنفاق أموالهم.

(٢٦٥) ومثل المؤمنين الذين يبذلون أموالهم طلباً لرضوان الله، واعتقاداً راسخاً بصدق وعد الله، كمثل بستان على مكان مرتفع طيب، هطلت عليه أمطار غزيرة فأنج ثمرًا مضاعفًا، وإن لم يصبه مطر غزير، فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، والله يعلم المخلصين من المؤمنين ويضاعف أجرهم، والله بما تعملون بصير فلا يخفى عليه حالهم وسيجازيهم بما يستحقون يوم الحساب.

(٢٦١) مثل ثواب المؤمنين الذين ينفقون أموالهم فيما أمر الله به كمثل حبة زرعت في أرض طيبة، فإذا بها قد أخرجت ساقًا تشعب منها سبع شعب، لكل واحدة سنبله في كل سنبله مائة حبة، والله يضاعف الثواب لمن يشاء من عباده، والله واسع الفضل والعطاء، عليم بمن يستحق المضاعفة.

(٢٦٢) الذين يبذلون أموالهم في سبيل الله طاعة له، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على من أعطوه ولا أذى، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما مضى لعظم نعيمهم.

(٢٦٣) كلام طيب يرد به السائل وعفو عما بدر منه من إلحاح في السؤال خير من صدقة يتبعها إيذاء بالمن على المتصدق عليه، والله غني عن عباده، حلِيم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(٢٦٤) لا تفسدوا - أيها المنفقون - صدقاتكم بالمن والأذى على المتصدق عليه، فإن مثل من يفعل ذلك مثل الذي

٢٦٥ هذه الآية تبين أهمية كفاية الماء ودوره في زيادة الإنتاج وينبغي أن لا ننسى أن الواابل الذي يصيب الجنة يتحول الكثير من مائه إلى فواقد على شكل جريان سطحي أو فواقد التخلل العميق. ومما يظهر في وصف الآية الكريمة للجنة أن كلاً من هاتين الحالتين موجود؛ فالحالة الأولى متحققة في قوله تعالى: ﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ ﴾ والواابل كما ذكرنا هو المطر الغزير عظيم القطر، وبالتأكيد فإن شدة المطر هذه ستزيد عن قابلية ارتشاح التربة (كمية الماء الداخلة إلى التربة)، والحالة الثانية متحققة هي الأخرى في كون الجنة ربوة، إذ أن الماء الداخل إلى التربة في هذه البيئة نافعاً لنمو أشجار الفاكهة وكثيراً من أشجار الثمار بالرشح سوف ينزل طبيعياً فيذهب كضائعات تخلل عميق. كما أن الزخات المطرية الغزيرة المتتالية وعمليات البزل الطبيعي للمياه الزائدة توفر أفضل ظروف ري وبزل لهذه الجنة.

﴿ أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُحِضُوا فِيهِ وَعَلِّمُوا أَنْ اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ۝

واعلموا أن الله غني عن نفقاتكم محمود في ذاته وأفعاله.

(٢٦٨) الشيطان يخوفكم من الفقر في الإنفاق في سبيل الله ويحثكم على البخل، ويدعوكم إلى ارتكاب المعاصي، والله سبحانه وتعالى يعدكم على إنفاقكم غفرانا لذنوبكم ورزقا واسعا، والله واسع العطاء عليم بأحوال عباده.

(٢٦٩) الله يؤتي السداد في القول والإصابة في العمل من يشاء من عباده، ومن أنعم الله عليه بذلك فقد أعطى خيرا كثيرا، وما يتذكر ويتعظ بآيات الله إلا أصحاب العقول المستتيرة.

(٢٧٠) وما بذلتم من مال في سبيل الله قليلا أو كثيرا وما أوجبتكم على أنفسكم فإن الله يعلم ذلك كله، فلا يضيع عنده شيء، وسوف يثيبكم على ذلك، وليس للظالمين المانعين لما يجب عليهم أنصار يدفعون عنهم عذاب يوم القيامة.

(٢٦٦) أيرغب أحد منكم أن يكون له بستان فيه نخيل وأعناب تجري من خلاله المياه العذبة، وله فيه من كل أنواع الثمرات، فأصبح شيخا لا يقدر على أن يغرس مثل هذا الغرس، وله أبناء صغار لا يستطيعون العمل، فأصاب البستان ريح شديدة فيها نار شديدة فاحترق البستان كله، فحال المنفق ماله رياء للناس مثل صاحب البستان، يأتي يوم القيامة بلا حسنات، يبين الله لكم مثل هذا البيان لعلكم تتفكرون.

(٢٦٧) يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله من المال الحلال الطيب الذي كسبتموه وكذلك مما أخرجنا لكم من نبات الأرض، ولا تقصدوا الرديء منه لتعطوه الفقراء، ولو أعطيتهم ما أخذتموه إلا إذا تعاظمت عنه مكرهين على رداءته، فكيف ترضون الله ما لا ترضون لأنفسكم،

٢٦٦ في هذه الآية أوجه متعددة للإعجاز منها:

أن إعصار النار لديه القدرة على احراق بستان كبير (أو جنة) طوله خمسة كيلومترات وخلال عشر دقائق فقط، حيث بينت الدراسات أن هذا النوع من الأعاصير يسير بسرعة تصل ما بين (٢٥٠ - ٣٠٠) كيلومترا في الساعة، بينما في قوله تعالى: (وأصابه الكبر) استخدم حرف الواو الذي يدل على التراخي.. لأن الكبر لا يصيب الإنسان فجأة بل خلال سنوات.. ف سبحان الله.

إن العلماء يؤكدون أن هذه الظاهرة (إعصار النار) ظاهرة نادرة وغير مألوفة ولم يتم توثيقها إلا في القرن الحادي والعشرين.

لقد وصف الله لنا البستان الذي أصابه إعصار النار (جنة من نخيل وأعناب) أي أن هذا الإعصار أصاب جنة مثمرة، وبالفعل يقول العلماء إن إعصار النار غالبا ما يصيب الغابات ذات الأشجار الكثيفة، ولا يقع في الصحراء وهذا يؤكد دقة التعبير القرآني، أي أن القرآن بذلك قد أخبر عن إعصار النار وحدد لنا عمل الإعصار وهي الأماكن التي تحتوي على الأشجار.



﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾

ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا.

(٢٧٥) الذين يأخذون الربا كالزيادة على القرض لا يقومون يوم القيامة من قبورهم إلا مثل ما يقوم الذي به مس من الشيطان، ذلك بسبب أنهم استحلوا أكل الربا بقولهم « إنما البيع مثل الربا » فكذبهم الله وبين أنه أحل البيع وحرّم الربا، فمن جاءته موعظة من ربه فانتهى فله ما مضى قبل أن يبلغه التحريم لا إثم عليه فيه وأمره إلى الله فيما يستقبل بعد ذلك، ومن عاد إلى أخذ الربا بعد أن بلغه النهي من الله، فقد استوجب العقوبة، وهي دخول النار خالدًا مخلدًا.

(٢٧٦) يهلك الله المال الربوي ويذهبها إما حسا بتلفه أو معنى بنزع البركة منه، وينمي الصدقات ويكثرها، والله لا يحب كل من كان كافرًا عنيدًا مستحلًا أكل الربا متماديًا في الإثم والمعاصي.

(٢٧٧) إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة، وأدوا الصلاة تامة كما أمرهم الله وعلمهم رسوله ﷺ وآتوا الزكاة المفروضة في أموالهم، لهم ثوابهم عند ربهم ولا خوف عليهم فيما يستقبلون من أمورهم، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا ونعيمها.

(٢٧١) إن أظهرتم ما تتصدقون به من أموالكم فنعيم الصدقة، وإن تسروا بها وتعطوها الفقراء فهذا أفضل لكم، لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، وفي صدقات المخلصين ستر لذنوبهم، والله بما تعملون خبير، فلا يخفى عليه من ذلك شيء وسيجازيكم عليه.

(٢٧٢) ليس عليك - أيها الرسول - هداية الكافرين، ولكن الله يشرح صدور من يشاء لدينه، وإنما تجب عليك دلالتهم إلى الحق، وما تبدلوا من مال فنفعه عائد إليكم لأن الله غني عنه، والمؤمنون لا ينفقون إلا طلبا لمرضاة الله، وما تنفقوا من خير قليلا كان أو كثيرا فإنكم تعطون ثوابه تاما فإن الله لا يظلم أحدا.

(٢٧٣) اجعلوا صدقاتكم للفقراء الذين منعهم الجهاد في سبيل الله من السفر طلبًا للرزق يظنهم الجاهل بحالهم أغنياء لتعففهم عن السؤال، تعرفهم بعلا ماتهم وآثار الحاجة عليهم، وأنهم ليسوا كسائر الفقراء الذين يسألون الناس ملحين في مسألتهم، وما تنفقوا من مال في سبيل الله فإن الله به عليم وسيجازيكم عليه.

(٢٧٤) الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله في الليل والنهار، مسرين ومعلنين بلا رياء، فلهم ثوابهم عند ربهم يوم الحساب، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمرهم،

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُجِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

من الدين شيئا، فإن كان الذي عليه الحق لا يحسن التصرف أو كان ضعيفا لصغره أو جنونه، أو لا يستطيع الإملاء لخرسه ونحو ذلك، فليتول الإملاء عن المدين القائم بأمره، واطلبوا شهادة رجلين مسلمين عاقلين من أهل العدالة، فإن لم يوجد رجلان فاستشهدوا رجلا وامرأتين ترضون شهادتهم، حتى إذا نسيت إحدى المرأتين ذكرتها الأخرى، ولا يمتنع الشهود إذا طلب منهم الشهادة، وعليهم أداؤها إذا دُعوا لذلك، ولا يصيكم الملل من كتابة الدين قليلا كان أو كثيرا إلى وقته المعلوم، كتابة الدين أعدل في شرع الله وهديته، وأعظم عوناً على إقامة الشهادة وأدائها وأقرب إلى نفي الشك في نوع الدين في مقداره ومدته، لكن إذا كان التعاقد بينكم على تجارة في سلعة حاضرة وثمان حاضر فلا حرج في ترك الكتابة حينئذ لعدم الحاجة إليها، ويستحب الإشهاد على ذلك منعاً للنزاع والشقاق، ولا يجوز الإضرار بالكتابة والشهود، ولا يجوز لهم الإضرار عند طلب كتابتهم أو شهادتهم، وإن فعلوا ما نهيتهم فذلك خروج عن طاعة الله إلى معصيته، واتقوا الله في جميع ما أمركم الله ونهاكم عنه، ويعلمكم الله ما فيه صلاح دنياكم وآخرتكم والله بكل شيء عليم، فلا يخفى عليه شيء.

(٢٧٨) يا أيها الذين آمنوا خافوا الله واطركوا المطالبة بما بقي لكم من أموال ربوية عند الناس قبل تحريم الربا، إن كنتم حقا مؤمنين.

(٢٧٩) فإن لم تفعلوا ما أمرتم به فاعلموا واستيقنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم إلى الله وتركتم الربا فلكم رؤوس أموالكم مما أقرضتم، ولا تظلمون أحداً بأخذ الزيادة، ولا تظلمون بالنقص من رؤوس أموالكم.

(٢٨٠) وإن كان المدين غير قادر على السداد فأمهله إلى أن ييسر الله له مالا فيدفع إليكم ما لكم، وأن تتصدقوا عليه بترك المطالبة بالدين وإسقاط بعضه عنه خير لكم إن كنتم تعلمون فضل ذلك عند الله يوم الحساب.

(٢٨١) وخافوا عذاب يوم ترجعون فيه جميعا إلى الله، وتقومون بين يديه، ثم تعطى كل جزء ما كسبت من خير أو شر وهم لا يظلمون بزيادة سيئة، ولا بنقص حسنة.

(٢٨٢) يا أيها الذين آمنوا إذا تعاملتم بالدين إلى مدة محددة فاكْتُبوا ذلك الدين، وليقم بالكتابة رجل أمين يكتب بالحق والإنصاف، ولا يمتنع من علمه الله الكتابة أن يكتب بالعدل، وليقم المدين بإملاء ما عليه من الدين حتى يكون ذلك إقرارا منه، وليراقب ربه ولا ينقص



﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَايُودِ الَّذِي أَوْثَمَنْ أَمَلْتُمْ، وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تَخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ۞

(٢٨٣) وإن كنتم مسافرين ولم تجدوا من يكتب لكم وثيقة الدين فادفعوا إلى صاحب الحق شيئاً يكون عنده ضماناً لحقه إلى أن يقضي المدين ما عليه من دين، فإن وثق بَعْضُكُمْ ببعض فلا حرج في ترك الكتابة والإشهاد والرهن، ويكون الدين حينئذ أمانة في ذمة المدين عليه أداؤه وعليه أن يراقب الله فلا ينكر منها شيئاً، فإن أنكر شيئاً من الدين وكان هناك من شهد المعاملة فعليه أن يظهر شهادته، ومن يكتمها فهو صاحب قلب غادر، والله بما تعملون عليم وسيجازيكم على أعمالكم.

(٢٨٤) الله وحده ملك السموات والأرض وما فيهما، وإن تظهروا ما في أنفسكم أو تخفوه يعلمه الله فيحاسبكم، فيعفو عن من يشاء فضلاً ويعذب من يشاء عدلاً، والله على كل شيء قدير.

(٢٨٥) دين الله يسر فلا يطلب ربنا من الأعمال ما لا نطيع، فمن كسب خيراً فله أجره لا ينقص من أجره، ومن كسب شراً فعليه جزاء ما اكتسب، ربنا لا تعاقبنا إن نسينا أو أخطأنا في فعل أو قول بلا قصد منا، ربنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة كما كلفته العصاة من قبلنا عقوبة لهم، ولا تحملنا ما يشق علينا ولا نطقه من الأوامر والنواهي، وتجاوز عن ذنوبنا، واغفر لنا وارحمنا بفضلك أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على القوم الكافرين.

(٢٨٤) الله وحده ملك السموات والأرض وما فيهما، وإن تظهروا ما في أنفسكم أو تخفوه يعلمه الله فيحاسبكم، فيعفو عن من يشاء فضلاً ويعذب من يشاء عدلاً، والله على كل شيء قدير.

(٢٨٥) دين الله يسر فلا يطلب ربنا من الأعمال ما لا نطيع، فمن كسب خيراً فله أجره لا ينقص من أجره، ومن كسب شراً فعليه جزاء ما اكتسب، ربنا لا تعاقبنا إن نسينا أو أخطأنا في فعل أو قول بلا قصد منا، ربنا ولا تكلفنا من الأعمال الشاقة كما كلفته العصاة من قبلنا عقوبة لهم، ولا تحملنا ما يشق علينا ولا نطقه من الأوامر والنواهي، وتجاوز عن ذنوبنا، واغفر لنا وارحمنا بفضلك أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على القوم الكافرين.

٢٨٢ شاء الله تعالى أن يكشف سر من أسرار هذا النص وهذا التشريع ففي مجلة التايم الأمريكية الصادرة ٣١ يوليو ١٩٩٥م نشرت صورة للدماغ ضمن بحث لمخ الرجل والمرأة، فوجدوا مركز الكلام والذاكرة عند الرجل يعملان كل على حدة فلا تتداخل المعلومات بينما مركز المرأة يحدث تداخل في المعلومات بين الكلام والذاكرة فتغطي بعض معلومات مركز الكلام معلومات مركز الذاكرة فشرط الشارع وجود امرأتين ثم علل بأن إحداهما تتكلم والأخرى تذكرها إن ضلت أي ضاع عليها بعض المعلومات بسبب اشتغال مركز الذاكرة بالكلام، يضاف إلى ذلك ما يعتلي المرأة من أحوال الحمل والولادة والرضاعة... كل ذلك ثبت تأثيره دقة مركز المعلومات.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿ ٢ ﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿ ٣ ﴾ مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿ ٤ ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿ ٥ ﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٦ ﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ ٧ ﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿ ٨ ﴾

- (١) الم تقدم الكلام عليه في أول سورة البقرة.
- (٢) الله هو المنفرد بالإلهية، الحي في نفسه كما يليق بجلاله الذي لا يموت، القيم لغيره فجميع المخلوقات مفتقرة (٧) إليه وهو غني عنها.
- (٣) نزل عليك - أيها الرسول - القرآن بالصدق في الأخبار والأحكام مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة.
- (٤) من قبل كالتوراة والإنجيل هذه الكتب الإلهية كلها هداية وإرشاد للناس إلى الإيمان وإلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأنزل الفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل، والذين كفروا بآيات الله التي أنزلها عليك لهم عذاب شديد، والله عزيز لا يغالب، ذو انتقام ممن كذب رسله وخالف أمره.
- (٥) حقا لا يخفى على الله شيء، بل علمه محيط بالأشياء كلها ظاهرها وباطنها.
- (٦) هو الذي يخلقكم في الأرحام كما يشاء من ذكر وأنثى
- وحسن وقبيح، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في خلقه وتدبيره وشرعه.
- هو الذي أنزل عليك - أيها الرسول - القرآن منه آيات واضحات الدلالة، هي أصل الكتاب وهي مرجع عند الاختلاف، ومنه آيات أخر مشتبهات، يلتبس معناها على عامة الناس، فأصحاب القلوب المريضة يتركون المحكم ويتبعون المتشابه يتبعون بذلك إثارة الشبهات وإضلال الناس، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله، والراسخون في العلم يقولون: أمنا بالقرآن كله، ويردون متشابهه إلى محكمه، وإنما يفهم ويتدبر المعاني على وجه الصحيح أصحاب القلوب السليمة.
- (٨) والراسخون في العلم يقولون: ربنا لا تمل قلوبنا عن الحق بعد أن هديتنا إليه، سلمنا مما أصاب المنحرفين عن الحق وهب لنا رحمة واسعة من عندك إنك أنت الوهاب كثير الفضل والعتاء.

٦ يهب الله الإنسان صورته الشخصية ويعدل مقاييس الوجه وذلك في مرحلة النشأة الأخرى، إذ أن لكل إنسان صورته الأدمية التي يتميز بها عند غيره، كما سيأتي معنا في سورة المؤمنون في الآية (١٤).

٧ ثبت مؤخرا دور القلب في إدراك الحق أو الزيغ عنه وليس كما كان يتوهمه الأطباء من أنه مجرد مضخة عضلية لضخ الدم فحسب.



﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّرُ الْمُهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمْ فِيهِ سَكِينًا لِّئَلَّا تُكَفِّرُوا كَافِرًا يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زِينٍ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَيْثُ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يؤيد بنصره من يشاء من عباده، إن في ذلك لعبرة وعظة لأصحاب البصائر الذين يهتدون إلى حكم الله.

(١٤) زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والأموال الكثيرة من الذهب والفضة والخيل والإبل والبقر والغنم وزراعة الأرض ذلك متاع الحياة الدنيا وزينتها الفانية، والله عنده حسن المرجع وهو الجنة.

(١٥) قل - أيها الرسول: أخبركم بخير مما زين للناس في الحياة الدنيا للذين يتقون الله جنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها لا يدرهم موت ولا فناء، ولهم أزواج مطهرات من كل سوء، ولهم أعظم من ذلك رضوان من الله، والله بصير بأحوال عباده وسيجازيهم على ذلك.

(١٦) الذين يقولون في دعائهم: إنا آمننا بك واتبعنا رسولك فاغفر لنا ما ارتكبنا من ذنوب، ونجنا من عذاب النار.

(١٧) هم الصابرون على الطاعات والصادقون في قولهم، وهم المطيعون لله تماما، وهم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، وهم المستغفرون آخر الليل.

(٩) وهم يقولون: إنك - ربنا - ستجمع بين خلقك يوم معادهم وهو يوم الحساب وإنك لا تخلف ما وعدت به عبادك.

(١٠) إن الذين كفروا بالله وبرسوله لن تمتع عنهم أموالهم وأولادهم عذاب الله شيئا وهؤلاء هم حطب جهنم يوم القيامة.

(١١) حال الكفار كحال آل فرعون والذين من قبلهم الذين أنكروا آيات الله، فعذبهم الله بسبب تكذيبهم وذنوبهم، والله شديد العقاب لمن كفر به وكذب آياته.

(١٢) قل - أيها الرسول - للذين كفروا من الأمم السابقة سيغلبكم المؤمنون وتموتون على الكفر، وتجمعون إلى نار جهنم وبئس الفراش لكم.

(١٣) قد كان لكم - أيها الكفار المعاندون - دلالة وعبرة في فرقتين تقابلتا في معركة بدر جماعة تقاتل من أجل دين الله وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى جماعة كافرة بالله تقاتل من أجل الباطل وهم كفار مكة، يراهم المؤمنون ضعفيهم حقيقة رأي عين، والله

١٠ ثبت علمياً أن العناصر التي يتكون منها جسم الإنسان بها وقود حراري ومنها ما يستخدم كوقود مثل الزيوت والشحوم والدهون والأكسجين والهيدروجين وغيرها...

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْلَمُوا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَبْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَمُحَرِّضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧) ﴿

يبتغون بها في الدنيا ولا في الآخرة وما لهم من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(٢٣) ألم تر أيها النبي مكر اليهود الذين آتاهم الله حظاً من العلم بالتوراة، فعلموا أنك رسول الله حقاً، لكن إذا دعوتهم إلى الرجوع إلى التوراة ليفصل بينهم فيما اختلفوا فيه فجماعة منهم يتولون معرضين.

(٢٤) ذلك الانصراف عن الحق والإعراض عنه بظنهم أن النار لن تمسهم في الآخرة إلا أياماً قليلة ثم يدخلون الجنة، واعتقادهم هذا افتراء على الله، بل هم مخلدون في النار.

(٢٥) فكيف حالهم يوم القيامة إذا جمعهم الله للحساب في يوم لا شك في وقوعه، وتوتى كل نفس جزاء ما اكتسبت، من غير أن تظلم شيئاً.

(٢٦) قل - أيها الرسول - متوجهاً إلى ربك ومعظماً له: اللهم أنت مالك الملك كله تؤتي الملك من تشاء من خلقك، وتسلب الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء منهم، وتجعل الذلة على من تشاء، كل ذلك بحكمتك وعدلك، بيدك الخير كله، وأنت على كل شيء قدير.

(٢٧) ومن مظاهر قدرتك أن تدخل الليل في النهار وتدخل النهار في الليل فيطول هذا ويقصر ذلك، وتخرج الحبة من الزرع، والزرع من الحبة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، وترزق من تشاء من خلقك بغير حساب.

(١٨) شهد الله أنه المتفرد بالإلهية دون سواه، وشهد على ذلك الملائكة وأهل العلم، فشهادتهم على أعظم مشهود، وهو توحيد الله تعالى وقيامه بالعدل، لا إله إلا هو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في أقواله وأفعاله.

(١٩) إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، وعليه أتباع خاتم الأنبياء محمد ﷺ فلا يقبل الآن إلا شريعته التي جاء بها من عند الله، وما اختلف أهل الكتاب إلا من بعد ما قامت عليهم الحجة بما جاءهم من العلم بغياً وحسداً وحرصاً على الدنيا، ومن يجحد آيات الله المنزلة على محمد ﷺ فإن الله سريع الحساب وسيجزئهم على أعمالهم.

(٢٠) فإن جادل - أيها الرسول - أهل الكتاب بعد أن أقمت الحجة عليهم فقل لهم: أسلمت أنا ومن اتبعني من المؤمنين لله تعالى، وقل لأهل الكتاب والمشركين إن أسلمتم لله تعالى مخلصين فأنتم على الحق وإن توليتم فحسابكم على الله وليس علي إلا البلاغ وقد أبلغتكم وأمركم إلى الله وهو بصير بالعباد سيجازي كل عامل بما عمل.

(٢١) إن الذين يكفرون بآيات الله الواضحة، ويقتلون أنبياءهم ظلماً بغير حق، ويقتلون الذين يأمرون بالعدل فبشر هؤلاء القتلة بعذاب أليم.

(٢٢) أولئك المتصفون بتلك الصفات قد بطلت أعمالهم فلا



﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨) قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ .

- (٢٨) نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين من دون المؤمنين، ومن يتولاهم فقد برئ من الله، والله بريء منه، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم فقد رخص الله لكم في مهادنتهم اتقاء لشرهم حتى تقوى شوكتهم، ويحذركم الله نفسه فخافوه، وإلى الله وحده رجوع العباد يوم الحساب فيجازى كل عامل بعمله.
- (٢٩) قل - أيها الرسول - للمؤمنين إن تخفوا ما في قلوبكم كموالاة الكفار أو تعلنوه فإنه يعلم السرائر والظواهر ولا يخفى عليه شيء، فإن علمه محيط بكل ما في السموات وما في الأرض، والله على كل شيء قدير.
- (٣٠) يوم القيامة يجد العبد جميع أعماله من خير أو شر أمامه، ومن يرى أعماله حسنة سره ذلك، ومن يرى أعماله قبيحة ساء ذلك، فتمنى لو أن بينه وبين هذا العمل زمنا بعيدا، ويخوفكم الله عقابه، والله رؤوف بالعباد ولهذا يخوفهم بيوم الحساب.
- (٣١) قل - أيها الرسول - إن كنتم حقا تحبون الله فاتبعوني ظاهرا وباطنا تنالوا محبة الله ويمح الله ذنوبكم، والله غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.
- (٣٢) قل - أيها الرسول - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول باتباع كتابه وأطيعوا الرسول باتباع سنته في حياته وبعد مماته، فإن أعرضوا عن ذلك فإن الله لا يحب الجاحدين لأمره وأمر رسوله.
- (٣٣) إن الله كرم آدم عليه السلام فخلقه بيده وأسجد له الملائكة، واختار نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض واختار آل إبراهيم فجعل النبوة باقية في ذريته واختار آل عمران والمراد به عيسى عليه السلام على أهل زمانهم.
- (٣٤) هؤلاء الأنبياء المذكورون سلسلة طهر متواصلة في توحيد الله وعمل الصالحات يتوارثون من بعضهم المكارم والفضائل، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، ولذا يختار من يشاء منهم ويفضل من يشاء.
- (٣٥) اذكر - أيها الرسول - حين قالت امرأة عمران أم مريم إني أوجبت على نفسي أن أجعل ما في بطني خالصا لك لخدمة بيت المقدس، فتقبل مني ما نذرت لك، إنك أنت السميع لدعائي، العليم بنيتي.
- (٣٦) فلما وضعت ما في بطنها قالت: يا رب إني ولدتها أنثى، والله أعلم بما ولدت، وليس الذكر الذي أرادته للخدمة كالأنثى ذلك أن الذكر أقوى على الخدمة، وإني سميتها مريم وإني أعيدتها بك وذريتها من الشيطان المطرود من رحمتك.

٢٧ لم يكن بمقدور الإنسان قبل امتلاك الوسائل العلمية الحديثة مشاهدة تداخل الليل والنهار على طول دائرة تحيط بالأرض وهي المنطقة التي يحدث في أحد وجهيها غروب الشمس وعلى الوجه الآخر يحدث شروق الشمس، لكن القرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة في هذه الآية، رغم أنه ساد في زمن كان الاعتقاد فيه بسكون الأرض وثباتها واستقرارها.

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَدَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَكُونُ لِي غَلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَى تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَآذُكُ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرِئُمُ أَفْتِنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞

- (٣٧) فاستجاب الله دعاءها، وتقبل نذرها بقبول حسن وأنشأها نشأة حسنة وجعل كفالتها إلى زكريا عليه السلام، وكان كلما دخل زكريا عليه السلام عليها وجد عندها رزقا حسنا، قال يا مريم من أين لك هذا الرزق؟ قالت: هذا الرزق من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.
- (٣٨) ولما رأى زكريا عليه السلام أن الله تعالى يرزق مريم عليها السلام فأكهة في غير موسمها دعا ربه فقال: رب هب لي من لدنك ولدا صالحا من فضلك إنك تسمع من دعاك.
- (٣٩) فدادته الملائكة وهو في حال قيامه للصلاة وهو في محل خلوته ومناجاته أن الله يبشرك بولد اسمه يحيى يكون مصدقا بعبسى بن مريم عليها السلام ويكون يحيى سييدا على قومه مانعا نفسه عن الشهوات الضارة، ويكون نبيا من الصالحين.
- (٤٠) ولما سمع زكريا بشارة بولد اسمه يحيى قال: يا رب كيف يكون لي غلام بعد أن صرت شيخا وامرأتي عاقرة لا تلد؟ قال: كذلك يفعل الله ما يشاء مما يخالف المألوف عادة لأنه على كل شيء قدير.
- (٤١) قال زكريا رب اجعل لي علامة أستدل بها على وجود ولد مني؟ قال الله علامتك التي طلبتها أن لا تستطيع كلام الناس ثلاثة أيام بلياليهن إلا بالإشارة مع أنك سوي صحيح، فأكثر من ذكر الله وتسيحه في آخر النهار وأوله.
- (٤٢) واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم عليها السلام: يا مريم إن الله اختارك واجتباك لطاعته، وطهرتك من النقائص، واختارك على نساء العالمين في زمانك.
- (٤٣) يا مريم أطيلي القيام في الصلاة، واسجدي واركعي لربك مع الراكعين من عباده الصالحين.

٣٦ أثبتت الدراسات أهمية اختلاف أداء مركزي التذكر والكلام (الشهادة) في دماغ الرجل عن دماغ المرأة. فالفروق بين الذكر والأنثى مثبتة في مراحل النمو وأجهزة الجسم الداخلية والخارجية بين الجنسين ويشمل التلقيح والنمو داخل الرحم وأثناء الطفولة والبلوغ وفي الحمل والرضاعة وفي الشيخوخة ومتوسط العمر، وهناك فروق في المخ والقلب والجهاز الدوري والريثة والجهاز المناعي والعضلات والشعور بالألم والدم والكبد والبول وغيرها.

٤٠ أثبت العلم أن موانع الإنجاب إما أن تكون ممكنة العلاج أو مستحيلته، ولذا نجد أن القرآن فرق بين الحالتين، فوصف الحالة الدائمة بالعقم وهو اسم على وزن فاعيل يدل على الاستمرار والثبات (ويجعل من يشاء عقيما)، وأما عاقر فهو اسم على وزن فاعل يدل على التحول وعدم الثبات ولذا وصف الحالة الممكنة العلاج بالعاقر (وامرأتي عاقر).



ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

- (٤٤) ذلك المذكور من قصة زكريا ومريم - عليهما السلام - من أخبار الغيب أوحى الله بها إليك - أيها الرسول - إذ لم تكن معهم حين اختصموا على كفالة مريم من أحق بها؟ حتى اقترحوا فألقوا أقلامهم ففاز زكريا عليه السلام فصارت كفالتها إليه.
- (٤٥) واذكر - أيها الرسول - حين قالت الملائكة لمريم: إن الله يبشرك بولد يكون خلقه بكلمة من الله، بأن يكون له كن فيكون، واسمه المسيح عيسى بن مريم، له مكانة عظيمة في الدارين ومن المقربين إلى الله.
- (٤٦) ويكلم الناس وهو طفل في المهدي قبل أوان الكلام، ويكلم الناس وهو كبير ويخاطب الناس بوحى من الله بما يحتاجونه في أمر دينهم، وهو من أهل الصلاح في الأقوال والأفعال.
- (٤٧) قالت مريم عليها السلام: كيف يكون لي ولد وأنا لست بذات زوج ولست بغيا؟ فأخبرها الملك عن الله عز وجل: كذلك الله يخلق ما يشاء، فإذا أراد إيجاد شيء قال له كن فيكون، فلا يعجزه شيء.
- (٤٨) ويعلمه الكتاب والإصابة في القول والعمل، ويعلمه التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام والإنجيل الذي أنزله الله عليه هو.
- (٤٩) وهو رسول أرسله إلى بني إسرائيل قال لهم: إنني قد جئت بمعجزة من ربكم تدل على صدق نبوتي، أني أصنع لكم شكل طير من الطين فأنفخ فيه فيكون طيرا يطير بإذن الله، وأشفي من ولد أعمى، ومن أصيب ببرص فيبرأ منه، وأحيي من كان ميتا بإذن الله، وأخبركم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، إن في هذه الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها البشر لآية لكم على صدق نبوتي إن كنتم تريدون الإيمان بالله وتصديق آياته.
- (٥٠) وكذلك جئتمكم مصدقا لما في التوراة، وجئتمكم لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم من قبل تخفيفا من الله ورحمة، وجئتمكم بحجة واضحة من ربكم على ما قلت لكم، فاتقوا الله ولا تخالفوا أوامره وأطيعوني فيما جئتمكم من ربي.
- (٥١) إن الله وحده هو ربي وربكم فاعبدوه، هذا هو الصراط المستقيم لا اعوجاج فيه.
- (٥٢) فلما علم عيسى عليه السلام منهم التصميم على الكفر قال مخاطبا بني إسرائيل: من يكون معي في نصرة دين الله، قال الأصفياء من أتباعه: نحن أنصار دين الله والداعون إليه آمنة بالله واتبعناك، واشهد يا نبي الله بأنا منقادون لله بالتوحيد والطاعة.

﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِبِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ كَرِّمِي وَرَافِعِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتَلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

السلام فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل وسلب الملك وفي الآخرة بعذاب النار، وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب.

(٥٧) وأما الذين آمنوا بك وبالحق الذي جئت به وعملوا الصالحات فيعطيهم الله ثواب أعمالهم، والله لا يحب الظالمين الذين أشركوا وقالوا إن عيسى ابن الله.

(٥٨) ذلك الذي نقصه عليك من خبر عيسى عليه السلام من الدلائل الواضحة على صحة ما أنزل إليك وهو محكم لا يأتيه الباطل.

(٥٩) إن مثل خلق عيسى عليه السلام من غير أب كمثل خلق آدم من تراب من غير أب وأم، إذ صوره من تراب فقال: كن بشرا فكان كما أراد تعالى، فدعوى إلهية عيسى لأنه خلق من غير أب دعوى باطلة فأدم خلق من غير أب وأم واتفق الجميع على أنه عبد من عباد الله.

(٦٠) الحق الذي لا ريب فيه في شأن عيسى عليه السلام هو الذي جاءك - أيها الرسول - من ربك، فلا تكن من الشاكين، بل عليك الثبات على ما أنت عليه من الحق.

(٥٣) قال الذين آمنوا بعيسى عليه السلام وهم الحواريون ربنا صدقنا بما أنزلت على رسولك عيسى عليه السلام وهو الإنجيل وصرنا من أتباعه وأعوانه على الحق فأثبت أسماءنا مع الذين شهدوا بالحق.

(٥٤) ومكر الكافرون من بني إسرائيل بأن وكلوا به من يقتله، ومن مكره تعالى بهم أن ألقى شبه عيسى عليه السلام على أحد منهم فقتلوه وصلبوه ظنا منهم أنه عيسى عليه السلام، والله خير الماكرين، وفي هذا إثبات صفة المكر لله تعالى على ما يليق بجلاله لأنه مكر بحق وفي مقابلة مكر الكافرين.

(٥٥) ومكر الله بهم حين قال لعيسى: إني قابضك إلي ببدنك وروحك ومنزهك من رجس الذين كفروا بك ومبعدك عنهم، وجاعل الذين اتبعوك على الحق وما جئت به عن الله من الدين والبشارة بمحمد ﷺ وآمنوا به بعد بعثته فوق الذين كفروا بنبوتك وهم اليهود إلى يوم القيامة، ثم إلي رجوعكم جميعا يوم القيامة فأحكم بينكم بالحق بما كنتم فيه تختلفون.

(٥٦) فأما الذين كفروا من بني إسرائيل بنبوة عيسى عليه

٥٩ ولما قصر العقل البشري عن كامل الإدراك تصور النصارى أنه لا يمكن أن يوجد مخلوق بدون أب إلا أن يكون إلهاً، جاء التنبيه القرآني بالتذكير بمخلوق بدون أب وأم وهو آدم عليه السلام، وقد كشف العلم أن نظائر ذلك من المخلوقات التي تخلق من دون أب كذكور النحل والذي ينتج من البيض غير المخصب وذلك على سبيل المثال.



﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصْلُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَّهَلُّوا أَلْفَاظًا مِنْ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَّهَلُّوا أَلْفَاظًا مِنْ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَذَاتَ طَافِيَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضِلُّوكُمْ وَمَا يَضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ يَتَّهَلُّوا أَلْفَاظًا مِنْ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٩﴾ هَاتِنْتُمْ هَتُولَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّهَلُّوا أَلْفَاظًا مِنْ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٧١﴾﴾

- (٦١) فمن جادلك - أيها الرسول - من النصراري في أمر عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم فقل لهم: تعالوا نناد للحضور أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نتجه إلى الله بالدعاء أن ينزل لعنته على الكاذبين في قولهم المصريين على عنادهم.
- (٦٢) إن هذا الذي ذكرنا لك - أيها الرسول - من شأن عيسى هو النبأ الحق لا ريب فيه، وما من إله يستحق العبادة إلا الله وحده، وإن الله لهو العزيز في ملكه الحكيم في تدبيره وأمره.
- (٦٣) فإن أعرضوا عن تصديقك واتباعك، فذلك من فسادهم، والله عليم بالمفسدين وسيحاسبهم على ذلك.
- (٦٤) قل - أيها الرسول - لأهل الكتاب: تعالوا نجتمع على كلمة عدل نستوي فيها جميعا وهي أن نخص الله وحده بالعبادة ولا نتخذ أي شريك معه، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا يعبدون ويطاعون من دون الله، فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الطيبة فقولوا لهم: اشهدوا بأننا مسلمون لله تعالى ومتقادون له.
- (٦٥) يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى كيف تجادلون في إبراهيم، فكل منكم يدعي أنه على ملته، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون بطلان قولكم وخطأ زعمكم؟.
- (٦٦) ها أنتم - يا أهل الكتاب - جادلتهم النبي فيما لكم به علم من أمر دينكم وما أنزل عليكم، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم من أمر إبراهيم ودينه مما ليس في كتبكم؟ والله يعلم الأمور على خفائها وأنتم لا تعلمون.
- (٦٧) ما كان إبراهيم على الملة اليهودية ولا على النصرانية، ولكن كان متبعا لأمر الله وطاعته وما كان من المشركين كما يزعم مشركو العرب أنه على ملتهم.
- (٦٨) إن أحق الناس بإبراهيم الذين آمنوا به واتبعوا ما جاء به في زمانه وأحق الناس به هذا النبي محمد والذين آمنوا به والله ولي المؤمنين وحافظهم.
- (٦٩) تمت جماعة من اليهود والنصارى لو يضلونكم - أيها المؤمنون - عن الحق الذي هداكم الله وما يضلون إلا أنفسهم وأتباعهم وما يعلمون عاقبة أفعالهم.
- (٧٠) يا أهل الكتاب لم تجحدون بآيات الله التي أنزلت عليكم وما فيها من أن محمدا هو الرسول المنتظر، وأنتم تشهدون أنه حق من عند ربكم دلت عليه كتبكم.
- (٧١) يا أهل الكتاب لم تخلصون الحق الذي جاء في كتبكم بالباطل، وتخفون ما فيه من الحق؟ كصفة محمد، وأنتم تعلمون الحق من الباطل.

﴿ وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) وَلَا تُوْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمُتِينَ سَكِينٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِيُشْرَىٰ اللَّهُ الْكُتُبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ .

حرج، لكن من أوفى بعهده من الأيمان مع الله ورسوله والتزم هديه وشرعه وأدى الأمانة، واتقى الله فإن الله يحب المتقين.

(٧٢) وقالت جماعة من علماء اليهود: آمنوا بظاهر ما أنزل على المؤمنين أول النهار واکفروا به آخره، لعلهم يشكون في دينهم ويرجعون عنه.

(٧٧) إن الذين يستبدلون ثمنًا قليلاً بوصية الله إليهم باتباع ما أنزله الله في كتابه، أولئك لا نصيب لهم من ثواب الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم، ولا ينظر إليهم نظر رحمة يوم القيامة ولهم عذاب موجه.

(٧٣) ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً إلا من تبع دينكم وكان يهودياً، قل لهم - أيها الرسول: إن الهدى إلى الحق هو هدى الله تعالى لا ما أنتم عليه، وقالوا: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين فيتعلمون منكم ويساؤونكم فيه ويمتازون به عليكم لشدة الإيمان به، ويتخذون إيمانكم حجة عند ربكم إن أقررتم بما أنزل عليهم قل لهم: إن الفضل بيد الله وتحت تصرفه يؤتیه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحقه.

(٧٨) إن من اليهود جماعة يحرفون ألسنتهم عند القراءة ليوهموا غيرهم أن هذا من كلام الله من التوراة، وما هو من كلام الله بل هو من كذبهم يكذبون على الله، وهم يعلمون أنهم افتروا على الله، وهذا كله لأجل عوض حقير من الدنيا.

(٧٤) إن الله يختص برحمته من يشاء من خلقه فيفضل بالهداية والنبوة، والله ذو الفضل العظيم الذي لا حد له.

(٧٩) ما ينبغي لأحد من البشر إذا آتاه الله النبوة وأنزل عليه الكتاب أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله، بل يقول للناس: كونوا علماء عاملين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسونه حفظاً وفقهاً.

(٧٥) ومن أهل الكتاب من إذا استأمنته على كثير من الأموال يؤديه إليك من غير خيانة، ومنهم من إذا استأمنته على قليل لا يؤديه إليك إلا ظلت تلح عليه بالمطالبة وذلك من أجل ظنهم الفاسد أن ليس عليهم في العرب وأكل أموالهم إثم، لأن الله أحلها لهم، وهذا كذب على الله وهم يعلمون أنهم كاذبون.

(٨٠) ولا ينبغي له أن يأمرهم باتخاذ الملائكة والأنبياء أرباباً يعبدونهم من دون الله، لا يعقل ذلك لأن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر وهذا لا ينبغي لأحد من الرسل.

(٧٦) ليس الأمر كما زعم هؤلاء المفترون على الله، بل عليهم



﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلسِفُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ عِوَابَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلٰئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ .

نفرق بين أحد منهم ونحن لله وحده متقادون بالطاعة.

(٨٥) ومن يطلب دينا غير الإسلام وهو الذي جاء به محمد فلن يقبل ذلك منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

(٨٦) كيف يوفق الله للإيمان به وبرسوله قوما جحدوا رسالة محمد ﷺ بعد إيمانهم به وشهادتهم أن ما جاء به حق، وجاء بالدلائل الواضحة بصحة ذلك، والله لا يوفق للحق والصواب القوم الظالمين الذين عدلوا عن الحق إلى الباطل.

(٨٧) إن جزاء أولئك الظالمين أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وهم بعيدون عن رحمة الله.

(٨٨) ماكين في النار لا يخرجون منها ولا يرفع عنهم العذاب، ولا هم يؤخرون ليتوبوا ويعتذروا.

(٨٩) إلا الذين رجعوا وتابوا إلى الله بعد كفرهم وظلمهم وأصلحوا ما أفسدوه بتوبتهم، فإن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم به.

(٩٠) إن الذين جحدوا بعد إيمانهم واستمروا على جحودهم حتى ماتوا لن تقبل منهم التوبة عند حضور الموت لفوات وقتها أولئك هم الذين ضلوا الصراط المستقيم الموصل إلى رضوان الله تعالى.

(٨١) واذكر - أيها الرسول - حين أخذ الله الميثاق من جميع الأنبياء: لئن أعطيتكم من كتاب وحكمة وبلغ أحدكم ما بلغ من المكانة والمنزلة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، فهل أقررتم - أيها الأنبياء - واعترفتم وأخذتم على ذلك عهدي قالوا: أقررنا به، وهذا الإقرار والعهد كان من جميع الأنبياء من بعد آدم إلى عيسى، فكان واجبا على اتباع موسى وعيسى الائتمام بنبينا ﷺ قال الله: اشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم.

(٨٢) فمن أعرض عن هذا العهد والميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه، فأولئك هم الخارجون عن دين الله وعهده.

(٨٣) هؤلاء الخارجون عن دين الله يطلبون غير دين الإسلام الذي جاء به محمد مع أن جميع الخلائق في الأرض وفي السماوات استسلموا وانقادوا له طوعا وكرها، ثم إليه تعالى يرجع الجميع بلا ريب.

(٨٤) قل - أيها الرسول - لبني إسرائيل: آمنا بالله، وآمنا بالوحي الذي أنزل الله علينا وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب وبما أنزله على الأسباط من ذرية يعقوب، وبما أوتي موسى وعيسى والنبيون من الكتب والمعجزات لا

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا ۚ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ۚ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَّهَلُّوا الْكُتُبَ لِمَ تَكْفُرُونَ ۖ بَيَّانَتِ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَتَّهَلُّوا الْكُتُبَ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوَاجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَتَّهَلُّوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتُبَ يَرُدُّوكُمْ بِعَدَائِبِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ۝

(٩١) إن الذين جحدوا نبوة محمد وماتوا على جحودهم، فلن يقبل من أحدهم يوم القيامة فدية يفدي بها نفسه من عذاب الله ولو جاء بمثل وزن الأرض ذهباً أو لثك لهم عذاب موجه وما لهم من أحد يوم القيامة ينقذهم من عذاب الله.

(٩٢) لن تدرکوا - أيها المؤمنون - البر حتى تتصدقوا بما تحبون من المال، وما تنفقوا من شيء قليلاً كان أو كثيراً، فإن الله به عليم، وسيجازي كلا بعمله.

(٩٣) جميع الأطعمة الطيبة كانت حلالاً لبني إسرائيل وهو أبناء يعقوب إلا ما حرمه يعقوب على نفسه لمرض نزل به وذلك قبل نزول التوراة لأن التوراة نزلت على موسى وهو من أحفاده، قل لهم - أيها الرسول - فأتوا بالتوراة واقرأوها إن كنتم صادقين في دعواكم، فعجزوا فثبت أنهم يفترون على التوراة.

(٩٤) فمن افتري على الله من بعد قراءة التوراة، وظهور الحجة فأولئك هم الظالمون القائلون على الله بالباطل.

(٩٥) قل لهم - أيها الرسول: صدق الله فيما أخبر به، وفيما شرعه في القرآن، فاتبعوا ملة إبراهيم عليه السلام إن كنتم صادقين أنكم على ملته، فإن القرآن المنزل على محمد أثبت أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً ما كان يشرك بالله في توحيده وعبادته وحكمه.

(٩٦) إن أول بيت وضع للناس لبعابدهم هو الكعبة المشرفة



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمْ أَدْبَارًا ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

ذلك اليوم العظيم فيقال لهم توبيحًا: أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

(١٠٧) وأما الذين ابيضت وجوههم فمقامهم في جنات النعيم باقون فيها أبدا لا يخرجون منها.

(١٠٨) تلك الآيات المتضمنة وعد الله ووعدته نقرأها عليك - أيها الرسول - بالصدق واليقين وما الله يريد ظلما لأحد من خلقه بل لا يعذب أحدا إلا بما كسبت يده.

(١٠٩) ولله وحده ما في السماوات وما في الأرض خلقًا وتديبًا، وإليه مصير جميع الخلائق يوم القيامة، فيجازي كلا على أعماله.

(١١٠) كنتم - يا أمة محمد ﷺ - خير الأمم التي أخرجها الله للناس تأمرون بما عرف حسنه شرعًا وعقلًا، وتنهون عن المنكر الذي نهى عنه الشرع وقبحه العقل، وتصدقون بالله إيمانًا جازما يصدق العمل، ولو آمن أهل الكتاب بمحمد ﷺ - كما أمتم - لكان ذلك خيرا لهم في الدارين، وقليل منهم يصدقون بما جاء به، وأكثرهم الخارجون عن دين الله وشريعته.

(١١١) لن يضرركم - أيها المؤمنون - هؤلاء الفسقة من أهل الكتاب إلا ما يؤذي أسمعكم من الطعن والاستهزاء ونحو ذلك، وإن يقاتلوكم يهزموا ويهربوا مولين أدبارهم، ولا ينصرون عليكم أبدا.

(١٠٢) يا أيها الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله خافوا الله حق خوفه، وذلك باتباع أوامره واجتناب نواهيه، واستمسكوا بدينكم حتى يأتيكم الموت وأنتم عليه.

(١٠٣) وتمسكوا جميعًا بكتاب الله وهدى نبيكم ولا تتركبوا ما يوقعكم في التفرق، واذكروا نعم الله عليكم حين كنتم أعداء قبل الإسلام فجمع الله قلوبكم فصرتم بفضلته إخوانا متحابين، وكنتم على حافة نار جهنم، فألجأكم الله منها بالإسلام وهداكم للإيمان، كذلك يبين الله ما يصلح أحوالكم لتتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلخوا سبيل الاستقامة فلا تضلوا عنها.

(١٠٤) ولتكن منكم - أيها المؤمنون - جماعة يدعون إلى كل خير يحبه الله، ويأمرون بما عرف حسنه شرعا وعقلا، وينهون عما نهى عنه الشرع وقبحه العقل، أولئك هم أهل الفلاح والفوز في الدارين.

(١٠٥) ولا تكونوا مثل بني إسرائيل تفرقوا فصاروا أحزابًا وشيعًا، واختلفوا في دينهم من بعد ما جاءتهم الدلائل الواضحات من الله، أولئك مستحقون لعذاب عظيم من الله.

(١٠٦) يوم القيامة تبيض وجوه أهل السعادة من الفرح لأنهم آمنوا بالله ورسوله، وتسود وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله وعصوا أمره، فأما الذين اسودت وجوههم في

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضِبِ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ مُجْبُوهُمْ وَلَا يُجِبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ إِلَّا نَمْلًا مِّنَ الْغَيْظِ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾

(١١٢) جعل الهوان والذل أمرا لازما لا يفارقهم، أينما وجدوا فلا يؤمنوا إلا بعهد من الله أو عهد من الناس، ورجعوا بغضب من الله مستحقين له وجعلت عليهم الحاجة والفاقة، ذلك الذي جعل عليهم بسبب كفرهم آيات الله، وقتلهم الأنبياء ظلما واعتداءً وبسبب عصيانهم وتجاوزهم لحدود الله.

(١١٣) ليس أهل الكتاب كلهم متساوين، بل منهم طائفة مستقيمة على أمر الله يقومون لله يقرؤون آيات الله في ساعات الليل، وكانت هذه الطائفة قبل بعثة محمد، وبعضهم أدرك بعثته فأمن به.

(١١٤) وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويأمرون بالمعروف والخير وينهون عن الشر، ويبادرون إلى أفعال الخيرات وأولئك هم من عباد الله الصالحين.

(١١٥) وما يفعل هؤلاء من خير قليلاً أو كثيراً، فلن يضيع عند الله، ولن ينقص أجرهم بل يشكر لهم ويجازون عليه، والله عليم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

(١١٦) إن الذين جحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا به لن تدفع عنهم أموالهم وأولادهم شيئاً من عذاب الله يوم القيامة، أولئك هم أصحاب النار الملازمين لها لا يخرجون منها.



﴿ إِنَّمَسَّكُمْ حَسَنَةُ سُوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ بُيُوتُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْلَعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

القتال واتيقتيم، وجاء كفار مكة على الفور مسرعين لقتالكم، فإن ربكم سيعينكم بخمسة آلاف من الملائكة معلمين بعلمة ظاهرة عليهم وعلى خيولهم.

(١٢٦) وما جعل الله هذا العون بالملائكة إلا خبرًا سارًا لكم ولتطمئن قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في تدبيره وفعله.

(١٢٧) أراد الله بنصره لكم أن يهلك فريقًا من الكفار بالقتل، ومن نجا منهم رجع حزينا، يظهر عليه الحزي والعار.

(١٢٨) لما دعا الرسول على رؤساء قريش بعد ما وقع منهم يوم أحد، قال الله ليس لك من أمرهم شيء، بل الأمر كله لله فاصبر لعل بعض هؤلاء الذين قاتلوك تنشرح صدورهم للإسلام فيتوبوا فيسلموا ومن استمروا على كفرهم يعذبهم الله في الدارين فإنهم ظالمون.

(١٢٩) لله وحده ملك السموات والأرض يغفر الذنوب لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

(١٣٠) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، تجنبوا أن تأخذوا الربا زيادة مضاعفة كما كنتم تأخذونه في الجاهلية، واتقوا الله بالتزام شرعه لتفوزوا في الدنيا والآخرة.

(١٣١) واجعلوا بينكم وبين النار التي أعدها الله لمن خالف أمره وقاية وذلك باتباع أوامره تعالى في ترك الربا.

(١٢٠) ومن عداوة هؤلاء المنافقين أنه إن نزل بكم أمر حسن بنصر وغنيمة، ظهرت عليهم الكآبة والحزن، وإن تصبكم مصيبة من نصر عدو أو نقص في مال ونفس يفرحوا بذلك، وإن تصبروا على أوامر الله وأقداره وتتقوا غضبه عليكم لا يضركم أذى مكرهم والله محيط بجميع ما يعمل هؤلاء من الشر، وسيردهم خائبين.

(١٢١) واذكر - أيها الرسول - حين خرجت من المدينة لقتال المشركين في غزوة أحد وحيث خالف بعض المؤمنين أمر الله ورسوله فنزل بكم سوء، والله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

(١٢٢) واذكر - أيها الرسول - حين قصدت طائفتان - وهما بنو سلمة وبنو حارثة - الرجوع من ميدان أحد، خوفاً من لقاء العدو، ولكن الله نصرهما وثبتهما على القتال، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون.

(١٢٣) لقد نصركم الله - أيها المؤمنون - في معركة بدر على المشركين مع قلة عددكم وعتادكم فخافوا الله لعلكم تشكرون نعمه عليكم.

(١٢٤) واذكر - أيها الرسول - حين قلت لأصحابك يوم بدر مثبتاً لهم حين شق عليهم أن يأتي مدد للمشركين: أن تكفيكم معونة ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء في هذه المعركة لتقويتكم في قتالكم.

(١٢٥) إن ذلك يكفيكم، وبشارة أخرى لكم، إن صبرتم على

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٣٢) ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣٤) ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ اللَّهُ لَن يَكُنِ اللَّهُ إِلَهًا سِوَاهُ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٥) ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (١٣٦) ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (١٣٧) ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٨) ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١٣٩) ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١٤٠) ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ﴾ (١٤١)

معزياً لهم. قد مضت من قبلكم أمم ابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين فكانت العاقبة لهم بعد ابتلائهم، فسيروا في الأرض فانظروا معتبرين بما آل إليه أمر أولئك المكذبين الذين كذبوا الله ورسوله.

(١٣٨) في هذا القرآن ذكر عاقبة المكذبين من الأمم السابقة فيها عظة للذين يخافون عاقبتهم يوم الحساب.

(١٣٩) ولا تضعفوا ولا تحزنوا بالذي نالكم من عدوكم يوم أحد، والعاقبة لكم إن كنتم مصدقين بالله ورسوله حقاً.

(١٤٠) إن أصابكم جرح وقتل يوم أحد، فقد أصاب المشركين جرح وقتل يوم بدر مثل ما أصابكم، وتلك الأيام يصرفها الله بين الناس مؤمنهم وكافرهم بما يشاء من نصر وهزيمة لحكمة بالغة ليظهر المؤمنون والمنافقون وليكرم من يشاء بالشهادة في سبيله، والله لا يحب الذين ظلموا أنفسهم.

(١٤١) وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله يوم أحد فيبتليهم بإزالة المشركين حتى يتبين المؤمن المخلص من المنافق، وليهلك الكافرين.

(١٣٢) وأطيعوا الله ورسوله بامثال الأوامر واجتنب النواهي لعل الله يرحمكم ولا يعذبكم.

(١٣٣) وسابقوا إلى أعمال الخير كي تنالوا مغفرة ربكم وتدخلوا جنة واسعة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدها الله لمن يخافه من عباده.

(١٣٤) وهم الذين ينفقون أموالهم في الشدة والرخاء، وإذا ثار بهم الغيظ كتموه، وعفوا عن أساء إليهم، وهؤلاء هم المحسنون الذين يحبهم الله.

(١٣٥) وهم الذين إذا ارتكبوا ذنباً كبيراً أو نقصوا حظ أنفسهم بارتكاب ما دونه ذكروا الله وخافوه وطلبوا المغفرة لذنوبهم موقنين أنه هو من يغفر ذنوب عباده ولم يصروا على ذنوبهم وهم يعلمون أن الله يتوب عليهم.

(١٣٦) الموصوفون بتلك الصفات الحميدة جزاؤهم من ربهم أن يحو ذنوبهم، ويدخلهم في جنات تجري من تحتها الأنهار، وهم ماكتون فيها أبداً، ونعم أجر العاملين المغفرة والجنة.

(١٣٧) يخاطب الله المؤمنين الذين أصابهم ما أصابهم يوم أحد

١٣٤ أكد الأطباء أن الغضب الزائد المتكرر يؤدي إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة وخلل في جهاز المناعة. وأن الضغوط النفسية تسهم في أمراض كالسكر والسرطان وأمراض القلب والجلطات وغيرها من أمراض الغدد الصماء والاضطرابات الهرمونية والشيخوخة.



﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذَلُوا وَإِنْ يَنْصَرُوا يَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا إِذْ أَخَذْتُمْ مِنْهُمْ الْيَمِينَاتِ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَيَسَسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

ولا عجزوا ولا خضعوا لعدوهم، بل صبروا على ما أصابهم، والله يحب الصابرين على الشدائد في سبيله.

(١٤٧) وما كان قول هؤلاء الصابرين لما نزل بهم البلاء إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وتجاوزنا الحدود من أمرنا، وثبتت أقدامنا عند لقاء العدو، حتى لا نفر عن قتاله، وانصرنا على القوم الكافرين بك.

(١٤٨) فأعطى الله أولئك الصابرين ثواب الدنيا بنصرهم والتمكين لهم، وأعطاهم الثواب الحسن في الآخرة بالرضا عنهم، ودخول جنات النعيم، والله يحب المحسنين في عبادتهم ومعاملتهم.

(١٤٩) إن تطيعوا - أيها المؤمنون - الذين كفروا من بني إسرائيل والمشركين وغيرهم وتتركوا طاعة نبيكم ضللتهم عن طريق الحق وارتددتم عن دينكم، ورجعتم خاسرين في الدنيا والآخرة.

(١٥٠) هؤلاء الكفرة كلهم عدو لكم، لن ينصروكم إن أطعتموهم بل الله هو ناصرهم وهو خير الناصرين فلا تحتاجون إلى نصره أحد غيره.

(١٥١) سنقذف في قلوب الذين كفروا بنبوته محمد أشد الخوف بسبب إشراكهم مع الله آلهة عبدها بدون دليل وبرهان من عند الله، فمستقرهم الذي يرجعون إليه في الآخرة هو النار وبئس مستقر الظالمين.

(١٤٢) أظننتم أن تدخلوا الجنة بدون اختبار وابتلاء، يظهر به المجاهدون في سبيل الله حقيقة، والصابرون على مقاومة الأعداء.

(١٤٣) ولقد كنتم - يا معشر أصحاب محمد - قبل غزوة أحد تتمنون لقاء العدو لتنالوا الشهادة في سبيل الله كما حظي بها إخوانكم في غزوة بدر قبل أن تلقوه، وقد حصل لكم الآن الذي طلبتموه وأنتم تنظرون عيانا.

(١٤٤) ولما حدث للمسلمين يوم أحد ما حدث وشاع في الناس أن النبي ﷺ قتل فتأخر بعضهم عن القتال نزل وما محمد إلا من جنس الرسل قبله، منهم من مات، ومنهم من قتل أفان مات هو أو قتل ارتددتم عن دينكم وتركتهم الجهاد؟ ومن يرتد منكم عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه في الدنيا والآخرة، ومن ثبت على دينه فإن الله يجزيه أحسن الجزاء.

(١٤٥) لن يموت أحد إلا بقضاء الله وحتى يستوفى المدة التي قدرها الله له، ومن يرد ثواب الدنيا بعمله يعطه بقدر ما قدر له منها، ولا حظ له في الآخرة، ومن يطلب بعمله ثواب الآخرة يعطه ثواب الآخرة، وسيجزي الله الشاكرين خيرا.

(١٤٦) كم من الأنبياء السابقين قاتل معه جماعات من أتباعه، فما ضعفوا لما نزل بهم من قتل وجراح في سبيل الله،

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْبْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفْنَا عَنْهُمْ غَيْبَتَهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ إِذْ نَصَّحْدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾

(١٥٢) لقد أنجزكم الله ما وعدكم به من نصر يوم أحد حين تقتلون أعداءكم الكفار بإذنه تعالى حتى إذا تركتم الثبات على أمر رسولكم، واختلقتكم في البقاء على المقام الذي كنتم فيه بأمر رسولكم فعصيتهم وخرجتم لجمع الغنائم مع من يجمعها، منكم من يريد غنائم الدنيا وهم الذين تركوا مواقعهم، ومنكم من يريد ثواب الآخرة وهم الذين بقوا في مواقعهم مطيعين أمر الرسول، ثم صرف الله وجوهكم عن عدوكم وسلطهم عليكم ليختبركم وقد علم الله ندمكم وتوبتكم فعفا عنكم ما ارتكبتموه من المخالفة لأمر رسولكم، والله ذو فضل عظيم على المؤمنين.

(١٥٤) ثم أنزل الله عليكم من بعد الغم طمأنينة وثقة في وعد الله حيث غطى النعاس طائفة منكم أمانة من الله، وطائفة أخرى هم المنافقون لم ينلهم أمن ولا نعاس، ولا هم لهم إلا سلامة أنفسهم، وأساءوا الظن بربهم، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله ولا يؤيد عباده كظن أهل الجاهلية لذلك تراهم نادمين على خروجهم، يقول بعضهم لبعض: ليس لنا من رأى في أمر الخروج إلى القتال، قل لهم - أيها الرسول - إن الأمر كله لله، يقدر ما يشاء ويحكم ما يشاء، وهو الذي قدر خروجكم إلى القتال وما حدث بكم، يخفون في أنفسهم ما لا يظهرون لك، يقولون: لو كان لنا في الخروج رأي واختيار ما خرجنا وما قتلنا في هذا المكان، قل لهم - أيها الرسول - إن الأجل بيد الله، لو كنتم في بيوتكم وقدر الله أنكم تقتلون، لخرجتم إلى المكان الذي قدر لكم أن تقتلوا فيه، وما جعل الله ذلك إلا ليختبر ما في صدوركم من الشك والنفاق، ويميز ما في صدوركم من إيمان ونفاق، والله عليم بما في صدور خلقه، لا يخفى عليه شيء من أمورهم.

(١٥٣) اذكروا - أيها المؤمنون - حين كنتم تبعدون في الأرض هاربين من أعدائكم يوم أحد ولا ينظر أحد منكم إلى أحد، والرسول ثابت في الميدان يناديكم من خلفكم: إلي عباد الله وأنتم لا تسمعون، فكان جزاؤكم أن أنزل الله بكم ألماً وغماً وضيقاً؛ لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا ما حل بكم من خوف وهزيمة، والله خبير بما تعملون لا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأعمالكم.

١٥٣ تخفيف المصيبة وتقدير أسوأ الاحتمالات:

من الأشياء التي تعالج الحزن تقدير استحضار أسوأ الاحتمالات التي كان يمكن أن تصيبه، وأن ينظر الإنسان إلى من هو أسوأ حالاً منه، وأن يتذكر الأسباب الكسبية من نفسه، فمن الأخطاء في التفكير التي تثير الاضطرابات النفسية والوجدانية التي نلاحظها في حالات الاكتئاب المبالغة والتهويل في إدراك الأشياء، وإخفاء دلالات مبالغ فيها كتصور الخطر والدمار فيها، وعدم تذكر الأشياء التي ذكرت من استحضار أسباب الابتلاء الكسبية وعدم النظر إلى من ابتلي بأكثر مما ابتلي به، وغير ذلك، ثم يضاف إلى ذلك كله الغفلة عن الله وأنه هو المقدر للأشياء وأن له في قضائه حكماً، فكل ذلك يهون على النفس الإنسانية ويخفف من وقع الابتلاء ويعيد الإنسان إلى حالة الهدوء النفسي والتوازن بعد الاضطراب الباعث على اليأس وغير ذلك..



﴿ إِن الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا
 مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن
 لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
 عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ
 وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ
 مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾
 هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِبَصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا
 عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾

واسأل الله أن يغفر لهم وشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشورة، فإذا عزم على أمر بعد المشورة فامض عليه وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين عليه.

(١٦٠) يا أيها المؤمنون إن يؤيدكم الله بنصره ومعونته فلا أحد يغلبكم، وإن يخذلكم فلا أحد يستطيع أن ينصركم من بعده، وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون.

(١٦١) ما يليق بنبي أن يخون بأخذ شيء من الغنيمة، ومن يفعل ذلك منكم يأت يوم القيامة حاملاً ما أخذ غلواً أمام الخلق ليفتضح به، ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت غير منقوص وهم لا يظلمون بزيادة سيئة ولا نقص حسنة.

(١٦٢) لا يستوي من كان قصده رضوان الله بترك الحيانة ومن كفر بالله وهو مكب على المعاصي، فمستقره جهنم وبئس المصير.

(١٦٣) من عمل صالحاً فله الجنة بحسب درجاتهم فيها، ومن عمل سيئاً فله جهنم بحسب سيئاته، والله بصير بأعمالهم لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

(١٦٤) لقد أنعم الله على الذين آمنوا بمحمد حين بعث فيهم رسولا، وهو من جنسهم يعلمهم القرآن والسنة بلغتهم ويظهرهم من الشرك والأخلاق الرذيلة، وقد كانوا قبل بعثة هذا الرسول في ضلال مبين.

(١٥٥) إن الذين فروا منهزمين منكم يوم أحد يوم التقى جمع المشركين بجمع المسلمين، إنما أوقعهم الشيطان في الزلل بسبب ما اكتسبوه من المعاصي، ولقد تجاوز الله عنهم فلم يعاقبهم، والله غفور لمن تاب، حلیم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه.

(١٥٦) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تكونوا كمن جحد بالله ورسوله، يقولون لأقاربهم إذا سافروا يطلبون الرزق، أو كانوا مع الغزاة المقاتلين فماتوا أو قتلوا، لو كانوا عندنا ولم يخرجوا ولم يغزوا، لم يموتوا ولم يقتلوا، وهذا القول يزيدهم ألماً وحزناً وحسرة في قلوبهم، والله يحيي من قدر الله له الحياة، ويميت من يشاء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء وسيجازيكم بما تعملون.

(١٥٧) ولئن قتلتكم - أيها المؤمنون - وأنتم تجاهدون في سبيل الله، أو متم أثناء الخروج أو القتال، ليغفرن الله لكم مغفرة عظيمة، وليرحمنكم رحمة من عنده، وذلك خير من الدنيا وما فيها من نعيم.

(١٥٨) على أي حال كان موتكم سواء متم على فرسكم أو قتلتكم في سبيل الله فالإلى الله وحده ترجعون فيجازيكم بأعمالكم.

(١٥٩) فبرحمة من الله لنت - أيها الرسول - لأصحابك فهم مجتمعون حولك، ولو كنت قاسي القلب لتفرقوا عنك، فلا تؤاخذهم بتقصيرهم في حقك يوم أحد،

﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيئَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

أموات، بل هم أحياء حياة برزخية عند ربهم في دار كرامة يرزقون النعيم الذي لا يعلمه إلا الله.

(١٧٠) مسرورين بما آتاهم الله من نعمة في الجنة، وهم يفرحون بإخوانهم المجاهدين فاروقهم وهم أحياء ليفوزوا كما فازوا فيستشهدوا في سبيل الله، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(١٧١) وإنهم في فرحة غامرة بما أعطوا من نعم الله وجزيل عطائه وأنه تعالى لا يبطل أجر المؤمنين بل يوفيهم أجورهم كاملة مع زيادة عليها.

(١٧٢) الذين استجابوا لأمر الله ورسوله، وخرجوا يتعقبون المشركين إلى حمراء الأسد بعدما حدث لهم في غزوة أحد، بعد ما أصابتهم الجروح وبذلوا غاية جهدهم، للذين أحسنوا منهم في أعمالهم واتقوا الله لهم أجر عظيم.

(١٧٣) وهم الذين قال لهم بعض المشركين إن قريشا بقيادة أبي سفيان قد جمعوا لكم جموعا كثيرة لاستئصالكم فاحذروهم، فزادهم ذلك التخويف يقينا وتصديقا بالله بوعدده فخرجوا إلى لقاءهم، وهم يقولون: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(١٦٥) أو لما أصابتكم - أيها المؤمنون - مصيبة يوم أحد، وقتل منكم من قتل - وقد أصبتم من المشركين ضعفيها يوم بدر - قتلتم من أين أصابنا هذا ونحن مؤمنون ونبي الله فينا؟ قل لهم - أيها الرسول: هذا الذي أصابكم هو من عند أنفسكم حين تنازعتهم وعصيتهم الرسول، إن الله على كل شيء قدير، فينصر من يشاء من عباده المطيعين ويخذل من يشاء من عباده المسيئين.

(١٦٦) وما حدث لكم من الفشل يوم أحد حين التقى جمع المؤمنين وجمع المشركين، فذلك كله بقضاء الله وقدره لحكمة بالغة ليميز المؤمنين الصادقين.

(١٦٧) وليظهر المنافقون ما في قلوبهم، لما قيل لهم: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو كونوا عوننا لنا بتكثيركم جماعتنا، قالوا لو نعلم أنكم تقتاتلون في سبيل الله لكنا معكم، وهم وقتئذ أقرب إلى الكفر، لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يخفون في صدورهم.

(١٦٨) هؤلاء المنافقون هم الذين تخلفوا عن القتال وقالوا لإخوانهم الذين أصيبوا يوم أحد: لو أطاعنا هؤلاء ولم يخرجوا ما قتلوا، قل لهم - أيها الرسول - فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين في قولكم.

(١٦٩) ولا تظنن - أيها الرسول - أن الذين قتلوا في الجهاد



﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ لِيُرَ بَعْثُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ۚ وَلَيَحْزَنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ﴾
 ﴿١٧٤﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ لِيُرَ بَعْثُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ ۚ وَلَيَحْزَنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ
 ﴿١٧٥﴾ فَلَا تَخَافُوهُمْ خَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ وَلَا يَحْزَنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ
 ﴿١٧٦﴾ إِن الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۗ
 ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۗ
 ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۗ
 ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَآءِ اتِّهَمُوا أَنَّ اللَّهَ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الثَّغِيرِ ۗ
 ﴿١٨٠﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۗ
 ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ ۗ
 ﴿١٨٢﴾

الصادق، وما كان من حكمة الله أن يطلعكم - أيها المؤمنون - على الغيب فتميزوا بين المؤمن والكافر بل يميزهم الله بالمحن والابتلاء، ولكن الله يختار من رسله من يشاء فيطلع به بوحى منه على بعض الغيب لحكمة أرادها الله كما أطلع الله نبيه على حال المنافقين، وإن تؤمنوا بالله إيماناً حقاً وتتقوا ربكم بامتنان وأوامره واجتنب نواهيها فلكم أجر عظيم في الآخرة والفلاح في الدنيا.

(١٨٠) ولا يظن الذين يبخلون بما آتاهم الله من النعم من فضله أن ذلك خير لهم بل هو شر لهم في الدنيا والآخرة ففي الدنيا يقال لأحدهم: بخيل، وفي الآخرة يطوق أمواله في عنقه يعذب بها، والله وحده ملك السموات والأرض وهو الباقي بعد فناء الدنيا والله خير بما تعملون وسيجازيكم عليه.

(١٨١) لقد سمع الله قول بعض اليهود الذين كفروا حين قالوا: إن الله فقير يطلب منا أن نقرضه كما زعم محمد صاحبكم، ونحن أغنياء، سنكتب قولهم هذا في صحائف أعمالهم، ونكتب عليهم رضاهم بقتل أسلافهم لأنبياء الله ظلما وعدوانا، ونقول لهم وهم في النار: ذوقوا عذاب النار المحرقة.

(١٨٢) ذلك العذاب بسبب ما قدمت أيديكم - أيها اليهود - في الحياة الدنيا من المعاصي القولية والفعلية والاعتقادية، وأن الله لا يظلم أحدا من عباده.

(١٧٤) فانصرفوا من حمراء الأسد إلى المدينة بأجر عظيم من عند الله ولم يلقوا بها عدوا ولم ينلهم بها مكروه من عدوهم، واتبعوا ما يرضى الله عنهم، والله ذو إحسان عظيم على عباده المؤمنين.

(١٧٥) إنما ذلكم - أيها المؤمنون - الشيطان يخوفكم الشيطان بأوليائه المشركين، فلا تخافوهم فإنهم لا ناصر لهم، وخافوني إن كنتم مؤمنين حقاً.

(١٧٦) لا يدخل الحزن في قلبك - أيها الرسول - الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فإنهم لن يضرروا الله بمسارعهم في الكفر شيئاً إنما يضررون أنفسهم، بحرمانهم من الإيمان، يريد الله بخذلانهم أن لا يجعل لهم ثواباً في الآخرة، لأن الله أحبط أعمالهم، ولهم عذاب عظيم في النار.

(١٧٧) إن الذين استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضرروا الله شيئاً بل يعود ضرر فعلهم إلى أنفسهم ولهم في الآخرة عذاب موجه.

(١٧٨) ولا يظن الجاحدون أن إمهالهم وإطالة أعمارهم في الدنيا خير لهم، إنما نؤخرهم ليزدادوا ظلماً وطغياناً ولهم في الآخرة عذاب مهين.

(١٧٩) ما كان الله ليدع المؤمنين على ما هم عليه من التباسهم بالمنافقين حتى يميز المنافق المستمر في الكفر من المؤمن

﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نُوْمِنَ لِرِسُوْلِ حَتَّىٰ يَأْتِنَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّكْرِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ إِنْ كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ تَسْبَلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ مَعَكُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَذْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِيمَسَّ مَا يَشْرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

نهى عنه فإن ذلك من الأمور التي يعزم عليها ويتنافس فيها.

(١٨٧) واذكر - أيها الرسول - حين أخذ الله العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب الذين أوتوا التوراة والإنجيل ليعملوا بهما، ويبينوا للناس ما فيهما، ولا يكتنوا ذلك، فما كان منهم إلا أن طرحوا العهد، ولم يلتفتوا إليه، وأخذوا ثمنًا زهيدًا مقابل كتمانهم الحق، فبئس هذا الثمن الذين يستبدلونه بعهد الله.

(١٨٨) لا تظنن - أيها الرسول - أن الذين يفرحون بما فعلوا من كتمان العهد، ويحبون أن يحمدا بما لم يفعلوه فلا تظننهم ناجين من عذاب الله، بل لهم في الآخرة عذاب أليم.

(١٨٩) والله وحده ملك ما حوته السماوات والأرض خلقًا وتدبيرًا، وهو على كل شيء قدير.

(١٩٠) إن في إيجاد السماوات والأرض من عدم على غير مثال سابق، وفي تعاقب الليل والنهار، وتفاوتهما في الطول والقصر، لدلائل وبراهين على وحدانيته لأصحاب العقول السليمة.

(١٩١) الذين يذكرون الله في جميع أحوالهم في قيامهم وجلسهم وعند اضطجاعهم، وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويقولون: ربنا ما أوجدت هذا الخلق العظيم عبثًا، فأنت منزه عن ذلك، فجنبنا عذاب النار بتوفيقنا للصالحات وحفظنا من السيئات.

(١٨٣) هؤلاء اليهود إذا دعوا إلى الإسلام قالوا كذبًا وافتراء على الله: إن الله أوصانا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بصدقة تنقرب بها إلى الله فتحرقها نار تنزل من السماء، قل لهم - أيها الرسول - أنتم كاذبون في قولكم، قد جاءكم رسل من قبلي بالبراهين الواضحة على صدقهم، وبالذي ذكرتم من القربان الذي تحرقه النار فلم كذب آباؤكم وقتلوا هؤلاء الأنبياء إن كنتم صادقين في قولكم.

(١٨٤) فإن كذبك هؤلاء اليهود فلا تحزن فهي عادة الكفار، فقد كذب رسل كثير من قبلك جاؤوا بالأدلة الواضحة والكتب السماوية المشتملة على المواعظ والرفائق التي فيها نور للهداية.

(١٨٥) كل نفس مهما تكن لا بد أن تذوق الموت ومرجعهم إليّ فأوفي كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فمن نجي من النار وأبعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بحاجته، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل فلا تغتروا به.

(١٨٦) لتختبرن - أيها المؤمنون - في أموالكم بإخراج النفقات الواجبة، وبما ينزل بها من مصائب ولتختبرن في أنفسكم بالقيام بتكاليف الشريعة، وبما يحل بكم من قتل وجراح وموت الأحباب، ولتسمعن من الكفار من بني إسرائيل والمشركين من العرب وغيرهم شيئا كثيرا يؤذيكم، وإن تصبروا على ذلك كله، وتتقوا الله بفعل ما أمر به وبترك ما



﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَاجِرٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَسْتُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ۞

- (١٩٢) ربنا نجنا من عذاب النار، فإنك من تدخله النار بذنوبه من خلقك فقد أهنته وفضحته وليس للظالمين يوم القيامة من ينصرهم ويمنعهم من عذابك.
- (١٩٣) ربنا إنا سمعنا داعيا - وهو رسولك - يدعو الناس قائلا: آمنوا بالله ربكم إلهها واحدا فأجبنا دعوته واتبعنا شريعته، فاغفر ذنوبنا واستر عيوبنا، وألحقنا بالصالحين.
- (١٩٤) ربنا أعطنا ما وعدتنا على السنة رسلك من النصر والتمكين والهداية، ولا تفضحنا يوم القيامة بدخول النار إنك كريم لا تخلف الوعد.
- (١٩٥) فأجاب ربهم دعاءهم أني لا أضيع ثواب أعمال ذكر أو أنثى منكم، فبعضكم من بعض، في أخوة الدين وقبول الأعمال والجزاء، فالذين هاجروا رغبة في رضا الله، وأخرجهم الكفار من ديارهم، وأودوا في طاعة ربهم، وقاتلوا في سبيل الله، وقتلوا لإعلاء كلمة الله، لأغفرن لهم سيئاتهم يوم القيامة، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار جزاء من عند الله، والله عنده حسن الثواب.
- (١٩٦) لا يغرنك - أيها الرسول - تقلب الكافرين في البلاد وتمكنهم منها، وسعتهم في الرزق، فكل هذا يزول ومالهم في الآخرة إلا أعمالهم السيئة.
- (١٩٧) فهذه الدنيا متاع قليل لا دوام له، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار، وبئس الفراش.
- (١٩٨) لكن الذين خافوا ربهم واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، لهم في الآخرة جنات تجري تحت قصورها الأنهار، ماكثين فيها أبدا جزاء لهم من عند الله، وما أعده الله للصالحين من عبادته خير وأفضل مما يتقلب فيه الكفار من ملذات الدنيا.
- (١٩٩) ليس أهل الكتاب سواء بل منهم طائفة يؤمنون بالله وبما أنزل إليك - أيها الرسول - من الحق وبما أنزل إليهم في كتبهم في التوراة والإنجيل، لا يفرقون بين رسل الله، متذللين لله خاضعين له، لا يستبدلون بآيات الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا، ولا يكتمون ما أنزل الله ولا يحرفونه، أولئك لهم ثواب عظيم عند ربهم يوم يلقونه، إن الله سريع الحساب على الأعمال وسريع الجزاء عليها.
- (٢٠٠) يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله اصبروا على تكاليف الشريعة وعلى ما ينزل بكم من ضر وبلاء، وغالبوا أعداءكم الكفار من اليهود والنصارى والمشركين في الصبر، حتى لا تكونوا أشد صبورا منكم، وأقيموا على الجهاد في سبيل الله، واتقوا الله في جميع أحوالكم لعلكم تنالون الفلاح في الدارين.

سورة النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَعَاتُوا أَيْمَانَكُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنًا وَثُلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آدَبٌ أَلَّا تَعْلَمُوا ﴿٣﴾ وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ ۞

- (١) يا أيها الناس اتقوا ربكم في أوامره ونواهيه فهو الذي خلقكم من آدم وهو أبوكم، ومنه خلقت زوجته حواء وهي أمكم ونشر منهما في أنحاء العالم بشرًا كثيرًا ذكورًا وإناثًا، وراقبوا الله الذي به يسأل بعضكم بعضًا بأن يقول: أسألك بالله، واحذروا أن تقطعوا أرحامكم، إن الله مراقب لجميع أحوالكم.
- (٢) واعطوا - أيها الأوصياء - اليتامى أموالهم كاملة إذا وصلوا سن البلوغ ورأيتم منهم قدرة على حفظ أموالهم، ولا تبدلوا الجيد بالرديء، ولا تخلطوا أموالهم بأموالكم لتحتالوا بذلك على أكل أموالهم إن ذلك كان ذنبًا عظيمًا.
- (٣) وإن خفتهم ألا تعدلوا إن تزوجتم اليتيمات اللاتي تحت ولايتكم خوفا من نقص مهرهن الواجبة لهن وإساءة معاملتهن، فاتركوهن وتزوجوا ما ترغبون من النساء الطيبات من دونهن اثنتين أو ثلاثًا أو أربعًا فإن خفتهم ألا تعدلوا بينهن فاقصرن على واحدة منهن أو استمتعنوا بما ملكت أيانكم من الإماء ذلك الذي شرعته لكم في اليتيمات والزواج من واحدة إلى الأربع أو الاقتصار على الواحدة أو ملك اليمين أقرب إلى عدم الجور والتعدي.
- (٤) وأعطوا النساء مهرهن عطية واجبة وفريضة لازمة عن طيب نفس منكم، فإن طابت نفوسهن عن المهر فوهبتهن لكم بدون إكراه فخذوه وتصرفوا فيه فهو حلال لكم.
- (٥) ولا تعطوا - أيها الأولياء - الأموال للذين لا يحسنون التصرف في أموالهم، فهذه الأموال جعلها الله سببا تقوم به مصالح العباد، وهؤلاء ليسوا أهلاً للقيام على الأموال، وأنفقوا عليهم منها واکسوهم وقولوا لهم كلامًا طيبًا.
- (٦) واختبروا من تحت ولايتكم من الأيتام إذا قاربوا البلوغ بإعطائهم جزءا من مالهم يتصرفون فيه فإن أحسنوا التصرف فيه، وتبين لكم رشدهم فسلموا إليهم أموالهم كاملة ولا تعتدوا عليها بإنفاقها في غير موضعها، ولا تأكلوا أموالهم متجاوزين الحد الذي أباحه الله لكم، ومن كان منكم له مال يغنيه فليمتنع عن الأخذ من مال اليتيم، ومن كان فقيرا فليأكل منه بقدر حاجته، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا على ذلك التسليم، وكفى الله شاهدا على ذلك وهو حسيب عليكم يوم القيامة.
- (٧) للذكور من أولاد الرجل الميت والأقربين حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه، من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة مقدرة محددة.



﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْضُوهُمْ مِنِّهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨ ﴾ وَلِيَحْشَ
 الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٩ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
 أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ١٠ ﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ
 حَظِّ الْإُنثَىٰ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ
 مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءِآبَاءُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَلِيمًا حَكِيمًا ١١ ﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ
 الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيكُنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُن لَكُمْ
 وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ
 رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ
 شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ١٢ ﴾ .

عليه، آباؤكم وأولادكم فرض لهم الميراث لا تعرفون
 أيهم أقرب لكم نفعاً في الدارين، إن الله كان عليماً لا
 يخفى عليه شيء من مصالح عباده، حكيماً في شرعه
 وتدبيره، فلا تخالفوا فريضته.

(٨) وإذا حضر أقارب الميت واليتامى والفقراء ممن لا حق لهم
 في التركة، فأعطوهم شيئاً على سبيل الاستحباب من
 التركة قبل القسمة، وقولوا لهم قولاً حسناً غير فاحش
 ولا قبيح.

(١٢) ولكم - أيها الأزواج - نصف ما تركت زوجاتكم إن
 لم يكن لهن ولد ذكراً كان أو أنثى، فإن كان لهن ولد
 ذكراً كان أو أنثى فلكنم الربع مما تركن من المال يقسم
 لكم بعد إنفاذ وصيتهن الجائزة وقضاء ما عليهن من دين،
 ولزوجاتكم - أيها الأزواج - الربع مما تركتم، إن لم يكن
 لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - منهن أو من غيرهن، فإن
 كان لكم ولد - ذكراً كان أو أنثى - فلهن الثمن مما تركتم،
 يقسم لهن ذلك بعد تنفيذ وصيتكم الجائزة وقضاء ما
 عليكم من دين، وإن مات رجل ليس له والد ولا ولد أو
 ماتت امرأة ليس لها والد ولا ولد، وكان للميت منهما أخ
 لأم أو أخت لها، فلكل واحد منهما السدس فرضاً، فإن
 كان الإخوة أو الأخوات لأم أكثر من ذلك فهم شركاء
 في الثلث يقسم بينهم بالسوية لا فرق بين الذكر والأنثى،
 وإنما يأخذون نصيبهم هذا بعد تنفيذ وصية الميت الجائزة،
 وقضاء ما عليه من دين، هذا الحكم الذي تضمنته هذه
 الآية عهد من الله إليكم أو جبه عليكم، والله عليم بما
 يصلح عباده، حلیم لا يعاجلهم بالعقوبة.

(٩) وليخف الذين لو ماتوا وتركوا من خلفهم أولاداً ضعافاً،
 خافوا عليهم الظلم والضياع، فليتقوا الله فيمن تحت
 أيديهم من اليتامى بترك ظلمهم، وذلك بحفظ أموالهم
 وحسن تربيتهم وليقولوا لهم قولاً يوافق العدل والعرف.
 (١٠) إن الذين يأخذون أموال اليتامى بغير حق إنما يأكلون ناراً
 في بطونهم تلتهب عليهم وتحرقهم يوم القيامة.

(١١) إن الله يأمركم في شأن ميراث أولادكم أن يقسم بينهم
 للابن مثل نصيب البنتين، وإن ترك الميت بنات فللبنتين
 فأكثر الثلثان مما ترك، وإن كانت بنتاً واحدة فلها نصف
 ما ترك، ولأبوي الميت لكل واحد منهما سدس ما ترك
 إن كان له ولد وإن كان لا وارث له غير أبويه فلأمه
 الثلث، وباقي التركة لأبيه، وإن كان للميت إخوة اثنان
 فأكثر ذكوراً كانوا أو إناثاً، فلأمه السدس وللأب الباقي
 ولا شيء لإخوته، وهذا التقسيم بعد تنفيذ الوصية التي
 أوصى بها الميت بشرط أن لا تزيد على ثلث ماله ولا
 تكون الوصية لأهل الميراث، وبعد قضاء الدين الذي

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى تَيَقِّنَهُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لهنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَاعَادُوهُمَا فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِسْلَامَ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسِيءٌ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ۞

والمعاصي بجهل منهم لعاقبتها، وهذا شأن كل مرتكب ذنبًا متعمدًا كان أو غير متعمد فهو جاهل بهذا الاعتبار، ثم يرجعون إلى ربهم بالإجابة قبل معاينة الموت، فأولئك يقبل الله توبتهم ويتجاوز عن سيئاتهم، وكان الله عليماً بعباده، حكيمًا في تدبيره وتقديره.

(١٨) ولا يقبل الله توبة الذين يصرون على المعاصي، ولا يرجعون إلى ربهم إلى أن يعانون سكرات الموت، فيقول أحدهم إنني تبت الآن مما ارتكبته من المعاصي، ولا يقبل الله توبة الذين يموتون وهم جاحدون مستمرين على كفرهم، وأعدنا لهم عذابًا موجعًا.

(١٩) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله لا يجوز لكم أن تراثوا نساء آبائكم كما يورث المال، وتصرفوا فيهن بالزواج منهن، أو بمنعهن من الزواج، ولا يجوز لكم إمساك أزواجكم اللاتي تكرهوهن للإضرار بهن حتى يتنازلن لكم عن بعض ما أعطيتموهن من مهر وغيره إلا أن يرتكبن أمرًا فاحشًا كالزنى، فلكن حينئذ إمساكن حتى تأخذوا ما أعطيتموهن، وصاحبوا نساءكم صحبة طيبة بكف الأذى وبذل الإحسان فإن كرهتموهن لأمر دنيوي فاصبروا عليهن، فمسيء أن تكرهوا أمرا من الأمور ويكون فيه خير كثير.

(١٣) هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه هي حدود الله فلا تجاوزوها، ومن يطع الله ورسوله بامتثال أوامره واجتتناب نواهيه يدخله جنات تجري الأنهار من تحتها وهم ماكتون فيها لا يخرجون منها أبدًا، وذلك الفوز العظيم الذي لا يقاربه فوز.

(١٤) ومن يعص الله ورسوله بترك العمل بهذه الأحكام ويتجاوز حدود ما شرعه الله يدخله نارًا ماكتًا فيها، ولهم عذاب يخزيهم ويهينهم.

(١٥) واللاتي يزنين من نساءكم محصنات أو غير محصنات فاستشهدوا عليهن أربعة رجال عدول من المسلمين، فإن شهدوا عليهن بارتكابها فاحبسوهن في البيوت حتى تنقضي حياتهن بالموت، أو يجعل الله لهن طريقًا للخلاص لهن، ثم جاء بعد ذلك السبيل لهن وهو الجلد للبر، والرجم للمحصنة.

(١٦) والذنان يرتكبان الزنا من الرجال محصنين أو غير محصنين فأذوهما بالضرب والهجر والتوبيخ، فإن أقلعا عما كانا عليه وصلحت أعمالهما، فاصفحوا عن أذاهما، إن الله كان توابًا على من تاب من عباده رحيمًا به، وهذا الحكم كان قبل نزول الوحي بالحدود.

(١٧) إن الله يقبل التوبة من الذين أقدموا على ارتكاب الذنوب

قال الله ﷻ : ﴿ يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي ذُرِّيَّتِكُمْ لَلذَّكَرِ مِثْلَ مِثْلِ الْأُنثِيَّتَيْنِ... ﴾ [النساء: 11]
 وعن ابن عباس ؓ عن النبي ﷺ قال:
 «أَحَقُّوا الْقَرَأَنُ بِأَهْلِيهَا، قَمَا بَقِيَ فَرَّه
 لِأَوَّلَى رَجُلٍ ذَكَرَ». متفق عليه.

جدول الموارث

نظام الإرث في الإسلام نظام فطري عادل، لأن الله واضعه، وبه يحصل التكافل بين أفراد الأسرة، وتوزع بينهم الثروة توزيعاً عادلاً، وتستأنس النزاعات، ويحمّد الفرد في كسب المال ليتركه لورثته من بعده

(كل وارث مذكور من الورثة إنما هو منسوب إلى الميت)

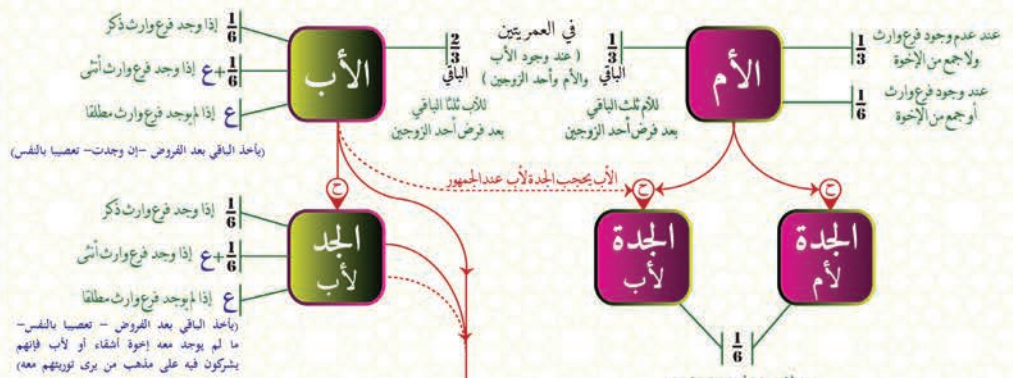
الزوجان



الأصهار

توريث الإخوة مع الجد

اختلف في توريث الإخوة الأشقاء والإخوة لأب مع الجد، هل هو بمنزلة أبيهم فيسقطهم، فلا يرث معه منهم ولا من الخواشي أحد؟ أو هو بمنزلة أخيهم فيقاسمهم المال، على أن له معهم أوفر نصيب ممكن؟
 (ولذلك طرق حسامية مبسطة في المطولات.)
 وأما الإخوة لأم وأبناء الإخوة ومن دونهم فيحجبهم الجد اتفاقاً.
 (ولذلك جاء الخط من الجد متصلاً ومقطعاً).

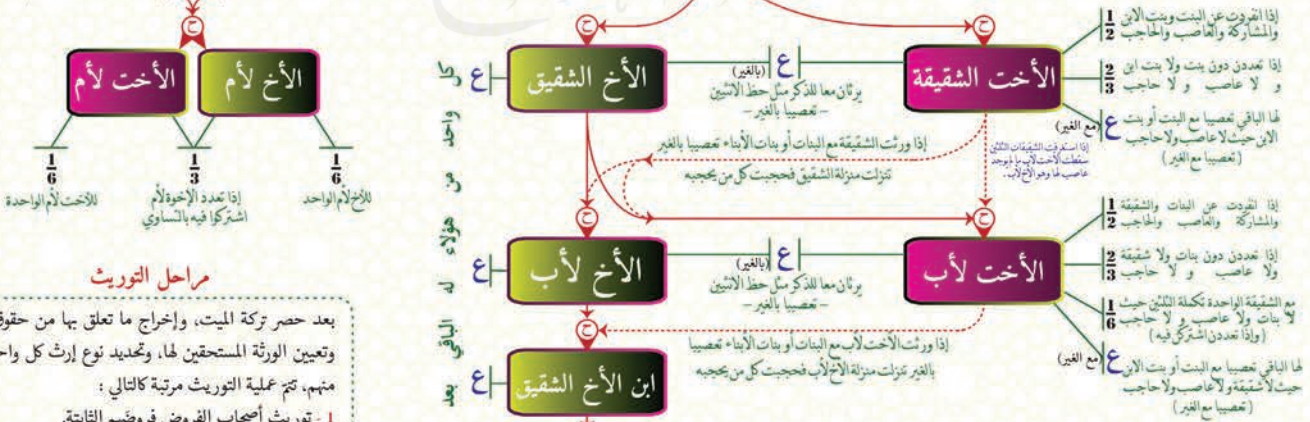


البنات



تنبية
 لكل وارث نصيبه بشرطه المذكورة، ما لم يحجبه غيره، والحاجب هو من صدر منه السهم الأخر، والمحجوب هو من توجه إليه السهم نفسه. والحرف (ح) يرمز لحجب الحرمان، فالإخوة لأم مثلاً يحجبهم الأب والجد وجميع الفروع، والسهم المقطع يرمز للخلاف كما في حجب الأب لأمه، أو للحجب في أحوال خاصة، كما في حجب الشقيقة الأخ لأب ومن دونه.
 ولا حظ أن كل من أدلى إلى الميت بواسطة جنته تلك الوساطة، إلا الإخوة لأم فإنهم يرثون معها على الرغم من أنها الوساطة بينهم وبين الميت.

الأخوات



أنواع الإرث

قد يرث الشخص نصيباً مقدراً يسمى الفرض، وقد يرث نصيباً غير مقدّر يسمى التعصيب، وقد يجمع بين الفرض والتعصيب، وقد لا يجمع، وقد يحجب كلية (حجب حرمان) فلا يرث شيئاً، وقد يحجب جزئياً (حجب نقصان) فينقص نصيبه.
 والحرف (ع) يرمز للتعصيب، وهو ثلاثة:
 1 - تعصيب بالنفس: ويرث به الشخص كل المال إذا انفرد، أو الباقي بعد الفروض، على أن الوراثين به يتقدم بعضهم على بعض، كما هو في الجدول، إلا أن الأبناء وأبناء الأبناء مقدمون على الأب والجد في إرث الباقي، فاتبته.
 2 - تعصيب بالغير: وهو تعصيب الذكر لأخته، أو ابنة عمه، فيرثان للذكر مثل حظ الأنثيين.
 3 - تعصيب مع الغير: وهو أن تأخذ الأخوات الباقي بعد فرض البنات أو بنات الابن.

مراحل التوريث

- بعد حصر تركه الميت، وإخراج ما تعلق بها من حقوق، وتعيين الورثة المستحقين لها، وتحديد نوع إرث كل واحد منهم، تتم عملية التوريث مرتبة كالتالي:
- 1 - توريث أصحاب الفروض فروضهم القائمة.
 - 2 - توريث العصبية الذين ليس لهم نصيب محدد، متى بقي شيء بعد الفروض.
 - 3 - الرّد على ذوي الفروض بقدر إرثهم، دون الزوجين.
 - 4 - توريث ذوي الأرحام، الذين ليسوا بأصحاب فروض ولا عصبية، كالخال والعمّة مثلاً، فينزل كل منهم منزلة من أدلى به إلى الميت.
 - 5 - الرّد على أحد الزوجين.
 - 6 - إعطاء الموصى له بما زاد على الثلث، ولو كانت الوصية بجميع المال.
 - 7 - وضع التركة في بيت مال المسلمين، إن انتظم، أو صرفها في مصالح المسلمين كالمساجد ونحوها.
 - 8 - قسمة التركة بالطرق الحسائية المبيّعة في حلّ المسائل.

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتِدَالَ زَوْجَ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتِنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ أَلَّتِي أَرْضَعْتُمْ مِنْ الرُّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ أَلَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ .

تدخلوا بهن، وبنات زوجاتكم من غيركم اللاتي يتربن في بيوتكم غالباً وكذلك إذا لم يتربن فيها إن كنتم دخلتم بأمهاتهن، وأما إذا لم تدخلوا بهن فلا حرج عليكم في نكاح بناتهن، وحرم عليكم نكاح زوجات آبائكم الفذيين من أصلابكم ولو لم يدخلوا بهن، ويدخل في هذا الحكم زوجات آبائكم من الرضاة - وكذلك لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها كما ورد في السنة - وحرم عليكم الجمع بين الأختين من النسب أو الرضاة إلا ما مضى من ذلك في الجاهلية فقد عفا الله عنه، إن الله كان غفوراً للمسلمين إذا تابوا، رحيماً بهم.

(٢٤) وحرم عليكم نكاح المتزوجات من النساء إلا من سيتم منهن في الجهاد فيحل لكم وطؤهن بعد استبراء أرحامهن من الحيض، كتب الله تحريم نكاح هؤلاء، وأحل الله ما عدا ذلك من النساء فلكم أن تطلبوا بأموالكم إحصان أنفسكم بالحلال غير قاصدين الزنا فمن استمتعتم منهن بالنكاح الصحيح فأعطوهن مهورهن التي فرض الله لهن عليكم، ولا إثم عليكم فيما وقع عليه تراضيتكم من بعد تحديد المهر الواجب من زيادة عليه أو مسامحة في بعضه، إن الله كان عليماً بأمر عباده، حكيماً في أحكامه وتدابيره.

(٢٠) وإن أردتم - أيها المؤمنون - نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها، وقد أعطيتكم التي تريدون طلاقها من المهر المال الكثير، فلا يحل لكم أخذ شيء منه، فإن أخذ ما أعطيتموهن يعد افتراء وإثماً واضحا.

(٢١) وكيف يجوز لكم أخذ ما أعطيتموهن من المهر، وقد استمتع كل منكما بالآخر بالجماع، وقد أخذن منكم عهداً موثقاً بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

(٢٢) ولا تتزوجوا ما تزوجه آبائكم من النساء إلا ما قد مضى في الجاهلية فلا مؤاخذة عليه، وأما في الإسلام فنكاحهن معصية وسبب غضب الله على فاعله وساء طريقاً لمن سلكه.

(٢٣) حرم الله عليكم نكاح أمهاتكم وإن علون، وبناتكم وإن نزلن، وأخواتكم من أبيكم أو من أحدهما، وعماتكم وعمات آبائكم وعمات أمهاتكم وإن علون، وخالاتكم وكذلك خالات أمهاتكم وخالات آبائكم وإن علون، وبنات الأخ وبنات الأخت وأولادهم وإن نزلوا، وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاة - وقد حرم رسول الله ﷺ من الرضاة ما يحرم من النسب - وأمهات زوجاتكم سواء دخلتم بهن أو لم

٢٣ يقول علماء الوراثة: إن التزاوج بين الأقارب من الدرجة الأولى ينقل الخلل في المورثات أو الضعف أو الأمراض أو العاهات إلى الأجيال بنسباً متفاوتة، فكلما ابتعد الإنسان في اختيار الزوجة من غير الأقارب جاء النسل قوياً.



﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَيَنكِحُكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْتُمْ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ نَصَبُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي بِيَدَيْكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَاللَّهُ يَهْتَدِي الْقَوْمَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ۞

أموال بعض بما حرم عليه من الربا والقمار وغيرهما، إلا أن تكون تجارة عن تراض بين البائع والمشتري فيجوز لكم أكلها، ولا يقتل بعضكم بعضاً فهلكوا أنفسكم بارتكاب محارم الله، إن الله كان بكم رحيمًا، ومن رحمته حرم دماءكم وأموالكم وأعراضكم.

(٣٠) ومن يأكل المال بالباطل ويقتل النفس بدون حق ويهتك الأعراس، فسوف يدخله الله النار يوم القيامة، وكان ذلك على الله يسيرًا.

(٣١) إذا اجتنبتكم كبائر الآثام التي نهيتكم عنها، كفرنا عنكم الذنوب الصغيرة، وندخلكم مدخلا كريماً وهو الجنة.

(٣٢) ولا تتمنوا - أيها المؤمنون - رجالاً ونساءً ما فضل الله به بعضكم على بعض في الأعمال والأرزاق والميراث، فلا ينبغي للنساء أن يرتجحن ما خص الله به الرجال، فللرجال نصيب من أعمالهم، وللنساء نصيب من أعمالهن، واسألوا الله أن يعطيكم من فضله بدلاً من التمني، إن الله كان بكل شيء عليماً فيعطيه بفضله ويمنع بعدله.

(٣٣) ولكل جعلنا عصبه يرثون مما تركه والداه وأقربوه من ميراث، والذين عقدتم معهم الأيمان المؤكدة على الحلف والنصر فأعطوهم نصيبهم، (والميراث بالحلف كان في صدر الإسلام ثم نسخ بعد نزول آية الميراث)، إن الله كان مطلعاً على جميع أعمالكم وسيجازيكم على ذلك.

(٢٥) ومن لا سعة له من المال تمكنه من أن ينكح الحرائر المؤمنات يجوز له أن يتزوج من المؤمنات المملوكات لغيركم بموافقة أهلهن، والله هو العليم بحقيقة إيمانكم، بعضكم من بعض، فأعطوهم مهورهن على ما تراضيتن من دون نقص أو ماطلة، هذا إن كن عفيفات غير زانيات ولا متخذات أخلاء للزنا بهن سراً، فإذا تزوجن وأتين بفاحشة الزنا فعليهن من الجلد لا الرجم نصف عقوبة الحرائر، ذلك الذي أبيض من نكاح الإمام لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، والصبر عن نكاح الإمام مع العفة أولى وأفضل، والله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بكم إذ أذن لكم في نكاح الإمام عند العجز عن نكاح الحرائر.

(٢٦) يريد الله تعالى أن يبين لكم معالم دينه القويم، ويدلكم على طرق الأنبياء والصالحين من قبلكم في التحليل والتحرير، ويريد أن يرجعكم عن معصيته إلى طاعته، والله سبحانه عليم بما يصلح شأنكم، حكيم فيما شرعه لكم.

(٢٧) والله يريد أن يتقبل توبتكم، ويتجاوز عن ذنوبكم، ويريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات أنفسهم، أن تنحرفوا عن حكم الله انحرافاً كثيراً.

(٢٨) ويريد الله التخفيف فيما شرع لكم، لأنه عالم بضعف الإنسان في خلقه وحُلُقه.

(٢٩) يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، لا يأكل بعضكم

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَتْ فَوَاقِحُ حَنُوطِكُمْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْنُ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَصْرِبُوهُنَّ فَإِنَّ أَطَعْنَكُمْ فَلَا بُغْوَ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعْفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾

القريب والبعيد منكم والرفيق في السفر وفي الحضر والمسافر الغريب، لكل منهم حق عليكم فأدوا حقوقهم، وأحسنوا إلى ممالئكم فإن لهم حقاً عليكم فأدوا حقوقهم، إن الله لا يحب المتكبرين من عباده المفتخرين على الناس.

(٣٧) الذين يمتنعون من الإنفاق بخلاً، ويأمرون غيرهم بالبخل، ويجحدون نعم الله عليهم ويخفون فضله وعطاءه، فإن الله أعد للجاحدين عذاباً مخزياً.

(٣٨) وأعدنا العذاب المخزي للذين ينفقون أموالهم لأجل أن يراهم الناس ويمدحوهم، ولا يؤمنون بالله ولا بيوم القيامة، وأضلهم الشيطان في إنفاقهم رياء وسمعة، ومن يكن الشيطان له ملازماً فبئس الملازم والقرين.

(٣٩) وماذا يضر هؤلاء لو أنهم آمنوا بالله واليوم الآخر، وأنفقوا أموالهم فيما أمرهم الله باحتساب وإخلاص، والله تعالى عليم بهم لا يخفى عليه حالهم، وسيجازي كلا بعمله.

(٤٠) إن الله تعالى عادل لا يظلم عباده شيئاً فلا ينقص من حسناته مقدار ذرة بل يضاعف ثوابها فضلاً منه يوم الجزاء.

(٤١) فكيف يكون حال الناس يوم القيامة حين نجيء بنبي كل أمة يشهد عليها بما عملته، ونجيء بك - أيها الرسول - لتكون شاهداً على هؤلاء الأمم والرسول.

(٣٤) الرجال أهل قيام على نسائهم؛ بسبب ما خصهم الله به من خصائص القوامه؛ وبسبب ما يجب عليهم من المهور والنفقة وكفائتهم إياهن مؤنتهن، فالصالحات مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات لكل ما غاب عن علم أزواجهن بسبب توفيق الله لهن، واللاتي تخشون منهن ترفعن عن طاعة أزواجهن، فانصحوهن - أيها الأزواج - بتذكيرهن وتخويفهن من الله، فإن لم يستجبن فاهجروهن في الفراش ولا تقربوهن، فإن لم يستجبن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن رجعن إلى الطاعة فلا تعتدوا عليهن بظلم، إن الله العلي الكبير وليهن وهو منتقم من الظالمين منكم.

(٣٥) وإن خفتن - يا أولياء الزوجين - شقاقاً بينهما يؤدي إلى الفراق، فابعثوا حكماً عدلاً من أهل الرجل وحكماً عدلاً من أهل المرأة ليحكمما بما فيه المصلحة لهما من التفريق أو التوفيق بينهما، والتوفيق أحب وأولى، والله يوفق بين الزوجين، إن الله تعالى عليم لا يخفى عليه شيء، خبير بما تنطوي عليه نفوسهما.

(٣٦) واعبدوا الله وحده وانقادوا له ولا تشركوا به أحداً في الربوبية والعبادة، وأحسنوا إلى الوالدين بأداء حقوقهما، وأحسنوا إلى الأقارب واليتامى والفقراء، وأعطوهم من أموالكم حسب استطاعتكم، وأحسنوا إلى الجار



﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ﴿٤٢﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا يَا لَيْسَنَّهُمْ وَطْعَانًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٤٦﴾

تكونوا ضالين مثلهم.

(٤٥) والله عز وجل أعلم منكم بأعدائكم وهم الكفرة من بني إسرائيل، وكفى بالله وليا يحفظكم من مكرهم، وحسبكم بالله ناصرًا لكم على عداوتهم.

(٤٦) ومن اليهود فريق يتأولون كلام الله على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله قصدًا منهم وافتراءً على الله، ويقولون لرسول الله ﷺ: سمعنا قولك وعصينا أمرك، واسمع ما نقول لا سمعت، أي اسمع لا أسمعتك الله (لعنة الله عليهم) ويوهمون بقولهم «راعنا» أي راعنا سمعتك، وهم يريدون الرعونة حسب لغتهم، ويقصدون الطعن في دين الإسلام، ولو قالوا: سمعنا وأطعنا بدل وعصينا، واسمع بدل غير مسمع، وانظرنا بدل راعنا، لكان ذلك خيرًا لهم عند الله مما قالوه أولاً وأعدل منه، ولكن الله طردهم من رحمته بسبب كفرهم وجحدهم فلا يؤمنون إلا قليلاً لا ينفعهم.

(٤٢) في ذلك اليوم العظيم يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا رسوله لو يجعلهم الله والأرض سواء فيصيرون تراباً ولا يخفون عن الله شيئاً مما عملوا، إذا ختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون.

(٤٣) أيها المؤمنون لا تصلوا وأنتم في حال سكر حتى تصحوا من سكركم، وتعلموا ما تقولون (وكان هذا الحكم قبل تحريم الخمر) ولا تصلوا وأنتم جنب ولا تدخلوا المساجد إلا مجتازين دون مكث حتى تغتسلوا، وإن أصابكم مرض لا تقدرون معه على استئصال الماء أو كنتم مسافرين، أو جاء أحد منكم من الغائط أو جامعتم النساء فلم تجدوا ماء، فاقصدوا تراباً طاهراً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، إن الله كان كثير العفو، غفورا يتجاوز عن سيئاتكم ويسترها عليكم.

(٤٤) ألم تر - أيها الرسول - أمر اليهود الذين أعطوا حظاً من العلم بالتوراة، يستبدلون الضلالة بالهدى، وهم يتمنون لكم - أيها المؤمنون - أن تنحرفوا عن الطريق المستقيم

٤٣ أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن الاغتسال بعد الجماع أمر ضروري، وذلك لأن ترك الجسم بعد الجماع دون اغتسال يسبب كثيراً من الأضرار والمشكلات الصحية كالروائح الكريهة التي تتفاقم، وإعادة امتصاص الجسم للسموم والمواد الضارة، وتحويل الكائنات الحية الدقيقة المتعايشة إلى كائنات ممرضة، وتسهيل فرصة العدوى للبكتيريا الانتهازية، بالإضافة إلى تفاقم مشكلات الأمراض الجلدية. ومن هذا يتبين أن العلم لا يختلف أبداً مع تشريعات الإسلام العظيمة، فقد أقر ضرورة الاغتسال بعد الجماع أو الاحتلام، واثبت أن عدمه مضرًا بالإنسان، وهذا لا شك إعجاز علمي يثبت عظمة هذا الدين.

بالنسبة للتيمم فإنه يمثل طهارة للروح وبعد امتلاك الإنسان أدوات العلم ثبت التراب الدقيق في الصعيد الطاهر يحتوي على عدداً من الكائنات الدقيقة التي تفرز المضادات الحيوية التي يمكنها من تطهير كل من الوجه واليدين مما يكون قد علق بها من مسببات الأمراض فيفعل فعل الماء في ذلك.

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمَسَ وُجُوهًا فَزَرَدَهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزُكُّونَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَاتُ بِالْحَقِّ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبَّتِ وَالطُّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تُجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيهِمْ جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ﴾

الذين طردهم الله من رحمته، ومن يطردهم الله من رحمته فلن تجد لهم من ينصرهم.

(٥٣) ليس لهؤلاء المطرودين حظ من الملك، ولو كان لهم حظ لما أعطوا أحداً منه شيئاً، ولو كان مقدار النقرة التي في ظهر نواة التمر.

(٥٤) بل يحسدون محمداً ﷺ على إعطاء النبوة والرسالة وعلى أصحابه أنهم آمنوا به. ومن قبل أعطينا ذرية إبراهيم عليه السلام الكتب السماوية وما أوحينا إليهم سوى الكتاب وأعطيناهم ملكاً واسعاً على الناس.

(٥٥) فمن هؤلاء اليهود من آمن بنبوته محمد ﷺ، ومنهم من أعرض وصد الناس عن الإيمان به، وحسبهم نار جهنم تسعر بهم.

(٥٦) إن الذين جحدوا ما أنزل الله من آياته، سوف ندخلهم يوم القيامة ناراً تحيط بهم كلما أحرقت جلودهم بدلناهم جلوداً أخرى ليستمر عليهم العذاب، إن الله كان عزيزاً، لا يغالبه شيء، حكيماً في قضائه.

(٥٧) والذين صدقوا الله واتبعوا رسوله محمداً ﷺ وعملوا أعمالاً صالحة سندخلهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها الأنهار وهم يمشون فيها أبداً لا يخرجون منها، ولهم في هذه الجنات أزواج مطهرات من كل أذى، وسندخلهم ظلاً ممتداً كثيفاً لا حر فيه ولا برد.

(٤٧) يا أهل الكتاب آمنوا بما أنزلنا على محمد الذي جاء مصدقاً لما معكم في التوراة والإنجيل من قبل أن نجعل وجوهكم من قبل أفئيتكم فتمشون القهقري، أو نظردكم كما طردنا أصحاب السبت فصاروا قردة وخنازير، وكان أمر الله نافذاً لا محالة.

(٤٨) إن الله لا يغفر الشرك به، ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من أهل الذنوب والآثام، ومن يشرك بالله غيره فقد اختلق إثماً عظيماً لا يغفر لمن مات عليه.

(٤٩) ألم تعلم - أيها الرسول - أمر أولئك اليهود الذين يثنون على أنفسهم وأعمالهم، بل الله عز وجل وحده الذي يثني على من يشاء من عباده؛ لأنه يعلم خفايا قلوب عباده، ولا ينقصون من أعمالهم مقدار الخيط الذي يكون في نواة التمر.

(٥٠) انظر - أيها الرسول - إلى أهل الكتاب كيف يختلفون على الله الكذب بقولهم نحن أبناء الله، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، وكفى بهذا الاختلاق ذنباً كبيراً كاشفاً عن فساد معتقداتهم.

(٥١) ألم تعلم - أيها الرسول - من أمر هؤلاء اليهود الذين آتاهم الله حظاً من العلم يصدقون بكل ما يعبد من دون الله ويقولون للذين كفروا إنهم أقوم وأعدل طريقاً من أصحاب محمد ﷺ.

(٥٢) الذين يعتقدون مثل هذا الاعتقاد الفاسد والمختلف هم



﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَن كَفَرُوا بِهِمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ تُمْ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ۞

الشیطان أن یبعدهم عن طریق الحق إبعاداً شديداً لا یمكن لهم الرجوع إلى الحق بعده أبداً.

(٦١) وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: هلم إلى حكم الله الذي أنزل في كتابه وإلى الرسول ليحكم بيننا رأيتمهم یمتنعون من الرجوع إليك لتحكم بينهم ويعرضون عنك إعراضاً تاماً.

(٦٢) فكيف يكون حال هؤلاء المنافقين إذا نزلت بهم نعمة من الله بسبب ذنوبهم التي سلفت منهم، ثم جاؤوك - أيها الرسول - معتذرين إليك يحلفون كذباً ما قصدنا بتحاكننا إلى غيرك إلا الإحسان والتوفيق بين الخصوم.

(٦٣) أولئك هم الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق والعداوة للحق فتول عنهم وحذرهم من سوء ما هم عليه، وقل لهم قولاً مؤثراً فيهم زاجراً لهم.

(٥٨) إن الله يأمركم - أيها المؤمنون - بأداء الأمانات التي أوتمنت عليها إلى أهلها، ويأمركم بالقضاء بين الناس بالعدل إذا قضيتم بينهم، إن الله نعم ما يعظكم به، إن الله كان سمياً لأقوالكم بصيراً بأعمالكم.

(٥٩) يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله أطيعوا الله وأطيعوا رسوله بامثال ما أمرتم وباجتناب ما نهيتهم، وأطيعوا ولاة أموركم في غير معصية، فإن اختلفتم في شيء فارجعوا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، والرد إلى كتاب الله وسنة نبيكم خير لكم من التنازع والقول بالرأي وأحسن عاقبة ومآلاً.

(٦٠) ألم تر - أيها الرسول - أمر المنافقين الذين يدعون كذباً أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل على الرسل من قبلك يريدون أن يتحاكموا في نزاعاتهم إلى غير شرع الله مما وضعه البشر، وقد أمروا أن يكفروا بذلك، ويريد

٥٦ كان الاعتقاد السائد منذ عدة قرون أن الجسم كله حساس للآلام، ولم يكن واضحاً لأحد في ذلك الوقت أن هناك أعصاباً متخصصة في جسم الإنسان لنقل أنواع الألم، حتى كشف علم التشريح اليوم دور النهايات العصبية المتخصصة في الجلد في نقل أنواع الآلام المختلفة.

وقد أثبت العلم الحديث أن الإحساس بحر النار يكون في الجلود الحية وإحدى طبقات الأمعاء، حيث خلق الله نهايات عصبية في الجلد حساسة، فإذا نضج الجلد ماتت هذه النهايات العصبية، فينعدم الإحساس بحر النار، وعندئذ لا يمثل الاستمرار في النار أي نوع من الألم للكافر؛ لأن مراكز الإحساس بالألم قد حطمت، لكن العليم الخبير بأسرار خلق الإنسان يعلم هذا السر، فأشار إليه في كتابه المنزل قبل أكثر من أربعة عشر قرناً. ولأجل استمرار العذاب فإن الله يبذل الكافر جلدًا آخر حتى يستمر عذابه جزاء استمراره في الكفر بالله عز وجل نسأل الله السلامة والعافية.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتَتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ۞

عنه فإن الله يسكنه دار كرامته مرافقاً للأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً في الجنة.

(٧٠) ذلك الثواب والعطاء من الله لعباده، وكفى بالله عليماً يعلم من يستحق الهداية والتوفيق والعطاء الجزيل.

(٧١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله خذوا جنتكم وأسلحتكم التي تتقون بها من عدوكم فاخرجوا إلى عدوكم جماعة بعد جماعة متسلحين.

(٧٢) وإن منكم ل نفرًا يتأخر عن الخروج لقتال أعدائكم لجنهم، ويبطئون غيرهم وهم المنافقون، فإن أصابكم قتل أو هزيمة قال أحدهم مستبشراً: قد أنعم الله علي فلم أشهد القتال معهم فيصيني ما أصابهم.

(٧٣) ولئن نالكم فضل وغنيمة من الله ليقولن حاسداً متحسراً كأن لم تكن بينكم وبينه مودة: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً مثلهم بالنصر والغنيمة.

(٧٤) فليجاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا الذين يبيعون الحياة الدنيا بالدار الآخرة وثوابها، ومن يجاهد في سبيل الله مخلصاً فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً.

(٦٤) وما أرسلنا من قبلك - أيها الرسول - رسولاً إلا فرضت طاعتهم على من أرسلته إليهم، ولو أن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي جاؤوك - أيها الرسول - في حياتك تائبين نادمين وطلبوا المغفرة لذنوبهم وطلبت المغفرة لهم لوجدوا الله تواباً رحيمًا.

(٦٥) فليس الأمر كما زعم هؤلاء المنافقون، ثم أقسم الله بذاته أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكماً فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك وإلى سنتك بعد مماتك، ثم يرضون بحكمك، ولا يكون في صدورهم ضيق ولا شك فيه، وينقادون مع ذلك انقياداً تاماً، في ظواهرهم وبواطنهم.

(٦٦) ولو أنا فرضنا عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً، أو يخرجوا من ديارهم، ما استجاب لذلك إلا عدد قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما ينصحون به لكان ذلك نافعاً لهم وأقوى لإيمانهم.

(٦٧) ولأعطيناهم من عندنا ثواباً عظيماً في الدارين.

(٦٨) ولوفقناهم إلى طريق لا اعوجاج فيه، وذلك دين الإسلام.

(٦٩) من عمل بما أمره الله به ورسوله وترك ما نهاه الله ورسوله



﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَقِيلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ الرَّتْرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنِعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ۞

بالحصون المنيعه البعيده عن المعارك والقتال، وإن يحصل لهؤلاء ما يسرهم من متاع الدنيا قالوا: هذا من عند الله، وإن يقع عليهم ما يكرهونه، قالوا هذا بسببك، قل لهم: كل من عند الله وحده بقضائه وقدره فما بالهم لا يقاربون فهم أي حديث تحدثهم به ؟

(٧٥) وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله وعن مستضعفي دينكم من الرجال والنساء والأطفال؟ وهم يستغيثون بربهم يدعون ربنا أخرجنا من مكة الظالم أهلها بالشرك بالله والاعتداء علينا، واجعل لنا من عندك وليا يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرا ينصرنا على المعتدين.

(٧٦) المؤمنون الصادقون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان، فقاتلوا - أيها المؤمنون - أعوان الشيطان وهم أهل الشرك والكفر، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم لأن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفا.

(٧٧) ألم تر - أيها الرسول - أمر بعض أصحابك سألوا أن يفرض عليهم القتال - وكان قبل الهجرة - قيل لهم امنعوا أيديكم عن قتال أعدائكم المشركين وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، فلما فرض عليهم الجهاد بعد الهجرة إذ قويت شوكتهم، شق ذلك على فريق منهم فخافوا من الكفار كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: ربنا لم فرضت علينا القتال؟ هلا أمهلتنا إلى وقت قريب حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم: متاع الدنيا مهما بلغ قليل وزائل، والآخرة وما فيها أعظم وأبقى لمن اتقى، ولا يظلم ربك أحدا شيئا ولو كان مقدار الخيط الذي في نواة التمرة.

(٧٨) حاشا تكونوا ينلكم الموت فتموتوا، ولو تحصنتم منه

(٧٥) وما شأنكم لا تقاتلون في سبيل الله وعن مستضعفي دينكم من الرجال والنساء والأطفال؟ وهم يستغيثون بربهم يدعون ربنا أخرجنا من مكة الظالم أهلها بالشرك بالله والاعتداء علينا، واجعل لنا من عندك وليا يتولى أمرنا بالرعاية والحفظ، ونصيرا ينصرنا على المعتدين.

(٧٦) المؤمنون الصادقون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان، فقاتلوا - أيها المؤمنون - أعوان الشيطان وهم أهل الشرك والكفر، فإنكم إن قاتلتموهم غلبتموهم لأن تدبير الشيطان لأوليائه كان ضعيفا.

(٧٧) ألم تر - أيها الرسول - أمر بعض أصحابك سألوا أن يفرض عليهم القتال - وكان قبل الهجرة - قيل لهم امنعوا أيديكم عن قتال أعدائكم المشركين وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، فلما فرض عليهم الجهاد بعد الهجرة إذ قويت شوكتهم، شق ذلك على فريق منهم فخافوا من الكفار كخوفهم من الله أو أشد، وقالوا: ربنا لم فرضت علينا القتال؟ هلا أمهلتنا إلى وقت قريب حتى نتمتع بالدنيا، قل لهم: متاع الدنيا مهما بلغ قليل وزائل، والآخرة وما فيها أعظم وأبقى لمن اتقى، ولا يظلم ربك أحدا شيئا ولو كان مقدار الخيط الذي في نواة التمرة.

(٧٨) حاشا تكونوا ينلكم الموت فتموتوا، ولو تحصنتم منه

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقِنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِيضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحِيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَُا إِنَّا اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَنْخِذُوا مِنْهُمْ وَوَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَهُمْ حَصْرَةٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَلْتُمْ إِنَّكُمْ تُعْتَدِلُونَ فَلَمْ يَقْتُلُوكُمْ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَفَقْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ ۞

ردهم إلى أهل الشرك بسبب أعمالهم، أتودون هداية من صرف الله قلبه عن دينه؟ ومن يضل الله عن الحق فلن تجد له طريقًا إلى الحق.

(٨٩) المنافقون يتمنون لكم أن تجحدوا كما جحدوا فتكونون سواء، فلا تتخذوا منهم أوصياء لكم، حتى يهاجروا من ديارهم، فإن أعرضوا واستمروا على حالهم فخذوهم أينما كانوا واقتلوهم، ولا تتخذوا منهم وليًا من دون الله ولا نصيرًا يعينكم على أعدائكم فإنهم لا أيمان لهم.

(٩٠) لكن الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم عهد مؤكد فلا تقاتلوهم أو من جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم، ولا يريدون أن يقاتلوكم كما لا يريدون أن يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله عز وجل لسلطهم عليكم فقاتلوكم مع أعدائكم، فإن تركوكم فلم يقاتلوكم وانقادوا إليكم، فما جعل الله لكم عليهم طريقًا لقتالهم.

(٩١) ستجدون - أيها المؤمنون - فريقًا من المنافقين يظهرون لكم الإيمان ليأمنوا على أنفسهم ويظهرون لقومهم الكفر ليأمنوهم، كلما أعيدوا إلى موطن الكفر وقعوا في أسوأ حال، فهؤلاء إن لم ينصرفوا عنكم، ولم يعتزلوكم بترك القتال، وينقادوا إليكم مسلمين فخذوهم واقتلوهم أينما كانوا، فهم الذين جعلنا لكم الحجة البينة على قتلهم وأسرههم.

(٨٣) وإذا جاء هؤلاء الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم أمر يجب كتمانته فيه سرور أو خوف أفشوه ونشروه، ولو رد هؤلاء ما جاءهم إلى رسول الله ﷺ وإلى أهل العلم والفقهاء لعلوا هل يجوز إفشاؤه أو كتمانته، ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لاتبعتم وساوس الشيطان إلا قليلا منكم.

(٨٤) فجاهد - أيها الرسول - في سبيل الله لإعلاء كلمته، ورغب المؤمنين الذين آمنوا برسالتك وحثهم على الجهاد، لعل الله يمنع بك وبهم بأس الكافرين وشدتهم، والله أشد قوة وأشد عقوبة للكافرين.

(٨٥) ومن يسع لحصول غيره على الخير يكن له بشفاعته نصيب من الثواب، ومن يسع لإيصال الشر إلى غيره يكن له حظ من الوزر والإثم، وكان الله على كل ما يعمله الإنسان شهيدا وسيجزيه عليه.

(٨٦) وإذا سلم عليكم أحد من المسلمين فردوا السلام عليه بأفضل مما سلم عليكم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم والرد بالأحسن أفضل، إن الله تعالى سيجازي كلا بعمله.

(٨٧) الله لا معبود بحق غيره، ليجمعنكم يوم القيامة ليحاسبكم ويجازيكم ولا أحد أصدق حديثا من الله فيما يخبركم.

(٨٨) فما شأنكم - أيها المؤمنون - في المنافقين صرتم فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم، وأخرى تقول: لا نقاتلهم، والله



﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمْتُ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ ۞

تقتلوا أحدًا إلا بينة أنه كافر حلال الدم، إن الله تعالى كان بما تعملون خبيرًا، لا يخفى عليه شيء من أموركم. لا يستوي من لم يخرجوا في الجهاد بدون عذر، والذي خرجوا للجهاد في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين ببذل أموالهم وأنفسهم على القاعدين عن الجهاد درجة، وكلا من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد لعذر وعد الله الحسنَى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين ثوابًا عظيمًا.

(٩٢) هذا الثواب العظيم منازل بعضها فوق بعض، ومغفرة لذنوبهم ورحمة واسعة ينعمون فيها، وكان الله غفورًا لمن تاب إليه من عباده، رحيمًا للمجاهدين في سبيله.

(٩٣) إن الذين تتوفاهم الملائكة وهم ظالمون لأنفسهم بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام مع قدرتهم عليها، تقول لهم الملائكة توييخا لهم، في أي شيء كنتم من أمر دينكم حين لم تهاجروا؟ فيجيئون كنا ضعفاء عن دفع الظلم والقهر عنا، فتقول الملائكة توييخا لهم: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا من بلادكم إلى بلاد أخرى لتأمنوا على دينكم وأنفسكم، أولئك مثوهم النار وساءت مرجعًا ومآبًا لهم.

(٩٢) وما كان ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمنا بغير حق إلا أن المؤمن قد يقتل المؤمن خطأ، بدون قصد أو لا يعلم أنه مؤمن، فعليه عتق رقبة مؤمنة، وتسليم دية إلى أوليائه، إلا أن يعضوا فتسقط، فإن كان المقتول من أعدائكم وهو مؤمن فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة ولا دية عليه، وإن كان القتيل من قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد، فعلى قاتله دية تسلم إلى أوليائه وعتق رقبة مؤمنة، فمن لم يقدر على عتق رقبة مؤمنة فعليه أن يصوم شهرين متتاليين لیتوب الله تعالى عليه، وكان الله عليماً بما يصلح عباده، حكيماً بما يقضى فيهم.

(٩٣) ومن يقتل مؤمنا متعمدا قتله بغير حق، فجزاؤه أن يدخله الله جهنم يمكث فيها خالدًا ويسخط الله عليه ويطرده من رحمته، وأعد له العذاب الشديد.

(٩٤) يا أيها الذين آمنوا بالله وصدقوا برسوله إذا سرتهم - أيها المؤمنون - سيرا لله في جهاد أعدائكم فتأنوا في قتل من أشكل عليكم أمره، ولا تقولوا لمن استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرًا لكم أنه من أهل ملتكم: لست مؤمنا فقتلوه تطلبون بقتله متاع الدنيا كالغنيمة، فعند الله مغانم كثيرة، كذلك كنتم في بدء الإسلام تخفون إيمانكم عن قومكم الكفار والمشركين، فمن الله عليكم وأعزكم، فلا

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

فإذا سجدت الجماعة التي معك كانوا من ورائكم، ولتأت جماعة أخرى وهؤلاء الجماعة تكون مواجهة العدو وليأخذوا سلاحهم، تمنى الكافرون من عدوهم أن تغفلوا عن أسلحتكم وزادكم إذا صليتم فيحملوا عليكم حملة واحدة، فيقضوا عليكم، ولا إثم عليكم إن أصابكم أذى بسبب المطر، أو كنتم في حال مرض أن تتركوا أسلحتكم، مع أخذ الحذر، إن الله تعالى هيا للكافرين عذاباً مهيناً لهم.

(١٠٣) فإذا أدبتم الصلاة فأدبوا ذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم، فإذا زال الخوف وأمتتم فأدوا الصلاة تامة بأركانها، فإنها فريضة في أوقات مقررة، لا يجوز تأخيرها إلا بعذر.

(١٠٤) ولا تضعفوا ولا تكسلوا في طلب عدوكم، إن تكونوا تتألمون من القتال فهم يتألمون مثلكم فلا تكفوا عن قتال العدو فإنكم ترجون من الله الأجر في الآخرة والنصر على عدوكم وهم لا يرجونه، وكان الله عليماً بأحوال عباده، حكيماً في تدبيره وتشريعته.

(١٠٥) إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملاً على الحق لتفصل بين الناس في كل شئوهم بما بصرك الله به وألهمك فلا تكن عن الخائنين مدافعاً، بما أبدوه لك من القول المخالف للحقيقة.

(٩٨) ويستثنى من ذلك المصير العجزة من الرجال والنساء والأطفال الذين لا يقدر على دفع القهر والظلم عنهم، ولا يهتدون طريقاً يخلصهم مما هم فيه من الظلم والقهر.

(٩٩) فهؤلاء الضعفاء هم الذين يرجى لهم من الله العفو، وكان الله كثير العفو لعباده، غفوراً لمن تاب إليه.

(١٠٠) ومن يهاجر من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ابتغاء مرضاة الله، يجد في الأرض التي هاجر إليها متحولاً ينال فيه العزة والرزق الواسع، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل وصوله إلى مهاجره فقد ثبت أجره على الله بمجرد خروجه من وطنه إلى الله ورسوله، وكان الله غفوراً لمن تاب إليه، رحيماً بعباده المؤمنين.

(١٠١) وإذا سافرت في أرض الله فليس عليكم إثم في قصر الصلاة الرباعية إلى ركعتين إن خشيتهم من عدوان الكفار عليكم، إن الكافرين مجاهرون لكم بعداوتهم فاحذروهم، والقصر كان في بداية الإسلام خوفاً من عداوة الكفار، والآن هو رخصة في السفر حال الأمن فاقبلوا رخصة الله كما جاء في الحديث الصحيح.

(١٠٢) وإذا كنت - أيها الرسول - في الجهاد وحضرت الصلاة فأردت أن تصلي بهم، فلتقم جماعة منهم تصلي معك وليأخذوا سلاحهم، ولتكن طائفة أخرى مواجهة للعدو،



﴿ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
مَنْ كَانَ حَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

(١٠٦) واطلب المغفرة من الله، إن الله كان غفوراً لمن تاب إليه، (١٠٧) ولا تخاصم عن الذين يخونون أنفسهم ولا تدافع عنهم رحيمًا به. إلا بالبينّة، إن الله لا يحب الخونة الذين كثرت ذنوبهم.

١٠٣ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً :

لاحظ العلماء العديد من الفوائد الطبية التي يجنيها من يحافظ على دقة مواعيد الصلاة وتوصلوا إلى النتائج الآتية:

أ - تتوافق مواعيد النوم بعد العشاء مباشرة والاستيقاظ المبكر لصلاة الليل ثم الصباح مع مواعيد الساعة البيولوجية التي تنظم عمل الأجهزة في الجسم حيث تبدأ دورة منضبطة مع استقبال أول ضوء وحتى حلول الظلام « ومن هنا جاءت الحكمة النبوية بالنهي عن السمر بعد العشاء».

ب - يتوافق الاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر مع تلاقي الارتفاع المفاجيء لضغط الدم مما يؤدي وحدث الأزمات القلبية ونزيف المخ نتيجة لذلك ، كما أن السعي للمسجد في هذا الوقت هو نوع من رياضة البدن التي تؤدي إلى التقليل من ارتفاع ضغط الدم وتحسين وضع الدهون في الدم وإزالة التوتر العصبي الذي ثبت ضلوعها في حدوث الأزمات القلبية والمخية.

ومن ذلك أنه يندر بين المصلين أن تجد أشخاصاً يعانون من أمراض في العمود الفقري، فإن طبيعة الركوع والسجود والقيام هي صحة للعمود الفقري، فتندر بين المصلين حصول الدوالي، وجلطات الأوردة العميقة، ويندر بين المصلين الاحتقان الدموي في الحوض الذي يسبب البواسير ونزيف الرحم.

ويندر بين المصلين التيه وخرف الشيخوخة، لأن السجود من شأنه أن يروي الدماغ بالدم، والتيه وخرف الشيخوخة في بعض أسبابه نقص في تروية أوعية المخ ، لذلك فإن السجود يجعل الدم ينصب على أوعية الرأس بشكل قهري بفعل الجاذبية.

ومن المعلوم أن الصلاة نفسها يتحول وقت أدائها طوال السنة، فوقت صلاة الفجر أو المغرب مثلاً ليس هو نفسه شتاءً وصيفاً، وهذا يؤدي إلى ملاحظة أن أوقات أداء الصلوات الخمس تتحول مثلما تتحول أوقات الذروة لمختلف الإيقاعات البيولوجية. وإذا ما افترضنا أن صلاة ما لها فائدة من أدائها في وقت معين، كي تناسب ذروة من الذروات ، فإن تحول وقت الصلاة لا يعني ابتعادها عن وقت الذروة المناسبة لها كما ذكرنا، ذلك أن هذه الذروة نفسها غير ثابتة، وتتحول أيضاً حسب دورة الضوء والظلام كمؤثر خارجي. وهكذا تتناسب أوقات الصلاة مع نظام الحياة اليومي وأحوال جسم الإنسان كالتالي:

- ١- فيأتي الفجر وفي هذا الوقت الطيب المبارك يزداد الهرمونات المنشط لوظائف الجسم، وذلك إيداناً ببدء النشاط اليومي للإنسان ، لذا ترى الإعجاز النبوي في بركة البكور « بورك لأمتي في بكورها».
- ٢- ويأتي الظهر والإنسان في ذروة العمل والنشاط، لكنه يحتاج إلى راحة قليلة واستراحة قصيرة حتى يتجدد النشاط ويتوقف الملل من العمل.. فتأتي صلاة الظهر ، ولعلك تلمس الإعجاز النبوي في قول النبي ﷺ: « أرحنا بها يا بلال».
- ٣- وتأتي صلاة العصر بعد تعب الجسم من عمل النهار، والسعي على المعاش بعد راحة ظهرية بنومة القيلولة، تأتي الصلاة إيداناً بنشاط جديد لاستئناف العمل للنصف الآخر من اليوم (من العصر حتى العشاء) وهنا نقف مع الإعجاز النبوي الجديد في نومة القيلولة (قلوا فإن الشياطين لا تقيل) ..
- ٤- وتأتي صلاة المغرب في نهاية صخب النهار وبدء سكون النفس والعقل .. كأنها فترة هدوء واستجمام .. فسبحان الذي خلق فسوى وقدر فهدى.
- ٥- وأخيراً تأتي صلاة العشاء إيداناً بالراحة والنوم حتى يستيقظ آخر الليل أو في نشاط وحيوية، ويستطيع قيام الليل بسهولة ويسر.

﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَاتَمْتُمْ هَوَالًا جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجِدِ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ، جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا سَيِّطِنَا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ ۞

والنور ما لم تكن تعلم قبل ذلك، وكان فضل الله عليك بالنبوة والعصمة عظيمًا.

(١١٤) لا خير في كثير من الكلام الذي يسره الناس، إلا إذا كان حديثًا داعيًا إلى بذل المعروف من الصدقة أو الكلمة الطيبة، أو دعوة إلى الإصلاح بين المتنازعين ومن يفعل ذلك طلبًا لرضا الله فسوف نؤتيه ثوابًا عظيمًا.

(١١٥) ومن يعاند الرسول من بعد ما ظهر له الحق، ويسلك طريقًا غير طريق المؤمنين، تتركه وما اختار لنفسه، فلا نوقفه للخير، وندخله نار جهنم يعاني حرها، وبئس هذا المرجع والمآل.

(١١٦) إن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به أحد من مخلوقاته، ويتجاوز ويغفر ما دون الشرك من المعاصي لمن يشاء، ومن يجعل لله تعالى شريكًا من خلقه فقد ضل عن الحق ضلالًا بعيدًا.

(١١٧) ما يدعو هؤلاء المشركون عند الحاجة من دون الله إلا أصنامًا لها أسماء مؤنثة: كالات والعزى وغيرها لا تضر ولا تنفع، ولا يدعون في الحقيقة إلا شيطانًا متمرّدًا.

(١١٨) ولذلك طرده الله من رحمته، وقال الشيطان لربه حالفًا لأتخذن من عبادك جزءًا معلومًا بإغوائهم عن الحق.

(١٠٨) يستترون من الناس أن لا يطلعوا على معصيتهم، ولا يستترون من الله وهو معهم بعلمه حين يدبرون ليلاً ما لا يرضى من القول، وكان الله محيطًا بأقوالهم وأفعالهم، لا يخفى عليه شيء وسيحاسبهم يوم القيامة.

(١٠٩) ها أنتم تدافعون عن هؤلاء الخونة في الحياة الدنيا، فمن يدافع عنهم يوم القيامة، ومن ذا الذي يكون وكيلًا عليهم.

(١١٠) ومن يعمل عملاً سيئًا أو يظلم نفسه بارتكاب المعاصي، ثم يرجع إلى الله نادماً على ما ارتكب راجياً مغفرتة، يجد الله تعالى غفوراً له، رحيماً به.

(١١١) ومن يعمد إلى ارتكاب ذنب فإنما عقوبته عليه وحده، وكان الله عليماً بأعمال العباد، حكيماً فيما يقضى به بين خلقه.

(١١٢) ومن يعمل خطيئة بغير عمد أو يرتكب ذنباً عمداً، ثم يتهم به إنساناً بريئاً من ذلك الذنب فقد تحمل كذباً وذنباً بينا.

(١١٣) ولولا أن الله تفضل عليك - أيها الرسول - فعضمك بتوفيقه وتبيانه لك أمر هذا الخائن فكففت عن الجدال عنه، لعزمت جماعة من الذين يخونون أنفسهم أن يزلوك عن طريق الحق وما يزلون بذلك إلا أنفسهم، وأنزل الله عليك القرآن والسنة، وعلمك من الهدى



﴿ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَيَّنَتْهُمْ وَلَا مَرَّنَتْهُمْ فَلَيَبْتَكَنَّ ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرَّيْتُمْ فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ، وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ .

- (١١٩) ولأصدد من تبني منهم عن الحق ولأمنيهم بالوعود الكاذبة، ولأدعونهم إلى تقطيع آذان الأنعام لتحريم ما أحل الله منها، ولأدعونهم إلى تغيير خلق الله وفطرته، ومن يستجيب للشيطان ويتخذه ولياً يتولاه من دون الله عز وجل فقد هلك هلاكاً بيناً.
- (١٢٠) يعد الشيطان أتباعه الوعود الكاذبة، ويغريهم بالأمني الباطلة، وما يعدهم الشيطان إلا باطلاً لا حقيقة له.
- (١٢١) أولئك الذين اتبعوا الشيطان مآلهم جهنم ما يجدون مكاناً يفرون إليه.
- (١٢٢) والذين صدقوا بما أنزل الله على محمد ﷺ وأدوا فرائض الله التي فرضها عليهم، سوف يدخلهم يوم القيامة جنات تجري الأنهار من تحتها، ماكين فيها أبداً عدة من الله تعالى الذي لا يخلف الميعاد، ولا أحد أصدق من الله تعالى في قوله ووعد.
- (١٢٣) ليس أمر النجاة في الآخرة بالأمني التي تتمنون - أيها المسلمون - ولا بأمني أهل الكتاب، وإنما الفلاح والفوز في الآخرة للمؤمنين الصادقين، فمن يعمل من بني آدم عملاً سيئاً يجز به إلا من تاب، ومن لم يتب فليس له يوم القيامة ولي ولا نصير.
- (١٢٤) إنما يدخل الجنة وينعم فيها في الآخرة من يعمل الصالحات من ذكوركم وإناثكم وهو مؤمن، ولا ينقص الله من ثواب عملهم مقدار النقرة في ظهر النواة.
- (١٢٥) ومن أحسن ديناً وأصوب طريقاً من أسلم وجهه لله تعالى فانقاد له بالطاعة، وهو عامل بما أمره به ربه، واتبع دين إبراهيم وشرعه وهو الإسلام - ماثلاً عن العقائد الفاسدة، واصطفى الله نبيه إبراهيم عليه السلام خليلاً من بين سائر خلقه.

١١٩-١٢٠ تفيد بأن محاولات الشيطان لاحتلال البشر ستشمل إغواءهم بالقيام بأعمال تنتهي إلى تغيير في خلقة الله ومنها التغيير في طبيعة الغذاء إلى الحيوانات التي تؤكل لحمها فقد حدث لها جنوب البقر بعد أن أضيف إلى غذائها سحوق اللحم والدم والعظم وأدى ذلك إلى تلف أمخاخها وأمخاخ الإنسان الذي أكل من لحمها وكذلك بالنسبة إلى تغير الفطرة في مسألة إنتاج الكائنات الحية فقد أدى الإستهانة عن أحد الزوجية في استنساخ النعجي دولي والتي ثبت بعد استنساخها واستنساخ العديد من الحيوانات إلى رفض فكرة الاستنساخ التكاثري لما أثبتته التجاري من ظهور الأمراض العديدة مما أدى إلى نفوق هذه الحيوانات وخسائر اقتصادية كثيرة وهنا يتحقق مع قول الله عز وجل (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) فما جنوا من ذلك إلا خسائر في أنفس أموالهم ويتحقق هذا مع قول الله تعالى عز وجل (ومن يطع الشيطان فقد خسِر خسرانا مبينا).

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَرَّغِبُونَ أَنْ تُنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَعْدِلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَا بَعْضُكُمْ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ۞

زوج ولا هي مطلقة فتأثموا، وإن تصلحوا أعمالكم فتعدلوا بينهن في القسمة وأداء الحقوق الواجبة، وتخافوا الله فيهن، فإن الله كان غفورا لمن تاب، رحيمًا بكم.

(١٣٠) وإن وقعت الفرقة بين الرجل وامرأته بالطلاق أو الخلع، فإن الله تعالى يغني كلا منهما من فضله، فإن الله واسع الفضل، حكيم فيما يقضي به بين عباده.

(١٣١) والله وحده ملك ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، ولقد عهدنا إلى أهل الكتاب من قبلكم وعهدنا إليكم يا أمة محمد بتقوى الله والقيام بأمره واجتناب نهيه، وإن تكفروا بهذا العهد فلن تضروا إلا أنفسكم فالله غني عن طاعتكم، فله ملك ما في السموات وما في الأرض، وكان الله غنيا عن خلقه، حميدا في صفاته وأفعاله.

(١٣٢) والله ملك جميع ما حوته السموات والأرض وهو القيم بجميعه، وكفى به سبحانه قائمًا بشئون خلقه وتدييره.

(١٣٣) وإن يشأ الله يهلككم - أيها الناس - ويأت بقوم آخرين غيركم يطيعونه ولا يعصونه، وكان الله على ذلك قديرًا.

(١٣٤) من كان منكم - أيها الناس - يريد بعمله ثواب الدنيا فقط فليعلم أن عند الله خيري الدنيا والآخرة، فليطلب خيرهما، وكان الله سميعًا بصيرًا.

(١٢٦) والله وحده ملك ما في السموات وما في الأرض، وكان الله تعالى بكل شيء محيطًا لا يخفى عليه شيء منه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

(١٢٧) يسألك - أيها الرسول - الناس في أمر النساء والواجب لهن وعليهن، قل الله يبين لكم ما سألتكم عنه، وما يتلى عليكم في القرآن في شأن اليتامى من النساء اللاتي تحت ولايتكم، لا تعطونهن ما فرض الله لهن من المهر والميراث، وتحبون نكاحهن أو ترغبون عن نكاحهن، ويبين لكم ما يجب في المستضعفين من الصغار، ووجوب القيام لليتامى بالعدل وترك الجور عليهم، وما تفعلوا من خير لليتامى فإن الله عليم به وسيجازيكم به يوم الحساب.

(١٢٨) وإن علمت امرأة من زوجها استعلاء بنفسه عنها إلى غيرها، فلا إثم عليهما أن يتصالحا بأن تتنازل عن بعض الحقوق، والصالح خير لهما من الفراق بينهما، وجبلت النفوس على الحرص والبخل، وإن تحسنوا معاملة زوجاتكم وتخافوا الله فيهن فإن الله كان بما تعملون خبيرًا لا يخفى عليه شيء وسيجازيكم به.

(١٢٩) ولن تقدرُوا - أيها الرجال - أن تسووا بين نساءكم في الحب وميل القلب ولو حرصتم على ذلك، فلا تميلوا كل الميل عن التي لا تحبونها فتتركوها مثل التي ليست بذات



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالَّذِي نَزَّلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ أَبْتِغُوا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَةَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَرْتَضُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ .

(١٣٥) يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام بالعدل مؤدين الشهادة لله على الحق، ولو كانت على أنفسكم، أو على والديكم، أو على أقاربكم، أو كان المشهود عليه غنيا غنيا فلا تحابوه، أو فقيرا فتركوا شهادة الحق رحمة به، فالله أولى بهما ويعلم بما فيه صلاحهما، فلا يحملنكم الهوى على ترك العدل، أو تبديل الشهادة أو كتمانها، فإن الله تعالى كان عليما بدقائق أعمالكم، خيرا فيجازيكم بها خيرا كانت أو شرا.

(١٣٦) يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسولي محمد ﷺ اثبتوا على إيمانكم به وداوموا على شرعه الذي نزل في القرآن، وصدقوا الرسل الذين جاؤوا من قبلكم وصدقوا بالكتب التي أنزل الله عليهم، ومن يكفر بالله وبنبوة محمد وبملائكته وبكتبه المنزلة وبرسوله المبعوثين إلى البشر لهديتهم وبيوم القيامة، فقد بعد عن الطريق السوي بعدا كبيرا.

(١٣٧) إن الذين دخلوا في الإيمان، ثم رجعوا عنه إلى الكفر، ثم عادوا إلى الإيمان، ثم رجعوا إلى الكفر وتمادوا في كفرهم وماتوا عليه، لم يكن الله ليغفر ذنوبهم، ولا ليدلهم على طريق الحق.

(١٣٨) بشر - أيها الرسول - المنافقين بأن لهم يوم القيامة عذابا مؤلما دائما.

(١٣٩) والمنافقون هم الذين يوالون الكافرين ويسرون إليهم بالمودة، ويتركون موالاتة المؤمنين، يطلبون عندهم النصر والمنعة؟ فالنصرة والعزة جميعا لله تعالى لا لغيره.

(١٤٠) وقد نزل الله عليكم - أيها المؤمنون - في القرآن أنكم إذا جلستم في مجلس المنافقين وسمعتهم فيه من يكفر بآيات الله ويستهزئ بها، فلا تجلسوا معهم، فإذا أتم مثلهم، فإذا تركوا الكفر بآيات الله والاستهزاء بها في مجالسهم وكان حديثهم في غيرهما فاجلسوا معهم، إن الله تعالى يجمع المنافقين والكافرين في نار جهنم يوم القيامة.

(١٤١) المنافقون هم الذين ينتظرون ما يحصل لكم في الحرب، فإن حصل لكم فتح على عدوكم وغنتم بفضل الله، قالوا: ألم نكن نجاهد عدوكم معكم لينالوا من الغنمة، وإن كان لأعدائكم حظ منكم، قال المنافقون للكافرين: ألم نساعدكم بما قدمنا لكم ونحملك من المؤمنين؟ فالله يحكم بينكم جميعا يوم القيامة ولن يجعل الله فضله للكافرين الغلبة على المؤمنين فالعاقبة للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

(١٤٢) إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، والله يخادعهم حيث يعصم دماءهم مع علمه بكفرهم، وإذا قام هؤلاء المنافقون لأداء الصلاة قاموا إليها في فتور، يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة، ولا يذكرون الله تعالى في صلاتهم إلا قليلا.

﴿ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآ إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفِّفُوا أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾

(١٤٣) هؤلاء المنافقون مترددون في حيرة، فلا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكافرين، ومن يضلل الله فلن تجد - أيها الرسول - طريقا لهديته.

(١٤٤) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا توالوا الكفار، وتتركوا موالاة المؤمنين ومودتهم، أتريدون بفعلكم هذا أن تجعلوا لله عليكم حجة ظاهرة على عدم صدقكم في إيمانكم.

(١٤٥) إن المنافقين سيجعلهم الله في الطبقة الأسفل من أطباق جهنم يوم القيامة، ولن تجد لهم - أيها الرسول - نصيرا يدفع عنهم العذاب.

(١٤٦) إلا الذين تابوا من المنافقين وأصلحوا باطنهم وتمسكوا بعهد الله، وأخلصوا عملهم لله تعالى، فأولئك المتصفون بهذه الصفات مع المؤمنين في الدنيا والآخرة، وسوف يعطي الله المؤمنين ثوابا عظيما.

(١٤٧) ما يصنع الله - أيها المنافقون - بعذابكم إذ أنتم تبتم إلى الله وشكرتم، وكان الله شاكرا لعباده على طاعته له، عليما بأعمالكم لا يخفى عليه شيء.

(١٤٨) لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوما فرخص له بالدعاء على الظالم، وإن صبر فهو خير له، وكان الله سميعا لأقوالكم، عليما بما تخفون من ذلك.

(١٤٩) إن تظهروا - أيها الناس - خيرا، أو تعفوا عن أساء إليكم، والعفو أفضل لكم، فإن من صفاته تعالى العفو عن عباده مع قدرته عليهم.

(١٥٠) ومن اليهود والنصارى من يكفرون بالله ورسوله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون نصدق بهذا ونكذب بهذا كما فعلت اليهود بتصديق موسى وتكذيب عيسى لأنهم لا يعترفون بنبوته، والنصارى مثلهم صدقوا بعيسى وكذبوا محمدا لأنهم لا يعترفون بنبوته محمد، ويريد المفرقون بين الله ورسوله اتخاذ طريق وسط بين الكفر والإيمان يزعمون أنها الحق.

(١٥١) أولئك الذين يسلكون هذا الطريق لا شك في كفرهم، وأعد الله لهم عذابا مهينا.

(١٥٢) والذين صدقوا الله ووجدوه وصدقوا رسوله جميعا ولم يفرقوا بين أحد منهم، هم الذين سوف يعطيهم ثوابا على إيمانهم، وكان الله غفورا لعباده، رحيمًا بهم.

(١٥٣) يسألك - أيها الرسول - اليهود أن ينزل الله من السماء كتابا مكتوبا مثل توراة موسى عليه السلام، فلا تعجب فإن أسلافهم سألوا موسى عليه السلام أعظم من ذلك أن يريهم الله علانية فماتوا بالصعقة عقابا لهم على سؤالهم، ثم أحياهم الله، ثم عبدوا العجل من دون الله بعدما شاهدوا الآيات البينات، ثم تجاوزنا عنهم بعدما تابوا، وآتينا موسى حجة عظيمة تؤيد صدق نبوته.



﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسٍ وَأَغْرَسْنَا فِيهَا ذُرِّيَّتَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَبِئْسَ الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَاهَرُ مَنْ أَلْزَمَهُمْ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحْلَتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَد نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنَّ الرِّسْحُونَ فِي الْعَالَمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ .

- (١٥٤) ورفعنا فوق رؤوسهم جبل الطور بسبب امتناعهم عن أخذ العهد المؤكد والعمل به، وقلنا لهم - والجبل على رؤوسهم - ادخلوا باب بيت المقدس سجدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقلنا لهم: لا تعتدوا بالصيد يوم السبت، فاعتدوا وصادوا، وأخذنا عليهم عهدًا موثقًا فنقضوه.
- (١٥٥) فطرنا اليهود من رحمتنا لأنهم نقضوا العهد وكفروا بآيات الله التي تصدق رسله، وقتلوه بغير حق، وقالوا لك - يا محمد: قلوبنا في غطاء فلا نفقه ما تقول، بل ختم الله على قلوبهم لأجل جحودهم فلا يؤمنون إلا إيمانًا قليلًا لا ينفعهم.
- (١٥٦) وكذلك لعناهم بسبب كفرهم، وبسبب رميهم مريم بالزنا لعنة الله عليهم، وهي بريئة منه.
- (١٥٧) ولعنهم الله بأنهم قالوا كذبا: إنا قتلنا عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوا عيسى وما صلبوه، ولكن قتلوا رجلاً آخر ألقى الله عليه شبه عيسى، فصلبوه ظنًا منهم أنه عيسى، والذين ادعوا قتله من اليهود، كلهم في حيرة وشك لا علم لهم، وإنما اتبعوا الظن فقط، وما قتلوا عيسى يقينًا.
- (١٥٨) وبسبب ظلم اليهود وبغيهم حرّم الله عليهم بعض المأكولات الطيبة التي كانت حلالاً لهم وبسبب صدهم أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله.
- (١٦٠) وبتعاملهم بالربا بعد أن نهاهم الله عنه، وبأخذ أموال الناس بغير حق شرعي، وأعدنا للكافرين بالله ورسوله من هؤلاء اليهود عذابًا موجعًا في الآخرة.
- (١٦٢) لكن الثابتون في الدين والتمسكون في العلم من اليهود والمؤمنون من أمته - أيها الرسول - يؤمنون بما أنزل الله إليك وهو القرآن والسنة، وبما أنزل على الأنبياء السابقين، وهم يؤدون الصلاة في أوقاتها، ويخرجون زكاة أموالهم ويؤمنون بالله، ويوم البعث، أولئك المتصفون بهذه الصفات سنعطئهم ثوابًا عظيمًا.

١٥٥ مر معنا سابقاً في بداية سورة البقرة كلام يتعلق بالقلب وأن له تأثيراً على شخصية الإنسان ومداركه، لذلك يستفاد من ذكر قضية الطبع على القلب ما يحصل من عدم حصول الاستجابة الإيجابية عند الإنسان المطبوع على قلبه فلا يستفيد شيئاً مما يسمعه أو يراه أو يدركه.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ وَنُوحًا وَدَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١١٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٢١﴾ ﴾ .

على الكفر، لم يكن الله ليغفر ذنوبهم ولا ليرشدهم إلى طريق تنجيهم من عذاب الله.

(١٦٩) إلا الطريق المؤدية إلى دخول جهنم مقيمين فيها أبدًا، وكان ذلك على الله هينًا.

(١٧٠) يا أيها الناس قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالإسلام الذي ارتضاه الله لعباده دينا، فصدقوه وصدقوا بما جاءكم به من عند ربكم فإن الإيمان بذلك خير لكم من الكفر به، وإن تكفروا برسالته وتكذبوا به فإن الله غني عن إيمانكم، والله ما في السموات والأرض ملكًا وخلقًا، وكان الله عليماً بمن يستحق الهداية، حكيماً في أقواله وأفعاله وقدره.

(١٧١) يا أهل الكتاب الذين أوتوا الإنجيل لا تتجاوزوا الحق في دينكم فتنفطروا فيه ولا تقولوا في عيسى غير الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله أرسله إلى أهل الكتاب بالحق، وخلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم، وهي قوله «كن» فكان وهي نفخة من الله نفخها جبريل بأمر ربه، آمنوا بالله ورسله جميعاً دون تفريق بينهم، ولا تقولوا: الأرباب ثلاثة، انتهوا عن هذه المقولة الكاذبة يكن ذلك خيراً لكم في الدنيا والآخرة، إنما الله إله واحد سبحانه لا شريك له ليس له صاحبة ولا ولد، بل له ملك السموات وملك الأرض، وكفى بالله قيماً ومدبراً ورازقاً.

(١٦٣) إنا أرسلنا إليك - أيها الرسول - كما أرسلنا إلى نوح وإلى سائر الأنبياء من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط (وهم الأنبياء من ولد يعقوب كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة) وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان عليهم السلام، وآتينا داود عليه السلام كتاباً مكتوباً.

(١٦٤) وأرسلنا رسلاً كثيراً، قد قصصنا منهم عليك في القرآن من قبل هذه الآية، ورسلاً منهم لم نقصصهم عليك فيه، ولحكمة تركناهم، وكلم الله موسى دون وساطة تكريماً له.

(١٦٥) وأرسلنا رسلاً إلى بني آدم مبشرين بالثواب يوم الجزاء، ومنذرين من العقاب يوم الحساب، حتى لا تكون للناس حجة على الله بعد إرسال الرسل، وكان الله عزيزاً في ملكه، حكيماً في قضائه.

(١٦٦) إن يكفر اليهود بالذي أوحينا إليك، فالله يشهد بأنك رسوله، أنزل عليك القرآن بعلمه، وكذلك الملائكة يشهدون بصدق ما أوحى إليك، وكفى بالله شهيداً.

(١٦٧) إن الذين جحدوا نبوتك من أهل الكتاب بعد علمهم بها، وصدوا الناس عن الإسلام، قد ذهبوا عن قصد السبيل وزالوا عن المحجة إلى المهالك.

(١٦٨) إن الذين كفروا بالله وبرسوله وظلموا أنفسهم ببقائها



﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَأَسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرُؤُا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾

- (١٧٢) لن يأنف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون، ومن يأنف أن يقر بالعبودية ويستكبر فسيحشرهم كلهم إلى الله يوم القيامة ويجازى كلا بما يستحق.
- (١٧٣) فأما الذين صدقوا بالله وبوحدانيته وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله، فسيعطيهم ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله، وأما الذين تكبروا عن الإقرار لله بالعبودية، وعن التذلل له، فيعذبهم عذابا موجعا، ولا يجدون من دون الله من يتولاهم، ولا نصيرا ينصرهم في الدارين.
- (١٧٤) يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وهو محمد ﷺ الذي جعله الله عليكم حجة قطع بها عذرکم، وأنزلنا إليكم نورا مبينا هو هذا القرآن الذي جاء به محمد ﷺ من ربه.
- (١٧٥) فأما الذين صدقوا الله وأقروا بوحدانيته وتمسكوا بالقرآن الذي أنزل على نبيهم فسيدخلهم الجنة رحمة منه، ويزيدهم ثوابا، ويوفقهم لسلك الطريق المستقيم الموصل إلى رضوان الله.
- (١٧٦) يسألونك - أيها الرسول - عن حكم ميراث الذي مات وليس له ولد ولا والد، قل: الله يبين لكم الحكم فيها، إن مات شخص ليس له والد ولا ولد، وله أخت شقيقة أو أخت لأبيه فلها نصف ما ترك من المال، ويرث أخوه الشقيق أو لأب جميع المال تعصيبا إن لم يكن معه صاحب فرض، فإن كان لمن مات كلاله أختان فلهما الثلثان مما ترك، وإذا اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل نصيب الأنثيين من أخواته، يبين الله لكم حكم ميراث من لا ولد له ولا والد؛ لثلاثا تضلوا عن الحق، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.



سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَئِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ۞

- (١) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بشرع الله أتوا (٣) العهود الموثقة بينكم وبين رسوله في أمور الدين والدنيا، سواء كان من الجاهلية أو الإسلام إذا لم يكن مخالفا للإسلام. أحل الله لكم البهيمة من الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، إلا ما يقرأ عليكم تحريمه، وإلا ما حرم عليكم من الصيد البري في حال الإحرام بحج أو عمرة أو كنتم داخل الحرم، إن الله يحكم ما يشاء وفق حكمته وعدله.
- (٢) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، وعملوا بشرع الله لا تستحلوا حرمات الله التي أمرتم بتعظيمها، ولا تستحلوا القتال في الأشهر الحرم - وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب - ولا تستحلوا حرمة الهدى ولا المقلد منه للإشعار بأنه هدى، ولا تستحلوا قاصدي بيت الله الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معاشهم ويرضى ربهم، وإذا حللتهم من الإحرام بحج أو عمرة وخرجتم من الحرم فاصطادوا إن شئتم، ولا يحملنكم بغض قوم بصددهم إياكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا - أيها المؤمنون - فيما بينكم على فعل الخير وتقوى الله، ولا تتعاونوا على إثم ومعصية، واخشوا أن تجاوزوا حدود الله، فإن الله شديد العقاب لمن عصاه.
- حرم الله عليكم - أيها المؤمنون - الميتة من الحيوان دون تذكية شرعية إذا كان أكلها حلالاً بعد ذبح، وحرم كذلك الدم المسفوح، ولحم الخنزير، وما ذكر عليه عند الذبح غير اسم الله، والتي تموت بالخنق، والتي تضرب بحجر أو بعصا حتى تموت، والتي تقع من علو إلى سفلى أو بئر فتموت، والتي نطحتها أخرى بقرنها فتموت، وما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر وغيرهما، إلا ما ذكيتن مما أحله الله بالتذكية، وحرم ما ذبح على الأوثان من الحجارة وغيرها، وأن تطلبوا علم ما قسم لكم أو لم يقسم بالأزلام، وهي قداح يستقسمون بها إذا أرادوا أمراً قبل الإقدام عليه، فعل تلك المحرمات المذكورة فسق وخروج عن طاعة الله - اليوم يبس الذين كفروا - من ارتدادكم عن دينكم؛ لما رأوا من قوته، فلا تخافوهم وخافوني وحدي، اليوم أكملت لكم دينكم الذي هو الإسلام، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ورضيت لكم الإسلام فالزموه فلا أقبل ديناً غيره، فمن اضطر بسبب مجاعة إلى الأكل من الميتة غير مائل للإثم، فلا إثم عليه، فإن الله غفورٌ له، رحيم به.



﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلُّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مَتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾﴾.

- (٤) يسألك - أيها الرسول - أصحابك ماذا أحل لهم أكله (٥) اليوم أحل لكم الطيبات كلها، وذبائح اليهود والنصارى، ؟ قل لهم: أحل الله لكم ما طاب من المأكول، وصيد ما دربتموه من ذوات المخالب كالصقور، و ذوات الأنياب كالكلاب، تعلمونهن طلب الصيد، مما علمكم الله، فكلوا مما أمسكن لكم، واذكروا اسم الله عند إرسالها للصيد، واتقوا الله بامثال أوامره، والكف عن نواهيه، إن الله سريع الحساب.
- أحل لكم نكاح الحرائر العفائف من المؤمنات، وكذلك الحرائر العفائف من أهل الكتاب إذا أعطيتموهن مهورهن، وكنتم متعطفين عن ارتكاب الزنا غير متخذين عشيقات، ومن يكفر بشرائع الإيمان فقط بطل عمله، وهو يوم القيامة من الخاسرين.

٣ إن حكمة تحريم الميتة تتضح من خلال العلم الحديث حيث إن الجراثيم تنفذ إلى الميتة من الأمعاء والجلد والفتحات الطبيعية لكن الأمعاء هي المنفذ الأكبر فهي مفعمة بالجراثيم، لكنها أثناء الحياة تكون عرضة للبلعمة (الآكلة) ولفعل الخمائر التي تحللها، أما بعد موت الحيوان فإنها تنمو وتحلل خمائرها الأنسجة وتدخل جدر الأمعاء ومنها تنفذ إلى الأوعية الدموية واللمفاوية. وكلما طالت المدة بعد هلاك الحيوان كان التعرض للضرر أشد عند أكل الميتة لأن تبدل لحمها وفساده يكون أعظم.

الدم: ولقد حرم الله الدم لما يحتويه من سموم الأغذية وسموم البكتيريا التي في الدم والفيروسات الموجودة في الدم وكذلك حمض البوليك وبعض المواد الكيميائية الضارة

لحم الخنزير: وسوف يتم الحديث عن الأسباب العلمية في تحريم لحم الخنزير عند تفسير الآية رقم (١٤٥) من سورة الأنعام.

المنخنقة: والحكمة من حرمة أكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع لأنها يحتبس فيها الدم وما به من أضرار سبق الإشارة إليها، وبالنسبة لما أكل السبع فقد ثبت طبيياً أن الحيوانات السبعية المفترسة قد تكون مصابة أو حاملة لمسببات الأمراض التي تفرز في لعابها مثل (الكلب).

٤ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ ..﴾، والعلة العلمية في ذلك أن الكلب إذا لم يكن معلماً فإنه يصيد نفسه وإذا صاد لنفسه هم بأكله وإذا هم بأكله يفرز فيروسات ضارة من لعابه تضر من يأكله بعده، أما في حال كونه معلماً فإنه لا يهتم بالأكل من الصيد ولذلك فإنه يفرز هذه المادة الضارة فقد قاس العلماء أن كمية اللعاب المتدفقة من فم الكلب عند تفكيره في الطعام أو حتى رؤيته فوجدوه بكميات كبيرة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

الماء فعليه أن يتيمم ويصلي، والتيمم على الصعيد الطيب أن يضرب يديه عليه وان يمسح وجهه ويديه، ما يريد الله أن يضيق عليكم في الوضوء والغسل عند عدم وجود الماء في الحضر أو السفر أو حال المرض إتماماً لنعمته عليكم لعلكم تشكرونها على ما أنعم عليكم ولا تكفرونها.

يأبها المؤمنون اذكروا نعمة الله التي أتمها عليكم أن هداكم للإسلام، واذكروا ميثاقه الذي واثقكم حين بايعتم رسوله محمداً ﷺ على السمع والطاعة في جميع أحوالكم إذ قلتم سمعنا وأطعنا، واتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، إن الله عليم بما في الصدور.

(٦) يا أيها الذين آمنوا إذا جاء وقت الصلاة أو أردتم أن تصلوا تطوعاً وأتم على غير وضوء فتوضئوا وصلوا: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم مع الكعبين، وإن كنتم جنباً فتطهروا بالغسل قبل الصلاة، وإن كنتم مرضى أو كنتم مسافرين، أو قضى أحدكم حاجته من غائط أو بول، فتوضئوا إن كنتم قادرين على استعمال الماء والماء موجود، وإن لم تكونوا قادرين على استعمال الماء لمرض فتيمموا وصلوا، وكذلك إذا جامع المسافر زوجته فعليه الغسل إذا وجد الماء وهو قادر على استعماله وإن لم يكن قادراً على استعمال

٦ لا شك أن الوضوء في منتهى الأهمية للصحة العامة، فأجزاء الجسم هذه تتعرض طوال اليوم لعدد هائل من الميكروبات تعد بالملايين في كل سنتيمتر مكعب من الهواء، وهي دائماً في حالة هجوم على الجسم الإنساني من خلال الجلد في المناطق المكشوفة منه، وعند الوضوء تفاجأ هذه الميكروبات بحالة كسح شاملة لها من فوق سطح الجلد، خاصة مع التدليك الجيد وإسباغ الوضوء، وهو هدي الرسول ﷺ، وبذلك لا يبقى بعد الوضوء أي أثر من أدران أو جراثيم على الجسم إلا ما شاء الله.

وقد أثبت العلم الحديث أن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات وتحفظ اللثة من التقيح، وكذا فإنها تقوي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في ثناياها، وقد ثبت علمياً أن (تسعين في المئة) من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان، وأن المادة الصديدية والعفونة مع اللعاب والطعام تمتصها المعدة وتسري إلى الدم ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضاً كثيرة. كما أن المضمضة تقوي بعض عضلات الوجه وتحفظ للوجه نضارته واستدارته، ويفيد أيضاً في إضفاء الهدوء النفسي على المرء لو أتقن تحريك عضلات فمه أثناء المضمضة.

كما أظهرت الأبحاث العلمية في غسل الأنف أن غالبية الذين يتوضؤون باستمرار قد بدأ أنفهم نظيفاً خالياً من الأتربة والجراثيم والميكروبات، ومن المعروف أن تجويف الأنف من الأماكن التي يتكاثر فيها العديد من هذه الميكروبات والجراثيم، ولكن مع إستمرار غسل الأنف والاستنشاق والاستنثار بقوة. أي طرد الماء من الأنف بقوة. يحدث أن يصبح هذا التجويف نظيفاً خالياً من الالتهابات والجراثيم، مما ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله، حيث تحمي هذه العملية الإنسان من خطر انتقال الميكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى في الجسم.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ءُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِن أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُم مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَٰةَ عَن مَّوَٰضِعِهَا فَتَسُوءُ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ ءِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَءَءَفَّ عَنْهُمْ وَءَصْفَحَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيءُ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَءَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ؕ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

الصلاة، وأعطيتم الزكاة وآمنتم برسلي فيما أخبروكم به ونصرتموهم، وأنفقتهم في سبيلي، فإذا قمتم بذلك كله كفرت عنكم سيئاتكم وأدخلتكم جنات تجري من تحتها الأنهار، فمن كفر بهذا العهد الموثق عليه فقد عدل عن طريق الحق إلى طريق الضلال.

(٨) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله ليكن من صفاتكم أن تكونوا قوامين بالحق، وتكونوا شهداء بالعدل، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل، بل عليكم بالعدل مع الصديق والعدو لأنه أقرب لخشية الله، واحذروا أن تجوروا، إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم به.

(٩) فسبب نقض هؤلاء اليهود العهد المأخوذ عليهم؛ طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم غليظة لا تلين للإيمان؛ يحرفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى عليه السلام وهو التوراة بما يوافق أهواءهم، وتركوا نصيباً مما ذكروا به فلم يعملوا به، ولا تزال - أيها الرسول - تكتشف منهم خيانتهم لله إلا قليلاً منهم، وفوا بما أخذ عليهم من عهد، فاعف عن سوء معاملتهم لك، واصفح عنهم، إن الله يحب المحسنين من عباده المؤمنين.

(٩) وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا الصالحات، أن يغفر ذنوبهم، ولهم أجر عظيم هو دخول الجنة دار النعيم.

(١٠) والذين جحدوا وحادانية الله، ونقضوا ميثاقه، وكذبوا بالأدلة الدالة على وحدانيته التي جاءت بها الرسل، أولئك هم أهل النار يخلدون فيها.

(١١) يا أيها الذين أقروا بتوحيد الله ورسالة محمد وما جاء من عند الله اذكروا ما أنعم الله به عليكم من الأمن والقاء الخوف في قلوب أعدائكم حين أرادوا أن يبطشوا بكم، فصرفهم الله عنكم وعصمكم منهم، واتقوا الله واحذروه، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في حصول مصالح الدين والدنيا.

(١٤) وكذلك أخذنا عهداً مؤكداً على الذين ادّعوا أنهم من أتباع عيسى عليه السلام، فبدلوا دينهم، وتركوا العمل بجزء مما ذكروا به، كما فعل من قبلهم اليهود، فألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله بما كانوا يصنعون يوم الحساب، وسوف يعاقبهم على صنيعهم.

(١٢) ولقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل، وأقام عليهم اثني عشر رئيساً، لأنهم كانوا اثني عشر فريقاً، لكل فريق رئيس، وقال الله لهم إني معكم بالنصر والتأييد ما أديتم

﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمَقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ﴿٢٢﴾ ۞

وما بينهما وإليه وحده المرجع فيجازي كلاً بما يستحق.

(١٩) يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا

محمد ﷺ يبين لكم الحق والهدى بعد انقطاع من الرسل بعد عيسى عليه السلام، لثلاثا تقولوا ما جاءنا رسول يبشرنا بثواب الله، وينذرنا عقاب الله، فلا عذر لكم يوم القيامة بعد مجيء محمد ﷺ، والله على كل شيء قدير من عقاب من عصاه منكم، وإعطاء ثواب من أطاعه في الدنيا والآخرة.

(٢٠) واذكر - أيها الرسول - لبني إسرائيل حين قال لهم

موسى: يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، وجعلكم ملوكاً تملكون أمر أنفسكم بعد أن كنتم مملوكين لفرعون وقومه، وأعطاكم من نعمه ما لم يعط أحدًا من العالمين في زمانكم.

(٢١) قال موسى: يا قوم ادخلوا الأرض المطهرة وهي بيت

المقدس التي وعدكم الله أن تدخلوها، وتقاتلوا من فيها من الكفار، ولا تنهزموا أمام الجبارين، فيكون مآلكم الخسران في الدارين.

(٢٢) قال له قومه يا موسى إن في الأرض المقدسة قوما أشداء

أقوياء، وإننا لن نستطيع دخولها وهم فيها، فإن يخرجوا منها فإننا داخلون فيها.

(١٥) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يبين كثيراً

مما كنتم تخفونه عن الناس مما في التوراة والإنجيل كآية الرجم وغيرها، ويتجاوز عن كثير من ذلك، قد جاءكم من عند الله تعالى نور أنار معالم الحق، وكتاب مبين، وهو القرآن الكريم.

(١٦) يهدي الله بهذا الكتاب من اتبع رضا الله طرق الأمن

والسلامة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإسلام وضيائه، ويوفقهم إلى الطريق القويم.

(١٧) لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح عيسى

ابن مريم، قل لهم - أيها الرسول: من يقدر أن يمنع الله من إهلاك المسيح عيسى ابن مريم وإهلاك أمه مريم لأنهما من المخلوقين، وإهلاك جميع ما في الأرض، وجميع الموجودات في السموات والأرض وما بينهما ملك لله تعالى، يخلق إلى يوم القيامة ما يشاء، والله قادر على خلق ما يشاء وإهلاك ما يشاء، لا شريك له.

(١٨) وزعم اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه، قل - أيها

الرسول - لهؤلاء المفترين على الله، لم يعذبكم ربكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبائه - كما زعمتم - ما عذبكم، بل أنتم خلق من مخلوقاته، الله يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله، والله ملك السموات والأرض



﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْفُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمْوَسِيْنَا إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿ وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّتُكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ۞

الثاني لأنه كان فاسقًا، فحسد أخاه الذي قبل قربانه وقال: لأقتلنك، فرد عليه: إنما يتقبل الله قربان من يخافه.

(٢٨) لئن قصدت قتلي فلن أقصد قتلك، إني أخشى الله رب العالمين.

(٢٩) إني أريد أن ترجع بإثم قتلي ظلمًا إلى آثامك السابقة ومنها الحسد، فتكون من أصحاب النار وملازميها وذلك جزاء المعتدين الظلمة.

(٣٠) فزينت له نفسه أن يقتل أخاه فقتله، فأصبح من الخاسرين الذين باعوا آخرتهم بديانهم.

(٣١) ولما قتل أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غرابًا يحفر حفرة في الأرض ليدفن غرابًا ميتًا ليعلمه دفن جثمان أخيه، فقال متعجبًا: أعجزت أن أصنع مثل صنيع هذا الغراب فأستر عورة أخي، فدفن أخاه، فأصبح من النادمين، والندامة عاقبة مرتكبي المعاصي.

(٣٢) من أجل قتل ابن آدم أخاه شرعنا لبني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض بالكفر فكأنما قتل الناس جميعًا، وأنه من امتنع عن قتل نفس حرمها الله، فكأنما أحيا الناس جميعًا، لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعًا، ولقد جاءت رسلنا إلى بني إسرائيل بالبراهين الجلية، ثم إن كثيرًا منهم لمتجاوزون حدود الله، بارتكاب المعاصي ومخالفة رسلهم.

(٢٣) قال رجلان من أصحاب موسى ممن يخشون الله ويخافون عقابه أنعم الله عليهما بطاعتهم له وطاعة نبيه موسى عليه السلام، ادخلوا على هؤلاء الجبارين باب مدينتهم أخذًا بالأسباب، فإذا دخلتم الباب غلبتموهم، وعلى الله وحده اعتمدوا إن كنتم مؤمنين حقًا، فالإيمان يستلزم التوكل عليه سبحانه.

(٢٤) قال بنو إسرائيل لموسى: إنا لن ندخل المدينة ما دام الجبارون فيها، فاذهب أنت - يا موسى - وربك فقاتلا الجبارين، وأما نحن فنبقى قاعدين ها هنا فلن نقاتلهم.

(٢٥) حينئذ دعا موسى ربه فقال: يا رب لا سلطان لي على أحد إلا على نفسي، وكذلك هارون لا يقدر على أحد إلا على نفسه، فافصل بيننا وبين القوم الخارجين عن طاعتك لأنهم عصوا رسولك، وهم اليهود من بني إسرائيل.

(٢٦) قال الله لنبيه موسى عليه السلام إن الله حرم على هؤلاء اليهود دخول الأرض المقدسة مدة أربعين سنة، يتيهون في البرية متحيرين، فلا تأسف - يا موسى - على القوم الخارجين عن طاعة الله.

(٢٧) واقصص - أيها الرسول - على هؤلاء الحاسدين من اليهود خبر ابني آدم، وهو خبر حق بدون مزية حين قدم كل منهما قربانًا يتقرب به إلى الله، فقبل الله قربان أحدهما لأنه كان من أهل التقوى، ولم يقبل قربان

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا نَقَبِلَ مِنْهُمْ وَهَمَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا لَهُمْ بِخُرُوجِكَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَائِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأَيُّهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفٍ مِنَ الْكَلِمِ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ۞ .

منهما، مجازاة لهما، وعقوبة من الله على ما ارتكبا من أخذ أموال الناس بغير حق، والله عزيز في ملكه، حكيم في أمره وتشريعه.

(٣٩) فمن تاب من بعد أن قطعت يده، بسبب السرقة، وأصلح أعماله، فإن الله يقبل توبته، إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

(٤٠) لقد علمت - أيها الرسول - أن الله له ملك السموات والأرض وهو الحاكم فيهما، الذي لا معقب لحكمه يعذب من يشاء بعدله، ويغفر لمن يشاء بفضله، وهو على كل شيء قدير.

(٤١) يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في جحد نبوتك من المنافقين الذين أظهروا الإسلام بأفواههم، وأبطنوا الكفر في قلوبهم، ومن اليهود فهم سماعون للكذب يقبلون ما يفتريه أحبارهم، ويستجيبون لقوم آخرين لا يحضرون مجلسك إعراضاً عنك، وهم يدلون كلام الله في التوراة بعد فهمهم الصحيح بما يوافق أهواءهم، ويقولون لأتباعهم: إن وافق حكم محمد أهواءكم فاتبعوه، وإن خالف أهواءكم فاحذروا منه، ومن شاء الله أن يضلّه فلن تستطيع أن تدفع عنه الضلال وتهديه إلى سبيل الحق، إن هؤلاء المنافقين واليهود لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الدنس، لهم في الدنيا خزي وعار، وفي الآخرة عذاب عظيم.

(٣٣) إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويبارزونه بالعداوة ويفسدون في الأرض بالقتل وأخذ الأموال فجزاء مثل هذا المحارب في الدنيا القتل والصلب، وقطع اليد والرجل من خلاف أو النفي من الأرض من بلده، هذا الذل والفضيحة في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد إن لم يتوبوا.

(٣٤) إلا الذين تابوا من المحاربين قبل قدرتهم عليهم فاعلموا - أيها المؤمنون - أن الله غفور لهم بعد التوبة، رحيم بهم ومن رحمته بهم إسقاط العقاب عنهم.

(٣٥) يا أيها الذين آمنوا واتبعوا رسوله خافوا الله، واطلبوا القرب منه بأداء فرائضه وترك نواهيه، وجاهدوا في سبيله ابتغاء مرضاته، لعلكم تنالون ما تطلبون.

(٣٦) إن الذين جحدوا وحدانية الله في الدنيا، لو قدر لكل منهم ملك ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفدي نفسه به من عذاب يوم القيامة ما تقبل الله ذلك منهم ولهم عذاب موعج.

(٣٧) يريد هؤلاء الذين كفروا بربهم يوم القيامة أن يخرجوا من النار بعد دخولها فلن يخرجوا منها، بل لهم عذاب دائم لا يزول عنهم أبداً.

(٣٨) أيها الحكام اقطعوا يد السارق والسارقة اليمنى لكل



﴿ سَمِعْتُمْ لِكَلِمَةٍ أَكَلْتُمْ لَلشُّحِ فَإِنْ جَاءَكُمْ فَاحِكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحِكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُوا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَفَقِينًا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

قلع سناً متعمداً قلعت سنه، وأنه يقتص في الجروح بمثلها، فمن تجاوز عن حقه في القصاص كان تجاوزاً تكفيراً لبعض ذنوبه، ومن لم يحكم بما أنزل الله من الحكم في القصاص وغيره فأولئك هم المتجاوزون حدود الله.

(٤٦) وأتبعنا آثار النبيين من بني إسرائيل بعيسى ابن مريم مؤمناً بما في التوراة، عاملاً بما فيها مما لم ينسخه الإنجيل الذي أنزلناه إليه وهو هادٍ إلى الحق، ومبين لما جهله الناس من حكم الله، شاهد ومصداق لأحكام التوراة، وجعلنا الإنجيل هدىً يهتدى به، وموعظة، وزاجراً لهم عن ارتكاب المحرمات.

(٤٧) وليحكم النصارى بما في الإنجيل، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله.

(٤٨) وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن بالحق لا ريب فيه، وهو مصداق للكتب المنزلة على الأنبياء قبلك مؤتمن عليها، وحافظ لها من التحريف، فاحكم بين الناس بما أنزل الله عليك فيه، ولا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهوائهم وما اعتادوه، وقد جعلنا لكل أمة شريعة وطريقة يعملون بها، ولو شاء الله لجعل شرائعكم واحدة، ولكنه جعل لكل أمة شريعة على حدة ليختبركم بما كنتم تختلفون فيه، ويجزي كلا بعمله.

(٤٢) هؤلاء اليهود كثير الاستماع للكذب والأكل للحرام، فإن جاؤوك يتحاكمون إليك فاقض بينهم إن شئت، أو اتركهم إن شئت، وإن لم تحكم بينهم فلن يستطيعوا أن يضروك بشيء، وإن حكمت فاحكم بينهم بالعدل، إن الله يحب العادلين في حكمهم وإن كان المحكوم له من الأعداء.

(٤٣) إن أمر هؤلاء اليهود لعجيب فهم يكفرون بك - أيها الرسول - ويتحاكمون إليك طمعاً في حكمك بما يوافق أهواءهم، مع أن التوراة التي يؤمنون بها عندهم فيها حكم الله، ثم يعرضون عن حكمك إذ لم يوافق أهواءهم، فليسوا بالمؤمنين بالله ولا بك وبما تحكم به.

(٤٤) إنا أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام، فيها هداية ونور، قد حكم بها النبيون من بني إسرائيل الذين انقادوا لحكم الله وأقروا به، وحكم بها العلماء الذين يربون الناس، لما استحفظهم الله على كتابه، وكانوا عليه شهداء بأنه حق، فلا تخافوا - أيها اليهود - من الناس وخافوني وحدي، ولا تأخذوا بترك الحكم بما أنزلت عوضاً حقيراً من الدنيا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون حقاً.

(٤٥) وفرضنا على اليهود في التوراة أن من قتل نفساً متعمداً قتل بها، ومن قلع عينا متعمداً قلعت عينه، ومن جدد أنفاً متعمداً جدد أنفه، ومن قطع أذناً متعمداً قطعت أذنه، ومن

﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ النَّاسِ لَفَتْسُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَهْلِِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّآئِمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

من موالاتهم.

(٥٣) وحينئذ يقول المؤمنون متعجبين أهؤلاء الذين حلفوا مؤكدين إيمانهم إنهم لمعكم، بطلت أعمال المنافقين فأصبحوا خاسرين بفوات مقصودهم في الحياة الدنيا.

(٥٤) يا أيها الذين صدقوا الله واتبعوا رسوله، من يرجع منكم عن دينه الحق إلى الكفر فلن يضر الله شيئاً، فسوف يأتي الله بقوم خير منهم، يحبهم ويحبونه، رحماء بالمؤمنين أشداء على الكفار يجاهدون أعداء الله لإعلاء كلمة الله ولا يخشون لومة لائم، ذلك فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق فضله من عباده.

(٥٥) ليس لكم - أيها المؤمنون - ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون يحافظون على الصلاة المفروضة ويؤدون الزكاة المفروضة، وهم خاضعون لله.

(٥٦) ومن يتول الله ورسوله والمؤمنين بالنصرة، فهو من حزب الله، وحزب الله هم الغالبون المنتصرون في الدنيا والآخرة.

(٥٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بشرعه لا تتخذوا الذين يسخرون من دينكم ويتلاعبون به من أهل الكتاب - وهم اليهود والنصارى - أولياء، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين حقاً.

(٤٩) وأن احكم - أيها الرسول - بين بني إسرائيل بما أنزل الله إليك في القرآن، ولا تتبع أهواء الذين يحتكمون إليك، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله عليك، فإن عرض هؤلاء عما تحكم به، فاعلم أنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض ذنوبهم ولذا يصرفهم عن الهدى، وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة الله وطاعة رسوله.

(٥٠) أيغى هؤلاء اليهود أن تحكم بينهم بما تعارف عليه المشركون عبدة الأوثان من أهل الشرك، ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله ما أنزل على رسوله وأيقن أن حكم الله هو الحق.

(٥١) يا أيها المؤمنون لا تجعلوا من اليهود والنصارى حلفاء وأصفياء من دونكم، فاليهود والنصارى إنما يوالون أهل ملتهم، وكلا الفريقين تجمعهم معاداتكم، ومن يتولهم منكم فإنه يصير منهم، إن الله لا يهدي الظالمين إلى الحق والصواب بسبب موالاتهم اليهود والنصارى.

(٥٢) فترى - أيها الرسول - المنافقين يبادرون في موالاته اليهود والنصارى يقولون: إنما نخاف أن يظفر هؤلاء فينا لئلا منهم مكروه، فعسى الله أن يأتي لرسوله والمسلمين بالفتح، أو يهيئ من الأمور ما تذهب به قوة اليهود والنصارى، فحينئذ يندم هؤلاء المنافقون على ما أضمرُوا في أنفسهم



﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ دَلَّكَ مُتَوَبِّعٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعُضْبٍ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَرَبِّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَعْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَا الْجَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ .

الناس بالباطل، لقد ساء صنعهم حين تركوا النهي عن المنكر.

(٦٤) قالت اليهود لما أصابهم جهد وجذب: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات والعتاء، حبست أيدي هؤلاء الملعونين من اليهود عن فعل الخيرات، بل يدها عز وجل مبسوطتان على عباده دون حجر، ينفق كيف يشاء، ولا يزيد اليهود ما أنزل الله إليك إلا طغياناً وكفراً، بسبب حقدهم وحسد، والقيامة، كلما جمعوا أمرهم على شيء من المكر أطفأ الله حقدهم ونارهم، والله تعالى لا يحب المفسدين في أرضه.

(٦٥) يقول الله: ولو أن اليهود صدقوا الله ورسوله، واتقوا الله باجتناب نواهيه، لمحونا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة.

(٦٦) ولو أن اليهود والنصارى عملوا بما في التوراة والإنجيل وبما أنزل عليك لرزقوا من كل سبيل بانزال المطر من السماء وإنبات الأرض، ومن أهل الكتاب فريق معتدل ثابت على الحق، وكثير منهم ساء عملهم.

(٦٧) يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من وحي ربك كاملاً، فإن كتبت منه شيئاً فإنك لم تبلغ رسالة ربك - وقد بلغ ﷺ رسالة ربه كاملة فمن زعم خلاف ذلك فقد أعظم الفرية والله يحميك من أذى الناس وعداوتهم، فما عليك إلا البلاغ، إن الله لا يوفق للرشد من حاد وجحد ما جئت به من عند الله.

(٥٨) وإذا أذن مؤذنكم - أيها المؤمنون - بالصلاة سخر من دعوتكم إليها هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى وغيرهما، وهزؤهم ولعبهم بسبب جهلهم بشريعة محمد ﷺ لأنهم لا عقول لهم.

(٥٩) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب هل تعيون علينا إلا إيماننا بالله، وبما أنزل إلينا، وبما أنزل من قبلنا، ونحن نؤمن بأن أكثركم خارجون عن الطريق السوي.

(٦٠) قل - أيها الرسول - للمستهزئين: هل أخبركم بمن هم أولى بالعباد وأشد عقاباً؟ هم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته، وغضب عليهم، ومسح خلقهم، فجعل منهم القردة والخنازير، وجعل منهم عبدا لكل ما يعبد من دون الله وهم شر منزلة يوم القيامة، وأضل سعيًا عن الطريق المستقيم.

(٦١) وإذا جاءكم - أيها المؤمنون - هؤلاء المنافقون من اليهود قالوا: آمنا ظاهراً، وحقيقة هم على الكفر عند الدخول وعند الخروج باطناً، والله أعلم بسرائرهم، وإن أظهروا خلاف ذلك.

(٦٢) ترى - أيها الرسول - كثيراً من منافقي اليهود يبادرون إلى ارتكاب المعاصي كقول الزور والاعتداء على أحكام الله واكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم.

(٦٣) هلا نهاهم أئمتهم وأخبارهم عن قول الكذب، وأكل أموال

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ وَلَازِمَاتِ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغِينًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْكُفْرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَنَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُنِيَ لَهُمُ الْأَيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

حسب أعمالهم.

(٧٢) لقد كفر القائلون من النصارى بأن الله هو المسيح بن مريم، والمسيح قال: اعبدوا - يا بني إسرائيل - الله فهو ربي وربكم، ومن يشرك بالله في وحدانيته وعبادته فقد حرم الله عليه الجنة، ومستقره نار جهنم وما لهم ناصر يتقدمهم من النار.

(٧٣) لقد كفر النصارى القائلون: إن الله مجموع ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، أما علم هؤلاء أنه ليس للناس إلا معبود واحد، وإن لم يكفوا عن هذه المقالة ليصيبهم عذاب موجه بسبب هذه المقالة الكفرية.

(٧٤) أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله عن مقاتلهم الشنيعة هذه تائبين إليه، ويطلبون منه المغفرة، والله غفور لمن تاب، رحيم به.

(٧٥) ليس المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولا كمن تقدمه من الرسل، وأمه مريم كثيرة الصدق والتصديق، وهما يأكلان الطعام لحاجتهما إليه، فتأمل - أيها الرسول - كيف وضحنا حقيقة عيسى بن مريم وأمه ووحدانية الله، ثم انظر إلى هؤلاء كيف يصرفون عن الحق.

(٦٨) قل - يا أيها الرسول - لليهود والنصارى: لستم على الحق حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل وتعملوا بما جئت به من عند الله، وليزيدن كثيرا من أهل الكتاب الذي أنزل إليك من ربك طغيانا إلى طغيان، وجحداً إلى جحد، لأنهم يحسدونك على أن أعطاك الله الرسالة الخاتمة، فلا تأسف على هؤلاء الكافرين من أهل الكتاب.

(٦٩) إن المؤمنين واليهود والصائبين والنصارى، من صدق منهم بالله واليوم الآخر وعمل الأعمال الصالحة، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الحياة الدنيا.

(٧٠) لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا فنقضوا ما أخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، كلما جاءهم رسول من رسلنا كذبوا فريقاً منهم، وقتلوا فريقاً آخر.

(٧١) وظن هؤلاء العصاة من بني إسرائيل أن لا يكون من الله لهم ابتلاء واختبار فعموا عن الحق فلم يبصروه، وصموا عن سماع الحق فلا يسمعون ولا يهتدون إليه، فأنزل الله بهم بأسه فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عمي منهم كثير، وصم منهم كثير، بعدما تبين لهم الحق، والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه منه شيء فيجازي كلا منهم



﴿ قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرَهْبَانًا وَآنَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

- (٧٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء الكفرة من النصارى: (٨١) ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله عز وجل وبنبيه محمد ﷺ حقا وأقروا بما أنزل إليه، ما جعلوا من المشركين أولياء، ولكن كثيرا منهم خارجون عن طاعة الله وولايته وولاية المؤمنين.
- (٧٧) قل - أيها الرسول - للنصارى لا تتجاوزوا الحد في اتباع الحق، ولا تبالغوا في تعظيم عيسى ابن مريم، باتباع أهواء قوم قد ضلوا - وهم اليهود - وأضلوا كثيرا من الناس، وضلوا عن طريق الحق.
- (٧٨) يخبر الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ أنه طرد من رحمته الذين كفروا من بني إسرائيل في الزبور الذي أنزله على داود عليه السلام، وفي الإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام بسبب ما ارتكبه من المعاصي والاعتداء على حرمات الله.
- (٧٩) كان هؤلاء اليهود لا ينهى بعضهم بعضا عن أي منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون من ترك إنكار ما يجب عليهم إنكاره.
- (٨٠) تشاهد - أيها الرسول - كثيرا من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاتة التي كانت سببا في غضب الله عليهم، وإدخاله إياهم النار خالدين فيها.
- (٨١) ولو كان هؤلاء اليهود يؤمنون بالله عز وجل وبنبيه محمد ﷺ حقا وأقروا بما أنزل إليه، ما جعلوا من المشركين أولياء، ولكن كثيرا منهم خارجون عن طاعة الله وولايته وولاية المؤمنين.
- (٨٢) ولتجدن - أيها الرسول - أشد الناس عداوة للمؤمنين بك وبما جئت به اليهود والمشركين عبدة الأوثان، ولتجدن أقربهم محبة للمؤمنين وبما جئت به الذين قالوا: إنا نصارى ذلك بأن منهم علماء زهادا وعبادا، ومنهم متواضعون غير متكبرين عن قبول الحق.
- (٨٣) وأن فريقا منهم إذا سمعوا القرآن فاضت عيونهم من الدموع، مما عرفوا من الحق، مما كان في الإنجيل من البشارة ببعثة محمد ﷺ، وقالوا: ربنا صدقنا بما أنزلت على رسولك محمد ﷺ، ربنا فاكتمنا مع الشاهدين من هذه الأمة يوم القيامة.
- (٨٤) وقالوا: ما لنا نترك الإيمان بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله، إننا نرجو أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته من أمة محمد ﷺ.
- (٨٥) فجزاهم الله على إيمانهم وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين جنات تجري الأنهار تحتها ماكثين فيها أبدا، وذلك جزاء المحسنين في القول والعمل.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٨٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْسَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ؛ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ .

لعلكم تشكرون الله أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

(٩٠) يا أيها الذين آمنوا بالله، اعلموا أن الخمر التي تشربونها، والميسر الذي تتياسرون، والأنصاب التي تذبحون عندها، والأزلام التي تستقسمون بها إثم ونتن، وهي من تزيين الشيطان، فابتعدوا عنها لعلكم تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

(٩١) إنما يريد الشيطان أن يوقع بين قلوبكم العداوة والبغضاء بشرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم - أيها المؤمنون - تاركو هذه المحرمات؟

(٩٢) وامثلوا طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، في جميع أعمالكم، واتقوا الله وراقبوه ولا تخالفوه، فإن أعرضتم عن ذلك، فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين، وقد بلغكم.

(٩٣) ليس على الذين آمنوا - وقد شربوا الخمر قبل تحريمها - إثم في ذلك، إذا تركوها بعد الإسلام وقدموا الأعمال الصالحة، واجتنبوا المحرمات، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله، حتى أصبحوا من يقينهم يعبدون الله كأنهم يرونه، والله يحب المحسنين.

(٨٦) والذين جحدوا توحيد الله وأنكروا نبوة محمد ﷺ وكذبوا بآيات كتابه المنزل عليه، أولئك أصحاب النار ماكنين فيها.

(٨٧) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تحرموا المستلذات من الطعام والشراب والنكاح التي أباحها الله لكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرم الله، إن الله لا يحب المعتدين.

(٨٨) وكلوا - أيها المؤمنون - من رزق الله الذي رزقكم وأحل له لكم، واتقوا الله في جميع أموركم، وإيمانكم به يوجب عليكم أن تتقوه.

(٨٩) لا يعاقبكم الله فيما حلقتم بدون قصد، كقول أحدكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم بما قصدتم بقلوبكم، فكفارتها إذا حنثتم إما إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون، لكل مسكين نصف صاع من قوت بلدكم، أو كسوتهم بما يعتبر عرفا كسوة، أو إعتاق رقبة مؤمنة، وإذا لم يتيسر له من هذه الثلاثة فعليه أن يصوم ثلاثة أيام مكفرات عدم الوفاء بإيمانكم، واحفظوا - أيها المسلمون - إيمانكم باجتنب الحلف، واحفظوها عن الحنث، كما بين الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها، يبين لكم أحكام دينه،

٩٠ سبق الكلام عن الخمر في سورة البقرة.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النِّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلَغَ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَرَةً طَعَامٌ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَارَةِ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلِيدَ ذَلِكَ لِيَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّ لَكُمْ فَتَسْأَلُوا وَإِن سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ إِن بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ۞

(٩٤) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، ليختبركم الله بشيء يسوقه إليكم من الصيد البري، وأنتم محرمون بحج أو عمرة أو أنتم في الحرم، تتناولون الصغار منه بأيديكم والكبار برماحكم، ليعلم الله من يخافه بالغيب، فمن تجاوز الحد واصطاد وهو محرم فإنه يستحق العذاب الشديد.

(٩٥) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بشرعه لا تقتلوا صيد البر وأنتم محرمون بحج أو عمرة أو كنتم داخل الحرم، ومن قتله منكم متعمدا فعليه جزاء مماثل لما قتله من بهيمة الأنعام يحكم به رجلان متصفان بالعدالة وعليه أن يهديه لفقراء الحرم يذبح فيه بعد إرساله إليه، أو تدفع قيمة ذلك ليشتري منها الطعام لفقراء الحرم لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلا من ذلك يوما عن كل نصف صاع من الطعام، كل ذلك ليذوق قاتل الصيد عاقبة فعله، تجاوز الله عما مضى من قتل الصيد في الإحرام أو الحرم قبل تحريمه، ومن عاد إليه بعد التحريم انتقم الله منه بأن يعذبه عليه، والله عزيز ذو انتقام.

(٩٦) أحل الله لكم صيد البحر، وما يقذفه حيا وميتا لمن كان مقيما أو مسافرا أو محرما، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين بحج أو عمرة، أو ما صيد لأجل الحرم، واتقوا الله بامثال أو امره، واجتناب نواهيه، فإن إليه مصيركم فيجازيكم على طاعتكم ويعاقبكم بمعصيتكم.

(٩٧) جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس صلاحا لدينهم وأمنا لحياتهم، وحرم الله العدوان والقتال في الأشهر الحرم، وحرم عليكم التعرض للهدى المسوق إلى الحرم ومنه المقلد، ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء من أموركم وأعمالكم.

(٩٨) اعلمو أيها الناس أن الله شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم به.

(٩٩) ما على الرسول إلا بلاغ ما أمره الله بتبليغه، وبإيد الله الهداية، والله يعلم ما تظرونه وما تسرونه.

(١٠٠) قل - أيها الرسول - لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، ولو أعجبك كثرة الخبيث فإن كثرت لا تدل على فضله، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - واختاروا صالح الأعمال، واجتنبوا الخبائث، لعلكم تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

(١٠١) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله لا تسألوا رسولكم عن أشياء من أمور دينكم لم تؤمروا بها، وإن تسألوا عن الأشياء التي سكت عنها القرآن في حياة نبيكم فتبين لكم شقت عليكم، والله غفور لعباده، حلیم فلا يعاقبهم بما لم يفعلوا.

﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾ (١٠٢) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلُوكَانُوا آبَاؤَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَءَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايْنَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهَدَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَدَّىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ .

رجلين من غير المسلمين إذا لم تجدوا من يشهد من المسلمين وأنتم في سفر فنزل بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما فقفوهما بعد إحدى الصلوات فيحلفان بالله: لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه على الشهادة، ولو كان الذي نحلف عليه ذا قرابة منا، ولا نكتم شهادة الله، وإذا فعلنا ذلك فإذا نحن من الآثمين بما ارتكبناه من الكذب.

(١٠٧) فإن تبين بعد الحلف كذبهما في الشهادة أو ظهرت خيانتهم، فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله، لشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، وإننا إذا تجاوزنا الحق فنحن إذا من الظالمين.

(١٠٨) ذلك الحكم عند الارتباب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتهم خوفاً أن ترد شهادتهما الكاذبة من قبل الورثة، واتقوا الله بترك الكذب والخيانة في الشهادة، واسمعوا ما توعظون به، والله لا يهدي القوم الفاسقين.

(١٠٩) واذكروا - أيها الناس - يوم يجمع الله الرسل يوم الحساب فيسألهم: ماذا أجابتكم أمتكم الذين أرسلناكم إليهم؟ قالوا: لا علم لنا لأنهم ذهلوا من هول ذلك اليوم، إنك أنت عليم بكل شيء مما خفى أو ظهر.

(١٠٢) قد سأل عن مثلها قوم من كانوا قبلكم، فلما كلفوا بها لم يعملوا فأصبحوا من الكافرين.

(١٠٣) ما حرم الله من الأنعام على المشركين إلا أنهم حرموا الانتفاع من البحيرة التي تقطع أذنها، والسائبة التي تترك للأصنام، والوصيلة التي تتصل ولادتها بأثنى بعد أثنى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا ولد من صلبه عدد من الإبل، ولكن الكفار زعموا كذبا وبهتاناً أن الله حرم المذكورات، وأكثر الكفار لا يعقلون.

(١٠٤) وإذا قيل للمشركين - الذين يفترون على الله أنه حرم كذا وكذا من الأنعام - تعالوا إلى ما أنزل الله على رسوله محمد ﷺ لتعرفوا ما الحلال والحرام من الأنعام، قالوا: يكفيننا ما ورثنا عن آبائنا في هذه المسألة، ولو كان آبائهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق.

(١٠٥) يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله عليكم أنفسكم فأصلحوها، لا يضرركم من كفر وسلك غير سبيل الحق إذا أنتم اهتديتم وأمتكم بربكم، وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر، إلى الله رجوعكم يوم القيامة، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها.

(١٠٦) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله، إذا اقترب موت أحدكم، فليشهد على وصيته عدلين من المسلمين، أو



﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١١﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَأَمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَءَايَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنَزَلْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾

فقال عيسى: اتقوا عذاب الله، إن كنتم مؤمنين حقًا.

(١١٣) قال الحواريون لعيسى: نريد أن نأكل من هذه المائدة وتسكن قلوبنا، ونعلم علم اليقين أنك صدقتنا فيما جئت به من عند الله، وأن نكون من الشاهدين.

(١١٤) فأجاب عيسى ابن مريم طلبهم، ودعا الله قائلاً: ربنا أنزل علينا مائدة طعام نتخذ من يوم نزولها عيدًا نعظمه شكرًا لك نحن ومن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك يا ربنا، وارزقنا وأنت خير الرازقين.

(١١٥) قال الله تعالى: إني منزل مائدة الطعام عليك فمن يجحد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام بعد نزولها، فسأعذبه عذاباً شديداً لا أعذبه أحداً من العالمين، وحقق الله وعده فأنزل المائدة عليهم.

(١١٦) واذكر - أيها الرسول - وأخبر النصراني حين يقول الله يوم القيامة لعيسى: يا عيسى ابن مريم: هل قلت للناس اجعلوني وأمي معبودين من دون الله؟ فيجيب عيسى عليه السلام منزلها ربه: لا ينبغي لي أن أقول لهم إلا الحق، إن كنت قلت هذا فقد علمته، لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما أضمره في نفسي، ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت عالم بكل شيء مما خفي وظهر.

(١١٠) واذكر - أيها الرسول - إذ يقول الله يوم القيامة: يا

عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك حيث اصطفتيتها على نساء العالمين وبرأتها مما نسب إليها، واذكر نعمتي عليك إذ أيدتك بجبريل إذ قواك وأعانك أن تكلم الناس في المهدي، وتكلم الناس عندما كمل شبابك، واذكر نعمتي عليك إذ علمتك الكتابة وقوة الفهم، وعلم التوراة، وأنزلت عليك الإنجيل هداية للناس، وأنت تصور من الطين كهية الطير فتنفخ في تلك الهية فتكون طيراً بإذني، وتشفي الذي ولد أعمى فيبصر، وتشفي الأبرص، فيعود جلده سليماً بإذن الله، وتحيي الموتى بإذني إذ تدعوني فيقومون أحياء من القبور، هذه المعجزات كلها من عندي تؤيد أنك نبي مرسل من عند الله، ومما أنعمت عليك إذ هموا بقتلك إذ جئتهم بالمعجزات الواضحة، فقال الذين كفروا منهم إنما هذه البيئات سحر.

(١١١) واذكر - يا عيسى - نعمتي عليك إذ ألهمت وألقت في قلوب جماعة من الحواريين الإيمان فأمنوا بي وبك، وقالوا: صدقتنا بوحدانيتك يا ربنا، واشهد بأننا منقادون لأمرك.

(١١٢) واذكر حين قال الحواريون: يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك إذا دعوته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

- (١١٧) ما قلت للناس إلا ما أمرتني بقوله من أمرهم بإفراك بالعبادة، وكنت شاهدا ما دمت بين أظهرهم فلما وفيتني أجلي كنت يا رب أنت المطلع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عنك خافية في الأرض ولا في السماء.
- (١١٨) إن تعذبهم فإنهم عبادك، وأنت تفعل بهم ما تشاء، وإن تغفر برحمتك لمن تشاء فإنك أنت العزيز الحكيم.
- (١١٩) يقول الله يومئذ: يا عيسى هذا يوم الجزاء ينفع الموحدين توحيدهم ربهم وصدقهم في نياتهم، لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ماكتين فيها أبدا، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنهم بما أعطاهم جزيل ثوابه، وذلك الفوز العظيم.
- (١٢٠) لله - أيها النصرى - ملك السموات والأرض دون عيسى وأمه الذين تزعمون فيهما الربوبية والألوهية، بل الله على كل شيء قدير دون غيره.

سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ. ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾

- (١) الحمد الكامل لله وحده لا شريك له الذي جعل الظلمات والنور وذلك بتعاقب الليل والنهار، وفي هذا دلالة على عظمة الله عز وجل، ثم من عباده من يجحد ويجعل له شريكا تعالى الله علوا كبيرا.
- (٢) هو الذي خلق آدم من طين وأنتم سلالة منه، وجعل مدة حياتكم في الدنيا وبعد مماتكم أجلا مقرر لا يعلمه إلا هو،
- (٣) وأنتم بعد هذا تشكون في قدرة الله على البعث بعد الموت. هو المعبود بحق في السماوات والأرض، وهو يعلم ما تخفون وما تعلنون، ويعلم جميع أعمالكم، لا يخفى عليه شيء.
- (٤) وهؤلاء المشركون يعرضون عن جميع الحجج والدلائل التي جئت - أيها الرسول - بها على وحدانيتي وصدق نبوتك فهم لا يؤمنون.

٢ قد أثبت العلم الحديث أن جسم الإنسان يحتوي على ما تحتويه الأرض من عناصر وإن اختلفت نسبتها بين الإنسان والتراب ومن إنسان لآخر... فإيا خسارة الممترين وقد لاحت دلائل الحق المبين.



﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنْزٌ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ۞

- (٥) ولقد كذب هؤلاء المشركون الحق الذي جاء به محمد ﷺ، وسوف يأتيهم أخبار سخريتهم وما كانوا يستهزئون ولا مفر لهم.
- (٦) ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتي الجاحدون بنبوتك، ما حل بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكناهم ما لم يمكن لكم - أيها المكذبون - وأنزلنا عليهم الأمطار المتتابعة وأجرينا لهم الأنهار من تحت مساكنهم، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وخلفنا من بعدهم أمما أخرى.
- (٧) ولو نزلنا عليك - أيها الرسول - كتابا من السماء في ورق، وشاهدوه بأعينهم ولمسوه بأيديهم لما آمنوا ولقالوا إن ما جئت به سحر واضح بين.
- (٨) وقال هؤلاء المشركون: هلا أنزل الله معك يا محمد ملكا يكلمنا ويشهد أنك رسول! ولو أنزلنا ملكا من السماء على هيئة الملك لهلكوا برؤيته بدون مهلة.
- (٩) ولو أرسلنا ملكا لتصدقك لجعلناه رجلا، ولا شتبه عليهم
- أمرهم جزاء لهم على مراوغتهم.
- (١٠) فإن يستهزئ هؤلاء بطلبهم إنزال ملك معك فقد استهزأت أمم من قبلك برسلمهم فأحاط بهم العذاب الذي كانوا ينكرونه ويستهزئون به.
- (١١) يأمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المكذبين سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كانت نهاية المكذبين لرسول الله، وخافوا أن يحل بكم مثل الذي حل بهم.
- (١٢) ويأمره أن يقول لهم: لمن ملك السموات والأرض وملك ما بينهما، ويأمره أن يقول له: الله الذي كتب على نفسه الرحمة، فلا يجعل على عباده العقوبة ليجمعنكم إلى يوم القيامة، الذي لا شك فيه للحساب والجزاء، في ذلك اليوم يهلك الذين لا يؤمنون بوحداية الله ولا نبوة محمد ﷺ ولا باليوم الآخر.
- (١٣) والله وحده ملك كل شيء، ما سكن في الليل فخفي، أو تحرك في النهار فظهر، الجميع عباده وخلقه، وهو السميع لأقوالهم، العليم بأفعالهم، فيجازيهم عليها.

١١ توصل العلماء إلى قناعة مفادها بعد مسيرة من التنقيب والبحث والمقارنة والدراسات العميقة إلى أن لكل علم منهجية خاصة به وإن علم الحضريات والآثار لا يتأتى إلا بتلك المنهجية التي قررها الله في كتابه قبل ألف وأربعمائة عام في قوله (قل سيروا) وهي التي تتمثل بالسير في الأرض والنظر والاعتبار بآثار السابقين ومخلفات الأوابد مما يدل على حقائق الوجود التي أشارت إليها الآية الكريمة وعافية من كذب بالله ورسله.

﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَخْبَدُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَيْرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لِتَمْسُدُوا أُنْتُمْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا أَيْبَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ۞

قل - أيها الرسول - لا أشهد على ما أقرتم به، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإني بريء من كل ما تشركونه معه.

(٢٠) الذين أعطيناهم التوراة والذين أعطيناهم الإنجيل يعرفونك كمعرفتهم أبناءهم ولكنهم خسروا كل الخسارة فهم لا يؤمنون.

(٢١) لا أحد أشد ظلما ممن افترى على الله فزعم أن له شريكا في العبادة، أو ادعى أن له صاحبة أو ولدا، وكذب بآياته التي أنزل على رسوله، إنه لا يفلح الظالمون في الدنيا والآخرة.

(٢٢) واذكر لهم خبر يوم القيامة حين نجمعهم جميعا ثم نقول لهم: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لله.

(٢٣) ثم لم يكن عندهم جواب بالسؤال عن شركائهم، إلا أن قالوا كذبا وأقسموا بالله ربهم: إنهم لم يكونوا مشركين بالله.

(٢٤) انظر - أيها الرسول - كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم أنهم لم يكونوا يشركون بالله، وغاب عنهم ما كانوا يظنونونه من شفاعة آلهتهم.

(٢٥) ومن المشركين من يستمع إليك إذا قرأت القرآن لكنهم لا يفهمون لأن الله جعل على قلوبهم أغطية بسبب عنادهم، وجعل في آذانهم ثقلا فهم لا يسمعون ولا يفقهون، وإن يروا الآيات الكثيرة لا يؤمنوا بها ولا يصدقوك، حتى إذا جاؤك يخاصمونك يقول الذين كفروا: الذي نسمع منك إنما هو مأخوذ من كتب الأوائل.

(١٤) ويأمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المشركين: أعير الله أتخذ وليا كما اتخذتم غيره وليا؟ والله هو خالق السماوات والأرض وما فيهن، وهو الذي يرزق خلقه جميعا، ولا أحد من عباده يرزقه لأنه غني عن الجميع، ويأمره أن يقول لهم: إني أمرت أن أكون أول من خضع، وانقاد من هذه الأمة، وأن لا أكون من المشركين.

(١٥) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين إني أخاف إن عصيت ربي بمخالفة أمره وإشراك غيره معه، أن ينزل بي عذاب عظيم يوم القيامة.

(١٦) من يصرف الله عنه ذلك العذاب يوم القيامة ويزحزح عنه فقد فاز برحمته، وذلك الفوز المبين.

(١٧) إن يصبك - يا ابن آدم - من الله بلاء فلا صارف يصرفه عنك إلا الله، وإن يصبك خير فلا مانع له من ذلك، فهو القادر على كل شيء لا يعجزه شيء.

(١٨) وهو الغالب القاهر فوق عباده، لا يغلبه أحد، الجميع له خاضعون، وهو الحكيم الخبير فلا يخفى عليه شيء.

(١٩) ويأمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المشركين المكذبين: أي شيء أجل وأعظم شهادة فيما أخبرتكم به أني رسول الله؟ الله شهيد بيني وبينكم وهو يعلم ما جئتكم به، وقد أوحى الله إلي هذا القرآن لأخوفكم به، وأخوف من بلغه، إنكم لتقرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به،



﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بَيِّنَاتٍ رَّبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلِلدَّارِ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيِّنَاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنهَمُ نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الأَمْرَسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَيِّنَاتٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ .

- (٢٦) وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن الإيمان بحمد صلى الله عليه وسلم ويتعدون عنه، وما يهلكون بصنيعهم هذا إلا أنفسهم وهم لا يشعرون.
- (٢٧) ولو ترى - أيها الرسول - هؤلاء المشركين يوم يعرضون على النار فعند ذلك يقولون: يا ليتنا نعاد إلى الحياة الدنيا فلا نكذب بآيات الله بل نصدق ونكون من المؤمنين.
- (٢٨) بل ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من صدق ما جاءت به الرسل وإن كانوا يظهرون لأتباعهم خلافه، ولو رجعوا إلى الدنيا لفعلوا كما فعلوا أول مرة من خلاف ما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون في دعوهم الإيمان إذا رجعوا إلى الدنيا.
- (٢٩) ولو ردوا إلى الدنيا لأنكروا البعث بعد الموت كما كانوا يقولون أول مرة: إن هي إلا حياتنا الدنيا، وما نحن بمبعوثين بعد موتنا.
- (٣٠) ولو ترى - أيها الرسول - منكري البعث بعد الموت إذ حبسوا بين يدي ربهم لرأيت أسوأ حال، حين يقول الله لهم: أليس هذا بالحق؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقول لهم الله عز وجل: فذوقوا العذاب بسبب جحودكم وإنكاركم لهذا اليوم.
- (٣١) قد خسر الذين أنكروا البعث بعد الموت واستبعدوا الوقوف بين يدي الله، حتى إذا قامت الساعة فجأة نادوا على أنفسهم بالحسرة على ما ضيعوه في حياتهم الدنيا وهم يحملون سيئاتهم فوق ظهورهم، وبئس ما
- يحملون من تلك السيئات. (٣٢) وما الحياة الدنيا التي تركون إليها إلا لعب وغرور لمن لا يعمل فيها بما يرضي الله، وأما الآخرة فهي للذين يعملون الصالحات خوفا من الله تعالى، أفلا تعقلون أيها المشركون.
- (٣٣) إننا نعلم إنه ليدخل الحزن إلى قلبك تكذيب قومك في الظاهر، فاعلم أنهم لا يكذبونك في أنفسهم لعلمهم بصدقك، ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يجحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك في الظاهر فيما جئت بهم.
- (٣٤) لا تحسب أن هذا التكذيب خاص بما جئت به، بل كذبت رسل من قبلك، وآذاهم أقوامهم فصبروا على ذلك حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدل لما كتبه الله من النصر، ولقد جاءك - أيها الرسول - من أخبار من قبلك من الرسل، وفي هذا تسلية لك وأن العاقبة خير لك.
- (٣٥) وإن كان عظم عليك صدود هؤلاء المشركين وانصرافهم عن الاستجابة لدعوتك فإن استطعت أن تتخذ نفقا في الأرض أو مصعدا تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بحجة على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الذي أنت عليه، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها، فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يفهمون حكمة الله.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْرٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّلهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ (٤١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴾ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ (٤٤)

جاءكم عذاب من الله أو جاءكم الساعة التي تبعثون فيها،
أندعون إذ ذاك غير الله ليكشف ما ينزل من البلاء والشدة
إن كنتم محقين في زعمكم أن معبوداتكم تنفع أو تضر؟

(٤١) بل لا تدعون إذ ذاك إلا الذي خلقكم فيصرف عنكم
البلاء لأنه القادر على كل شيء، وتتركون حينئذ
معبوداتكم من دون الله لأنها لا تضر ولا تنفع.

(٤٢) ولقد بعثنا إلى أمم من قبلك - أيها الرسول - رسلا
يدعونهم إلى الله فكذبوهم فابتليناهم بالفقر والمرض
رجاء أن يتذللوا لربهم ويخضعوا له.

(٤٣) فهلا إذ جاءهم بلاؤنا تذللوا لنا، ولكن قست قلوبهم
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من المعاصي
فاستمروا على ما كانوا عليه.

(٤٤) فلما تركوا العمل بأوامر الله معرضين عنها، فتحنا عليهم
أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاء في العيش،
وبالضراء صحة في الأجسام استدراجا منا، حتى إذا أصابهم
البطر واستولى عليهم الإعجاب بما متعوا به، أخذناهم
بالعذاب فجأة فإذا هم آيسون منقطعون من كل خير.

(٣٦) إنما يستجيب لما جئت به - أيها الرسول - من يسمع
الكلام ويفهمه، والكفار كالموتى لا يسمعون ولا يفهمون
، يبعثهم الله يوم القيامة من قبورهم، ثم يرجعون إليه
ليجازيهم على ما قدموا.

(٣٧) وقال المشركون متعنتين ومستكبرين: هلا أنزل على
محمد آية خارقة تدل على صدقه؟ قل لهم - أيها
الرسول: إن الله قادر على إنزال آية، ولكن أكثرهم لا
يعلمون أن إنزال آية إنما يكون وفق حكمته تعالى.

(٣٨) وما من حيوان يدب على الأرض، أو طائر يطير في
السماء بجناحيه إلا أجناس مثلكم، ما تركنا في اللوح
المحفوظ شيئا إلا أثبتناه، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم
الحساب فيجازى كلا بما يستحقه.

(٣٩) والذين كذبوا بحجج الله صم لا يسمعون ما ينفهم، بكم
لا يتكلمون بالحق، فهم في الظلمات لا يبصرون فأنى لهم
الهداية، من يشاء الله إضلاله يضلله، ومن يشاء هدايته يجعله
على طريق مستقيم.

(٤٠) ويأمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء المشركين: أخبروني إن

٣٨ التماثل بين البشر والكائنات في المعيشة الاجتماعية والتفاعل مع البيئة واتصال تلك الكائنات بعضها مع بعض. وهذا من عظمة هذا الدين الذي ما ترك شيئا إلا وذكر لنا منه خيرا، وإن مرد هذه الأمم جميعها إلى ربها يوم الحشر والنشور.



﴿فَقَطَعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصْرَفُ الْأَيَاتِ تَمَرَّهُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْكَمَ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

- (٤٥) فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذبوا رسله، وخالفوا أمره عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بعبته إذ جاءهم عذاب الله، والحمد لله رب العالمين.
- (٤٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أذهب الله سمعكم فأصمكم، وأعماكم بأخذ أبصاركم، وطبع على قلوبكم حتى لا تفقهوا قولاً، من معبود بحق يأتيكم بما فقدتموه من ذلك؟ انظر - أيها الرسول - كيف تنوع البراهين، ثم هم يعرضون عنها.
- (٤٧) قل لهم - أيها الرسول - أخبروني إن جاءكم عذاب الله بعبته من غير شعور منكم به، أو جاءكم ظاهراً وأنتم تنظرون إليه، لا يهلك بذلك العذاب إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي.
- (٤٨) وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة بالجنة والفوز المبين يوم القيامة، وبإنذار من عصيانا بالعذاب الأليم، فمن آمن وصدق الرسل وعمل صالحاً، فلا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا.
- (٤٩) والذين كذبوا بآياتنا يصيبهم العذاب يوم القيامة بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله.
- (٥٠) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنني لا أدعى أنني أملك خزائن السماوات والأرض فأتصرف فيها، ولا أقول لكم: إنني أعلم من الغيب إلا ما أطلعني عليه بالوحي، ولا أقول لكم: إنني ملك من الملائكة، وإنما أنا رسول من عند الله أتبع ما يوحى إلي وأبلغكم ما يوحى إلي، قل لهؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر عميت بصيرته عن الحق، والمؤمن الذي أبصر الحق وآمن به، أفلا تتفكرون في آيات الله لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟
- (٥١) وخوف - أيها الرسول - بهذا القرآن الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم يوم القيامة، ليس لهم ولي غير الله يجلب لهم النفع، ولا شفيع يشفع لهم عند الله فيخلصهم من عذابه، لعلمهم يتقون الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه.
- (٥٢) ولا تبعد عن مجلسك فقراء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره يريدون بأعمالهم وجه الله، ليس عليك من حساب هؤلاء الفقراء شيء، وإنما حسابهم عند ربهم وما عليهم من حسابك شيء، إنك إن طردتهم عن مجلسك تكون من المتجاوزين لحدود الله.

٤٦ في الآية إشارة إلى معنى خفي على السابقين وكشفه الله للعلماء المعاصرين يتمثل بذكر السمع والبصر هنا ولم يكتف بذكر أداتيهما العين والأذن، حيث إن السمع والبصر لو قدر الله على صاحبهما الحرمان منهما فإن الصعوبة أن ترجعهما الوسائل الحديثة إلى وضعهم الطبيعي الأصلي فسبحان من صرف الآيات والأدلة وعددها ونوعها بأساليب مختلفة لتقوم الحججة والبينة على المعرضين عن التذكر والاعتبار.

٥٠ إنه سؤال يستفز العقل السليم بقوله: ﴿هل يستوي الأعمى والبصير﴾، فقابل بين العمى والبصر وهو ينطبق تماماً مع ما قرره العلم الحديث من أن حقيقة العمى تتمثل بتعطيل مركز البصر في المخ، ويؤكد ذلك افتقاد الرؤية عند بعض العميان رغم وجود العين السليمة عندهم.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَفْضِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَّا أُنْبِغِ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ أَلْحَمْتُمُ إِلَّا اللَّهُ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاضِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

- (٥٣) وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض في الأرزاق والأخلاق، فمنهم غني، ومنهم فقير، فقال الأغنياء للفقراء: أهؤلاء من الله عليهم بالهداية من بيننا؟ أليس الله تعالى بأعلم بمن يشكرون نعمته فيوقفهم إلى الهداية لدينه؟
- (٥٤) وإذا جاءك - أيها الرسول - الذين يصدقون بآياتنا الشاهدة على صدق ما جئت به فأكرمهم برد السلام عليهم وبشرهم برحمة الله، فإن الله تعالى أوجب على نفسه الرحمة إيجاب تفضل، فمن اقترف ذنبا بجهالة منه لعاقبته، ثم تاب من بعد ارتكابه له، وأصلح عمله فإن الله يغفر له ما ارتكبه فإنه غفور لمن تاب من عباده رحيم بهم.
- (٥٥) ومثل هذا البيان الذي بينا لك - أيها الرسول - نبين الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل ليتبين الحق، ولتضح طريق المجرمين ليتجنبه أهل الحق.
- (٥٦) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: قد نهاني ربي أن أعبد الأوثان التي تعبدونها من دونه، وقل لهم: إنني إن اتبعت أهواءكم قد ضللت عن طريق الحق، وما أنا من المهتدين.
- (٥٧) قل لهؤلاء المشركين إنني على برهان واضح من ربي، لا على هوى، وقد كذبتكم بهذا واتبعتم أهواءكم، وأنا لا أقدر على إنزال العذاب الذي طلبتموني، ولكن الله هو القادر، وهو الحكم يحكم ما يشاء متى شاء، وهو خير من يفصل بين الحق والباطل.
- (٥٨) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المستعجلين لعقاب الله، لو كان بيدي لأنزلته بكم وعند ذلك يقضي الأمر بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين ولا يستعجل بإنزال العذاب بل يمهلهم ليتوب منهم من يتوب.
- (٥٩) وعند الله عز وجل مفاتيح خزائن الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم كل ما في البر والبحر، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا توجد حبة مخبوءة في الأرض، ولا يوجد رطب ولا يابس إلا كان مثبتا في كتاب واضح وهو اللوح المحفوظ.
- (٦٠) والله هو الذي يتوفى أرواحكم بالليل فيقبضها من أجسامكم، ويعلم ما كسبتم من الأعمال في النهار، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسادكم لتقوموا بأعمالكم حتى تنتهي آجالكم المقدره عند الله، ثم إلى الله تعالى رجوعكم بيوم البعث، ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا ويجازيكم عليه.
- (٦١) والله هو القاهر فوق عباده كل شيء خاضع لجلاله، ويرسل عليكم - أيها الناس - ملائكة يحفظونكم ويحفظون أعمالكم حتى ينتهي أجل أحدكم فيقبض أرواحكم ملك الموت وأعوانه، وهم لا يقصرون فيما أمروا به.



﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ ۚ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوْنَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْنَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِيْنَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُوْنَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُيَاقًا وَيُذَيِّقْ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ ۚ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِنَّ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيْنَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْقُوتَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتَ ﴿٦٩﴾ ۝﴾

- أيها الرسول - كيف نوع الأدلة لهؤلاء المشركين
لعلهم يفهمون.

(٦٦) وكذب قومك - أيها الرسول - بهذا القرآن، وهو الحق
الذي لا ريب فيه، قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا
رقيب.

(٦٧) لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، وسوف
تعلمون - أيها الجاحدون - عاقبة أموركم يوم الحساب.

(٦٨) وإذا رأيت - أيها الرسول - المشركين الذين يتكلمون
في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء فلا تقعد معهم
حتى يأخذوا في حديث آخر، وإذا أنساك الشيطان هذا
الأمر وقعدت معهم، فلا تجلس بعد تذكرك مع هؤلاء
المعتدين.

(٦٩) ليس على الذين يخافون الله تعالى بامتنال أو امره
واجتناب نواهي، من حساب هؤلاء الخائضين بآيات الله،
ولكن عليهم أن يعظوهم، لعلهم يتقون الله.

(٦٢) ثم رد جميع من قبضت أرواحهم إلى الله مولاهم الحق،
ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده، وهو أسرع
الحاسبين.

(٦٣) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين من ينقذكم من
المهالك تلقونها في ظلمات البر والبحر؟ أليس الله
تدعونه في الشدائد متذللين في السر والعلن؟ وتقولون:
لئن سلمنا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين
لنعمه.

(٦٤) قل لهم - أيها الرسول: الله هو الذي ينقذكم منها ومن
كل شدة، ثم إنكم من بعد ذلك تشركون معه غيره في
العبادة.

(٦٥) قل لهم: الله هو القادر وحده على أن يرسل عليكم
عذابا يأتي من فوقكم مثل الصواعق والطوفان، أو
من تحت أرجلكم كالزلازل والحسف، أو يخالف بين
قلوبكم فتكونوا فرقا مختلفة يقتل بعضكم بعضا، انظر

٦٧ إن معجزة القرآن العلمية ظاهرة في نظمه، وفي إخباره عن الأولين، وفي إنبائه بحوادث المستقبل، وفي ظهور حكم
التشريع وغيرها. ولما ختم الله النبوة بمحمد ﷺ ضمن له حفظ دينه، وأيده ببينة كبرى، تبقى بين أيدي الناس إلى قيام
الساعة. وهكذا تستطيع بيعة الوحي المنزل على محمد ﷺ بما نزل فيه من علم إلهي يدرکه الناس في كل زمان ومكان،
ويتجدد على مر العصور والدهور. ولأن القرآن معجزة مستمرة لكل الخلق إلى يوم القيامة، فإن بيعة القرآن العلمية تبقى
ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة، ففي القرآن أنباء نعرف حقائقها وكيفياتها بعد حين.

و شاء الله أن يجعل لكل نبياً زمنًا خاصاً يتحقق فيه، فإذا تجلّى الحدث ماثلاً للعبان أشرفت المعاني التي كانت تدل عليها
الحروف والألفاظ في القرآن وتتجدد المعجزة العلمية في قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ويبقى النبا الإلهي محيطة بكل
الصور التي يتجدد ظهورها عبر القرون.

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَئِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلَّ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنِّي عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرْتَنِي أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

واجتناب نواهيها، فهو وحده الذي يجمع العباد يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم.

(٧٣) وهو الذي وحده خلق السموات والأرض بالحق، واذكر - أيها الرسول - يوم يقول الله «كن فيكون»، قوله هو الحق، وله الملك حين ينفخ في القرن النفخة الثانية، وهو عالم ما غاب وعالم ما شوهد، وهو الحكيم، الخبير.

(٧٤) واذكر حين قال إبراهيم عليه السلام لأبيه أزر: أتجعل من الأصنام آلهة تعبدونها من دون الله، إني أراك وقومك في ضلال بين عن طريق الحق.

(٧٥) وكما أريناه البصيرة في دينه في خلاف قومه كذلك أريناه ملك السموات والأرض ليكون من الراسخين في الإيمان واليقين.

(٧٦) فحين أظلم الليل على إبراهيم عليه السلام وغطى كل شيء أخذ يجادل قومه، وهم كانوا يعبدون النجوم، فلما رأى إبراهيم كوكبا قال مستدرجا إياهم: هذا ربي، فلما غاب الكوكب قال: لا أحب من يغيب لأن الإله لا يغيب.

(٧٠) واترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين الذين صيروا دينهم لعبا ولهوا، وخدعتهم الحياة الدنيا، بما فيها من متاع زائل، وذكروهم بالقرآن كي لا تسلم نفس إلى الهلاك بسبب ما كسبته من السيئات، ليس لها من دون الله ناصر ينصرها فينقذها من عذابه، ولا شافع يشفع لها عند الله يوم القيامة، وإذا افتدت من عذاب الله بأي فداء لا يقبل منها، أولئك الذين ارتهنوا بذنوبهم لهم في النار شراب شديد الحرارة وعذاب موجه بسبب كفرهم بالله وبرسوله.

(٧١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله أوأثانا لا تملك نفعا ولا ضرا، ونرجع إلى الكفر بعد أن هدانا الله فنكون مثل الذي أضلته الشياطين فتتركه حيران لا يهتدي سبيلا، وله رفقة مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه، فيأبى، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إن هدى الله هو الهدى الحق، وقد أمرنا أن نسلم لله وهو رب العالمين.

(٧٢) وقد أمرنا بإقامة الصلاة، وأن نخشاه بفعل أو امره

٧٥ لا شك أن النظر في موجودات هذا الكون وملاحظة الأنظمة ومظاهر الإبداع فيه تفضي بالمستبصرين الذين تحرروا من الغفلة والهوى والكبر إلى اليقين والاطمئنان القلبي بما يعاينونه من حقائق باهرة تدل على الخالق العظيم، وإلى ذلك أشارت هذه الآية حيث إن عبارة: ﴿ وليكون من الموقنين ﴾ تشير إلى هذه العاقبة الحميدة.



﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُفَقِّمُونَ ابْنَ بَرِيٍّ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتْنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾

إيمانهم بشرك أولئك لهم الأمن والسلامة، ولهم الهداية.

(٨٣) تلك الحجة التي غلب بها إبراهيم قومه، هي حجتنا التي وفقناه إليها، نرفع من نشاء من عبادنا في الدنيا والآخرة، إن ربك - أيها الرسول - حكيم في خلقه وتدييره، عليم بعباده.

(٨٤) ورزقناه إسحاق ابنا ويعقوب حفيدا، وفقنا كلا منهما للرشد والهداية، وكذلك وفقنا للحق نوحا من قبل إبراهيم وذريته، وكذلك وفقنا للحق من ذرية نوح كلا من داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام، ومثل هذا الجزاء الذي جازينا هؤلاء الأنبياء بإحسانهم نجزي كل محسن.

(٨٥) وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

(٨٦) ووفقنا كذلك إسماعيل واليسع ويونس ولوطا عليهم السلام، وكل هؤلاء الرسل فضلناهم على أهل زمانهم.

(٨٧) وكذلك وفقنا للحق من شئنا من آباؤهم وأبنائهم وإخوانهم، واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا، ووفقناهم لسلوك الطريق المستقيم.

(٨٨) ذلك الهدى الذي حصل لهم هو من توفيق الله يوفق من يشاء من عباده، ولو أشرك هؤلاء بالله لبطل عملهم لأن الله تعالى لا يقبل مع الشرك عملا صالحا.

(٧٧) فلما رأى القمر طالعا قال لقومه مستدرجا إياهم: هذا ربي، فلما غاب قال: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيدهِ لأكونن من القوم الضالين عن دينه.

(٧٨) فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكواكب والقمر، فلما غابت قال لقومه: إني بريء مما تشركون مع الله، وحين سأل قومه فمن تعبد إذن؟

(٧٩) قال لهم: إني أخلصت ديني لله الذي خلق السماوات والأرض من دون مثال سابق ماثلا عن الشرك إلى التوحيد الخالص، وما أنا من المشركين الذين يعبدون معه غيره.

(٨٠) وجادله قومه في التوحيد، فقال: أتجادلونني في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد وفقني الله إلى الحق والصواب، ولست أخاف من أصنامكم فإنها لا تملك ضرا ولا نفعا، ولكن أخاف ربي الذي يملك كل شيء وسع ربي كل شيء علما، أفلا تعلمون أنه وحده المستحق للعبودية؟

(٨١) وكيف أخاف من أوثانكم التي تعبدونها من دون الله، ولا تخافون ربي الذي خلقكم وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة من غير حجة لكم على ذلك، فأَي الفريقين منا أولى بالسلامة والأمن إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني؟

(٨٢) الذين صدقوا الله ورسوله، وأخلصوا في عبادة الله، ولم يخلطوا

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُنَّ لِأَنَّهَا قَدْ وُكِّلَتْ بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا يَكْفُرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أُنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ يَوْمَ تَجُزُّونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

(٨٩) أولئك الأنبياء المذكورون من قبل أرسلناهم ليهودوا الناس، هم الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة، فإن يكفر قومك - أيها الرسول - بالآيات التي جئتكم بها فقد وفقنا منهم من يؤمن بك من المهاجرين والأنصار وأتباعهم يتبعونك إلى يوم الدين.

(٩٠) أولئك الأنبياء هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق فاتبع - أيها الرسول - هداهم واسلك سبيلهم، وقل لقومك: لا أطلب منكم على تبليغ رسالتي جزاء، والذي أنزل الله إلي هو القرآن والسنة وهما موعظة للعالمين.

(٩١) وما عظم الله حق تعظيمه من أنكر الوحي من المشركين أو اليهود حين قالوا: ما أنزل الله على بشر شيئا من الوحي فلم ينزله على محمد، قل لهم - أيها الرسول: من الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه فيه نور وهداية للناس تجعلون - أيها اليهود - هذا الكتاب في دفاتر متفرقة، تظهرون منها ما يوافق أهواءكم، وتكتمون كثيرا منها، وما كنتم أسلافكم ما كان فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وعلمكم الله - معشر العرب - بالقرآن الذي أنزل على رسوله ما لم تعلموا أنتم ولا أسلافكم من قبل، قل - أيها الرسول: الله هو الذي أنزله ثم دعهم في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون حتى يأتيهم الموت.

(٩٤) ويقال لهم يوم البعث: ولقد جئتمونا في هذا اليوم فرادى كما أنشأناكم أول مرة حفاة عراة غرلا، وتركتم ما أعطيناكم وراء ظهوركم في الدنيا، وما نرى اليوم أصنامكم الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم، وزعمتم أنهم شركاء الله في العبادة، وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من شفاعتهم.



﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفِكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

(٩٥) إن الله يشق الحب فيخرج منه الزرع، ويشق النوى فيخرج منه الشجر، ويخرج الحي من الميت، كالإنسان والحيوان مثلاً يخرجان من النطفة، والنطفة من الحي، هذا من خلق الله وهو المستحق للعبادة، فكيف تصرفون عن الحق مع ما ترون من بديع صنعه وكماله.

(٩٦) والله هو الذي شق ضوء النهار من ظلمة الليل، وهو الذي جعل الليل يسكن فيه من يتعب من العمل في النهار، والشمس والقمر يجريان ومنهما يحسب النهار والليل، الذي قدر لهما العزيز العليم.

٩٥ للبذور النباتية اسمان متميزان أولهما (الحب) وثانيهما (النوى)، ويعبر بلفظة (الحب) عن البذور المستخدمة كمحاصيل غذائية أساسية للإنسان من مثل حبوب القمح والشعير، أما البذور التي لها قدر من الصلابة فيطلق عليها اسم (النوى) ومفردتها نواة، وذلك مثل نواة التمر، وأياً كانت طبيعة غلاف أو أغلفة البذرة رقيقة هشّة، أو سميكة خشبية أو قرنية صلبة فإن الله تعالى قد أعطى للجنين الكامن بداخلها القدرة على شقها وقلتها بمجرد توافر الشروط اللازمة لإنباته. وقد كشف العلم عن العمليات المعقدة في فلق الحب والنوى والتي لا يقوى عليها أحد من الخلق، ولا يمكن لها أن تتم بغير توجيه، وهداية ربانية. ثم إن ظاهرة خروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي تنطبق على أمثلة عديدة وفي مستويات متنوعة - فمن ذلك :

(١) أن المواد الغذائية التي تتناولها الكائنات الحية ما هي إلا مواد كيميائية ميتة، هذه المواد عندما يتغذى عليها الكائن الحي تهضم بجهازه الأنزيمي وتمتص بجهازه الماص وتدخل إلى الخلايا فتتحول بقدرة الخالق سبحانه من مواد كيميائية ميتة لا حياة فيها إلى مواد حيوية حية، من سيتوبلازم حي، ونواة حية، وأحماض أمينية وعضيات خلوية كلها حي، أليس هذا بإخراج للحي من الميت.

(٢) مثال آخر على إخراج الحي من الميت يتمثل في المعادن الموجودة في الأرض الزراعية، وهي عبارة عن مواد ميتة انفصلت عن الصخور الأرضية بفعل العوامل الكيميائية والطبيعية والأحيائية، عندما يمتصها النبات وتدخل إلى خلاياه تتحول بعد اتحادها مع بعض المواد الغذائية الأخرى إلى سيتوبلازم حي وعضيات حية.

(٣) ومن أمثلة ذلك تحول الفيروسات الخاملة إلى حية بعد دخولها الخلية.

(٤) حيث يضع الذباب الأزرق بيضه على حثث البشر والحيوانات ويفقس البيض ويخرج منه اليرقات (الدود) والتي تتطور إلى ذباب حي يطير في الهواء

ومن هنا يتبدى لنا حكمة اقتران ذكر عملية انفلاق الحب والنوى وإخراج الحي من الميت والميت من الحي.

٩٦ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ شق نور الصبح عن ظلمة الليل وسواده، و«الإصباح» مصدر من قول القائل: (أصبحنا إصباحاً). ومن المعلوم عند علماء الفلك بأن طبقة النهار هي التي تشق ظلام الكون فتفصل بالتدريج بين الأرض عن ليل السماء بطبقة نور النهار الرقيقة التي لا يتعدى سمكها مائتي كيلومتر بالنسبة إلى المسافة بين الأرض والشمس المقدرة بنحو (١٥٠) مليون كيلومتر. ويقرر علماء الفلك أن ظلمة الكون هي الأصل وأن ضوء النهار هو الطارئ، فسبحان الخالق العليم المقدر.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، فقد أثبت الطب الحديث أن بجسم الإنسان غدة تسمى «الغدة صنوبرية» تقع تحت سريير المهاد بالدماع، تقوم بإنتاج هرمون الميلاتونين الذي تفرزه ليلاً، وتتوقف عنه نهاراً، وهذا الهرمون يلعب دوراً مهماً في المحافظة على جسد الإنسان؛ لأنه من مضادات الأكسدة، فيقلل من فرص التعرض لأمراض القلب والشرايين بالتقليل من فرص تجلط الدم، ويعمل على المحافظة على الخلايا العصبية وخلايا الدماغ، كما يعمل على تقوية جهاز المناعة بالجسم، ويؤخر ظهور آثار الشيخوخة عليه، ويبدو أن التعرض لطاقة الشمس بالنهار يزيد من قدرة الغدة الصنوبرية على إفراز هرمون السيرتونين نهاراً، وعلى إفراز الميلاتونين ليلاً، بينما تعرض الإنسان ليلاً للأضواء الاصطناعية لا يساعد على إنتاج السيرتونين، ويثبط من قدرة هذه الغدة على إفراز الميلاتونين الذي تتناقص معدلات إنتاجه بزيادة شدة الضوء الذي يتعرض له الإنسان. وأيضاً فخلال النهار يشحن إشعاع الشمس جزيئات الهواء فتأينه، فإذا جاء الليل ترجع الجزيئات إلى حالتها الطبيعية.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِنَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرٍ مُشْتَبِهًا أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ۞

- (٩٧) والله هو الذي خلق لكم - أيها الناس - النجوم في السماء علامات تعرفون بها الطرق ليلاً إذا ضللتكم في البر أو البحر، قد بينا الأدلة والبراهين ليستفيد منها أولو العلم منكم.
- (٩٨) والله هو خلقكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام، ثم خلقكم منه، وخلق لكم ما تستقرون فيه من أرحام أمهاتكم، وخلق لكم مستودعا تحفظون فيه وهو أصلاب آبائكم، قد بينا الآيات لقوم يفهمون.
- (٩٩) والله هو الذي أنزل من السماء مطراً فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعاً وشجراً أخضر، ثم أخرج من الزرع حبا يركب بعضه بعضاً كسنابل القمح وغيرها، وأخرج من طلع النخل وهو الغلاف الذي ينشأ فيه أول ثمر النخل، وأخرج بساتين العنب، وأخرج الزيتون والرمان متماثلاً ورقهما، مختلف ثمرهما طعماً وطبعاً، انظروا - أيها الناس - إلى ثمرها أول ما يبدو، وإليه حين ينضج، إن في ذلك لدلالة على كمالها لقوم يصدقون.

٩٧ أعتمد علماء الفلك على النجوم بشكل رئيسي على إهتدائين وهما (١) إهتداء وقتي ويسمى «زمن نجمي» وهو الأصل في تحديد الوقت، ومنه يتم معرفة التغير في الزمن الشمسي كل عام ويتم تصحيحه. (٢) الإهتداء المكاني: فبالنجوم يتم تحديد المواقع على الأرض (GPS) ومواضع الأجرام السماوية في السماء ومواضع النجوم، وأحد أشهر هذه الأمثلة القديمة هو النجم القطبي، فبالنجم القطبي الذي يقع أعلى القطب الشمالي مباشرة. أي على محور دوران الأرض حول محورها تقريباً فلا يشرق ولا يغرب فيبدو ثابتاً في السماء فيستخدم لمعرفة إتجاه الشمال الجغرافي.

٩٨ مستقر ومستودع: أن الله عز وجل أخبر نبيه محمد ﷺ والأمة من بعده بحقيقة علمية وهي أن آدم عليه السلام هو أصل البشرية وأنه مستقر ومستودع لصفات الجنس البشري وقد أثبت العلم الإحصائي والبيولوجي أن أصل البشرية هو آدم عليه السلام، وأن آدم عليه السلام أيضاً مستودع لهذه الصفات لأنه نقلها إلى أمنا حواء حيث انتقلت من آدم جميع صبغيات الجنس البشري وانتقل معها الصبغى X لتحمل حواء هذه الصفات البشرية والصبغى الذي يحدد نوع الجنين بالأنثى، ومنهما انتقلت هذه الصفات إلى الذرية من بعدهما وسوف تنتقل إلى أن تقوم الساعة. وفي المرحلة الجنينية مستقر للخلايا الجنسية الأولية وموجودة بين الصلب والترائب وتهاجر إلى الخصيتين والمبييضين لتكون مستقراً للنطاف المنوية والبويضات، وأن الأرحام مستقر للأجنة ومستودع لصفات الجنس البشري في هذه الأجنة. كما أن الخلايا الجزعية في الذرية مستقر ومستودع لصفات الجنس البشري وبعد الممات تكون القبور مستقر للموتى ومستودع للجنس البشري متمثلاً في عجب الذنب الذي لا يبلى في التراب بل يركب منه الخلق للبعث والنشور والحساب والجزاء.

٩٩ أولاً: الماء: (أنزل من السماء ماء) قد ثبت بالعلم أن أحد أهم مصادر ماء الأرض هو الفضاء حيث تم رصد المذنبات المحملة بالماء تسقط إلى الأرض، وهو ما أشارت إليه الآية «أنزل من السماء» فالسما كل ما على وأرتفع فتشمل ما هو أعلى من الغلاف الجوي لقوله تعالى (السحاب المسخر بين السماء والأرض).

ثانياً: اليخضور (الكلوروفيل): وهو من المكونات الأساسية لخلايا أوراق النبات والذي يحول الطاقة الشمسية وثاني أكسيد الكربون والماء إلى مركبات غذائية من البروتينات والدهون والسكريات في عملية التمثيل الضوئي ويكون أيضاً الحب المتراكم والذي ينتج منه الثمار والمحاصيل الزراعية المختلفة.



﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ، بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْيِرَ عِلْمِ سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾
 بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَالِكُمْ
 اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ
 وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
 وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ
 مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
 حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ
 زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ
 جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ۞

- (١٠٠) وقد جعل المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة، وقد خلقهم الله وما يعبدون من العدم ولم يخلقهم غيره فهو أولى أن يعبد، وكذب هؤلاء المشركون فجعلوا له بنين وبنات جهلا منهم تعالى الله عما يصفه به المشركون.
- (١٠١) والله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق، كيف يكون له ولد ولم تكن له زوجة وهو خالق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، ولا يخفى عليه ما نسب إليه هؤلاء الجهلة من البنين والبنات فيحاسبهم يوم لا ناصر لهم دونه.
- (١٠٢) ذلكم الذي لا ولد له ولا صاحبة، هو ربكم جل وعلا، ولا معبود بحق غيره، وهو خالق كل شيء، فانقادوا له بالطاعة والعبادة، وهو على كل شيء حفيظ.
- (١٠٣) لا تحيط به الأبصار في الدنيا، وإنما المؤمنون يرونه يوم القيامة بغير إحاطة، وهو سبحانه يدرك الأبصار، وهو الرفيق بعباده، الذي أحاط بالأشياء علما بطواهرها وبواطنها.
- (١٠٤) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: قد جاءكم حجج واضحة من ربكم فمن عقلها أبصر الحق مما اشتمل عليه القرآن فتبين له الحق فآمن، ومن عمي عن الحجة ولم يعقلها ولم يدع لها فضرر ذلك يعود على نفسه، ولست عليكم رقيبا، وإنما أنا رسول ربي إليكم وهو الرقيب عليكم.
- (١٠٥) وكما بينا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد كذلك نبين لهم كل ما جهلوه، وسيقول المشركون: ليس هذا وحيا وإنما درسته عن أهل الكتاب وهم لا يؤمنون، وإنما نبينه لقوم يعلمون الحق فهم يتبعونك.
- (١٠٦) اتبع - أيها الرسول - ما يوحيه إليك ربك من الحق، فهو سبحانه لا معبود بحق غيره، ولا تبال بعناد المشركين فإنهم لا يضرونك.
- (١٠٧) ولو شاء الله أن لا يشركوا ما أشركوا به أحدا، وما جعلناك - أيها الرسول - عليهم رقيبا تحصي عليهم أعمالهم، وما عليك إلا البلاغ.
- (١٠٨) ولا تسبوا - أيها المؤمنون - الأوثان التي يعبدها المشركون مع الله، حتى لا يسب المشركون الله تطاولا عليه وجهلا بغير علم، وكما زين لهؤلاء ما هم عليه من الضلال، زينا لكل أمة عملهم خيرا كان أو شرا، ثم إلى ربهم معادهم جميعا فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ثم يجازيهم بها.
- (١٠٩) وأقسم المشركون بالله أشد أيمانهم التي يقدرونها لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقن بما جاء به، قل لهم - أيها الرسول - الآيات ليست عندي فأنزلها، وإنما هي عند الله ينزلها متى شاء، وما يدريكم - أيها المؤمنون - أن هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدق بها هؤلاء المشركون.

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْعُدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ
 وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيَوْمِ مُؤْمِنًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
 نَبِيِّ عَدُوًّا شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
 ﴿١١٢﴾ وَلِنَصِّحِيَ إِلَيْهِ أَفْعُدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَقْرَءُوا مَا هُمْ مُقْرَفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا
 وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
 ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ
 ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا وَمِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايِنِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ
 مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ ۞

وبنو إسرائيل الذين عندهم التوراة والإنجيل يعلمون
 علما يقينا أن القرآن منزل عليك - أيها الرسول - من
 ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكين في شيء مما أوحينا
 إليك.

(١١٥) قد تمت كلمة ربك صدقا في الأقوال وعدلا في الأحكام،
 لا يستطيع أحد أن يبدل كلماته، وهو السميع لأقوال
 عباده، العليم بأعمالهم، لا يخفى عليه شيء من أعمال
 عباده، وسيجازيهم عليها.

(١١٦) ولا تلتفت - أيها الرسول - إلى أقوال أكثر من في
 الأرض من الناس فإنهم على الباطل يضلونك عن دين
 الحق، وأنت على الحق الذي أوحى إليك ربك.

(١١٧) إن ربك هو أعلم بالضالين عن سبيل الرشاد، وهو أعلم
 بالمهتدين إليها، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(١١٨) فكلوا - أيها الناس - الذبائح التي ذكر اسم الله عليها،
 إن كنتم مصدقين حقا ببراهينه الواضحة.

(١١٩) وما المانع لكم - أيها المؤمنون - من الأكل مما ذكر اسم
 الله عليه، وقد بين لكم الله ما حرمه عليكم إلا إذا ألتأتكم
 إليه الضرورة كالمجاعة وغيرها، فالضرورة تبيح المحظور،
 وإن كثيرا من الضالين ليضلون أتباعهم عن سبيل الله
 بآرائهم الفاسدة، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال، وإن
 ربك - أيها الرسول - هو أعلم بالمتجاوزين لحدود الله،
 وسيجازيهم على تجاوزهم لحدوده يوم الحساب.

(١١٠) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم فنحول بينها وبين الانتفاع
 بآيات الله فلا يؤمنون بها، كما لم يؤمنوا بآيات القرآن
 أول مرة بسبب عنادهم، وتركهم في ضلالهم وتمردهم
 على ربهم حيارى يتخبطون.

(١١١) ولو أننا أجبنا طلب هؤلاء المشركين بالإتيان بما اقترحوه
 فنزلنا إليهم الملائكة، وشاهدوهم وأحيينا لهم الموتى
 وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعابنوه عيانا، ما كانوا
 ليؤمنوا بما جئت به - أيها الرسول - إلا من شاء الله له
 الهداية منهم، ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون الحق.

(١١٢) وكما ابتليناك - أيها الرسول - بمعادة هؤلاء المشركين
 لك ابتلينا جميع الأنبياء عليهم السلام من قبلك، فجعلنا
 لكل واحد منهم أعداء من مردة الإنس ومردة الجن،
 يلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زينوه بالباطل،
 ليخدعوه، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه،
 ولكنه ابتلاء من الله، فدعهم وما يفترون من الكفر
 والباطل، وتوكل على الله.

(١١٣) ولتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالآخرة،
 وليقبلوه لأنفسهم، ويرتضوه لها وليكتسبوا من الأعمال
 السيئة ما هم مكتسبون.

(١١٤) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين الذين يعبدون مع
 الله غيره، هل يعقل أن أقبل غير الله حكما بيني وبينكم،
 وهو الذي أنزل إليكم القرآن مينا مستوفيا لكل شيء،



﴿ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسَقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمَّكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

فيها بالصد عن دين الله ومحاربة الرسل وأتباعهم، والواقع أن مكرهم وكيدهم إنما يعود عليهم، ولكنهم لا يحسون بذلك.

(١٢٠) واتركوا - أيها الناس - جميع المعاصي ظاهرة كانت أو باطنة، إن الذين يرتكبون المعاصي في العلانية والسر سيعاقبهم ربهم بسبب ما كانوا يعملون من السيئات.

(١٢٤) وإذا جاءت كبراء الكفار حجة ظاهرة على صحة نبوة محمد ﷺ قالوا: لن نصدق نبوته حتى يعطينا الله مثل ما أعطى رسله السابقين، فرد الله عليهم بأن الله أعلم بمن هو صالح للرسالة والقيام بأعبائها فيختصه بها، سينال هؤلاء الطغاة ذل وإهانة، ولهم عذاب موجه بسبب مكرهم وكيدهم.

(١٢١) ولا تأكلوا - أيها المسلمون - الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح فإنها حرام، وإن الأكل منها خروج عن طاعة الله، وإن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من الإنس بالقاء الشبه ليجادلوكم في تحريم الميتة بقولهم إنكم لا تأكلون ما قتله الله وتأكلون ما تذبحونه، وإن أطعتموهم في تحليل الميتة فأنتم وهم سواء في الشرك.

(١٢٥) فمن شاء الله أن يوفقه للهداية يوسع قلبه للتوحيد والإيمان، ومن شاء أن لا يوفقه للهداية يجعل صدره شديد الضيق عن قول الحق، كحال من يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس، كما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

(١٢٢) أو من كان كافرا فهديناه بالإيمان يسير في أمور حياته بين الناس على بصيرة من ربه، كمن يمشي في حياته في ظلمة الكفر والجهل لا مخلص له مما هو فيه، لا يستويان، فالكافر زين له سوء عمله فرآه حسنا بما كان يعمل

(١٢٣) ومثل ما حصل من زعماء الكفار في مكة من الصد عن دين الله، جعلنا في كل قرية زعماء من المجرمين ليمكروا

١٢٥ إن آلية حصول ذلك الضيق ومن ثم الحرج يعود إلى شيئين هما :

- (١) نقصان كمية الأكسجين اللازمة لاستمرار قيام أعضاء الإنسان بوظائفها بشكل سليم.
- (٢) تخلخل الجو الذي يفرض على نقص الضغط الجوي مما يؤدي إلى انعدام التكافؤ بين الضغط الذاتي الداخلي عند الإنسان في الشرايين والأوردة، والضغط الخارجي مما يهدد بتفجر الأوعية الدموية بعد حصول الخلل في الدورة الدموية وعمل القلب. فتنقصان الأكسجين وتخلخل الضغط يحصلان للإنسان في الإرتفاعات العالية في عدة مراحل آخرها مرحلة الحرج، حيث يحصل فشل كامل في الوظائف الفسيولوجية خاصة الجهاز العصبي نتيجة النقص الشديد في كمية الأكسجين ونقص الضغط الجوي مما يؤكد لنا أن ما دل عليه النص الشريف هنا يثبت أن هذا القرآن هو كلام الله عز وجل الذي أحاط بكل شيء علما.

﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلُمَّ دَارَ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ
يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ
رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيُّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾
وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُدْهِبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَشَاءَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا
تُوعَدُونَ لَأْتِيَنَّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ ۞

الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين
وحداية الله ومكذبين لرسله عليهم السلام، ويومئذ لا
ينفعهم هذا الإقرار، فلهم النار.

(١٢٦) إن الله لم يكن ليهلك المشركين دون التنبيه والتذكير
بإرسال الرسل إليهم.

(١٢٧) ولكل عامل في طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من
عمله يبلغه الله إياها، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وما ربك
بغافل عما كانوا يعملونه، وسيجازيهم على أعمالهم.

(١٢٨) وربك - أيها الرسول - هو الغني عن جميع خلقه
وهم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، وهو ذو الرحمة لم
يهلك العصاة بل يترحمهم ليتوبوا إليه، ولو أراد لأهلكهم
وأوجد قوما غيركم يخلفونكم، كما أوجدكم من نسل
قوم آخرين كانوا قبلكم.

(١٢٩) إنما توعدون به - أيها الكفار - من البعث والنشور
لآت لا محالة ولن تعجزوا ربكم هربا، فهو قادر على
إعادتكم، وإن صرتم ترابا وعظاما.

(١٣٥) قل - أيها الرسول - يا قوم اثبتوا على طريقتكم وما
أنتم عليه من الكفر والضلال، وإني ثابت على ما أنا
عليه، فسوف تعلمون من هو على الحق، ومن الذي
تكون له العاقبة الحسنة، إنه لا يفوز المشركون لا في الدنيا
ولا في الآخرة.

(١٢٦) وهذا الذي بيناه لك - أيها الرسول - هو الطريق
الموصل إلى رضوان الله، قد بينا الآيات لمن يتذكر وهو
من أهل العقول الراجعة.

(١٢٧) لهم الجنة يوم القيامة يسلمون فيها من كل مكروه،
والله هو وليهم وناصرهم، وحافظهم جزاء لهم على
أعمالهم الصالحة.

(١٢٨) واذكر - أيها الرسول - يوم يحشر الله الجن والإنس،
ثم يقول: يا معشر الجن قد أضللتكم كثيرا من الإنس،
وقال أتباعهم من الإنس: يا ربنا قد انتفع بعضنا من
بعض، وبلغنا الأجل الذي أجلته لنا، قال الله تعالى: النار
مستقركم خالدين فيها إلا من شاء الله إخراجا منها من
العصاة الموحدين، إن ربك حكيم في تقديره وتدييره،
عليم بمن يستحق رحمته ومن يستحق عذابه.

(١٢٩) وكما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي
أغوتهم من الجن، كذلك نعمل بالظالمين نسلط بعضهم
على بعض، ونهلك بعضهم ببعض ونتقمم من بعضهم
ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم.

(١٣٥) يا معشر الإنس والجن: ألم يأتكم رسل من الإنس؛
يتلون كتب الله، ويخوفونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا:
بلى أقررنا اليوم على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك،
ولكن كذبنا رسلك، وخذعت هؤلاء المشركين زينة



﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِرِعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَمُحَرَّمٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ كَانَ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ۝

من الأجنة إن ولد حيا مباح لرجالنا ومحرم على نساءنا، ويشتركون فيه إذا ولد أو سقط ميتا، سيجزيهم بقولهم هذا ما يستحقون، إنه حكيم في تشريعه، عليم بأعمال عبادهم. (١٤٠) قد هلك الذين قتلوا أولادهم لحفة عقولهم ولجهلهم، وحرّموا ما رزقهم من الأنعام وسموها بحائر وسوائب افتراء على الله، قد ضلوا عن سبيل الرشاد، وما كانوا مهتدين إليه.

(١٤١) والله عز وجل خلق بساتين منها ما هي مبسوطة على وجه الأرض دون ساق، ومنها مرفوعة عليها ذات ساق، وهو الذي خلق النخل وخلق الزرع، مختلفا ثمره في الشكل والطعم، وهو الذي خلق الزيتون والمان متشابهها منظره، مختلفا ثمره وطعمه، كلوا - أيها الناس - من ثمره إذا أثمر، وأدوا زكاته يوم حصاده، ولا تتجاوزوا الحدود الشرعية في الأكل والإنفاق، فالله لا يحب المتجاوزين لحدوده فيهما ولا في غيرهما، بل يبغضه.

(١٤٢) وهو الذي خلق لكم من الأنعام ما هو مهيا للحمل عليه كالإبل، ومنها ما هو مهيا لغير الحمل كالغنم، كلوا - أيها الناس - لحوم ما أباحه الله لكم وأعطاكموه، ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحریم كما فعل المشركون، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة من عهد أبيكم آدم عليه السلام.

(١٣٦) وجعل المشركون جزءا مما خلق الله من الزرع والثمار والأنعام لله سبحانه وتعالى، وقسما آخر لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما خصصوه لشركائهم لا يصل إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها، وما كان مخصصا لله فهو يصل إلى شركائهم، ساء ما يحكمون به حيث حكموا بإيثار آلهتهم على الله سبحانه.

(١٣٧) وكما حسّن الشيطان للمشركين هذا الحكم الجائر حسّن لكثير من المشركين شركاءهم من الشياطين قتل أولادهم خشية الفقر، ليهلكوهم بالوقوع في قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، وليخلطوا عليهم دينهم فلا يعرفون ما هو مشروع وما هو غير مشروع، ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين وافتراءهم الكذب على الله، فسيحكم الله بينك وبينهم يوم الحساب.

(١٣٨) وقال المشركون: هذه أنعام وزرع حرام ممنوعة لا يأكل منها إلا من نريد بزعمهم وافتراءهم من خدام الأوثان، وقالوا: هذه أنعام حرمت ظهورها فلا يحل ركوبها والحمل عليها، وهذه أنعام لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح والركوب وكذبوا بادعائهم أن هذا من دين الله، سيجزيهم الله بما كانوا يفترون على الله.

(١٣٩) وقالوا: ما في بطون هذه الأنعام يعني السوائب والبحائر

﴿ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبُوءِي يَعْلَمُ بِكُمْ صَدِيقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّمْرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

الله، أو الذي ذبح على غير اسم الله كالمذبوح للأصنام وغيرها، فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات بسبب الجوع غير طالب تلذذاً، وغير متجاوز حد الضرورة فلا إثم عليه، إن الله غفور، رحيم به.

(١٤٦) وحرّمنا على اليهود من البهائم والطيور ما لم تتفرّق أصابعه كالإبل والنعام وغيرها، وحرّمنا عليهم شحوم البقر والغنم إلا ما علق بظهورهما أو ما حملته الأمعاء، أو ما اختلط بعظم الإلية والجنب ونحو ذلك، عقوبة منا بسبب أعمالهم السيئة، وإنا لصادقون في كل ما نخبر به.

(١٤٧) فإن كذبك - أيها الرسول - المعاندون من المشركين واليهود ومن شابههم، فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة، وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة باتباع رسوله، ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين وهذا تهيب لهم عن مخالفتهم الرسول ﷺ.

(١٤٨) سيقول مشركو قريش وغيرهم: لو أراد الله أن لا نشرك نحن ولا آبائنا، ولا نحرّم شيئاً من دونه، ما فعلنا ذلك، وبمثل حجّتهم الداحضة كذب الذين من قبلهم بالمرسلين إليهم، واستمروا على هذا حتى نزل بهم عذاب الله، قل لهم - أيها الرسول: هل عندكم دليل يدل على أن الله رضي منكم أن تشركوا به وما أنتم إلا تكذبون على الله، وتحملون وتحرمون من دونه، فتظهروا لنا ذلك الدليل، إنكم لا تتبعون في ذلك إلا الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

(١٤٣) هو الذي خلق لكم من الأنعام ثمانية أصناف، أربعة منها من الضأن زوجين ذكراً وأنثى، ومن المعز اثنين ذكراً، وأنثى قل - أيها الرسول - للمشركين: هل حرم الله تعالى الذكزين؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك؛ لأنهم لا يحرمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حرم الله الأثنيين من الضأن والمعز؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا؛ لأنهم لا يحرمون كل أنثى من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حرم الله ما اشتملت عليه أرحام الأثنيين من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا لأنهم لا يحرمون كل حمل من ذلك، أخبروني - أيها المشركون - علام تستندون عليه من علم يدل على صحة قولكم في التحريم والتحليل؟

(١٤٤) والأصناف الأربعة الباقية هي من الإبل: زوجان ذكر وأنثى، ومن البقر زوجان ذكر وأنثى، قل - أيها الرسول - لأولئك المشركين: أحرم الله الذكزين أم الأثنيين؟ أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأثنيين ذكورا وإناثا، أم كنتم - أيها المشركون - حاضرين حين وصّاكم الله بتحريم ما حرمت من هذه الأنعام؟ فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب ليضل الناس عن الصراط المستقيم بغير علم، إن الله لا يوفق للهداية الظالمين الذين ظلموا أنفسهم.

(١٤٥) قل - أيها الرسول - للمشركين الذين يحلّون أشياء ويحرّمون أشياء كذبا وبهتاناً على الله: إني لا أجد فيما أوحى إلي شيئاً محرماً إلا ما مات دون ذكاة، أو كان دماً سائلاً، أو كان لحم خنزير فإنه نجس لأجل ذلك حرّمه



١٤٥ نَفِكَ عَنْ لَحْمِ الْخَنزِيرِ أَيْدَاءً. وَهَذَا يَبِينُ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي التَّحْرِيمِ لَيْسَتْ عَارِضَةٌ أَوْ مَكْتَسِبَةٌ، وَالْعِلَّةُ الْعَارِضَةُ كَأَكْلِهِ الْقَاذِرَاتِ وَالْقِمَامَةَ وَهَذَا يَحْدُثُ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ دُونَ غَيْرِهَا لِأَنَّ الْغُرْبَ يَطْعَمُونَ الْخَنَازِيرَ أَعْلَافًا طَيِّبَةً وَيُرَبِّونَهَا فِي حِظَائِرٍ نَظِيفَةٍ مَغْلُقَةٍ وَمَكِيفَةٍ وَهَنَّاكَ تَنْتَفِي هَذِهِ الْعِلَّةُ الْعَارِضَةُ، كَمَا أَنَّ الْعِلَّةَ أَيْضًا لَيْسَتْ مَكْتَسِبَةٌ تَزُولُ بِزَوَالِ سَبَبِهَا كِإِصَابَتِهِ بِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ الطَّفِيلِيَّةِ وَالْبِكْتِيرِيَّةِ وَالْفَيْرُوسِيَّةِ لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ مَكْتَسِبَةٌ وَمِنْ الْمُمْكِنِ السَّيْطِرَةُ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْعِلَاجِ بِالْمُضَادَّاتِ الْحَيَوِيَّةِ ضِدَّ مَسَبِّبَاتِ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ أَوْ بِاسْتِخْدَامِ اللَّقَاحَاتِ وَهِيَ الْآنَ شَائِعَةٌ وَتُسْتَعْمَدُ عَلَى نَطَاقٍ وَاسِعٍ وَبِذَلِكَ تَنْتَفِي هَذِهِ الْعِلَلُ الْمَكْتَسِبَةُ أَيْضًا، وَبِانْتِفَاءِ الْعِلَّةِ الْعَارِضَةِ أَوْ الْعِلَّةِ الْمَكْتَسِبَةِ يَنْتَفِي الْحُكْمُ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَتْلَى إِلَى أَنَّ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَبِذَلِكَ تَبْقَى الْعِلَّةُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي لَا تَنْفَكُ عَنِ لَحْمِ الْخَنزِيرِ فِي كَوْنِهِ نَجَسًا وَضَارًا وَمُؤْذِيًا لِمَنْ يَأْكُلُهُ هِيَ الْأَصْلُ فِي بَقَاءِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ نَجَاسَةُ لَحْمِ الْخَنزِيرِ كَمَا تَحَقَّقَ الضَّرَرُ مِنْ أَكْلِ لَحْمِهِ مِنْ خِلَالِ الْأَبْحَاثِ الْعِلْمِيَّةِ الْعَدِيدَةِ وَهَذِهِ بَعْضُ نَتَائِجِهَا:

١. إن الخنزير حيوان سبعي له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سئحت له الفرصة لأكل الأطفال لأكلها وهذا عكس الأنعام تمامًا فهي بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط.

٢. إن عدم وجود انزيمي «خميرة» (أكسيد الزانثين ويوريكيز) في بلازما الخنزير وقلة وجوده في الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البولييك في أنسجته، فالخنزير يتخلص من (٠.٢٪) فقط من هذا الحمض والباقي يختزن في جسده وهذا عكس الأنعام فهي تتخلص من حمض البولييك بكميات كبيرة لوجود (أكسيد الزانثين) في بلازما الأبقار وهو يقوم بتكسير حمض البولييك إلى (ألتونين) والذي يفرز في بول الأبقار بكميات عالية جدًا؛ وبالتالي تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالي اللحم؛ فيكون لحم الأبقار طاهراً طيباً، كما يوجد في بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز والذي يقوم بتكسير حمض البولييك، وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضاً طاهراً طيباً.

٣. أن كثرة وجود حمض البولييك في دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته، ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأنه رجس.

٤. بينما وجود أحد هاذين الأنزيمين في بلازما الأبقار أو الخراف يؤدي إلى التخلص من الجزء الأكبر من حمض البولييك إلى طهارة لحمها.

٥. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثة المختلط ببوله وما به أيضاً من حمض البولييك يجعل تراكم هذا الحمض في لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل في علة التحريم للحم الخنزير وهي أنه رجس وهذا من الإعجاز العلمي لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير.

٦. أن الخنزير يحتوي على (٥٠٪) من لحمه دهنيات وأن هذه الدهنيات منها (٢٨٪) دهون مشبعة ترى جليدي ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوي على (٦٪) فقط من الدهون وهي سهلة الهضم، والأغنام تحتوي على (١٧٪) دهون أيضاً سهلة الهضم، وهذا يدل أيضاً على الضرر المحقق من تناول لحم الخنزير.

٧. أن الخنزير يحتوي على كميات عالية من هرمونات النمو وهي تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير، وهذا أيضاً يسبب ضرراً آخر محققاً من تناول لحم الخنزير ويعد علة ذاتية على التحريم.

٨. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام، وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير.

٩. أن لحم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا يحتوي هذا الهرمون.

١٠. أن نسبة الكوليسترول في لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما في البقر، ولهذا الحقيقة أهمية خطيرة؛ لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول في دم الإنسان، وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعي تترسب في الشرايين، ولا سيما شرايين القلب؛ وتسبب تصلب الشرايين وارتفاع الضغط؛ وهو السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية، وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان.

١١. وتعتبر هذه الأضرار عللاً ذاتية للتحريم ويكون الخنزير محرماً على التأييد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأخيراً يتضح بيان الإعجاز العلمي في حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار الموجودة في لحم ودهن ودم الخنزير تجعل الخنزير محرماً لذاته وليس لعل عارضة أو مكتسبة، وهذا الذي بينه ربنا عز وجل من قوله ﴿فإنه رجس﴾ أي نجس، ضار ومؤذٍ ومنت، ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمي في هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير، وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذي بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير.

١٤٦ في هذه الآية الكريمة تذكر الشحوم على أنها من الطيبات وهي من مشمولات ما حرم على بني إسرائيل، ولقد روج الكثيرون في العقود الأخيرة أن هذه الشحوم تسبب أمراضاً تدرج تحت عموميات الكوليسترول مما يفضي إلى نشوء شبهة في هذا المضمرة، علماً بأن الحقيقة الصارخة هنا والتي تم كشفها في السنوات الأخيرة أن ذلك هو دعائية، وأن المسبب الحقيقي للكوليسترول هي الدهون النباتية المهدرجة.

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلَمْ شُهِدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايِنِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُكُوتِكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَفْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابُنَا أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ .

إليه ماله، وحرمة التطفيف في الكيل والميزان، بل يجب عليكم العدل في الأخذ والإعطاء في البيع والشراء، لا تكلف نفسا إلا طاقتهما، وحرمة عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر وشهادة، دون محاباة قريب، وحرمة عليكم نقض عهد الله، بل يجب عليكم الوفاء بذلك، تلك الأمور المتقدمة من الأحكام وصاكنم بها ربكم رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.

(١٥٣) ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال فتفرقكم وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم، هذا الذي وصاكم الله به لتتقوا عذابه بفعل أو امره واجتناب نواهيه.

(١٥٤) ثم قال الله لرسوله: قل لهؤلاء المعاندين من المشركين واليهود: إنا أعطينا موسى التوراة - كما أعطيناك القرآن - تماما للنعمة جزاء على إحسانه العمل، وتبيننا لكل شيء يحتاج إليه في الدين، ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم رجاء أن يصدقوا بالبعث بعد الموت والحساب يوم القيامة.

(١٥٥) وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد ﷺ خيره كثير، فاتبعوه، واحذروا مخالفته رجاء أن ترحموا يوم الحساب.

(١٥٦) وأنزلنا هذا القرآن لثلاثا تقولوا - يا كفار العرب -: إنما أنزل الله التوراة والإنجيل على بني إسرائيل وإنا لا ندري تلاوة كتبهم لأنهما ليست بلغتنا.

(١٤٩) قل - أيها الرسول - للمشركين إن لم تكن لكم حجج إلا هذه الحجج الواهية: فلهه جل وعلا الحجة القاطعة التي يقطع بها ظنونكم، فلو شاء الله لوفقكم جميعا إلى طريق الحق.

(١٥٠) قل لهؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذه الأشياء التي حرمتوها، فإن شهدوا كذبا وزورا فلا تصدقهم أيها الرسول، ولا توافق الذين حكموا أهواءهم، فقد كذبوا بآيات الله في التحليل والتحریم، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة، وهم بربهم يشركون.

(١٥١) قل - أيها الرسول - للمشركين: أقبلوا أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا، حرم عليكم أن تشركوا به شيئا، وأن تعقوا آباءكم بل يجب عليكم الإحسان إليهم، وحرمة عليكم أن تقتلوا أولادكم بسبب الفقر، نحن نرزقكم وإياهم، وأن تقربوا الفواحش ما أعلن منها وما أسر به، وأن تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق كالقصاص ونحوه، ذلكم المذكور مما نهاكم الله عنه، وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أو امره ونواهيه.

(١٥٢) وحرمة الله أن تقربوا - أيها الأوصياء - مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه وتثميته، واحفظوها عندكم حتى يصل إلى سن البلوغ، ويكون راشدا في التصرفات بماله فسلموا



﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ كُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلِ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلِ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلِ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيئِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَإِرْزُ وَرَزَّ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾ ۞ .

- (١٥٧) ولثلاثا تقولوا: لو أنزل الله علينا كتابا كما أنزل على اليهود والنصارى لكانا أكثر استقامة منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم وذلك حجة واضحة من ربكم، وإرشاد إلى طريق الحق ورحمة لهذه الأمة، ولا أحد أعظم ظلما ممن كذب بآيات الله، وانصرف عنها، سنعاقب الذين ينصرفون عنها عقابا شديدا في نار جهنم جزاء على انصرفهم وإعراضهم عنها.
- (١٥٨) هل ينتظر المكذبون إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة، أو يأتي بعض آيات ربك كطلوع الشمس من مغربها، فحين يكون ذلك لا ينفع كافرا إيمانه إن لم يكن آمن من قبل، ولا ينفع مؤمنا لم يعمل خيرا من قبل ذلك، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المكذبين انتظروا مجيء ذلك إنا منتظرون.
- (١٥٩) إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله، والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا، لست - أيها الرسول - منهم في شيء، فأنت بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم في الدنيا فيجازيهم عليها.
- (١٦٠) من لقي ربه يوم القيامة بحسنة فله عشر حسنات أمثالها، ومن لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.
- (١٦١) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام الذي لم يكن من المشركين قط.
- (١٦٢) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: إن صلاتي ونسكي وحياتي وموتي لله وحده، لا لغيره، وأنا أول المقربين به من هذه الأمة.
- (١٦٤) قل لهؤلاء المشركين: أغير الله أطلب ربا وهو رب كل شيء، ولا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثم عليه، ولا تحمل نفس إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم وحده رجوعكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من أمر الدين.
- (١٦٥) والله هو الذي جعلكم خلائف لمن سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، ورفع بعضكم في الخلق والرزق وغيرهما فوق بعض درجات ليختبركم فيما آتاكم من ذلك، إن ربك - أيها الرسول - سريع العقاب لمن كفر به، وإنه لغفور لمن تاب من عباده رحيم به.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْمَصَّ ١ ﴾ كَتَبَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ .

- (١) المص: تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٢) هذا القرآن كتاب الله أنزله عليك - أيها الرسول - فلا يكن في صدرك ضيق من إبلاغه للناس مخافة أن يكذبوك ويؤذوك، والله ناصرك، أنزله إليك لتخوف الكافرين، ولتذكر به المؤمنين.
- (٣) اتبعوا - أيها الناس - ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة، ولا تتبعوا من دون كتاب الله أهواء رؤسائكم، إنكم قليلا ما تتذكرون، ولو تذكرتم لاتبعتم ما جاء به رسولكم.
- (٤) وكثير من القرى أهلكتنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فجاءهم عذابنا ليلا وهم نائمون، وأحيانا في النهار وهم في القيلولة، وخص الله هذين الوقتين لغفلتهم فيهما، وهم غافلون حين خالفوا رسل الله، فجزاؤهم من جنس عملهم.
- (٥) فما كان قولهم عند مجيء العذاب إلا اعترافهم على أنفسهم أنهم ظلموا أنفسهم.
- (٦) فلنستلن يوم القيامة الأمم التي أرسلنا إليها رسلنا عما أجابوا به الرسل، ولنستلن المرسلين عن تبليغهم
- لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أمهم.
- (٧) فلنقصن على جميع الخلق أعمالهم التي عملوها في الدنيا بعلم منا، وما كنا غائبين عنهم.
- (٨) ووزن أعمال الناس يوم القيامة بالعدل والقسط، فمن رجحت عند الوزن كفة حسناته فأولئك هم الفائزون.
- (٩) ومن خفت موازين أعمالهم لكثرة سيئاتهم فأولئك الذين أهلکوا أنفسهم بسبب جحدهم آيات الله.
- (١٠) ولقد مكناكم - يا بني آدم في الأرض - وجعلناها قرارا لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به، ولكنكم لا تشكرون ربكم إلا قليلا.
- (١١) ولقد أنشأناكم من أبيكم آدم، وصورناه في أحسن صورة ثم أمرنا الملائكة بالسجود إكراما له، فسجدوا جميعا إلا إبليس لم يسجد عنادا له، فاتخذوه عدوا لكم.
- (١٢) قال الله تعالى توبيخا لإبليس: أي شيء منعك من السجود إذ أمرتك؟ وهو سبحانه يعلم سبب إنكاره، قال إبليس: أنا أفضل منه خلقا، لأنني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين، والنار أشرف من الطين.

١١ أنظر إلى التحقيق العلمي للآية رقم ٩٨ من سورة الأنعام.



﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَتَّبِعُنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا مَذْمُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَادَمُّ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا يَبْغُورًا فَلَمَّا دَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ ۞

- (١٣) قال الله لإبليس: فاهبط من السماء إلى الأرض ليس لك أن تتكبر فيها، فاخرج منها إنك من الحقيرين الذليلين.
- (١٤) قال إبليس لله جل وعلا: أمهلني إلى يوم يبعثون.
- (١٥) قال الله تعالى له: إنك من الممهلين إلى يوم الصعق، حين النفخة الأولى إذ يموت الخلق كلهم، وأنت منهم.
- (١٦) قال إبليس لعنه الله: فسبب إضلالك إياي لأجتهدن في إغواء بني آدم عن طريقك القويم بإضلالهم عن الإسلام الذي فطرتهم عليه.
- (١٧) ثم لآتينهم من جميع الجهات، فأصدهم عن الحق وأرغبتهم في الدنيا وأشككهم في الآخرة ولا تجد أكثرهم شاكرين لك.
- (١٨) قال الله تعالى: اخرج - يا إبليس - من السماء من جماعة الملائكة ممقوتا مطرودا من رحمتي لأملأن جهنم منك ومن تبعك من بني آدم ومن الجن أجمعين.
- (١٩) قال الله لآدم: اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من هذه الشجرة، فإنكما إن أكلتما منها كنتما من الظالمين.
- (٢٠) فوسوس لهما إبليس ليظهر لهما ما ستر عنهما من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل من ثمر هذه الشجرة من أجل أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين في الجنة.
- (٢١) وحلف لهما بالله إنني لكما - يا آدم وحواء - لمن الناصحين فيما قلت لكما.
- (٢٢) فجرأهما وجرهما فأكلا من الشجرة الممنوعة فظهرت لهما عوراتهما مكشوفة، فأخذا يلزقان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما، وناداهما ربهما: ألم أنهكما عن الأكل منها، وأقل لكما محذرا: إن الشيطان عدو لكما ظاهر العداوة.
- (٢٣) قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الهالكين في الدنيا والآخرة.
- (٢٤) قال الله تعالى لآدم وحواء وإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوا، و لكم في الأرض مستقر تستقرون فيه، وتمتع إلى انقطاع الدنيا.

٢٤ في الآية إشارة إلى ما هيأه الله لبني آدم من أسباب المعيشة واستمرار الحياة على ظهر هذه البسيطة التي مهدها لهم وجعل لهم سبلا ومعاش، فجعلها مستقرا للإنسان وموئلا للزرع، وأودع بطنها كنوزا تعينهم على الحياة والتمتع فيها إلى أجل قضاه الله بعلمه وحكمته فسبحان الذي بيده ملكوت السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله.



﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤) ﴿ بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِفُصُوحٍ عَلَيْكُمْ
 ءَايَاتٍ فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٦) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا
 جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ
 ﴾ (٣٧) ﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا
 فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَبْتُمْ وَأُؤْتِلْتُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَسْلَمْنَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٨)
 ﴿ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَبْتُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفْتُحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
 الْمُجْرِمِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٤١) ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤٢) ﴿

إلى النار، حتى إذا تلاحقوا واجتمعوا فيها كلهم، قالت
 أخراهم دخولا فيها - وهم الأتباع - لأولادهم - وهم
 المتبوعون: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق،
 فعاقبهم عقابا مضاعفا، قال الله عز وجل: لكل منكم
 ومنهم عذاب مضاعف من النار، ولكنكم لا تدركون
 ما لكل فريق من العذاب.

(٣٩) وقال المتبوعون لأتباعهم: نحن وأنتم سواء في الكفر،
 وفي العذاب سواء، فلا فضل لكم علينا، عندئذ يقول
 الله تعالى: فذوقوا العذاب بسبب ما كسبتم من المعاصي.

(٤٠) إن الذين كذبوا بآياتنا وتكبروا عن الانقياد لا تفتح
 أبواب السماء ليصعد عملهم في حياتهم إلى الله، ولا
 تفتح لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يدخل
 الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل، ومثل هذا الجزاء
 يجزي الله من اشتد طغيانه.

(٤١) لهؤلاء المكذبين من جهنم فراش من تحتهم، ولهم
 من فوقهم أغطية تغشاهم، ومثل هذا الجزاء نجزي
 المتجاوزين الذين ظلموا أنفسهم.

(٤٢) والذين آمنوا بربهم وعملوا من الأعمال الصالحة ما
 يستطيعون، ولا يكلف الله نفسا إلا ما تطيق، أولئك أهل
 الجنة هم فيها ما كانوا يبتغون.

(٣٤) ولكل أمة اجتمعت على الكفر بالله وتكذيب رسوله
 عليهم الصلاة والسلام وقت محدد لحلول العقوبة
 بهم، فإذا جاء ميقاتهم المقدر لا يتأخرون عنه لحظة ولا
 يتقدمون عليه.

(٣٥) يا بني آدم إذا جاءكم رسل مني من أقوامكم يتلون
 عليكم آيات كتابي ويبينون لكم، فمن اتقى وآمن به
 وأصلح عمله، فلا خوف عليهم يوم القيامة، ولا هم
 يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٣٦) والكفار الذين كذبوا بآياتنا ولم يؤمنوا بها، وتكبروا عن
 اتباع ما جاءتهم به رسلهم أولئك أصحاب النار ما كانوا
 فيها أبدا.

(٣٧) ولا أحد أظلم ممن اقترف معصية الكذب على الله، أو
 كذب بآياته المنزلة أولئك يصل إليهم حظهم من خير
 وشر في الدنيا مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى
 إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم قالوا
 لهم توبيخا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله
 ليخلصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعترفوا
 على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا كافرين.

(٣٨) يقول الله لهؤلاء المشركين المفتريين: ادخلوا النار في
 جملة أمم قد مضت من قبلكم من الجن والإنس، كلما
 دخلت جماعة من جماعتهم لعنت أختها التي سبقتها

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلِيٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ .

وسياتهم، وهم يعرفون أهل الجنة بعلاماتهم كبياض الوجوه، وأصحاب النار بعلاماتهم كسوادها، ونادى هؤلاء الرجال أصحاب الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، ولما يدخل أهل الأعراف الجنة، وهم يأملون دخولها برحمة من الله.

(٤٧) وإذا حوّلت أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار، وشاهدوا ما هم فيه من العذاب قالوا: ربنا لا تصيرنا مع القوم الظالمين بالكفر والشرك بك.

(٤٨) ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار يعرفونهم بعلاماتهم كسواد وجوههم قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم إعراضكم عن الحق تكبراً واستعلاءً.

(٤٩) وقال الله لأهل الكبر والأموال: هؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة؟ ادخلوا - أيها المؤمنون - من أصحاب الأعراف الجنة لا خوف عليكم فيما تستقبلونه ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

(٥٠) ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة طالبين منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله حرم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيدهم وكذبوا رسله.

(٤٣) وأذهب الله ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغن، تجري الأنهار من تحتهم، وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفقنا للعمل الصالح الذي أنالنا هذه المنزلة، وما كنا لنوفق إليه من تلقاء أنفسنا لولا أن الله وفقنا إليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الأخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، ونادى فيهم مناد: أن تلكم الجنة أو رثكم الله إياها برحمته، وبما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة تريدون بها وجه الله.

(٤٤) ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهم فيها: يا أهل النار: قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله من الجنة حقاً، فهل وجدتم - أيها الكفار - ما وعد ربكم على ألسنة رسله من النار حقاً، قال الكفار: لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فنادى مناد بينهم داعياً الله: أن يطرد الظالمين من رحمته، الذين تجاوزوا حدود الله وجحدوا بالله ورسله.

(٤٥) هؤلاء الظالمون هم الذين كانوا يعرضون عن طريق الله المستقيم، ويحملون غيرهم على الإعراض عنه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبعها أحد، وهم بالآخرة جاحدون غير مؤمنين بها.

(٤٦) وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز، يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال استوت حسناتهم



﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (٥١) وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِيَّاكَ رَبِّكَمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿

- (٥١) هؤلاء المكذبون هم الذين صيروا دينهم باطلا ولهوا، وخذعتهم الحياة الدنيا بزخرفها وزينتها عن العمل للأخرة، فيوم القيامة ينسأهم الله تعالى، ويتركهم في العذاب الموجه كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم جحدوا آيات الله مع علمهم بأنها حق.
- (٥٢) لقد جئنا كفار قريش بكتاب مفصل مبين يعني القرآن الذي أنزلناه عليك - أيها الرسول - وقد بيناه على علم منا، وهو هاد للمؤمنين إلى طريق الرشد ورحمة لهم.
- (٥٣) هل ينتظر الكفار إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم في الآخرة، يقول الكفار الذين نسوا القرآن في الدنيا ولم يعملوا بما جاء فيه: لقد جاءت رسل ربنا بالحق الذي لا مرية فيه، فهل لنا اليوم من أصدقاء فيشفعوا لنا عند ربنا ليعفينا من العذاب أو نرد إلى الدنيا فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك، وغاب عنهم من كانوا يعبدونهم من دون الله فلم ينفعوهم.
- (٥٤) ادعوا - أيها المؤمنون - ربكم متذللين له سرا في أنفسكم مخلصين في الدعاء، ولا تجاوزوا الحدود في الدعاء إذا دعوتوه، إن الله لا يحب المتجاوزين في شرعه الذي شرعه لعباده ولا في دعائه.
- (٥٥) ادعوا ربكم متذللين له سرا في أنفسكم مخلصين في الدعاء، ولا تجاوزوا الحدود في الدعاء إذا دعوتوه، إن الله لا يحب المتجاوزين في شرعه الذي شرعه لعباده ولا في دعائه.
- (٥٦) ولا تفسدوا في الأرض بإلحاد فيها بعد أن أصلحها الله بإرسال الرسل، وادعوا الله وحده مخلصين له الدعاء خوفا من عقابه ورجاء لثوابه، إن رحمة الله قريب من المحسنين.

٥٤ لاحظ العلماء أن الأقمار الصناعية أستطاعت أن تسجل التلاحق والتعاقب المتتالي للظلام بالضوء؛ وكأن الظلام يلحق بهذه الطبقة الرقيقة من الضوء دون أن يسبقها، ومن عظمة القرآن أن صور لنا هذا المشهد عن الليل والنهار وكيف أن الليل هو الذي يتبع النهار ويلحقه باستمرار وفي وقت نزول القرآن الكريم لم يكن هناك مراكب فضائية ولا أجهزة علمية ولا مئات الباحثين لتصوير هذه العملية. ومعنى أن النهار لا يسبق الليل وأن الليل لا يسبق النهار أنهما موجودان معا على سطح الكرة الأرضية؛ حيث إنه لم يحدث تغيير في خلق الكون أو في القوانين الكونية العليا بعد أن تم الخلق، بل بقيت ثابتة تسير على نظام دقيق حتى قيام الساعة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ تَخْرُجُ الْمَوْتُوعُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَلْبَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ بِأَذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصْرِفُ الْأَيِّتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجَّيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رِجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَجْمِنْتُهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ۞

- (٥٧) والله هو الذي يرسل الرياح الطيبة بمشرات بالمطر، حتى إذا حملت الرياح السحاب الثقيل بالماء سقناه إلى بلد مجذب فأنزلنا بالبلد الماء، فأخرجنا به من جميع أنواع الثمار، مثل إخراج الثمر من الأرض نخرج الموتى من قبورهم أحياء، رجاء أنكم - أيها الناس - تتذكرون قدرة الله وبديع صنعه وأنه قادر على البعث بعد الموت.
- (٥٨) والتربة الطيبة إذا نزل عليها المطر تخرج نباتها بإذن الله إخراجا حسنا، وهكذا المؤمن إذا سمع آيات الله انتفع بها، والتربة الخبيثة لا يخرج نباتها إلا عسرا رديئا، وكذلك الكافر إذا سمع آيات الله لا ينتفع بها، مثل ذلك التنوع البديع تنوع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله ويطيعونه.
- (٥٩) لقد بعثنا نوحا بالرسالة إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، فليس لكم معبود بحق غيره، إني أخاف عليكم أن يحل عليكم عذاب يوم عظيم يوم الطوفان في الدنيا، ويوم القيامة في حال إصراركم على الكفر.
- (٦٠) قال السادة من قومه إنا لنعتقد أنك في ضلال بين عن طريق الصواب.
- (٦١) قال نوح لهم: يا قوم لست ضالا كما زعمتم، وإنما أنا على هدى من ربي، فأنا رسول إليكم من رب العالمين، وهو ربكم ورب جميع الخلق.
- (٦٢) أبلغكم ما أرسلت به من ربي، وأنصح لكم في تحذيري إياكم من عقاب الله على كفركم، وأبشركم بثوابه، وأعلم من الله ما لا تعلمون.
- (٦٣) هل أثار عجبكم أن جاءكم وحي وموعظة من ربكم على لسان رجل منكم تعرفونه، ليخوفكم من عقاب الله، وتتقوا سخطه بالإيمان به، ورجاء أن ترحموا إن أمتتم به.
- (٦٤) فكذب قومه ولم يؤمنوا فدعا عليهم أن يهلكهم الله، فأنجيناها ومن آمن معه في السفينة يوم الطوفان، وأغرقنا الذين كفروا، فعميت قلوبهم عن معرفة الحق.
- (٦٥) وأرسلنا إلى عاد الأولى رسولا منهم وهو هود عليه السلام، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم.

٥٧ اكتشف العلماء في القرن العشرين حقائق مذهلة عن آيات تكون السحاب، وطرق نزول المطر منه، والآليات التي تضمن وصول المطر إلى مختلف مناطق اليابسة. إن عملية نقل الماء من المحيطات وتوزيعها على اليابسة تتم وقف سنناً رباناً بالغة الإتقان، حيث تستخدم الطاقة الشمسية لتبخير الماء من المحيطات بدون أن يتم رفع درجة حرارة الماء إلى درجة الغليان، ويقدر العلماء كمية الماء المتبخر من المحيطات في السنة الواحدة تقدر بحوالي ٢٢٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب بينما يقدر معدل البخر من اليابسة بحوالي ٦٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب، وأن معدل سقوط المطر في العام الواحد تقدر ٢٨٠,٠٠٠ كيلو متر مكعب، مما يظهر تساوي معدل البخر مع معدل سقوط المطر وهذا يتفق مع حديث المصطفى صل الله عليه وسلم (ما من عام بأكثر مطراً من عام ولكن الله يصرفه).



﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِيَّاكَ لَنُرْسِلَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِننَّا بِمَا نَعِدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ أَتُجَدُّونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي الْأَرْضِ تَنْخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا فَصُورًا وَنَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَأذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِءِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

به ولا معذرة تعتذرون بها، فانظروا نزول العذاب عليكم، وأنا معكم من المنتظرين نزوله.

(٧٢) فسلمنا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا واستأصلنا بالهلاك الذين كذبوا بآياتنا، وما كانوا مؤمنين، بل كانوا مكذبين فاستحقوا العذاب فوق العذاب عليهم فدمرناهم جميعا.

(٧٣) ولقد أرسلنا إلى ثمود رسولا منهم هو صالح عليه السلام، وهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله تعالى، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده ليس لكم من إله غيره يستحق العبادة، قد جاءكم برهان من الله على صدق ما جئكم به إذ طلبتم معجزة فدعوت الله فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة، فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب إيذائها عذاب موجه.

(٧٤) واحمدوا الله أن جعلكم خلفاء في الأرض من بعد إهلاك عاد، ومكن لكم في الأرض الطيبة، تبون في سهولها القصور، وتنتحون من الجبال بيوتا لكم، فاذكروا نعم الله عليكم، ولا تسعوا في الأرض بالإفساد الشديد.

(٧٥) قال الرؤساء المستكبرون من قومه للمؤمنين الذين استضعفوه: أتعلمون أن صالحا رسول من الله حقا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون بما أرسله الله به متبعون لشرعه.

(٦٦) قال الكبراء من قومه الذين كفروا: إنا لنعلم أنك في حمق وطيش حين تدعوننا إلى عبادة الله وحده، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

(٦٧) قال هود عليه السلام: يا قوم ليس بي حمق وطيش، ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

(٦٨) أبلغكم ما أرسلت به من ربي إليكم، وأنا لكم ناصح فيما أمرت بتبليغه، أمين على وحي الله تعالى.

(٦٩) ولا تعجبوا أن بعث الله إليكم رسولا من أنفسكم لينذركم أيام الله ولقاءه، واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض من بعد ما أهلك قوم نوح، وخصكم بعظم الأجساد والقوة وشدة البطش، واذكروا نعم الله عليكم رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدارين.

(٧٠) قال له قومه: أجتتنا - يا هود - لتأمرنا بعبادة الله وحده، ولنترك ما يعبد آباؤنا؟ فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا، إن كنت صادقا فيما تقول.

(٧١) قال هود عليه السلام لقومه: قد وجب عليكم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لا محالة، أتجادلونني في هذه الأصنام المصنوعة التي سميتوها أنتم وآباؤكم آلهة؟ ما جعل الله لكم في عبادتكم إياها من حجة وبرهان تحتجون

﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَفَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
يَصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا نَعُدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ
وَقَالَ يُقَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾

- (٧٦) قال المتكبرون من قومه: إنا بالذي صدقتم به، واتبعت من نبوة صالح جاحدون.
- (٧٧) فحروا الناقة التي نهاهم أن يمسوها بإيذاء، استخفافا منهم بوعيد صالح، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح - جئنا بما تعدنا به من العذاب، إن كنت من رسل الله حقا.
- (٧٨) فأخذت الذين كفروا الزلزلة الشديدة خلعت قلوبهم، فأصبحوا صرعى، لم ينج أحد منهم من الهلاك.
- (٧٩) فأعرض صالح عن قومه، بعد الإيأس من استجابتهم، وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه، ونصحتكم مرغبا لكم ومرهبا، ولكنكم لا تحبون الناصحين، وأطعتم كل شيطان رجيم.
- (٨٠) واذكر - أيها الرسول - لوطا عليه السلام حين قال لقومه مستنكرا ما يرتكبونه من الفاحشة: أنفعلون الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح؟، لم يسبقكم إلى ارتكابها أحد من العالمين.

٧٨ كشف العلم اليوم أن التعرض للضوضاء إذا زاد في المدة أو الشدة أدى إلى ضعف دائم في السمع، وكذلك تتأثر جميع أعضاء الجسم ويزداد معدل ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم وتقبض الأوعية الدموية، ويزداد معدل التنفس، وتحدث تغييرات كيميائية في المخ تزداد بزيادة الصوت المرتفع، ويؤدي كل ذلك إلى الموت، وهذا ما حصل لقوم ثمود فعلا كمظهر قهر إلهي لأولئك المتجبرين.

٨٠، ٨١ تشير الآية الكريمة إلى فعل قبيح وهو اتيان الذكران من دون النساء، ووصف الله عز وجل هؤلاء بأخس الأوصاف في ٩ سور من القرآن الكريم وهي: المجرمين (الأعراف، والذاريات) الظالمين (هود، العنكبوت) عمى البصيرة والسكر (سورة الحجر) عادون (الشعراء)، فاسقين (العنكبوت) جاهلين (النمل)، مسرفين (الذاريات) الطمس على الأعين (القمر) وبالفسدين (العنكبوت). ووجد العلماء أن من الأمراض التي تنتقل عن طريق (اللواط) مرض الإيدز ويؤدي إلى الموت، والتهاب الكبد الفيروسي، والزهري، والسيلان، والهربس، والتهابات الشرج الجرثومية، وثنائيل الشرج، وفيروس السايكوميجالي الذي قد يؤدي إلى سرطان الشرج، والمرض الحبيبي للمفاوي التناسلي. وبينت إحصائيات مركز الأوبئة CDC أن نسبة السيلان في ١٩٨٩ في اللواتين بأمريكا ٩، ٣٪، ١، ٣٨٪ في ٢٠١٥، ٨، ٢٧٪ في ٢٠١٦، وفي مسح لـ ٤٤ ولاية أمريكية تبين أن الجنس بين اللواتين ٧٠٪ من جملة الجنس المحرم وأن ٨٠٪ منهم مصابين بالزهري بنوعيه الأولى والثاني في عام ٢٠١٦، ونسبة المصابين بالسيلان الشرجي ١٦٪ في ٢٠١٦، ونسبة المصابين بالكلاميديا الشرجية ١٧٪، نسبة المصابين بالسيلان الفموي والحلقى ٩٪. وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية بين العلماء فيه أن ٦٣، ٧٪ من اللواتين مصابين بالزهري والإيدز في الفترة من ٢٠١٢ - ٢٠١٦، وزادت بنسبة ١٦، ٤٪ في الفترة من ٢٠١٥ - ٢٠١٦، وأصبحت ٤٧٪ في ٢٠١٦ نتيجة العلاج المكثف، وأن الإصابة بفيروس الإيدز بين الشواذ بنسبة ٥٢٪، ويعانى هؤلاء الشواذ جنسيا من اضرار دينية منها استحلال ما حرم الله، واضرار نفسية: شذوذ وانقلاب في السلوك والتزين مثل النساء، واضرار اجتماعية: الانحراف عن الزواج الطبيعي وقطع النسل، واضرار صحية: انتشار الأمراض الجنسية بينهم، واضرار اقتصادية: عبأ على الدولة في معالجتهم، وقلة أعمالهم. وهذا كله عندما تخلت البشرية عن الوقوف عند حدود الله.



﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۗ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُٓ إِلَّا أَمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ الْغَافِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ۚ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَرَ بِهِ ۖ وَتَمَعُونَهَا ۗ عَوجًا وَأَذْكَرًا ۚ إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۚ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ۖ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ أَمْلَأُوا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لِنَعُودَنَّ فِي مَلِيْنًا ۚ قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ۝

تقصوا الناس حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والظلم، بعد إصلاحها، بشرائع الأنبياء المبعوثين من قبل، ذلكم الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم إن كنتم مصدقي.

(٨٦) ولا تقعدوا بكل طريق تهددون من سلكه من الناس لتسلبوا أموالهم، وتصدوا عن دين الله من أراد الاهتداء به، تودون أن تكون سبيل الله معوجة حتى لا يسلكها الناس، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كان عددكم قليلا فكثركم، وتأملوا كيف كانت عاقبة المفسدين في الأرض من قبلكم فإن عاقبتهم كانت الهلاك والدمار.

(٨٧) وإن كانت جماعة منكم صدقوا بالذي أرسلت به، وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك، فانتظروا - أيها المكذبون - قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم، والله جل وعلا هو خير الحاكمين بين عباده.

(٨٨) قال الرؤساء من قوم شعيب عليه السلام الذين استكبروا ولم يؤمنوا به: لنخرجنك يا شعيب ومن صدقك وآمن بك من ديارنا أو لتدخلن أنت وأتباعك في ديننا، قال لهم شعيب: أو أنتم فاعلون ذلك وإن كنا كارهين ما تدعوننا إليه ؟

(٨١) إنكم لتأتون أذبار الذكور لقضاء الشهوة، تاركين الذي أحله الله لكم من فروج نسائكم، بل أنتم قوم مسرفون متجاوزون الحلال إلى الحرام.

(٨٢) وما كان جواب قوم لوط المرتكبين لهذه الفاحشة عما أنكر عليهم، إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطا وأتباعه من بلادكم، إنهم أناس ينتزهون عن إتيان أذبار الرجال.

(٨٣) قال الله: فأنجينا لوطا وأهله فأمرناهم بالخروج ليلا من القرية التي سيقع العذاب عليها إلا امرأته لأنها لم تؤمن، فإنها كانت من الهالكين الباقين مع المعذبين من قوم لوط المجرمين.

(٨٤) وأنزلنا عليهم مطرا من الحجارة وقلبنا القرية فجعلنا عاليها سافلها، فانظر - أيها الرسول - كيف كان عاقبة المجرمين، فقد كانت عاقبة سيئة.

(٨٥) وأرسلنا إلى مدين رسولا منهم هو شعيب، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، مالكم من معبود غيره يستحق العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم بصدق ما أدعوكم إليه، أدوا الناس حقوقهم بإكمال الكيل والوزن، ولا

٨٤ تروي لنا كتب التفسير أن مساكن قوم لوط كانت في مدينتي سدوم وعمورا اللتين كانتا في وادي سدوم في النهاية القصوى من البحر الميت.

﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِكِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَافُورٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأَ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىءِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمَنَ أَهْلُ الْقُرَىءِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُتِ الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

- (٨٩) قال شعيب لقومه: قد اختلفنا على الله الكذب إن دخلنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، ولا يمكن أن نتحول لدينكم إلا أن يشاء الله ربنا لخضوع الجميع لمشيئته، وقد وسع ربنا كل شيء علما فيعلم ما يصلح لعباده، على الله وحده اعتمدنا وهو ناصرنا، ربنا احكم بيننا وبين قومنا الذين كفروا وأنت خير الحاكمين.-
- (٩٠) وقال رؤساء قومه الذين استكبروا وتمادوا في غيهم، محذرين من شعيب ودينه: لئن دخلتم - يا قومنا - في دين شعيب وتركتم دينكم إنكم إذن لهالكون.
- (٩١) فأخذت قوم شعيب الزلزلة الشديدة، فأصبحوا هلكى في ديارهم مكبين على ركبهم ووجوههم.
- (٩٢) الذين كذبوا شعيبا هلكوا جميعا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الخسران في الدنيا والآخرة.
- (٩٣) فأعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم العذاب وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، فكيف أحزن على قوم كافرين بالله مصرين على كفرهم.
- (٩٤) وما أرسلنا في قرية من القرى من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، فكذب أهلها وكفروا إلا ابتليناهم بالأمراض في أجسامهم وابتليناهم بالفقر والحاجة؛ رجاء أن يتوبوا ويرجعوا إلى الحق.
- (٩٥) ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عافوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون (٩٥) ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا لفنحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتهم وهم نائمون (٩٧) أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩) أولم يهد للذين يرتوبت الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠٠) ﴿
- (٩٥) ثم بدلناهم بعد الأخذ باليأس والمرض خيرا وسعة ورخاء في أموالهم، حتى كثرت أعدادهم ونمت أموالهم، وأمهلتناهم لعلهم يشكرون، ولم يعتبروا ولم ينتهوا عما هم فيه فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم لا يشعرون بالعذاب ولا يترقبونه.
- (٩٦) ولو أن أهل هذه القرى التي أرسلنا إليها رسلنا، آمنوا وصدقوا ما جاءتهم به رسلهم، لفتحنا عليهم أبواب الخير من كل وجه من فوق و تحت، ولكنهم كذبوا فعاقبناهم بالعذاب المهلك، بسبب كفرهم وعصيانهم.
- (٩٧) أفأمن أهل هذه القرى المكذبة: مكة وما حولها، أن يأتيهم عذابنا ليلا وهم نائمون؟
- (٩٨) أو أمن أهل القرى المكذبة أن يأتيهم عذابنا وقت الضحى وهم لاهون بانشغالهم بأعمالهم الدنيوية.
- (٩٩) أفأمن أهل القرى المكذبة مكر الله بامهاله لهم، وبما أنعم عليهم في دنياهم، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون.
- (١٠٠) أولم يتبين للذين ورثوا الأرض بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب ذنوبهم، فساروا سيرتهم، ولم يعتبروا بما حل بهم، أن لو نشاء أصبناهم بالعذاب بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا تتعظ بموعظة.



﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَاهُمْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوْكُ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لِمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾

- (١٠١) تلك القرى التي ذكرتها وذكرت أهلها هي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب نقص عليك - أيها الرسول - من أخبارها وما كان من أمر رسل الله التي أرسلت إليهم، ولقد جاءت أهل القرى رسلهم بالبراهين الواضحة على صدقهم، فما كان الله ليهديهم إلى الحق بسبب طغيانهم، وتكذيبهم بالحق، ومثل ختم الله على قلوب أولئك يختم على قلوب المكذبين بحمد ﷺ فلا يهتدون للإيمان.
- (١٠٢) وما وجدنا لأكثر الأمم التي أرسل إليها الرسل من ثبات والتزام بما أوصى الله به العالمين إلا وأكثرهم من الخارجين عن طاعة الله.
- (١٠٣) ثم بعثنا بعد أولئك الرسل المتقدم ذكرهم موسى بالمعجزات البينة إلى فرعون وقومه، فجحدوا وكفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان عاقبة فرعون وقومه فقد أهلكهم الله بالغرق، وأتبعهم اللعنة في الدنيا والآخرة.
- (١٠٤) وقال موسى لفرعون مبلغاً: إني رسول الله إليك من خالق الخلق أجمعين ومدبر أحوالهم ومآلهم.
- (١٠٥) حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق، قد جئتكم بحجة واضحة تدل على صدقي أنني مرسل من ربكم، فأطلق يا فرعون معي بني إسرائيل من أسرك وقهرك.
- (١٠٦) قال فرعون لموسى: إن كنت جئت بآية - كما تزعم - فأت بها إن كنت صادقاً فيما ادعيت.
- (١٠٧) فألقى موسى عصاه فتحولت حية عظيمة ظاهرة لمن يشاهدها.
- (١٠٨) وأخرج يده من درعه بعد أن أدخلها، فإذا هي بيضاء تتلألأ من غير برص ولا مرض آية أخرى للناظرين.
- (١٠٩) قال الرؤساء من قومه لما شاهدوا انقلاب العصا حية ومصير يده بيضاء من غير سوء: إن موسى ساحر واسع العلم بالسحر ماهر به.
- (١١٠) وقالوا: إن موسى يريد أن يخرجكم جميعاً - يا معشر القبط - من مصر، قال فرعون للملأ: فأى شيء تأمرون أن نفعل في أمره؟
- (١١١) قال من حضر من الملأ: أخر موسى وأخاه هارون، وابعث في مدائن مصر من يجمع السحرة.
- (١١٢) يأتيك من أرسلتهم لجمع السحرة بكل ساحر ماهر بالسحر قوي في صناعته.
- (١١٣) وجاء السحرة فرعون وقالوا: أئن لنا مكافأة إن غلبنا موسى؟
- (١١٤) قال فرعون: نعم لكم مكافأة والقرب مني إن غلبتموه.
- (١١٥) قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكبر: يا موسى إما أن تلقي عصاك أولاً أو نلقي نحن أولاً؟
- (١١٦) قال موسى وثاقاً بنصر ربه: ألقوا أنتم، فلما ألقوا الحبال والعصي وسحروا أعين الناس بصرفها عن صحة إدراكها، وأرهبوهم وجاءوا بسحر قوي في أعين الناظرين.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغلبوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا ءَأَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّيَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْ مَسْلَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَأَهْتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ ءَأَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ءَأَسْتَعِينُونَ بِءَأَلَلهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَءَأَعْيَبُهُ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا ءَأُذِينَا مِّن قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ۝

- (١١٧) فأوحى الله إلى كليمه موسى أن ارم عصاك، فرماها فانقلبت حية تبلع حبالهم وعصيهم التي لا حقيقة لها بل هي كذب وتمويه وشعوذة.
- (١١٨) فظهر الحق واستبان صدق ما جاء به موسى، وتبين بطلان ما صنعه السحرة من السحر.
- (١١٩) فغلب جميع السحرة وهزموا، وانتصر موسى عليهم في ذلك المشهد، وانصرف فرعون وقومه مهزومين ومغلوبين.
- (١٢٠) وهنالك خر السحرة سجدا على وجوههم لله رب العالمين مؤمنين به وبما جاء به موسى.
- (١٢١) وصرحوا بأنهم آمنوا برب العالمين.
- (١٢٢) يعني آمنوا برب موسى وهارون، وهو المستحق للعبادة دون غيره.
- (١٢٣) قال لهم فرعون: آمنتم برب هارون وموسى قبل أن أذن لكم بالإيمان به، إن إيمانكم به وتصديقكم لما جاء به موسى لخدعة خدعتم بها الناس، ومكيدة دبرتموها لإخراج أهل المدينة منها، فسوف تعلمون أيها السحرة ما يحل بكم من عقاب وما يصيبكم من نكال.
- (١٢٤) لأقطعن من كل واحد منكم يده ورجله اليسرى أو بالعكس، ثم لأعلقنكم جميعا على جذوع النخل تنكيلا بكم، وترهيبا لكل من يشاهدكم أن لا يؤمن بموسى.
- (١٢٥) ولست تعيب منا - يا فرعون - إلا إيماننا بآيات ربنا لما جاءتنا على يد موسى، ولا تقدر أنت على مثلها ولا أحد، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء قائلين: ربنا أفض علينا صبورا عظيما، وأمتنا مسلمين لك.
- (١٢٦) وقال السادة والكبراء من قوم فرعون الكفرة له: أترك - يا فرعون - موسى وقومه المؤمنين لينشروا الفساد في أرض مصر بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ قال لهم فرعون: سنقتل أبناء بني إسرائيل الذكور، ونستبقي نساءهم لخدمتنا، وإنا مستعلون عليهم بالقهر والغلبة والسلطان.
- (١٢٧) قال موسى لقومه: اطلبوا العون من الله وحده، واصبروا على ما أنتم فيه من الابتلاء، فإن الأرض لله وحده، يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.
- (١٢٨) قال قوم موسى لموسى: ابتلينا وأوذينا بذبح أبنائنا واستبقاء نساءنا من قبل مجيئك إلينا ومن بعد ما جئتنا، قال لهم موسى: لعل ربكم يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويمكن لكم في الأرض من بعدهم فينظر كيف تعملون بعد ذلك.



﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُٗٓ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدُعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ آجَلٍ هُمْ بِلُغْوِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَنُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمْوَسَىٰ أَجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾

من النبوة وبما عهد إليك من رفع العذاب بالتوبة: لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدقنك بما جئت به، ولنرسلن معك بني إسرائيل فيذهبون معك حيث شاءوا.

(١٣٥) فلما رفع الله عنهم العذاب إلى الأجل المضروب لإهلاكهم بالغرق إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وعاهدوا عليها موسى، فامتنعوا من إرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام.

(١٣٦) فانقمنا كفرهم فأغرقهم في البحر لكونهم كذبوا بآيات الله ورسله وغفل عن الحق الذي أراد الله أن يهديهم إليه.

(١٣٧) وأورثنا بني إسرائيل الذين كان يستذلهم فرعون وقومه أرض كبيرة باركنا فيها بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت كلمة ربك الحسنى - أيها الرسول - على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض بسبب صبرهم على ما أصابهم من أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المزارع والمساكن، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغيرها.

(١٣٨) وقطعنا بني إسرائيل البحر فعبروا ومروا على قوم يقيمون على عبادة أصنام لهم، فقالوا لموسى: اجعل لنا صنما نعبده كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال لهم موسى: إنكم - أيها القوم - تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة ليست إلا لله الواحد القهار.

(١٣٠) ولقد عاقبنا آل فرعون بالجذب والقحط، ونقص ثمار الأرض وغلاتها، رجاء أن يتذكروا ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

(١٣١) فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوها قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يصبهم جذب وقحط ورأوا ما يكرهونه يتشاءموا بموسى ومن معه من بني إسرائيل، ألا إن ما يصيبهم إنما هو بقضاء الله وقدره، ولكن أكثر قوم فرعون لا يفهمون ذلك فينسبونه إلى غير الله جهلا منهم.

(١٣٢) وقال قوم فرعون لموسى: أي آية وحجة تأتينا به لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون، فما نحن لك في ذلك بمصدقين.

(١٣٣) أرسلنا عليهم فياضاً جارفاً فأغرق البيوت والزروع والثمار، وأرسلنا عليهم الجراد فأكل محاصيلهم مما أضطروهم إلى الرحيل من مدنهم وأرسلنا عليهم الضفادع فملأت آيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم فانتشر بينهم القمل الذي ينقل الأمراض للإنسان والحيوان وأيضاً للنبات فمات منهم الكثير، ثم أرسلنا عليهم الأمراض التي تسبب نزيف الدم من فتحات الجسم المختلفة مما أدى إلى موت الكثير منهم وعذابهم.

(١٣٤) ولما نزل بهم العذاب المذكور اتجهوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له: يا موسى ادع لنا ربك بما اختصك به

﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٣٩) قَالَ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أُنجَيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَقْتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمِي فَخَذْتُ مَاءَ آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَهُ بِأَخْذِهَا بِحَسَنٍ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِثْرِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾

من الغشبية التي أصابته قال: أنزهك يا رب تنزيها من كل ما لا يليق بك، ها أنا تبت إليك مما سألتك من رؤيتك في الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.

(١٤٤) قال الله يا موسى: إني اخترتك على عالمي زمانك بإرسالك إليهم، وبكلامي إياك من دون واسطة، وارض بما أعطيتك من هذا الشرف الكريم، وكن من الشاكرين لله على هذا العطاء العظيم.

(١٤٥) وكتبنا لموسى في التوراة كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل في دينهم وديناهم وقتئذ، وموعظة لمن يتعظ منهم، وتفصيلا للأحكام المحتاجة إلى التفصيل، فخذها يا موسى بجد واجتهاد، وأمر قومك بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسن ما فيها ويعملوا بما شرع الله فيها، سأريكم عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي ودارهم النار أعداها الله لهم في الآخرة.

(١٤٦) وسأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي عن قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، وإن ير هؤلاء المتكبرون كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا طريق الرشد والهداية لا يتخذوه طريقا، وإن يروا طريق الضلال يتخذوه طريقا ودينا، بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالتها.

(١٣٩) إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مهلك ما هم فيه من الشرك، وباطل ما كانوا عليه من عبادة غير الله.

(١٤٠) قال موسى لقومه: أسوى الله أتمس لكم إلهًا تعبدونه من دون الله، وهو فضلكم على عالمي زمانكم؟ وأهلك عدوكم، واستخلفكم في الأرض، إن هذا منكم لجهل.

(١٤١) واذكروا - يا بني إسرائيل - نعمنا عليكم إذ أنقذناكم من أسر فرعون وقهره، وما كنتم فيه من الهوان والذلة، إذ كان يقتل أبناءكم ويترك نساءكم للخدمة، وفي سومهم إياكم سوء العذاب، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

(١٤٢) ووعد الله رسوله موسى لمناجاته ثلاثين ليلة، ثم زاده عشر ليال، فصارت أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون لما أراد الذهاب لمناجاة ربه، كن خليفتي في قومي حتى أرجع، واحملهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلك طريق المفسدين في أرض الله.

(١٤٣) ولما جاء موسى لمناجاة ربه في الوقت المحدد له وهو تمام أربعين ليلة، وكلمه ربه بما كلمه به من الأوامر والنواهي، لما سمع موسى كلام ربه واشتاق إلى رؤيته طلب النظر إليه، قال الله له: «لن تراني» أي لن تقدر على رؤيتي في الحياة الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل فإذا استقر مكانه إذا تجليت له فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا مستويا بالأرض وسقط موسى مغشيا عليه، فلما أفاق



﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾
 وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا
 اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا
 وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضَبًا قَالَ إِنَّمَا أَصْبَحْتُم بِمِثْلِ
 بَعْدَىٰ أَعْيَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا
 يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا
 فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَعَمَوْا وَإِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
 لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
 يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ۞

إليه، قال هارون عليه السلام مستعطفًا: يا ابن أُمي إن القوم حسبوني ضعيفا وقاربوا أن يقتلوني، فلا تسرهم بمعاقتك لي، ولا تجعلني في غضبك مع القوم الظالمين الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.

(١٥١) ولما تبين لموسى عذر أخيه ندم على فعله ثم استغفر ربه: رب اغفر لي واغفر لأخي وأدخلنا في رحمتك الواسعة فإنك أرحم بنا من كل راحم.

(١٥٢) إن الذين جعلوا العجل معبودا يعبدونه، سيصيهم غضب شديد من ربهم وهوان في الحياة الدنيا بسبب كفرهم بربهم، وبمثل هذا الجزاء نجزي المفتريين علينا وعلى ديننا.

(١٥٣) والذين عملوا السيئات من الشرك بالله وفعل المعاصي، ثم رجعوا من بعد فعلها إلى الإيمان بالله والعمل الصالح إن ربك -أيها الرسول - بعد التوبة النصوح كثير الغفران والرحمة لهم.

(١٥٤) ولما سكن عن موسى عليه السلام الغضب أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخشون ربهم ويخافون عقابه.

(١٤٧) والذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسلنا، وبلقاء الله يوم القيامة، بطلت أعمالهم بسبب فقد شرط القبول وهو الإيمان بالله وباليوم الآخر، ولا يجوزون في الآخرة إلا ما كانوا يعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي، وجزاء ذلك الخلود في النار.

(١٤٨) واتخذ قوم موسى من بعد ذهابه لمناجاة ربه من حليهم من الذهب عجلا بلا روح له صوت يشبه صوت البقر، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم ولا يرشدهم إلى الخير، وكانوا ظالمين لأنفسهم إذ اتخذوه إلهًا من دون الله.

(١٤٩) ولما ندم وتحير الذين عبدوا العجل من دون الله وعلموا أنهم قد ضلوا عن الصراط السوي تضرعوا إلى الله فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا أو يستر بها ذنوبنا لنكونن من الهالكين في الدنيا والآخرة.

(١٥٠) ولما رجع موسى عليه السلام من مناجاة ربه إلى قومه ممتلئا عليهم غضبا حزينا لأن الله قد أخبره أنه قد فتن قومه، وأن السامري قد أضلهم، قال موسى عليه السلام: بئس العمل عملتم بعد ذهابي عنكم، أملتم من انتظار ميعاد ربكم الذي وعدني، وألقى الألواح من شدة غضبه، وأمسك برأس أخيه هارون يجره

﴿ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكَتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

على الأنبياء السابقين عليهم السلام، يأمرهم بما عرف حسنه، وينهاهم عما عرف قبحه، ويحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح، وبخاصة ما حرم على بني إسرائيل بسبب ذنوبهم، ويحرم عليهم الخبائث لما فيها من القبح والضرر كالحشرات والخنازير، ويضع عنهم التكاليف الشاقة التي كانوا يكلفون بها، كقطع موضع النجاسة من الثوب وإحراق الغنائم وغيرها، فالذين صدقوا من بني إسرائيل ومن غيرهم النبي الأمي ووقروه وعظموه ونصروه واتبعوا القرآن المنزل عليه وعملوا بسنته أولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

(١٥٨) قل - أيها الرسول - للناس جميعاً: إني رسول الله إليكم، الذي له سلطان السماوات والأرض وما فيهما لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق كله وإفناؤه وبعثه، فأمنوا - أيها الناس - بالله وآمنوا بحمد النبي الأمي الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه، وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوه فيما جاء به من ربه، لكي تهتدوا وتصيبوا الحق في اتباعكم إياه.

(١٥٩) ومن بني إسرائيل طائفة يستقيمون على الحق يدلون الناس عليه ويعدلون به في الحكم بين الناس .

(١٥٥) واختار موسى من قومه سبعين رجلاً لم يعبدوا العجل، فلما صاروا في الوقت المحدد والمكان المخصص الذي واعدته الله أن يلقاه بهم للتوبة مما فعله سفهاؤهم من عبادة العجل، قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الزلزلة فماتوا إلا موسى فتضرع إلى ربه فقال: يا رب لو شئت إهلاكننا لأهلكتنا بذنوبنا قبل أن تأتي إليك، أتهلكنا بما فعله سفهاء الأحلام منا؟ فما قام به بعض قومي من عبادة العجل ابتلاء منك تضل بها من تشاء من خلقك وتهدي بها من تشاء، أنت ولينا وناصرنا، فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا برحمتك الواسعة وأنت خير من يغفر ذنوب العباد.

(١٥٦) قال موسى: ربي واجعلنا ممن أكرمهم في هذه الحياة الدنيا بالنعم والعاية ووفقتهم للعمل الصالح، إنا تبنا إليك، قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به من أشاء من خلقي ممن خالف أمري، ورحمتي وسعت خلقي كلهم، فسأكتب رحمتي في الآخرة للمتقين الذي يعطون زكاة أموالهم والذين هم بآياتنا يؤمنون.

(١٥٧) الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وهو محمد ﷺ، وهو الذي يجدون صفاته مكتوبة في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المنزلة



﴿وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُونُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَّا يَمْلِكُ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ لِّيَ رَبِّكُمْ وَعَلَيْهِمْ يَنْقُورٌ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

حيث أمرهم الله أن يعظموا يوم السبت، ولا يصيدوا فيه سمكا، فابتلاهم الله بأن صارت الأسماك تأتيهم ظاهرة على وجه البحر يوم السبت، وفي سائر الأيام لا تأتيهم، ابتلاهم الله بذلك بسبب خروجهم عن الطاعة وارتكابهم المعاصي فكانوا يحتالون على حبسها في يوم السبت في حفاترهم، فإذا كان يوم الأحد يصطادونها ويأكلونها، فتجاوزوا الحدود بيوم الابتلاء فلم يفوزوا في الاختبار بسبب فسقهم فخرجوا عن طاعة الله.

(١٦٤) واذكر حين كانت جماعة من القرية المذكورة.. تنهاهم عن فعل المنكر والاعتداء يوم السبت، فقالت لها جماعة أخرى: لم تعظون جماعة الله مهلكهم في الدنيا أو معذبهم عذابا شديدا في الآخرة؟ قال الواعظون: موعظتنا معذرة إلى الله فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله ويتوبوا من التعدي يوم السبت.

(١٦٥) فلما أبى الفاعلون للمنكر قبول النصيحة واستمروا على اعتدائهم، أنجينا الذين ينهون عن السوء، وأخذنا الذين ارتكبوا المعصية بعذاب شديد بسبب خروجهم عن طاعة الله.

(١٦٦) فلما تمردت تلك الجماعة المعتدية وتجاوزت ما نهاها الله عنه من الصيد يوم السبت، قلنا لهم: كونوا قردة أذلاء، فصاروا كما أمرناهم مبعدين من كل خير.

(١٦٠) وفرقنا قوم موسى، وهم أبناء يعقوب عليه السلام اثنتي عشرة قبيلة، وأوحينا إلى موسى عليه السلام حين طلب منه قومه السقيا لما أصابهم العطش في التيه: أن اضرب يا موسى بعصاك الحجر، فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، قد علمت كل قبيلة منهم مشربها الخاص بها، وظللنا عليهم السحاب يقيهم حر الشمس، وأنزلنا عليهم شيئا يشبه الصمغ، طعمه كالعسل وطائرا يشبه السمانى وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، وما ظلمونا بما وقع منهم من كفران النعم، وعدم تقديرها حق قدرها، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حين أوردوها موارد الهلاك بمخالفة أمر الله وعدم شكره على إنعامه عليهم.

(١٦١) واذكر - أيها الرسول - حين قال الله لبيني إسرائيل: اسكنوا بيت المقدس، وكلوا من ثمارها من أي مكان منه، وفي أي وقت شئتم، وادخلوا الباب خاضعين لله، وقولوا: حط عنا ذنوبنا، نغفر لكم خطاياكم، وسنزيد المحسنين من خيري الدنيا والآخرة.

(١٦٢) فغير الذين ظلموا منهم القول الذين أمروا به، فقالوا: حبة في شعيرة، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فأرسلنا عليهم عذابا من السماء، فأهلكناهم به، بسبب ظلمهم.

(١٦٣) واسأل - أيها الرسول - اليهود تذكيرا لهم بما عاقب الله به أسلافهم عن قصة القرية التي كانت بقرب البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمت الله،

﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ لِبِعْعَتَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارُ الْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَمَسُّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نُنَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْأَيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَآتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

كأنه سحابة تظلمهم لما امتنعوا من أن يقبلوا التوراة، وأيقنوا أنه واقع بهم إذا لم يقبلوا أحكامها، وقلنا لهم: خذوا ما أعطيناكم بجد واجتهاد، واعملوا بما فيه من الأحكام، واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق، ولا تنسوها، كي تتقوا الله فتنجوا من عقابه في الدنيا والآخرة.

(١٧٢) واذكر - أيها الرسول - حين استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم، وقررهم بإثبات ربوبيته بما أودعه في فطرتهم من الإقرار بأنه خالقهم وربهم، بقوله: ألسنت بربكم؟ قالوا جميعاً: بلى أنت ربنا، قال: هذا إقرار منكم حتى لا تنكروا يوم القيامة وتقولوا: إنا كنا لا نعلم ذلك، وكنا عنه غافلين.

(١٧٣) أو لئلا تقولوا: إنما أشرك آبائنا، وهم الذين نقضوا العهد، ونحن كنا مقلدين لأبائنا بما فعلوا، أفتهلكنا يا ربنا بما قلدها لهم لجهلنا بما فعل الذين أبطلوا أعمالهم بالشرك بالله؟

(١٧٤) وكما بينا فيها ما فعلنا بالأمم السالفة المكذبة كذلك نفصل الآيات لقومك أيها الرسول: رجاء أن يرجعوا عما هم عليه من الشرك إلى الإيمان والإقرار بتوحيدي وربوبيتي.

(١٧٥) واطل - أيها الرسول - على بني إسرائيل خبر رجل منهم أعطيناها آياتنا فتعلمها ثم كفر بها وانخلع منها فلقحه الشيطان، فصار قرينا له، فأصبح من الضالين الهالكين، بسبب مخالفة أمر ربه، وطاعته الشيطان.

(١٦٧) واذكر - أيها الرسول - إذ أعلم الله إعلاما صريحا ليلسطن على اليهود من يذلهم ويهينهم في حياتهم الدنيا إلى يوم القيامة إن ربك لسريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لذنوب التائبين، رحيم بهم.

(١٦٨) وفرقنا بني إسرائيل في الدنيا ومزقناهم فيها طوائف، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقصرون الظالمون لأنفسهم، واختبرناهم بالخير والشر، وبالآمن والخوف والرجاء والبلاء ليرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي.

(١٦٩) فجاء من بعد هؤلاء أهل سوء يخلفونهم أخذوا التوراة من أسلافهم فقرأوا وعلموا ما فيها وغيروا أحكامها بعرض من الدنيا أخذوه من أتباعهم، ومنوا أنفسهم بأن الله سيغفر لهم ذنوبهم، ويصرون على الذنب متى وجدوا له سببا، ألم يأخذ الله العهود والمواثيق على هؤلاء ألا يقولوا على الله إلا الحق دون تحريف وتبديل؟ وهم درسوا ما في التوراة وعلموه فذنبهم أشد، والدار الآخرة خير للذين يتقون الله بامتنال أوامره واجتناب نواهيها، أفلا يعقل من يبيع الآخرة بمتاع الدنيا الحقير.

(١٧٠) ومنهم الذين يمسكون بالكتاب ويعملون بما فيه ويحافظون على الصلوات بحدودها، فإن الله يجازيهم على أعمالهم ولا يضيعها.

(١٧١) واذكر - أيها الرسول - إذ رفعنا فوق بني إسرائيل الجبل



﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَئِلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ۞

(١٧٦) ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتينا من الآيات وأن نوقفه للعمل بها لفعلنا، ولكنه ركن إلى الدنيا واتبع هواه، فمثله في شدة الحرص على الدنيا كمثل الكلب لا يزال لاهثا في كل حال، إن كان رابضا لهث، وإن طرد لهث، ذلك المثل المذكور مثل القوم الظالمين بتكذيبهم بآياتنا، فاقصص - أيها الرسول - أخبار الأمم الماضية، لعل قومك يتدبرون فيؤمنون.

(١٨٠) والله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى التي تدل على جلاله وكماله، فتوسلوا بها إلى الله في طلبه ما تريدون، واركوا الذين يغيرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو تحريف معناها، سنجزى هؤلاء الذين يميلون بها عن الحق العذاب المؤلم بما كانوا يعملون.

(١٨١) وممن خلقنا من خلقنا أمة يهتدون بالحق ويدعون إليه غيرهم، وبه يقضون، ويعدلون به في الحكم، وهم أئمة الهدى ممن أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح.

(١٨٢) والذين كذبوا بآياتنا ولم يؤمنوا بها، بل جحدوها، ستفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا استدراجا لهم، حتى يغتروا بما هم فيه، ثم يصيبهم عذابنا على حين غرتهم.

(١٨٣) وأوخر عنهم العقوبة حتى يظنوا أنهم غير معاقبين فيستمروا على تكذيبهم حتى يضاعف لهم العذاب، إن كيدي قوي شديد لا يدفع بقوة ولا بحيلة.

(١٧٧) بثس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجحدوها، وهم بذلك يظلمون أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.

(١٧٨) من يوفقه الله للهداية إلى صراطه المستقيم فهو المهتدي، ومن يخذله فلم يوفقه للهداية فهو الهالك، ألا ذلك هو الخسران المبين.

(١٧٩) ولقد خلقنا كثيرا من الإنس وكثيرا من الجن لجهنم، لعلمنا بأنهم سيعملون بعمل أهلها، لهم قلوب لا يعقلون بها ما ينفعهم ولا ما يضرهم، ولهم أعين لا ينظرون بها آيات الله في أنفسهم وفي الآفاق فيعترفون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات الله فيتدبرون ما فيها، هؤلاء كالبهائم التي لا تفقه ما يقال لها، ولا تبصر

١٧٩ قد سبق الحديث عن القلب وعلاقته بالعقل في سورة البقرة.

والآية فصلت بين الأعضاء (العين والأذن)، وبين القوى المدركة (السمع والبصر) وفي صنعة الله ما يطابق ذلك فهناك أعضاء حس لاستقبال المؤثرات الحسية، وهناك مراكز داخل المخ البشري تتم فيها عملية الإدراك والفهم لهذه المؤثرات الحسية. وأيضا من ناحية الترتيب نجد الحق سبحانه يذكر العين قبل الأذن، والسمع قبل البصر غالبا، وها هو العلم اليقيني قد أثبت أنه بينما تتقدم العين الأذن في رأس الإنسان، فإننا نجد عكس ذلك الترتيب بالنسبة للمراكز، فمركز السمع يتقدم مركز الإبصار في قشرة المخ البشري، إذا طابق كلام الله صنعة الله، إنه الإعجاز. ﴿ أَرَأَيْتُمْ أَكْرَمَ آيَاتِهِ ﴾ (هود : ١).

﴿ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَ هَادِي لَهٗ، وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ نَدَعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ۞

الله أرسلني إليكم، أخوف من عقابه الأليم، وأبشر بثوابه وكرامته من يصدقني ويعمل بما جئت من عند الله.

(١٨٩) هو الذي خلقكم - أيها الناس - من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام، وخلق من ضلع آدم زوجته حواء ليأنس إليها ويطمئن بها، فلما جامعها حملت حملاً خفيفاً، لا تشعر به، لأنه كان في بدايته، واستمر حملها، حتى إذا قربت ولادتها وأثقلت دعا الزوجان ربهما لئن أعطيتنا بشراً سوياً صالحاً لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة.

(١٩٠) فلما آتاهما صالحاً قال جماعة من المفسرين: إن الجاعل شركاء فيما آتاهم هم جنس بني آدم كما وقع من المشركين منهم ولم يكن ذلك من آدم وحواء، فتعالى الله وتنزه عن كل شريك فهو المنفرد بالربوبية والألوهية.

(١٩١) أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله مخلوقاته، وهي لا تقدر على خلق شيء، بل هي مخلوقة؟

(١٩٢) ولا تستطيع هذه المعبودات أن تنصر عابديها، ولا تدفع عن نفسها سوءاً لأنها أصنام مصنوعة.

(١٩٣) وإن تدعوا - أيها المشركون - هذه الأصنام التي تتخذونها آلهة من دون الله إلى الهدى، لا تسمع دعاءكم ولا تتبعكم، فسواء دعاؤكم لها وسكوتكم عنها، لأنها لا تسمع ولا تبصر بل هي جمادات.

(١٨٤) أولم يتفكر هؤلاء الذين يكذبون بآيات الله فيتدبروا بعقولهم ليتضح لهم أن صاحبهم محمداً ﷺ ليس بمجنون، إنما هو رسول من الله مبعوث إليهم منذر لهم من عقاب الله.

(١٨٥) أولم ينظر هؤلاء نظر اعتبار إلى ملك الله السماوات والأرض، وإلى ما فيهما من المخلوقات، وينظروا إلى آجالهم التي عسى أن تكون نهايتها قريبة فيهلكوا، فإذا لم يؤمنوا بالقرآن وما فيه من وعد ووعد، فبأي كتاب غيره يؤمنون؟

(١٨٦) من يضلله الله عن طريق الرشاد فلا هادي له، ويتركهم في كفرهم يتحIRON ولا يهتدون إلى شيء.

(١٨٧) يسألك - أيها الرسول - كفار مكة عن الساعة متى وقتها المحدد لها؟ قل لهم: علم قيامها لا يعلمه غير الله، ثقل علمها، وخفي أمرها على أهل السماوات والأرض، لا تأتاكم إلا فجأة، يسألونك عنها كأنك مستحف مبالمغ في السؤال عنها، وليس ذلك من هديك، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

(١٨٨) قل - أيها الرسول -: لا أقدر على جلب نفع لنفسي، ولا دفع ضرر يحل بها إلا ما شاء الله، إنما ذلك إلى الله، ولو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لأعددت الكثير من الخير لنفسي، وما مسني الضر، وما أنا إلا رسول من



﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾

ينصرونكم في الدنيا وفي الآخرة، قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين: ادعوا آلِهتكم ثم اصنعوا ما أنتم صانعون من كيدكم من دون مهلة فحينئذ تعرفون حقيقة معبوديكم أنهم جمادات لا تضر ولا تنفع.

(١٩٦) أيها المشركون أنا لا أخاف من تدبيركم لأن وليي وناصري في الدنيا والآخرة الذي نزل عليّ الكتاب بالحق، والله هو يتولى الصالحين من عباده، وينصرهم على أعدائهم ولا يخذلهم.

(١٩٤) إن الذين تعبدونهم - أيها المشركون - من دون الله هم مملوكون لله، كما أنكم مملوكون لربكم، بل أنتم أفضل حالاً لأنكم أحياء، وأصنامكم بدون حياة صنعتموها بأيديكم، فادعوهم وليردوا عليكم الجواب إن كنتم صادقين.

(١٩٥) أيها المشركون ألا ترون أن معبوديكم ليست لهم أرجل يمشون بها، ولا أيد يدفعون بها، ولا أعين يبصرون بها، ولا آذان يسمعون بها، فمعبودوكم لا قدرة لهم فكيف

١٨٩ تشير الآية أن جميع البشرية مخلوقة من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام، وتمت دراسة الجينوم البشري على خمسة عينات ٢ ذكور، و٣ إناث وتم أخذ العينات من قارات العالم (٢ من القوقاز، وواحد من آسيا وواحد من أفريقيا وواحد من أصول أسيانانية) وأثبت العلماء أن الجنس البشري مستقل بذاته ويمتيز عن باقي المخلوقات وأنه يختلف عن الأنواع الأخرى في التركيب الوراثي وهذا عكس ما قاله داروين، وفي ٢٠٠١ تم نشر أول بحث علمي يبين صفات والتتابع النيوكليتيدي لبعض كروموسومات الجنس البشري في مجلة ناتشر وفي مجلة العلوم، ولم يتعرف العلماء في هذا المجال إلا على ٣٪ من وظائف عمل الجينات حتى الآن، أي أن ٩٧٪ من خصائص ووظائف الجينات لم يكن معلوماً حتى الآن. وبينوا أن الجينوم البشري، هو الطقم الكامل المكوّن من أكثر من ١٠٠,٠٠٠ جين موجودة في نواة الخلية. ويتوزع الجينوم النووي للأنثى على ثلاثة وعشرين زوجاً من الكروموسومات المتشابهة بنويها، لكن الكروموسوم X في الذكور يقترن مع الكروموسوم Y غير الشبيه به، وتحمل تلك الجينات (المورثات) جميع البروتينات اللازمة للتكوين البنائي والعمل الوظيفي لها. وتحدد هذه البروتينات، ضمن أشياء أخرى، كيف يبدو شكل الكائن الحي، وكيف يستقلب جسمه الطعام أو يقاوم العدوى، ويحتوي الجينوم البشري على سبيل المثال، على ٢,٣ مليارات زوج من القواعد النيتروجينية. ولورمزنا لكل قاعدة بحرف من حروف الكتابة وكتبناها في صفحة ورقية من النوع A4 لمئات ٣ آلاف كتاب يحتوي كل كتاب على ٥٠٠ صفحة، ويحتوي الجسم البشري على أكثر من ١٠٠ تريليون خلية ولو تم ربط الحمض النووي الذي طوله ٢ متر في كل خلية من هذه الخلايا مع بعض لأصبح طوله يعادل طول المسافة بين الأرض والشمس ذهاباً وإياباً. ولما نظر العلماء في الاختلافات بين البشر، وجدوا أن الدنا DNA يختلف من فرد لآخر بنسبة ٠,٢ ٪ فقط، ووجد العلماء أن الدنا DNA الخاص بالبشر يتشابه مع مثيله في الشمبانزي بنسبة ٩٨ ٪ ويتشابه مع جينوم الفئران بنسبة ٩٠ ٪ وأن فرق الاختلاف في كل من البشر والشمبانزي والفئران هو الذي يحدد شكل كل نوع من الأنواع الثلاثة.

١٩١ إن من الحقائق الدامغة التي تؤكد ما ورد في هذه الآية من عجز العالمين عن خلق شيء من العدم، بل وتحويل شيء لا حياة فيه إلى شيء فيه حياة، وهذا يتمثل بفشل الروس إبان هيمنة الشيوعية ونزعتها الإلحادية في العقود الأخيرة من القرن الماضي، حيث حشدوا كل طاقاتهم العلمية والمادية والتقنية فيما أطلق عليه (معمل أوبارين) بغية إيجاد شيء حي؛ ولكن وبعد انصرام سنوات من الجهد الحثيث وانفاق الملايين رجعوا بخيبة أمل؛ فثبت للعالمين عجز ما سوى الله عن خلق شيء من العدم، أو إيجاد حياة مما لا حياة فيه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان : ١١)



سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبُطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

- (١) يسألك - أيها الرسول - أصحابك عن الغنائم التي غنمها يوم بدر كيف قسمتها؟ قل لهم : أمرها إلى الله والرسول، فالرسول يتولى قسمتها بأمر ربه، فاتقوا الله - أيها المؤمنون - بترك الاختلاف والمنازعة بينكم، وعليكم بطاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقا.
- (٢) إنما المؤمنون حقا هم الذين إذا ذكر الله فرزت قلوبهم، وإذا قرئت عليهم آيات الله تدبروها فزادتهم إيمانا مع إيمانهم، وعلى ربهم وحده يعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مفاسدهم.
- (٣) وهم الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة بصفقتها التامة في أوقاتها، ومما رزقناهم من الأموال ينفقون النفقات الواجبة والمستحبة يرجون رضا الله.
- (٤) أولئك المتصفون بتلك الصفات هم المؤمنون حقا ظاهرا وباطنا، جزاؤهم منازل عالية عند ربهم، ومغفرة لذنوبهم، ورزق كريم، وهو الجنة.
- (٥) كما أن الله انتزع منكم قسمة الغنائم بعد اختلافكم في قسمتها وجعلها إلى قسمته وقسمة رسوله ﷺ، كذلك أمرك ربك - أيها الرسول - بالخروج من المدينة للقاء قريش بوحي أنزله عليك بوساطة جبريل مع كراهة
- (٦) يجادلك - أيها الرسول - فريق من المؤمنين في قتال المشركين بعد ما تبين لهم أن ذلك واقع كأنها يساقون إلى الموت وهم ينظرون إليه عيانا.
- (٧) واذكروا - أيها المجادلون من المؤمنين - إذ يعدكم الله أنه سيكون لكم الظفر بإحدى طائفتي المشركين؛ إما العير وما تحمله من أموال؛ أو النفير وهو قتال الأعداء، والانتصار عليهم، وأنتم تحبون أن تظفروا بالعير، ويريد الله أن يحق الحق بأمركم بالقتال، لتقتلوا صناديد قريش، ويستأصلهم جميعا.
- (٨) ليحق الحق بإظهار الإسلام وأهله، ويذهب الشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.
- (٩) واذكروا إذ طلبتم النصر يوم بدر على عدوكم، فاستجاب الله لكم بأنه ممدكم بألف من الملائكة متتابعين: يتبع بعضهم بعضا.
- (١٠) وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم - أيها المؤمنون بالنصر، ولتسكن به قلوبكم وتوقنوا بنصر الله لكم، وليس النصر بكثرة العدد وتوافر العدد، إنما النصر من عند الله، إن الله عزيز في ملكه حكيم في تدبيره وشرعه.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَيَلْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُومِدْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقُنَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

ينتهبوا عما نهوا عنه، ومن يخالف أمر الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

(١٤) ذلك العذاب الذي عجلته لكم أيها الكافرون المخالفون لأوامر الله ورسوله - في الدنيا فذوقوه عاجلاً في الحياة الدنيا، ولكم في الآخرة عذاب النار.

(١٥) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تنهزموا عنهم وتولوهم ظهوركم هاربين، ولكن اثبتوا لهم فإن الله معكم وناصركم عليهم.

(١٦) ومن يولهم ظهره فاراً منهم غير منعطف لقتالهم بأن يريهم الفرار مكيدة منه، وهو يريد الكرّ عليهم، أو غير منضم إلى جماعة من المسلمين حاضرة يستتجد بها، فقد رجع بغضب من الله واستحقه، ومقامه في الآخرة جهنم وبئس المصير والمنقلب.

(١١) واذكروا - أيها المؤمنون - إذ يلقي الله عليكم النعاس أماناً منه لكم من عدوكم أن يغلبكم وينزل عليكم مطراً من السماء، ليطهركم من الأحداث الظاهرة، وليزيل عنكم وساوس الشيطان، وليشد على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين على الأرض الرملية حتى لا تنزلق فيها الأقدام.

(١٢) إذ يوحى ربك - أيها الرسول - إلى الملائكة الذين أمد الله بهم المؤمنين في غزوة بدر أني معكم بالنصر والتأييد، فقوموا عزائم المؤمنين على قتال عدوهم، سألتني في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد، فاضربوا أعناق الكافرين ليموتوا، واضربوا مفاصلهم وأطرافهم ليتعطلوا عن قتالكم.

(١٣) ذلك الواقع بالكفار من القتل وضرب الأطراف سببه أنهم خالفوا أمر الله ورسوله فلم يأتروا بما أمروا به، ولم

١١ جاء في الآية ما يشعر بأن الماء النازل كان سبباً لأمر عدة:

- التطهير بالماء النازل.
- إذهاب رجز الشيطان.
- الربط على قلوب المؤمنين.
- تثبيت أقدامهم.

ومعلوم أن من لوازم الربط على القلوب ذهاب الخوف، فالخوف كما يذكره الراغب الأصفهاني: توقع مكروه عن أمارة مظنوننة أو معلومة ويضاده الأمن. هذا الخوف يزيد من إفراز هرمون الأدرينالين الذي يؤثر على ضربات القلب، فتضطرب وتتسارع، وتتقلص معه عضلة القلب، ويزداد استهلاكها للأكسجين، وبالتالي فقد يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم. والارتفاع المفاجيء للضغط قد يسبب لصاحبه نزفاً دماغياً صاعقاً يؤدي إلى إصابة الغضبان بالفالج، وقد يصاب بالجلطة القلبية أو الموت المفاجيء، وقد يؤثر على أوعية العين الدموية فيسبب لها العمى المفاجيء، ولذلك فقد كان نزول الماء وسيلة لتثبيت الأقدام بزوال الخوف وعدم وجود هرمون الأدرينالين المسبب له إلى جانب تثبيت الأرض التي يسير عليها المجاهدون لأن الرمال إذا بللت تماسكت بعد نزول المطر. وهنا نلاحظ أن هذه الأمور أدت بالنتيجة إلى سكون روع المؤمنين وهدوء مزاجهم.



﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ مُهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فَتَنَةَ لَا نُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ۞

سماع تدبر وتفكر ، فينتفعوا بما سمعوا .

(٢٢) إن شر من دب على وجه الأرض من الخلق عند الله هم الصم الذين لا يسمعون الحق سماع قبول، البكم الذين خرس ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهييه .

(٢٣) ولو علم الله في هؤلاء خيرا لأسمعهم سماعا ينتفعون به، ولكنه علم أنه لا خير فيهم، وأنهم لا يؤمنون ولو أسمعهم لتولوا عن الإيمان قصدا وعنادا بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه .

(٢٤) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله استجيبوا لله ولرسوله بالطاعة والانقياد إذا دعاكم رسول الله ﷺ ليعلمكم أمور دينكم فبادروا إليه لتعلموا أمور حياتكم الدينية، واعلموا أن قلوب بني آدم بيد الرحمن فادعوه أن تقيموا على دينكم حتى تموتوا ، و لتعلموا أنكم إليه تحشرون، فيجازي كلا بما يستحق .

(٢٥) واحذروا أن تقروا المنكر بين أظهركم فيعممكم الله بالعذاب، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن عصاه .

(٢٦) واذكروا حين كنتم في «مكة» قليلي العدد مهجورين ، تخافون أن يأخذكم أعداؤها بسرعة ، فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو المدينة، وقواكم بالنصر على أعدائكم يوم « بدر » ورزقكم من الطيبات ومن جملتها الغنائم التي حصلتوها من أعدائكم لعلكم تشكرون لله على نعمه فيزيدكم منها .

(١٧) فلم تقتلوا - أيها المؤمنون - المشركين يوم بدر بقوتكم ، ولكن الله قتلهم حيث أعانكم على ذلك، وما رميت - أيها الرسول - المشركين حين رميتهم، ولكن الله رمى حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجوه المشركين، وليختبر المؤمنين بما أنعم الله عليهم من إظهارهم على عدوهم ليشكروا الله سبحانه على ذلك، إن الله سميع لدعائكم، عليم بأعمالكم وبما فيه صلاحكم .

(١٨) ذلك المذكور من قتل المشركين ورميهم حين انهزموا والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم هو من الله، والله مضعف كيد الكافرين الذين يدبرونه للإسلام .

(١٩) إن تطلبوا - أيها المشركون - من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أوقع الله عليكم ما طلبتم ، فأنزل بكم ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين، وإن تنتهوا عن الشرك بالله وقتال نبيه محمد ﷺ فهو خير لكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد ﷺ وأتباعه نعد بهزيمتكم ، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئا كما لم تغن يوم بدر مع كثرة عددكم وعتادكم، إن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد كما رأيتموهم يوم بدر .

(٢٠) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله وأنتم تسمعون آيات الله تقرأ عليكم .

(٢١) ولا تكونوا مثل المنافقين والمشركين الذين إذا تليت عليهم آيات الله قالوا : سمعنا بأذاننا، وهم لا يسمعون

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا ءَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَءَاعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ ءَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَقْتُلُوا اللَّهَ يَجْعَل لَكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِن هَٰذَا إِلَّا ءَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا ءَللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَٰذِهِ ءَأَحَقُّ مِن عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ ءَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ؕ إِنِ أَوْلِيَآؤُهُ ؕ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ ءَمْوَالَهُمْ لِصُدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَيَسْتَفِيقُونَهَا فَيُدْفِقُوهَا عَلَيْهِمْ حَسْرَةً تُمْ يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ۞

- (٢٧) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله لا تخونوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله عليكم وفعل ما نهاكم عنه، ولا تخونوا ما ائتمتم عليه، وأنتم تعلمون أنه أمانة يجب الوفاء بها.
- (٢٨) واعلموا أن أموالكم وأولادكم إنما هي ابتلاء من الله لكم واختبار ليعلم أشكرونه عليها أم تشغلون بها عنه، واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه.
- (٢٩) يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تقوا الله بفعل أوامره واجتنب نواهيه، يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، ويمح عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها، والله ذو الفضل العظيم للمؤمنين في الدنيا والآخرة.
- (٣٠) واذكر - أيها الرسول - حين تمالأ عليكم المشركون ليكيدوا لك بقتلك أو حبسك أو نفيك من بلدك إلى بلد غيره فرد الله كيدهم عليهم جزاء لهم، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فعاقبهم على مكرهم من حيث لا يشعرون.
- (٣١) وإذا قرئت على هؤلاء المشركين آياتنا قالوا عنادا للحق وترفعاً عليه: قد سمعنا مثل هذا من قبل، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا أكاذيب الأولين.
- (٣٢) واذكر - أيها الرسول - إذ قال المشركون: اللهم إن كان ما جاء به محمد حقاً فأسقط علينا حجارة من السماء تهلكننا أو ائتنا بعذاب شديد موجه.
- (٣٣) وما كان الله ليعذبهم وأنت - أيها الرسول - بين ظهرانيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم.
- (٣٤) وما يمنعهم من أن يعذبوا، وهم يمنعون المؤمنين من الطواف بالمسجد الحرام والصلاة فيه، وما كانوا أولياء الله، فليس لهم ولاية البيت، إن أوليائه إلا المتقون، فولاية البيت للمتقين لا للمشركين، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون لذلك ادعوا لأنفسهم الولاية على البيت.
- (٣٥) وما كان صلاة المشركين عند المسجد الحرام إلا صفيراً وتصفيقاً، فذوقوا - أيها المشركون - عذاب القتل والأسر يوم « بدر » بسبب كفركم بالله وتكذيبكم لرسوله.
- (٣٦) إن الذين كفروا بالله ينفقون أموالهم ابتغاء صد الناس عن دين الله، فسينفقونها ولن يتحقق لهم ما أرادوا، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم لفواتها وفوات المقصود من إنفاقها، ثم يغلبون بانتصار المؤمنين عليهم يوم « بدر » والذين كفروا بالله يساقون إلى جهنم، فيدخلونها فيعذبون فيها.



﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٣٧) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) وَقِنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنَّ آتَاءَ اللَّهِ عِنْدَهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣٩) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَآبِئِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَفَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَتِهِ وَإِلَى اللَّهِ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَادْتَ كَثِيرًا لَفَسَلْتُمْ وَلَنْ نَنْزِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾

يجزأ خمسة أخماس: قسم لله ولرسوله، يصرف في المصارف العامة للمسلمين، وقسم لقرابة النبي ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وقسم لليتامى، وقسم للفقراء والمساكين، وقسم للمسافرين الذين انقطعت بهم السبل، إن كنتم آمنتم بالله وبما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ يوم بدر الذي فرق الله به بين الحق والباطل، حين نصركم الله على أعدائكم، والله على كل شيء قدير.

(٤٢) واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى « المدينة » وعدوكم بجانب الوادي الأقصى وغير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل « البحر الأحمر »، ولو حاولتم أن تحدوا موعدا لهذا اللقاء لاختلقتم، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقتضي أمرا كان مفعولا بنصر أوليائه، وخذلان أعدائه بالقتل والأسر، وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له، وليحيى من حي عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له، والله سميع لأقوال الجميع، لا يخفى عليه شيء، وسيجازي كلا على أعمالهم.

(٤٣) واذكر - أيها الرسول - من نعم الله عليك وعلى المؤمنين حينما أراك الله في منامك قلة عدد المشركين فأخبرت أصحابك بذلك فقويت قلوبهم على حربهم، ولو أراك الله المشركين في منامك كثيرا لضعفت عزائم أصحابك وخافوا القتال، ولكن الله سلم من الفشل ونجى من عاقبة ذلك، إنه عليم بخفايا القلوب وطبائع النفوس.

(٣٧) يساق هؤلاء الكفار الذين ينفقون أموالهم للصد عن سبيل الله إلى جهنم ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ليجعل الله الخبيث من الأشخاص والأموال التي أفق للصد عن دين الله بعضه فوق بعض متراكما متراكبا، فيجعله في نار جهنم، فهؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٣٨) قل - أيها الرسول - للذين كفروا بالله وبرسوله من قومك: إن ينتهوا عن كفرهم بالله وبرسوله وعن صدهم عن سبيل الله من آمن به يغفر لهم ما سبق من ذنوبهم، فالإسلام يجب ما قبله، وإن يعودوا إلى كفرهم فقد سبقت سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على كفرهم وعنادهم، عاجلناهم بالعقاب والعذاب.

(٣٩) وقاتلوا - أيها المؤمنون - المشركين حتى لا يكون شرك وصد عن سبيل الله، ويكون الدين لله وحده لا شريك له، فإن انتهوا عما كانوا عليه من الشرك والصد عن دين الله فدعوهم فإن الله بصير لا يخفى عليه ما يعملون.

(٤٠) فإن أعرضوا عما دعوتوهم - أيها المؤمنون - إليه فأيقنوا أن الله معينكم وناصرهم عليهم، نعم المولى لمن تولاها، ونعم الناصر لمن نصره.

(٤١) واعلموا - أيها المؤمنون - أن ما أخذ من عدوكم الكفار بالجهاد في سبيل الله، فإنه يقسم خمسة أخماس، أربعة أخماس منها تقسم على المجاهدين، والخمس الباقي

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
 وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزِعُوا عَنْهَا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
 ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا
 تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي مَا لَآ تَرَوَنَّ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَصْرُبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأَدْبُرُهُمْ
 وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنْتَ اللَّهُ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابٌ ءَالَ فِرْعَوْنَ
 وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ۞

فلما رأى إبليسُ جبريلَ ولَّى هاربا وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المؤمنين، إني أخاف الله - كذب عدو الله فإنه لا يخاف الله - والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب.

(٤٩) واذكروا حين يقول المنافقون والذين لم يستحکم الإسلام في قلوبهم إذ رأوا كثرة الأعداء ضد المسلمين، غرَّ هؤلاء المسلمين دينهم فأوردتهم موارد الهلاك، ولم يدرك هؤلاء أن من يعتمد على الله فإن الله لن يخذله، والله عزيز لا يغالبه أحد، حكيم في تدبيره وصنعه.

(٥٠) ولو تعاین - أيها الرسول - حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم، وتضرب الوجوه منهم والأدبار، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم.

(٥١) ذلك الجزاء الذي أصابكم - أيها الكفار - بسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، والله لا يظلم الناس، وإنما يحكم بينهم بالعدل، فهو الحكم العدل.

(٥٢) وليس هذا العذاب النازل بهؤلاء الكافرين خاصا بهم بل هو سنة الله التي أمضاها على الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذبوا رسل الله فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم، إن الله قوي، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

(٤٤) واذكروا - أيها المؤمنون - حين التقيتم في المعركة فرأيتموهم قليلا فاجترأتم عليهم، وقللكم في أعينهم ليرتكوا الاستعداد لحربكم ليقتضي الله أمرا كان مفعولا فيتحقق وعد الله لكم بالنصر والغلبة، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فيجازي كلا بما يستحق.

(٤٥) يا أيها الذين آمنوا بالله واتبعوا رسوله إذا لقيتم جماعة من الكفرة فاثبتوا ولا تهزموا عنهم، واذكروا الله كثيرا وادعوه، فهو القادر على نصركم عليهم والظفر بعدوكم لكي تفوزوا.

(٤٦) وأطيعوا الله ورسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرقوا وتختلف قلوبكم، وتذهب قوتكم، واصبروا عند لقاء عدوكم، إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

(٤٧) ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من مكة لقتال المسلمين في معركة « بدر » ويصدون الناس أن يدخلوا في دين الله، والله بما يعملون محيط لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(٤٨) واذكروا نعم الله إذ حسّن الشيطان للمشركين أعمالهم وخروجهم لحرب رسول الله ﷺ، وقال لهم لن يغلبكم أحد اليوم وإني ناصركم، فلما التقى الفريقان، فريق المؤمنين معهم الملائكة، وفريق المشركين معهم الشيطان،



﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ لِمَ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ
 ءَالَ فِرْعَوْنَ ۗ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا
 ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ
 عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَنْ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 سَبْقُوا ۗ إِنَّهُمْ لَا يَعْبُرُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۗ عَدُوَّ اللَّهِ
 وَعَدُوَّكُمْ ۖ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
 وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا
 أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۗ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصْرِهِ ۗ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَالْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ۞

- (٥٣) إن الله تعالى لا يغير ما أنعم به على قوم حتى يغيروا هم ما بهم بكفرهم وترك الشكر لنعم الله، فإذا فعلوا ذلك سلبهم الله النعمة منهم.
- (٥٤) شأن هؤلاء الكافرين كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى عليه السلام فأهلكناهم بالغرق في البحر، وكل من آل فرعون والأمم السابقة كانوا ظالمين بسبب شركهم بالله وتكذيبهم رسل الله، فأهلكهم الله.
- (٥٥) إن شر ما دب على الأرض عند الله الذين كفروا بالله وأصروا على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يقرون بوحيه وتنزيله.
- (٥٦) من أولئك الأشرار يهود بني قريظة الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يحاربوك، ولا يعينوا على قتالك أحدا، ثم ينقضون ما عاهدتهم مرارا، وهم لا يخافون الله.
- (٥٧) فإن قابلت - أيها الرسول - هؤلاء الناقضين لعهودهم في الحرب فنكل بهم أشد تنكيل حتى يسمع بذلك غيرهم لعلهم يعتبرون بحالهم فلا ينقضون العهد.
- (٥٨) وإن خفت من قوم خيانة ظهرت بوادرها فاطرح إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم، إن الله لا يحب الخائنين بل يمقتهم، فاحذروا من الخيانة.
- (٥٩) ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا ونجوا، وأن الله لا يقدر عليهم بل هو مدرتهم ولاحق بهم.
- (٦٠) وأعدوا - أيها المؤمنون - لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه من عدد وعتد، ومن ذلك حبس الخيل في سبيل الله تخوفون أعداء الله وأعداءكم المتربصين بكم وتخوفون آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، ولكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه، وما تنفقوا من أموالكم قليلا أو كثيرا في سبيله يخلفه الله عليكم في الدنيا ويعطكم ثوابه كاملا غير منقوص في الآخرة فبادروا إلى الإنفاق في سبيل الخير.
- (٦١) وإن مالوا إلى الصلح وترك قتالك - أيها الرسول - فمل إليه، وفوض أمرك إلى الله وثق به، فلن يخذلك، إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنياتهم.
- (٦٢) وإن قصدوا بميلهم للصلح وترك القتال أن يخدعوك، فإن الله سيكفيك خداعهم، هو الذي قواك بنصره، وقواك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار.
- (٦٣) وجمع بين قلوب المؤمنين بعد أن كانوا متفرقين، لو أنفقت ما في الأرض من مال لتجمع بين قلوبهم ما استطعت، ولكن الله جمع بينها فأصبحوا إخوانا متحابين، إنه عزيز في ملكه حكيم في قدره وتدييره.

﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَكُنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كُنْتُمْ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ .

(٦٤) يا أيها النبي إن الله كافيك شر أعدائك وكافي الذين معك (٦٥) يا أيها النبي حث المؤمنين على القتال، وقل لهم: إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفاً من الكفار، ذلك بأن الكافرين قوم لا يفهمون ولا يعلمون ما أعد الله للمجاهدين في سبيله من النصر والتمكين.

(٦٦) الآن خفف الله عنكم - أيها المؤمنون - لأنه شق على بعض الضعفاء منكم، فإن يكن منكم مائة صابرون محتسبون عند الله يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف صابرون محتسبون عند الله يغلبوا ألفين منهم بإذن الله، والله مع الصابرين بتأييده ونصره.

(٦٧) لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى من الكفار، بل كان الواجب عليه أن يقتلهم، ليدخل الرعب في قلوب الكفار حتى لا يعودوا إلى قتاله، تريدون - يا معشر المسلمين - متاع الدنيا بأخذ الفداء من أسارى بدر، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة، والله عزيز لا يُفهر، حكيم في قدره وشرعه.

(٦٨) لولا كتاب من الله سبق به قضاؤه وقدره أنه أحل لكم الغنائم، وأباح لكم فداء الأسرى، لأصابكم عذاب شديد من الله بسبب أخذكم الغنيمة والفداء من الأسرى، قبل أن ينزل بشأنهما تشريع.

(٦٩) فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم (٧٠) يا أيها النبي قل لأسارى « بدر » الذين أخذت منهم الفداء، لا تحزنوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله عز وجل في قلوبكم خيراً، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفداء، فيعوضكم في هذه الدنيا رزقاً خيراً منه وأنفع لكم، ويغفر لكم ذنوبكم.

(٧١) إن كان الذين أطلقتم سراحهم - أيها الرسول - يريدون الغدر والخيانة فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصرك الله عليهم، والله عليم بما يضمروا في صدورهم، وحكيم في تدبيره.

(٧٢) إن الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وهاجروا إلى دار الإسلام أو إلى دار الأمن كما هاجر أصحاب الرسول إلى الحبشة، وجاهدوا في سبيل الله بالأموال والأنفس لإعلاء كلمة الله، والذين أنزلوا المهاجرين في منازلهم ونصروهم أولئك المهاجرون وأنصارهم، بعضهم أولياء بعض، والذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام ليس عليكم - أيها المؤمنون - أن تنصروهم وتحموهم حتى يهاجروا، وإن ظلمهم الكفار فطلبوا منكم النصر فانصروهم إلا إذا كان بينكم وبين عدوهم عهد لم ينقضوه، والله بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.



﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ .

(٧٣) والذين كفروا بالله ورسوله يوالي بعضهم بعضا، وإن لم توالوا المؤمنين تكن في الأرض فتنة للمؤمنين في دين الله، ويكن فساد في الأرض عظيم بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.

(٧٤) والذين آمنوا بالله ورسوله وهاجروا إلى دار الإسلام أو إلى دار الأمن، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين آووا المهاجرين ونصروهم أولئك هم المؤمنون الصادقون حقا، جزاؤهم من الله مغفرة لذنوبهم ورزق كريم منه وهو الجنة.

(٧٥) والذين آمنوا بالله ورسوله بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار السابقين الأولين، وجاهدوا معكم في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، أولئك منكم - أيها المؤمنون - لهم ما لكم من الحقوق وعليهم ما عليكم من الواجبات، وأولوا القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله في كتابه، إن الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء، فهو يعلم ما يصلح لعباده فيشرعه لهم.

سورة التوبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مُّعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ .

ورسوله، من المشركين وعهودهم، وأنهم إن تابوا من شركهم وكفرهم فهو خير لهم في الدنيا والآخرة، وإن أعرضوا وأصروا على شركهم، فلا مهرب لهم من الله، ولحاق عذابه الأليم بهم.

ويستثنى من البراءة من عهود المشركين من وفوا بشروط العهود، ولم يعاونوا على المسلمين أحدا من الكفار، فالمسلمون مأمورون بإمضاء عهودهم إلى انقضاء مدتها، لأن الله يحب الذين يتقونه بإتمام العهود.

(١) بلاغ من الله ورسوله ﷺ للمسلمين يتضمن إلغاء عهود الأمان التي عقدوها مع المشركين.

(٢) ورحمة من الله تعالى بعباده أمهل المشركين مدة أربعة أشهر يتنقلون في الأرض آمنين مطمئنين، مؤكدا لهم، وهو القوي العزيز أن لا مفر لهم منه، وأنه مذلهم بالعقوبة، إذا أصروا على كفرهم وطغيانهم.

(٣) وبمقتضى أمر الله ببلغ الناس وأعلموا يوم النحر براءة الله

﴿ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَأَسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اسْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الدِّينِ وَنَفْصِلِ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبَلُوا إِلَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُرُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا فَتَنَلُّوْا قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَانُوا فِيهَا يَخْتَوُونَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ۞ .

- (٥) وقد أمر الله المسلمين بقتل المشركين بعد نهاية الأشهر الحرم، حيثما وجدوهم في حل أو حرم، وأخذهم بالأسر وحصروهم في القلاع والحصون، والقيود لهم بالمرصاد على كل طريق يسلكونه، فإن تابوا من الكفر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فيمنع التعرض لهم. لقوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله (متفق عليه)، إن الله غفور لمن تاب رحيم به.
- (٦) وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بتأمين من طلب الأمان من المشركين ليسمع القرآن، فهذا يعطى الأمان ويستمر له حتى يعود إلى بلده؛ وذلك ليتعرف على دين الله ثم يختار.
- (٧) ينبه الله المؤمنين ألا يأمنوا عهود المشركين لما عرف عنهم من الغدر، ونكث العهود ونقضها، ويستثنى من ذلك الذين عاهدتهم المسلمون عند المسجد الحرام يوم الحديبية وهم قريش إن بقوا على العهد ولم ينقضوه وقد استمر النبي ﷺ على عهدهم؛ لأن الله يحب المتقين الموفين بالعهود.
- (٨) كيف للمؤمنين أن يثقوا بالمشركين، وهم إن تمكنوا منهم
- آذوهم، ولم يراعوا فيهم قرابة، ولا عهداً، وما يصدر عنهم من عهود إنما تردده ألسنتهم إرضاء للمسلمين، ولا ينوون الوفاء بها، وأكثرهم فاسقون.
- (٩) لقد خسر المشركون حين اختاروا الكفر على الإيمان بإعراضهم عن آيات الله مقابل متاع الدنيا القليل، وساء عملهم بمنعهم الناس عن الإسلام فبئس ما عملوا.
- (١٠) ومن أفعالهم القبيحة أنهم إذا ظفروا بمؤمن آذوه دون مراعاة لقرابة أو عهد.
- (١١) يصير المشركون إخواناً للمسلمين إن تركوا الكفر وأسلموا، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وبيّن الله الآيات للذين يعلمون العلم الديني ويريدون الانتفاع به.
- (١٢) لقد أمر الله تعالى المسلمين بقتال زعماء الكفر إذا نكثوا الأيمان ونقضوا العهود، وطعنوا في الدين، لعلمهم بترك هذه الأفعال، مؤكداً أنهم اعتادوا نكث الأيمان ونقض العهود.
- (١٣) ويحرض الله المؤمنين على قتال الكفار منبهاً لهم على ما بدر منهم من نكث للأيمان، وتآمر لإخراج رسول الله ﷺ من بلده مكة المكرمة، وفضلاً عن ذلك هم من بدأوا المسلمين بالظلم والإيذاء، مستنكراً عليهم أن يخشوهم، لأن الله أحق أن يخشوه.



﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَيْمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

- (١٤) يؤكد الله تعالى مرة أخرى حثه المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه، فيصيب المشركين العذاب بأيدي المؤمنين، وينالهم الذل والصفار، وتلحقهم الهزيمة، وفي ذلك شفاء لصدور المؤمنين.
- (١٥) وشفاء صدورهم يتم بإذهاب غيظهم من الكفار الذين طالما آذوهم واستذلوهم. ورحمة منه تعالى بعباده يبقي باب التوبة مفتوحا لمن يريد النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. والله وحده الذي يوفق إلى التوبة من يشاء ويقبلها ممن يشاء. فهو عليم بخلقه حكيم في أمره.
- (١٦) وما كان الله تعالى ليترك المؤمنين حتى يختبرهم ويعلم علما يظهر للناس من خرجوا مجاهدين استجابة لله ورسوله. ولم يتخذوا بطانة سوء من الكفار تتجسس على المسلمين وتكشف أسرارهم. مؤكدا أنه عز وجل خبير بما يعمله الناس.
- (١٧) لا يظن المشركون أنهم عمار مساجد الله مهما فعلوا ذلك، ما داموا شاهدين على أنفسهم بالكفر كقولهم في التلبية ليبيك لا شريك لك إلا شريكا هولاك، وعبادتهم الأصنام، بزعم أنها تقر بهم إلى الله. ومهما قاموا به من عمارة المسجد الحرام، وما قدموه من خدمة للحجاج والعمار كسقايتهم وضيافتهم، فلا ثواب لهم عليه، وهم في النار خالدون.
- (١٨) ويؤكد الله تعالى أن عمار مساجد الله حقا هم المؤمنون بالله واليوم الآخر الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخشون في دينهم إلا الله، فأولئك يحقق الله رجاءهم في الاهتداء إلى طريقه المستقيم.
- (١٩) يرد الله تعالى على من جعل سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام مساوية للإيمان بالله واليوم الآخر، فهما عند الله لا يستويان أبداً، ونبه إلى أن الظالمين لا يوقفهم الله للهداية.
- (٢٠) ينبه الله تعالى إلى أن تلك الأعمال إذا قام بها المؤمنون المهاجرون المجاهدون في سبيل الله نالوا عليها أعظم الأجر عند الله تعالى، وهم الفائزون بالنعيم المقيم في الجنة.
- (٢١) هؤلاء المؤمنون ينالون البشري بنيل رحمة من ربهم ورضوان وجنة لهم فيها نعيم دائم.
- (٢٢) وهم في الجنة باقون دائما. وقد أعد الله تعالى لمن آمن وجاهد ثوابا عظيما.
- (٢٣) بعد براءة الله ورسوله من الكافرين جاء الأمر للمؤمنين بترك موالاتهم، فلا يوادونهم ولا ينصرونهم ولو كانوا أقرب الناس إليهم كأبائهم وإخوانهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان، ومن يوالئهم يكون من الظالمين وجزاؤه عذاب مؤلم.

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَلِيلُوا الَّذِينَ لَا يُمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَلْنَا لَهُمُ اللَّهُ آتَى يُوفَّكَونَ ﴿٣٠﴾ .

قتال، أبقى لهم باب التوبة مفتوحا، وهو يقبل من صدق في توبته، ويغفر لهم ويرحمهم.

(٢٨) لم يكتف الحق سبحانه بإعلان البراءة من عهود المشركين ولا نهى المسلمين عن موالاتهم مهما كانت قرابتهم؛ بل أمرهم بمفاصلتهم؛ لمعتقداتهم النجسة وأفعالهم القذرة، ويتعين منعهم من الاقتراب من المسجد الحرام بعد عام البراءة تنزيها له عن أفعالهم الشركية الفاسدة. وقد وعد المسلمين بأن يغنيهم من فضله إن خافوا الفقر عند ما تنقطع تجارة المشركين عنهم وقد كانوا يتاجرون معهم. والله عليم بخلقه، حكيم في فعله وصنعه.

(٢٩) ثم جاء الأمر الإلهي بقتال أهل الكتاب لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق الذي أوحاه الله إلى أنبيائه، وإنما يتبعون أهواء أخبارهم وأساقفتهم. حتى يدعوا لحكم الإسلام ويعطوا الجزية أذلاء.

(٣٠) ويخبر الحق جل وعلا المؤمنين عن أقوال أهل الكتاب الكفرية، ومن ذلك ادعاء اليهود أن عزيرا ابن الله، وزعم النصراني أن المسيح ابن الله، يقولون ذلك بلا علم ولا دليل، مقلدين قول الذين كفروا قبلهم، قاتلهم الله ولعنهم، كيف يضلون عن الحق، وينصرفون عنه إلى الباطل!

(٢٤) وقد توعد الله تعالى من آثروا حب أهلهم وقرابتهم - من آباء وأبناء وإخوة وأزواج - وعشيرة وأموال اكتسبوها، وتجارة يخافون خسارتها، ومسكن يرضونها، على حب الله ورسوله وجهاد في سبيله، بانتظار عقاب الله لهم ونكاله بهم، والله تعالى لا يهدي الخارجين عن طاعته.

(٢٥) ذكر الله المسلمين بما من به عليهم بفضل من نصر وتأييد في معارك عدة، ومنها معركة حنين، منها على ما وقع لهم في بداية الأمر من انكسار أمام قبيلة هوازن وفرار الناس عن رسول الله ﷺ، بعدما اغتروا بكثرتهم فلم تجدهم نفعاً.

(٢٦) ثم أنزل الله طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين فرجعوا إلى النبي ﷺ وقاتلوا، فأيدهم الله بالملائكة وكان جزاء الكافرين الهزيمة والقتل والأسر. روى البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه، قال: لما كان يوم حنين، التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف، والطلقاء، فأدبروا، قال: «يا معشر الأنصار». قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك لبيك نحن بين يديك، فنزل النبي ﷺ فقال: «أنا عبد الله ورسوله» فانهزم المشركون.

(٢٧) ومن رحمته تعالى أنه بعد كل ما حدث مع المشركين من



﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَنُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ۞

نظام الكون، منها أربعة حرم وهي: (ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب)، وتحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم، دين إبراهيم وإسماعيل، فلا يستحل فيها القتال بجعل ما هو حرام منها حلالاً. وقاتلوا المشركين جميعاً في كل الشهور كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله مع المتقين، بعونه وتوفيقه.

(٣٧) النسية هو: تأخير حرمة شهر من الأشهر الحرم إلى شهر آخر، ويؤكد الله تعالى أن هذا الفعل يزداد به الكفار كفراً وضلالاً، يضلهم به الشيطان، وكانوا في الجاهلية يحلون الحرب في شهر حرام ويحرمونها شهراً آخر بدلاً منه؛ ظانين أنهم إذا وافقوا شرع الله في العدد بأن يحرموا في السنة أربعة أشهر فقد أدوا ما عليهم، وقد زينت لهم أهواؤهم سوء أعمالهم، والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الطريق المستقيم.

(٣٨) يستهنض الله عز وجل عباده المؤمنين لقتال من يقاتلهم من المشركين متعجبا من تناقلهم في الاستجابة لداعي الجهاد في سبيل الله، مستنكرا أن يكون ذلك منهم رضا بالحياة الدنيا الفانية بدل الآخرة الباقية، منبها لهم على قلة متاع الدنيا وحقارته بالنسبة إلى متاع الآخرة الكثير والدائم.

(٣١) لقد جعل أهل الكتاب علماءهم ورهبانهم أربابا يشرعون لهم من دون الله، فيحلون لهم ويحرمون بأهوائهم، واتخذوا عيسى ابن مريم ربا من دون الله، وما أمروا إلا أن يعبدوا الله وحده لا إله إلا هو تعالى عما يشركون.

(٣٢) يريد المشركون وأهل الكتاب، أن يحجبوا هدى الله إلى العالمين بتكذيبهم وافتراءهم، وهم بذلك أشبه بمن يسعى ليطفيء نور الله بفمه. ولكن هدى الله لا يحجبه أحد عن عباده ولو كره الكافرون.

(٣٣) وما أرسل الله رسوله بالإسلام إلا ليعليه على جميع الأديان بالحجة والبرهان، ولو كره ذلك المشركون.

(٣٤) يخبر الله تعالى المؤمنين بحال كثير من علماء اليهود ورهبان النصارى؛ مؤكدا أنهم يستولون على أموال الناس بلا حق، ويصدونهم عن سبيل الله، متوعدا من يكتنون الذهب والفضة ولا يؤدون حقهما بعذاب مؤلم.

(٣٥) فما كنزوه من ذهب وفضة يذاب في نار جهنم وتحرق به جباههم وجنوبهم وظهورهم ويقال لهم تقريرا: هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا جزاء ما كنتم تكتنون.

(٣٦) يؤكد المولى جل ثناؤه أن عدد الشهور في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرا، منذ خلق السماوات والأرض وأوجد

﴿ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَدَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَعِذُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرَهُ اللَّهُ أَنْبِعَانَّهُمْ فَتَبَطَّوهُمْ وَقِيلَ أَعِدُّوا مَعَ الْفَاعِلِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ۞

الكاذب، حيث يجلبون لها سخط الله، والله يعلم إنهم لكاذبون في قولهم ذلك.

(٤٣) وقد عاتب الله تعالى نبيه - مقدما العفو تطمينا لقلبه - لإذنه لهم في التخلف، قبل أن يتبين الصادق في اعتذاره من الكاذب.

(٤٤) وينبه الحق تعالى نبيه أن من يؤمنون بالله واليوم الآخر لا يستأذنونهم في التخلف عن الجهاد بأموالهم وأنفسهم لغير عذر، والله يعلم من هم المتقون، المستعدون للجهاد.

(٤٥) ويؤكد الله تعالى لرسوله أنه لا يستأذنه في التخلف عن الجهاد إلا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وشكَّت قلوبهم في الدين فهم في شكهم حائرون.

(٤٦) ويكشف الحق لنبيه نية المتخلفين في عدم الخروج، ولا أدل على ذلك من إحجامهم عن التجهز للسفر، ولكن كره الله خروجهم مع رسوله فصرهم عنه.

(٤٧) وفي عدم خروجهم مصلحة للمسلمين؛ لأنهم لو خرجوا لثبطوهم عن القتال، ولأوقعوا بينهم بالنميمة محاولين فتنهم وإفساد ذات بينهم، وفي المسلمين من يسمعون أقوالهم ويتناقلونها. والله عليم بهؤلاء المنافقين الذين يظلمون أنفسهم بما أضمره من الفساد.

(٣٩) ويتوعد جل وعلا المتقاعسين عن الجهاد نصره لدينه ورسوله بالعذاب المؤلم، واستبدالهم بآخرين بدلا منهم، ولن يضر رسول الله تركهم نصرته لأن الله ناصره وهو على كل شيء قدير.

(٤٠) يخاطب المولى عز وجل عباده المؤمنين ويذكرهم أنه ناصر رسوله إن لم ينصروه كما نصره في الغار مع صاحبه أبي بكر حين أجهأ المشركون إلى الخروج من مكة، فلما أحاطوا بالغار أنزل الله طمأنينته علي رسوله وأيده بجند من الملائكة تحميه، وجعل دعوة الشرك مغلوبة وكلمة التوحيد هي الغالبة، والله عزيز في ملكه، حكيم في صنعه.

(٤١) أمر الله تعالى المسلمين بالخروج للجهاد مهما كان حالهم، فقراء أو أغنياء، أقياء أو ضعفاء، رجالا أو ركبانا، وبذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، وأعلمهم أن الجهاد خير لهم من التخلف؛ لأنهم ينالون به رضوان الله وجنته.

(٤٢) وقد فضح الحق تعالى المتخلفين منبها أنه لو تعلق الأمر بنيل متاع قريب، سهل التناول وسفر متوسط لا بعد فيه ولا مشقة، لخرجوا مع رسول الله طلبا للغنيمة، ولكن لما كان السفر بعيدا، وفيه مشقة عليهم - وهي غزوة تبوك - كما ورد في الصحيحين تخلفوا، وسيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا معكم، يهلكون أنفسهم بالحلف



﴿ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُوا ﴾ (٤٨)
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذَّنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾
 إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ تَسْبِيحًا وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ إِنَّهَا مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنَّمَا كُنَّا مِنْ قَبْلُ مَكْرُوهِينَ ﴿٥٠﴾
 قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾
 قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ
 بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقِلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا
 فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
 كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ ﴿٥٦﴾
 لَوْ يَحْذَرُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَغْرَبًا أَوْ مَدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا
 مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

أَن يَسْلُطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ عِنْدِهِ يَهْلِكُكُمْ بِهِ، أَوْ
 يَعْذِبُكُمْ بِأَيْدِينَا بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، فَانظُرُوا، وَنَحْنُ مَعَكُمْ
 مُنْتَظِرُونَ.

(٥٣) أَخْبَرَهُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ - أَنَّهُ مَهْمَا أَنْفَقُوا مِنْ مَالٍ لِلْجِهَادِ
 فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا سِوَاكَ مَا أَنْفَقُوهُ طَوَاعِيَةً أَوْ كَرَاهِيَةً؛
 لِأَنَّهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الدِّينِ.

(٥٤) وَعَلَّلَ عَدَمَ قَبُولِ نَفَقَاتِهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلِأَنَّهُمْ
 لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ مُتَأَمِّلُونَ، وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
 كَارِهُونَ لِلنَّفَقَةِ.

(٥٥) فَلَا تَسْتَحْسِنُ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا هِيَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ
 لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِكَدِّهِمْ وَتَعَبِهِمْ فِي جَمْعِهَا،
 وَعِنْدَ انْتِهَاءِ أَجْلِهِمْ يَمُوتُونَ كَافِرِينَ فَبئْسَ الْمَصِيرُ.

(٥٦) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ أَنَّهُمْ مِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنْكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا
 بِمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ الْإِيمَانَ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

(٥٧) وَمَنْ خَوْفُهُمْ وَفِرْقَهُمْ مِنْ مَعَاشِرَتِكُمْ، أَنَّهُمْ لَوْ وَجَدُوا
 مَأْوَى، أَوْ مَغَارَاتٍ، أَوْ نَفَقَاتٍ لِأَسْرِعُوا إِلَيْهِ إِلَيْهِ فَارِّينَ مِنْكُمْ.

(٥٨) وَبَعْضُ الْمُنَافِقِينَ يَعْبِيكَ وَيَطْعَنُ عَلَيْكَ فِي قِسْمَةِ الصَّدَقَاتِ
 فَإِنِ اعْطِيَتْهُمْ مَا يَرْغَبُونَ مِنْهَا رَضُوا، وَإِنِ لَمْ يَنَالُوا مَا
 يَرْغَبُونَ مِنْهَا سَخَطُوا.

(٤٨) بَيْنَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ عَلَى حَالِ الْمُنَافِقِينَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَسَعِيهِمُ الدُّرُوبَ فِي إِقْبَادِ نَارِ الْفِتْنَةِ، وَخِذْلَانِ الْمُسْلِمِينَ
 كَمَا فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ أُحُدٍ حِينَ انْصَرَفَ
 بِمَنْ مَعَهُ، وَقَدْ دَبَّرُوا الْمَكَائِدَ، وَحَاكُوا الْمُؤَامِرَاتِ لِتَفْرِيقِ
 الْمُسْلِمِينَ. حَتَّى أَيْدِكَ اللَّهُ بِنَصْرِهِ وَغَلَبَ دِينَهُ وَهُمْ كَا
 رِهُونَ.

(٤٩) قَالَ أَحَدُ الْمُنَافِقِينَ وَهُوَ الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ أَتَذَّنَ لِي فِي الْقَعُودِ
 وَلَا تَفْتِنِي بِرُؤْيَا بَنِي الْأَصْفَرِ فَإِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنِ النِّسَاءِ،
 وَلَكِنَّهُمْ بِذَلِكَ وَقَعُوا فِي فِتْنَةِ التَّخْلُفِ، فَوَقَعُوا فِي الْفِتْنَةِ
 الَّتِي فَرَّوْا مِنْهَا، وَيُؤَكِّدُ الْحَقُّ أَنَّ جَزَاءَهُمْ جَهَنَّمَ تَحِيطُ
 بِهِمْ.

(٥٠) وَإِذَا رَأَوْكَ انْتَصَرْتَ وَغَنِمْتَ فِي غَزْوَةٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ
 سَاءَهُمْ ذَلِكَ، وَيَفْرَحُونَ إِنْ أَصَابَتْكَ شِدَّةٌ قَائِلِينَ: أَخَذْنَا
 بِالْحَزْمِ حِينَ تَخَلَّفْنَا مِنْ قَبْلِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ بِمَا
 أَصَابَكَ.

(٥١) أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِالرَّدِّ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: أَنَّهُ لَنْ
 يُصِيبَنَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَّا مَا قَدَرَهُ اللَّهُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَوَلَّى
 لِجَمِيعِ أُمُورِنَا وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُ الْمُؤْمِنُونَ.

(٥٢) وَأَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: لَنْ يَنَالُنَا إِلَّا إِحْدَى الْعَاقِبَتَيْنِ الْحَسَنَيْنِ؛
 نَصْرٌ عَلَى عَدُونِنَا أَوْ اسْتِشْهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَنَحْنُ نَتَوَقَّعُ

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ (٥٩) إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنَهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَى لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزَؤْا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَن طَائِفَةٍ مِنكُمْ تُغَدِّبْ طَائِفَةٌ أُخْرَى بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

- (٥٩) ولو أنهم رضوا بما آتاهم الله ورسوله، وتوكلوا على الله (٦٣) ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من يشاقق الله ورسوله قائلين سيرزقنا الله من فضله ورسوله لكان خيراً لهم.
- (٦٠) ويقتصر صرف الزكاة على: الفقراء الذين لا يجدون شيئاً، والمسكين الذين لا يجدون ما يكفيهم، والعاملين عليها الذين يقومون بجمع الصدقات، والمؤلفة قلوبهم ليسلموا، وفي الرقاب في فك المكاتبين، والغارمين الذين عجزوا عن سداد ما استدانوه، وفي سبيل الله على القائمين بالجهاد، وابن السبيل المنقطع في سفره، والزكاة أوجبها الله، والله عليم بخلقه، حكيم فيما أمر به.
- (٦١) ومن المنافقين من يؤذون النبي بعبيه وينقل حديثه، وإذا نهوا عن ذلك يقولون: هو أذن، يسمع كل قيل ويصدقه، وأنه يخدع بما يسمع، قل - أيها الرسول - أنا مستمع خير لكم لا أسمع إلا الصدق، ولا أخدع بالباطل، وأؤمن بالله ووحيه، وأصدق المؤمنين فيما أخبروني به لا غيرهم. وأنا رحمة لكل من يؤمن منكم. وإن الله أعد لمن يؤذيني عذاباً مؤلماً.
- (٦٢) يتخلفون عنكم في قتال أعدائكم دون تردد، ويعتذرون عن تخلفهم بالأيمان الكاذبة، لترضوا عنهم، والله والرسول أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين حقاً.
- (٦٣) يخاف المنافقون أن تنزل على المؤمنين «سورة تخبرهم بما في قلوبهم من النفاق وهم مع ذلك يستهزؤون، ويتهددهم الحق قائلاً: «قل استهزؤا» إن الله مظهر ما تخافون إخراجهم من طعن في الإسلام والمسلمين.
- (٦٤) ويقسم الحق لنبيه «لئن سألتهم» عن استهزائهم بك وبالقرآن أثناء سفرهم معك إلى تبوك ليقولن معتردين، إنما كنا نخوض ونلعب في الحديث لنقطع به الطريق.
- (٦٥) وأجبههم - أيها الرسول - لا تعتذروا قد كفرتم بعد إظهار الإيمان إن يعف عن طائفة منكم بإخلاصها وتوبتها نعدب طائفة أخرى بأنهم كانوا مجرمين بإصرارهم على النفاق والاستهزاء.
- (٦٦) صفات المنافقين والمنافقات متشابهة فهم يأمرون بالمنكر ويفعلونه، وينهون عن المعروف ولا يفعلونه، ويخلون بإنفاق المال في الخير، فهم أعرضوا عن الله فأعرض عنهم ولم يهدهم، لأنهم هم الخارجون عن طاعته.
- (٦٧) توعد الله عز وجل المنافقين والكافرين نار جهنم لا يخرجون منها، وكفى بهاعقاباً، ولعنهم الله ولهم عذاب دائم.



﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةٌ آَعَمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدَ الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ وَعَظَّمْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٥﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَيُّهَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٦﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَأْتِيَهُمْ فُضْلِهِ لِنَصَّدَقَنَّ وَلَنْ كُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٨﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٩﴾ ۞

مسكن طيبة في دار الإقامة والخلود، ولهم رضا الله، وهو النعيم الأكبر، وذلك هو الفوز العظيم.

(٧٣) يأمر تبارك وتعالى نبيه بمجاهدة الكفار والمنافقين، والتشديد في جهادهم، ومأواهم الأخير هو جهنم وساءت مصيرًا.

(٧٤) يحلف المنافقون بالله أمام رسوله ﷺ كاذبين ما قالوا منكرًا، بعد أن بلغه ما قالوا، ولكنهم كفروا بعد إسلامهم بما قالوه، وقد هموا بالفتك برسول الله ﷺ عند مرجعه من تبوك، وما كان سبب نقتهم عليه إلا بطرا، بعد أن أغناهم الله ورسوله بالغنائم، فإن يتوبوا من النفاق يقبل الله توبتهم ويكون خيرا لهم، وإن أبوا يعذبهم الله عذابا مؤلما في الدنيا بأنواع البلاء، وفي الآخرة بنار جهنم، وليس لهم في الأرض حام أو نصير.

(٧٥) ومن المنافقين من عاهد الله: لئن آتاه الله مالا من فضله، ليتصدقن وليكونن من الصالحين في أعمالهم.

(٧٦) فلما أعطاهم الله المال من فضله، بخلوا ولم يتصدقوا، وانصرفوا عن الخير معرضين.

(٧٧) فأورثهم نفاقا مستمرا في قلوبهم إلى أن يموتوا، بنقضهم لعهدهم مع الله، وكذبهم.

(٦٩) مصير المنافقين كمصير من سبقوهم؛ فقد كانوا أقوى منهم وأكثر أموالا وأولادا، واستمتعوا - أيها المنافقون - بما قدر لكم من حظوظ الدنيا كما استمتعوا، وفعلتم كالذي فعلوا: من منكر وباطل، واستهزاء بالأنبياء، فأولئك بطلت أعمالهم، وكانوا هم الخاسرين، وأنتم مثلهم في سوء المصير.

(٧٠) كان يجدر بالمنافقين والكافرين الاعتبار بالذين من قبلهم: قوم نوح، وعاد قوم هود، وثمود قوم صالح، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين قوم شعيب، والمؤتفكات قرى قوم لوط أي أهلها، أتتهم رسلهم بالمعجزات الدالة على صدق رسلهم فكذبوهم فأهلكوا، فما كان الله ليعذبهم بغير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بارتكاب الذنب الذي استحقوا به العقوبة.

(٧١) والمؤمنون والمؤمنات إخوة بأخوة الإيمان، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤدون الصلاة في أوقاتها، ويؤتون الزكاة لمستحقها، ويمثلون أمر الله ورسوله، وهؤلاء ينالون رحمة الله، إن الله عزيز، لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده، حكيم يضع كل شيء في محله.

(٧٢) وعدهم الله جنة الخلد تجري من تحتها الأنهار، وأعد لهم

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴾ (٧٨) الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجَ مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلَ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعْنَكُ أُولَئِكَ أَطْوَلُ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَلْعِيِّنَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾

عقوبة لهم واستغناء عنهم؛ لأنهم رضوا بالتخلف عنه لما استنفرهم للقتال، وأمر رسوله أن يقول لهم: كما ارتضيتم التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك أقعدوا مع المتخلفين من العاجزين والشيوخ والنساء والأطفال.

(٨٤) نهى الله سبحانه وتعالى رسوله بعد ذلك أن يصلي على أحد مات من المنافقين، ولا يقف على قبره عند دفنه، لأنهم عاشوا كافرين بالله ورسوله، وماتوا وهم خارجون عن دين الله.

(٨٥) نهى المولى تعالى رسوله ﷺ عن الإعجاب بما أعطاهم الله من أموال وأولاد مع سخطه عليهم؛ لأنه إنما يريد أن يشقيهم بها في الدنيا: بالكد في جمع المال وما يصحب ذلك من مصائب وهموم، ثم يموتون كافرين.

(٨٦) إذا سمع المنافقون سورة من القرآن تدعوهم إلى الإيمان بالله، والجهاد مع رسوله ﷺ استأذنتك الأغنياء والأقوياء منهم في التخلف عن الجهاد معك، قائلين: اتركنا نقعد مع المعذورين القاعدين.

(٨٧) لقد رضوا أن يكونوا في عداد الذين لهم عذر في التخلف، وختم الله على قلوبهم فلا يخرج منها نفاق، ولا يدخل فيها إيمان، فهم لا يفهمون ما في الجهاد من فوز وسعادة وما في التخلف من هلاك.

(٧٨) يستنكر الله تعالى تجاهل المنافقين علم الله بما أسروه وما تناجوا به بينهم، مؤكداً أنه سبحانه علام الغيوب.

(٧٩) يعيب المنافقون المؤمنين الموسرين المتطوعين بالصدقات على المحتاجين، ويسخرون ممن يتصدقون مع قلة أموالهم، فجازاهم على سخريتهم بفضحهم، وجعلهم سخرية للناس، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

(٨٠) خير الحق نبيه ﷺ في الاستغفار للمنافقين، ثم أعلمه الله أنه لن يغفر لهم مهما استغفر لهم، ومنعوا المغفرة؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، ولخروجهم عن الدين حرموا الهداية.

(٨١) فرح المتخلفون عن الخروج للجهاد مع رسول الله ﷺ بقعودهم في المدينة، وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم، ويضحوا بأنفسهم في سبيل الله، وحاولوا تشييط غيرهم عن الخروج بدعوى شدة الحر، فأمر الله رسوله ﷺ أن يجيبهم بأن نار جهنم التي يوعدون أشد حرا لو كانوا يفهمون.

(٨٢) لن يدوم ضحك المتخلفين فرحا بالقعود، وسخرية من المؤمنين، بل ينتهي بانتهاج حياتهم في الدنيا، وسيعقبه بكاء كثير في الآخرة، جزاء لهم بسبب ما ارتكبوه من السيئات.

(٨٣) نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الإذن للمتخلفين عن غزوة تبوك بالخروج معه للجهاد وقتال الأعداء،



﴿ لَكِن الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُوَلِّئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوَلِّئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأْتُمْ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتُمْ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَتْهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَا نُهُمُ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

أجد ما أحملكم عليه، فانصرفوا وغيروهم تفيض من الدمع حزنا لما فاتهم من شرف الجهاد في سبيل الله.

(٩٣) إنما الإثم على من يستأذنونك في القعود، رضوا بأن يكونوا في عداد أصحاب الأعداء، هؤلاء ختم الله على قلوبهم بالنفاق، وهم لا يعلمون ما يفوتهم من فضل الجهاد، ولا العاقبة الوخيمة عند التخلف عنه بلا عذر.

(٩٤) يعتذر إليكم المخلفون عند رجوعكم من الجهاد، فقل لهم - أيها الرسول - لا تعتذروا فلن نصدقكم؛ لأن الله كشف لنا حقيقة أمركم، بإعلام رسوله بأخباركم وما تخفيه ضمائرهم من الشر والفساد، وسيعلم الله ورسوله عملكم: فتتوبون أو تبقون على كفركم، ثم ترجعون إلى الله عالم السر والعلانية، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها.

(٩٥) سيحلفون لكم الأيمان لكي لا تلو موهم ولا تعاتبهم فأعرضوا عنهم؛ لأنه لا يجدي معهم لوم ولا عتاب فهم نجس، خبث نفوسهم بسبب كفرهم ونفاقهم، ومآلهم إلى جهنم وبئس المصير.

(٨٨) ولكن إن تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد فقد هب إليه رسول الله ﷺ ومن معه باذلين في سبيل الله أموالهم وأنفسهم، وأولئك لهم الخيرات في الدنيا والآخرة وأولئك هم الفائزون.

(٨٩) وقد هيأ الله لهم جنات الخلد تجري من تحتها الأنهار، وذلك النجاح الكبير.

(٩٠) وجاء المعتذرون عن القتال من الأعراب بأعذار مفتعلة، فأذن لهم، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار، وسينزل العذاب المؤلم على الكافرين منهم.

(٩١) لا إثم على الضعفاء، والمرضى، والفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون، في التخلف عن الجهاد، إذا أخلصوا في طاعة الله ورسوله، ولم يشارِكوا في تشييط المجاهدين، فلا مؤاخذة على المحسنين، والله كثير الغفران واسع الرحمة.

(٩٢) وكذلك لا حرج ولا إثم على من لا يجدون ما ينفقون، وجاءوا راغبين في أن تحملهم إلى الجهاد فقلت لهم: لا

٩٢ سبق الكلام عن العلاقة بين غزارة خروج الدمع من العين (الإفاضة) والتأثير النفسي والقلبي في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾

يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١١﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُفْرِ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٥﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ ۗ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾

يرضى الله عنهم، ويرضون عنه، و أعد الله لهم جنات تجرى تحتها الأنهار وهم خالدون في نعيمها، وذلك هو الفوز العظيم.

(٩٦) يحلفون لكم طمعا لترضوا عنهم، فإن خدعتم بأيمانهم ورضيتهم عنهم، فإن سخط الله يلازمهم لأن الله لا يرضى عن الخارجين عن الدين.

(١٠١) ينيه الله تعالى رسوله والمؤمنين على فئتين من المنافقين يظهران الإيمان ويخفون الكفر، الأولى من الأعراب الذين يسكنون خارج المدينة، والثانية من سكان المدينة وهؤلاء لجوا في النفاق، لا تعرفهم -أيها الرسول- ولكن الله يعلم حقيقتهم، وسيعذبهم في الدنيا مرتين: مرة بنصركم على أعدائكم الذين يغيبهم، ومرة بفضيحتهم وكشف نفاقهم، ثم يردون في الآخرة إلى عذاب النار.

(٩٧) أهل البوادي من الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر، وأولى أن لا يعلموا ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الشرائع والأحكام؛ لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم، والله يعلم حال كل أحد من أهل البدو والحضر، حكيم في وصفهم بالإساءة أو الإحسان.

(١٠٢) وفريق آخر أقروا بذنوبهم من التخلف، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا: فقد جاهدوا قبل ذلك، ولكن تخلفوا عن غزوة تبوك، وهؤلاء يرجى من الله قبول توبتهم، فالله رحيم بعباده، يقبل توبتهم ويغفر التوبة إن الله غفور رحيم.

(٩٨) بعض الأعراب تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله كأنها مغرم وليس بحق عليه، ويتنظر أن تحل بكم المصائب؛ ليتخلص من إعطاء الصدقة. ويخبر الحق بأن العذاب والهلاك عليهم لا عليكم والله سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم.

(١٠٣) أمر الله تعالى رسوله بأن يأخذ من التائبين صدقات يطهرهم بها من ذنوبهم، ويزكي بها أموالهم وأمره أن يدعو لهم لأن في دعائه طمأنينة لهم بقبول توبتهم، والله سميع للدعاء، عليم بالمخلصين في توبتهم.

(٩٩) ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، ويقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول؛ فقد روى البخاري أن النبي ﷺ كان إذا أتاه قوم بصدقة قال: «اللهم صل عليهم». وما يتقونه يكون قربة لهم عند الله، ودليل على رضا الله تعالى عن المتصدقين، وكذلك سيدخلهم الله في جنته إن الله غفور لأهل طاعته رحيم بهم.

(١٠٤) يرغب الله عباده في التوبة، وليعلم هؤلاء التائبون أن الله وحده هو الذي يقبل التوبة، ويشيب على الصدقات، وأنه سبحانه، هو الواسع الفضل في قبول التوبة، العظيم الرحمة بعباده.

(١٠٠) والسابقون إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار، ومن ساروا بعدهم -إلى يوم القيامة- بإحسان في العمل



﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيٍّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَعَآخِرُونَ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقَمُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَتَّسَبَّ بِذُنُوبِهِ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَّسَبَّ بِذُنُوبِهِ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمْ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْبِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الَّذِي بَاعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الرَّكَّعُونَ السَّجِدُونَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُوتِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾

لمسجد الضرار الذي أقيم على النفاق والكفر بالبناء على حافة هاوية آيلة للسقوط، فانهارت بالبناء في نار جهنم، والله لا يوفق الذين أصروا على ظلم أنفسهم بالكفر.

(١١٠) لا يزال هدم مسجد الضرار باعث شك ونفاق في قلوب المنافقين لا يزول أثره حتى يموتوا وتقطع قلوبهم، والله عليم بخلقه حكيم في صنعه بهم.

(١١١) وعد الله المؤمنين الذين يقدمون أنفسهم وأمواهم في سبيله، مؤكداً بأنه اشترى منهم بالجنة، فهم يجاهدون في سبيل الله فيقتلون أعداء الله أو يستشهدون في سبيله، وقد أكد هذا الوعد الحق في التوراة والإنجيل والقرآن، ولا أحد أوفى بعهد من الله، فافرحوا - أيها المؤمنون المجاهدون - بهذه المبايعة، وهذا الشراء والبيع هو النجاح الكبير.

(١١٢) في الآية بيان لأوصاف أولئك الذين باعوا أنفسهم لله بالجنة وهم التائبون مبتدئاً بأوصافهم بالتوبة التي هي أساس العمل الصالح، العابدون الذين أقبلوا على عبادة الله، الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال، السائحون السائرون في الأرض المصلون، الآمرون بكل خير يوافق الشرع، الناهون عن كل شر يخالفه، العاملون بأحكام الشرع، وبشر - أيها الرسول - المؤمنين.

(١٠٥) وقل - أيها الرسول - للتائبين اعملوا ما شئتم، فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستر دون إلى الله، عالم الغيب والشهادة فيجازيكم على ما كنتم تعملون.

(١٠٦) وفريق آخر تخلفوا عن الجهاد، وليسوا منافقين، أمرهم إلى الله: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم ويغفر لهم، والله عليم بأحوالهم، حكيم فيما يفعله بهم.

(١٠٧) ويدخل في عداد المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار والكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين، الذين يصلون بمسجد قباء وترقباً لمن حارب الله ورسوله من قبل بنائه وهو أبو عامر الراهب، وأنهم سيحلفون على أنهم ما أرادوا ببناء هذا المسجد إلا الخير، والله يشهد أنهم كاذبون في أيمانهم.

(١٠٨) نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار، منبهاً أن مسجد قباء الذي أسس ابتغاء وجه الله وطلباً لمرضاته من أول يوم أجدد أن يصلي فيه، وقد أمر رسول الله ﷺ بهدم مسجد الضرار. وفي مسجد قباء رجال يحبون أن يطهروا أنفسهم من النجاسات الحسية والمعنوية، والله يحب المتطهرين ويشبهم.

(١٠٩) وقد مثل سبحانه تعالى لمسجد قباء بمن أقام بنيانه على تقوى الله وابتغاء مرضاته، وهو خير بلا ريب. ومثل

﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيَّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ مِن ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنَ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

- (١١٣) نهى الله تعالى نبيه والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أقرباءهم من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب النار بأن ماتوا على الكفر.
- (١١٤) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا لأنه وعده بأن يستغفر له رجاء أن يسلم، فلما تبين أنه عدو لله بموته على الشرك، ترك الاستغفار له، إن إبراهيم كثير التضرع والدعاء صبور على الأذى.
- (١١٥) ولا يحكم الله على قوم بالضلال، بعد أن أرشدهم إلى الإسلام، حتى يبين ما ينجيهم من الضلال، إن الله محيط علمه بكل شيء.
- (١١٦) إن الله هو مالك السماوات والأرض، المتفرد بالإحياء والإماتة، وليس لكم من دون الله من ولي يتولى أمركم، ويحميكم.
- (١١٧) لقد غفر الله لنبيه وللمهاجرين والأنصار، الذين اتبعوه في غزوة تبوك وقت العسرة في شدة الحر، وقلة الزاد، والضييق الشديد، من بعد ما أوشك أن تميل قلوب فريق منهم عن اتباعه إلى التخلف لولا أن ثبتهم الله، ثم غفر الله لهم، فهو رؤوف، رحيم بهم.
- (١١٨) وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن الخروج في غزوة تبوك - لا عن نفاق منهم - فقد تابوا توبة خالصة، وندموا ندما شديدا؛ حتى شعروا بأن الأرض قد ضاقت عليهم، وضاقت عليهم نفوسهم هما وحزنا، وعلموا أنه لا ملجأ من الله إلا باستغفاره والرجوع إليه، حينئذ وفقهم الله إلى التوبة، وعفا عنهم، ليشبوا عليها، إن الله الذي يقبل توبة التائبين ويرحمهم.
- (١١٩) خطاب من الله للمؤمنين بأن يتقوه، ويكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم.
- (١٢٠) لا يجوز لأهل المدينة، ومن يجاورونهم من سكان البوادي، أن يتخلفوا عن الغزوة مع رسول الله ﷺ ولا أن يمنعوا أنفسهم عما بذل الرسول فيه نفسه، لأنه لا يصيبهم في سبيل الله ظمأ أو تعب أو جوع، ولا ينزلون مكانا يثير وجودهم فيه غيظ الكفار، ولا ينالون من عدو غرضا كالهزيمة أو الغنيمة إلا أثابهم الله عليه، إن الله لا يضيع أجر المحسنين في أعمالهم.
- (١٢١) وما يقدمه المجاهدون من مال قليلا كان أو كثيرا، ولا يسيرون مسافة في الأرض، إلا كتبه الله لهم في صحائف أعمالهم الصالحة، ليجزيهم الله أحسن جزاء على ما عملوه.



﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١٢٣) وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (١٢٦) وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١٢٩) .

(١٢٢) ألا يعتبر المنافقون بما يتبليهم الله به في كل عام مرة أو مرتين بألوان البلاء بفضحهم، ونزول المصائب عليهم، ثم لا يتوبون، ولا هم يتذكرون.

(١٢٧) وإذا أنزلت سورة فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ نظر بعضهم إلى بعض يريدون الهرب قائلين: هل يراكم من أحد إذا قمتم فإن لم يرههم أحد قاموا فانصرفوا، صرف الله قلوبهم عن الهدى بأنهم قوم لا يفقهون الحق.

(١٢٨) يذكر الله تعالى المؤمنين بما امتنه عليهم حين أرسل لهم رسولا منهم هو: محمد ﷺ الذي يعز عليه مشقتهم، ويحرص على هدايتهم، ويتصف بالرفقة والرحمة بهم.

(١٢٩) ينبه الله تعالى نبيه: إلى أنهم إن أعرضوا عن الإيمان به، فليقل: كافي الله لا إله إلا هو عليه توكلت واعتمدت وبه وثقت وحده وهو رب العرش العظيم.

(١٢٢) لا يصح أن ينفر جميع المؤمنين إلى الجهاد، وإنما يكفي أن تنفر جماعة من كل مجموعة، بحيث يخرج قسم إلى القتال ويبقى قسم مع رسول الله ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام، لعلهم يحذرون عقاب الله بامثال أمره ونهيه.

(١٢٣) يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الكفار الذين يجاورونكم الأقرب فالأقرب، وشددوا عليهم في القتال، واعلموا أن الله مع الذين يتقونه بعونه ونصره.

(١٢٤) وإذا ما أنزلت سورة من القرآن يقول بعض المنافقين لأصحابه - استهزاء - أيكم زادته إيمانا، ويرد الله عليهم بقوله: فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا لتصدقهم بها وهم يفرحون ويستبشرون بها.

(١٢٥) وأما المنافقون الذين مرضت قلوبهم وعميت بصائرهم عن الحق فقد زادتهم كفرا إلى كفرهم، وماتوا وهم كافرون.

سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّيَّةَ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا السِّحْرُ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَجْرُهُمْ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾

وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين؛ لتعلموا بذلك «عدد السنين والحساب» ما خلق الله ذلك المذكور إلا بالحق لا عبثا تعالى الله عن ذلك، يفصل الآيات لقوم يتدبرون.

إن في تعاقب الليل والنهار، وما خلق الله في السماوات والأرض من مخلوقات متنوعة دلائل على قدرته تعالى يدركها وينتفع بها من يتقونه.

إن الذين لا يؤمنون بلقاء الله في الآخرة بعد البعث من الموت، ورضوا بالحياة الدنيا بديلا عن الآخرة، وركنوا إليها، وغفلوا عن آيات الله الدالة على البعث والحساب. أولئك مستقرهم النار، جزاء كفرهم.

إن الذين آمنوا، وعملوا الأعمال الصالحة يوفقهم ربهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة على أمر الله، الذي ينالون به في الآخرة جنات النعيم التي تجري الأنهار خلالها.

(١٠) دعاء المؤمنين في الجنة التسبيح، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس»، وتحية بعضهم لبعض سلام، وخاتم دعائهم الحمد لله رب العالمين.

(١) الر تقدم الكلام على نظائره في سورة البقرة، هذه آيات القرآن المحكم في ألفاظه ومعانيه، جامع للحكمة التي تنفع الناس في الدنيا والآخرة.

(٢) كيف للناس أن يعجبوا أن أوحى الله إلى رجل منهم، ليحذر الناس من عذاب الله، ويُبشِّر المؤمنين بالمنزلة العالية عند ربهم، قال الكافرون عنه: إنه ساحر واضح أمره.

(٣) ربكم هو الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما في ستة أيام ثم استوى على العرش استواء يليق بجلاله، يدبر أمور مخلوقاته، ليس لأحد معه سلطان، ولا يستطيع أحد أن يشفع لأحد إلا بإذنه. ذلكم الله الخالق، هو ربكم وولى نعمتكم فاعبدوه، أفلا تتذكرون نعمة الله عليكم.

(٤) إليه تعالى مرجعكم جميعا وعد الله حقا، فهو وحده خلق الخلق ثم يعيدهم بالبعث بعد الموت؛ ليثيب الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة بالعدل، والذين كفروا لهم شراب شديد الحرارة وعذاب مؤلم بسبب كفرهم.

(٥) هو الذي جعل الشمس تشع ضوءا، وجعل القمر نورا، وقدر سير القمر منازل عددها ثمانية وعشرون منزلا في ثمان



﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَذَرُوا الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوتَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

- (١١) ولو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعاً، ولكن يمهلهم ويفيض عليهم النعمة ويتركهم في طغيانهم يترددون متحيرين، لتقوم الحجة عليهم.
- (١٢) وإذا أصاب الكافر المرض دعا الله على كل حال: مضطجعا أو قاعداً أو قائماً فلما أزال عنه ضره مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر كأنه لم يدع الله ويتضرع إليه، وفي الآية عتاب ونهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية، وكما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء زين للمشركين الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات.
- (١٣) لقد أهلك الله تعالى الأمم السابقة بسبب كفرها، حين جاءتهم رسلهم بالآيات الواضحة على صدق دعوتهم، وما كان في علم الله أن يحصل منهم إيمان، بسبب إصرارهم على الكفر، ومثل ذلك الإهلاك نجزي كل مجرم، وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله ﷺ.
- (١٤) يخاطب الله الذين بعث إليهم محمداً ﷺ: أنه جعلهم خلفاء في الأرض، يعمرونها من بعد السابقين، ليختبرهم ويظهر في الوجود ما تقوم به الحجة عليهم من طاعة أو عصيان.

٥ الله سبحانه جعل الشمس تشع بذاتها الضوء (موجات كهرومغناطيسية) نتيجة للاندامجات النووية التي تحدث بداخلها حيث أنها ملتهب. بينما القمر الذي يُرى، إنما هو جرم بارد فلا يشع ضوء، ولا يحدث بباطنه اندماجات نووية، بينما يعكس ضوء الشمس الساقط عليه، فيصبح منيراً (فوتونات). فالله سبحانه وصف لنا مصدر ضوء القمر الذي ينير لنا الأرض ليلاً قبل أن يكتشفه العلم الحديث.

ونور القمر لا يملأ وجه القمر المتجه نحو الأرض بالكلية. فيبدأ بلا نور أول الشهر القمري وآخره حين لحظة اقتران الشمس بالقمر، أي يصبحان على استقامة واحدة، وتسمى هذه اللحظة بالـ «المحاق». ولحظة الاقتران هو بداية الشهر القمري فلكياً، بينما لا يبدأ هجرياً إلا بعدما يظهر الهلال بعد غروب الشمس ليلة ٢٩ أو ٣٠. ويكتمل قرص القمر كاملاً بالنور في منتصف الشهر القمري ويسمى «بدر»، وهذا التغيير في مقدار النور الظاهر من القمر على مدار الشهر القمري سماه القرآن منازل. وقد ذكر علماء الفلك أن القمر يتأخر في شروقه عن اليوم السابق بمقدار خمسين دقيقة تقريباً، وهذا الذي يرينا القمر في مراتب مختلفة كل يوم من هلال إلى بدر إلى عرجون إلى محاق. وذكر علماء الفلك أن منازل القمر هي: المحاق، هلال أول الشهر، تربيع أول، أحذب متزايد، بدر، أحذب متناقص، تربيع ثاني، هلال آخر الشهر (العرجون القديم)، القمر المظلم.

وقدر علماء الفلك طول الشهر القمري بأنه ٢٩ يوم ١٢ ساعة ٤٤ دقيقة ٨,٢ ثانية، وبالتالي فإنه يمكن تقدير الأشهر الهجرية، حيث ربطت الآية الكريمة عدد السنين والحساب بمنازل القمر.

﴿ وَإِذَا تَحَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنَّتِ بِفِرْعَانَ عَيْرَهُذَا أَوْ بَدَلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ لِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسَّهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

- (١٥) وإذا تليت على المشركين آيات الله غاظهم ما في القرآن (١٩) وما كان الناس إلا على دين واحد وهو الإسلام من من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين، فقالوا للرسول: أتت بقرءان آخر أو بدله، بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة، وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها. فأمر بأن يجيب: ما يحل لي أن أبدله من قبل نفسي. وما أنا إلا متبع لوحي الله وأوامره، إني أخاف إن عصيت ربي بالتبديل من عند نفسي عذاب يوم عظيم.
- (١٦) أمر الله تعالى رسوله أن يجيبهم: لو شاء الله ما أنزل عليّ قرآنًا أتلوه عليكم، ولا أعلمكم الله به، وقد مكثت بينكم زمناً طويلاً قبل البعثة - أربعين سنة - لا أحدثكم بشيء أفلا تعقلون أنه ليس من قبلي.
- (١٧) لا أشد ظلمًا لنفسه ممن كفر وافتري الكذب على الله، أو كذب بآيات الله التي جاء بها رسوله. إنه لا ينجح الكافرون أبدًا.
- (١٨) ويعبد المشركون من المعبودات - الأصنام - ما لا تضرهم إن لم يعبدوها، ولا تنفعهم إن عبدها، ويقولون عنها: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل لهم - أيها الرسول - - أتخبرون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض - إذ لو كان له شريك لعلمه ﷻ تنزهه الله وتعالى عما يشركون.
- (٢٠) ويقول المشركون لو أنزل على محمد آية من ربه كما كان للأنبياء من قبل فقل لهم - أيها الرسول - إنما غاب عن العباد أمره، ومنه الآيات فلا يأتي بها إلا هو، فالصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو، وإنما على التبليغ، فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم لآياته.
- (٢١) وإذا أدقنا كفار مكة مطرا وخصبا من بعد بؤس وجذب إذا لهم طعن في آيات الله بالاستهزاء والتكذيب وترك شكره. قل لهم: الله أسرع مجازاة وعقابا، وتشمل الآية النهي لمن كان كذلك من غير الكفار، إن الحفظة يكتبون ما تمكرون.



﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىٰهَا أُنْهَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مِمَّا لَمْ يَأْتُوا اللَّهَ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَيْلِنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا عَابِدُونَ ﴿٢٨﴾ ۞

ذلك بالأمثال الواضحة، يبين الآيات ويفصل ما فيها من أحكام وآيات لقوم يعقلون.

(٢٥) والله يدعو العباد بالإيمان والعمل الصالح إلى الجنة دار الأمن والاطمئنان، ويوفق من يشاء هدايته إلى الإسلام.

(٢٦) للمحسنين الذين آمنوا وعملوا الخير الجنة، وزيادة على ذلك يكرمهم الله بالنظر إلى وجهه الكريم، ولا يغشى وجوههم كآبة ولا هوان، وهؤلاء هم أهل الجنة الذين ينعمون فيها أبداً.

(٢٧) والذين كفروا وارتكبوا السيئات فسيجزون بمثل ما عملوا من سوء، وتغشاهم المهانة، وليس لهم واق من عذاب الله، ووجوههم مسودة من الغم والكآبة كأن عليها سوادا من ظلمة الليل، وهم أهل النار خالدون فيها أبداً.

(٢٨) يجمع الله الخلائق يوم الجمع، ويقول للذين أشركوا: قفوا مكانكم أنتم ومن اتخذتموهم شركاء من دون الله، حتى تنظروا ما يفعل بكم، فوقع التمييز بين المشركين والشركاء، بعد أن تبرأ الشركاء من عابديهم، قائلين لهم: لم ندعكم إلى عبادتنا، وما كنتم تعبدوننا، وإنما كنتم تعبدون الشياطين، حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم.

(٢٢) الله وحده الذي يمكن الناس من السير في البر مشاة وركبانا، وفي البحر على متن السفن. حتى إذا ركبوا السفن ووجرت بريح طيبة وفرحوا بها، هبت ريح عاصف، وجاءهم الموج من كل جانب، وأيقنوا الهلاك لا يجدون ملجأ غير الله فيدعونه مخلصين في الدعاء، متعهدين له لئن أنجاهم من هذه المحنة ليؤمنن به وليكونن من الشاكرين.

(٢٣) فلما أنجاهم إذا هم يظلمون بالشرك بالله، اعلموا أيها الناس أنما ظلمكم على أنفسكم؛ لأن إثم الشرك عليها، تتمعون في الدنيا قليلا ثم مرجعكم بعد الموت إلى الله فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه.

(٢٤) يضرب الله مثلا يشبه فيه الدنيا وحقارتها وسرعة فنائها بالمطر الذي يخرج به نباتا كثيرا مما يأكل الناس منه والأنعام، حتى إذا زهى واكتمل، وتزينت به الأرض، وظن أصحابها أنهم متمكنون من الانتفاع بثمرتها، أتتها بعض الجوائح والآفات كالريح وغيرها ليلا أو نهارا، فصار زرعها شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأنه لم ينبت قريبا. وكما بين الله

٢٢ هذه الآية ذكرت نوعين من الرياح هما : (١) الطيبة. (٢) العاصفة.

وقد استقر عند علماء الأرصاد أن الرياح على مراتب عدة نشير إلى أن أبرزها الرياح الساكنة والطيبة والعاصفة والقاصفة، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله.

﴿ فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴾ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلْ اللَّهُ يَكْبِدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ .

- (٢٩) ويشهد الشركاء الله أنهم ما دعوا المشركين إلى عبادتهم، (٢٣) كما حق الحق في ثبوت ألوهيته تعالى، كذلك حق قدر الله بل إنهم كانوا لا يشعرون بعبادة المشركين لهم.
- (٣٠) في ذلك الموقف تختبر كل نفس ما قدمت من الأعمال خيراً كان أو شراً فتعاين نفعه وضرره، فتعرف ما أسلفت من أعمالها، ورددوا إلى الله متولي أمورهم على الحقيقة، لا من اتخذوهم أولياء بافترائهم، وغاب ما كانوا يدعون من أن آلهتهم تشفع لهم.
- (٣١) قل لهم - أيها الرسول - من الذي يرزقكم من السماء بإنزال المطر، ومن الأرض بإخراج النبات والثمر؟ ومن الذي يمنحكم السمع والأبصار؟ ومن يخرج الحي من الميت كإخراج النبات الحي من الحب الميت؟ ومن يخرج الميت من الحي كالحب الميت من النبات الحي؟ ومن الذي يصرف أمور الكون بقدرته وحكمته؟ فسيترفون بأنه الله وحده. فقل لهم: أفلا تخافون الله فتؤمنوا به.
- (٣٢) فذلك الفاعل لهذه الأمور هو الله ربكم الثابتة ربوبيته بلا ريب، فمن تخطى الحق وقع في الضلال، فكيف تصرفون عن الإيمان إلى الضلال مع قيام البرهان عليه.
- (٣٣) احتج عليهم مستكراً - أيها الرسول - بأن معبوداتهم لا تستطيع أن تهدي أحداً إلى الحق، والله وحده هو الذي يهدي إلى الحق، فهو أحق أن يتبع من الذي لا يهدي بنفسه إلا أن يهدي، فكيف تحكمون بما يقتضي العقل بطلانه؟
- (٣٤) يخبر الله تعالى بأن أكثر المشركين لا يتبعون في معتقداتهم وعباداتهم إلا ظنونا باطلة، حيث قلدوا فيه آباءهم، والظن لا يغني من العلم والاعتقاد الحق. وإن الله عليم بما يفعله المشركون، وسيجازيهم عليه.
- (٣٥) احتج عليهم مستكراً - أيها الرسول - بأن معبوداتهم لا تستطيع أن تهدي أحداً إلى الحق، والله وحده هو الذي يهدي إلى الحق، فهو أحق أن يتبع من الذي لا يهدي بنفسه إلا أن يهدي، فكيف تحكمون بما يقتضي العقل بطلانه؟
- (٣٦) يخبر الله تعالى بأن أكثر المشركين لا يتبعون في معتقداتهم وعباداتهم إلا ظنونا باطلة، حيث قلدوا فيه آباءهم، والظن لا يغني من العلم والاعتقاد الحق. وإن الله عليم بما يفعله المشركون، وسيجازيهم عليه.

٣١ سبق الإشارة إلى ترتيب وظيفتي السمع والبصر، والمغاير لترتيب عضوي هاتين الوظيفتين المتمثلين بالعين والأذن، وذلك في سورة البقرة وسورة الأنعام.

كما سبق معنا مزيد بيان لقضية خروج الأحياء من الأموات وما يتبع ذلك في سورة البقرة وآل عمران.

٣٤ سبق الكلام عن استحالة أن يخلق الإنسان حياة من جماد أو أن يوجد شيئاً من العدم، واستدلنا حين ذاك بما أطلق عليه معمل (أوبرين) في روسيا وأثبتنا عدم قدرتهم على ذلك.



﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا بَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِعُونَ مِمَّا أَعْمَلْتُمْ وَأَنَا بُرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا تَرِيئِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نُوفِقْنَاكَ فإِنَّمَا مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾

بالعمي، أحسب أنك تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل، كما لا يقدر على ردّ سمع الأعمى وبصر الأعمى إلا الله.

(٤٤) يؤكد الله تعالى أنه لا يظلم الناس عندما يصيبهم بالعذاب، ولكن الناس هم من يظلمون أنفسهم بارتكابهم ما يستوجب عقابهم.

(٤٥) لهول ما يراه الناس يوم الحشر يحسبون أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار، ويعرف الناس بعضهم بعضا ثم ينشغل كل واحد بحاله، كما جاء في الحديث المتفق عليه: «تحشرون حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض فقال الأمر أشد من أن يهملهم ذلك» ويوم الحشر يخسر المكذبون باليوم الآخر.

(٤٦) يخبر الله نبيه ﷺ إن توفاه قبل أن يريه ما توعد به الكفار من الخذلان فلسوف يرى هوانهم في الآخرة، حيث المرجع إلى الله تعالى، ثم الله مطلع على ما يفعلون، فيعذبهم عليه.

(٤٧) ولكل أمة من الأمم رسول، فإذا جاء رسولهم إليهم فكذبوه قضى بينهم بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه وهم لا يظلمون بتعذيبهم فكذلك نفعل بهؤلاء.

(٤٨) يسأل الكفار مستهزئين: متى يكون موعد العذاب، إن كنت - أيها الرسول - ومن معك، صادقين.

(٣٧) ما صحّ أن يكون هذا القرآن في علو أمره وإعجازه كذباً مختلقاً من غير الله، ولكنه شاهد على صحة ما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها، وتبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها. لا شك فيه من رب العالمين.

(٣٨) بل يقولون اختلقه محمد ﷺ قل لهم - أيها الرسول - ليأتوا بسورة مثله في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فأنتم فصحاء مثلي واستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به إن كنتم صادقين أنه اختلقه.

(٣٩) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يحيطوا به علماً، ولم يقفوا وابتعدوا على عاقبة ما فيه من الوعيد، كذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم رسلهم فكانت نهايتهم الهلاك، وكذلك نهلك هؤلاء.

(٤٠) ومن المكذبين من سيصدق به ويتوب من الكفر. ومنهم من لا يؤمن به أبداً، بل يموت على الكفر، والله أعلم بالمصرين على الكفر.

(٤١) وإن هم أصروا على تكذيبك فقل لهم - أيها الرسول - لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم لا تؤاخذون بعملتي ولا تؤاخذ بعملكم.

(٤٢) ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن ولكنهم أشبه بالصمم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ثم قال: أتطمع في إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم تدبر ما يسمعون؟

(٤٣) ومنهم ناس ينظرون إليك ولكنهم لا يبصرون، أشبه

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أُنزِلَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَدْعُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبَدَلْتُمْ حَرَامًا حَرَامًا فَذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذُنٌ لَكُمْ أَمَّ عَلَى اللَّهِ تَقْفَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ما وعد به من البعث والجزاء، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرته تعالى على الإنابة والعقاب لقصور عقولهم.

(٥٦) الله وحده يحيى ويميت قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج: ٦٦) وإليه ترجعون في الآخرة فيجازيكم.

(٥٧) يأيها الناس قد جاءكم كتاب يرغبكم في محاسن الأعمال ويزجركم عن قبائحها، وفيه شفاء لما في الصدور من العقائد الفاسدة والشكوك وهداية من الضلال ورحمة للمؤمنين.

(٥٨) قل لهم - أيها الرسول: افرحوا بفضل الله الذي هداكم للإسلام ورحمكم، بإنزال القرآن، فهو خير مما يجمعه الناس من متاع الدنيا الفاني.

(٥٩) أخبروني هل أذن الله لكم في التحليل والتحریم فيما خلق لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا؛ بل على الله تكذبون بنسبة ذلك إليه.

(٦٠) أي شيء يظنّ المفترون كذبا على الله ما يصنع بهم يوم الجزاء، أيحسبون أنه لا يعاقبهم! إن الله لذو فضل على الناس بأمهالهم والإنعام عليهم ولكن أكثرهم لا يشكرون الله عليها.

(٤٩) قل - لهم أيها الرسول - لأقدر دفع ضر عن نفسي ولا جلب نفع إلا أن يقدرني الله عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب، لكل أمة وقت معلوم لهلاكهم، إذا جاء فلا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عليه.

(٥٠) قل أخبروني إن أتاكم عذابه ليلا أو نهارا ماذا يستعجل من العذاب المجرمون وهو كله مكروه.

(٥١) فإذا وقع العذاب آمنتكم به حين لا ينفعكم الإيمان، وقد كنتم تكذبون به.

(٥٢) ثم يقال يوم القيامة للذين كفروا: ذوقوا العذاب الدائم، فلا تجزون الآن إلا على ما عملتموه في الدنيا.

(٥٣) ويستخبرونك - أيها الرسول - أحق هو ما وعدتنا به من العذاب والبعث، قل: نعم وربّي إنه لحق ولا مفر لكم من العذاب.

(٥٤) من شدة ما يلقي الكافر من عذاب يوم القيامة، لو كان له ما في الأرض جميعا من الأموال لافتدى به نفسه من العذاب، ويخفى رؤوس الكفر الندامة على ترك الإيمان عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير، وقضي بين الخلائق بالعدل وهم لا يظلمون.

(٥٥) جميع ما في السماوات والأرض لله، فلا شك إذن في تحقق



﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الشَّرَافُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

- (٦١) وما تكون - أيها الرسول - في أمر، وما تتلو من قرآن أنزل عليك، ولا تعملون من عمل إلا كان الله مطلعاً عليه، حين تشرعون فيه، وما يغيب عن علم الله من وزن ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهو مسجل في كتاب بين.
- (٦٢) تبيته من الله تعالى إلى أن أوليائه - وهم من يتولونه بالطاعة - لا خوف عليهم من لحوق مكروه في الآخرة، ولا هم يحزنون لفوات مأمول فيها.
- (٦٣) أولياء الله هم الذين يتقون الله بامثال أمره واجتناب نهيه.
- (٦٤) لهم الشرف في الحياة الدنيا وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له، والبشرى في الآخرة والجنة، لا إخلاف لوعده تعالى، والذي بشروا به في الدنيا والآخرة هو الفوز العظيم.
- (٦٥) ولا تحزن - أيها الرسول - من قولهم: لست مرسلًا وغيره، إن الغلبة والقهر لله جميعاً وهو السميع لأقوالهم العليم بأفعالهم فيجازيهم على ذلك.
- (٦٦) ينه الله تعالى إلى أن جميع من في السماوات من ملائكة وجميع من في الأرض من إنس وجن لله وهو مالكم هم عبيده، وما يعبد المشركون من دون الله شركاء لله، وإنما يعبدون من يظنون أنها آلهة تشفع لهم وما هم إلا يكذبون في ذلك.
- (٦٧) امتن الله على عباده بأن جعل لهم الليل مظلاً ليسكنوا فيه من تعب النهار، والنهار مضيئاً يبصرون فيه معاشهم، إن في ذلك لدلائل واضحه لمن يسمعون سماع تدبر واعتبار على استحقاقه أن يعبد وحده.

٦١ يتجلى وجه الإعجاز في هذه الآية الكريمة بالإشارة إلى وجود جسيمات أصغر وبعضها الآخر أكبر من الذرة (وهي أقل شيء له وزن يمكن اكتشافه). فأثبت العلم أن الذرة هي إحدى الوحدات الأساسية، التي تساهم في بناء المادة، وأن كل شيء في هذا الكون مكون من بلايين الذرات، وهي جسيمات دقيقة جداً، يستحيل على المرء أن يراها بالعين المجردة. فقبل زمن ليس بالبعيد كان الاعتقاد السائد قديماً أن الذرة هي أصغر شيء في الكون، وأنه لا شيء أصغر منها حجماً ووزناً، وأنها غير قابلة للتجزئة، وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً إلى القرن التاسع عشر. ثم تبين في أوائل القرن العشرين أنه يوجد ما هو أصغر منها وهو مكوناتها: البروتونات والنيوترونات والإلكترونات. ثم بعد ذلك تم اكتشاف مكونات أدق تتكون منها أجزاء الذرة المختلفة وهي الكواركات. كما اكتشف حديثاً جسيمات أدق وجسيمات أخرى أكبر مثل الجرافيتون والفوتون وغيرها. كما يتجلى الإعجاز في هذا الآية وصف هذه الجسيمات بأن لها كتلة في قوله «مِثْقَالٍ». كما أن الجسيمات في الكون والفضاء الخارجي هي نفسها الجسيمات الموجودة على الأرض في قوله تعالى «في الأرض ولا في السماء». وهو ما يتفق مع دراسات علماء الفلك التي رصدت بأجهزتهم الإشعاعات الصادرة من ذرات النجوم ومكونات الفضاء الخارجي المختلفة والتي أثبتت يقيناً أن الذرات في كافة أنحاء الكون هي نفسها عناصر الأرض.

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَقْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثَمَرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ نَذَرْنَا لَهُمْ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيِّنَاتٍ عَلَى اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تُوكَلِّتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

- (٦٨) زعم اليهود والنصارى والمشركون الذين يزعمون أن الملائكة بنات الله، أنه اتخذ ولدا، قال لهم الله إنه سبحانه منزله عن الولد هو الغني عن كل أحد، له ما في السماوات وما في الأرض ملكا وخلقا، ما عندكم من حجة على الذي تقولونه، ثم يقول لهم تعالى موبخا على قولهم بلا علم ولا دليل أتقولون على الله ما لا تعلمون؟
- (٦٩) قل لهم - أيها الرسول - : إن المفتريين الذين ينسبون لله ولدا، لن يفلحوا أبدا.
- (٧٠) لهم متاع قليل يتمتعون به مدة حياتهم ثم يرجعون إلى الله عندما يموتون فيعذبهم العذاب الشديد بسبب كفرهم وافتراءهم على الله غير الحق.
- (٧١) واتل عليهم - أيها الرسول - خبر نوح لما قال لقومه: إن ثقل عليكم مكثي بين أظهركم مذكرا وداعيا - ألف سنة إلا خمسين عاما - فبوعده الله لي بالنصر وثقت، فاعزموا على ما تريدون من إهلاككم أنتم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم مستورا؛ بل مكشوفًا وامنضوا فيما أردتموه ولا تمهلوني، فإني لست بمباليا بكم.
- (٧٢) فإن عرضتم عن تذكيري، فما سألتكم من ثواب عليه فتعرضوا، إنما ثوابي على الدعوة والتذكير على الله، وأمرت أن أكون من المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره.
- (٧٣) ولما أصر قوم نوح على تكذيبه أغرقوا ونجى الله نوحا ومن معه في السفينة من المؤمنين وجعلهم خلائف في الأرض بعد الذين أغرقوا، ثم يقول الله تعالى فانظر - أيها الرسول - كيف كان نهاية المكذبين. تحذيرا من العقاب لمن كذب رسول الله وتسلية له ﷺ.
- (٧٤) ثم أرسل الله رسلا من بعد نوح، فجاءوا أقوامهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فكذبت أقوامهم كما كذب قوم نوح، فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به قبل بعث الرسل إليهم، ونختم على قلوب المعتدين فلا تقبل الإيمان كما ختمنا على قلوب أولئك.
- (٧٥) ثم أرسل الله من بعدهم موسى وأخاه هارون إلى فرعون وحاشيته، مؤيدين بالآيات التسع، فاستكبروا عن الإيمان بها وكانوا كفارا ذوي آثام عظام، فلذلك استكبروا عن آيات الله واجترأوا على ردها.

٦٧ أثبتت التجارب والدراسات الطبية الحديثة أن النوم ليلاً لا سيما في الساعات الأولى منه هو النوم الصحي للإنسان؛ كي يستعيد النشاط والحيوية أثناء النهار، أما العمل ليلاً والنوم نهاراً لفترات طويلة فيضر بالجسم ضرراً بالغا؛ حيث تختل عنده الساعة الحيوية (البيولوجية)؛ فيؤدي ذلك إلى أمراض نفسية وعضوية.



﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُؤْتَمِنٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ يَمُونَ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَكَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

- (٧٦) فلما ظهر لهم الحق مؤيدا بالمعجزات الباهرة على يد موسى، قالوا عن العصا التي انقلبت حية: إن هذا سحر واضح.
- (٧٧) قال لهم موسى أتعيبون الحق لما جاءكم بقولكم إنه سحر، ثم قال مستنكرا وموبخا أسحر هذا ولا يفلح الساحرون، وكأنه يعرض بأن ما جاء به هو الحق من عند الله ولذلك أفلح وأبطل سحر السحرة.
- (٧٨) قالوا أجتئنا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا ويكون لكما الملك في أرض مصر وما نحن لكما بمصدقين فيما جئتما به.
- (٧٩) وقال فرعون اتنوني بكل ساحر ماهر في السحر.
- (٨٠) فلما جاء السحرة وقالوا لموسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون.
- (٨١) فلما ألقوا قال لهم موسى الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا إن الله سيظهر بطلانه بإظهار المعجزة عليه، إن الله لا يثبت عمل المفسدين لأن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له.
- (٨٢) ويثبت الله الحق ويؤيده بأمره ومشيبته، ولو كره المجرمون.
- (٨٣) وبعد ظهور الحق على يد موسى لم يؤمن به إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل مع خوف من فرعون وخوف من أشرف بني إسرائيل أن يصرفهم عن الدين بتعذيبهم، وإن فرعون لمستكبر في أرض مصر، وإنه بلغ به الطغيان حدا أن ادعى الربوبية.
- (٨٤) وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه إن كنتم آمنتم بالله فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مستسلمين لقضاء الله مخلصين له.
- (٨٥) فقالوا على الله اعتمدنا، ربنا لا تسلط علينا القوم الظالمين فيفتنونا.
- (٨٦) ونجنا برحمتك من كيد القوم الكافرين.
- (٨٧) وأوحى الله إلى موسى وهارون أن يتخذا لقومهما بمصر بيوتا للعبادة، وأمرهم عند الخوف أن يجعلوا بيوتهم مصلى يقيمون الصلاة فيها، وبشر - أيها الرسول - المؤمنين بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة.
- (٨٨) ولما رأى موسى أن فرعون وحاشيته لم يزدادوا إلا طغيانا وإفسادا في الأرض دعا عليهم بقوله ربنا إنك آتيت فرعون وحاشيته وسائل الزينة والأموال، فكان عاقبة أمرهم أن أضلوا بها عن سبيل دينك بسبب افتتان الناس بها، ربنا أهلك أموالهم واختم على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب المؤلم.
- (٨٩) أخبر الله موسى وهارون أنه قد أجاب دعوتهما وأمرهما أن يثبتا على ما هما عليه من الدعوة إلى الله ولا يستعجلا عقوبة فرعون وحاشيته، ولا يتبعان طريق الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى.

﴿ وَجَنُوزَنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلَيْمٌ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لِيَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقْنَا ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنْتَ فَفَعَّهَا إِيْمَانَهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ۞

علم بالكتب السابقة فهم يعرفون صحة ما أنزل الله إليك، وأنه الحق الذي لا ريب فيه، فلا تجار المتشككين.

(٩٥) ويخاطب الله تعالى رسوله ﷺ محذرا غيره بأن يكونوا ممن يكذبون بالحجج، فيحل بهم الخسران.

(٩٦) إن الذين حكم الله عليهم بالكفر، لسابق علمه باختيارهم الكفر ورضاهم به، لن يؤمنوا أبدا.

(٩٧) ولو جتتهم بجميع الآيات والمعجزات، فإنهم لا يؤمنون حتى يعاينوا العذاب المؤلم ويحسونه، وحينئذ لا ينفعهم إيمانهم كما لم ينفع فرعون.

(٩٨) فهلا كانت قرية آمنت قبل أن ينزل بها العذاب؛ لأنجها كما أنجى قوم يونس لما آمنوا عند رؤية علامة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعمهم إلى وقت انقضاء آجالهم.

(٩٩) ولو أراد الله أن يؤمن كل أهل الأرض لآمنوا جميعا، فليس لك أن تحاول إكراه الناس على الإيمان.

(٩٠) لما من الله على بني إسرائيل باجتياز البحر الأحمر، لحقهم فرعون وجنوده ليبطش بهم ظلما وعدوانا، حتى إذا أصابه الغرق، وعلم أنه هالك لامحالة قال: صدقت بأنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.

(٩١) أتؤمن الآن حين جاءك الموت، وقد عصيت وكنت قبل ذلك مدة عمرك من الضالين المضلين عن الإيمان.

(٩٢) وقد أخرج الله جثة فرعون من البحر ليتأكد بنو إسرائيل على هلاكه وليتعض به من كانوا يعبدونه من دون الله، وكانوا يعتقدون أن فرعون لن يغرق، وإن كثيرا من الناس لا يتفكرون في آيات الله ولا يعتبرون بها.

(٩٣) ولقد أنزل الله بني إسرائيل بأرض آمنة وأنزل عليهم المن والسلوى - سبق بيانه في (الآية ٥٧) من سورة البقرة - فاختلغوا في أمر دينهم بعدما قرؤوا التوراة، إن ربك يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين فينجي المؤمنين ويعذب الكافرين.

(٩٤) فإن وقع لك أو لغيرك شك -فرضا- فسأل الذين عندهم

٩٢ يتجلي الإعجاز في هذه الآية في أمرين هما:

أولاً: أن نهاية كل ظالم مفسداً في الأرض أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر وقد تنوع أخذ الله للطاغين بأنواع متعددة فمنهم من أهلكه الله بالغرق ومنهم من أهلكه الله بالصيحة ومنهم من خسف الله بهم الأرض.

ثانياً: أثبتت الدراسات العلمية المتخصصة لفحص مومياء رمسيس الثاني من خلال الفحص المعلمي والاستقراء التاريخي أن الذي أغرقه الله في اليم لازال موجوداً ليكون للعالمين الذين يشاهدون جثته إلى اليوم عظة وعبرة إلى يوم القيامة.



﴿ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ۞

- (١٠٠) وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله وتوفيقه، فلا تجهد نفسك - أيها الرسول - في هدايتهم، ويجعل العذاب أو الخذلان على الذين لا يعقلون دلائله وأحكامه.
- (١٠١) قل لهم - أيها الرسول - تأملوا ما يوجد في السماوات والأرض من الآيات الدالة على وحدانية الله وتفرد به بالعبادة، وما تجدي الآيات والرسول عن قوم لا يؤمنون.
- (١٠٢) فهل ينتظر أولئك المكذوبون إلا مثل وقائع الذين سبقوهم من الأمم ونزول بأس الله عليهم؛ إذ لا يستحقون غيره. قل لهم - أيها الرسول - انتظروا ذلك، إني معكم من المنتظرين هلاككم.
- (١٠٣) ثم ينجي الله الرسل ومن آمن معهم عند إهلاك الأمم، كذلك الإنجاء حقا علينا ننجي محمداً وصحبه حين نهلك المشركين.
- (١٠٤) قل لهم: يا أيها الناس إن كنتم متشككين في أن ديني حق، فأنا ثابت عليه، ولا أعبد ما تعبدون من معبودات باطلة، ولكن أعبد الله الذي يميئتمكم ويقبض أرواحكم، وأمرت أن أكون من المؤمنين بما نزل به الوحي وأثبتته الآيات الكونية.
- (١٠٥) وأمرت بالاستقامة على الدين مائلا عن كل دين باطل، وأن لا أشرك في عبادة الله أحدا.
- (١٠٦) ولا تعبد من دون الله ما لا ينفَعُكَ إن عبدته، ولا يضرُّكَ إن لم تعبده فإن فعلت ذلك فرضا فقد ارتكبت ظلما عظيما.
- (١٠٧) وإن يصبك الله بضر فلا يدفعه عنك إلا الله، وإن يردك الله من فضله بخير فلا يمنع فضل الله عنك أحد يصيب بالخير من يشاء من عباده، وهو الغفور الرحيم؛ فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تياسوا بالمعصية من غفرانه.
- (١٠٨) قل - أيها الرسول للناس - قد جاءكم القرآن من ربكم فلا عذر لكم بعد، فمن آمن به واتبع الرسول، فتوابه لنفسه بالإيمان والمتابعة. ومن كفر بهما فإنما وبال ضلاله عليها، ولست موكلا عليكم أجبركم على الهدى، وإنما أنا بشير ونذير.
- (١٠٩) واتبع - أيها الرسول - ما يوحى إليك بالامتثال والتبليغ، واصبر على دعوتهم وتحمل أذيتهم، حتى يحكم الله بينكم، وهو خير الحاكمين، فهو الحكم العدل الذي يعلم الظواهر والسرائر.

١٠١ ويرشدنا الله عز وجل إلى أن من استخدم عقله الذس وهبه الله في التأمل والنظر في جوانب الكون والحياة والإنسان ورأى فيها من عظام الحكمة والقدرة والإتقان ليعلم بعد ذلك أن وراء الحكمة حكيم وأن وراء هذه القدرة البديعة خالق قادر، فيصل من خلال اعتباره بالنتائج إلى معرفة المقدمات فالله وحده هو الخالق للحياة والإحياء المدبر للملكوت السموات والأرض.

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّكِنُ أَهْكَمَتْ أَيْنَهُ، ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُرِّمَةٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَنِّعْكُمْ مَنَعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَىٰ اللَّهُ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتَوُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَنَاهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْحِسُهِ الْأَيُّومُ يَا أَيُّهُمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ أَكْفُورًا ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

- (١) الر تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، (٦) وما من دابة تدب على الأرض إلا تكفل الله برزقها فضلا منه تعالى، ويعلم أماكنها في الحياة وبعد الممات، كل ذلك مدون في كتاب مبين.
- (٢) أمركم أن لا تعبدوا إلا الله، إني أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم.
- (٣) أمركم أن تستغفروا من الشرك ثم ارجعوا إلى الله بالطاعة يتمتعكم في الدنيا بطيب العيش وسعة الرزق إلى أن يحين وقت الموت، ويؤت في الآخرة كل صاحب فضل في العمل جزاءه، وإن تعرضوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة.
- (٤) يوم ترجعون إلى الله في ذلك اليوم؛ فإنه قادر على تعذيبكم أشد عذاب.
- (٥) تنبيه على ما يفعلونه من محاولة الاستخفاء من الله بثني صدورهم! فليدرك هؤلاء أنهم لا تخفى على الله منهم خافية، فهو يعلم سرهم وجهرهم ولو كانوا داخل أعطيهم في ظلام الليل فهو يعلم ما تنطوي عليه الصدور.
- (٦) والله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض بقدرته في ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء؛ وقد خلقهن لحكمة بالغة، وهي أن يجعلها مساكن لعباده ليختبرهم أيهم يطيعه وأيهم يعصيه، وإن قلت لهم - أيها الرسول - إنهم سيبعثون بعد موتهم، ردوا مكذبين أن هذا الذي تقوله ما هو إلا سحر واضح.
- (٧) ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أوقات معدودة ليقولن ما يمنعه من النزول، ألا يوم يأتيهم ليس مدفوعا عنهم، ونزل بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الموعود.
- (٨) ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة كغنا أو صحة ثم نزعناها منه إنه لحنوط من رحمة الله شديد الكفر به.
- (٩) ولئن أذاق الله الإنسان نعماء بعد فقر وشدة أصابته ليقولن ذهبت عني المصائب، إنه لبطر فخور على الناس بما أوتي.
- (١٠) لكن الذين صبروا على الضراء إيمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه، وعملوا الصالحات في النعماء شكرا لآلائه، أولئك لهم مغفرة لذنوبهم وجنة فيها نعيم مقيم.



﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَبَدَّ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُتُبَهُمْ لَكُنْتُمْ أَصْدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَكَلِمَةً يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَابْتُلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ فَلَا تَنُكَ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِّنْ أَوْلِيَاءٍ يُضْعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (١٢) فلعلك - أيها الرسول - تارك بعض ما يوحى إليك - فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به وضائق به صدرك بتلاوته عليهم؛ لأجل أن يقولوا هلا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك يصدقه، ليس عليك إلا الإنذار بما أوحى إليك لا الإتيان بما اقترحوه، والله على كل شيء حفيظ عالم بحالهم فيجازيهم.
- (١٣) أيقولون: اختلقت القرآن من عند نفسك، وليس من عند الله، قل لهم - أيها الرسول - فأتوا بعشر سور مختلفات مثله في الفصاحة والبلاغة، وادعوا للمعاونة على ذلك من استطعتم من غير الله إن كنتم صادقين في أنه افتراء.
- (١٤) فإن لم يستجيبوا لكم، فاعلموا - أيها المشركون - أن القرآن أنزل بمقتضى علم الله وإرادته ليلبغهم رسوله لعباده، وليس افتراء عليه، واعلموا أن لا إله إلا الله وحده، فأسلموا بعد قيام هذه الحجة عليكم، إن كنتم طالبين للحق.
- (١٥) من قصد بأعماله الصالحة نعيم الدنيا وزينتها يعطيهم الله أجور أعمالهم كاملة في الدنيا، من الصحة والرزق لا ينقصون شيئا من أجورهم.
- (١٦) أولئك الذين كان قصدهم أجور الدنيا ليس لهم جزاء إلا النار، وبطل نفع ما صنعوه في الدنيا فلا ثواب لهم عليه في الآخرة.
- (١٧) آمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على برهان من الله - كعبد الله بن سلام وغيره - ويتبع ذلك البرهان شاهد من الله يشهد بصحته، وهو القرآن، ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة: كتاباً مؤتمما به في الدين قدوة فيه ورحمة على المنزل إليهم، فمن كان على بينة يؤمنون بالقرآن، ومن يكفر به من أهل مكة ومن المتحزبين على رسول الله ﷺ فالنار موعده، فلا تكن في شك من القرآن إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لقلته نظرهم واختلال فكرهم.
- (١٨) ولا أحد أظلم ممن افتري على الله كذبا بادعاء شريك له واتخاذ الولد، أولئك يعرضون على ربهم يوم القيامة، ويقول الأشهاد من الملائكة والنبين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ألا لعنة الله على المشركين.
- (١٩) الذين يصرفون الناس عن دينه القويم وطريقه المستقيم ويلتمسون لها الزيف والانحراف، وهم بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب كافرون.
- (٢٠) أولئك ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم، وما كان لهم من دون الله من أولياء يمنعونهم من العقاب يضاعف لهم العذاب لإضلالهم غيرهم، ما كانوا يستطيعون السمع للحق وما كانوا يبصرونه لشدة كراحتهم له.

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَحْبَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ءَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ إِلْيَسٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرْنَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَزْدَانُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنزِلْكُمْ كَمَا هُمْ وَأَنْتُمْ هَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقَوْمِ لَا تَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُّكَلَّفُوا رَبِّهِمْ وَلِكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقَوْمِ مَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُوخُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ۞

بل نظنكم كاذبين في دعوى الرسالة.

(٢١) أولئك الذين خسروا أنفسهم لمصيرهم إلى النار، وغاب

عنهم ما كانوا يفترون على الله من ادعاء شركاء له.

(٢٨) قال يا قوم أخبروني. إن كنت على حجة شاهدة بصحة

دعواي، وآتاني ربي نبوة من عنده، فخفيت عليكم أنجبركم على قبولها وأنتم تكفرونها ولا تختارونها!

(٢٢) لا أحد حقا أكثر خسرانا منهم في الآخرة.

(٢٣) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات واطمأنوا إليه وانقطعوا

إلى عبادته بالخشوع والتواضع هم أهل الجنة هم فيها دائمون.

(٢٩) ويا قوم لا أسألكم على تبليغ الرسالة مالا تعطونني

ما ثوابي إلا على الله، وما أنا بطارد الذين آمنوا كما أمرتوني، إنهم ملاقو ربهم بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم، ولكني أراكم قوما تجهلون عاقبة أمركم حين تتسافهون على المؤمنين.

(٢٤) مثل الفريقين الكافر والمؤمن، كالأعمى والأصم للكافر

لتعاميه عن آيات الله، وتصامه عن سماع كلام الله تعالى، ومثل البصير والسميع للمؤمن؛ لإبصاره لآيات الله وتدبرها، ولإقباله على سماع كلام الله تعالى، هل يستوي الفريقان تمثيلاً أو صفة أو حالاً، أفلا تتعظون بضرب الأمثال والتأمل فيها؟

(٣٠) ويا قوم من يمنعني من انتقام الله إن طردتهم، أفلا تتعظون.

(٣١) ولا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أقول إني أعلم

الغيب، ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر، مثلنا، ولا أقول للذين تحتقر أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً، الله أعلم بما في قلوبهم إني إن قلت ذلك لمن الظالمين.

(٢٥) ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بأني لكم نذير أبين لكم

موجبات العذاب ووجه الخلاص منه.

(٣٢) قالوا يا نوح قد خاصمتنا فأطلت خصامنا حتى مللنا،

فأنتما بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين في دعواك ووعيدك.

(٢٦) بأن لا تعبدوا إلا الله، إني أخاف عليكم إن عبدتم غيره

عذاب يوم مؤلم في الدنيا والآخرة.

(٣٣) قال إنما يأتيكم به الله في أي وقت شاء بمقتضى حكمته،

وما أنتم بفاتنين عذاب الله.

(٢٧) فقال عليه القوم من الذين كفروا لا فضل لك علينا، وما

نراك أتبعك إلا الذين هم أسافلنا ابتداء من غير تفكر، وما نرى لكم علينا من فضل تستحقون به الاتباع منا،



﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ
 أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ، فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ
 قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
 وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
 فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ
 زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا
 وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا
 وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَتَأْوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا
 الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسْمَاةَ أَقْلَعِي وَغَضَّ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ
 وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ
 يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴿

- (٣٤) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد إغواءكم لما علمه من إصراركم على الغواية والضلال، هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق إرادته، وإليه مرجعكم فيجازيكم على أعمالكم.
- (٣٥) بل يقولون اختلق محمد القرآن، قل إن اختلقته فعلي عقوبة إثمى، وأنا بريء من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي.
- (٣٦) وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تحزن بما كانوا يفعلون من الشرك.
- (٣٧) واصنع السفينة برأى منا وحفظنا، ووحينا إليك كيف تصنعها، ولا تراجعني في الذين كفروا إنهم محكوم عليهم بالإغراق.
- (٣٨) ويصنع نوح الفلك، وكلما مر عليه جماعة من قومه استهزءوا به، قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون إذا نجونا وغرقتم.
- (٣٩) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يذله وهو الغرق، ويصيبه عذاب دائم وهو عذاب النار.
- (٤٠) حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم ونبع الماء من التنور وارتفع، قلنا احمل في السفينة من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها ذكراً وأنثى، وأهلك إلا من سبق عليه القول بأنه من المغرقين - وهم امرأته وابنه - واحمل المؤمنين معك،
- وما آمن مع نوح إلا قليل.
- (٤١) وقال نوح اركبوا فيها بسم الله جريها ورسوها إن ربي لغفور رحيم حيث لم يهلكنا.
- (٤٢) وهي تجري بهم في موج كالجبال في الارتفاع والعظم، ونادى نوح ابنه وكان عزل نفسه يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين.
- (٤٣) قال سأوي إلى جبل ينعني من الماء، قال لا عاصم اليوم من عذاب الله إلا من رحم الله فهو المعصوم، وحال بين نوح وابنه الموج فصار من المهلكين بالغرق.
- (٤٤) وقيل يا أرض ابلي ماءك فشربته، ويا سماء أمسكي عن المطر فأمسكت، وغار الماء، وتم أمر هلاك قوم نوح، ورسبت السفينة على جبل الجودي، وقيل هلاكاً للقوم الكافرين.
- (٤٥) ودعى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وقد وعدتني بنجاتهم، وإن وعدك الحق الذي لا خلف فيه، وأنت أعدل الحاكمين.
- (٤٦) قال يا نوح إنه ليس من أهلك الذين وعدتكم بنجاتهم لأنه كافر، وسؤالك إياي بنجاته عمل غير صالح فلا تطلب مني أمراً لا تعلمه، حتى تقف على كنهه، إنني أحذرك أن تكون من الجاهلين.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْتَقِبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا جُرْمِيكَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي قَوْلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾

ذنوبكم، ثم ارجعوا إليه بالطاعة يرسل المطر عليكم مدرارا ويزدكم قوة مع قوتكم بالمال والولد، ولا تعرضوا عما ادعوكم إليه مصرين على إجرامكم.

(٥٣) قالوا يا هود ما جئتنا بحجة تدل على صحة دعواك، وما نحن بتاركي عبادتهم صادرين عن قولك، وما نحن لك بمصدقين في شيء مما جئت به.

(٥٤) ما نقول إلا أصابك بعض آلهتنا بجنون لسبك إياها وصدك عنها، قال إني أشهد الله وأشهدوا أنتم أني بريء من إشراككم.

(٥٥) من دون الله فاعملوا أنتم وآلهتكم على إهلاكه ولا تمهلوني.

(٥٦) إني اعتمدت على الله ربي وربكم فهو يعصمني من كيدكم، ما من نسمة تدب على الأرض إلا هو مالكها وقاهرها، إن ربي على طريق الحق والعدل لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده معتصم به.

(٥٧) فإن تولوا يعذرنى ربي؛ فقد أبلغتكم ويستخلف قوماً غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم، إن ربي على كل شيء رقيب، فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم.

(٥٨) ولما جاء أمرنا بالعذاب نجينا هودا، والذين آمنوا معه من الهالك برحمتنا، ونجيناهم من عذاب شديد في الدنيا والآخرة.

(٤٧) قال رب إني ألتجأ إليك فلا أسألك في المستقبل ما لا علم لي بصحته، تأديبا وبتعاطفاً بموعظتك وإن لم تغفر لي وترحمني برحمتك كنت من الخاسرين.

(٤٨) قيل يا نوح انزل من السفينة بسلامة منا ونعم ثابتة عليك وعلى أمم ممن معك في السفينة وهم المؤمنون، وأمم ناشئة من ذرية من كان معه في السفينة وهم الكفار ستمتعهم في الدنيا ثم يمسه منا عذاب أليم في الآخرة.

(٤٩) تلك - من أخبار الغيب القصة التي مرت بك في هذه السورة ما كنت تعلمها - أيها الرسول - ولا يعلمها قومك من قبل الوحي فاصبر على ما تلاقيه من كفار زمانك، إن العاقبة المحمودة في الدنيا والآخرة للمتقين لله المؤمنين بما جاءت به رسله.

(٥٠) وأرسلنا إلى عاد واحداً منهم هو هود، قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره، ما أنتم في عبادتكم الأوثان إلا كاذبون على الله.

(٥١) يا قوم لا أطلب منكم أجراً على ما أبلغه إليكم، وأنصحكم به من الإرشاد إلى عبادة الله وحده، ما أجري إلا على الذي خلقتني فهو الذي يثيبني على ذلك، أفلا تعقلون أن أجر الناصحين إنما هو من رب العالمين.

(٥٢) ويا قوم اطلبوا مغفرة الله من الشرك وما سلف من



﴿ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي لَقَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا لَوْلَا يَصْلِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْحُومًا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَآئِنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَصْرِفُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ، فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرٌ مَّكَدُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِّمِينَ ﴿٦٧﴾ ۞

- (٥٩) وتلك عاد - إشارة إلى آثارهم - كفروا بآيات ربهم وعصوا رسله - فمن عصى رسولا فكأنما عصى الكل - واتبعوا كبارهم الطاغين.
- (٦٠) وألحقت بعداد لعنة في هذه الدنيا ولعنة يوم القيامة، ألا إن عادا جحدوا ربهم وكفروا به ألا بعدا - دعاء عليهم بالهلاك - لعاد الأولى القديمة وهي قوم هود.
- (٦١) وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من إله غيره هو خلقكم أول مرة من الأرض - إشارة إلى خلق آدم - وجعلكم عمارا تسكنون بها فاستغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة، إن ربي قريب من خلقه بعلمه مجيب لمن سأله.
- (٦٢) قالوا يا صالح قد كنا نرجو أن تكون فينا سيذا - لما نرى فيك من الرشد والساد - قبل أن تنهانا عن عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان، وإنما لفي شك وريبة مما تدعوننا إليه من التوحيد والتبري من الأوثان.
- (٦٣) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبصيرة من ربي وآتاني منه نبوة فمن يمنعي من عذابه إن عصيته في تبليغ رسالته، فما تزيدونني إلا خسرانا بفقدان ما منحني الله لي والتعرض لعذابه.
- (٦٤) ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فاتركوها ترع في أرض الله وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل.
- (٦٥) فقتلوا الناقة، فقال صالح عيشوا في منازلكم ثلاثة أيام ثم تهلكون، ذلك وعد غير مكذوب فيه.
- (٦٦) فلما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا، ومن خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة، إن ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه.
- (٦٧) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم باركين على الركب ميتين.

٦٧ الصيحة هنا عبارة عن موجة هائلة ناتجة عن صوت بالغ الشدة تنتج عنه تضاعفات وتخلخلات تتسبب في آثار مهلكة على الجسم البشري منها ضرر يتسبب في تلف الأذن والرئة والجهاز الهضمي من تمزق لطبلة الأذن وانخلاع وتكسر لعظيومات الأذن الوسطى وانعدام للتوازن عند الإنسان وكدمات في الرتتين وتمزق لجدران الحويصلات الهوائية والأوعية الدموية بنتج عنها نزف صدري وتجلطات هوائية فتتسد بذلك ممرات الهواء وتحدث الوفاة. وكما قال ابن عباس عن هؤلاء القوم تقطعت قلوبهم وماتوا، علاوة على أن موجة الضغط الناتجة عن تلك الصيحة تقذف بالأشياء بعيدا عن مركز حصولها مما يؤدي إلى إصابة خارقة وممزقة، وهي ما تسمى بالإصابة الثانوية. كما يتحول الضحية نفسه إلى قذيفة حيث يطيح به الانفجار بعيدا عن مركزه وهو ما يسمى الإصابة الثلاثية. وهذه الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآية الكريمة بعبارة ﴿ فأخذتهم الصيحة ﴾ كان يستحيل على البشر إدراك كنهها ومعرفة كيفية كون الصوت يكون سببا في العذاب. فسبحان من جعل لكل شئ قدرا وأرانا من آياته ما يزيدنا يقينا بقدرته وعظمته وحكمته.

﴿ كَان لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الثَّمُودِ ﴾ (٦٨) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّارَةً أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ فَأَيَّمَةٌ فَضْحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنَيْتَى أَلَدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَّبِعُهُمْ آعْرُضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلَ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتِ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعَاظِمٌ مَا نُزِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِبْ بِالْهَالِكِ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴿

- (٦٨) كأنهم لم يقيموا في دارهم إلا إن ثمود كفروا ربهم ألا هلاكاً لثمود وبعداً عن رحمة الله.
- (٦٩) ولقد جاءت الملائكة إبراهيم بالبشارة بولادة إسحاق ويعقوب بعده قالوا سلمنا عليك سلاماً قال وعليكم سلام، فما أبطأ مجيئه أن جاء بعجل مشوي.
- (٧٠) فلما رأى أنهم لا يمدون إليه أيديهم أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروهاً، قالوا لا تخف إنا ملائكة مرسله إلى قوم لوط بالعذاب.
- (٧١) وأمرته قائمة تخدمهم فسمعت محاورتهم فضحكت سروراً بزوال الخيفة فبشرناها بإسحاق ومن بعد إسحاق يعقوب ولده.
- (٧٢) قالت يا عجباً، ألد وأنا عجوز وهذا زوجي شيخاً، إنه أمر عجيب أن يولد الولد من هرمين.
- (٧٣) قالوا أتعجبين من قدرة الله، رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل بيت إبراهيم، إنه محمود كثير الخير والإحسان.
- (٧٤) فلما ذهب عن إبراهيم ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم، وجاءته البشيرة بدل الخوف يجادل رسلنا في شأن قوم لوط لرقه قلبه وفرط ترجمه.
- (٧٥) إن إبراهيم حلِيم كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس، راجع إلى الله.
- (٧٦) قالت الملائكة يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل، إنه قد جاءهم قدر الله بمقتضى قضائه الأزلي بعبادتهم وهو أعلم بحالهم، وأنه غير مصروف عنهم بجدال ولا دعاء.
- (٧٧) لما جاءت الملائكة لوطاً في صورة غلمان ساءه مجيئهم وضاق بمكانهم صدره، وقال هذا يوم شديد.
- (٧٨) وجاءه قومه يسرعون إليه لطلب الفاحشة من أضيافه، ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش، فقال يا قوم هؤلاء بناتي فتزوجوهن هن أنظف لكم - وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم - فاتقوا الله بترك الفواحش ولا تفضحوني في شأن ضيفي، أليس منكم رجل يهتدي إلى الحق ويرعوي عن القبيح.
- (٧٩) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حاجة، وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران.
- (٨٠) قال لو أن لي طاقة على دفعكم لدفعتمكم أو آوي إلى عشيرة تنصرن لي لبطشت بكم.
- (٨١) قالت الملائكة إنا رسل ربك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا، فأسر بأهلك بليل ولا ينظر أحد إلى ورائه، إلا أمرتك فإنه يصيبها العذاب مثلهم، إن وقت عذابهم الصبح، قال لهم لوط: هلا عذبوا الآن فقالوا له: أليس الصبح بقريب.



﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيدُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَنْقُورِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْقُورِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَيْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقُورِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَنْقُورِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ ﴿٩٢﴾ ۞

- (٨٢) فلما جاء أمرنا بالعذاب جعلنا عالي قراهم سافلها أي بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض، وأمطرنا عليهم حجارة من طين متحجر متتابع.
- (٨٣) وهذه الحجارة معلمة للعذاب في خزائنه تعالى، وهي ليست بعيدا من الظالمين من قومك.
- (٨٤) وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله وحدوه ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بنعمة تغنيكم عن التطيف وإني أخاف عليكم إن لم تؤمنوا عذاب يوم محيط بكم يهلككم.
- (٨٥) ويا قوم أتموا المكيال والموزون في البيع بالعدل فيهما، ولا تنقصوا الناس من حقهم شيئا، ولا تفسدوا في الأرض بسرقة أموال الناس، أو الإغارة عليهم، أو قطع الطريق عليهم لسلب أموالهم.
- (٨٦) ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطيف. إن كنتم مصدقين قولي لكم. وما أنا عليكم برقيب أجازيكم بأعمالكم وإنما أنا ناصح مبلغ.
- (٨٧) قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأصنام وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، وقالوا تهكما إنك لأنت الحلیم الرشید.
- (٨٨) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على نبوة من ربي ورزقي رزقا حالالا فأشوبه بالحرام من البخس والتطيف، وما أريد أن أذهب إلى ما أنهاكم عنه فأرتكبه، ما أريد إلا الإصلاح لكم بالعدل ما استطعت، وما قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات إلا بالله عليه توكلت وإليه أرجع.
- (٨٩) ويا قوم لا يكسبنكم شقاي إصابة العذاب مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة وما زمن هلاك قوم لوط منكم بعيد فاعتبروا.
- (٩٠) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه عما أنتم عليه إن ربي عظيم الرحمة للتائبين، فاعل بهم من اللطف والإحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده.
- (٩١) قالوا يا شعيب ما نفقهم كثيرا مما تقول كعبادة الله وحده، وحرمة تطيف الكيل والميزان والبخس، وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك تمنعك منا إن أردنا بك سوءا، ولولا قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لقتلناك رجما بالأحجار، وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم.
- (٩٢) قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله فتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله واتخذتموه الله منبوا خلف ظهوركم لا تراقبونه إن ربي بما تعملون محيط علما فيجازيكم.

﴿ وَيَقُولُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٩٤﴾ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرِّقْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهِمْ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

- (٩٣) ويا قوم اعملوا على ما أنتم عليها من الشرك والعدواة لي إني عامل على حسب ما يؤتيني الله من النصره والتأييد، سوف تعلمون أينما يأتيه عذاب يخزيه، وأينما هو كاذب وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم منتظر.
- (٩٤) ولما جاء أمرنا بإهلاكهم نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم باركين على الركب ميتين.
- (٩٥) كأن لم يقيموا في دارهم، ألا هلاكاً لمدين وبعدا عن رحمة الله كما هلكت ثمود.
- (٩٦) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وبرهان بين ظاهر.
- (٩٧) إلى فرعون وقومه فاتبعوا أمر فرعون لهم بالكفر وما أمر فرعون بسديد، بل هو غي وضلال.
- (٩٨) يتقدم فرعون قومه يوم القيامة إلى عذاب النار، كما تقدمهم في الدنيا وهم يتبعونه حتى يوردهم النار، وبتس الورد المورود.
- (٩٩) وأتبع فرعون وقومه في هذه الدنيا طرداً وإبعاداً من رحمة الله، وأتبعوا لعنة يوم القيامة، يلعنهم بها أهل المحشر جميعاً، تكون لهم بتس العطاء أعطوهم إياه.
- (١٠٠) ذلك المذكور من أبناء القرى نقصه عليك لتعظ بها قومك - أيها الرسول - من القرى قائم هلك أهله دونه، ومنها هلك بقومه فلا أثر له كالزرع المحصود.
- (١٠١) وما ظلمهم الله بإهلاكهم، ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك، فما دفعت عنهم آلهتهم التي يعبدون من غير الله شيئاً لما جاء عذاب ربك، وما زادتهم عبادتهم لها غير تخسير.
- (١٠٢) ومثل ذلك الأخذ الذي أخذ به ربك أهل القرى وهي ظالمة بالذنوب - من قوم نوح وعاد وثمود ولوط، وغيرهم - أخذه الشديد أهل القرى وهم ظالمون بالكفر إذا شاء، إن أخذه قوى مؤلم شديد.
- (١٠٣) إن في ذلك المذكور من القصص عبرة لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع فيه الناس، وذلك يوم يشهده جميع الخلائق.
- (١٠٤) وما نؤخره إلا لوقت معلوم عند الله.
- (١٠٥) يوم يأت ذلك اليوم لا تتكلم فيه نفس إلا بإذنه تعالى، فمن الخلق شقي ومنهم سعيد، والشقى الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنة لإحسانه.
- (١٠٦) فأما الذين شقوا ففي النار يتنفسون لهيبها الحارق أثناء عند زفيرهم وشهيقهم.
- (١٠٧) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك لا يخرجون منها إلا في الوقت الذي يشاء الله إخراجهم فيه، ليعذبهم بنوع آخر من العذاب، وإن ربك - أيها الرسول - فعال لما يريد فعلة، لا يمنعه أحد عنه.



﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَأْكُ فِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هُنُوْلًا مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيْبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِيْنَهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِن كَلَّا لَمَّا يُؤْفِقِنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقَمْ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسِكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ يَبْهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

(١٠٨) وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك أعطوا غير مقطوع، وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبه على أن المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع.
 (١٠٩) فلا تك في شك من عبادة هؤلاء المشركين في أنها ضلال، ما يعبدون إلا كعبادة آبائهم من قبلهم، وإنا لموفوهم حظهم من العذاب كاملا كأبائهم.
 (١١٠) ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه، فأمن به قوم وكفر به قوم، كما اختلف في القرآن ولولا أن الله قدر تأجيل الفصل بينهم إلى يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فيما اختلفوا فيه، وإن كفار قومك - أيها الرسول - لفي شك من القرآن موقع في الريبة والاضطراب، فلا يدرون أحق هو أم باطل.
 (١١١) وإن كلاً من المختلفين فيه ليعطينهم ربك - أيها الرسول - جزاء أعمالهم كاملاً خيراً أو شراً، إنه بما يعمل كل فرد من المختلفين من الخير أو الشر عالم لا يخفى عليه شيء منه.
 (١١٢) فاستقم - أيها الرسول - على العمل بأمر ربك والدعاء إليه كما أمرت أنت ومن رجع عن الكفر فأمن معك ولا تتجاوزوا حدود الله، إنه بما تعملون بصير فيجازيكم عليه.
 (١١٣) ولا تميلوا إلى الذين ظلموا أدنى ميل فتمسكم النار بكونكم إليهم، وما لكم من دون الله من أنصار يمتعون العذاب عنكم، ثم لا تمنعون من عذاب الله.
 (١١٤) وأقم الصلاة - أيها الرسول - بالغداة والعشي وتشمل صلاة الصبح والظهر والعصر وطائفة من الليل وتشمل صلاة المغرب والعشاء، إن الحسنات كاصلوات الخمس يذهبن الذنوب الصغائر، كما جاء في الذي قبله أنجبية فأخبر النبي ﷺ بأنزل الله الآية فقال ألي هذا؟ فقال «الجميع أمتي كلهم» رواه البخاري، ذلك عظة للمتعتبين.
 (١١٥) واصبر - أيها الرسول - على تحمل التكليف وأذى قومك فإن الله لا يضيع أجر المحسنين بالصبر على الطاعة.
 (١١٦) فهلا كان من الأمم المهلكة من قبلكم أصحاب عقل ورأي ودين وفضل، ينهون قومهم المفسدين عن الفساد في الأرض ويمنعونهم من ذلك، ولكن كان هناك قليل من الذين أنجيناهم مع رسالتهم، نهوا عن الفساد فنجوا، واتبع الذين ظلموا النعم التي صاروا بها مترفين منعمين من خصب العيش، ورفاهية الحال، وسعة الرزق، وآثروا ذلك على الاشتغال بأعمال الآخرة، وكانوا بذلك الاتباع مجرمين.

(١١٧) وما كان من سنة الله سبحانه وتعالى أن يهلك أهل القرى بشرهم فقط وأهلها مصلحون؛ وإنما يهلكهم بظلمهم وإفسادهم في الأرض.

(١١٨) ولو شاء ربك لجعل الناس ملة واحدة وهي ملة الإسلام، ولكن تركهم مختارين ولا يزالون مختلفين في الأديان والملل.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١٩) وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ .

- (١١٩) إلا من هداهم الله برحمته، فقد اتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه، ولذلك الاختلاف خلقهم، ليشيب أصحاب الحق، ويعاقب أهل الباطل وبهذا يتحقق وعد الله بملء جهنم من أتباع إبليس من الجنة والناس. كما قال تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .
- (١٢٠) وكل ما تحتاج إليه - أيها الرسول - من أنباء الرسل نقصه عليك لنظمن به قلبك، وجاءك في هذه الأنباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين لانتفاعهم بها في الإيمان.
- (١٢١) وقال - أيها الرسول - للذين لا يؤمنون اعملوا على حالتكم إنا عاملون على حالتنا.
- (١٢٢) وانظروا بنا الدوائر إنا منتظرون أن ينزل بكم مثل ما قص الله من النقم النازلة بأشباهكم.
- (١٢٣) والله علم ما غاب في السماوات والأرض وإليه يرد الأمر كله فينتقم ممن عصى، فاعبده وحده وثق به فإنه كافيك، وما ربك بغافل عما تعملون وإنما يؤخرهم لوقتهم الموعود.

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَكَ نَقْصُ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ .

- (١) الر تقدم في سورة البقرة الحديث عن نظائرها، تلك آيات الكتاب التي أبانت الحق والتي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله.
- (٢) إنا أنزلناه قرآنا بلغة العرب لعلكم تفهمونه وتحيطون بمعانيه ولا يلتبس عليكم.
- (٣) نحن نقص عليك أحسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر وإن كنت من قبل إيحائنا إليك
- (٤) واذكر إذ قال يوسف لأبيه يعقوب يا أبت إنني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين.
- (٥) قال يعقوب: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيحتالوا في إهلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب وأن الشمس والقمر أبواك، إن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة.



﴿ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَإِشْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلسَّالِفِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَ أَخِيهِمَا وَأَخُوهُ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْنَلُوا يُوسُفَ وَأَقْرَبُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ فَتَكُونَ أَكْثَرَ مِنَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ ۖ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ۖ وَاجْتَمَعُوا أَن يُجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً وَبَكَوْا ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ يَدٌ مِّنْ كَذِبٍ ۗ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

- (٦) وكما رأيت يختارك ربك ويعلمك من تعبير الرؤيا، ويتم نعمته عليك بالنبوة وعلى أولاد يعقوب كما أتمها بالنبوة على أبيك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم بخلقه حكيم في صنعه بهم.
- (٧) لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته عبرة ومواعظ للمستخبرين عنه.
- (٨) إذ قالوا: والله ليوسف وشقيقه أحب إلى أينا منا ونحن جماعة، فكيف يكون الاثنان أحب إليه من الجماعة؟ إن أبانا لفي ضلال مبين في تقديمهما علينا، وحبّه إياهما أكثر منا.
- (٩) اقتلوا يوسف أو اطرحوه بأرض بعيدة يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد. وتكونوا بعد قتل يوسف أو طرحه تائبين إلى الله تعالى عما جنيتهم.
- (١٠) قال قائل منهم لا تصلوا في عداوته وبغضه إلى قتله فإن القتل عظيم، وألقوه في قعر البئر يلتقطه بعض المارة المسافرين الذين يسرون في الأرض، فتستريحوا منه إن كنتم عازمين على ما تقولون.
- (١١) قالوا - يا أبانا - لم تخاف على يوسف منا ونحن نشفق عليه ونريد له الخير.
- (١٢) أرسله معنا غدا إلى الصحراء نشط ونسع ونحن لحافظون له من أن يناله مكروه.
- (١٣) قال إني ليشق علي مفارقتي وقله صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب؛ لأن الأرض كانت مذابة، وأنتم عنه غافلون؛ لاشتغالكم بالرتع واللعب فيقل اهتمامكم بحفظه.
- (١٤) قالوا لئن أكله الذئب ونحن جماعة إنا إذا لضعفاء مغبونون.
- (١٥) فلما ذهبوا به وعزموا على إلقائه في قعر البئر وأوحينا إليه لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك يوسف لعلوا شأنك يوم ذاك.
- (١٦) وجاءوا أباهم آخر النهار متباكين.
- (١٧) قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق في العدو والرمي، وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف.
- (١٨) وجاءوا على قميصه بدم مكذوب قال يعقوب لما علم كذبهم: بل زينت لكم أنفسكم أمرا عظيما ففعلتموه به، فصبر لا جزع فيه، والله المستعان على احتمال ما تصفونه من إهلاك يوسف.

﴿ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَلَأَىٰ هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهَانَ رَبِّيَ كَذَلِكَ لِنَصِّرَفَ عَنْهُ الشُّعْرَاءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ ۞

- (١٩) وجاءت رفقة يسيرون قرب البئر فأرسلوا واردهم الذي يستقي لهم ، فأرسل دلوه إلى الجب ليملاها ماء فتعلق بها يوسف فلما رآه قال يا بشراي هذا غلام ، وأخفوا أمره جاعليه متاعا للتجارة ، والله عليم بما يعملون ، لم يخف عليه أسرارهم .
- (٢٠) وباعوه بثمن قليل دراهم قليلة - وكانوا في يوسف من الراغبين عنه .
- (٢١) وقال الذي اشتراه من مصر - العزيز الذي كان على خزائن مصر - لامرأته أحسني تعهده عسى أن ينفعنا في ضياعنا وأموالنا ، أو نتبناه ، وكما مكنا محبته في قلب العزيز مكنا له في الأرض ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه تعبیر المرائي المنبهة على الحوادث الكائنة ، والله غالب على أمره لا يرده شيء فيما يشاء ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الأمر كله بيده .
- (٢٢) ولما بلغ اشتداد جسمه وقوته آتاه الله حكمة وعلم تأويل الأحاديث جزاء على إحسانه في عمله وإتقانه .
- (٢٣) وطلبت منه المرأة التي يقيم في بيتها أن يواقعها وغلقت أبواب القصر ، وقالت هلم لك ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع قال أعوذ بالله إن سيدي الذي اشتراني أحسن مقامي فلا أخونه في أهله إنه لا يفلح الزناة .
- (٢٤) ولقد همت به بحيث مالت نفسها إليه وخطر على نفسه ذلك لولا أن رأى برهان ربه ، وهكذا ثبتنا يوسف على الطهر والعفاف لنصرف عنه الحياثة والزنا إنه من عبادنا المخلصين في الطاعة .
- (٢٥) وبادر هو إلى الباب للفرار وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبتة إليها وشقت قميصه من خلف ووجدت زوجها لدى الباب ، فقالت ما جزاء من أراد بأهلك زنا إلا أن يحبس في سجن أو يضرب ضربا مؤلما .
- (٢٦) قال يوسف متبرئا هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها فقال إن كان قميصه قطع من قدام فصدقت وهو من الكاذبين .
- (٢٧) وإن كان قميصه قطع من وراء فكذبت وهو من الصادقين .
- (٢٨) فلما رأى زوجها قميصه قطع من خلف قال قولك : ما جزاء من أراد بأهلك سوءا من حيلتك أنيها النساء إن كيدكن عظيم .
- (٢٩) يوسف اكنم الأمر ولا تذكره لئلا يشيع وقال لزوجته استغفري لذنبك إنك كنت من الآثمين .
- (٣٠) وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تطلب من غلامها موافقتها قد شق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى فؤادها إنا لنراها في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب .



﴿ فَمَا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَعَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمْتُنِّي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِيءَ فَاسْتَعَصِمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامَرُهُ لَيُجَنَّنَنَّ وَلَيَكُونُنَّ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ، حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنِّي نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصَدِّحُنِي السِّجْنُ وَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ۞

قال الساقى إنى أرانى أعصر عنباً، وقال صاحب الطعام إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه أخبرنا بتعبيره، إنك من المتصفين بالإحسان.

(٣٧) قال لهما لا يأتىكما طعام ترزقانه فى منامكما إلا نبأكما بتأويله فى اليقظة قبل أن يأتىكما تأويله ذلكما مما علمنى ربى بالإلهام والوحي، علمنى ذلك لأنى تركت دين قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة جاحدون ومنكرون.

(٣٨) واتبعت دين أبائى إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ما صح لنا - معشر الأنبياء - أن نشارك بالله شيئاً، ذلك التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى سائر الناس يبعثنا لإرشادهم وتثبيتهم عليه، ولكن أكثر المبعوث إليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه.

(٣٩) يا ساكنى السجن أرباب شتى متعددة خير أم الله المنفرد بالألوهية الغالب الذى لا يغلبه غيره.

(٤٠) ما تعبدون من غيره إلا أسماء سميتم بها أصناماً أنتم وآباؤكم ما أنزل الله لعبادتها من حجة وبرهان ما القضاء إلا لله وحده أمر ألا تعبدوا إلا إياه، ذلك التوحيد هو الدين المستقيم، ولكن أكثر الناس - الكفار - لا يعلمون ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

(٣١) فلما سمعت باغتيالهن لها أرسلت إليهن وأعدت لهن طعاماً يقطع بالسكين وأعطت كل واحدة منهن سكيناً وقالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه أعظمته وقطعن أيديهن بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف وقلن حاش لله - تنزيهاً له من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله - ما هذا بشراً، ما هذا إلا ملك كريم.

(٣٢) قالت فهو ذلك العبد الذى لمتنى فى الافتتان به قبل أن تشاهدنه ولقد راودته عن نفسه فامتنع طلباً للعصمة، ولئن لم يفعل ما أمره به ليسجنن وليكونن من الأذلاء.

(٣٣) فدعا يوسف ربه قائلاً: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، وإلا تصرف عني كيدهن أمل إليهن وأصر من المذنبين.

(٣٤) فاستجاب الله دعاءه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع للقول، العليم بالفعل.

(٣٥) ثم ظهر لهم من بعد ما رأوا الدلائل على براءة يوسف أن يسجنوه إلى حين ينقطع فيه كلام الناس.

(٣٦) ودخل معه السجن غلامان للملك أحدهما ساقية، والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنتخبرنه،

﴿ يَصْحَبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْأَخْرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا أذْكَرُنِي فِي عِنْدِ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَمِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

- (٤١) يا صاحبي السجن أما أحدكما - الساقى - فيخرج من السجن فيسقي سيده خمرا على عادته، وأما الآخر فيخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه، هذا تأويل رؤياكما، تم الأمر الذي سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.
- (٤٢) وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكر حالي عند الملك كي يخلصني، فأنساه الشيطان أن يذكره لربه، فمكث يوسف في السجن بضع سنين.
- (٤٣) وقال ملك مصر إني رأيت في المنام سبع بقرات سمان يتلعهن سبع من البقر عجاف، وسبع سنبلات خضر وسبع سنبلات يابسات قد التوت على الخضر وعلت عليها، يا أيها الملأ بينوا لي تعبيرها إن كنتم للرؤيا تعبرون.
- (٤٤) قالوا: هذه أخلط أحلام باطلة، وما نحن بتفسير الأحلام الباطلة عالمين.
- (٤٥) وقال الذي نجا منهما وتذكر - بعد مدة طويلة أنا أخبركم به عن عنده تعبيره فابعثوني إليه لأسأله.
- (٤٦) فأرسلوه إلى يوسف، فأتاه فقال أيها الصديق، أفنتا في رؤيا سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الملك وأصحابه لعلهم يعلمون تعبيرها.
- (٤٧) قال ازرعوا سبع سنين متتابعة - وهي تأويل السبع السمان - فما حصدتم فاتركوه في سنبله لئلا يفسد إلا قليلا مما تأكلون فادرسوه.
- (٤٨) ثم يأتي من بعد السبع المخصبات سبع مجدبات صعب - وهي تأويل السبع العجاف - تأكلون فيهن ما حصدتم من الحبوب في السنين المخصبات إلا قليلا مما تدخرون.

٤٧ ثبت علمياً أن تخزين الحبوب وهي في سنابلها هو أحسن أسلوب للحفاظ عليها كي لا ينال منها الزمن لأن البذور في هذه الحالة تكون قد فقدت كمية مهمة من الماء وأصبحت جافة مع مرور الوقت. فإذا قارناها بالبذور التي عزلت من سنابلها وجدنا أن البذور التي تبقى محفوظة في السنابل تبقى كمية البروتينات والسكريات العامة فيها بدون تغيير أو نقصان وتقاوم الفطريات والحشرات، في حين أن البذور التي عزلت من السنابل تقلصت كمية بروتيناتها (٣٢٪) مع مرور سنتين، أما بعد سنة فتقلص (٢٠٪) كما تطرأ تغيرات أخرى. وقد مكنت دراسة هذا الجانب من معرفة مزايا فيسيولوجية وسرعة النمو وضعف الشدة التنفسية لدى الحبوب المخزونة في سنابلها، وهذا يمكنها من المحافظة على طاقتها كليا بدون نقصان.

وهذه النتائج مصداق ما دلت عليه الآية الكريمة من أن إبقاء الحبوب في السنابل هو التصرف المناسب لأحسن التقنيات في مجال الزراعة والاقتصاد.



﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصُرُونَ ﴾ (٤٩) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عُلِّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنِّ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونَنِي ﴿٦٠﴾ قَالُوا اسْزُودْ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿

ذو مكانة ومنزلة مؤتمن على كل شيء.

(٥٥) قال يوسف ولني أمر أرض مصر إني حفيظ لها، عليم بوجوه التصرف.

(٥٦) وكانعامنا عليه بالخلاص من السجن مكانا له في أرض مصر ينزل منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين بل نوفي أجورهم عاجلاً وأجلاً.

(٥٧) ولأجر الآخرة خير - للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والمعاصي.

(٥٨) وجاء إخوة يوسف ليمتاروا فدخلوا عليه فعرف أنهم إخوته وهم لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه.

(٥٩) ولما وفى لهم كيلهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم لأعلم صدقكم فيما قلتم، ألا ترون أنني أتم الكيل من غير بخس. وأنا خير المنزلين وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

(٦٠) فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم ولا تدخلوا ديارى.

(٦١) قالوا سنجتهد في طلبه من أبيه وإننا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه.

(٦٢) وقال لغلمانة الكياليين: اجعلوا بضاعتهم التي اشتروا بها الطعام في رحالهم، لكي يعرفوها إذا رجعوا إلى أهلهم وفتحوا أو عيبتهم لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع.

(٤٩) ثم يأتي من بعد السبع المجذبات عام فيه يغاث الناس بالمطر وفيه يعصرون العنب والزيتون وغيرها لكثرة الثمار والفواكه.

(٥٠) وقال الملك لما جاءه الرسول وأخبره بتأويل الرؤيا ائتوني بالذي عبرها، فلما جاء الرسول إلى يوسف وطلبه للخروج، قال ارجع إلى سيدك فاسأله ما حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن سيدي بكيدهن عليم فرجع فأخبر الملك فجمعهن.

(٥١) قال الملك لهن: ما شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا إليكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن ظهر الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله: هي راودتني عن نفسي فأخبر يوسف بذلك.

(٥٢) فقال يوسف طلبت البراءة ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله وهو غائب، إن الله لا ينفذ كيد الخائنين.

(٥٣) ثم قال يوسف في تواضع لله لا أنزه نفسي إعجابا بحالي، بل أردت إظهار ما أنعم الله على من العصمة، إن النفس بطبعها كثيرة الأمر بالسوء، إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك إن ربي يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة.

(٥٤) وقال الملك ائتوني به أجعله خالصاً لنفسي، فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء، قال إنك اليوم لدينا

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ آخَانًا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَأَتَدَخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدَ وَأَدْخُلُوا مِن آبُوبٍ مُتَّفَرِّقَةً وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَنَهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْنَاهُمْ مَآذًا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَآ جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ ۞

رأي يعقوب واتباعهم له شيئاً مما قضاه الله عليهم، ولكن شفقة في يعقوب أظهرها، وإنه لذو علم لتعليمنا إياه، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون إلهام الله لأصفيائه.

(٦٣) ولما دخلوا على يوسف ضم إليه أخاه، قال إني أنا أخوك فلا تحزن بما كانوا يعملون في حقنا فيما مضى.

(٦٤) فلما جهزهم وحمل لهم الطعام، أمر بعض فتياينه أن يضع السقاية - إناء من فضة يكيل للناس به - في رحل أخيه دون أن يشعر ثم نادى مناد بينهم أيتها العير إنكم لسارقون.

(٦٥) قالوا ملتفتين إلى المنادي: أي شيء ضاع منكم.

(٦٦) قالوا نفقد مكيال الملك الذي يكيل به ولمن جاء به حمل بعير من الطعام وأنا بالحمل كفييل أؤديه إلى من جاء به.

(٦٧) قالوا مقسمين بالله لقد علمتم من حالتنا أننا ما جئنا لنفسد في الأرض وما سرقنا قط.

(٦٨) قال المنادي وأصحابه فما جزاء السارق إن كنتم كاذبين في جحودكم وادعاءكم البراءة منه ووجد لديكم.

(٦٩) قالوا أخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير - وكان حكم السارق في عهد يعقوب أن يسترق سنة - كذلك الجزاء نجزي الظالمين بالسرقه.

(٦٣) فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا حكم بمنع الكيل عنا بعد هذا إن لم نذهب بأخي. فأرسل معنا أخانا نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه، وإننا له لحافظون من أن يناله مكروه.

(٦٤) قال ما أمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل وقد فعلتم به ما فعلتم فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يمن بحفظه.

(٦٥) ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا وهذه بضاعتنا ردت إلينا، ونأتني بالميرة لأهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير لأخيها ذلك مكيل قليل لا يكفيها.

(٦٦) قال لن أرسله معكم حتى تعطوني عهدا من الله بأن تحلفوا لتأتنني به إلا أن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك، فلما أتوه عهدهم بذلك، قال الله على ما نقول رقيب مطلع، وأرسله معهم.

(٦٧) وقال يعقوب يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة لئلا تصيبكم العين، وما أذع عنكم بقولي ذلك من قدر الله شيئاً، ما الحكم إلا لله وحده به وثقت، وعليه فليتكول المتوكلون.

(٦٨) ولما دخلوا كما أمرهم أبوهم متفرقين، ما كان يغني عنهم



﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُّوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَطَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمَنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُّوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُّوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

أبي في الرجوع أو يقضي الله لي بخلاص أخي منها وهو أعدل الحاكمين؛ لأن حكمه لا يكون إلا بالحق.

(٨١) ارجعوا إلى أبيكم فقولوا: يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا عليه إلا بما علمنا يقينا من مشاهدة الصاع في رحله وما علمنا في الغيب أنه يسرق ولو علمنا لم نأخذه.

(٨٢) وأسأل أهل القرية التي كنا فيها وأصحاب القافلة التي جئنا فيها عن صدقنا وأمانتنا فيما أخبرناك به.

(٨٣) قال: بل زينت لكم أنفسكم أمرا ففعلتموه، فحالي على ما نالني من فقدته صبر جميل لا جزع فيه ولا شكاية لأحد، بل أشكو إلى الله وحده وأعلق رجائي به. عسى الله أن يأتي بيوسف وأخويه جميعا إنه هو العليم بحالي الحكيم في صنعه.

(٨٤) وأعرض عنهم وقال: يا حزني على يوسف وبيضت عيناه من البكاء عليه فهو مغموم مكروب لا يظهر كربته.

(٨٥) قالوا تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون مشرفا على الهلاك لطول مرضك أو تكون من الموتى.

(٨٦) قال لهم إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إلى غيره فهو الذي ترفع الشكوى إليه وأعلم من الله ما لا تعلمون من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

(٧٦) فبدأ بأوعيتهم ففتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرج السقاية من وعاء أخيه، مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بأن علمناه إياه وأوحينا به إليه، ما كان ليأخذ أخاه في دين ملك مصر - لأن دينه الضرب وتعريم ضعف ما سرق - إلا بمشيئة الله وإذنه فيه بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم، نرفع درجات من نشاء في العلم كيوسف، وفوق كل ذي علم من المخلوقين عليم أعلم منه.

(٧٧) قالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرنا يوسف في نفسه ولم يظهرها لهم وقال في نفسه أنتم شر منزلة في السرقة من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له، والله عالم ما تذكرون من أمره.

(٧٨) قالوا مستعطفين: يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه فخذ أحدنا على وجه الضمان والرهن، إنا نراك من المحسنين في أفعالك.

(٧٩) قال نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إن أخذنا بدله ظللنا.

(٨٠) فلما يتسوا من يوسف وإجابته إياهم، انفردوا واعتزلوا متناجين، قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً وثيقاً من الله لتردنه إليه، ومن قبل هذا ضيعتم يوسف، فلن أفارق أرض مصر. حتى يأذن لي

﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَحَسَسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾
 فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَنَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي
 الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْ نَتُوكَ لِأَنَّ يَوْسُفَ قَالَ
 أَنَا يَوْسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتِّقٍ وَيَصِيرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا
 تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا
 فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾
 فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا بَانَا
 اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ ۞

- (٨٧) يا بني اذهبوا إلي الأرض التي تركتم بها أخويكم فتعرّفوا خبرهما وتطلبوه، ولا تقنطوا من رحمة الله ومن فرجه وتنفيسه فلا يبأس من من رُوح الله إلا القوم الكافرون لجلههم بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.
- (٨٨) فلما دخلوا على يوسف قالوا - يا أيها العزيز - أصابنا وأهلنا الجوع وجئنا ببضاعة مدفوعة يدفعها كل من رآها لردائها وكانت دراهم زيوفا أو من طعام البادية، فأتم لنا الكيل وتصدق علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا، إن الله يثيب المتصدقين فرق لهم وأدركته الرحمة.
- (٨٩) قال لهم لائما ومحرضاً على التوبة: هل علمتم ما فعلتم بيوسف من الضرب والبيع والحرمان من والده وما فعلتم بأخيه من إذلال إذ أنتم جاهلون سوء عاقبة ما أقدمتم عليه.
- (٩٠) قالوا: لأنت يوسف، قال أنا يوسف وهذا أخي قد أنعم الله علينا بالسلامة والكرامة والاجتماع، إنه من يتق الله ويصبر على ما يناله فهو من المحسنين، والله لا يضيع أجر المحسنين.
- (٩١) قالوا تالله لقد اختارك الله علينا بحسن الصورة وكمال السيرة، إنا كنا مذنبين بما فعلنا معك.
- (٩٢) قال لا عتب ولا تأنيب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.
- (٩٣) اذهبوا بقميصي هذا؛ فألقوه على وجه أبي يرجع ذا بصر. وأتوني أنتم وأبي بنسائكم وذرايكم ومواليكم.
- (٩٤) ولما فصلت القافلة من مصر وخرجت من عمرانها، قال يعقوب عليه السلام لمن حضره: إني لأجد ريح يوسف، لولا أن تتسبوني إلى نقصان عقل يحدث من الكبر لصدقتموني.
- (٩٥) قال الحاضرون تالله إنك لفي خطئك القديم لإفراطك في محبة يوسف وإكثار ذكره وتوقع لقائه على بعد العهد به.
- (٩٦) فلما جاء البشير بالقميص وألقاه على وجهه رجع بصيراً، قال ألم أقل لكم: إني أعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام، وإنزال الفرج.
- (٩٧) قال إخوة يوسف معترفين بذنبهم: يا أبانا اطلب لنا من الله غفران ذنوبنا إنا كنا مذنبين.

٨٤ البياض الذي يصيب العين أو المياه البيضاء والتي تسمى «الكاتركت» عبارة عن عتامة تحدث لعدسة العين تمنع دخول الضوء جزئياً أو كلياً وذلك حسب درجة العتامة، وللعتامة أسباب عدة من أهمها: الحزن، حيث إن الحزن يؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم وهذا قد يؤدي إلى عتامة العين، ولعل أبيضاض عيني سيدنا يعقوب عليه السلام حصلت من هذا الجانب، وواضح أن هذا التعليل العلمي لتلك الظاهرة كان مجهولاً لدى الناس في عصر التنزيل حيث لم تتم معرفة آلية ذلك إلا في القرن العشرين.



﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبُويهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُويهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْتُ رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

- (٩٨) قال يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم. (١٠٤) وما تسألهم على تبليغ القرآن من جعل كما يفعله حملة الأخبار، ما القرآن إلا عظة من الله تعالى للعالمين عامة.
- (٩٩) فلما دخلوا على يوسف في مضاربه المعدة للاستقبال خارج البلد ضم إليه أباه وأمه واعتنقتهما وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمين.
- (١٠٠) فلما دخلوا عليه أجلسهما على سرير الملك، وانحني أبواه بين يديه انحناء تحية وإكرام له، وقال: يا أبتى هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن إلي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البادية من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم بخلقه، الحكيم في صنعه.
- (١٠١) دعا يوسف ربه قائلا: ربي قد أتيتني بعض ملك مصر وعلمتني من تعبير الرؤيا، خالق السماوات والأرض ومبدعهما، أنت ناصرى ومتولي أمري في الدنيا والآخرة اقبضني إليك وألحقني بالصالحين من آبائي.
- (١٠٢) ذلك المذكور من قصة يوسف وإخوته من أخبار ما غاب عنك - أيها الرسول - لم تعرفه إلا بالوحي لأنك لم تحضر إخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في قعر البئر، وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم.
- (١٠٣) وما أكثر الناس ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات لهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر.
- (١٠٤) وما يؤمن أكثرهم حين يقرون بوجود الله وأنه الخالق الرازق إلا وهم مشركون به بعبادة الأصنام، أو نسبة الولد إليه تعالى أو باتخاذ الأخبار أرباباً ونحو ذلك.
- (١٠٧) أفأمنوا أن تأتيهم عقوبة تغشاهم وتشملهم، أو تأتيهم الساعة فجأة من غير علامة سابقة وهم لا يشعرون بإتيانها فيستعدوا لها.
- (١٠٨) قل - أيها الرسول - هذه سبيلي: الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد، أدعوا إلى الله على حجة واضحة أنا ومن اتبعني وأنزهه تعالى تنزيها عن الشركاء.
- (١٠٩) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحي إليهم من الأمصار، أفلم يسر أهل مكة في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة أمر من قبلهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم، والآخرة خير للذين اتقوا الله أفلا تعقلون يا أهل مكة هذا فتونوا.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

ما كان القرآن حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب السابقة، وتفصيل ما يحتاج إليه في الدين، وهدى من الضلال، ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يصدقونه.

(١١٠) حتى إذا يسس الرسل وأيقنوا أنهم قد كذبوا تكذيباً لا إيمان بعده جاءهم نصرنا فنجى من نشاءنجاته، ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين إذا نزل بهم.

(١١١) لقد كان في قصص الأنبياء وأمرهم عظة لذوي العقول،

سورة الرعد

﴿ الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَةِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِدٍ وَنُفُضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

يغطي الليل بظلمته النهار، إن في المذكور دلالات على وحدانيته تعالى لقوم يتفكرون في صنع الله.

(٤) وفي الأرض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة، وبعضها رخوة وبعضها صلبة، وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها تصلح للشجر دون الزرع، وبساتين فيها أنواع الأشجار والزرع، وجنات من أعناب وزرع ونخيل أصلها واحد، ومختلفات الأصول، تسقى الجنات وما فيها بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل فمن حلو وحامض إن في ذلك المذكور دلالات على قدرته تعالى لقوم يتدبرون.

(١) المر سبق الحديث على نظائرها في أول سورة البقرة، هذه آيات القرآن، والذي أنزل إليك من ربك الحق لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله تعالى.

(٢) الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش استواء يليق به وذل الشمس والقمر كل منهما يجري في فلكه إلى يوم القيامة، يقضي أمر ملكه، يبين دلالات قدرته، لعلمكم بالبعث توفنون.

(٣) وهو الذي بسط الأرض وخلق فيها جبالاً ثوابت وأنهاراً، ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين من كل نوع،



٢ رفع السموات

أخبر الله سبحانه أنه رفع السماء بغير عمد ترونها. فرفع السماء جاء بقوى أربعة معروفة لدى علماء الفلك وهم: قوة الجاذبية، والقوة الكهرومغناطيسية، والقوة النووية القوية، والقوة النووية الضعيفة. فهؤلاء القوى غير المرئية رفعت السماء، حيث بسببها تشكلت النجوم وتكونت المجرات، وسار كل جرم في موقعه وفي مداره، فبهم أصبح الكون قائم. كما أن الألية الكريمة أشارت إلى أن بقاء السماء مرفوعة وقائمة «بغير عمد ترونها» حيث يحتمل معنيين، الأول أن العمدة موجودة لكنها لا ترى، وكما هو الحال في وجود القوى سالفة الذكر. كما تحتمل أنها رفعت بغير العمدة أصلاً، أي بدون تأثيراتها. وهو ما يتطلب حركة ونشأت الأجرام السماوية التي خلقت أصلاً بالقوى الأربع سالفة الذكر في اتزان بين القوى المختلفة، فلا هذا يؤثر فيها ولا ذاك يؤثر فيها، فيحیی في اتزان بين القوى المختلفة. فالأجرام السماوية كالنجوم مثلاً يبقى بقاءها حية نتيجة اتزان النجوم بين قوتين رئيسيتين وهما قوة الجاذبية معالضغط الحراري والإشعاع الناتج عن الاندماجات النووية التي تحدث بباطن النجم، فلا النجم ينسحق على نفسه، ولا تهرب مواده إلى الفضاء فتتأثر أجزائه، فيبقى النجم على حاله حياً. كما تتحرك الأجرام السماوية باتزان في أفلاكها بين تأثير قوى متعددة، أهمها جاذبية الجسم الذي تدور حوله، وقوى الطرد المركزي. فيسبح الجرم السماوي في فلكه أو مداره في اتزان بين قوى متعددة، فلا هذا يؤثر فيه فيجذبه إليه ولا ذاك يؤثر فيه فيجذبه إليه. فتتلاشى تأثيراتهم جميعاً عليه، فيتحرك بغير عمد أصلاً. وبذلك عقب القرآن بقوله «وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى»، فتظل الأجرام تسبح في أفلاكها إلى أن يشاء الله.

فسبحان الله الذي وصف لنا بدقة وببلاغة وغاية في الفصاحة وبكلمات قليلات أن السماء مرفوعة بوجود عمد غير مرئية، وهذه العمدة تلاشي بعضها بعضاً، فيستقيم الكون بلا عمد أصلاً، فلولاها ما بقي الكون. وبذات المعنى قال تعالى: «والى السماء كيف رفعت» (الغاشية: ١٨).

٣ مد الأرض

فسر العلماء مد الأرض قديماً بأنها واسعة وهذا معنى تحتمله الآية؛ ولكن لدى تدقيق النظر نجد أنها تحتمل كذلك: أننا أينما سرنا فوق الأرض وفي أي اتجاه وجدناها ممتدة أمامنا سواء أكانا في القطب الشمالي أو الجنوبي أم غيره، وهذا يلزم منه أنها كروية الشكل، وبما أننا أينما سرنا نجد السماء فوقنا في كل مكان: فاللازم من ذلك أنها كروية كذلك، وهكذا فإن دائرة معارفنا عن الكون قد توسعت عما كانت عليه سابقاً بما يسر الله للإنسان من وسائل وطرائق علمية مكنته من تلك المعرفة. فكلمة (مد) تعني أيضاً أنها لا حد لها فهي ليس لها حافة ولا حد، وهذا ما لا ينطبق إلا على الكرة لا على الاسطوانة ولا على المكعب ولا غيرهما من الأشكال الهندسية، فسبحان من ليس ككلامه كلام.

وجعل فيها رواسي

وضع المولى عز وجل في مواضع عديده في آياتها أن تكوين الجبال يكون بإحدى الطريقتين:

(١) إما الإلقاء:

قال تعالى في سورة الحجر: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونًا﴾ (١٩) وفي سورة ق: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧)، وفي سورة النحل: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وسورة لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

وهذا ما وضعه علم الجيولوجيا بأن نظريات تكوين الجبال ليست واحدة. فتتكون الجبال البركانية عادة بعمليات إلقاء للطفوح البركانية والبراكين وتكثر عند الحدود الفاصلة بين تلك الألواح الأرضية خاصة عند حدود التباعد بينها، ومعظم هذه البراكين تلقي بحمها من أسفل إلى أعلى وتظل تلك الحمم تتراكم فوق بعضها البعض لتكون كتلا جبلية معزولة من الصخور البركانية تصل ارتفاعاتها إلى آلاف الأمتار فوق مستوى سطح البحر.

(٢) وإما الجعل:

كما قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢١) وسورة المرسلات: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ (٢٧). وسورة الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

ولقد أشار علم الجيولوجيا بأن حركة ألواح الغلاف الصخري للأرض تلعب دوراً مهماً في عملية بناء السلاسل والمنظومات الجبلية الشديدة الطي والتكسر، فعند اصطدام لوحين من ألواح الغلاف الصخري في بعض مناطق اندساس ما بين القارات مثل مناطق غرب

أمريكا الجنوبية وسلسلة جبال كاسكاد (كاسكيدرينج) غرب الولايات المتحدة اندسّ الغلاف الصخري المحيطي الأكثر كثافة تحت أطراف القارة الأقل كثافة. وفي بعض مناطق الاندساس الأخرى مثل جبال الأنديز في أمريكا الجنوبية وجزر ألوشيان وجزر ماريانا وقوس الجزر اليابانية، انزلقت القشرة الأرضية الأقدم والأبرد والأكثر كثافة تحت قشرة أرضية أقل كثافة. وقد تنفلق تلك الأحواض المحيطية في المناطق الحدودية بين القارات مثل جبال الهيمالايا والألب التي نتجت عن تصادم الأغلفة الصخرية القارية الجرانيتية التي لا يمكنها الاندساس تحت بعضها البعض، مما تسبب في انضغاط أطراف الصفائح وانطوائها لتتكون تلك الجبال.

وأخيراً :

كثيراً ما يطلق على الجبال تسمية المستودعات الطبيعية للمياه، حيث ينزل ماء المطر على الجبال فيجتمع في الوديان فينسب في مَجَار تسمى الأنهار. كما تعترض التكوينات الجبلية حركة الهواء حول الكرة الأرضية وتجبره على الصعود إلى أعلى حيث يتكثف كغيوم، تسقط على هيئة أمطار وتلوح فتجري منه العيون الغزيرة التي تتجمع منها الأنهار، ويجعلها الله عز وجل تسير شرقاً أو غرباً أو جنوباً أو شمالاً، بحسب مصالح العباد. كما تساهم الجبال في تصفية وتنقية المياه، بسبب الطبقات المتعددة فيها، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِي شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴾ (المرسلات الآية: ٢٧).

ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين :

تشير الآية الكريمة بأنه داخل كل ثمرة يوجد زوجين وهذا يعني أن بداخل كل ثمرة زوج مذكر وآخر مؤنث من النوع الواحد من النبات ولم يتم اكتشاف ذلك إلا بعد عام ١٧٢٩م. ومما يؤكد ذلك أن ثمرة النبات لكي تتكون لأبد من اتحاد حبوب اللقاح والتي تأتي من النبات الذكر مع البويضة والتي توجد في النبات الأنثى. وهناك أنواع من النبات نجد فيها أن الذكر والأنثى على نباتين منفصلين عن بعضهما البعض، وأنواع من النبات يوجد فيها كل من الذكر والأنثى على نفس نوع النبات ويسمى نبات خنثى. ويتم تلقيح النبات وذلك باتحاد نواة حبة اللقاح والتي تأتي من زوج النبات المذكر مع نواة البويضة والتي توجد في زوج النبات المؤنث وينتج عنهما تكون الثمرة لذلك فكل ثمرة احتوت على زوجين. ويتم التلقيح في النباتات عن طريق انتقال حبوب اللقاح من النبات المذكر الى بويضة النبات المؤنث بواسطة الرياح والماء والحشرات والتي تنجذب الى اللون النباتات ورائحتها فتذهب لتأخذ رحيق النباتات واثاء دخولها الى مبيض الزهرة فإنها تنقل حبوب اللقاح التي تلتصق بارجلها واجسامها وفهما الى مبيض الزهرة في النبات الأنثى فتتكون الثمرة. أفليس هذا عجبا يلفت أنظار ذوي البصائر الى وحدانية المبدع جل في علاه.

ينشي الليل النهار :

سبق الكلام عن هذه الظاهرة الكونية لدى بياننا للآية الكريمة من سورة الأعراف رقم (٥٤).

❖ وفي الأرض قطع متجاورات :

اكتشف العلماء في العقود الثلاثة الماضية أن أرضنا محاطة بشبكة هائلة من تلك الأودية العملاقة التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة يشبهها العلماء باللحام على كرة التنس، وتمتد هذه الصدوع العملاقة لآلاف الكيلومترات في جميع الاتجاهات بأعماق تتراوح بين (٦٥، ٧٠) كم تحت قيعان كل المحيطات والقيعان في عدد من البحار، وبين (١٠٠، ١٥٠) كم تحت القارات ممزقة الغلاف الصخري للأرض بالكامل إلى عدد من الألواح التي تعرف باسم ألواح الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتطفو هذه الألواح الصخرية فوق نطاق الضعف الأرضي، وهو نطاق شبه منصهر عالي الكثافة (اللزوجة). والصدوع تلعب أدواراً مهمة في تكوين كل التوءات والخسوف الأرضية والينابيع المائية، وبعض المكامن البترولية، كما تعين عمليات التعرية المختلفة في شق الفجج والسيل، وفي تكوين الأودية والمجاري المائية، وفي عمليات التعرية وتسوية سطح الأرض، وما يستتبعه ذلك من تكوين التربة والرسوبيات والصخور الرسوبية وما بها من الثروات الأرضية، وكما تكون الصدوع عاملاً من عوامل الهدم على سطح الأرض فإنها قد تكون عاملاً من عوامل البناء تبني الجبال والتلال والهضاب كما تبني الأحواض والأخوار والخسوف الأرضية.

وهكذا نرى أن القرآن الكريم في تركيزه على أنواع من المحاصيل التي يعرفها العرب مثل الرمان والزعر والعنب والزيتون والنخيل، وهي إضافات مقاومة للظروف المناخية الصعبة، وتتلاءم مع مختلف أصناف التربة، وقد حضر الهمم لتطوير أساليب العناية بها، فإذا ما فعل الناس ذلك حققوا ناتجاً مطوراً، وازدهرت عندهم الحياة الزراعية مما نلاحظ أمثلة له في زمننا هذا نتيجة تطبيق المعارف العلمية على الزراعة. كل ذلك يستهز العقل ويحفزه ليصل بعد هذا التحليل العلمي إلى القضية العظمى والتي تجلت في منهجية القرآن في الاستدلال على الأمور الغيبية بالمشاهدات.

ها نحن نرى هذه المنهجية تتجلى من جديد في جعل علم النبات والزراعة وكيفية حياة تلك المزروعات بعد أن كانت ميتة دليلاً على قدرة الله في إحياء الموتى بعد أن صارت أجساد أصحابها تراباً ورميماً.



﴿ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٌ جَدِيدٌ ۖ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِإِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ۝ ﴾

- (٥) وإن تعجب - أيها الرسول - من تكذيب الكفار لك فحقيق بالعجب قولهم - منكرين للبعث - إذا كنا ترابا إنا لفي خلق جديد ؛ لأن القادر على إنشاء الخلق على غير مثال قادر على إعادتهم ، أولئك الذين كفروا بربهم لأنهم كفروا بقدرته على البعث ، وأولئك الأغلال في أعناقهم يوم القيامة لا يرجى خلاصهم ، وأولئك أصحاب النار لا ينفكون عنها ، وهم فيها خالدون .
- (٦) ويستعجلونك بالعذاب قبل الرحمة وقد خلت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها؟ وإن ربك لذو مغفرة للناس مع ظلمهم وإلا لم يترك على ظهرها دابة وإن ربك لشديد العقاب لمن عصاه.
- (٧) ويقول الذين كفروا مقترحين نزول آية على رسول الله من ربه، إنما أنت منذر- أيها الرسول - وليس عليك أن تأتيهم بآية فإنما ينزلها الله إذا شاء، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر .
- (٨) الله يعلم ما تحمل كل أنثى ذكرا أو أنثى وما تنقص الأرحام من مدة الحمل وما تزداد منه، وكل شيء عنده بقدر وحد لا يتجاوز.
- (٩) عالم الغائب عن الحس وعالم الحاضر ، العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء ، المستعلي على كل شيء بقدرته.

الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ...

أ) ما تحمل: جاءت كلمة « أنثى » نكرة والنكرة في سياق الكلام تفيد العموم أي كل أنثى من الإنسان والحيوان، ونجد أن مدة الحمل تختلف في النساء بين الزيادة والنقصان عن تسعة أشهر ، بينما في الحيوانات فإنها تختلف من نوع إلى نوع ومن صنف إلى صنف فمثلا في الماشية نجد مدة الحمل في الأبقار تسعة أشهر ونصف بينما في الجاموس فهي عشرة أشهر وعشرة أيام ، وفي كل من النعاج والماعز حمسة أشهر وهي في الخيول إحدى عشر شهرا وفي النوق ثلاثة عشر شهرا ، وفي الأرناب شهرا واحدا وفي الكلاب، ٦٣ يوما بينما في القطط ٥٥ يوما، وفي الخنازير ١١٤ يوما وفي كل نوع من هذه الحيوانات نجد أن مدة الحمل قد تنقص أو تزيد بأيام ولا يعلم زيادتها أو نقصانها إلا الله سبحانه وتعالى.

ب) يطلق الغيظ في اللغة على النقص والغور والذهاب والنضوب ، وهو ما يتطابق مع الحقيقة العلمية التي بينت أن غيظ الأرحام هو السقوط الناقص للأجنة قبل تمام خلقها ، أو هو ما تفسده الأرحام فتجعله كالماء الذي تبتلعه الأرض ، أو هو هلاك الحمل أو تضاوله أو اضمحلاله ، وهو ما يسمى بالسقوط التلقائي المبكر للأجنة حينما تهلك ويلفظها الرحم أو تغور فتختفي تماما من داخله ، وهذا مما لا يعلمه إلا الله .

وأن علم (ما تغيض الأرحام وما تزداد) علم مستحيل على البشر ، وغاية ما نستطيع أن نعلمه أن الرحم يغيض ويزداد ولكن متى يغيض وبماذا يزداد في كل لحظة فهذا هو العلم المستحيل بعينه وممرده إلى الله .

وكذا علم كمية ما يصل للجنين وما يصدر عنه في كل لحظة وتعميم هذا العلم على كل أرحام المخلوقات فهو ما استأثر به الله تعالى لنفسه وهو علم مستحيل على أي أحد من خلقه بل يستحيل على البشر مجتمعين .

إن الله تعالى يشير بإعجاز إلى أنه من غير الممكن أن يتمكن أحد من القيام بهذه الحسابات المعقدة والدقيقة لأي رحم من الأرحام ... فكيف بكل الأرحام ... فهذا أيضا علم استأثر الله تعالى به لنفسه

﴿ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (١٠) لَهُ، مَعَقَبَتْ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ، مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ، دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ، وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾

يخاضمون النبي في الله وهو شديد القوة والأخذ للأعداء.

(١٠) سواء أسر أحدكم القول أو جهر به فإن الله يسمعه، وسواء من هو مستتر بظلام الليل أو ظاهر في طريقه فإن الله مطلع عليه.

(١٤) له الدعاء الحق فإنه الذي يحق أن يعبد ويدعى دون سواه، والأصنام الذين يدعوهم المشركون، لا يستجيبون من مطالبهم إلا استجابة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء يطلب منه أن يبلغه فمعه ليشرب منه هو وبالغ؛ لأنه لا يشعر بدعائه ولا يقدر على إجابته، وما دعاء الكافرين إلا في ضياع وخسار.

(١١) للإنسان ملائكة تتعقبه من أمامه ومن ورائه يحفظونه بأمر الله، إن الله لا يسلب نعمته عن قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم بالمعصية، وإذا أراد الله بقوم عذابا فلا مرد له لا من المعقبات ولا من غيرها، وما لمن أراد الله بهم سوءا من وال يمنعه عنهم.

(١٥) والله يسجد من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الثقلين، طوعاً لمن أسلم ورضي وكرها لمن كره وسخط، وتسجد ظلّالهم بكرة وعشيا، انقيادا لمشية الله سبحانه وتعالى.

(١٢) هو الذي يريكم البرق خوفا للمسافر من أذاه، وطمعا للمقيم يرجو بركته ومنفعته، ويخلق السحاب الثقال الممتلئة بالمطر. (١٣) ويسبغ الرعد متلبسا بحمده، وتسبغ الملائكة من خوفه، ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فتحرقه، والكفار

١٢ يقرر علماء الأرصاد الجوية أن الغيمة تكون دائماً مشحونة كهربائياً وتكون فيها شحنات موجبة وشحنات سالبة، وأسفلها سالبة الشحنة، وعند انطلاق شعاع البرق من أسفل الغيمة وتكون شحنة سالبة باتجاه المرتفعات في الأرض ذات الشحنة الموجبة تلتقي الشحنات المتعاكسة ويحدث الصدام، وينطلق شعاع البرق بسرعة تصل إلى سرعة هائلة، ولا يحدث البرق إلا في حالة الغيوم الركامية الثقيلة وكذلك بين السحاب بينه وبين بعض، ولذلك قال تعالى: (وينشئ السحاب الثقال)، فهناك علاقة بين السحاب الثقيل (الركامي) وبين البرق؛ ولذلك نستنتج من خلال الآية الكريمة أن القرآن الكريم تحدث عن البرق وربط حدوث هذه الظاهرة بنزول المطر الغزير ﴿ وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها... ﴾ (الروم: ٢٤). وربط كذلك بين البرق وبين الغيوم الثقيلة (هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعا وينشئ السحاب الثقال) وهذا ما أثبتته علماء الأرصاد الجوية حديثاً. فسبحان من أرانا في هذا الكون الشواهد الدامغة التي تكسبنا اليقين بصدق سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

١٣ ويسبغ الرعد بحمده ويرسل الصواعق :

الصاعقة تحدث عندما يكون التفريغ الكهربائي بين أسفل السحابة ذات الشحنات السالبة مع الشحنات الموجبة على سطح الأرض وما عليه من أجسام مما يؤدي إلى حدوث وميض يمتد من الأرض إلى أعلى يسمى بالبرق، كما أن هذا الضوء يعقبه صوت عالي قادم من السماء وهو ما يسمى بالرعد، ومن الممكن أن يحدث البرق داخل السحابة نفسها، أو بين سحابتين، أو بين سحابة والأرض، وتؤدي الصاعقة هنا إلى تسخين الهواء إلى درجة حرارة أكبر من درجة حرارة الشمس، فيتمدد الهواء في الجو مما يحدث انفجاراً، والتي تبدأ بموجة صاعقة ثم تصبح موجة صوتية يمكن للذن البشرية سماعها.



﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ سَوَوْنِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ۞ .

(١٦) اسألهم - أيها الرسول- من رب السماوات والأرض؟ (١٧) أنزل تعالى من السحاب مطرا فسالت أودية بملئها فاحتمل قل الله إن لم يقولوه هم، قل لهم أفتأخذتم غيره تعالى معبودات تعبدونها لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا وتركتهم مالكمهما؟ قل هل يستوي الكافر والمؤمن أم هل يستوي الكفر والإيمان؟ أم اتخذوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه عليهم خلق الشركاء مع خلق الله؟ قل الله خالق كل شيء لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة وهو الواحد المتفرد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار لعباده.

(١٧) أنزل تعالى من السحاب مطرا فسالت أودية بملئها فاحتمل السيل زبدا على سطحه، ومما يوقدون عليه في النار من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس طلبا لزينة أو متاع ينتفع به كالأواني زبد مثل زبد السيل ينفيه الكبر، كذلك المذكور يضرب الله مثلا للحق والباطل، فأما الزبد من السيل وما أوقد عليه في النار فيذهب باطلا مرميا به، وأما ما ينفع الناس من الماء والجواهر فيبقى في الأرض، كذلك الباطل يضمحل ويتلاشى وإن علا على الحق في بعض الأوقات والحق ثابت باق، كذلك المذكور يبين الله الأمثال.

١٧ الآية تشتمل على الإشارة إلى كمية المطر الساقط وانسيابه في مجار متعددة ثم تجمعه في حوض واحد ، وهو ما توصل إليه أخيراً العلم الحديث من خلال الحقيقة العلمية المعبر عنها بنظرية الهيدرولوجراف، فقوله تعالى: ﴿ أنزل ﴾ يشير إلى الأساس الأول لهذه الحقيقة ، وهو كون النازل ماءً ، والأساس الثاني أن يمر هذا الماء بمرحلة السيالان (السيح السطحي) وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فسالت ﴾ وهي مرحلة تأتي فور المرحلة الأولى ، ولذا عبر عنها بحرف العطف (الفاء) والتي تقيد الترتيب بدون فاصل زمني، ومن ثم يتحقق الأساس الثالث وهو تشكل المجرى الأخير والذي ينتج من اجتماع كل الماء الذي ورد من تلك الأخاديد التي عبر عنها القرآن بقوله: ﴿أودية﴾. وإن هذه الأودية تحمل من الماء بقدر ما يسقط عليها من المطر. كما أن شكل حوض النهر وتغير ميله ونوع التربة واحتوائه على الصهاريج والبرك له أثر كبير في تحديد مقدار التصريف النهري وكمية المياه الجارية في المجرى النهري خلال فترة زمنية محددة، وهو ما عبرت عنه الآية الكريمة بقوله: (بقدرها) .

فسبحان من وصف كتابه بقوله: ﴿ أحكمت آياته ﴾ . ومن ذلك الإحكام ما حصل من العظة النافعة بذكر ذلك المثل المحسوس للدلالة على الحقيقة التي يدركها العقلاء من خلال الربط بين بداية الآية ونهايتها حيث إن الله سبحانه يرشدنا إلى أن الله الذي أنزل هذا الكتاب ينتفع منه أولو الأبصار ، كما يعمي عن حقائقه زائغو القلوب والأفكار فمثالهم كمثل ذلك الزبد الذي يتشكل نتيجة احتمال السيل الشوائب التي تخالطه، وكذا الزبد الذي يتشكل لدى صهر المعادن .

وهذا المثل فيه إشارات لتعليم الأمة أنه كما أنزل الله تعالى من السماء ماء فقد أنزل شرعة منهاجاً، وكما أن الله تعالى جعل الماء النازل من السماء يحتك بأودية الأرض المختلفة ، فمنها ما تمسك ماء وتبتت كلاً ، ومنها ما تمسك ماء ولا تبتت كلاً ، ومنها ما لا تمسك ماء ولا تبتت كلاً ، فكذا جعل الشرعة والمنهاج حين تحتك بقلوب الخلائق التي منها ما يفقه ويعمل ، ومنها ما يفقه ولا يعمل ومنها ما لا يفقه ولا يعمل ، وكما جعل الله تعالى ناتج احتكاك الماء بالأودية أن تطفو الأوساخ والقاذورات مكونة زبداً وفضاعات هواء كبيرة الحجم خفيفة الوزن منتنة الريح غير ثابتة ولا نافعة سريعة الزوال ، وكذلك عندما يوقد على الحلي النفيسة في النار يخرج منها زبداً أيضاً يكون له ظهور ، كذلك يكون طفولاً لاهل الباطل بأوساخهم على السطح الحياة ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، لكن نتيجة كل هذه التفاعلات فإن الزبد يذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض فلا بقاء للباطل وأهله ، ولن يبقى إلا الحق وأهله ، كذلك يضرب الله الأمثال.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّكَ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَكْثَرُ الْأَكْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَبْرَأَهُمُ اللَّهُ

وتعظيماً لشأنهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من أبواب الجنة للتهنئة.

(٢٤) بشرى لكم بدوام السلامة، ونعم الثواب بصبركم في الدنيا فنعم عقبى الدار عقباكم.

(٢٥) والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، أولئك لهم البعد من رحمة الله، ولهم العاقبة السيئة في الدار الآخرة، جهنم وبئس القرار.

(٢٦) الله يوسع الرزق لمن يشاء ويضيقه على من يشاء، وفرحوا فرح بطر بما نالوه في الحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في جنب حياة الآخرة إلا شيء قليل يتمتع به ويذهب.

(٢٧) ويقول الذين كفروا من أهل مكة هلا أنزل على محمد آية من ربه، قل لهم - أيها الرسول - إن الله يضل من يشاء إضلاله فلا تغني عنه الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه من رجع إليه.

(٢٨) الذين آمنوا وتسكن قلوبهم بذكر الله أنساً به واعتماداً عليه ورجاء فيه، بذكر رحمته بعد القلق من خشيته، ألا بذكر الله تسكن قلوب المؤمنين.

(٢٩) الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصابوا خيراً وطيباً ولهم حسن مآب.

(١٨) للذين أجابوا ربهم بالطاعة الجنة، والذين لم يستجيبوا له وهم الكفار لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من العذاب، أولئك لهم سوء المؤاخذة بكل ما عملوه لا يغفر منه شيء، ومرجعهم جهنم وبئس المستقر.

(١٩) أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق فأمّن به كمن هو أعمى القلب لا يستبصر ولا يستجيب، إنما يتعظ ذوو العقول المبرأة من الوهم.

(٢٠) الذين يوفون بعهد الله المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى، ولا ينقضون ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد.

(٢١) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاتة المؤمنين وغير ذلك، ويخشون وعيد ربهم، ويخافون سوء الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

(٢٢) والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالف الهوى طلباً لرضا الله لا لجزاء وسمعة أو لعرض من أعراض الدنيا، وأقاموا الصلاة المفروضة، وأنفقوا من بعض ما رزقهم الله سرا وعلانية ويدفعون بالحسنة السيئة كالجهد بالحلم والأذى بالصبر أولئك لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة وهي الجنة.

(٢٣) جنات يقيمون فيها هم ومن آمن من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم تبعاً لهم وإن لم يعملوا بعملهم تكراً لهم



﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ءِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِن أُتْبِعَتْ أَهْوَاءُ هُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ ۝

يستحقون العبادة ويستأهلون الشركة، أتخبرون الله بشريك لا يعلمه في الأرض - وهو العالم بكل شيء، أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة، بل زين للذين كفروا كفرهم وصدوا عن طريق الهدى، ومن يخذله الله فماله من هاد يوفقه للهدى.

(٣٤) لهم عذاب في الحياة الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخرة أشد منه، وما لهم من عذاب الله من مانع.

(٣٥) مثل صفة الجنة التي وعد المتقون: ما يؤكل فيها لا يفنى، وظلها دائم لا شمس تزيله، تلك الجنة عاقبة الذين اتقوا الشرك، وعاقبة الذين كفروا النار.

(٣٦) والذين آتيناهم الكتاب من أهل الكتاب الذين أسلموا يفرحون بما أنزل إليك لموافقته ما عندهم، ومن الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها، قل لهم إني أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد الله وأوحده ولا أشرك به إليه أدعوا، وإليه مرجعي للجزاء لا إلى غيره.

(٣٧) ومثل ذلك الإنزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها، أنزلناه يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة، بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه، ولئن اتبعت أهواءهم التي يدعونك إليها، كالإقرار بدينهم والصلاة إلى قبلتهم بعدما حوّلت عنها بعدما جاءك العلم بنسخ ذلك مالك من الله من واق ينصرك وينع العقاب عنك.

(٣٠) كما أرسلنا الأنبياء قبلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناها إليك، وحالهم أنهم يكفرون بالرحمن فلم يشكروا نعمه قل : الرحمن خالقي ومتولي أمري لا مستحق للعبادة سواه، عليه توكلت في نصرتي عليكم وإليه مرجعي فيثبني على مصابرتكم ومجاهدتك.

(٣١) ولو أن كتاباً نقلت به الجبال عن أماكنها أو تصدعت من خشية الله عند قراءته الأرض، أو كلم به الموتى بأن يحيوا لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في التذكير والإنذار، بل لله القدرة على كل شيء فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه، أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان من غير آية، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم من الكفر وسوء الأعمال داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والقحط، أو تحل قريباً من دارهم ليفزعوا منها ويتطير إليهم شررها، حتى يأتي وعد الله بالنصر عليهم إن الله لا يخلف الميعاد.

(٣٢) ولقد استهزئت برسول من قبلك كما استهزئت بك فأمهلت للذين كفروا ثم أخذتهم بالعقوبة، فكيف كان عقابي؟ هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك.

(٣٣) أفمن هو رقيب على كل نفس بما عملت من خير وشر وهو الله لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم، كمن ليس كذلك من الأصنام. وجعلوا لله شركاء قل لهم: صفوهم فانظروا هل

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا نُرِيدَنَّ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلْمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾

- (٣٨) وما كان الرسل الذين أرسلناهم قبلك إلا بشراً مثلك ذوي أزواج وذرية. وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم إلا بإذن الله لأنهم عبيد مربوبون ، لكل مدة كتاب مكتوب فيه تحديده.
- (٣٩) ينسخ الله ما يشاء من القرآن والأحكام، ويثبت منها ما يشاء في أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.
- (٤٠) إن أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم فذاك. أو توفيناك قبل ذلك، فما عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم فنحن نكفيك ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضررك تأخره.
- (٤١) أولم يروا إلى دار الحرب نقصها من أطرافها بما نفتحها للمسلمين منها فتزيد دار الإسلام وتنقص دار الكفر، والله يحكم ما يشاء لا راد لحكمه ولا مبطل له، وهو سريع الحساب يحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا.
- (٤٢) وقد مكر الذين من قبلهم بأنبيائهم والمؤمنين فلله المكر جميعا لا يؤبه بمكر دون مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد لها جزاءها، وسيعلم الكفار لمن العاقبة الحسنة، للنبي وأصحابه أم لهم؟
- (٤٣) ويقول الذين كفروا لك لست مرسلا، قل لهم كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على صدقي ومن عنده علم الكتاب من مؤمني أهل الكتاب.

٤١ ونقص الأرض من أطرافها قد يدخل فيه ما يحدث فيها من عوامل التعرية، وأشياء أخرى قد تكتشف ببحوث علمية ستأتي في المستقبل، والله أعلم. وبحركة ألواح الغلاف الصخري الابتدائي للأرض بدأت جزر بركانية في التكون، وبتصادم تلك الجزر تكونت القارة الأم ثم تفتتت إلى العدد الراهن من القارات، واستمر تبادل الأدوار بين اليابسة والماء فتحولت أجزاء من اليابسة إلى بحار، ومن نماذجها المعاصرة البحر الأحمر وخليج كاليفورنيا. وتقول هذه الدراسات: إن الأرض تنقص بالتعرية، فتتفتت كتل الصخور السطحية المرتفعة، ويقل بذلك ارتفاعا تدريجيا، وتتفصل منها الأجزاء السطحية سهلة التفكك، وتبقى منها الأجزاء الصلبة تقاوم عوامل التعرية، لذلك تصير الجبال بعد نشوئها ومرور أحقاب من الزمن عليها صلبة مندمجة وقائمة منتصبة، وقد تتمحي الجبال بالتعرية وتصير أراضي مسبوطة وطيئة.

ويشير القرآن إلى كثير مما ذكره العلماء المعاصرون، مما كان مجهولاً تماماً عند نزول القرآن، وإلى أمور أخرى قد يكتشفها العلماء الباحثون فيما سيأتي من الزمان، فهي مدخرة لهم لكي يجدوا فيها آيات من إعجاز القرآن العلمي، فيؤمنون بالله وبكتابه وبرسوله، أو تكون حجة عليهم عند ربهم يوم لدين.

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّكَتَدُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
 اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
 رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا اللَّهُ
 إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
 أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ
 بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ
 ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّكَ اللَّهُ لَغَفِيٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا
 أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾

- (١) الر: سبق الحديث عن نظائرها في أول سورة البقرة، (٦) واذكر إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم المولودين، ويستحيون نساءكم للخدمة، وفي ذلكم - من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم - ابتلاء عظيم منه.
- (٢) الله المعبود بالحق، العزيز الذي له ما في السماوات وما في الأرض خلقا وملكا، ووعد من عذاب شديد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات إلى النور.
- (٣) الذين يختارون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون الناس عن دين الإسلام، ويغنون السبيل معوجة، أولئك في ضلال بعيد عن الحق.
- (٤) وما أرسلنا من رسول إلا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليفهمهم ما أتى به فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه.
- (٥) ولقد أرسلنا موسى بتسع آيات، وقلنا له: أخرج قومك بني إسرائيل من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذكرهم بوقائع الله التي وقعت على الأمم السابقة، إن في ذلك التذكير لآيات لكل صبار على بلائه وطاعته، شكور لنعمائه.
- (٦) واذكر إذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم المولودين، ويستحيون نساءكم للخدمة، وفي ذلكم - من حيث إنه بإقدار الله إياهم وإمهالهم - ابتلاء عظيم منه.
- (٧) واذكروا حين أعلم ربكم لئن شكرتم نعمتي بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم نعمة إلى نعمة، ولئن جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم عذابا شديدا.
- (٨) وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم، ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير، والله غني عن شكركم، محمود في صنعه، مستوجب للحمد لكثرة نعمه على خلقه.
- (٩) ألم يأتكم خبر الذين من قبلكم قوم نوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله لكثرتهم، جاءتهم رسلهم بالهجة الواضحة على صدقهم، فردوا أيديهم إلى أفواههم ليعضوا عليها من شدة الغيظ، وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به في زعمكم، وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه موقع في الريبة.

﴿ قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَكَ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرَسُولِهِمْ لَنْنُخْرِجَنَّكَ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنْهَلَكَنَّ الزَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنْسُكِّنَنَّكَمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

طاعة الله معاند للحق .

(١٦) من أمامه جهنم يدخلها، ويسقى فيها من قيح مختلط بدم وهو عصارة أهل النار.

(١٧) يتجرعه جرعة بعد جرعة، ولا يكاد يستسيغه لخبثه وكرهته، ويأتيه أسباب الموت لشدة العذاب من أمامه وورائه، وعن يمينه وشماله، ومن فوقه ومن تحت أرجله، وما هو بميت ، ومن وراء ذلك عذاب مؤلم شديد.

(١٨) مثل أعمال الذين كفروا يوم القيامة إذا طلبوا ثوابها من الله تعالى إلا كما يتحصّل من الرماد إذا اشتدت عاصفة به في يوم ذي ريح ، فلا يقدرّون على شيء من أعمالهم التي كسبوها في الدنيا إلا كما يقدرّون على جمع هذا الرماد، ذلك السعي والعمل -على غير أساس، ولا استقامة حتى فقدوا ثوابهم منه وهم أحوج ما كانوا إليه هو الضلال البعيد عن طريق الحق والصواب.

(١٩) ألم تعلم - أيها الرسول- أن الله خلق السماوات والأرض بموازين دقيقة محكمة وفق نظام ثابت مبني على الحكمة، إذا أراد أعدمهم، وخلق خلقاً آخر مكانهم.

(٢٠) وما ذلك على الله بممتنع فإنه قادر، ومن كان هذا شأنه كان حقيقاً بأن يعبد رجاء ثوابه وخوف عقابه.

(١٠) قالت رسلهم - مستنكرين- أفي توحيد الله شك خالق

السماوات والأرض ومبدعهما يدعوكم إلى طاعته؛ ليغفر لكم ذنوبكم، ويمهلكم بلا عذاب إلى أجل الموت، قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تمنعوننا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام، فأتونا بحجة ظاهرة على صدقكم.

(١١) قالت لهم رسلهم ما نحن سوى بشر مثلكم ولكن اختصنا الله بالنبوة والرسالة دون عباده فضلاً منه ومنه، وليس لنا الإتيان بالآيات وبما اقترحتموه، وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله، وعلى الله الذي يعتمد عليه المؤمنون تتوكل في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم.

(١٢) وأي عذر لنا في ألا نتوكل عليه، وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم أن الأمور كلها بيده، ولنصبرن على أذاكم وعلى الله فليعتمد المتوكلون.

(١٣) وقال الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتصيرن في ديننا، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الكافرين.

(١٤) ولنسكننكم أرضهم وديارهم بعد هلاكهم ذلك النصر وإيراث الأرض لمن خاف مقامه بين يدي وخاف وعيدي بالعذاب.

(١٥) واستنصر الرسل بالله على قومهم وخسر كل متكبر عن



﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا مِنْ مَيْسَرِ الْفَرَارِ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾ ۞

السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت، ويبين الله الأمثال للناس؛ لعلهم يتعظون فيؤمنون.

(٢٦) ومثل كلمة خبيثة - هي كلمة الكفر - كشجرة خبيثة - هي الحنظل - استؤصلت من فوق الأرض؛ لأن عروقها قريبة، ما لها من مستقر وثبات كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

(٢٧) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهو كلمة التوحيد كما في حديث الشيخين أن رسول الله قال المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ويضل الله الذين ظلموا أنفسهم فلا يهتدون إلى الحق، ويفعل الله ما يريد من تثبيت وإضلال من غير اعتراض عليه.

(٢٨) ألم تنظر إلى الذين بدلوا شكر نعمة الله كفرا، وأنزلوا من أطاعهم واتبعهم من قومهم دار الهلاك بإضلالهم.

(٢٩) جهنم يدخلونها، وبئس المقر هي.

(٣٠) وجعلوا لله شركاء ليضلوا عن دين الإسلام، قل لهم: تمتعوا بديناكم قليلا، فإن مرجعكم إلى النار.

(٣١) قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا: أقيموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم في حال السر والعلانية من قبل أن يأتي يوم القيامة حيث لا فداء فيه يقبل ولا صداقة تنفع.

(٢١) وبرزت الخلائق كلها، برها وفاجرها لله الواحد القهار، واجتمعوا له في براز من الأرض ليس فيه شيء يستتر أحدا، فقال التابعون للمتبعين المستكبرين إنا كنا لكم تابعين فهل أنتم دافعون عنا من عذاب الله من شيء، قال المتبعون لو هदानا الله لدعوناكم إلى الهدى، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من ملجأ ومهرب من العذاب.

(٢٢) وقال الشيطان لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: إن الله وعدكم وعد الحق بالبعث والجزاء فصدقكم، ووعدتكم وعد الباطل ألا بعث ولا حساب فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان أقهركم به على متابعتي، ولكن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم على إجابتي، ما أنا بمغيثكم، وما أنتم بمغيثي، إني كفرت بإشراككم إياي مع الله في الدنيا، إن الكافرين لهم عذاب مؤلم.

(٢٣) وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم ترحيهم الملائكة فيها بالسلام.

(٢٤) ألم تنظر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة - وهي كلمة لا إله إلا الله - كشجرة طيبة (هي النخلة) أصلها ثابت في الأرض ضارب بعروقه فيها، وأعلاها في السماء.

(٢٥) تؤتي ثمرها كل حين بإرادة خالقها وتكوينه، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَذَلِيلٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ .

- (٣٢) الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم السفن تجري في البحر بإذنه لتركبوها وتحملوا عليها أثقالكم، وسخر لكم الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر.
- (٣٣) وسخر لكم الشمس والقمر جاريتين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وإنارتها الظلمات بما فيه صلاح الأرض والأبدان والنبات، وسخر لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتبتغوا فيه من فضله.
- (٣٤) وآتاكم من كل ما سألتموه على حسب مصالحكم، وإن تعدوا نعم الله عليكم لا تحيطوا بها إن الإنسان الكافر كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه.
- (٣٥) واذكر إذ قال إبراهيم رب اجعل مكة بلدا ذا أمن، وابعدني وبني عن الأصنام واجعلنا منها في جانب.
- (٣٦) رب إنهم أضلن كثيرا من الناس؛ فلذلك سألت منك العصمة واستعدت بك من إضلالهن، فمن تبعني على التوحيد، فإنه
- من أهل ديني ومن عصاني فإنك غفور رحيم.
- (٣٧) ربنا إني أسكنت من بعض ذريتي - وهو إسماعيل مع أمه هاجر - بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقموا الصلاة فاجعل قلوبا من قلوب الناس تحن إليهم شوقا وودادا، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون تلك النعمة.
- (٣٨) ربنا إنك تعلم سرنا وعلانيتنا ندعوك إظهاراً لعبوديتك وافتقاراً إلى رحمتك واستعجالاً لنيل ما عندك، وما يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء؛ لأنه العالم بكل شيء.
- (٣٩) الحمد لله الذي أعطاني وأنا كبير آيس من الولد، إسماعيل وإسحاق، إن ربي لمجيب الدعاء.
- (٤٠) رب اجعلني مقيم الصلاة واجعل من ذريتي من يقيمها ربنا وتقبل دعائي المذكور.
- (٤١) ربنا اغفر لي ولوالدي - هذا قبل أن يتبين له عداوة أبيه لله عز وجل - وللمؤمنين يوم يثبت الحساب.

٣٧ غير ذي زرع: يقول بعض العلماء في الآية لفظة كريمة تتمثل بقوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام (غير ذي زرع) ولم يقل غير ذي نبت، لأن الزرع لا يتحقق إلا في الأماكن الأهلة بالسكان الذين منهم من يستطيع القيام في الزراعة إذا توفرت شروطها، ولما لم يكن في الحرم المكي كله أي مقيم ساعة أن أمر نبي الله إبراهيم بوضع زوجة السيدة هاجر ورضيعها إسماعيل عليه السلام عند قواعد البيت الحرام، فقد انتفت إمكانية وجود أية زراعة ولم تنتف إمكانية وجود بعض النباتات الفطرية لأن لفظة (نبات) كلمة عامة تشمل كل ما تنبت الأرض بالفطرة أو بالزراعة.



﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَا بُنَيَّ الْعَذَابُ الَّذِي ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا لَكَ أَجَلَ قَرِيبٍ نَجِبٌ دَعْوَتِكَ وَتَشِيعَ الرُّسُلُ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَيْتَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْجِبَالِ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رَسُولُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ وَتَعْنَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَوَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾ ۞

عند الله مكرهم، فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه، وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من أماكنها.

(٤٧) فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله بالنصر، إن الله غالب لا يعجزه شيء، ذو انتقام ممن عصاه.

(٤٨) واذكر - أيها الرسول - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السماوات، وخرج الناس من القبور لله الواحد القهار للمحاسبة والمجازاة.

(٤٩) وترى - أيها الرسول - الكافرين يومئذ مربوطين مع شياطينهم وأقرانهم في الأغلال.

(٥٠) وقمصهم من قطران يسرع فيه اشتعال النار، وتعلو وجوههم النار.

(٥١) يفعل بهم ذلك ليجزي الله كل نفس مجرمة بما عملت، إن الله سريع الحساب؛ لأنه لا يشغله حساب عن حساب.

(٥٢) هذا القرآن أنزل لتبليغ الناس، ولينذروا به، وليعلموا بما فيه من الحجج، أمّا الله إله واحد، وليتعض أصحاب العقول.

(٤٢) ولا تحسبن - أيها الرسول - أن الله غافل عما يعمل الكافرون من أهل مكة إنما يؤخر عذابهم ليوم تشخص فيه الأبصار لهول ما تراه.

(٤٣) مسرعين إلى الداعي رافعي رؤوسهم، لا يطفون بعيونهم من الحذر والجزع، وقلوبهم خالية من الفهم لشدة فرغهم وحيرتهم.

(٤٤) وخوف - أيها الرسول - الكفار من عذاب يوم القيامة، فيقول الذين كفروا ربنا أخرج العذاب عنا وردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى زمان قريب، نجب دعوتك، وتبع الرسل، فيقال لهم توبيخاً: أولم تكونوا حلفتكم أنكم باقون في الدنيا لا تنتقلون إلى الدار الآخرة ولا تبعثون.

(٤٥) وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وتبين لكم كيف فعلنا بهم من العقوبة بما تشاهدونه في منازلهم وأثارهم، وبيّنا لكم الأمثال في القرآن فلم تعتبروا.

(٤٦) وقد مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم، ومكتوب

٤٣ وأفئدتهم هواء: يقول العلماء في هذا العصر بأن الفؤاد غير القلب.. وإن الأبحاث العلمية الحديثة استطاعت أن تحدد مناطق الفؤاد في المخ، فهناك منطقة في الدماغ تسمى (حصان البحر) لأنه يشبه حصان البحر، وهناك جزء يسمى اللوزة وجزء آخر اسمه الزنار وهناك المهاد، وقد استطاع العلماء تحديد وظائف هذه الأجزاء، فالمهاد به مناطق الإحساس بالألم، أما الزنار فيوجد به مناطق الإحساس بالألم الحريق، ولحصان البحر واللوزة علاقة بالذاكرة وتدميرها يفقد الإنسان القدرة على تكوين ذكريات جديدة، ولكن تظل الذكريات القديمة مخزونة، أما منطقة تحت المهاد ففيها مناطق الغرائز، هذه الأجزاء كلها تمثل الفؤاد الذي أثبت القرآن الكريم أولاً ثم العلم ثانياً وجوده في مخ الإنسان ليبقى أمير الجوارح في صدر الإنسان، وأن هذه المراكز التي يصدر عنها مشاعر وأحاسيس موجودة في الفؤاد، قد عطّلها الرعب والحزن الذي طغى عليها في ذلك المشهد العظيم، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله حول هذا المعنى في سورة القصص في سياق قصة خوف أم موسى عليه السلام.

سورة الحجر

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعْجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾

- (١) الر: سبق الحديث عن نظائرها في أول سورة البقرة، هذه آيات الكتاب وقرآن مظهر للحق من الباطل.
- (٢) يخبر الله تعالى عن حال الكافرين عند الموت أو يوم القيامة حين يندمون على ما كانوا فيه من الكفر، ويتمنون لو كانوا مسلمين في الدنيا.
- (٣) ترك الكفار - أيها الرسول - يأكلوا ويتمتعوا بديانهم ويشغلهم توقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال عن الاستعداد للمعاد. وعن الإيمان فسوف يعلمون سوء صنيعهم إذا عاينوا جزاءه.
- (٤) وما أهلكنا أهل قرية إلا ولها أجل محدود لإهلاكها.
- (٥) ما تسبق أمة أجلها وما يتأخرون عنه.
- (٦) وقال الكافرون للرسول: يا أيها الذي نزل عليه القرآن في زعمه إنك لمجنون حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك أي القرآن.
- (٧) هلا تأتينا بالملائكة يشهدون لك بصحة ما جئت به إن كنت من الصادقين فيما تقول.
- (٨) ما ننزل الملائكة إلا بالعذاب وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخرين.
- (٩) إننا نحن نزلنا القرآن - رداً لإنكارهم واستخفافهم في قولهم هذا - وإننا نحن لحارسوه عن التبديل والتغيير
- والزيادة والنقص، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن، فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه، ولا تبديله.
- (١٠) ولقد أرسلنا من قبلك - أيها النبي - رسلا في فرق الأمم الماضية.
- (١١) وإنه ما أتى أمة رسول إلا كذبوه واستهزؤوا به، كاستهزاء قومك بك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم.
- (١٢) مثل إدخالنا التكذيب والاستهزاء في قلوب أولئك الطوائف ندخله في قلوب كفار مكة.
- (١٣) لا يؤمنون بالنبي وقد خلت سنة الله في الأولين على هذه الحالة من الكفر والتكذيب والاستهزاء حتى هلكوا بذلك وهؤلاء مثلهم.
- (١٤) ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يصعدون ويرون عجائبها.
- (١٥) لقالوا إنما حيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته بل نحن قوم مسحورون يخيل إلينا ما نعاين.
- (١٦) ولقد جعلنا في السماء نجوماً لتكون مجموعات متعددة مختلفة الأشكال - وعددها اثنا عشر برجاً أو مجموعة - وزينا السماء بالكواكب لكل من ينظر إليها امتناناً بجمال ما خلقه لنا.



﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ .

- (١٧) وحفظناها بالشهب من كل شيطان جدير بالرجم، مطرود من رحمة الله (١٩) والأرض بسطناها للانتفاع بها على الوجه الأكمل، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت لئلا تضطرب بمن عليها، وأنبتنا تبعه شهاب مضيء ظاهر للمبصرين يحرقه أو يثقبه أو يخبله. (١٨) لكن من يحاول من الشياطين الاستماع إلى كلام أهل السماء فيها من كل شيء مقدر بمقدار تقتضيه الحكمة.

١٤ ألمحت الآية إلى إمكانية صعود الفضاء «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء»، وهو ما لم يكن يتخيله أحد وقت نزول القرآن مطلقاً، وهو ما يشهد بصدق القرآن الكريم. وأشارت الآية أيضاً إلى أن السير في السماء لا يمكن أن يكون في خطوط مستقيمة، حيث قال الله تعالى «يعرجون»، فوصول سفن الفضاء والمركبات الفضائية إلى نقطة محددة - كمثال نقطة لاجرانج بين الشمس والأرض - فهي مسافة معروفة ومحددة، وعلى الرغم من ذلك فالوصول إليها يتطلب سلوك مسارات في الفضاء ذات مسافة أطول حتى نصل إليها وهو ما أشارت إليه الآية «فظلوا فيه» تعبيراً عن طول زمن الوصول. وعلى الرغم من تقدم العلماء في علوم الفلك، وحرص العلماء أن تتطوّر سفن الفضاء بشكل عمودي على الأرض حتى تصل أسرع وبشكل مباشر إلى خارج مجال جاذبية الأرض، إلا أنه سرعان ما تتحرف المركبات الفضائية وتتعرّج في مسارها فتسبح حول الأرض عدة دورات إلى أن تتمكن من الهروب من مجال جاذبية الأرض. فالقرآن جاء بوصف دقيق لم يكن يتخيله أحد في وقت نزول القرآن إلى أن صعد البشر الفضاء.

١٦ البروج هي تجمعات نجمية في مساحات محددة من السماء الدنيا يحوي كل منها في كل فترة زمنية أعداداً من النجوم التي تبدو لنا متقاربة مع بعضها البعض رغم المسافات الشاسعة التي تفصلها نظراً لبعدها الشاسع عنا ولوجودها في اتجاهات محددة بالنسبة لنا، وهذه النجوم التي تبدو لنا من الأرض في نفس الاتجاه قد تكون في مجموعات نجمية متفرقة تفرقاً بعيداً وليست في مجموعة واحدة. وهذه المجموعات جعلها الله على صفة متناسقة ومحكمة.

١٨ تعتبر الشهب من الأجرام السماوية حيث يتراوح حجمها من حبة الرمل إلى حجم حبة الحصى تندفع نحو الأرض بسرعة ١٤٠٠ ميل في الدقيقة. وترى ليلاً متوهجة بدرجة عظيمة بسبب احتكاكها بذرات الغلاف الجوي الغازي للأرض فينصدم الشهاب بشدة محتكاً بأعالي الغلاف الجوي داخلها في نطاق تأثير الجاذبية الأرضية، فيتوهج متحولاً بالطاقة الحركية إلى شعلة هابوية منقضة. ولقد كانت الجن تصل إلى السماء بسرعة كبيرة وتسمع الأخبار ثم تعود لتخبر الناس بالمستقبل وعند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستطيع الجن أن يفعل ذلك لأنه يتبعه شهاب مبین. وإذا تأملنا لفظ «يتبعه» تشير إلى أن حركة الشهاب تتبع الجن ونستنج من ذلك أن سرعة الجن أبطأ من الشهاب وإلا لم يصل إليه ليحرقه.

١٩ مددناها: سبق الكلام عنه عند قوله تعالى: ﴿ وهو الذي مد الأرض ... ﴾ (الرعد: ٣).

﴿ وألقينا فيها رواسي ﴾: يخبرنا علماء الأرض عن أسرار تشكل الجبال بأن سطح الأرض كان يتحرك بشدة وتتبعث من باطنها البراكين وتلقي بحمها المنصهرة التي تبردت على سطح الأرض وشكلت القشرة الأرضية، ومن ناحية أخرى فإن نتيجة الضغط الحاصل من تصادم الألواح القارية في الأعماق واستمرار إلقاء الحمم إلى سطح الأرض نشأت بروجزات على سطح القشرة، وتشكلت كذلك طبقات من الصهير التي تجمدت فكان من نتيجة ذلك كله تشكل الجبال على مختلف أنواعها مما نراه اليوم. وهنا نتوقف عند كلمة (القي) التي جاءت غاية في الإحكام وقوة الدلالة على المعنى، ولا يوجد كلمة أخرى تضارعها في التعبير عن آلية تشكل الجبال نتيجة ما ألقاه باطن الأرض على ظهرها، ويؤكد هذا المعنى ما روي عن رسول الله ﷺ كما عند الترمذي من طريق أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت ... ». ويشير قوله تعالى: ﴿ رواسي ﴾ إلى ما أثبتته العلم أن للجبال جذورا ضاربة في أعماق القشرة تمثل للجبل ما تمثل الرساة للسفينة.

وأنبتنا فيها من كل شيء، موزون: لا أدق من ألفاظ القرآن وتعابيره العلمية حين أشار إلى وجود ميزان لنسب النباتات على الأرض ونسبة ما تمتصه غاز ثاني أكسيد الكربون، ونسبة ما تطلقه من الأكسجين، وهذه النسب قاسها العلماء حديثاً بكل دقة واستنتجوا أنها لو اختلفت لانعدمت الحياة، لذلك هنالك توازن دقيق في هذه النباتات، ويعضده توازن آخر في عالم الكائنات الأخرى على سطح الأرض وهو توازن تام بين الكائنات المنتجة والمستهلكة والمحللة بحيث لا يطفئ أي نوع من هذه الأنواع على الأنواع الأخرى، وإلا أدى هذا الطغيان إلى اختفاء أشكال الحياة على الأرض. وهكذا تتبدى لنا صورة أخرى من صور تهية الأرض لعيش الإنسان على هذه الأرض، وكذلك حياة غيره مما خلقه الله وسخره للإنسان مما لا دخل له في رزقه وإعاشته، بداية من الذرة والجزيء والتراب مروراً بالخلية والمخلوقات الأخرى وانتهاء بالمجرات وما فيها، حيث نجد في ثناياها جميعاً ما يدل عن أن أمورها قد قدرت تقديرها وأن كل شيء منها قام على أساس حكيمة وسار بقانون موزون، لذلك نجد التناسق والتوازن هما السمتين الظاهرتين في كل ما يكمن في داخلنا أو ما يمتد حولنا وتحتنا وفوقنا بدون حدود، فسبحان من أبدع كل شيء في هذا الكون ونزله بحسب الحاجة وفق قدر معلوم.

﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحِجَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْشَرُّهُ إِلَّا بِخَبْرَيْنَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السُّمُورِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

- (٢٠) وجعلنا لكم فيها معيش من الثمار والحبوب والمطاعم والملابس، وجعلنا لكم من لستم له برازقين من البهائم والحيوانات، وما ننزله إلا بمقدار محدود.
- (٢١) وما من شيء إلا عندنا مفاتيح خزائنه وما ننزله إلا بمقدار مقدر تقتضيه حكمتنا البالغة.
- (٢٢) وأرسلنا الرياح تلحح السحب فتمتليء ماء، فأنزلنا من السحاب مطراً فجعلناه لكم سقياً، وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم، ونجعله معيناً وينابيع في الأرض.
- (٢٣) وإنا لنحن نحْيي ونميت ونحن الباقون نرث جميع الخلق.
- (٢٤) ولقد علمنا من تقدم من الخلق من عهد آدم، ولقد علمنا المتأخرين إلى يوم القيامة.
- (٢٥) وإن ربك هو يحشر الخلق يوم القيامة إنه حكيم في صنعه عليم بخلقه.
- (٢٦) ولقد خلقنا آدم من صلصال كالفخار مكوّن من طين تغير واسودّ من طول مجاورة الماء.
- (٢٧) والجآن خلقنا أباهم من قبل خلق آدم من نار شديدة الحر لا دخان لها تنفذ من المسام.

٢٢ وأرسلنا الرياح لواقح : في الآية إشارة إلى وظيفة هامة تقوم بها الرياح وهي:

عملية التلقيح حيث تقوم الرياح بالتلقيح الريحي للنباتات ، وكشف العلم عن نوع آخر من التلقيح وهو تلقيح السحاب، ومنشأ السحاب يكون من ذرة من التراب وذرة من الضباب يمتزجان ويشكلان بداية تكون السحاب، فالرياح بمشيئة الله تعالی تثير السحاب بتزويد الهواء بالرطوبة اللازمة، وإن إرسال الرياح بنوى التكتف المختلفة يعين بخار الماء الذي بالسحاب على التكتف؛ كما يعين قطيرات الماء المتكتفة في السحاب على مزيد من النمو حتى تصل إلى الكتلة التي تسمح لها بالنزول مطراً أو ثلجاً أو برداً بإذن الله.

وما أنتم له بخازنين : جعل الله تراب الأرض وبعض صخوره ذات مسامات ينفذ منها الماء إلى الأسفل ولكن تحت ذلك جعل الله طبقة من الصخور لا تسمح بمرور قطرة واحدة من الماء. وفي هذا التخزين للماء في أعماق الأرض فائدتان للبشر:

- ١) إن نظام إسكان بعض الماء في الأرض يمنع من ضياع الماء إذا بقي على سطحها بالتبخير وغيره أو استحالته إلى مستنقعات.
- ٢) وما يخرج من هذا الماء على هيئة عيون فإن منه ما يكون على شكل عيون أو جداول يستفيد منه الإنسان في ري زرعه وري ماشيته.
- ٣) إن أفضل وأرخص طريقة لتنقية الماء تنقية كاملة هي بتخزينه تحت الأرض فهي تقضي على كافة أشكال الجراثيم والفيروسات ولقد حاول العلماء اليوم تقليد التنقية الطبيعية وتنقية ماء الشرب، وذلك بتخزين الماء الملوث تحت الأرض على عمق محدد لفترة زمنية طويلة.

٢٦ وقد ذكر القرآن الكريم أن آدم عليه السلام خلق من تراب في قوله تعالى: ﴿إِنْ مِثْلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ ...﴾ (آل عمران : ٥٩)، وذكر أن آدم عليه السلام خلق من طين (من طين لاذب)، كما ذكر أنه خلق من صلصال من حمأ مسنون)، كما صرح بأنه خلق من صلصال كالفخار ثم نفخ فيه الروح، وفي هذه الآية ذكر أنه خلق من صلصال من حمأ مسنون)، وهو التراب المبتل المتغير، وفيما ذكر إشارة إلى ما قرره أهل التفسير من مراحل خلق آدم عليه السلام.

وقد أكدت البحوث العلمية الحديثة على أن تركيب الحمض النووي (دي.إن.أ) الذي هو أساس تكوين الإنسان والمشمول على الشفرة الوراثية له أنه يتكون من سلسلة عناصر كيميائية تتوازي مع أساس تكوين التراب والماء الذي خلق منه الإنسان أصلاً؛ وفي ذلك تأكيد علمي آخر على أن أصل الإنسان من الماء والتراب كما ذكر ربنا. وقد ثبت علمياً أن عناصر الإنسان التي يتكون منها هي نفس عناصر التراب والماء وإن اختلفت نسبتها في الإنسان عن التراب. والمعجزة الأخرى أن الخلية الإنسانية تتكون من عناصر التراب والماء. فسبحان الذي أحسن كل شئ خلقه وبدء خلق الإنسان من طين.



﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن صَلَاطِلِ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَتَّبِعُكَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِن صَلَاطِلِ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلْمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَجَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُم عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ ﴾

- (٢٨) واذكر وقت قول ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون.
- (٢٩) فإذا عدلت خلقتة وهياته لنفخ الروح فيه الذي هو لي وخلق من خلقي فصار حياً فقعوا له ساجدين سجود تحية بالانحناء.
- (٣٠) فسجد الملائكة كلهم أجمعون.
- (٣١) إلا إبليس امتنع من أن يكون مع الساجدين.
- (٣٢) قال الله يا إبليس أي داع منعك أن تكون من الساجدين.
- (٣٣) قال إبليس لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقتة من صلصال كائن من طين متغير.
- (٣٤) قال فأخرج من الجنة فإنك مطرود من رحمة الله.
- (٣٥) وإن عليك اللعنة إلى يوم الجزاء.
- (٣٦) قال رب فأخر إمامتي إلى يوم يبعث الناس.
- (٣٧) قال فإنك من المؤخرين.
- (٣٨) إلى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه أجلك عند الله.
- (٣٩) قال رب أقسم كما أغويتني لأحسبن لهم الشر والسيئات فيرونها حسنة، ولأحملنهم أجمعين على الضلال والأنهمك في الباطل.
- (٤٠) إلا عبادك الذين قدرت لهم الهداية، فلا سبيل لك عليهم، ولا وصول لك إليهم.
- (٤١) قال تخليص المخلصين من إغوائه هو الطريق الذي لا اعوجاج فيه وهو الفعل الدائم الذي لا يتخلف.
- (٤٢) إن عبادي المؤمنين ليس لك عليهم تسلط، إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته.
- (٤٣) وإن جهنم لموعدهم ليعذبهم أجمعين.
- (٤٤) لجهنم سبعة أبواب، لكل باب طائفة مختصة به، ومرتبة معلومة تناسب مع شرهم.
- (٤٥) إن المنافقين في بساتين تجري فيها عيون.
- (٤٦) يقال لهم: ادخلوها سالمين من الآفات والزوال، مسلماً عليكم، آمنين من كل خوف وفزع.
- (٤٧) ونزعنا ما في صدورهم من حقد إخوانا على سرر متقابلين لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.
- (٤٨) لا يمسهم فيها تعب، وما هم منها بمخرجين أبداً.
- (٤٩) أخبر - أيها الرسول - عبادي أنني أنا الغفور للمؤمنين الرحيم بهم.
- (٥٠) وأن عذابي للعصاة هو العذاب المؤلم، وعن ابن عباس رضي الله عنه: غفور لمن تاب، وعذابه لمن لم يتب.
- (٥١) وأعلم عبادي - أيها الرسول - عن الملائكة ضيوف إبراهيم؛ ليأخذوا عبرة يعتبرون بها من انتقام الله من المجرمين المفسدين، ويتحققوا أن عذابه هو العذاب الأليم.

﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِئُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أْبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَدْرِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَاتَهُ فَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطِعُ مِنَ الْبَيْلِ وَاتَّبِعَ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ ﴿٧٤﴾ ۞

- (٥٢) إذ دخلوا عليه فقالوا نسلم عليك سلاماً، قال إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا إنا منكم خائفون.
- (٥٣) قالوا لا تخف إنا رسل ربك نبشرك بغلام ذي علم كثير هو إسحاق عليه السلام .
- (٥٤) قال - متعجبا - أبشرتموني على أن مسني الكبير فبأي شيء تبشرون؟!
- (٥٥) قالوا بشرناك باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه، فلا تكن من الآيسين.
- (٥٦) قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الكافرون.
- (٥٧) قال ما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة؟
- (٥٨) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم كافرين لإهلاكهم وهم قوم لوط.
- (٥٩) إلا آل لوط ننجيهم أجمعين لإيمانهم.
- (٦٠) إلا امرأته قدرنا إنها لمن الباقي في العذاب لكفرها.
- (٦١) ولما نزل الملائكة ضيوفا بأهل لوط.
- (٦٢) قال إنكم قوم تنكركم نفسي وتنفر منكم، فأخاف أن تطرقوني بشرّ.
- (٦٣) قالوا بل جئناك، بالذي كنت تتوعدهم بنزوله من عذاب، فيمتررون فيه ويكذبونك.
- (٦٤) وأتيناك باليقين من عذابهم وإنا لصادقون في الإخبار بنجاتك ونجاة آلك وإهلاك قومك.
- (٦٥) فأسر بأهلك بعد مضي جانب من الليل، وسر وراءهم ليكون أحفظ لهم، وإذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا يلتفت إليهم منكم أحد لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب والنكال، وامضوا حيث أمركم الله بالمضي إليه.
- (٦٦) وأوحينا إليه ذلك الأمر وهو أنهم يستأصلون في الصباح عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.
- (٦٧) وجاء أهل مدينة قوم لوط يستبشرون بأضياف لوط طمعا في فعل الفاحشة بهم.
- (٦٨) قال إن هؤلاء ضيوفا فلا تذلون بإذلالهم.
- (٦٩) واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخجلوني فيهم بقصدكم فعل الفاحشة بهم.
- (٧٠) قالوا ألم ننهك أن تستضيف أحدا من الناس ثم تمنعنا من أن نعمل معهم ما نشتهي.
- (٧١) قال هؤلاء بناتي إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فتزوجوهن.
- (٧٢) وحياتك وعمرك - أيها الرسول - إنهم لفي غوايتهم التي أذهبت عقولهم يتحIRON.
- (٧٣) فأخذتهم صيحة جبريل بداية وقت شروق الشمس.
- (٧٤) فجعلنا عالي قراهم سافلها بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض وأمطرنا عليهم حجارة من طين مطبوخ.



﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَآمِرٌ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَايَتْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُبْنِيَ بِئُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآيَةٌ لِّأَصْفَحِ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

- (٧٥) إن في المذكور لدلالات على تنفيذ الله ما توعد به المجرمين يعرفها من سماتها الناظرون المعتبرون.
- (٧٦) وأن مدينة قوم لوط وآثارها قائمة على طريق قريش إلى الشام لم تدرس أفلا يعتبرون بهم؟
- (٧٧) إن في إنجاء لوط والمؤمنين معه وهلاك المفسدين من قومه لعبرة للمؤمنين.
- (٧٨) إنه كان أصحاب الأيكة - وهي غيضة شجر بقرب مدين يسكنها قوم شعيب - لكافرين بتكذيبهم شعيباً.
- (٧٩) فانتقمنا منهم بأن أهلكناهم بشدة الحر، وإن قرى قوم لوط ومساكن قوم شعيب قائمة على طريق واضح تمر به قوافل المسافرين أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة.
- (٨٠) ولقد كذبت ثمود قوم صالح المرسلين، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين، وكانوا يسكنون بوادي الحجر ويقع في شمال غرب المملكة السعودية بمحافظة العلا.
- (٨١) وآيتناهم آياتنا يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب،
- فكانوا معرضين عنها لا يتفكرون فيها.
- (٨٢) وكانوا ينقرون في الجبال بيوتا آمنين من تهدمها لصلابتها.
- (٨٣) فأخذتهم الصيحة وقت الصباح.
- (٨٤) فما دفع عنهم العذاب بناء البيوت الوثيقة ولا الأموال الكثيرة.
- (٨٥) وما خلق الله السماوات والأرض إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة، لا باطلاً وعبثاً - فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء - وإن الساعة لآية فينتقم الله ممن كذبك، فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم.
- (٨٦) إن ربك هو الخلاق لكل شيء، العليم بكل شيء فهو حقيق بأن تكل ذلك إليه ليحكم بينكم.
- (٨٧) ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وهي: سورة الفاتحة لقوله ﷺ الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته.

٨٣ الصيحة: يحدث الضرر الأساسي في الأعضاء التي تحتوي على تجويف (الأذن، الرئة، الجهاز الهضمي).

أما الأذن فتتمزق طبلة الأذن ويمكن أن تتخلع أو تكسر عظيمات الأذن الوسطى، وتتأثر كذلك الخلايا السمعية الحسية في الأذن الداخلية ويؤثر هذا كله على وظيفة السمع (الصاخة) وفي الحالات الشديدة تتأثر وظيفة التوازن فيفقد الإنسان توازنه ويقع.

وأما إصابة الرئة فهي من أخطر وأشيع أسباب الوفاة بسبب الانفجارات وذلك أن زيادة الضغط تؤدي إلى كدمات رئوية وتمزق لجدران الحويصلات الهوائية، وبسبب الاختلاف في المرونة بين الرئة (كعضو ملئ بالهواء) والأوعية الدموية (كعضو ملئ بالوسائل - الدم) تحدث قوة قصية تمزيقية.

٨٥ يذكرنا الله بآياته العظام في خلق السموات والأرض وما بينهما مما سبق أن أشرنا إليه في سورة البقرة وآل عمران وغيرهما. وفي ذلك حفر لهمم إلى التعلق بالخالق العظيم وعدم الركون إلى الدنيا وزخرفها، ومن ناحية ثانية حتى لا يندesh المؤمن لدى رؤية ما متع الله به أصحاب الحجر وغيرهم من الهالكين من قوة ومال، وقدرة، ويستعظم قدرتهم نحت الجبال بيوتا واتخاذ المصانع والقصور وحيازتهم لأسباب القوة؛ لذلك كان هذا الإرشاد الإلهي الذي يلفتهم عن ذلك، ويربأ بهمهم إلى معارج الكمال بقوله: ﴿ وما خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ .. ﴾، إذ أن خلقهما هو أعظم من نحت الجبال بيوتا فسبحان الحق المبين.

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨٨) وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ
 الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَسَعَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾
 عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ
 إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾
 وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ .

- (٨٨) لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أصنافاً منهم، ولا تحزن عليهم، إن لم يؤمنوا وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين وارفق بهم.
- (٨٩) وقل - أيها الرسول - إنني أنا النذير من عذاب الله أنذركم أن عذاب الله نازل بكم إن لم تؤمنوا.
- (٩٠) كما أنزلنا العذاب على المتحالفين - تحالفوا لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله - أنذر قريشاً عذاباً مثل العذاب الذي نزل على المقتسمين.
- (٩١) الذين جزؤوا كتبهم المنزلة عليهم، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض، فو الذي خلقك وحفظك ورباك - أيها الرسول - لنحاسبنهم أجمعين يوم القيامة.
- (٩٢) على أعمالهم من إيذاء واستهزاء وصد عن الدين.
- (٩٣) فاجهر - أيها الرسول - بالدعوة إلى الله ولا تلتفت إلى
- ما يقوله المشركون.
- (٩٥) إنا كفيناك المستهزئين، كانوا يبالغون في إيذاء النبي ﷺ والاستهزاء به؛ أهلكهم الله بأنواع الهلاك وعن ابن عباس كانوا خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن عيطل.
- (٩٦) الذين يشركون مع الله معبوداً آخر فسوف يعلمون عاقبة أمرهم.
- (٩٧) ونعلم - أيها الرسول - أنك يضيق صدرك بما يصدر عنهم من طعن في القرآن واستهزاء بك.
- (٩٨) فافزع إلى الله تعالى بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك وكن من المصلين.
- (٩٩) واعبد ربك حتى يأتيك الموت.

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَفَبِعَمَلِهِمْ سَبَّحْنَاهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾

- (١) إخبار من الله تعالى عن اقتراب الساعة - عبر ب (أتى) بصيغة الماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه - فلا تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة، تنزه الله عز وجل وتبرأ من أن يكون له شريك.
- (٢) ينزل الملائكة بالوحي بأمره على من يريد أن يتخذة رسولاً أن
- خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم أنه لا إله إلا أنا فخافون.
- (٣) خلق الله تعالى السموات والأرض بالحكمة والمصلحة على نهج تقتضيه الحكمة، ولم يخلقهما عبثاً، لم يشركه في إحداثهما شريكاً، ولم يعنه على ذلك معين تنزه الله وتبرأ عن أن يكون له شريك يستحق أن يعبد مثله.



﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَمَنْعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِّغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ هَدَدَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

- (٤) خلق الإنسان من مني ضعيف و صيره قويا شديدا فإذا (٩) وعلى الله بيان الطريق الموصل إليه وهو الطريق المستقيم، هو فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه.
- (٥) والأنعام خلقها لكم فيها ما تستدثون به من جلود الأنعام وأشعارها وأصوافها، ومنافع من النسل والحلب والركوب والحمل، ومنها تأكلون.
- (٦) ولكم فيها حسن منظر حين ترجعونها عشية من المرعى وقد شبت وامتلات ضروعها، وعندما تغدون بها لترعى الكلاً.
- (٧) وتحمل أحمالكم التي تعجزون عن نقلها إلى بلد لم تكونوا واصلين إليه إلا بجهد الأنفس إن ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم لرءوف رحيم بكم حيث خلقها لكم.
- (٨) وخلق الخيل والبغال والحمير لتركبوها وللزينة، ويخلق من الأشياء العجيبة الغريبة مخلوقات لا يحيط البشر بعلمها، وكل ما ذكر في هذه الآية على سبيل المثال.
- (٩) وينصب الأدلة وبعث الرسل ومن السبيل حائد عن الصواب والاستقامة كطريق اليهود والنصارى وغيرهم، ولو شاء هدايتكم لهداكم إلى قصد السبيل أجمعين.
- (١٠) الله هو الذي أنزل من السماء ماء، لكم منه شراب تشرّبونه، وينبت به شجرا ترعون فيه أنعامكم.
- (١١) وينبت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك المذكور آية دالة على وحدانيته سبحانه وتعالى لقوم يتفكرون في صنعه فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته.
- (١٢) وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر تعرفون بجريهما عدد السنين والحساب، والنجوم المضيئة في أرجاء السماوات يهتدي بها المسافرون في ظلمات الليل، وكلها مسخرة لكم بإرادته إن في ذلك آيات لقوم يتدبرون.

٤ لقد كان المتبادر إلى أذهان الناس أن النطفة هي القطرة من المنى الذي تراه العين، لكن العلم الحديث كشف أن النطفة تحتوي على ملايين من الحويصلات المنوية والتي لا ترى بالعين المجردة، وأن واحدا منها هو الذي يلقيح البويضة الأنثوية، والذي يتكون منه أصل هذا الإنسان، وفيها كل صفات الإنسان الوراثية. فكيف لهذا الإنسان الذي هذا أصله أن يتحول إلى خصيم مبين لله تعالى، ويتعالى عن عبادته وشرعه.

٨ **ويخلق ما لا تعلمون** : وفي الآية إشارة إلى ما يستحدث من وسائل النقل ووسائل الزينة، وقد وفق الله الإنسان في زمننا هذا إلى ابتكار الكثير من تلك الوسائل التي نراها بأعيننا مما لم يكن يعرف الإنسان قديما عنه شيئا كالتطارات والسيارات والطائرات والمراكب الفضائية والغواصات البحرية وغيرها من وسائل النقل المتجددة.

١١ رغم أن الناس في زمن التنزيل وما بعده قد عرفوا فوائد هذه النعم المذكورة في الآية كصوام لحياتهم، إلا أنه مع تقدم العلوم الحديثة أدركوا معنى تمييز الله تعالى لها بالذكر في القرآن الكريم، وعبر قنوات التفكير الهادف والأبحاث الميدانية فقد ثبت لهم أنها تمتاز بفوائد جمة سواء من الناحية الغذائية أو العلاجية، وقد نشرت أبحاث عديدة حول هذه المزايا للمحاصيل الزراعية والزيتون والنخيل والأعناب. هذا من الجانب الآخر ومن جانب فالآية لفتت الفكر البشري إلى حقيقة تتجلى دائما وهي أن هذه المذكورات على تباين أصنافها واختلاف طعومها فهي بالأصل سقيت بماء واحد. إنها دلالة واضحة لقوم يتأملون فيعتبرون وبهدي الله يلتزمون.



﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٣) ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤) ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَعِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥) ﴿

لحما طرياً، وتستخرجوا منه اللؤلؤ والمرجان وتجعلوا منها حلياً تلبسونها، وتبصر السفن وهي تشق عباب البحر، ولتطلبوا من سعة رزقه بركوبها للتجارة، ولعلكم تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها.

(١٣) وما خلق لكم في الأرض من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيات والمناظر والألوان إن في ذلك لآية لقوم يتذكرون بأن اختلافها في الطباع والهيات والمناظر والألوان ليس إلا بصنع صانع حكيم.

وأرسي الجبال في الأرض لثلاثم بكم وتضطرب، وجعل في الأرض أنهاراً وطرقاً لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم.

(١٤) وهو الذي ذلل لكم البحر لتتمكنوا من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص، وتأكلوا من مخلوقاته

١٢ سبق الإشارة إلى نعمة تسخير هذه المذكورات في الأنعام والأعراف.

١٤ تبين الدراسات العلمية الحديثة أن المأكولات البحرية تتميز بسهولة الهضم ولا يُخلف بعد امتصاصه إلا القليل من الفضلات، واحتوائها على قيم غذائية عالية، ويتميز الدهن الموجود في السمك بغيانه بالأحماض الدسمة غير المشبعة، وهي أحماض مفيدة وغير ضارة، وتتصف بقدرتها على خفض مستوى الدهون في الدم مما يجعلها مفيدة للوقاية من تصلب الشرايين وخاصة من أمراض الشرايين الإكلينيكية القلبية، وابتواء زيت السمك على (أوميغا ٣) وهي أحماض لها فاعلية عالية ضد كثير من الاضطرابات المرضية، فهي تساعد على خفض نسبة الكوليسترول وتحسين الدورة الدموية ومنع تجلط الدم وخفض ضغط الدم، والتغلب على التهابات الجلدية ومنع التهابات المفاصل وخفض نسبة الإصابة بالسكري ومقاومة أعراض الشيخوخة وأمراضها والوقاية من السرطان، كما أنه يفيد في علاج حالات الاكتئاب. وقد ثبت علمياً أن نسبة الماء في لحوم الكائنات البحرية أعلى من نسبة الماء في اللحوم الحيوانية الأخرى، وهي الطراوة التي أشار إليها القرآن في الآية قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام. ﴿ وتستخرجوا منه حلية ﴾: تذكر الآية الكريمة وجود أنواع من الحلي التي يستخرجها الإنسان ويستفيد منها كاللؤلؤ والمرجان. وقد أكد العلم الحديث على أن كثيراً من المعادن العالية النفيضة تستخرج كذلك من مياه البحار والأنهار كالماس والياقوت والتوباز والزركون مما يؤكد المعنى الذي نصت عليه الآية الكريمة. ﴿ وترى الفلك مواخر فيه ﴾: سبق الإشارة إليه في الآية (٦٤) من سورة البقرة. والآية بذلك كله حرضت الهمم إلى الاعتبار بعظيم فضل الله والشكر له على هذا العطاء الذي تفضل به على عباده.

تحقق اللفظ القرآني (لحما طريا) من التركيب التشريحي وتركيب الأنسجة العضلية لهذه اللحوم واختلافها عن لحوم الحيوانات، فنجد في لحوم البحار أن نسبة الماء قد تزيد عن ٨٠٪ وهي أعلى منها في اللحوم الأخرى (٧٠-٧٤٪)، وعدم انفك الماء عن البروتين مما يعطى لحوم البحار صفة الطراوة، كما أن عضلات الأسماك عبارة عن طبقات رقيقة السمك حيث طول الخلية العضلية لا يزيد عن ١٠ مم بينما عضلات اللحوم والدواجن عبارة عن حزم عضلية وطول الخلية العضلية هو طول العضلة نفسها، وقد يصل طول العضلة في بعض الذبائح من ٤٠-٥٠ سم ووجود الأنسجة الضامة بين الخلايا العضلية وبين الحزم العضلية وحول الحزم العضلية وربطها بالعظام والعمود الفقري، ووجود الأنسجة الليفية والدهنية الصلبة بين الأنسجة العضلية ووجود الجليكوجين بنسبة كبيرة، وكثرة وجود الأوعية الدموية (الشرايين والأوردة) والأعصاب في اللحوم الحيوانية يجعلها تحتاج إلى مجهود من الإنسان في قطعها أو طهيها أو أكلها وكل هذه الأشياء مجتمعة تفتقر إليها لحوم البحار مما يجعلها طرية في كل الأحوال.

١٥ وألقى في الأرض رواسي: سبق الكلام عن تكوين الجبل بطريقتين هما الإلقاء والجعل في سورة الرعد آية ٣ وفي قوله تعالى: (أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ). فإن فيها إشارة لوظيفة الجبال في تثبيت القشرة الأرضية. حيث تحيط بالكرة الأرضية أحزمة جبلية من كل النواحي بحيث تغطي مساحة اليابسة كلها مثل سلسلة جبال الألب، وجبال أطلس، وسلسلة جبال الهيمالايا، وسلسلة جبال القوقاز وغيرها. ولقد اكتشف العلماء حديثاً ما يسمى «جذور الجبال» حيث أن الجبال تطفوا فوق طبقة صخرية لينة مثل الألواح الخشبية التي تطفوا على سطح الماء، وكلما زاد ارتفاع الجبال عن مستوى سطح الأرض كلما زاد غاطسه تحت سطح الأرض، وان قواعد الجبال تنغمر في أعماق الأرض مسافات تصل إلى عدة أضعاف ارتفاعها فوق سطح الأرض. ولقد أكدت الدراسات الجيولوجية الحديثة أن جذور الجبال تحفظ القارات من التحرك فوق الصخور الملتهبة المائعة الموجودة أسفل القشرة الأرضية، ولولا جذور الجبال لطفت الصخور اللينة إلى السطح الخارجي للقشرة الأرضية وهذا يؤدي إلى انعدام توازن الكرة الأرضية بسبب عدم التماثل في توزيع المادة الأرضية. ولولا هذا التوزيع الدقيق للجبال لما توازنت الكرة الأرضية بشكل رائع بحيث لا نشعر ونحن على الأرض بحركتها ودورانها.



﴿ وَعَلَّمْتَنِي وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرٌ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهَكُمْ إِلَهٌ وَجَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاحِرَمَ أَنْتَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوْلِيَاءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

الظواهر، وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

(٢٠) والآلهة التي يدعوها الكفار لا تخلق شيئاً بل هي مخلوقة.

(٢١) أموات لا روح فيهم غير أحياء وما تشعر الأصنام وقت يبعث الخلق فكيف يُعبدون إذ لا يكون لها إلا الخالق الحي العالم بالغيب.

(٢٢) إلهكم المستحق للعبادة منكم إله واحد لا مثل له في ذاته ولا في صفاته وهو الله تعالى، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم جاحدة للوحداية وهم متكبرون عن عبادة الله مع إنكار قلوبهم لتوحيده.

(٢٣) لا شك أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم، إنه لا يحب المستكبرين.

(٢٤) وإذا قيل لهم أي شيء أنزله ربكم قالوا ما سطره الأولون.

(١٦) وهي معالم تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار، وبالنجوم تهتدي قريش في رحلاتها، فكان الشكر أوجب عليهم، والاعتبار ألزم لهم.

(١٧) بعد أن عدد الله سبحانه الدلائل الكثيرة على كمال قدرته وتناهي حكمته، والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته سألهم مستكراً أفمن يخلق وهو الله كمن لا يخلق وهو معبوداتهم التي يشركونها معه في العبادة؟ أفلا تذكرون هذا فتؤمنوا.

(١٨) وبعد تعداده تعالى لنعمه على خلقه، أخبر أنهم إن هم حاولوا عدّ نعمة الله لن يحصوها فضلاً عن أن يشكروها، ثم أعقبه بتطمينهم أنه يغفر لكم ويرحمكم ويتجاوز عنكم، ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك، ولو أمركم به لضعفتم وتركتهم، ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم، ولكنه يغفر الكثير، ويجازي على اليسير.

(١٩) يخبر الله تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم

١٦ علامات والنجم: أشارت الآية الكريمة أن النجوم لتهتدي بها. وعلى الرغم من تقدم العلم الحديث إلا أن عماء الفلك

لم يجدوا وسيلة ليهتدوا بها في الفضاء لتحديد الأماكن وتحديد الزمن إلا من خلال النجوم تصديقا لقول الحق سبحانه «والنجم هم يهتدون». فالنجوم يمكن الاهتداء مكانيا وزمانيا. فمكانييا يستخدم العلماء النجوم في تحديد الاتجاهات والإحداثيات في داخل الأرض وفي الفضاء، وبها تعتمد الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية حول الأرض وخارجها على تحديد مواقعها. كما أن اتجاه الشمال ونقطة الاعتدال الربيعي يمثلان بنجوم، وكذلك الحال مع أنظمة الـ GPS والتي بها نستطيع تحديد الإحداثيات على الأرض بدقة عالية، فهي تعتمد على مواقع النجوم. كما أن بالنجوم نستطيع معرفة الأوقات بدقة عالية داخل الأرض وخارجها للمركبات الفضائية وسفن الفضاء وداخل الأجرام السماوية الأخرى، وهو ما يطلق عليه علماء الفلك اسم «الزمن النجمي».

فسبحان الله، فكيف لنبي الله محمد الذي نزل عليه القرآن أن يعرف بكل هذا. وهو ما يؤكد أن هذا الكلام إنما هو كلام خالق البشر نزل على قلب رسوله محمد ﷺ.

١٧ إثارة هذه الآيات الفكر البشري كي يتدبر في هذه الموجودات فيوصل إلى الإقرار بالحقيقة التي مفادها أن الذي أوجد هذه المذكورات العظيمة هو الإله الذي يستحق العبادة، ولا يسوغ بحال لعاقل أن يجعل معه شريكا، ويتوهم وجود مثل له تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ تَسْقُوتَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليَنَسَ مَنُورَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾

- (٢٥) فكان عاقبة أمرهم يوم القيامة أن حملوا ذنوبهم كاملة، وبعض ذنوب الذين يضلونهم بغير علم؛ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الإثم، ألا تبس حملهم هذا. كما قال تعالى: ﴿ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَاتَّقَالَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (العنكبوت: ١٣) وفي حديث أبي هريرة، أن رسول الله - قال: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، فعليه من الإثم مثل آثام من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا».
- (٢٦) وقد دبر من سبقوهم المكائد لأبيائهم، واحتالوا في إضلال الناس فأبطل الله كيدهم، ودمر بلادهم ونزل بهم عذاب النار في الدنيا من حيث لا يتوقعون.
- (٢٧) ثم يوم القيامة يذللهم ويقول الله لهم على لسان الملائكة توبيخا: أين شركائي بزعمكم الذين كنتم تخالفون المؤمنين في شأنهم، يقول الذين أوتوا العلم من الأنبياء والمؤمنين: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين.
- (٢٨) الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالكفر فانقادوا واستسلموا للموت قائلين ما كنا نعمل من شرك فتقول الملائكة للكفار: بلى قد كنتم تعملون السوء إن الله عليم بما كنتم تعملون فيجازيكم به.
- (٢٩) ويقال لهم ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبس مأوى المتكبرين.
- (٣٠) وقيل للذين اتقوا الشرك ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا بالإيمان في هذه الدنيا حياة طيبة، وللجنة خير من الدنيا وما فيها، ولنعم دار المتقين هي.
- (٣١) جنات إقامة يدخلونها تجري بين أشجارها وقصورها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك الجزاء يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله.
- (٣٢) الذين توفاهم الملائكة طاهرين من الكفر يقولون لهم عند الموت سلام عليكم، ويقال لهم في الآخرة: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون.
- (٣٣) ما ينتظر الكفار إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم أو يأتي أمر ربك بالعذاب، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا، وما ظلمهم الله بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر.
- (٣٤) فأصابهم جزاء ما عملوا وأحاط بهم الذي كانوا به يستهزئون.
- (٣٥) وقال المشركون: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء من البحائر والسوائب فأشراكتنا وتجرمتنا بمشيئته فهو راض به كذلك كذب الذين من قبلهم رسلهم فيما جاءوا به، فما على الرسل إلا الإبلاغ الموضح.



﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَيَّ هُدْنَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِعَلَّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ۝ ﴾

المدينة ولأجر الآخرة وهو الجنة أعظم، لو كان المشركون يعلمون أن الله يجمع لهؤلاء المستضعفين الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم.

(٤٢) وهؤلاء المهاجرون هم الذين صبروا على أذى المشركين وهاجروا من أرضهم لإظهار الدين، واعتمدوا على ربهم وحده دون سواه، فلذلك نالوا الجزاء الأوفى.

(٤٣) وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم، فاسألوا أهل الكتاب، ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً لا ملائكة.

(٤٤) أرسلناهم بالحجج الواضحة والكتب المتضمنة لأمر شريعتهم وأنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن لتبين للناس ما نزل إليهم من أمور دينهم، لعلهم يتدبرونه فيتعظون وتستقيم أمورهم.

(٤٥) أفأمن الذين مكروا المكرات السيئات بالنبى أن يخسف الله بهم الأرض كقارون أو يأتيهم العذاب من حيث لا يعلمون مجيئه إليهم وقد أهلکوا ببدن ولم يكونوا يتوقعون ذلك.

(٤٦) أو يأخذهم متقلبين في أسفارهم ومتاجرهم ومعايشهم وأسباب دنياهم ونحوها من الأشغال الملهية. فما هم بمفلتين.

(٤٧) أو يأخذهم متوقعين الخوف بأن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب، فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

(٣٦) ولقد بعثنا في كل أمة رسولا كما بعثناك في هؤلاء بأن اعبدوا الله وحده واجتنبوا الأوثان أن تعبدوها، فمنهم من هدى الله فأمن، ومنهم من وجبت عليه الضلالة في علم الله فلم يؤمن، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين رسلكم من عاد وشمود وغيرهم لعلكم تتعبرون.

(٣٧) إن تحرص - أيها الرسول - على هدايتهم فإن الله لا يهدي من يريد إضلاله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وما لهم من مانعين من عذاب الله.

(٣٨) وحلف المشركون بالله وغلظوا الأيمان أنه لا يبعث من يموت، ورد الله على الذين أقسموا: نعم يبعثهم وعدا من الله عليه إنجاز امتناع الخلف في وعده، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنهم يبعثون، إما لعدم علمهم بأنه من موجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها، وإما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه.

(٣٩) يبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه مع المؤمنين وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين في إنكار البعث.

(٤٠) أخبر الله تعالى عن قدرته على ما يشاء، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن، فيكون، ومن ذلك البعث.

(٤١) والذين هاجروا لوجه الله لإقامة دينه من بعد ما ظلموا بالأذى من المشركين لنزلهم في الدنيا داراً حسنة هي

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوُا ظِلَالَهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا لِلْهِينِ اثْنَيْنِ إِنَّهُ هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَقْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ۞

الأصنام نصيبا مما رزقناهم من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا، وأقسم الله تعالى بذاته الكريمة العلية ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه، وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم.

(٤٨) أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء له ظلال تتمايل عن الجانبين منقادة لله، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، خاضعين له بما يراد منهم، صاغرين منقادين لأفعال الله فيها.

(٤٩) والله يخضع وينقاد ما في السماوات وما في الأرض من نسمة تدب، وتسجد الملائكة لله وهم لا يتكبرون عن عبادته.

(٤٩) والله يخضع وينقاد ما في السماوات وما في الأرض من نسمة تدب، وتسجد الملائكة لله وهم لا يتكبرون عن عبادته.

(٥٠) خائفين وجلين من ربهم العالي عليهم بالقهر، ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير، كما قال تعالى:

(٥٨) يخبر الله تعالى عن حال العرب في كراهتهم البنات قائلا: وإذا بشر أحدهم بالأنثى صار وجهه كئيبا من الهم مملوء حنقا على المرأة.

(٥١) وقال الله تعالى لعباده: لا تشرکوا في العبادة مع الله أحدا، ولا تعبدوا إلهين اثنين، فإنما المعبود بحق إله واحد، فخافوني ولا تخافوا غيري.

(٥٩) يستخفي من أجل سوء المبعود به أيملك المولودة على مهانة لا يورثها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، أم يدفنها حية في التراب، ألبس حكمهم حيث نسبوا لخالقهم ما يكرهون.

(٥٢) وله ما في السماوات والأرض ملكا وخالقا وعبيدا، وله الطاعة دائما فأغير الله تتقون وهو الإله الحق ولا إله غيره.

(٦٠) للكفار صفة سوء القبيحة وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح، والله الكمال المطلق من كل وجه، وهو الذي لا إله إلا هو العزيز في ملكه الحكيم في خلقه.

(٥٣) وما بكم من نعمة فمن الله تعالى لا يأتي بها غيره ثم إذا أصابكم الفقر والمرض فإليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

(٦١) يخبر تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم، وأنه لو يؤاخذهم بما كسبوا لأهلك جميع دواب الأرض تبعا لإهلاك بني آدم، ولكن العظيم الحليم لا يعاجل خلقه بالعقوبة؛ بل يحلم ويستتر وينظر خلقه، ويؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون عليه.

(٥٤) ثم إذا رفع الضر عنكم، نسي بعضكم حق الله عليه من التوحيد وإخلاص العبادة له، فيشركون بخالقهم ومربيهم ويعبدون معه غيره.

(٥٥) ليكفروا بما آتيناهم من النعمة فتمتعوا بما لا تؤدون حق شكره، فسوف تعلمون عاقبة كفركم.

(٥٦) ويجعل المشركون لما لا يعلمون أنها تضر ولا تنفع وهي



﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي كَفُرًا لِّكَ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

والخل والدبس، إن في ذلك المذكور آية دالة على قدرته تعالى لقوم يتدبرون.

(٦٨) وأوحى ربك إلى النحل وحي إلهام وهداية وإرشاد أن اتخذي من الجبال بيوتا تأوين إليها، ومن الشجر بيوتا، ومما يبني الناس لك من الأماكن.

(٦٩) ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فاسلكي الطرق التي جعلها الله تعالى سهلة عليك لطلب المرعى والعودة منه، يخرج من بطونها شراب هو العسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس من الأوجاع، إن في ذلك آية لقوم يتفكرون في صنعه تعالى فيدركون أنه لا بد للنحل من خالق قادر حكيم يلهمها ما تفعله.

(٧٠) والله خلقكم بأجال مختلفة ثم يتوفاكم، ومنكم من يعاد إلى أخس العمر - مرحلة الهرم - الذي يشابه الطفولة في نقصان القوة والعقل، فبعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الفند والحرف إن الله عليم بأسرار خلقه، قادر على ما يريد.

(٧١) والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني وفقير وموالي ومماليك، فما الموالي المفضلون بجاعلي ما رزقهم الله من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم فهم فيه شركاء، فكيف يشركون بالله بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم. فيما أنعم الله عليهم فيساورهم فيه، أفبِعِزَّةِ اللَّهِ يكفرون حيث يجعلون له شركاء.

(٦٢) ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم من البنات والشريك في الرياسة، وتقول ألسنتهم مع ذلك الكذب وهو أن لهم عند الله الجنة، لا شك ولا بد أنهم مقدمون إلى النار معجلون إليها.

(٦٣) يقسم الله تعالى بذاته العلية مخاطبا رسوله الكريم أنه أرسل قبله إلى الأمم الخالية رسلا يدعونهم إلى الإيمان بالله وحده فزین لهم الشيطان أعمالهم السيئة فأروها حسنة فكذبوا الرسل، فهو متولي أمورهم في الدنيا ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

(٦٤) وما أنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من أمر الدين، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون به.

(٦٥) والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بالنبات بعد موتها ييسها، إن في المذكور آية دالة على البعث لقوم يسمعون سماع إنصاف وتدبر.

(٦٦) وإن لكم في الأنعام من الإبل والبقر والغنم والماعز آية ودلالة على قدرة خالقها وحكمته ولفظه ورحمته، نسقيكم مما في بطون هذا الحيوان من بين ثفل الكرش ودم لبنا خالصا لا يشوبه شيء من الفرث والدم من طعم أو ریح أو لون، سهل المرور في حلق الشاربين لا يغص به أحد.

(٦٧) ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه خمرا يسكر - هذا قبل تحريمها - ورزقا حسنا كالتمر والزبيب

٦٦ تتركب معدة الأنعام من أربعة حجرات (الكرش والشبكية وام التلايف والمعدة الغدية) وهى مع الأمعاء تمثل ثلثي البطن ولذلك جاء اللفظ القرآنى الدقيق من بطونه أى بطون إناث كل صنف من هذه الأنعام. ويمثل الكرش حجرة كبيرة لتخزين الطعام الذى تأكله (سعة الكرش تتراوح من ٤٠ - ٦٠ جالون من الفرث) إلا أنه مخزن أيضا للكائنات الدقيقة (البكتريا والفطريات اللاهوائية والبروتوزوا) (الطلائع الأولية). ويحتوى الكرش على ٥٠٠ ألف مليون من البكتريا ، و٥٠ بليون من البروتوزوا ، والفرث هو الطعام بعد هضمه بفعل الكائنات الدقيقة التى فى الكرش واللعباب من الفم والمختلط بالطعام أثناء عملية الاجترار(يقوم بهضم السكريات المعقدة). وبين مافى الكرش من طعام وهذه الكائنات الدقيقة علاقة تبادل المنفعة فهى تأخذ ما تحتاجه من غذاء لى تنمو وتتكاثر ، وفى المقابل تقوم هذه الكائنات الدقيقة بهضم السليلوز الذى فى العشب والكلأ والحبوب التى فى الكرش من خلال انزيم البروتياز المتواجد فيها لى يستفيد منه الحيوان فيستخرج منه السكريات والدهون والبروتينات والاحماض الدهنية المتطايرة وهى حمض الخليك ٦٥٪ ، وحمض البروبيونيك ٢٠٪. (ويمتصا عبر جدار الكرش إلى مجرى الدم) أما حامض البيوتيرك فيتحول خلال جدار الكرش إلى كيتون وهى مسؤولة عن تكوين الدسم فى الدم (الجليسرول) وفى الحليب. ومن الكرش يتم امتصاص هذه الأحماض الدهنية المتطايرة من خلال الأوعية الدموية الدقيقة التى تغلف الكرش. ثم يمر جزء كبير من الكائنات الدقيقة مع محتويات الكرش إلى الحجرة الثانية وهى الشبكية وفيها يتم حجز أى أجسام غريبة حادة مثل المسامير أو قطع السلك التى كانت تغلف باللات التبن أو قش الأرز أو غيرها من بالات الطعام الخشن . وفى الحجرة الثالثة (أم التلايف) يتم امتصاص الماء والأملاح الذائبة وباقى الأحماض الدهنية المتطايرة التى مرت من الكرش. وفى الحجرة الرابعة وهى المعدة الغدية حيث يفرز جدارها حمض الهيدروكلوريك والإنزيمات التى تساعد على هضم البروتينات، كما تقوم باستخدام الليزومات للحصول على البروتين النيتروجينى الذى يحتاجه الحيوان فى تكوين اللبن منجرا تكتسير هذه الكائنات الدقيقة التى مرت إليها، كما تقوم هذه الكائنات الدقيقة بتصنيع فيتامين ك وجميع فيتامينات ب المركبة وكل الأحماض الأمينية الأساسية فى تكوين بروتينات الجسم ومنها بروتين اللبن كما أنها تقوم بتخمير الطعام فى الكرش وإخراج غاز الميثان والأمونيا وثانى أكسيد الكربون لمنع الإنتفاخ وتكوين البروتين النيتروجينى البكتيرى. وتخمير الطعام فى الكرش يساعد على هضم السليلوز المتواجد فى العشب والكلأ والحبوب إلى نشا وسكريات. وتصل هذه المحتويات إلى الأمعاء فيتتم تكتسير الدهون بفعل الصفراء من الكبد لاستخراج الأحماض الدهنية ، وهضم البروتينات باستخدام العصارة البنكرياسية والمعدية التى تحتوى على الإنزيمات الهاضمة لاستخراج الأحماض الأمينية . وتدخل المواد الممتصة فى الدم البوابى الوارد للكبد للإجهاد عليها وتكسيروها إلى أبسط مركبات ليضخها القلب إلى جميع أنسجة الجسم وأهمها الضرع وهو مصنع الحليب.

من بين فرث ودم : ليس كل محتويات الفرث ولا الدم تدخل فى تركيب اللبن ولكن جزء منها للبن وجزء منها للبول ، وجزء منها للروثوكل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة له مخرجه (اللبن من الضرع ، والبول من الكليتين والجهاز البولى ، والروث من المستقيم وفتحة الشرج)

خالصا: ويتم امتصاص الأحماض الدهنية المتطايرة سكر الجلوكوز وباقى الأحماض الأمينية والأملاح الذائبة من الخملات فى جدار الأمعاء لتصل إلى تيار الدم. ويمر ما يقارب خمسمائة لتر من الدم إلى الضرع لى يتم امتصاص المواد اللازمة من البروتينات، والكربوهيدرات، والدهون، والأملاح والفيتامينات والهرمونات اللازمة لتكوين لتر واحد من اللبن بعملية انتقاء واصطفاء محكمة فلا تمر البولة ولا تمر رائحة الفرث ولا لونه ولا يمر الدم ولا لونه ولا رائحته.

سائغا للشاربين: ويكون اللبن سائغا من خلال تكون سكر اللاكتوز الذى يعطيه حلاوة فى الطعم ، وبروتين الكازين الذائب فى الماء فلا يحتاج لمضغة وتفتيته ، ودهون اللبن التى تساعد على الانحدار السهل عبر البلعوم والمرئ فلا يغص به شاربه. ومن هنا يتضح الإعجاز العلمى فى هذه الآية حيث يتم استخلاص مكونات اللبن من الفرث بداية من الكرش ووصولا للأمعاء الدقيقة حتى تصب جميعها فى تيار الدم الذى يصل للضرع فيتتم انتقاء كل العناصر الغذائية من الدم وتخليق سكر اللاكتوز من جزئ من سكر الجلوكوز الذى فى الدم وجزئ سكر الجلاكتوز فى الضرع ، كما يتم تخليق الدهون فى اللبن من الأحماض الدهنية الحرة التى تكونت فى الكرش. ويتم امتصاص متكسرات الدهون (جليسرايدات ثلاثية) والبروتين (الأحماض الأمينية) وبقية الجلوكوز المتكسر من النشا العلفى عبر جدار الأمعاء المسؤولة عن الامتصاص.

٦٧ وهناك إشارة فى مجال البحث العلمى إلى وجود منافع كثيرة فى بذور العنب تحتاج من علماء المسلمين فى العلوم الطبية والصيدلة أن يكرسوا بحوثهم للوصول إلى هذه النتائج النافعة للإنسان.



٦٨ تبدأ الآية بكلمة وأوحى وهى تعنى الهداية والإرشاد و التعليم وتشير المراجع العلمية الحديثة الخاصة بالنحل بكلمة تعليم النحل فمن الذى علم النحل غير الله سبحانه وتعالى. تشير الآية ايضا الى أن هناك أنواع عديدة من النحل فمنه من يتخذ من الجبال بيوتا و منه من يتخذ من الشجر ومنه من تم استئانائه واصبح يعيش فى الخلايا التى يصنعها الإنسان له ولقد تم اكتشاف أكثر من ٢٠٠٠ نوع من النحل حتى الآن. أشارت الآية ايضا الى عبارة (ثم كلى من كل الثمرات) ولقد تم فى سنة ٢٠١٥ م عمل ابحاث فى جامعة بريستول فى انجلترا تم فيها اكتشاف أن هناك لغة مشتركة بين النحل والنبات عن طريق الموجات الكهربية وهذا مما يؤكد أن القرآن الكريم سبق العلم فى انه هناك عامل مشترك يجذب شغالات النحل الى النبات ليجعلها تأكل الرحيق منه وفى نفس الوقت تلقحه لكى تتكون الثمرات. الإعجاز فى الآية ٦٩ من سورة النحل : قال تعالى: فاسلكى سبل ربك ذللا وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى قد ذلل للنحل كل السبل والطرق لكى يصنع العسل، فخلق للنحلة عين مركبة تستطيع بها أن ترى الشمس من خلال السحاب الركامى حتى تستطيع تحديد المكان الجغرافى لغذاءها وايضا تستطيع تحديد مكان بيتها بكل دقة، ايضا سهل الله تعالى للنحلة القدرة على الطيران، القدرة على حمل قدر وزنها ٣٠ مرة، سهل لها القدرة على قياس العوامل المناخية من حرارة ورطوبة وسرعة رياح وغيرها، سهل لها القدرة على شم رائحة ١٠٠٠ نوع من الزهور ومعرفة الوانها، ايضا سهل لها القدرة على بناء البيت من الشمع فى صورة اشكال سداسية، ايضا سهل الله لها كثير من السبل التى لا يتسع المكان لذكرها كلها.

٦٩ من كل الثمرات وقد زود الله تعالى النحلة بمختبر متنقل عالى الدقة يمكنها من تمييز الثمرات النافعة من الضارة أو السامة.

فاسلكى سبل ربك : إن هذه النحلة قد سخر لها الله طرقاً محددة تسلكها لتقطع مسافات شاسعة في سبيل صنع بعض العسل ، وزودها بمحرك تعجز عن صنع مثله كل أجهزة البشر. كما زود الله تعالى النحلة بوسائل اتصالات وإحداثيات دقيقة تمكنها من الوصول إلى أهدافها والعودة إلى بيوتها دون أن تضل طريقها.

يخرج من بطونها ذكر الله تعالى البطن فكان ذلك تصحيحاً لمفهوم كان متداولاً ، وهو خطأ يتمثل بأن تصنيع العسل كان يتم في فم النحلة فقط ، والآية تثبت أنه في البطن وهو ما تطابق مع ما كشفه العلم حديثاً من أن العسل يخرج من غدة تعرف باسم حوصلة العسل والتي يحتويها البطن ، كما أثبتت الدراسات الحديثة أن لسم النحل الموجود في غدد السم في كل من الشغالة والملكة ويتم تخزينه في مخزون السم والذي يعرف بكيس السم تأثيرات دوائية وهو أيضاً يخرج من بطن النحل كما اشارت إليه اللفظة القرآنية (من بطونها).

شراب مختلف ألوانه : بالبياض والصفرة والحمرة والسواد وغير ذلك من الألوان وذلك أن النحل يتناول ألواناً مختلفة من النباتات والزهور فيجعلها الله تعالى عسلاً في ألوان مختلفة يخرج من بطونها ؛ إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق، وأن ألوان العسل المختلفة تختلف في التأثير الدوائى والغذائى، كما ثبت أثر هذه الألوان على أنواع متعددة من الأمراض لها صلة بالألوان العسل لكل لون من المرض لونها من العسل يناسبه.

فيه شفاء للناس : والشفاء قد يكون كلياً أو جزئياً باستخدام نوع واحد من الشراب أو استخدام أكثر من نوع منه. ونشير هنا إلى أن كلمة (شراب) مطلقة، ومن لوازم إطلاقها اعتبار كل ما يخرج من بطون النحل من عسل وشمع وسم وعكبر، كلها أشربة تدرج تحت هذا الإطلاق، وكلها لها ألوان متنوعة. كما أن لها استطبابات متنوعة كما ثبت نتيجة تجارب علمية أنجزت في هذا المجال، فأنى لمن لم يتفكر أن يدرك عظيم خلق الله . فسبحان من قدر فهدي.

٧٠ وفي أثناء تذكير الله لنا بأنه هو من خلقنا وهو من يتوفانا وهو الرد إلى أزدل العمر أو التكيس في الخلق وهو ما يعرف بالشيخوخة لفت انتباهنا إلى حالة طالما أخافت الكثيرين من الناس وما ينتج عنها ، حيث ثبت علمياً أن كل خلية في الجسم بما فيها خلايا الدماغ بمختلف اختصاصها مبرمجة قدرها على الضعف والموت زمنياً وكيفية، غير أنها تختلف من شخص لآخر وفق قدر الله وتدبيره. وقد تأكد للعلماء أنه لا يوجد أي دواء يشفي من الشيخوخة إذ أنها نتيجة لتغير بيولوجي حتمي في جسم الإنسان لا يوقفه شفاء ولا يفيد علاج ولطالما أضع الناس من جهد ومال ودراسة وراء البحث عن دواء لعلاج الشيخوخة فما وجدوا شيئاً.

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيًا أَبْطُلُ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْيَكُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

قويم لا عوج فيه؟ إن ذلك الأخرس الذي لا يسمع ولا يتكلم ولا يفهم ولا يفهم، هو مثل الأصنام التي عبدوها من دون الله، فإنها لا تسمع ولا تنطق ولا تنفع، فلا يمكن أن تستوي مع السميع العليم الداعي إلى الخير والحق، وإلى الطريق المستقيم.

(٧٧) والله علم ما غاب في السماوات والأرض، وما أمر الساعة إلا كطرف العين أو هو أقرب لأنه بلفظ كين فيكون، إن الله على كل شيء قدير، كما قال: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَأَحَدَةٍ﴾ (لقمان: ٢٨).

(٧٨) ذكر تعالى منته على عباده، في إخراجهم إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات، والعقول التي به يميزون بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلاً قليلاً كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده، لعلكم تشكرونه على ذلك فتؤمنون.

(٧٩) ألم يروا إلى الطير مذلات للطيوان في الهواء بين السماء والأرض ما يمسكهن عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن إلا الله بقدرته، إن في تسخير الطير للطيوان بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيوان، وخلق الجو بحيث يمكن الطيوان فيه وإسكانها في الهواء على خلاف طبعها لآيات لقوم يؤمنون؛ لأنهم هم المنتفعون بها.

(٧٢) والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً فخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال والنساء وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة، ورزقكم من الطيبات من أنواع الثمار والحبوب والحيوان أفيالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون.

(٧٣) توبيخ للكفار، الذين يعبدون غير الله وردّ عليهم في عبادتهم للأصنام، وهي لا تملك لهم رزقاً فلا تنزل مطراً ولا تنبت زرعاً ولا شجراً، ولا يقدر على ذلك لو أرادوه.

(٧٤) فلا تجعلوا له أنداداً وأشباها وأمثالا إنه يعلم أن لا مثل له ويشهد أنه لا إله إلا الله وأنتم لا تعلمون ذلك وبجهلكم تشركون به غيره.

(٧٥) مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك، ويده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوي بينه وبين الأصنام، هل يستوي العبيد والأحرار الذي ضرب لهم المثل شكراً لله على بيان هذا المثل ووضوح الحق، بل أكثر الكفار لا يعلمون ما يصيرون إليه من العذاب.

(٧٦) وضرب الله مثلاً آخر: رجلان أحدهما أخرس أصم لا يفهم ولا يفهم غيره، ثقيل على ولي أمره، أينما يصرفه سيده لا يرجع بفائدة. هل يستوي هذا الرجل مع رجل فصيح يأمر بالحق والعدل، وهو في نفسه على طريق



﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾

تسكنون بها كالكهوف والبيوت المنحوتة فيها، وجعل لكم ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر، وألبسة تقيكم حربكم كالدرع، كما خلق تلك الأشياء يتم نعمته في الدنيا عليكم بخلق ما تحتاجون إليه، لعلكم توحّدونه.

(٨٠) والله جعل لكم من بيوتكم سكنا تسكنون فيها وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا كالحيام والقباب تستخفون حملها يوم سفركم ويوم إقامتكم، ومن أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز أثنا لبيوتكم كسط وأكسية، ومتاعا تتمتعون به إلى حين يبلى فيه.

(٨٢) فإن أعرضوا عن الإسلام فإنما عليك - أيها الرسول - الإبلاغ البين.

(٨١) والله جعل لكم من الشجر والجبل والأبنية وغيرها ظلالا تتقون بها حر الشمس، وجعل لكم من الجبال مواضع

٧٨ الآية فيها دلالة على أن الإنسان لا يولد متعلماً بل تدل على أن فتوات التعلم هي المذكورة نصاً في الآية ﴿السمع والأبصار والأفتدة﴾. كما أن الآية تدل بوضوح على فتوات المعرفة وهي السمع والبصر والأفتدة. وورود ذكر السمع قبل البصر حيث دلت البحوث العلمية في مجال التشريح أن مركز السمع مقدم على مركز البصر في الدماغ. ومما تجدر الإشارة إليه أن أول خريطة تم رسمها للمخ البشري كانت بعد نزول القرآن بأكثر من ألف وأربعمائة عام، وقد استطاعت الأبحاث العلمية الحديثة أن تجد في أعماق المخ مناطق تتعامل مع العواطف والغرائز والأحاسيس.

وأن مجموع هذه المراكز تسمى الفؤاد ليبقى ملك الجوارح وهو القلب في صدر الإنسان، والسمع والبصر والفؤاد من أدواته، ولذا نجد في القرآن أن الفؤاد يأتي ذكره دائماً بعد السمع والبصر في القرآن كله في حين أن القلب يأتي ذكره أحياناً قبل السمع والبصر كقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾. وقد يأتي أحياناً بين السمع والبصر كقوله تعالى: ﴿وأبصاركم وختم على قلوبكم...﴾ وهناك إشارة إلى التفريق بين الفؤاد والقلب كما في قول الله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾.

أما في السنة فقد قال رسول الله ﷺ: «أهل اليمن أرق قلوباً وألين أفتدة»، وهنا نسب رسول الله ﷺ الرقة إلى القلب واللين إلى الفؤاد. ومن حيث اللغة فإن قلب الشيء يعني: ليه، أما الفؤاد فيأتي من التفؤد (تهيج المشاعر) وهذا كله يؤكد اختلاف القلب عن الفؤاد. فنحمده ونشكره على ما من الله علينا من أدوات العلم به وتيسير طرقه.

٧٩ في الآية إشارة إلى الأنظمة التي خلقها الله في جسم الطائر، وفي الهواء التي تمكن الطائر من الطيران في الجو من أليات وطبيعة أداء وحسن انسجام وكمال اتساق في جسمه مما يفضي إلى حسن أدائه للطيران السهل، وكل ذلك يظهر فيه الإبداع الإلهي الرائع، ويدل على القوة الإلهية العظيمة والحكمة البالغة التي خصصت الطيور لتلك المزايا، حيث أمكنها من الاستفادة من الجبهات الهوائية التي هي بين السطح البيني الفاصل بين الكتل الهوائية المختلفة الأحجام والكثافة والتي تتأثر التيارات الهوائية الرافعة للطيور. كما أن الطيور تقوم بنوعين من التحليق:

(١) التحليق الديناميكي.

(٢) التحليق الحراري: وخصوصاً في مناطق الجزر الحارة على وجه الخصوص، فعندما يسخن الهواء يصبح أقل وزناً ويأخذ بالارتفاع فيمكن الطير من الانزلاق في الجو مستغلاً تلك الظاهرة الجوية لدعم طيرانه.

وهكذا خلق الله الطير على تلك الهيئة وذلك التناسق ليعتبر الناس بما فيها من الروعة التي خلق الله الطير عليه، وإذا ما دقق الإنسان ملياً في تركيبها الداخلية وبنائها الباطني فإنه سيجد ما يحمله على تعظيم الله سبحانه وتعالى وتسيبحة لما يجده من الآيات الباهرة الداعية إلى الإيمان بالله وحده.

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٣) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾

أجابوهم كذبتهم، ما نحن أمرناكم بعبادتنا، وكنا غافلين عن عبادتكم لنا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴾ (٨٦) فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٨٧﴾ (يونس: ٢٨، ٢٩).

(٨٧) واستسلموا يومئذ لحكم الله وغاب عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم تشفع لهم.

(٨٨) الذين كفروا وصدوا الناس عن دين الله زدناهم عذابا على كفرهم، وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق.

(٨٣) يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم ويقولون بأنها من الله تعالى ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم.

(٨٤) واذكر - أيها الرسول - يوم نبعث من كل أمة شهيدا هو نبيا يشهد لها وعليها يوم القيامة، ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار، ولا يسترضون.

(٨٥) وإذا رأى الذين كفروا عذاب النار فلا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يمهلون عنه إذا رأوه.

(٨٦) وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم من الشياطين وغيرها قالوا ربنا هؤلاء شركائنا الذين كنا نعبدهم من دونك،

٨١ خلق ظلالا : أثبتت القياسات العلمية أن الظلال متعددة ومختلفة في تأثيرها، حيث تختلف درجة حرارة الظل حسب الحائل الذي يلقي الظل، وقد ثبت أن ظل الأشجار والنباتات الطبيعية هو أفضل أنواع الظلال.

سرابيل تقيكم الحر .. وقد أثبت العلم الحديث أن شعاع الشمس عبارة عن طيف مرئي، وآخر غير مرئي حيث تلعب الإشعاعات فوق البنفسجية دورا كيميائيا في الجلد، بينما تسبب الإشعاعات تحت الحمراء دورا حراريا. والأشعة فوق البنفسجية أشعة خطيرة لأن ٣٠٪ منها تتعمق في الطبقة الداخلية للجلد وتدمر الخلايا وتتسبب في تكوين المشتقات الطليقة، حيث أثبتت الأبحاث أن أشعة الشمس هي أحد أهم الأسباب الرئيسية وراء الإصابة ببعض أنواع سرطانات الجلد مثل السرطان القاعدي والسرطان الحرشفي والسرطان القمامي، وقد لت الإحصاءات أن سرطان الجلد عادة ما يصيب أجزاء الجلد الأكثر عرضة لأشعة الشمس كالوجه واليدين والقدمين والصدر وأعلى القدمين، وعن تأثير الأشعة فوق البنفسجية على العيون بينت الدراسات الحديثة أن التعرض لفترات طويلة لأشعة الشمس قد يؤدي إلى نشوء مرض المياه البيضاء ومرض الضمور البقعي خاصة لدى كبار السن. لذلك فقد أصبح العلماء في جميع أنحاء العالم المتقدم يحذرون من التعرض لأشعة الشمس وينادون بارتداء الملابس الساترة لجميع الجسم.

ونطاق الأشعة فوق البنفسجية لم يكن مفهوما أو معروفا حتى عام ١٨٤٢م، والأضرار الناتجة عنها لم تعرف إلا من زمن قريب، وقد تبين أن الوقاية من هذه الأمراض هو خير علاج لها؛ وذلك بارتداء الملابس الساترة للجسد.. لذا كان التعبير القرآني في قوله تعالى: ﴿ وجعل لكم سراويل تقيكم الحر ﴾ تعبير معجز حقا؛ حيث ثبت أن الملابس لا سيما إن كانت مصنوعة من خامات طبيعية تعكس وتشتت موجات الأشعة فوق البنفسجية الضارة فتقي الإنسان من الهلاك بإذن الله، هذا يدل على إعجاز القرآن العظيم وسبقه العلمي وبيانه لأهمية الستر والتحذير من التعري الذي جعله عقوبة وجزاء ﴿ يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ﴾ (الأعراف: ٢٧).



﴿ وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَنَّا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَنْ تُشْعَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَنْخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا سُوءَ مَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْ نُجْزِيَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ .

يختبركم الله بكونهم أربى، لينظر أتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله؟ وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون في الدنيا فيجازي كل عامل بعمله، من خير وشر.

(٩٣) ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة متفقة على الإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس: ٩٩)، ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم، فيجازيكم عليها. (٩٤) ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان سبيلاً للتغريب والخديعة تأكيداً عليهم؛ فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد استقامتها عليها، وتذوقوا العذاب في الدنيا بصدكم غيركم عن الوفاء بالعهد لأنه يقتدي بكم، ويكون في ذلك منع عن سبيل الله فيعرض الناس عن الحق، ولكم عذاب عظيم في الآخرة.

(٩٥) ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله ﷺ عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا فما عند الله من إظهاركم وغنمكم، ومن ثواب الآخرة خير لكم إن كنتم تعلمون.

(٩٦) ما تحصلون عليه بالغدر ونقض العهد، والحنث بالأيمان ينفد، لأنه عرض زائل، وثواب الله لكم في الجنة باق لا انقطاع له، لأنه دائم لا يحول ولا يزول. ويقسم الله تعالى بأنه سيجزي الصابرين على صبرهم بأحسن أعمالهم.

(٨٩) واذكر يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وهو نبيهم، وجئنا بك - أيها الرسول - شهيدا على قومك، ونزلنا عليك القرآن بيانا لكل شيء يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة، وهدى من الضلالة، ورحمة وبشرى بالجنة للمسلمين الموحدين.

(٩٠) يخبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل، وهو القسط والموازنة، ويندب إلى الإحسان، ويأمر بصلة الأرحام، وينهى عن المحرمات والمنكرات كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ﴾ (الأعراف: ٣٣) والظلم للناس، قال رسول الله ﷺ ما من ذنب أجدر أن يجعل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم. يعظكم بالأمر والنهي لعلكم تتعظون للخير والشر.

(٩١) وأوفوا البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام؛ لأنها بيعة الله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠) ولا تنقضوا أيمان البيعة بعد توثيقها باسم الله، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً ورقيباً؛ إن الله يعلم ما تعملون.

(٩٢) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلاً قوياً ثم تنقضه قائلاً لا تكونوا مثلها في اتخاذكم أيمانكم فساداً أو خديعة بينكم بأن تنقضوها لأن تكون جماعة هي أزيد عدداً وأوفر مالا - وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجد أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم - إنما

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَكُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّئَلَّا يُخَدِّبُوا إِلَيْهِ أَخْعَجِيْٓ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكٰذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيْمٰنِهِ إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمٰنِ وَلٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

- (٩٧) وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة.
- (٩٨) أمر من الله تعالى - على سبيل النذب والاستحباب لا الوجوب - لعباده على لسان نبيه ﷺ إذا أرادوا قراءة القرآن، أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، وفيه إشارة بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب.
- (٩٩) إنه ليس عليه تسلط وولاية على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فإنهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه.
- (١٠٠) إنما سلطانه على من يتولونه ويحبونه ويطيعونه والذين هم بالله مشركون.
- (١٠١) وإذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً أو حكماً، والله أعلم بما ينزل من المصالح فلفل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه، وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه، قال الكفرة أنت متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنه عنده؛ وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. بل أكثرهم لا يعلمون حكمة الأحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب.
- (١٠٢) قل نزله جبريل من ربك بالصدق والعدل ليثبت الذين آمنوا فيصدقوا بما أنزل أولاً وثانياً وتخت له قلوبهم، وجعله هادياً وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله.
- (١٠٣) يخبر الله تعالى عن افتراء المشركين وكذبهم: أن محمداً ﷺ إنما يعلمه القرآن بشر، ويشيرون إلى رجل أعجمي كان يباعا يبيع عند الصفا، فرجما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، ولغة الرجل الذي يميلون قولهم إليه أعجمية غير بيّنة وهذا القرآن عربي فصيح، فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن من رجل أعجمي؟!
- (١٠٤) يخبر الله تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الصنف من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا، ولهم عذاب أليم موجه في الآخرة.
- (١٠٥) أخبر الله تعالى أن رسوله ليس بمفتر ولا كذاب؛ لأنه إنما يفتر الكذب على الله وعلى رسوله شرار الخلق، الذين لا يؤمنون بآيات الله من الكفرة والملحدّين، وأولئك هم المعروفون بالكذب.
- (١٠٦) إنما يفتر الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ولكن من طاب بالكفر نفساً واعتقده فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم إذ لا أعظم من جرمه.
- (١٠٧) ذلك الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم وأن الله لا يهدي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم من الزيغ.



﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴾ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي
الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فِتْنَاوَا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ
رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِيلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ
﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِيَآئِهِ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ
الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَلَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ .

الله بتكذيب النبي ﷺ فأذاقهم الله لباس الجوع - فقحطوا
سبع سنين - والخوف بسرايا النبي ﷺ بما كانوا يصنعون.

(١١٣) ولقد جاءهم رسول منهم محمد ﷺ فكذبوه فأصابهم
عذاب الجوع والخوف حال التباسهم بالظلم.

(١١٤) كلوا أيها المؤمنون ما أحل الله لكم مما رزقكم من الطيبات،
واشكروا نعمت الله عليكم إن كانوا إياه يطيعون.

(١١٥) لما أمرهم بتناول ما أحل لهم عدد عليهم محرّماته مما فيه
مضرة لهم في دينهم ودنياهم، وهي: الميتة والدم ولحم
الخنزير وما ذبح على غير اسم الله، ومع هذا فمن احتاج
إليها في غير بغي ولا عدوان فإن الله غفور رحيم.

(١١٦) نهى الله تعالى المؤمنين عن التحريم والتحليل بمجرد
قول تنطق به ألسنتهم من غير دليل قائلًا: ولا تقولوا
الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام
كما فعل المشركون، الذين حللوا وحرّموا بمجرد ما
وضعوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرائهم، مؤكدا
نفي الفلاح عن الذين يفترون على الله الكذب.

(١٠٨) أولئك الذين لم يهد الله قلوبهم ويشبتهم على الدين
الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم
وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا
أغنت عنهم شيئا، فهم في غفلة تامة فلا أحد أغفل منهم؛
لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها.
(١٠٩) لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، أنهم يوم القيامة من
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم.

(١١٠) ثم إن ربك للذين هاجروا إلى المدينة، فهو وليهم
وانصرتهم من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر
ثم جاهدوا وصبروا على الطاعة، إن ربك من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لهم، رحيم بهم يوم معادهم.

(١١١) يوم يأتي كل إنسان يعتذر عن ذاته ويحاج عن نفسه لا يهيمه
شأن غيره، كما في قوله: ﴿هُؤُلَاءِ أَصْلُونَا﴾ (الأعراف: ٣٨).
وتوفى كل نفس جزاء ما عملت وهم لا يظلمون شيئا.

(١١٢) وضرب الله مثلا قرية هي مكة كان أهلها آمنين من الغارات،
مطمئنين يأتيهم رزقهم واسعا من كل مكان فكفروا بأنعم

١١٥ سبق الكلام عن تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .

وفي قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَلَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فإن فيها تأكيد الشريعة الإسلامية على محافظة
الإنسان على حياته وإبعادها عن المهالك، ومن ذلك حالة المخمصة حيث أباح الله تناول شيء من لحم الميتة أو الخنزير
وغير ذلك لدفع الموت وصون الحياة، وبذلك يقوم لنا دليل آخر على أن أحكام الشريعة الإسلامية في الحلال والحرام
هي الأقوم وهي الأنسب لسعادة البشرية وسلامتها؛ حيث أقرت مبدءا أساسيا في التغذية يتمثل بتحليل تناول قدر من
الغذاء المحرم لتأمين حصول الجسم على السرعات الحرارية الضرورية لدفع الموت عن الإنسان. فسبحان من حكم
فعدل وشرع لعباده من الأحكام ما هو الأفضل والأمتل.

﴿ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِبْتَهُ وَهَدَيْتَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّا نَبِّئُكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَعَاقِبَةُ مَا وَعَقِبْتَهُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ۞ .

في انحرافه عن الشرك وميله إلى التوحيد والدعوة إليه بالرفق وإيراد الدلائل والمجادلة مع كل أحد حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين.

(١٢٤) إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا: لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه، وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة. (١٢٥) ادع الناس - أيها الرسول - إلى الإسلام بالمقالة المحكمة، والدليل الموضح للحق المزيح للشبهة بالقرآن والخطابات المقنعة والعبر النافعة مواعظه وجادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن من الرفق واللين وإيثار الوجه الأيسر، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فيجازيهم.

(١٢٦) إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه، ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، وفي الآية ندب إلى الصبر فإن العقوبة مباحة، وتركها أفضل.

(١٢٧) عزم على النبي ﷺ في خاصته على الصبر، ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بتوفيق الله وتثبيتته، ولا تتأسف لكفرهم كقوله تعالى ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨) ولا يضق صدرك بمكرهم.

(١٢٨) إن الله مع الذين اتقوا بمعونته ونصره، وولي الذين هم محسنون في أعمالهم.

(١١٧) منبها على أن ما يفترون لأجله منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

(١١٨) وعلى اليهود حرمانا ما قصصنا عليك من قبل في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي طُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٦) وما ظلمناهم فيما ضيقنا عليهم بالتحريم ولكن أنفسهم يظلمون حين فعلوا ما عوقبوا به عليه.

(١١٩) إخبار من الله تعالى لعصاة المؤمنين تطميننا منه تعالى تكميلاً وامتناناً في الذين يعملون السوء بجهالة: إن هم أقلعوا عما كانوا فيه من المعاصي، وأقبلوا على فعل الطاعات، إن ربك من بعد تلك الفعلة والذلة لغفور رحيم.

(١٢٠) مدح من الله عز وجل لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بأنه كان إماماً معلماً للخير قدوة، خاشعاً مطيعاً لله، منحرفاً عن الشرك إلى التوحيد.

(١٢١) قائماً بشكر نعم الله عليه اختاره الله واصطفاه للنبوة وهداه إلى صراط مستقيم هو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي.

(١٢٢) وجمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن إليه في إكمال حياته الطيبة، وإنه في الآخرة لمن أهل الجنة.

(١٢٣) ثم أوحينا إليك - أيها الرسول - أن اتبع ملة إبراهيم



سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنٍ وَلِنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾

(أ) أن الله وصف هؤلاء الأخيار بقوله تعالى (عبادًا لنا) والإضافة في قوله لنا إضافة تشريف وتكريم ولا يضاف إليه إلا من يكون مستحقاً لهذا المقام.

(ب) أن الله وصفهم بقوله تعالى (فجاسوا) والجوس هو الدخول برفق ولين وسهولة، تقول العرب (جس) الماء الأرض سار فوق أرضها بهدوء) والصحابة كذلك إذ دخلوها بإتفاق وسلمت مفاتيح المقدس لعمر رضي الله عنه بعد ما رأوا فيه الأوصاف المتفقة مع ما في كتبهم من وصفا من أوصاف من يسلم له مفاتيح بيت المقدس.

(ج) وقال الله تعالى في الوعد الثاني (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة) والذين دخلوا المسجد أول مرة هم المسلمون وسيدخلون مرة ثانية منا دخلوه مرة سابقة.

(٦) ثم رددنا لكم الدولة والغلبة عليهم حين تبتم ورجعتم عن الفساد واستقمتم، ورزقناكم أموالا وبنين، وجعلناكم أكثر عددا مما كنتم.

(٧) إن الإحسان والإساءة الصادرة عنكم كلاهما مختص بكم، ولا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم، فإذا جاء وقت عقاب الإفساد الآخر، بعثنا عليكم أعداءكم فيهينونكم ويقهرونكم وليجعلوا آثار المساءة والذلة والكتابة بادية على وجوهكم، وتكون العاقبة أن يدخلوا مسجد بيت المقدس، فيخربوه كما دخلوه وخربوه أول مرة، وليهلكوا ما ظهروا عليه إهلاكا شديداً.

(١) تنزيه مطلق لله تعالى عن جميع ما لا يليق به، الذي أسرى برسوله ﷺ في بعض الليل من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى بيت المقدس الذي بارك الله حوله في الزروع والثمار، ليريه من عجائب قدرته وآياته العظام كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم: ١٨). إنه هو السميع لأقوال محمد ﷺ البصير بأفعاله، فيكرمه ويقربه على حسب ذلك.

(٢) وآتيناهم موسى التوراة وجعلناه هدى لبني إسرائيل لئلا تتخذوا من دوني رباً تكلون إليه أموركم.

(٣) يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة، تشبهوا بأبيكم نوح إنه كان عبداً كثير الشكر لله حامداً له في جميع أحواله.

(٤) وأوحينا إلى بني إسرائيل وحياً مقطوعاً في التوراة بأنهم يفسدون في أرض الشام بالمعاصي مرتين ويبغون بغيا عظيماً.

(٥) فإذا جاء وعد عقاب الإفساد الأول بعث الله عليكم عبداً له أصحاب قوة وعدة وسلطة شديدة؛ لينتقم منكم على أيديهم وساروا بين بيوتكم جيئةً وذهاباً ليقتلوكم ويسبوكم، وكان وعداً لا بد أن يفعل هذا أحد الأقوال، والقول الثاني ولعله الأصح أنهم صحابة رسول الله ﷺ الذين دخلوا بيت المقدس وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه للأدلة الآتية:--

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً لِلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَنَاهُ نَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ ۞

مفتوحاً، ليسرع في قراءته.

(١٤) ويقال له اقرأ كتاب أعمالك كفى نفسك اليوم محاسبة على عملك.

(١٥) من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه؛ لأن ثواب اهتدائه له، ومن ضل فإنما يضل عليها، لأن إثمه عليها، ولا تحمل نفس آثمة وزر نفس أخرى، وما كنا معذبين أحدا حتى نبعث رسولا يبين له ما يجب عليه.

(١٦) وإذا أراد الله أن يهلك قرية أمر متنعميها بالطاعة على لسان رسوله ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقاب فأهلكهم الله وخرّب ديارهم.

(١٧) وكثيرا ما أهلك الله من الأمم من بعد نوح، وكفى بالله عالما ببواطن ذنوب عباده وظواهرها.

(١٨) من كان يريد بعمله الدنيا مقصورا عليها همه عجلنا له التعجيل الذي نشأه ونريده؛ لأنه لا يجد كل ممتن ما يتمناه، ثم جعلنا له في الآخرة جهنم يدخلها ملوما مطرودا عن الرحمة.

(١٩) ومن أراد الآخرة وبذل لها حقها من الإتيان بما أمر به، والانتها عن ما نهى عنه وهو مؤمن إيمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب، فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة كان سعيهم مقبولا عند الله مثابا عليه، لأن شكر الله هو الثواب على الطاعة.

(٨) خطاب لبني إسرائيل رجاء الرحمة لهم إن تابوا بعد إفساد المرة الثانية، وإن عادوا إلى الفساد عاد إليهم العقاب، وقد عادوا، فأعاد الله إليهم النعمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم، وجعلنا جهنم للكافرين محبسا وسجنا.

(٩) مدح من الله تعالى للقرآن العظيم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، ويبشر المؤمنين بالله ورسوله الذين يعملون الصالحات بالأجر العظيم يوم القيامة.

(١٠) ويتوعد الذين لا يؤمنون بالآخرة بالعذاب المؤلم في جهنم.

(١١) ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، فهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير، ومن شأن الإنسان التسرع إلى طلب كل ما يخطر بباله، لا يتأني فيه تأني المتبصر.

(١٢) وجعلنا الليل والنهار آيتين دالتين على قدرتنا فطمسنا نور آية الليل بالظلام لتسكنوا فيه وجعلنا آية النهار مبصرة فيها بالضوء؛ لتبتغوا فيه فضلا من ربكم بالكسب، ولتعلموا بهما عدد السنين والحساب للأوقات، وكل شيء يحتاج إليه بيناه تبيينا.

(١٣) وكل إنسان ألزمناه عمله يحمله في عنقه وما قدر له، فكل ما يلقي الإنسان قد سبق به القضاء، وإنما عبر عن ذلك بالطائر، لأن العرب كانت عاداتها التيمن والتشاؤم بالطير، ونخرج له يوم القيامة كتابا فيه أعماله، يلقاه



﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ ۚ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۝٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾ .

- (٢٠) كلا من الفريقين نعطي هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك في الدنيا وما كان عطاء ربك فيها ممنوعاً عن أحد.
- (٢١) انظر - أيها النبي - كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والجاه وللآخرة أعظم درجات وأكبر تفضيلاً من الدنيا فينبغي الاعتناء بها.
- (٢٢) يخاطب الله رسوله ﷺ والمراد به أمته قائلاً: لا تجعل مع الله شريكاً فتصير مهاناً مكتوباً عليك الخذلان.
- (٢٣) وأمر الله بأن لا تعبدوا إلا إياه وأن تحسنوا للوالدين إحساناً بأن تبروهما، وإذا بلغ الوالدان أو أحدهما عندك - أيها المخاطب - حال الضعف في آخر العمر فلا تتأفف لما يصدر عنهما بصوت يدل على الضجر، ولا تزجرهما، وقل لهما قولاً جميلاً ليئنا فيه إحساناً وتكريم لهما.
- (٢٤) وأسن لهما جانب الذل من الرحمة رفقا بهما، وقل رب ارحمهما كما رحمتني حين رباني صغيراً.

١٢ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة: وقد تمكن العلماء من أن يكتشفوا

أن القمر كان مشتعلًا من قبل، وأنه كان كتلة مشتعلة ثم بردت، وقد دللوا على ذلك بأن أرسلوا أجهزة إلى القمر لقياس الموجات، وأحدثوا موجات صوتية وتحركت الموجات في باطن القمر، تبين لهم أن قلبه ما زال مشتعلًا حتى الآن، وأخذوا عينات من الصخور من باطنه ومن المرتفعات ومن الجبال والوديان التي بالقمر، وحللوها وقاموا بدراساتها، فوصلوا إلى أن القمر كان يوماً ما مشتعلًا وأنه انطفأ.

لتعلموا عدد السنين والحساب : إنها حقيقة علمية أقرها علم الفلك حديثاً، رغم أن القرآن الكريم جاء بها قديماً، حيث يتعلم الناس عدد السنين القمرية وعدد أجزاء السنة من الأشهر الاثني عشر وأيام كل شهر، وأن الله تعالى جعل الليل للراحة والسكون، والنهار سبباً للإبصار ومعيناً عليه. وقد جعل الله تعالى الليل والنهار آيتين أي دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا، أما في الدين فلأن كل واحد منهما تابع للآخر، ومغاير له، مع كونهما متعاقبين على الدوام، وذلك من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودين بذاتيهما، بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة، وأما في الدنيا فلأن المصالح فيها لا تتم إلا بالليل والنهار فلولا الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش وطلب الناس الرزق، وليعلموا بهما عدد السنين الشمسية والقمرية والحساب الزمني من الأشهر والأيام في كل سنة، وقد شبه الليل باللباس لأنه يستر الناس بظلمته فيقيهم حر الشمس ومفاجأة الأعداء، وجعل النوم للراحة بعد التعب، وجعل النهار سبباً للانتشار والسعي في طلب المعيشة، فتبارك الله الذي فصل كل شئ وأحاط بعلمه كل حادث وأعطى لكل موجود قدراً.

١٣ مما يجدر ذكره هنا أن مما يقوله المفسرون في هذه الآية أن طائرته هو ما طار عنه من عمل من خير أو شر، والعلم الآن يؤكد لنا أن الإنسان يصدر عنه طاقة ناتجة عن كل حركة أو كلمة أو تفكير، وكل هذا مسجل على الإنسان تسجيلًا دقيقًا، وفي زمننا تمكن العلماء من تصميم آلات التصوير تملك القدرة على تصوير مشهد بعد مرور فترة زمنية عليه، ويعزون ذلك إلى أن آلات تصوير الأرض تحتفظ بتلك الحركات على شكل موجات من الطاقة التي لا تری. فإذا كان الإنسان قد تمكن من جعلنا نشاهد أعمالنا بعد مرور زمن عليها بوسائله العلمية، أفيجز رب البشر أن يرينا أعمالنا على مدار العمر كله، بل هو على ذلك قدير، وهناك أبحاث تتكلم عن ذاكرة في أماكن بالعتق يحفظ الله بها ما قام به الإنسان من أعمال تسمى (ذاكرة العنق).

﴿ زُبُكُمُ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ (٢٥) وَآتَاكَ الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أِبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾

بسبب التبذير والإسراف.

(٢٥) ربكم أعلم بما في نفوسكم من إضمار البر والعقوق، إن تكونوا طائعين لله، فإنه للرجاعين إلى طاعته غفور، يعفو عما صدر منهم في حق الوالدين.

(٣٠) إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء، لأنه خير بطائعهم بصير بحوائجهم، فهو يعطى كلا منهم بمقتضى الحكمة.

(٢٦) وصى الله تعالى بإيتاء الأقارب حقهم - بعد التوصية بالوالدين، وإيعطاء المساكين وابن السبيل حقهم من الزكاة، ونهى عن إنفاق المال فيما لا ينبغي على وجه الإسراف.

(٣١) ولا تقتلوا أولادكم بالوآد - دفنهم أحياء - مخافة فقر، إن قتلهم كان إثماً عظيماً.

(٢٧) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، سائرين على طريقتهم، وكان الشيطان شديد الكفر لنعم الله فكذلك أخوه المبذر.

(٣٢) نهى من الله تعالى عن تعاطي مقدمات الزنا وأسبابه تحوطاً من الوقوع فيه؛ والتعبير بمنع قربه أبلغ من تحريمه؛ لعلمه سبحانه بطبيعة النفس البشرية، إن الزنا كان فعلة ظاهرة القبح وبئس طريقاً طريقه.

(٢٨) وإذا أُلجئت - أيها الرسول - إلى الإعراض عن ذوي الحاجات - القريب والمسكين وابن السبيل - حياءً أن تواجههم، لعدم وجود ما يسد حاجتهم عندك، وأنت في هذا الحال تلجأ إلى الله أن يرحمك رحمةً تسعك وتسعهم، فقل لهم قولاً حسناً يطيب نفوسهم.

(٣٣) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا أن تكون النفس مستحقة للقتل قصاصاً أو عقوبة، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لآقربائه حقاً في طلب القصاص من القاتل لدى القاضى، فلا يجاوز وليه الحد فى القتل، بأن يقتل غير القاتل، أو يقتل اثنين بواحد، فإن الله نصره وأوجب له القصاص والدية، فلا يصح أن يتجاوز الحد.

(٢٩) ولا تمسك يدك عن الإنفاق كل المسك، ولا تبسطها في الإنفاق كل البسط فتقعد ملوماً منقطعاً لا شيء عندك

٢٢ يتجلى معنى قوله تعالى: (إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) في زمن تقدم العلم ووسائله حيث ثبت أن الزنا من أهم مسببات الأمراض الفتاكة والتي لم تكن مضت في أسلافنا، كما بين ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»، ومن ذلك: (مرض الزهري والسيلان والسفلس والهربس والتأليل)، الأيدز (نقص المناعة المكتسبة) وهو أخطرها، ويتوقع علماء الطب ظهور فيروسات جديدة تكون هجيناً مما سبق من الأمراض تستعصي على العلاجات والمضادات المتكررة ليتحقق قوله تعالى في المجرمين: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، وأنها تقتل ملايين البشر في العام الواحد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن لفظ ﴿لا تقربوا﴾ أبلغ في الدلالة على المراد من لفظ لا تزونا حيث يتضمن لا تقربوا النهي عن مقدمات الزنا فضلاً عن الوقوع في الفاحشة نفسها، وقد ثبت علمياً أن تلك المقدمات من النظر والمصافحة والخلوة، وغير ذلك لها آثار سلبية على الجنسين، سيأتي مزيد بيان حوله إن شاء الله عند كلامنا عن قوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ...﴾ النور.



﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۚ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِنَاءً ۚ إِنَّكُمْ لَنفُوتُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْنُغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَجَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ ۝

- (٣٤) ولا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بأحسن الطرق لتنميته وثماره، واستمروا على ذلك حتى يبلغ اليتيم رشده، وإذا بلغ فسلموه له، وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم الله أو الناس إن العهد مسؤول عنه.
- (٣٥) وأتموا الكيل بالميزان السوي ذلك خير وأحسن مالا.
- (٣٦) لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك، إن الإنسان يسأل عما يصدر عن سمعه وبصره وفؤاده.
- (٣٧) ولا تمش في الأرض مرحا بالكبر والخيلاء، إنك لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها، ولن تبلغ الجبال طولاً فكيف تختال؟
- (٣٨) كل المذكور من الوصايا، كان القبيح منه من المنهيات مبعوضاً عند ربك.
- (٣٩) ذلك المذكور مما أوحى إليك - أيها الرسول - كلام محكم، وعن ابن عباس: هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى، أولها؛ لا تجعل مع الله إلهاً آخر، ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك؛ لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها، ولا تجعل مع الله إلهاً غيره فتلقى في جهنم ملوماً عند نفسك وعند غيرك، مطروداً من رحمة ربك.
- (٤٠) أفخصكم ربكم بأفضل الأولاد وهم البنون - خطاب إنكاري لمن قالوا الملائكة بنات الله - وجعل من الملائكة بناتاً لنفسه وهذا خلاف ما عليه عقولكم وعاداتكم! إنكم لتقولون قولاً عظيماً بإضافة الأولاد إليه.
- (٤١) ولقد بينا في هذا القرآن من الأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا وما يزيدهم ذلك إلا نفوراً عن الحق.
- (٤٢) قل - أيها الرسول - للمشركين لو كان مع الله آلهة - كما تقولون - لطلبوا إلى الله ذي العرش سبيلاً ليقاتلوه.
- (٤٣) تنزه الله تنزيهاً كاملاً، وتعالى عما يقولون ويتخذون من الشركاء.
- (٤٤) تنزهه السماوات السبع، وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح متلبساً بحمده - يقول سبحانه الله وبحمده - ولكن لا تفهمون تسبيحهم؛ لأنه ليس بلغتكم، إنه كان حلماً حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، غفورا لمن تاب منكم.
- (٤٥) وإذا قرأت - أيها الرسول - القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء حجاباً ساتراً لك عنهم، فلا يرونك عندما يريدون الفتك بك.

٣٧ نشير هنا إلى أن العلماء حاولوا بوسائل متطورة في مجالات الحفر أن ينزلوا إلى أعماق القشرة الأرضية، ومن ذلك مشروع موهو الشهير (الحفر في قاع البحر)، لكنهم عجزوا عن الاستمرار في الحفر بعد أن استطاعوا ثقب الأرض من منطقة عميقة في المحيط الهادي إلى عمق يقدر ببضع كيلومترات، وتعذر عليهم متابعة الحفر بعد ذلك، ففي ذلك إشارة إلى استحالة خرق الأرض (أي العبور خرقاً من جهة في الأرض إلى الجهة التي تقابلها)، كما ورد في النص.

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتَ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ حَدَّثُوا وَلَوْ عَلَيَّ آدْبُرُهُمْ فُؤُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَمَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ۞ .

بها حياة، أو حديدًا.

(٥١) أو خلقا مما يعظم في صدوركم عن قابلية الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم، فيقولون من يعيدنا إلى الحياة؟ قل الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئا؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، فسيحركون إليك رؤوسهم تعجبا، ويقولون استهزاء متي هذا البعث الذي تعدنا به؟ فقل لهم: أرجو أن يكون قريبا.

(٥٢) يوم يناديكم من القبور على لسان إسرافيل فتجيبون دعوته بحمده، وتقومون بأمره، وتظنون ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا لهول ما ترون.

(٥٣) وقل للمؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي أحسن وألين ولا يخاشنوهم، ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل النار وإنكم معذبون مما يغیظهم ويهيجهم على الشر، إن الشيطان يفسد بينهم ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة، إن الشيطان كان للإنسان عدوا بين العداوة.

(٤٦) وجعلنا على قلوبهم أغطية فلا يفهمون القرآن، وجعلنا في آذانهم ثقلا فلا يسمعون نفورا عنه؛ لإسرافهم في العناد والمكابرة، وإذا ذكرت ربك في القرآن منفردا عن ذكر آلهتهم رجعوا على أعقابهم نافرين عن استماعه.

(٤٧) نحن أعلم بما يستمعون القرآن حين استماعهم إليك يكونون متلبسين بالاستهزاء والسخرية، وحين يتحدثون بينهم يقول الظالمون في تناجهم ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله.

(٤٨) انظر - أيها الرسول - كيف ضربوا لك الأمثال فشبهوك بالمسحور والكاهن والشاعر فضلوا بذلك، فلا يستطيعون إلى طريق الهدى وصولا.

(٤٩) وقالوا منكبين للبعث: أنبئنا إذا صرنا عظاما نخرة، وقطعا متفرقة، فنكون خلقا جديدا فيه حياة؟ إن هذا ما لا تقبله العقول.

(٥٠) قل لهم - أيها الرسول - لو كنتم حجارة جامدة ليس

٤٩ كشف علم الحفريات الحديث أن أكثر بقايا الكائنات الحية حفظاً هي البقايا الصلبة مثل العظام والأسنان والدرع، ويحدث ذلك عندما يتم استبدال المركبات الكيميائية في هذه البقايا بأنواع من المعادن تكون غالباً إما معدن الكالسيت أو السليكا أو البيريت، ومن هنا يمكن تقسيم هذه البقايا المتحجرة حسب المعادن التي تبديت إلى نوعين أساسيين :

(١) البقايا التي تحولت إلى حجارة، فمن المعروف أن الكالسيت والسليكا هما المكونان الأساسيان لمعظم أنواع الصخور والحجارة.
(٢) البقايا التي تحولت إلى حديد في كثير من الحالات يتم استبدال بقايا الكائن الحي بمعدن البيريت، والذي يعرف أيضاً باسم الحديد (بيريت) وهذا المعدن عبارة عن ثاني كبريتيد الحديد، ويعطي هذا المعدن لوناً وبريقاً يشبه الذهب، لذلك يعرف باسم الذهب الكاذب، وعندما يتم استبدال بقايا الكائن الحي بهذا المعدن، ويكون محفوظاً حفظاً جيداً فإن نموذج هذه البقايا المكونة من حديد البيريت يعطي بريقاً معدنياً مماثلاً لبريق معدن البيريت.

وإن الكائنات الحية المتحجرة تتحول مع مرور العصور والأزمان إلى حجارة، وفي بعض الحالات تتحول إلى خامات الحديد والتي تتحول بنفسها مع مرور الوقت إلى كومة من صدا الحديد إذا لم تحفظ جيداً أو إذا تعرضت للرطوبة. فكما أن اكتشاف هذه الأمور التي أوردناها مع استحضارنا للحالة العلمية في زمن التنزيل وأن تلك الأمور كان البشر على جهالة تامة بها شاهدة على صدق كلام الله وكلام رسول الله ﷺ؛ وقائلة للكافرين أنه مهما مر من الوقت والعصور على الموتى وتحولوا إلى حجارة أو حتى تحولوا إلى حديد فإن الذي خلقهم من العدم قادر على أن يعيدهم مرة أخرى.



﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يُرْحِمَكُمُ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبِكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّبِّيَا الَّتِي آرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمْ بِخِيَلِكِ وَرَجُلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ۞

للعباد ليؤمنوا.

(٦٠) واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس

علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عيانا ليلة الإسراء إلا فتنة لأهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرتهم بها، وشجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت، ونخوفهم بها، فما يزيدهم تخويفنا إلا استعلاء وتجاوزا للحد.

(٦١) واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - سجدوا تحية بالانحناء - فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقته من طين.

(٦٢) قال إبليس: أخبرني يا رب عن هذا الذي كرمته علي وأنا خير منه؟ وعزت لك لئن أخرتني حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالإغواء، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته.

(٦٣) قال الله تعالى له اذهب مُنظرا إلى وقت النفخة الأولى فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جميعا جزاء وافرا كاملا.

(٦٤) واستخفهم بدعائك واخضعهم بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية، وضح عليهم - بفرسانك ومشاتك - في المعاصي وشاركهم في الأموال المحرمة كالربا والغصب، والأولاد من الزنى، وعدهم المواعيد الكاذبة بأن لا بعث ولا جزاء، وما يعدهم الشيطان بذلك إلا باطلا.

(٥٤) ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم، وما أرسلناك عليهم وكيلا فتجبرهم على الإيمان.

(٥٥) وربك أعلم بمن في السماوات والأرض فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم، ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالإسراء.

(٥٦) قل لهؤلاء الذين يعبدون المخلوقين، ويزعمونهم آلهة من دون الله: ادعوا من تعبدونه إذا نزلت بكم شدة، أو خفتهم نزولها، وسلوهم في شأنها، فلن تجدوا منهم كشافا لضرركم، ولا تحويلا له عنكم.

(٥٧) أولئك الذين يدعونهم آلهة يطلبون الدرجة والمنزلة عنده بالطاعة، ويحرص كل منهم أن يكون أقرب إلى الله، ويطمعون في رحمته، ويرهبون عذابه، إن عذاب الله ينبغي أن يحذر ويخاف، فكيف تدعونهم آلهة؟!.

(٥٨) وما من قرية أريد أهلها بالموت أو بالعذاب الشديد إلا كان ذلك مكتوبا في اللوح المحفوظ.

(٥٩) وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحها أهل مكة إلا أن كذب بها الأولون لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ وآتينا ثمود الناقة آية واضحة فكفروا بها وما نرسل بالمعجزات إلا تخويفا

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ وَكَفَىٰ بَرِيكَ وَكَيْلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ ﴾

صوت شديد لا تمر بشيء إلا قصفته، فيغرقكم بكفرانكم النعمة - وهي إعراضهم حين نجاهم - ثم لا تجدون مطالباً يطالبنا بما فعلنا بكم، أو ناصراً ينصركم منا. كقوله ﴿وَلَا يَخَافُ عُقَابَهَا﴾ (الشمس).

(٧٠) ولقد كرّمنا بني آدم بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتديير أمر المعاش والمعاد، وأعظم التكريم أنه خلق الله تعالى آدم أبا البشر بيده وأسجد له ملائكته. ومن تكريم بني آدم أنه حملهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن، ورزقهم من الطيبات، وفضلهم تفضيلاً على كثير ممن خلق كالبهائم والوحوش. (٧١) يوم القيامة ندعو كل أناس بنبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم فيقال يا صاحب الشر، فمن أوتي منهم كتابه يمينه وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا فأولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجاً بما يرون فيه، ولا ينقصون من أجورهم أدنى شيء.

(٦٥) إن عبادي الصالحين لا تقدر أن تغويهم لأنهم يتوكلون على الله في الاستعاذة منك.

(٦٦) ربكم الذي يجري ويسير لكم السفن لتطلبوا من فضله تعالى بالتجارة وغيرها، إنه كان بكم رحيمًا في تسخيرها لكم.

(٦٧) وإذا مستكم الشدة في البحر وخفتم الغرق غاب عنكم من تعبدون من الآلهة فلا تدعون إلا إياه تعالى لأنه لا يكشف الضر إلا هو، فلما نجاكم من الغرق وأوصلكم إلى البر أعرضتم عن التوحيد، وكان الإنسان جحوداً للنعم.

(٦٨) أنجوتم فأمنتم أن يقلب بكم جانب البر، فإن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف، أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها حصباء يركمكم بها، فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر ثم لا تجدوا من يتوكل بصرف ذلك عنكم.

(٦٩) أم أمنتم أن يقوي دواعيكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فينتقم منكم بأن يرسل عليكم ريحا لها

٦٦ إن مصادر الطاقة المستخدمة في دفع السفن تؤكد حاجتها إلى الهواء، فإذا انعدم الهواء المسخر من الله انعدم الطاقة فركدت السفن. فسبحان من جعلنا عالة على كرمه في بره وبحره وحيثما كنا.

٦٨ إن ظاهرة الخسف من الظواهر المفاجئة والتي لا يمكن التنبؤ بها والحذر منها، ولذلك جعلها الله من جنوده التي يتوعد بها من عصاه وخالف شرعه - حاصباً: هي ريح تكون في البر تحمل الحصباء فتكون شديدة التأثير والضرر.

٦٩ قاصفاً من الريح انتهى العلماء بعد رصدهم في مجال الأرصاد لأوصاف الرياح إلى تصنيفها سكوناً وشدة إلى درجات عدة مبتدئين بالنسيم إلى الريح القاصف التي تدمر كل شيء والتي لا أمل معها بالنجاة، ولذا مقارنة الأوصاف التي ورد ذكرها في القرآن للرياح مع ما انتهى إليه رصد العلماء ظهر التطابق بين التوصيف العلمي ودلالات نصوص القرآن الكريم على تلك الأنواع حيث ورد ذكر الريح الطيبة والريح العاصف والريح القاصف وغير ذلك من التسميات المعبرة عن تلك الحقيقة المكتشفة. ونشير هنا إلى ما ورد في كتاب الله حول الريح القاصف التي لا أمل معها للنجاة، وكيف أن العلماء قرروا فعلاً أنها في المستوى الذي لا حيلة للبشر معها.



﴿ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٧٢) وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُبْنِئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذْنُوكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سَنَةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خُسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴿

وأقم صلاة الصبح إن قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

(٧٩) ومن بعض الليل فصل بالقرآن فريضة زائدة لك دون أمتك عسى أن يقيمك ربك في الآخرة مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء. (٨٠) وقل رب أدخلني عند الممات في القبر إدخالاً مرضياً، وأخرجني منه عند البعث إخراجاً ملقى بالكرامة، واجعل لي من لذك قوة تنصرني بها على أعدائك.

(٨١) وقل عند دخولك مكة جاء الإسلام وهلك الكفر، إن الباطل كان زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت. (رواه البخاري ومسلم).

(٨٢) ونزل من القرآن ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى، ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الكافرين إلا خسارة لكفرهم به.

(٨٣) وإذا أنعمنا على الإنسان الكافر أعرض عن الشكر وأعرض متبخرًا، وإذا مسه الفقر والشدة كان قنوطاً من رحمة الله.

(٨٤) قل كل منا ومنكم يعمل على طريقته فربكم أعلم بمن هو أهدى طريقاً فيشبهه.

(٨٥) ويسألك اليهود عن الروح الذي في الجسم، قل الروح من الأمور التي استأثر الله بعلمها ولم يطلع عليها خلقه، وما أوتيتم - أيها الناس - من العلم إلا قليلاً.

(٧٢) ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده ولا يهتدي إلى طريق النجاة كان في الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة وأضل سبيلاً منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة.

(٧٣) لقد أوشكوا وقاربوا أن يخدعوك - المراد هنا ثقيف - عن الذي أوحينا إليك من أوامرنا ونواهيها ووعدنا ووعيدنا لتقول علينا ما لم نقل، ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلاً ولكنك لهم وليا وخرجت من ولايتي.

(٧٤) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم ركونا قليلاً، لشدة احتيالهم والحاحهم.

(٧٥) إذا لو ركنت لأذنك ضعف مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك علينا مانعاً منه.

(٧٦) وإن كاد أهل مكة ليزعجوك بمعادتهم ليخرجوك من مكة ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً، وقد كان كذلك فإنهم لم يلبثوا بعد هجرته ﷺ إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه بسدر على غير ميعاد، فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم، فقتل أشرفهم وسبى سراتهم.

(٧٧) كعادتنا في الذين كفروا برسولنا وآذوهم بإهلاك من أخرجهم فما إن يخرج الرسول من بين أظهرهم حتى يأتيهم العذاب، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

(٧٨) أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى إقبال ظلمة الليل فيشمل وقت صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء،

﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا لِسَفَا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِنَبًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَّمشُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنحَسِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكِمَا وَصُمًّا مَّاؤُلَهُمْ جَهَنَّمَ كَلَّمَا حَبَتِ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ۞

كما زعم على رأيهم، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَاءُ نَحْشِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسُقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ (سبأ: ٩) أو تأتي بالله والملائكة نراهم أمامنا مقابلة عيانا. كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٢١)

(٩٣) أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد في السماء بسلم، ولن نصدق رقيبك لو رقيت فيها حتى تنزل علينا منها كتابا فيه تصديقك، قل لهم سبحان ربي !! ما كنت إلا بشرا رسولا كسائر الرسل ولم يكونوا يأتون بأية إلا بإذن الله.

(٩٤) وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا قولهم منكروين أبعث الله بشرا رسولا؟ ولم يبعث ملكا!

(٩٥) قل لهم: لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين بدل البشر لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

(٩٦) قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على صدقي إنه كان عالما ببواطن عباده وظواهرهم.

(٩٧) ومن يهد الله فهو المهتدي، ومن يضل فلن تجد لهم أولياء يهدونهم من دونه، ونحشرهم يوم القيامة ماشين على وجوههم عميا وبكما وصما مأوهم جهنم، كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا آخر، ثم صارت ملتبهة أكثر مما كانت.

(٨٦) وإن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف، فلا يبقى عندك شيء من العلم، ثم لا تجد من يتوكل بإعادته وورده بعد ذهابه.

(٨٧) لكن أبقيناه رحمة من ربك، وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في تنزيله وتخفيفه، إن فضله كان عليك عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

(٨٨) قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله في الفصاحة، أو بما اشتمل عليه من البراهين الواضحة والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها، ولا يصلون إليها، ولو كان بعضهم لبعض معينا نزل ردًا لقولهم كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣١)

(٨٩) ولقد بينا للناس في هذا القرآن كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة ليتعظوا، فأبى أهل مكة إلا جحودا للحق.

(٩٠) وقالوا - تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم الحجة - لن نؤمن لك حتى تفجر لنا في أرض مكة عينا غزيرة لا ينضب ماؤها.

(٩١) أو يكون لك بستان يشتمل على نخيل وعنب فتفجر الأنهار وسطه تفجيرا.

(٩٢) وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يسقط عليهم السماء قطعا



﴿ ذَلِكْ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْتًا ءَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرٌ مَّبْجُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَسْكُوتُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾

خدیعة تُخرجهم من أرض مصر ، فتخلو له من بعدهم ، أو ينفیهم بالقتل والاستئصال ، فحاق به مكره بأن استغزه الله بإغراقه ومن معه جميعا .

(٩٨) ذلك جزاؤهم جهنم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا منكرين للبعث ومستبعدين للحشر: إذا كنا عظاما ورفاتا أنا لمبعوثون خلقا جديدا .

(١٠٤) وقلنا من بعد إغراقه لبني إسرائيل اسكنوا الأرض المقدسة بالشام ، فإذا جاء وقت الحياة الأخرى جئنا بكم من قبوركم مختلطين ثم نحكم بينكم بالعدل ، ونميز سعداءكم من أشقياءكم ، واللفيف الجماعات من قبائل شتى .

(٩٩) احتج عليهم بالبعث والحشر بقوله أولم يعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض مع عظمهما قادر على أن يخلق مثلهم ، وجعل لموتهم وبعثهم أجلا لا شك فيه ، فأبى الظالمون إلا جحودا له .

(١٠٥) وبالحق أنزلنا القرآن وبالحق المشتمل عليه نزل كما أنزل لم يعتره تبديل ، وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا مبشرا لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار .

(١٠٠) قل لهم - أيها الرسول - لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي من الرزق والمطر إذا لبختم مخافة النفاق بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ، ولو أثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه ، وكان الإنسان بخيلا لأن بناء أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله .

(١٠٦) وقرآنا نزلناه مفرقا في ثلاث وعشرين سنة لتقرأه على الناس على مهل وتودة ليفهموه ، ونزلناه شيئا بعد شيء على حسب المصالح تنزيلا مؤكدا لا شبهة فيه .

(١٠١) ولقد آتينا موسى تسع آيات - هي : العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات - فاسأل - أيها الرسول - بني إسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون إذ جاءهم ، أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك ، فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مخدوعا مغلوبا على عقلك .

(١٠٧) قل لكفار مكة - تهديدا لهم - أنتم مختارون بين الإيمان بالقرآن أو عدمه ، فإن الذين أوتوا العلم الصحيح والإدراك السليم - وهم مؤمنو أهل الكتاب - إذا يتلى عليهم يقعون على وجوههم سجداً ، شكراً لله على نعمته قبل نزوله .

(١٠٨) ويقولون: تنزه ربنا عن خلف الوعد الذي وعد به بنزوله وبعث النبي ﷺ .

(١٠٢) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآيات إلا رب السماوات والأرض عبدا ولكنك تعاند ، وإني لأظنك يا فرعون هالكا أو مصروفا عن الخير .

(١٠٩) ويقعون على وجوههم سجداً باكين من خوف الله ، ويزيدهم القرآن تواضعاً لله .

(١٠٣) فأراد فرعون أن يستخف موسى وقومه ويخدعهم

﴿ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ .

ولا تُسرِّبها لينتفع أصحابك، واقصد بين ذلك الجهر والمخافتة طريقا وسطا.

(١١١) وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا لعدم حاجته إليه، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ناصر يعطيه عزة من ذلِّ لحقه، وعظم ربك تعظيماً يليق به.

(١١٠) قل لهم - أيها الرسول - سمو الله باسم الله أو اسم الرحمن فأى اسم تسمونه فهو حسن، وهو تعالى له الأسماء الحسنى، ولا شبهة لكم في أن تعدد الأسماء يستوجب تعدد المسمى، ولا تجهر بقراءتك بالصلاة فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله،

سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَلَكَتِ فِيهِ أَبْداً ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾

- (١) الثناء على الله بالوصف الجميل الثابت لذاته تعالى، (٥) ما لهم بهذا القول من علم ولا لآبائهم من قبلهم القائلين له، عظمت مقالة تخرج من أفواههم، ما يقولون في ذلك إلا مقولا كذبا.
- (٢) مستقيما ليخوف بالكتاب الكافرين عذابا شديدا من قبل الله، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بأن لهم أجرا جزيلاً هو الجنة.
- (٣) باقين - في هذا الثواب العظيم - دائما.
- (٤) وينذر بعذاب الله ونقمته الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود والنصارى، كما قال الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).
- (٥) فلعلك مجهد نفسك حتى تهلكها حزنا، بعد توليهم عنك وعدم إيمانهم بهذا القرآن.
- (٦) ثم علل وجه إدمارهم عن الإيمان، وهو اغترارهم بزهرة الدنيا، فقال: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ - من شيء من الأشجار والأزهار والثمار، وما اشتملت عليه من المعادن، وأنواع الملابس والمطاعم، والمراكب والمناكب، والأزواج والأولاد - مبهجة لها، يستمتع بها الناظرون، ويتنفعون بها مأكلاً وملبساً، ونظراً واعتباراً، ليختبرهم أيهم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرعهم في طاعة الله.



﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَهُمْ لِتَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِيَشُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ ءِإِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَتُوْلَاءِ قَوْمَنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءِإِلَٰهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيِّنٍ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْءَا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴿

- (٨) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ ما عليها بعد عمارتها ونضارتها وزينتها (١٣) نحن نقص عليك - أيها الرسول - خبرهم بالصدق: تراباً لا نبات فيه.
- (٩) أظننت - أيها الرسول - أن أصحاب الغار واللوح - الذي رقت وكتب عليه أسماء أصحاب الكهف وأنسابهم وقصتهم - كانوا أعجب من آياتنا في خلق ومخلوقات السموات والأرض، بل من مخلوقات الله ما هو أعجب بكثير.
- (١٠) واذكر - أيها الرسول - إذ أوى الفتية إلى الكهف خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار فقالوا ربنا آتنا من قبلك رحمة ويسر لنا من أمرنا في فرارنا من ديار المشركين خوفاً على ديننا طريق رشد وهداية ونجاة من أهل الكفر والباطل.
- (١١) فضربنا على آذانهم في الكهف حجاباً يمنعهم من سماع الأصوات والحركات أعواماً عدة.
- (١٢) ثم أيقظناهم من نومهم لنعلم علم مشاهدة أي الفريقين المختلفين أضبط في تقدير مدة مكثهم نياماً في الكهف.
- (١٤) وشد الله على قلوبهم وثبتهم وقوى عزمهم على قول الحق، إذ قاموا بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام فقالوا ربنا رب السموات والأرض لو دعونا من دونه إلهاً لقلنا قولاً مفرطاً في الكفر.
- (١٥) هؤلاء قومنا - إشارة تحقير لهم - اتخذوا من دون الله آلهة هلا يأتون على عبادتهم بحجة ظاهرة فلا أحد أظلم ممن افترى على الله كذباً بنسبة الشريك إليه تعالى.
- (١٦) وحين عزم الفتية على الفرار بدينهم خاطب بعضهم بعضاً قائلين: وإذ تركتموهم وما يعبدون غير الله، فاجعلوا الكهف مأوى لكم، وتوكلوا على الله فهو يرحمكم ويهيئ لكم ما تنتفعون به.

١١ فضرينا : كشف علم وظائف الأعضاء أن هناك محطات استقبال وتوصيل الصوت لمراكز السمع يتم بطريقتين هما:

(١) طريق التوصيل الهوائي. (٢) طريق التوصيل العظمي.

وأن مجرد سد الأذن الخارجية لا يحجب إلا جانباً من التوصيل الهوائي وهو الذي ينتقل من الهواء إلى غشاء الطبلية ثم العظيومات ثم النافذة البيضاوية إلى الأذن الداخلية، ولا يمنع سد الأذن وصول الأصوات التي تنتقل عن طريق التوصيل العظمي والذي تنقله عظام الأذن إلى مسار السمع باهتزازات تنقل مباشرة من عظام الأذن إلى النافذة البيضاوية؛ وليس عن طريق عظيومات الأذن الوسطى، أما الإمساك على عظيومات الأذن الوسطى فإنه أبلغ وظيفة لمنع كلا النوعين من التوصيل الصوتي في نفس الوقت؛ وهذا هو الضرب إي الإمساك عن طبلية الأذن الخارجية والعظيومات؛ ولا يكون هذا الاستمرار في منع نقل الأصوات إلا بتيبس العضلات عن الانقباض، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿ فضرينا على آذانهم ﴾.

١٢ نشير هنا إلى أن علم الإحصاء لم يكن يحظى بعناية لدى أبناء المجتمعات جميعاً أثناء التنزيل، ومع تقدم مسيرة العلم التجريبي انتبه الناس إلى ضرورة العناية بهذا العلم بل صار ركناً أساسياً من الحضارة الإنسانية. فمجيء الآيات التي تذكر الإحصاء كما في هذه الآية الكريمة يمثل لفتة إعجازية في هذا الكتاب العزيز.

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

ومن يخذله فلن تجد من يليه ويرشده.

(١٨) وتحسبهم منتبهين لانفتاح عيونهم، وكثرة تقلبهم وهم نيام، ونقلهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال لثلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان، وكلهم باسط يديه بفناء الكهف.

(١٧) لو رأيتمهم - أيها الرسول - لرأيت الشمس إذا طلعت تميل عن كهفهم ناحية اليمين، وإذا غربت تتركهم وتتجاوز عنهم، فلا تصيبهم لا في طلوعها ولا في غروبها، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وذلك المذكور من دلائل قدرته تعالى، من يهد الله بالتوفيق فهو الذي أصابه الفلاح،

١٧ الآية الكريمة توضح العلاقة ما بين حركة الشمس وفتحة مدخل الكهف، حيث تشرق الشمس عند طلوعها من على يمين الكهف دون أن تدخله لذا عبرت الآية بلفظ «تزاور» أي تميل دون أن تدخل، ولكن الشمس تقرض الكهف بأشعتها قبل غروبها لذا جاء التعبير القرآني بلفظ «تقرضهم» ولا يمكن أن يتحقق هذا الوصف القرآني إلا إذا كانت فتحة مدخل الكهف تواجه الجنوب الغربي، ويرجح أن هذا الكهف هو الذي تم إكتشافه بالأردن عام ١٩٦٣م في منطقة تسمى «الرجيب» خارج العاصمة الأردنية عمان.

١٨ إن معطيات الآية الكريمة في توصيف أحوال الفتية ليس فيها ذكر النوم وأحواله أو ما يدل على ارتخاء الأجسام وإهمالها، بل إنها لترسم حالة مختلفة في ظاهرها وخلقيتها، وما تشير إليه الآية صراحة أن غالب حال الفتية السكون على أوضاعهم إلا ما كان من تقلبهم، والذي يفهم من دلالة قوله تعالى: ﴿ وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ﴾. وعليه فإن السكون هو ظاهر حال الفتية، أما ما يأتي منهم من حركة فإنه يلاحظ فيه:

(١) الحفاظ على العضلات من الضمور.

(٢) الحفاظ على كفاءة الدورة الدموية وتبديل الأوضاع للإستفادة من المغناطيسية الأرضية.

وهذا التقدير الكمي للحركة يكون فيه تجنب العضلات من الالتصاقات والتيبسات وغير ذلك، ومما يدل على تمام وعيهم لدى استيقاظهم خلوها من خلل الوظائف وتغيرات الأيض مع مرور تلك الفترة الطويلة التي لبثوها. ولقد اتضح لنا كذلك أن الضرب على الأذان الذي ذكر تبعاً وترتيباً على إيواء الفتية إلى الكهف، ومن ثم الربط على قلوبهم فكلا الأمرين له توابعه وله مساره العصبي وخصائصه. ﴿ ونقلهم ﴾: إن التقلب للنائم له فائدة طبية جلييلة وحكمة قرآنية عظيمة، فقد اكتشف الطب حديثاً أن هناك نوعاً من القرحة المعروفة بقرح الفراش تصيب الجلد والأنسجة التي تحته بسبب نقص التروية الدموية عند بعض مناطق الجلد نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع، وأكثر ما تحصل في المنطقة العجزية والإليتين، وعند لوجي الكتفين والكعبين، ولا وقاية من حدوث هذه القرحة سوى تقلب المريض، فإن لم يقلبوا عن الشمال لظهر عندهم قرح في الجانب الأيمن، ولو لم يقلبوا عن اليمين لظهر عندهم قرح في الجانب الأيسر. كما أن الاستمرار على الجانب الأيسر مضر جداً بالصحة، وقد يسبب أمراضاً خطيرة. والاستمرار على الظهر سيؤدي حتماً إلى ظهور قرح بالظهر. فسبحان العليم الحكيم الذي قلبهم عن اليمين والشمال، وما عرف الطب حكمة ذلك إلا بعد قرون عديدة ليستيقن الناس أن هذا الكلام القرآني من عند الخبير العليم الذي يعلم السر وأخفى، وأن ما بلغنا إياه هو حقاً مرسل من عند الله.

﴿ كلبهم باسط ﴾: الظاهر أن في عملية التقلب التي كانت مستمرة في أهل الكهف لم يكن يشاركونهم فيها كلبهم لأنه بقي باسطاً ذراعيه بالوصيد، أي أنه لا يتقلب، وفيها حقيقة علمية أخرى تفرق بين جلود البشر وجلود الحيوانات حيث لا يحتاج جلد الحيوان للتقلب، وذلك لصلابته وقوته، فدلت الآية بوضوح على هذه الحقيقة وهي الفرق بين أثر الأرض على جلد الحيوان وجلد الإنسان، وهذا التفصيل لم يكن معلوماً ولا ملحوظاً، بل ولا حاجة لذكره أصلاً، ولكن القرآن العظيم أبدى هذه الحقيقة لبيان أن القصة كلها إنما هي حقيقة كبرى عرضها القرآن الكريم تذكرة وعبرة لمن يخشى.



﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنِّيهِمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّرُّكَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ۞

،ويقول المؤمنون سبعة وثمانهم كلبهم. قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تجادل فيهم إلا مرآة ظاهرا بما أنزل عليك ، ولا تسأل أحداً من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف، لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.

(٢٣) ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن تقول: إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله، وقد سأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غدا ولم يقل إن شاء الله فنزلت الآية المذكورة.

(٢٤) وارجع إلى ذكر ربك إذا غفلت عن ذكره، واذكره في كل حال، وقل - أيها الرسول - عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوتي، من خبر أصحاب الكهف.

(٢٥) ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين وقد ذكرت في قوله «وازدادوا تسعا» أي تسع سنين فالثلاثمائة الشمسية هي: ثلاثمائة وتسع قمرية.

(٢٦) قل الله أعلم بما لبثوا ممن اختلفوا فيه، له علم السماوات والأرض، ما أبصر الله وما أسمع الله فهو لا يغيب عن بصره وسمعه شيء، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات، ما لأهل السماوات والأرض من غير الله ناصر، ولا يشرك في حكمه أحداً لأنه غني عن الشريك.

(١٩) لو اطلعت عليهم لهربت منهم خوفاً بما ألبسهم الله من الهيبة، ومنعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

(٢٠) وكما فعلنا بهم ما ذكرنا أيقظناهم ليتساءلوا بينهم عن حالهم ومدة لبثهم، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم؛ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم قالوا متوقفين في ذلك ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحداً بدراهمكم هذه إلى المدينة وليتخير أطيب الأطعمة فياتيكم بطعام منه، ولا يظهرن أمركم لأحد من الناس.

(٢٠) إنهم إن رأوكم يقتلوكم رجماً بالحجارة أو يعيدوكم إلى الشرك بالقوة، وإذا عدتم إليه فلن تفلحوا في الدنيا والآخرة.

(٢١) وكما بعثناهم أطلعنا عليهم قومهم ليعلموا أن وعد الله بالبعث حق بدليل أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى، وأن الساعة لا شك فيها؛ إذ يتنازع المؤمنون والكفار بينهم أمر الفتية في البناء حولهم فقال الكفار ابنوا حولهم بنيانا يسترهم، ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمر الفتية وهم المؤمنون لتتخذن حولهم مسجداً يصلون فيه وفعلوا ذلك على باب الكهف.

(٢٢) سيقول المتنازعون في عدد الفتية في زمن الرسول ﷺ هم: ثلاثة رابعهم كلبهم ويقول بعضهم: خمسة سادسهم كلبهم والقولان لنصارى نجران لظنهم ذلك

﴿ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (٢٧) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِيَّةِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسَنَتَ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴿

- (٢٧) واتل ما أوحى إليك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك؛ فلا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها، وإنما يقدر على ذلك الله وحده، ولن تجد من دونه ملجأ.
- (٢٨) واحبس نفسك صابراً - أيها الرسول - مع فقراء المسلمين الدائبين على دعاء ربهم في كل وقت يريدون بعبادتهم رضا الله وطاعته - كبلال وخباب وصهيب، وكان المشركون في مكة قد طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطردهم ليجالسوه - ولا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم تريد زينة الحياة الدنيا - المراد بتوجيه النهي إليه لكي يحترس غيره - ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا واتبع هواه في الشرك - كأمية بن خلف وغيره الذين خفي عليهم أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد - وكان أمره في جميع أعماله بعيداً عن الصواب.
- (٢٩) وقل له ولأصحابه إن هذا القرآن هو الحق من ربكم، فليختر كل إنسان لنفسه: إما الحق الذي ينجي، أو الباطل الذي يهلكه، إننا أعدنا للكافرين ناراً تحيط بهم كإحاطة السرادق بالفسطاط، وإن يستغيث الظالمون بطلب الماء وهم في جهنم؛ يؤت لهم بماء كالزيت العكر الشديد الحرارة يحرق الوجوه بلهبه قبح هذا الشراب لهم، وقبحت جهنم مكاناً لراحتهم.
- (٣٠) أما الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤوا به، وعملوا بما أمرهم به من الأعمال الصالحة، فإننا نثيبهم على ما أحسنوا من الأعمال.
- (٣١) أولئك لهم جنات إقامة تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار، يحلون فيها أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من رقيق الديباج ومن غليظه، متكئين فيها على الأسرة والفرش نعم الجزاء وحسنت الجنة مرتفقاً يرتفق به.

٢٥ هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، منذ أرقدهم الله إلى أن بعثهم وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان، (وأنه كان مقداره ثلاثمائة سنة وتسع سنين بالهلالية، وهي ثلاثمائة سنة بالشمسية، فإن تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية إلى الشمسية ثلاث سنين؛ فهذا قال بعد الثلاثمائة؛ وازدادوا تسعا، هذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة وجاء موافقاً للحقيقة العلمية، التي توضح العلاقة ما بين طول السنة الشمسية والسنة القمرية.

٢٦ لقد أشرنا سابقاً إلى ما يراد من الترتيب بين وظائف الأعضاء في الآيات التي تذكرها مثل قوله تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً)، وأن ذلك الترتيب عرف حديثاً.

وهنا نقول إن الترتيب هنا لم يلتزم لأنه يراد منه هنا اطلاع الكفار وأخبارهم بدقائق ما حصل، فالمراد هنا إذن الكفار وليس ذكر الأشياء الذاتية للإنسان فلم يراع ذلك الترتيب. إذاً عندما يرد البصر قبل السمع يراد بذلك الإنذار بالعقاب أو إطلاق وصف على الكافرين، ولا يراد الإشارة لخلق هذين الحسين أو وصف وظيفتهما أو تطورهما كما أشرنا سابقاً.



﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَطْعِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ شَمْرُقًا لِيَصْحَبَهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكَلِّمَنَّاهُ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرَكَ رَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا عَورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ .

- (٣٢) واضرب للكفار وللفقراء - الذين أرادوا طردهم عن مجلس الرسول ﷺ: مثلا بهذين الرجلين الأخوين من بني إسرائيل: أحدهما مؤمن، والآخر كافر: ورثا مالا عن أبيهما، رزقنا الكافر بستانين من أعناب ويحيط بالجنتين نخل، وجعلنا بينهما زراعتا يقاتتا به.
- (٣٣) كلتا الجنتين آتت ثمرها ولم تنقص منه شيئا، وشققنا خلالهما نهرا يجري بينهما.
- (٣٤) وكان له مع الجنتين أنواع من المال، فقال لصاحبه المؤمن وهو يراجع الكلام متفاخرا عليه - وهو يطوف به الجنتين - أنا أكثر منك مالا وأعز عشيرة.
- (٣٥) ودخل جنته وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرض نفسه لسخط الله، بكفره وتمرده وتكبره واحتقاره لأخيه، وقال منكرا للمعاد ما أظن أن تفنى هذه أو تتلف أبدا.
- (٣٦) وما أظن الساعة كائنة ولئن عدت إلى ربي - على سبيل الفرض والتقدير - ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عنده، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذه الجنة.
- (٣٧) قال له صاحبه المؤمن، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز بالنعمة، منكرا ما وقع فيه من جحود أكفرت بالذي خلق أصلك من تراب؟ ثم من مني، ثم عدلك وصيرك إنسانا ذكرا بالغاً مبلغ الرجال.
- (٣٨) لكن أنا أقول هو الله ربي لا إله إلا هو ولا أشرك به أحدا.
- (٣٩) هلا قلت عند دخول جنتك والنظر إلى ما رزقك الله منها: ما شاء الله، اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، وقلت: لا قوة إلا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله، وإن ما تيسر لك من عمارتها وتدير أمرها بمعونته وإقداره، إن ترني أنا أقل منك مالا وولدا.
- (٤٠) فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل على جنتك لكفرك صواعق من السماء فتصبح أرضا ملساء لا يثبت عليها قدم باستئصال نباتها وأشجارها.
- (٤١) أو يصبح مأوها غائرا في الأرض فلن تستطيع له حيلة تدركه بها.

٢٢ إشارة إلى تصميم زراعي حكيم يعطي مردوداً طيباً، وتحقق تكاملاً زراعياً للاستفادة المثلى مما أثبتته دراسات علمية حديثة في ميدان الزراعة، ونذكر مثالا على ذلك بعض أبحاث أشارت إلى أن وجود النخل يمثل مصدات للرياح تحمي من العواصف، وتثبت الرمال، وجذورها ليفية لا تؤذي النباتات المجاورة، وبذلك تحمي التربة من التعرية وتحفظ رطوبتها، وتزيد من المواد العضوية فيها. فسبحان ربي العظيم الذي دلنا على تلك الحكمة الزراعية قبل أربعة عشر قرناً وعلى لسان نبي أُمي بلغنا إياها، واكتشفت حقيقتها في زمننا المعاصر فسبحان من قدر فهدي.

٢٧ سبق أن أشرنا إلى المعنى الموجود في هذه الآية، وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق البشر على هيئة آدم الأولى وأن ذلك ينسف أوهام الداروينية حيث أثبتت البحوث الحديثة ما ذكرته هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات، فسبحان من له الحجة البالغة.

﴿ وَأُحِيط بِشَعْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالِ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكُتُبَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُؤْيَاكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞

فجعلها هباء منبثاً وترى الأرض ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره وحشرنا المؤمنين والكافرين فلم نترك منهم أحداً.

(٤٨) وعرضوا على ربك مصطفين - كل أمة صف - ويقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة فرادى حفاة عراة غرلا، كما قال رسول الله ﷺ إنكم محشورون حفاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾ (الأنبياء: ١٠٤) متفق عليه، ويقال لمنكري البعث بل زعمتم أنه لن نجعل لكم موعداً للبعث.

(٤٩) ووضع كتاب المؤمن في يمينه، وكتاب الكافر في شماله، فتري الكافرين خائفين مما فيه، ويقولون عند معابنتهم ما فيه من السيئات يا هلكتنا مال هذا الكتاب لا يغادر هنة صغيرة ولا كبيرة من ذنوبنا إلا عدها وأثبتها!! ووجدوا ما عملوا مثبتاً مكتوباً في الصحف، ولا يظلم ربك أحداً فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله.

(٥٠) واذكر إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود انحناء تحية له فسجدوا إلا إبليس كان من الجن فخرج عن أمره بترك السجود فكونه من الجن سبب في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر ربه - أفطيعونه وأتباعه وهم لكم أعداء، بئس للظالمين بدلاً من الله تعالى إبليس وذريته.

(٤٢) وقد أهلك الله أمواله حسباً توقعه صاحبه وأذره به، فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن تلهفاً وتحسراً على ما أنفق في عمارتها، وهي ساقطة دعائمها على الأرض وسقطت الكروم فوقها، ويقول يا ليتني لم أشرك بربي كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانه.

(٤٣) وما كان له من جماعة يقدرعون على نصرته من دون الله، وما كان ممتنعاً بقوته عن انتقام الله.

(٤٤) هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، هو خير ثواباً من ثواب غيره وخير عاقبة للمؤمنين.

(٤٥) واضرب لقومك مثل ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها كماء أنزلناه من السماء فتكاثف بسبب نزوله نبات الأرض واستوى على سوقه أخضر وارفاً، فصار النبات يابساً مكسوراً تفرقه الرياح، وكان الله على كل شيء قادراً.

(٤٦) المال والبنون يتجمل بهما الناس في الدنيا ويفنيان، والأعمال الصالحة خير وأبقى عند الله ثواباً، وخير ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى.

(٤٧) واذكر - أيها الرسول - يوم نقلع الجبال ونذهب بها

٤١ أو يصبح ماؤها غوراً : من المعلوم عند علماء الأرض أن الصخور بعضها مسامي وبعضها أملس كتيم، وقد جعل الله طبقات الصخور في أعماق الأرض بشكل كتيم أملس تمسك الماء ولا تدعه يتسرب. وأما الصخور المسامية فإنها لا تمسك الماء، فيصبح الماء في هذه الحالة غوراً لا يستفاد منه، وفي كلا الحالتين تتبقى قدرة الله هي الفاعلة في بقاءه أو ذهابه سواء كانت الصخور مسامية أو لمساء كتومة.



﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتَ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجَعَلْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْعَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ۞

وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا.

(٥٨) وربك البليغ المغفرة الموصوف بالرحمة، لو يؤاخذ كفار مكة بذنوبهم لعاجلهم بالعقاب من غير إمهال، ولكن جعل لإهلاكهم وقتا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ولا يجدون من دونه منجى ولا ملجأ، فاعتبروا بهم ولا تغتروا بتأخير العذاب عنهم.

(٥٩) وتلك أصحاب قرى الأولين من عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم أهلكتناهم لما ظلموا مثل ظلم أهل مكة، وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر.

(٦٠) وإذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع بن نون وكان يتبعه ويخدمه ويأخذ عنه العلم لا أزال أسير حتى أبلغ ملتقى البحرين أو أمضي دهرا طويلا في بلوغه إن بعد.

(٦١) فلما بلغا مجمع ما بين البحرين - وهو المكان الذي وُعد فيه موسى لقاء الرجل الصالح - نسيا حوتهما الذي كان قد تسرب نحو البحر عند الصخرة - وهذه من عجائب الآيات - وكما جاء في الحديث الذي رواه مسلم (...). فحمل موسى عليه السلام حوتا في مكثل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة فرقد موسى عليه السلام وفتاه فاضطرب الحوت في المكثل حتى خرج من المكثل فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق فكان للحوت سربا وكان لموسى وفتاه عجبا...).

(٥١) لم أحضر إبليس وذريته لأستعين بهم في خلق السموات والأرض، ولم أحضر بعضهم خلق بعض، وما كنت متخذ الشياطين أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم ولم يشركووا في الخلق؟!

(٥٢) واذكر يوم نقول نادوا الأوثان الذين زعمتم أنهم شركائي ليشفعوا لكم بزعمكم، فدعوهم فلم يجيبوهم، وجعلنا بين الأوثان وعابديها واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا.

(٥٣) ورأى المجرمون النار فأيقنوا أنهم واقعون فيها ولم يجدوا مكانا ينصرفون إليه.

(٥٤) ولقد بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل ليتعظوا، وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

(٥٥) إن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة، وهي الإهلاك في الدنيا، أو يأتيهم عذاب الآخرة معاينة.

(٥٦) وما نرسل المرسلين إلا مبشرين للمؤمنين ومخوفين للكافرين، ويجادل الذين كفروا بالباطل ليبطلوا بجدالهم القرآن، واتخذوا القرآن وما أنذروا به من النار سخرية.

(٥٧) ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها ونسي ما عملت يده من الكفر والمعاصي، إنا جعلنا على قلوبهم أغطية فلا يفهمون القرآن، وفي آذانهم ثقلا فلا يسمعون،

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءِائِيْنَهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا ۝٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ۝٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي فَدَ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا ۝٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ ﴿

واصبر حتى أذكره لك بعلمته فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم.

(٧١) فانطلقا على الساحل حتى إذا ركبا في السفينة، أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة قال أخرقتها فإن خرقها يفضي إلى غرق أهلها لقد فعلت أمرا عظيما.

(٧٢) أجابه الرجل الصالح مذكرا له قوله: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا.

(٧٣) قال لا تؤاخذني بما غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ولا تكلفني من أمري مشقة في صحبتي إياك وعاملني فيها بالعفو واليسر.

(٧٤) فانطلقا بعد نزولهما من السفينة يمشيان حتى إذا لقيا غلاما قتله الخضر، قال له موسى أقتلت نفسا طاهرة من الذنوب لم تبلغ الحلم لقد جئت شيئا منكرًا.

(٧٥) قال - معاتباً على رفض الوصية، وقلة الصبر لما تكرر منه الاستنكار ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا.

(٧٦) قال إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تركني أتبعك قد بلغت من قبلي عذراً في مفارقتك لي.

(٧٧) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية طلبا منهم الطعام فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يوشك أن يسقط فأقامه الخضر حتى رده إلى حالة الاستقامة، قال له موسى لو شئت لطلبت على ترميمه وإصلاحه أجراً؛ لأجل أنهم لم يضيفونا.

(٦٢) فلما جاوزا الموضع الذي وصف له، وهو الصخرة التي نام عندها أحس موسى بالجوع والتعب، فقال لفتاه: أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا تعباً.

(٦٣) قال له فتاه أذكر حين التجأنا إلى الصخرة فإنني نسيت الحوت وما أنساني ذكره إلا الشيطان واتخذ سبيله في البحر، - قائلاً - عجباً!

(٦٤) أجابه موسى فقدنا الحوت ذلك الذي كنا نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه، فرجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجوا عن الطريق حتى وصلا الصخرة.

(٦٥) فوجدا عبداً من عبادنا الصالحين يقال له الخضر آتينا حكمة، وعلمناه من قبلنا علماً.

(٦٦) قال له موسى - ملاطفا متواضعا - هل أتبعك على شرط أن تعلمني مما علمت علماً يصيب الخير.

(٦٧) أجابه مؤكداً وناقياً عنه استطاعة الصبر معه.

(٦٨) معللاً بقوله وكيف تصبر على أمور ظواهرها منكر وبواطنها لم تخبره.

(٦٩) قال له موسى ستجدني صابراً معك غير منكر عليك ولا عاص لأمر، معللاً صبره بمشيئة الله لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفساد والصبر عليه خلاف المعتاد.

(٧٠) قال فإن اتبعني فلا تفتحنني في شيء تنكره مني في علمك،



﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ۞

- (٧٨) قال له الخضر هذا وقت فراق بيني وبينك - لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني - سأنبئك قبل فراقني لك بتفسير ما أشكل أمره عليك.
- (٧٩) أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر طلبا للكسب، لأنهم كانوا يمرون بها على ملك ظالم يغصب كل سفينة صالحة، وإنما خرقتها لأعيبها؛ لأرده عنها لعبها، فينتفع بها أصحابها المساكين.
- (٨٠) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فإنه طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له، كما في حديث مسلم قال قال رسول الله ﷺ إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا.
- (٨١) فأردنا أن يبدلهم ربهما خيرا منه صلاحا وتقى وأقرب منه برا بالديه.
- (٨٢) ويسألك اليهود على جهة الامتحان عن ذي القرنين، قل - أيها الرسول - سأقص عليكم من حاله خبرا.
- (٨٤) إنا مكنا له أمره من التصرف في الأرض كيف شاء، وآتيناه من كل شيء ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك.
- (٨٥) فسلك طريقا يوصله إليه.
- (٨٦) حتى وصل إلى موضع غروب الشمس ورأى كما ترى عين الرائي وكأنها تغرب في البحر في عين من طين أسود، ووجد عند العين قوما كافرين فألهمه الله ليكون شأنه معهم إما التعذيب وإما الإحسان.

٨٦ تشير الآية الكريمة إلى أن ذي القرنين وصل إلى أقصى نقطة في الغرب وهي أقصى غرب أمريكا عند جزر هاواي حيث تنشط البراكين في هذه المنطقة، ولقد اكتشف هذه الجزر الرحالة جيمس كوك في عام ألف وسبعمائة وثمانية وسبعين ميلادية، وأطلق عليها تسمية جزر (السندويتش)، كما أطلقت على هذه الجزر تسمية (أبنة البراكين) وذلك كونها بركانية المنشأ. تتميز براكين جزر هاواي بخاصية الثوران الهادئ المنتظم، بحيث تُعد صهارتها من الطبيعة قليلة اللزوجة والانبعاثات الغازية ورماد البركاني، وهي ظاهرة خاصة ببراكين هاواي دون سواها، ويلحظ وجودها في مناطق الصدوع؛ حيث تندفع الحمم البركانية من صدع في جسم البركان أو في أرضيته. ومعنى عَيْن في اللغة أي ينبوع أو الفتحة من الأرض التي يتدفق منها الماء، ومعنى حمئة أي الملتهبة أو الحارة أو المشتعلة. وهي توحى بالحمم المنصهرة. أما عبارة (وجدها تغرب) أي أن ذا القرنين رأى الشمس تختفي وراء هذه العين الملتهبة التي تقذف الحمم المنصهرة Lava باستمرار. ويوجد في هذه المنطقة أكثر من ١٤٠٠٠ بركان كانت نشطة في الماضي وبقي منها القليل يمكن أن نشاهده اليوم، كما يوجد ملايين الأطنان من الحمم المنصهرة التي تتدفق سنويا من بعض فوهات هذه البراكين التي تشبه الينابيع.

﴿ قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْدِبُهِ، تُعْرَدُ إِلَى رَبِّهِ فَيَعْدِبُهُ، عَذَابًا نَكِرًا ﴾ (٨٧) وَأَمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنُقُولُ لَهُ، مِنْ أَمْرٍ نَائِسِرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا فَجَوْحٌ وَمُجُوحٌ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ حَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ۞

- (٨٧) قال أما من ظلم بإصراره على الشرك بعد دعوته فسوف نقتله ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا شديدا في النار.
- (٨٨) وأما من تاب من كفره وآمن وعمل صالحا فله جزاء الجنة ونقول له قولا سهلا ميسرا.
- (٨٩) ثم سلك طريقا ذاهبا إلى مكان آخر.
- (٩٠) حتى إذا بلغ موضع طلوع الشمس في رأى العين وجدها تطلع على قوم لا يسترهم عند طلوعها شيء من لباس ولا سقف ولا سرب.
- (٩١) كما عامل من سبقهم سار فيهم سيرته الأولى وقد أحطنا علما بما عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما.
- (٩٢) ثم بما هيا الله له من أسباب سلك طريقا آخر.
- (٩٣) حتى إذا بلغ ما بين الجبلين وجد أمامهما قوما لا يكادون يفهمون ما يقال لهم إلا بمشقة.
- (٩٤) فشكوا إليه إفساد أجوج ومأجوج في الأرض طالبين منه أن يبنى لهم سدا يحميهم من شرهم، على أن يدفعا إليه ضريبة مقابل ذلك.
- (٩٥) فأجابهم بأن ما أعطاه الله من المال والسلطان وغيره خير مما تعرضونه، فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعا، فأعينوني بحشد من العمال يشتركون في العمل، أجعل بينكم وبينهم حاجزا حصينا.
- (٩٦) وطلب منهم أن يجمعوا له قطع الحديد فأقام به سدا عاليا فلما بلغ ارتفاعه مستوى حافتي الجبلين أمرهم أن يوقدوا عليه النار، حتى إذا انصهر الحديد صب عليه النحاس المذاب فأصبح سدا صلبا منيعا أملس.
- (٩٧) فما استطاع يأجوج ومأجوج صعوده؛ لارتفاعه وملاسته، ولا استطاعوا نقبه لصلابته.

٩٦ لقد شملت الآية الكثير من علوم السبائك المعدنية وعلوم تشكيل المعادن، وتشير الآية الكريمة إلى ضرورة مساواة حافتي الجبلين حتى يكون البناء قويا ولا يحدث فيه شروخ أو انحرافا، وتتجلى قدرة الله تعالى في إعطاء هذا السد قوة خالدة بإذن الله تعالى في ملاء هذا المنشأ الهندسي بزبر الحديد (خام الحديد الذي يتواجد في الجبل على شكل أكاسيد الحديد المعروفة باسم الهيماتيت) ثم يقوم بتجهيزها لإنتاج الحديد كهربائيا حتى إذا أشتعل وأصبح لونه لون النار أضيف عليه نسبة قليلة من النحاس مما يجعله سبيكة لها مناعة وقوة لا يمكن اختراقها وخصائص تكسبها مقاومة الصدأ مع مرور الزمن.

٩٧ جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن قصة ذي القرنين وبنائه للسد أمام قوم يأجوج ومأجوج. ونجد في هذه الآية أن كلمة (اسْتَطَاعُوا) الأولى من غير حرف التاء! اما كلمة (اسْتَطَاعُوا) الثانية يوجد فيها حرف التاء فما الفرق؟ نجد هنا فائدة معنوية، وهي أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فزيادة حرف (التاء) في إحدى الكلمتين تدل على أن الاستطاعة فيها أشد من الكلمة التي حذفت منها التاء، فعند المقابلة بين أمرين، يقال في الأشد منهما: (استطاع) بالتاء، ويقال في الأخف: (استطاع) بحذف التاء. ولقد عبر القرآن الكريم عن عجز قوم يأجوج ومأجوج عن تسلق هذا الجدار بقوله (فما استطاعوا أن يظهروه) وذلك بحذف حرف التاء من الفعل وعبر عن عجزهم عن هدم الجدار ونقضه بقوله: (وما استطاعوا له نقبا)، وذلك بإثبات التاء في الفعل حيث أن نقب السد اصعب بكثير من صعوده هذا السد وهذا هو المناسب للموضوعين في السورة.



﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَاهُمْ مَجْمَعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ غَرَضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ۞

- (٩٨) قال هذا السد نعمة من الله ورحمة على عباده حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من الفساد في الأرض ، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمن جعل السد مبسوطا مستويا بالأرض، وكان وعد ربي كائنا لا محالة.
- (٩٩) وتركنا - يوم يدك السد - يجوج ومأجوج يموجون في الناس يفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم، ويوم ينفخ في القرن للبعث يجتمع الخلائق جميعا في مكان واحد.
- (١٠٠) وأبرزنا جهنم للكافرين ذلك اليوم فرأوها وشاهدوا فيها من العذاب والنكال قبل دخولها، ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم. كما ورد في الحديث مسلم في صحيحه قال قال رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها.
- (١٠١) الذين كانت أعينهم في غطاء عن القرآن فتعاموا وتغافلوا، وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق، وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا من النبي ما يتلوه عليهم بغضاله فلا يؤمنون به ولا يعقلون عن الله أمره ونهيه.
- (١٠٢) أظن الذين كفروا أن اتخاذهم من عبادي أربابا - كالملائكة وعيسى وعزير - من دوني ينفعهم ويصرف عنهم العذاب؟ كلا، إنا أعتدنا جهنم للكافرين منزلا ومستقرا.
- (١٠٣) قل لهؤلاء الكافرين: هل أخبركم بأشد الناس خسرانا لأعمالهم، وحرمانا من ثوابها؟
- (١٠٤) الذين ضاع عملهم في الدنيا؛ لأنهم عملوا أعمالا باطلة غير مقبولة، وهم يظنون أنهم يحسنون عملا يجازون عليه.
- (١٠٥) أولئك الذين جحدوا آيات الله في الدنيا، وكذبوا بدلائل توحيده، وأنكروا البعث والحساب والثواب والعقاب فبطلت أعمالهم فلا تثقل موازينهم؛ لأنها خالية عن الخير.
- (١٠٦) ذلك الأمر المذكور من حبوط أعمالهم شأنهم، وجزاؤهم عليه جهنم، بسبب كفرهم وسخريتهم بما أنزل الله من آيات، وما أرسل من رسل.
- (١٠٧) إن الذين صدقوا في الإيمان وعملوا الأعمال الصالحة؛ جزاؤهم جنات الفردوس منزلا.
- (١٠٨) خالدون فيها لا يطلبون عنها تحولا إلى غيرها.
- (١٠٩) قل لو كان ماء البحر مدادا يكتب به كلمات ربي الدالة على حكمه وعجائبه لنفد البحر في كتابتها قبل أن تفرغ كلمات ربي ولو جئنا بمثل البحر زيادة لنفد ولم تفرغ.
- (١١٠) قل إنما أنا آدمي مثلكم يوحى إلي وحدانية الإله لإله إلا هو، فمن كان يأمل لقاء ربه بالبعث والجزاء، فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كَهَيْعِصَ ١ ﴾ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُهُ، زَكَرِيَّا ٢ ﴿ إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا ٣ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ ﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ٦ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ ﴿ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ، يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ ﴾ .

- (١) من الحروف المقطعة التي وردت في فواتح بعض السور وفيها إشارة إلى التحدي بهذا القرآن للمعاندين والمشركين إلى يوم القيامة، أن هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف، ومع ذلك أنتم عاجزون على الإتيان بسورة من مثله.
- (٢) هذا المتلو عليك - أيها الرسول - هو خبر عبده زكريا ورحمة الله به.
- (٣) حين التجأ إلى الله ودعاه خفية عن الناس.
- (٤) قائلا: رب إنني ضعفت وخارت قواي، وانتشر الشيب في شعري كما تنتشر النار في الحطب ولم أكن بدعائي إياك رب خائبا فيما مضى فلا تخيني فيما يأتي.
- (٥) وإني خفت أقاربي ألا يحسنوا القيام بأمر الدين بعد موتي، وكانت امرأتي عاقرا لا تلد، فهب لي من عندك ابنا.
- (٦) يرثني في العلم والدين، ويرث من آل يعقوب الملك، واجعله يا رب مرضيا عندك وعند الناس.
- (٧) يا زكريا إنا نبشرك بغلام يرثك اسمه يحيى لم يسم أحد قبله بهذا الاسم.

٤ إن الأعراض الخمسة التي وردت في أوائل سورة مريم وهي: وهن العظم - شيب الشعر - الخوف - الكبر ضعف الخصوية، تمثل ركائز لعلاقة هرمونية متناسقة، مما يدل على أنها اختيرت من بين الأعراض الأخرى للشيخوخة، بسبب وجود هذه العلاقة التي تحكم هذه الأعراض المذكورة في منظومة حكيمة ومنطقية، وذلك مما نبينه فيما يلي:

لقد جاء في أول الدعاء ذكر وهن العظم، ثم شيب الرأس، وبعدها مباشرة الخوف، فوهن العظم ينتج أثناء الخوف بسبب زيادة هرمون الكورتيزون الذي يرتفع عند التوتر والقلق إذا كان مستمرا لفترة ما، كما أن الكورتيزون يسبب نقصا في الخصوية، أما شيب الشعر السريع فهو ما عبر عنه القرآن (واشعل الرأس شيبا) وليس هناك ما هو أسرع مشاهدة من ضوء اللهب والاشتعال، وهذا الشيب يحصل بسبب التوتر حين يقع إفراز مواد ضارة لخلايا التلوين من النهايات العصبية السمبثاوية في الشعر، وهذه المادة هي الأدرينالين. والنتيجة هي زيادة معتبرة وعالية في هرمون التوتر (الكورتيزون) وهرمونات أحادية الأمين، وكذلك نقص شديد بسبب الشيخوخة في هرمون التوستيستيرون والهرمونات الأربعة، وبتغييراتها المذكورة، تؤثر سلبيا في عملية إنتاج الحيوانات المنوية، فزيادة الكورتيزون والأمينات الأحادية مثل السيروتونين، ونقص التوستيستيرون والهرمون المنشط للتلوين، كلها تضر عملية نضج الحيوانات المنوية، وإن كان وجود عامل واحد كاف لتعطيل هذا الإنتاج، فكيف إذا اجتمعت العوامل الأربعة معا، وتحت تأثير تصعيدي متبادل لسببهما هما الشيخوخة والخوف؟ وهل بعد توضيح هذه المنظومة الهرمونية الرائعة التي تجمع الأعراض الخمسة من أوائل سورة مريم، هل بعد ذلك شك في أن سيدنا زكريا عليه السلام كان في وضع يتعذر معه الإنجاب؟ وهل من شك أن كبره مساو لعقم زوجته من ناحية عدم الإنجاب؟ ولذلك وبسبب هذا الوضع الصعب لجسمه ألهمه الله الدعاء من أجل الحصول على الولد وكانت المعجزة بأن رزقه الله الولد على كبره الشديد، وقد وصف سيدنا زكريا حاله بعلامتين لهما ارتباط بالإنجاب. وهكذا جمعت أوائل سورة مريم بين جميل العبارة اللغوية مع الاختصار ودقة الوصف والأسلوب البليغ، ويتوج كل ذلك برباط علمي متناسق بين الأعراض المذكورة. فمن يقدر غير الله سبحانه على هذا البيان البلاغي والعلمي الذي يتناول معلومات كانت مجهولة حين نزول القرآن الكريم منذ (١٤) قرنا.



﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۗ ﴾ (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ۗ ﴾ (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۗ ﴾ (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۗ ﴾ (١١) يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآيَاتِنَا لِلْحَكَمِ صُبُوحًا ۗ ﴾ (١٢) وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۗ ﴾ (١٣) وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۗ ﴾ (١٤) وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۗ ﴾ (١٥) وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۗ ﴾ (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ ﴾ (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۗ ﴾ (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ ﴾ (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۗ ﴾ (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۗ ﴾ (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ﴾ (٢٢) فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۗ ﴾ (٢٣)

- (٨) قال ربي كيف يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا لا تلد، وقد صرت شيئا كبيرا.
- (٩) قال الأمر كذلك - تصديقا له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته - وأن منحك الولد مع كبر السن وعقم الزوج هين علي، ولا تستبعد ذلك فقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا.
- (١٠) قال رب اجعل لي علامة على حمل امرأتي، قال آيتك عليه أنك تتمتع من كلام الناس ثلاث ليال بأيامها وأنت سليم الحواس غير أخرس.
- (١١) فخرج زكريا على قومه من محراب المسجد فأشار إليهم أن صلوا أول النهار وآخره.
- (١٢) يا يحيى خذ التوراة بجد وحرص واجتهاد، وآتيناه الفهم للتوراة ومعرفة الأحكام الشرعية، والفقهاء في الدين وهو صبي.
- (١٣) ورحمة للناس من عندنا، وطهارة، وكان مطيعا مجتبا للمعاصي والآثام.
- (١٤) ومحسنا لوالديه ولم يكن متكبيرا، ولا عاصيا لربه.
- (١٥) وله السلامة منا والأمان في أوحش المواطن للخلق وهي: يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيا.
- (١٦) واذكر في القرآن قصة مريم حين اعتزلت أهلها وتنحت عنهم شرق المسجد المقدس.
- (١٧) فاستترت منهم وتوارت، فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام على صورة إنسان تام كامل.
- (١٨) قالت - لما تبدى لها الملك في صورة بشر - إني أتحصن بالله منك وألجأ إليه إن كنت تخاف الله فتتعظ بتعويدي.
- (١٩) قال جبريل عليه السلام: إني رسول ربك الذي استعدت به بعثني إليك ليهبك غلاما طاهرا.
- (٢٠) قالت مريم: كيف يكون لي غلام ولم يقربني إنسان بزواج، ولست زانية؟
- (٢١) قال جبريل عليه السلام إن الله قد قال: إنه سيولد منك غلام من غير أب، ونفعل ذلك، ولنجعله علامة للناس وبرهاناً على كمال قدرتنا، ورحمة منا للعباد يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وكان خلقه أمرا مقدر في علم الله تعالى ومشيتته لا بد منه.
- (٢٢) فنخس فيها جبريل فحملت بعباسي عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩١) فتنحت به مكانا بعيدا من أهلها.
- (٢٣) فألجأها ألم الولادة إلى جذع نخلة لتستر به وتعتمد عليه عند الولادة قائلة: - استحياء من الناس ومخافة لومهم - يا ليتني مت قبل هذا وكنت شيئا منسيا لا يعرف ولا يذكر.

﴿ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ الْجِدْعَ النَّخْلَةَ فَسُقِطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمِي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ، قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

بالولد، فإذا رأيت أحدا من الناس يسألك عن ولدك فأشربي إليه أنك صائمة عن الكلام، ولن تتحدثي اليوم إلى أحد.

(٢٧) فأتت به قومها تحمله، فلما رأوه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا عظيما حيث أتيت بولد من غير أب.

(٢٤) فنادها جبريل عليه السلام من أسفل الوادي قائلا لا تحزني قد جعل ربك تحتك جدولا من ماء.

(٢٥) وهزي إليك بجذع النخلة تتساقط عليك رطبا مستويا صالحا لأن يجتني.

(٢٦) فكلمي من الرطب، واشربي من ماء الجدول، وطيبني نفساً

٢٢ هذه الآيات تتضمن إشارات عدة بصدد مخاض السيدة مريم، وترشد المرأة التي في حالة المخاض إلى أمور عدة نافعة لها وهي:

- (١) **السكون النفسي** : (تحزني .. قري) في أن الله هيا لها كل أسباب ذلك بإلغاء المشاعر السلبية التي كانت تعاني منها في حالة المخاض العذراء (الألم الجسدي، الخوف، القلق، التوتر، الوحدة، عدم الخبرة، الخوف من الفضيحة، الإجهاد، التعب ...) وتقوية المشاعر الإيجابية وذلك من خلال (تأمين الراحة النفسية والجسدية، تأمين الطعام والشراب والدواء، تأييدها بالمعجزات وربطها بخالق السماء. وقد حصل لها قرار العين وهذوء النفس الذي سهل لها الولادة رغم جميع الظروف الصعبة المحيطة بها، وتتوافق هذه الوصية الطبية النفسية الرائعة مع معطيات علم التوليد الحديث والعلوم النفسية. وبذلك يتضح أن مخاضها يحمل إعجازاً علمياً واضحاً، فمن أخبر محمد ﷺ بهذه المعلومات الطبية الدقيقة.
- (٢) **الحركة** : ﴿ وهزي ﴾ يوجه الله تعالى إلى ضرورة الأخذ بالأسباب في جلب الرزق والتداوي، ودور الحركة أثناء بداية المخاض أنها مفيدة لمن أشرفت على الوضع، ويركز الأطباء دائماً على أهمية الحركة والمشى والرياضة المناسبة، وكما جاء في كتاب الجامع في التوليد: « لا حاجة لبقاء المرأة في السرير في المراحل الباكرا للمخاض قبل استعمال المسكنات عندما تكون المرأة وجنينها طبيعيين تماماً».
- (٣) **تناول الرطب** : وقد أثبت العلم الحديث صحة تلك الوصية، وبرز هنا بعض جوانب الإعجاز العلمي للآية الكريمة ﴿رطباً جنياً فكلي﴾:

- يحتوي الرطب على مادة مشابهة للأوكسيتوسين وهو مفرز الفص الخلفي للنخامة وهو الدواء الهام المستخدم لتحريض المخاض، كما أن له أثراً مهماً بعد ولادة الجنين والمشيمة لأنها تساعد على تقبض الرحم وبالتالي الوقاية من حدوث النزف بعد الولادة وعطالة الرحم وحمى النفاس، وله أثر مهم في تدفق الحليب أثناء الإرضاع.
- إن الرطب وقود مثالي وغذاء غني بالسكريات الأحادية السريعة الامتصاص (الكلوكوز بنسبة ٩٥٪)، لذا فله دور هام أثناء عملية الولادة لتأمين الطاقة اللازمة لتقلصات العضلة الرحمية وللجهد المبذول أثناء عملية الحزق.
- إن الرطب من أفضل المواد المليئة الطبيعية للأعضاء.
- إن الرطب غذاء فقير بالصوديوم، غني بالبوتاسيوم والماغنسيوم، وكل هذه العوامل تتضافر معاً في خفض ضغط الدم المرتفع أو الوقاية من ارتفاع الضغط الشرياني خلال المخاض، وهذا مفيد بحالة الولادة لأن المحافظة على الضغط الشرياني ضمن الحدود الطبيعية أو خفض ضغط الدم المرتفع يساعد على الإقلال من كمية الدم النازف.
- إن الرطب غني يحتوي على عنصر حديد بنسبة عالية بما يساعد على تكوين دم جديد غير الذي فقدته خلال عملية النفاس.
- إن قلة المواد البروتينية والدهنية في الرطب تعلى كونه غذاء سهل الهضم خلال المخاض.
- للرطب دور مفيد في إحداث الهدوء والسكينة بسبب احتوائه على الفيتامين أ وتأثيره المضاد للدرقية.



﴿ يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤١﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٢﴾ يَتَّخِذُ لِمَنْ يَشَاءُ الْآيَاتِ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤٣﴾ يَتَّخِذُ لِمَنْ يَشَاءُ الْآيَاتِ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤٤﴾

- (٢٨) يا شبيهة هارون النبي التقى الورع، كيف تأتين ما أتيت وما كان أبوك فاسد الأخلاق، بل طيب طاهر من أهل الصلاح وما كانت أمك زانية.
- (٢٩) فأشارت إلى ولدها بأنه من يجيبكم إذا كلمتموه، قالوا - مستنكرين - كيف نكلم صبيًا في مهده.
- (٣٠) فأنطق الله عيسى في المهدي مخبرًا بما كتبه الله له: إني عبد الله سيؤتيني الإنجيل، ويختارني نبيًا.
- (٣١) ويجعلني مباركًا معلمًا للخير نفاعًا للناس، ويأمرني بإقامة الصلاة وأداء الزكاة مدة حياتي.
- (٣٢) وجعلني برا بوالدتي، ولم يجعلني متجبرًا على الناس عاصيا لربه.
- (٣٣) والسلامة والأمان على من الله يوم ولادتي، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا.
- (٣٤) ذلك الموصوف بهذه الصفات، هو عيسى ابن مريم، وهذا هو القول الحق في شأنه، الذي يجادل فيه المبطلون، ويشكك في أمر نبوته الشاكون.
- (٣٥) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه - تنزه الله عن ذلك - إذا أراد أن يحدث أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.
- (٣٦) ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا الذي جئتكم به عن الله طريق قويم مؤد إلى الجنة.
- (٣٧) فاختلف الأحزاب من النصراني في عيسى - أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة - فعذاب شديد للذين كفروا يوم القيامة.
- (٣٨) ما أشد سمعهم وأقوى بصرهم يوم يلقون الله! لكنهم اليوم في الدنيا بظلمهم أنفسهم، وتركهم الانتفاع بالسمع والبصر في ضلال ظاهر عن الحق.
- (٣٩) وخوف - أيها الرسول - كفار مكة يوم القيامة الذي يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا حين يتم حسابهم، وينالون جزاءهم، الذي كانوا في الدنيا عنه غافلين، وهم به لا يؤمنون.
- (٤٠) إنا نحن نرث الأرض ومن عليها من العقلاء وغيرهم باهلاكلهم وإلينا يرجعون للجزاء.
- (٤١) واذكر - أيها الرسول - للناس ما في القرآن من قصة إبراهيم، إنه بلغ الغاية في تصديق ما يتلقاه من الله تبارك وتعالى، فيطيع وينفذ بلا تأخير.
- (٤٢) إذ قال لأبيه أزر يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفعك ولا يدفع عنك ضررًا.
- (٤٣) يا أبتى، لقد جاءني من طريق الوحي الإلهي ما لم يأتك من العلم بالله، والمعرفة بما يلزم الإنسان نحو ربه، فاتبعني فيما أدعوك إليه من الإيمان، أدلك على الطريق المستقيم، الذي يوصلك إلى الحق والسعادة.
- (٤٤) يا أبتى لا تطع الشيطان في عبادتك هذه الأصنام، إنه مخالف مستكبر عن طاعة ربه مطرود من رحمته، فلا تصر مثله.

﴿يَأْتِي إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥١﴾ وَنَدَبْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ٥٣﴾ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ٥٥﴾ وَذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبْتِنَا إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾ ﴿

- (٤٥) يا أبت إني أخاف أن يصيبك عذاب من الرحمن على شركك وكفرك إن لم تتب، فتكون قريباً من الشيطان وتابعا له يصيبك من العذاب ما يصيبه، وتعذب كما يُعذب.
- (٤٦) قال كيف ترفض آلهتي يا إبراهيم وتعيبها وتدعوني إلى عبادة إلهك؟؛ لئن لم تنته عن التعرض لها لأرمينك بالحجارة وابتعد عني زمنا طويلا حتى تهدأ ثائرتي عنك.
- (٤٧) قال إبراهيم سلام عليك مني لا أقول لك بعد ما يؤذيك سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والإيمان، إنه كان بي باراً لطيفاً يجيب دعائي.
- (٤٨) وأعتزلكم وما تعبدون من دون الله، وأعبد ربي وحده راجياً ألا أكون خائباً ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم.
- (٤٩) فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة إلى الأرض المقدسة بالشام وهب الله له إسحاق وولده يعقوب وجعل كل منهما نبياً.
- (٥٠) ووهب الله لهم النبوة والأموال والأولاد، فأعلى ذكرهم وأثنى عليهم، كما أعلى ذكره وأثنى عليه.
- (٥١) واذكر - أيها الرسول - للناس ما في القرآن من قصة موسى، إنه كان مخلصاً أخلص نفسه وأعماله لله وأخلصه الله للنبوة، وقد اصطفاه الله للنبوة والرسالة.
- (٥٢) وناديناه من جانب جبل الطور الأيمن الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين وقربناه مناجياً بأن كلمه الله تعالى كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه: ١٤).
- (٥٣) وهبنا له - من رحمتنا له وترأفنا عليه - أخاه هرون نبياً مُعِيناً له ومسانداً في الدعوة إلى الله.
- (٥٤) واذكر - أيها الرسول - للناس ما في القرآن من قصة إسماعيل وصدقه في وعده بالصبر على الذبح كما في قوله تعالى: ﴿لَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢) وكان رسولاً نبياً.
- (٥٥) وكان يأمر قومه بالصلاة والزكاة بادءاً بأهله، وكان عند ربه مرضياً، لاستقامة أقواله وأفعاله.
- (٥٦) واذكر - أيها الرسول - للناس ما في القرآن من قصة إدريس إنه كان شأنه الصدق قولاً وفعلًا وعملاً. وقد منحه الله شرف النبوة.
- (٥٧) ورفع الله مكاناً عالياً في السماء.
- (٥٨) أولئك المذكورون في السورة من زكريا إلى إدريس عليه السلام الذين أنعم الله عليهم من النبيين بنعم الدنيا والآخرة من ذرية آدم، ومن ذرية من نجاه الله مع نوح في السفينة، ومن ذرية إبراهيم، ومن ذرية يعقوب، ومن هديناهم إلى الحق، واصطفيناهم لإبلاغ رسالات الله، إذا سمعوا آيات الله تتلى عليهم خروا ساجدين لربهم خضوعاً واستكانة، وحمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة. باكين من خشيتهم لله ومحبتهم له.



﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَهُمْ فِيهَا فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيًا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسُوفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَسِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ۞

- أيها الرسول - واصبر على تكاليف عبادته ومشاقها، هل تعلم له مثيلاً ونظيراً؟ أو من تسمى باسمه، لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى.

(٦٦) ويقول الإنسان متعجباً: كيف أبعث من الأرض حياً بعد الموت والفناء!؟

(٦٧) يقول ذاك ولا يتذكر حال النشأة الأولى عندما أنشأه من العدم إلى الوجود، ولم يكن شيئاً مذكوراً كما قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان: ١، ٢) وقد أكد الله تعالى البعث بعد الموت بقوله: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ (النجم: ٤٧).

(٦٨) فوالذي خلقك بقدرته ورباك بنعمه لنجمعن المنكرين للبعث يوم القيامة مقرونين مع شياطينهم ولنحضرهم جميعاً حول جهنم جاثين على ركبهم.

(٦٩) ثم لنزعن من كل جماعة أكثرها كفراً بالله، وتمرداً عليه فيقدم إلى النار لكونهم ضاللاً ومضلين.

(٧٠) ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بجهنم دخولا واحتراقا فنبداً بهم.

(٧١) وما منكم أحد إلا حاضراً إلى جهنم فيمر بها المؤمن، ويدخلها الكافر حتماً جرى به قضاء الله.

(٧٢) ثم ننجي المتقين ونذر الظالمين بالشرك والكفر فيها جثياً على الركب.

(٥٩) فجاء بعد هؤلاء الأخيار أجيال سوء تركوا الصلاة أو أخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشراب الخمر واستحلال الزنا وارتكاب المعاصي، وسيلقى هؤلاء جزاء غيهم وضلالهم في الدنيا والآخرة.

(٦٠) لكن من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات، فإن الله يقبل توبته، ويحسن عاقبته، ويجعله ممن يدخلون الجنة ولا ينقصون شيئاً من ثوابهم.

(٦١) جنات إقامة دائمة التي وعد الرحمن بها عباده التائبين، وهي غائبة عنهم غير حاضرة، وكان وعده مفعولاً منجزاً والعباد صائرون إليه لا محالة.

(٦٢) لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً من الملائكة ومن بعضهم على بعض، ولهم رزقهم فيها في مثل وقت البكرات ووقت العشيات.

(٦٣) تلك الجنة التي نعطي وننزل من عبادنا من كان تقياً بطاعته.

(٦٤) لا ننزل إلا بإذن ربنا له ما قدامنا وما خلفنا، وما نحن فيه من الجهات والأماكن، ولا نتحرك إلا بأمر الله، وما نسيك ربك - حكاها جبريل - لما قال له الرسول ﷺ: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ كما ورد الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس.

(٦٥) خالق السماوات والأرض وما بينهما ومدبر ذلك كله، والحاكم فيه والمتصرف الذي لا معقب لحكمه، فاعبده

﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴾ (٧٣) ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ﴾ (٧٤) ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلِمَ دُدُّ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴾ (٧٥) ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدُوا هُدًىٰ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (٧٦) ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ (٧٧) ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (٧٨) ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴾ (٧٩) ﴿ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (٨٠) ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴾ (٨١) ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ (٨٢) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوۡزِيۡهُمۡ أَزۡوَٰجًا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيْهِمۡ إِنَّمَا نَعۡدُهُمۡ لَهۡمۡ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحۡشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحۡمٰنِ وَفَدَا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمۡلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنۡ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحۡمٰنِ عَهۡدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ .

- (٧٣) وكانوا إذا تتلى على الفريقين من المؤمنين والكافرين آيات واضحات من القرآن، قال الذين كفروا للذين آمنوا أي منا خير منزلا ومسكنا وأحسن مجلسا ومجمعا؟.
- (٧٤) وكمن من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم، كانوا أحسن من هؤلاء أموالا وأمتعة ومناظر وأشكالاً.
- (٧٥) قل - أيها الرسول - لهؤلاء المشركين أي: منا ومنكم في الضلالة يمد له الرحمن مدا في الدنيا يستدرجه فيما هو فيه، حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب كالقتل والأسر، وإما الساعة المشتملة على جهنم يدخلونها، فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا وأضعف أعوانا أهم المشركون وجندهم الشياطين أم المؤمنون وجندهم الملائكة؟
- (٧٦) كما يمد الله لمن هو في الضلالة فيما هو فيه، يزيد في المقابل المهتدين هدى، والأعمال الصالحة خير عند الله ثواباً، وأبقى فائدة مما متع به الكفار من النعم الفانية.
- (٧٧) أفرأيت الذي كفر بآياتنا: هو - العاصي بن وائل - كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن خباب، قال: كنت قيناً في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل درهم، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: «لا، والله لا أكفر بمحمد ﷺ، حتى يميئك الله، ثم يبعثك»، قال: فدعني حتى أموت، ثم أبعث فأوتى مالا وولداً، ثم أقضيك فنزلت: ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال: لأوتين مالا وولداً ﴾ (مريم: ٧٧).
- (٧٨) أعلم - ذلك الكافر الغيب - حتى ادعى أنه يؤتى في الآخرة مالا وولداً، وهل اتخذ عند الرحمن عهداً بأن يؤتى ما قاله؟.
- (٧٩) كلا، لا يؤتى ذلك سنأمر بكتب افتراءه، ونزيد له من العذاب الذي يستأهله أمثاله من الكفار المستهزين.
- (٨٠) ونرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة، وهي المال والولد، حين يهلك ويتركها، ويأتينا في الآخرة بلا مال ولا ولد ولا ولي ولا نصير.
- (٨١) واتخذ الكافرون آلهة غير الله عبدوها، لتكون لهم شفعاء في الآخرة.
- (٨٢) ليس الأمر كما ظنوا وتوهموا، وستنكر معبوداتهم عبادتهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ ﴾ (يونس: ٢٨) ويكونون بخلاف ما رجوا منهم.
- (٨٣) ألم تعلم - أيها الرسول - أننا سلطنا الشياطين على الكافرين تغريهم وتهيجهم إلى المعاصي.
- (٨٤) فلا تستعجل - أيها الرسول - إهلاكهم، فإنما نتركهم في الدنيا زمناً معدوداً ونحصي عليهم أعمالهم وذنوبهم، لنحاسبهم عليها في الآخرة.
- (٨٥) واذكر يوم نحشر المتقين ركباً على مراكب الدار الآخرة.
- (٨٦) ويساق المجرمون المكذبون للرسول إلى النار مشاة عطاشاً.
- (٨٧) ليس لهم من يشفع لهم: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صٰدِقِ حَمِيمٍ ﴾ (الشعراء: ١٠٠، ١٠١) ﴿ وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا الْمَآذُونَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (طه: ١٠٩).



﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَيَجْرُ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْرُنَا لِبَلْسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ ۞

- (٨٨) وقال المشركون واليهود والنصارى: إن الله اتخذ ولدا. (٩٥) وكلهم يأتيه يوم القيامة منفرداً عن الأموال والاتباع والأنصار.
- (٨٩) لقد أتيتم بقولكم منكراً عظيماً.
- (٩٠) لهول هذه الكلمة تكاد السموات يتشققن منه، وتنخسف الأرض، وتسقط الجبال قطعاً مفتتة.
- (٩١) من أجل أنهم اتخذوا للرحمن ولداً.
- (٩٢) وما يليق للرحمن أن يتخذ ولداً.
- (٩٣) وكل من في السموات والأرض من معبوداتهم من الملائكة ومن الناس إلا وهو يأوي إلى الرحمن ويلتجئ إلى ربوبيته عبداً مطيعاً راجياً.
- (٩٤) لقد حصرهم وأحاط بهم فلا يخرجون عن حوز علمه وقبضة قدرته وعدّ أشخاصهم وأنفاسهم عدداً، فلا يخفى عليه واحد منهم.
- (٩٦) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً يتحابون ويحبهم الله تعالى وملائكته، ففي الحديث المتفق عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض».
- (٩٧) وإنما يسرنا القرآن بلسانك العربي لتبشّر به المتقين الفائزين بالإيمان، وتخوف به قوماً مجادلين بالباطل وهم كفار مكة.
- (٩٨) وكثيراً ما أهلكنا قبلهم من أمة من الأمم بتكذيبهم الرسل، هل تجد منهم من أحد أو تسمع لهم صوتاً خفياً، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۝٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَةً لِّمَنْ يَخْشَى ۝٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۝٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ ۞

- (١) من الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض السور من القرآن، وسبق الحديث عنها.
- (٢) ما أنزلنا عليك القرآن - أيها الرسول - لتتعب تأسفاً على كفر قريش، وتحسراً على إعراضهم عن الإيمان.
- (٣) لكن أنزلناه تذكرة لمن يخاف الله، فما عليك إلا أن تبلغ وتذكر.
- (٤) هذا القرآن الذي جاءك - أيها الرسول - تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه، الذي خلق الأرض، وخلق السماوات العلاء.
- (٥) الموصوف بالرحمة الواسعة، استوى على العرش العظيم استواء يليق بجلاله.

﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ ٦ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أُنْتِكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَتْهَا نُوْدِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْأَمْقَدِسِ طُوى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ ﴿

- (٦) له سبحانه ملك السماوات وما فيها وله ملك الأرض وما عليها، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله ملك ما تحت الأرض.
- (٧) إن جهرت بالذكر أو أخفيتة فإنه يعلم ذلك، لأنه يعلم السرّ وأخفى، فلا تجهد نفسك بالجهر.
- (٨) هو الله الذي لا معبود بحق سواه؛ له الأسماء الحسنى الدالة على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والإجلال والربوبية، والأفعال التي هي الكمال في الحسن.
- (٩) وقد أتاك - أيها الرسول - خبر موسى مع فرعون.
- (١٠) حين رأى ناراً فقال لامرأته أقيموا في مكانكم - أثناء سفره من مدين إلى مصر - إنني أبصرت ناراً لعلّي آتيكم منها بشعلة من النار، أو أجد حول النار هادياً يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل.
- (١١) فلما بلغ مكان النار، سمع صوتاً علوياً يناديه: يا موسى.
- (١٢) قال له وما تلك بيمينك يا موسى، على سبيل الإناس له.
- (١٣) إنني اصطفتك للنبوّة فاستمع لما يوحى إليك.
- (١٤) إنني أنا الله وحدني وقم بعبادتي من غير شريك، وصلّ لتذكرني.
- (١٥) إن الساعة قائمة لا محالة، وكائنه لا بد منها، لا أطلع عليها أحداً غيري، لأجزى كل عامل بعمله.
- (١٦) فلا يصرفك عن الإيمان بها من لا يؤمن بها واتبع هواه في إنكارها فتهلك إن صدقت عنها.
- (١٧) قال له وما تلك بيمينك يا موسى، على سبيل الإناس له.
- (١٨) قال هي عصاي أعتمد عليها في حال المشي، وأسوق بها غنمي، ولي فيها منافع وحاجات أخرى غير ذلك.
- (١٩) قال الله تعالى لموسى: ألق عصاك.
- (٢٠) فلما ألقاها صارت في الحال حيّة تمشي على بطنها سريعاً.

٦ أن هذه الآية الكريمة قد أشارت إلى ما يعرف اليوم بعلم البيئّة والكون بالمعنى الشامل والتام، فبدأت بذكر «ما في السماوات» من أشياء لا نعرفها ومخلوقات أخرى نعرفها كالمجرات والنجوم والكواكب وغيرها، ثم أشارت إلى ما في الأرض وما فيها من جبال ووديان وأنهار...، وما بينهما أي كل الظواهر الجوية بدءاً من السحاب والأمطار وغيرها ما هو موجود في المنطقة البيئية بين كل سماء وأخرى، وأخيراً «ما تحت الثرى» كشف العلم الحديث عن كثير من الكائنات والموجودات في باطن الأرض سواء في القشرة أو ما تحتها مما كان خفياً في عصر التنزيل فضلاً عن العصور القديمة، فبينما كانت معارفهم لا تتعدى حدود معرفة المياه المستنبطة وبعض الحشرات وما يمكن مشاهدتها بالعين المجردة كشف الله لأبناء هذا العصر خفايا كثيرة سواء في مجال القشرة الأرضية أو في أعماق الأرض كالفطريات والبكتيريا وجميع الكائنات الدقيقة، ومن ثم فقد استخرج من الأعماق الفحم الحجري والبتروول والعناصر المشعة كاليورانيوم وغيرها مما كان البشر على جهالة تامة بوجودها؛ في حين جاءت الآية الكريمة تجمع ذلك كله بكلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وما تحت الثرى ﴾.



﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ (٢١) وَأَضْمَمَ بِدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ءَايَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسُحِكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَفَلَنَنْفَسَنَّ أَنْفُسًا فَنُجِيبَنَّكَ مِنَ الْعَمْرِ ۖ فَفَنَنْتَقِلُ فَنُؤَنَّا فَلَيْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُبَيِّنُكَ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ ۝

- (٢١) قال خذها ولا تخف منها سنعيد لها حالتها الأولى عصا كما كانت.
- (٢٢) واضمم كفك اليمنى إلى جنبك الأيسر تحت العضد وأخرجها تخرج بيضاء من غير برص تتلألأ دون أن يكون بها مرض أو برص، وهذه معجزة ثانية دالة على رسالتك بعد معجزة العصى.
- (٢٣) لنريك بهاتين الآيتين بعض دلائل قدرتنا العظمى.
- (٢٤) اذهب رسولاً إلى فرعون ومن معه إنه جاوز الحد في كفره وتمرده فادعى الربوبية والألوهية. كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي... ﴾ (القصص: ٣٨)، وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (النازعات: ٢٤).
- (٢٥) قال رب وسع لي صدري لتحمل تكاليف الرسالة.
- (٢٦) وسهل لي أمري حتى أقوى على القيام به.
- (٢٧) وفك حبة لساني لأفهم من أخطب.
- (٢٨) يفهم المخاطبون قولي عند تبليغ الرسالة.
- (٢٩) واجعل معيناً لي من أهلي على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها.
- (٣٠) وأن يكون هذا المعين هو هارون أخي.
- (٣١) قو به ظهري.
- (٣٢) وأشركه معي في تحمل أعباء الرسالة وتبليغها.
- (٣٣) كي ننزهك تنزيهاً كثيراً عما لا يليق بك.
- (٣٤) ونذكرك ذكراً كثيراً.
- (٣٥) إنك كنت بنا بصيراً
- (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى دون سؤال منك.
- (٣٧) واذكر يا موسى حين ألهمنا أمك إلهاماً في أمرك فيه نجاتك وحياتك.
- (٣٨) أن ألقى في التابوت فأقذفيه بالتابوت في نهر النيل فليلقه اليم بالشطية يأخذه عدو لي وعدو له وهو فرعون، وألقيت عليك بعد أن أخذك محبة مني فأحبك فرعون وكل من رآك، ولتربي على رعايتي وحفظي لك.
- (٤٠) واذكر يا موسى إذ تمشي أختك لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهن، فتقول هل أدلكم على من يكفله فأجبت فجاءت بأمك فقبلت ثديها، فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن حينئذ، ولما كبرت وقتلت خطأ رجلاً من قوم فرعون فنجيناك من الغم الذي أصابك بسبب خوفك من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون، وابتلينك بأنواع من الابتلاء وخلصناك منها، وذهبت إلى مدين فمكثت فيها سنين، ثم عدت مع زوجتك إلى مصر في الموعد الذي سبق في قضائي وقدري لإرسالك رسولاً.
- (٤١) واخترتك لحمل رسالتي.
- (٤٢) اذهب أنت وأخوك إلى الناس بآياتي التسع ولا تفترا في ذكري، ليكون ذكر الله عوناً لكما على فرعون وجنوده.

﴿ أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبِّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾

- (٤٣) اذهب إلى فرعون إنه تجاوز الحد في كفره وطغيانه فادع الربوبية والألوهية.
- (٤٤) فقولا له قولاً لنا لعله يتعظ أو يخشى الله فيرجع.
- (٤٥) قالوا ربنا إننا نخاف أن يعاجلنا بالعقوبة أو أن يتكبر.
- (٤٦) قال لا تخافا فرعون، إنني معكما بالرعاية والحفظ، سميع لما يقول، مبصر لما يفعل، فلا أمكنه من إيدائكما.
- (٤٧) فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل إلى الشام، ولا تستعملهم في الأعمال الشاقة كالخفر والبناء وحمل الأثقال قد جئناك بحجة من ربك على صدقنا بالرسالة، والسلامة من العذاب لمن اتبع الهدى.
- (٤٨) وإن الله قد أوحى إلينا أن عذابه الشديد واقع على من كذب وأعرض عن دعوتنا.
- (٤٩) قال فرعون: فمن ربكما يا موسى؟
- (٥٠) قال ربنا الذي منح كل واحد من الخلق خلقه واختار له صورته التي تميز بها، ثم هداه إلى مطعمه ومشربه وما يحتاجه ليحفظ وجوده ويضمن نسله.
- (٥١) قال فرعون فما حال الأمم الأولى الماضية - الذين لم يعبدوا ربك - وما جرى لها؟
- (٥٢) قال موسى: علم حال هذه القرون مسجل في صحائف أعمالهم، يجازيهم عليها يوم القيامة، لا يغيب عن علمه شيء، ولا ينسى ربي شيئا.
- (٥٣) الذي جعل لكم الأرض قرارا تستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها وسهل لكم فيها طرقا، تمشون في مناكبها، وأنزل من السماء مطرا فأخرج به أصنافا من نبات شتى مختلفة الألوان والطعوم.
- (٥٤) كلوا منها وارعوا أنعامكم فيها، إن في ذلك المذكور لدلالات وحججا وبراهين لأصحاب العقول.
- (٥٥) من تراب الأرض خلقناكم بخلق أبيكم آدم منها وفيها نعيدكم بعد موتكم ومنها نخرجكم عند البعث مرة أخرى كما أخرجناكم أول مرة عند ابتداء خلقكم.
- (٥٦) ولقد أرينا فرعون المعجزات التي أعطيها موسى كلها - وهي الآيات التسع - فكذب بها وزعم أنها سحر وأبى أن يؤمن بالله تعالى.
- (٥٧) قال فرعون لموسى: أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك الذي فتنّ الناس به؛ ليكون لك الملك فيها ولقومك؟

٥٢ سبقت الإشارة إلى تمهيد الأرض وإحكام بناء السماء كما في سورة البقرة.

وتؤكد أبحاث علمية عديدة وجود كميات هائلة من الماء منتشرة في الفضاء الخارجي على شكل ثلوج موزعة في نظامنا الشمسي وفي الغبار بين النجوم حيث وجد العلماء أن الدخان الكوني يحوي جزيئات ماء ملتصقة على ذراته. وأن النيازك والمدنبات جاءت إلى الأرض منذ ملايين السنين محملة بكميات من الماء والحديد.



﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشَّرَ النَّاسُ ضَحَىٰ (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ (٦١) فَانزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مَنْ لَقِيَ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ (٦٧) فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَالْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ نَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) ﴿

من أيديهم، وذلك بالسحر ليتمكن بنو إسرائيل فيها، وليبتلا مذهبهم وطريقة أشرافهم وساداتهم.

(٦٤) فأحكموا أمر كيدكم حتى لا تختلفوا فيه ثم آتوا صفاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار، وتغلبوا موسى وأخاه، وقد فاز اليوم من غلب.

(٦٥) قالوا يا موسى إما أن تلقي عصاك أولاً، وإما أن نكون أول من يلقي.

(٦٦) قال بل ألقوا فألقوا فإذا جبالهم وعصيتهم يخيل إليه من سحرهم أنها حيات تسعى على بطونها.

(٦٧) فخاف موسى في نفسه على الناس أن يفتتنوا بسحرهم ويغترون بهم قبل أن يلقي ما في يمينه.

(٦٨) فأوحى الله تعالى إليه لا تخف إنك أنت الأعلى عليهم بالغلبة.

(٦٩) وألق ما في يمينك تبتلع ما صنعوا إنما صنعوا تمويه ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى بسحره، فتحقق السحرة عندها أنه ليس بسحر وإنما هو معجزة من الله تعالى.

(٥٨) فلنأتينك بسحر مثله يعارضه فاجعل بيننا وبينك موعداً لذلك لا نخلفه نحن ولا أنت ويكون اللقاء في ساحة كبرى مكشوفة مستوية يرى ما فيها كل ناظر إليها.

(٥٩) قال موسى: موعدكم يوم عيدكم الذي تتزينون فيه ويقعد الناس فيه عن العمل، فيجتمع الناس ضحى ذلك اليوم، ليشهدوا ما يكون بيننا وبينكم.

(٦٠) فانصرف فرعون من المجلس فشرع في جمع ذوي كيد من السحرة من مدائن مملكته ثم أتى بهم يوم الموعد.

(٦١) قال موسى للسحرة أزمكم الله الهلاك، لا تفتروا على الله كذباً بإشراك أحد معه فيهلككم بعذاب من عنده وقد خسر من كذب على الله.

(٦٢) فتنازع السحرة في أمر موسى حين سمعوا كلامه وتشاوروا في السر.

(٦٣) وأجمع السحرة على أن موسى وهارون ساحران، يعملان على إخراجهم من بلادهم، بإخراج السلطان

٥٥ في الآية إشارة إلى شيئين :

أولاً : لفظ ﴿ منها خلقناكم ﴾ يدل على أن أصل تكوين الإنسان من الأرض كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الآيات السابقة كما في سورة البقرة والأنعام.

ثانياً : لفظ ﴿ ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾ فكلمة (منها) أي من الأرض تدل على أن شيئاً من الإنسان يبقى باقياً لا يبلى فتكون إعادته ثانياً من هذا الجزء، وفي هذا الشأن ورد حديث رسول الله ﷺ : (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب الخلق يوم القيامة) ففي هذه اللفظة إشارة إلى أن كل إنسان يعود تارة أخرى عندما يبعث الله الخلائق بمواصفاته الأصلية. وقد ثبت علمياً أن كل خلية من الإنسان تحتوي خارطة وراثية لصفاتها كلها فإذا ما عرفنا أن عجب الذنب يحتوي على خلايا لا تقنى بل تبقى مهما تعرضت لعوامل الإقناء والإبلاء، لذلك يبعث الله كل إنسان من عجب ذنبه ويركب خلقه ثانية بحيث تظهر في صفاته وأعماله.

﴿ فَأَلْقَى السِّحْرَ سُجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْذِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْمَعْنَاكُمْ مِنْ عَذُوبِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞

- (٧٠) فوقع السحرة ساجدين لله تعالى قائلين آمنا برب هارون وموسى. (٧٧) ولقد أوحينا إلى موسى أن سر بني إسرائيل ليلا من أرض مصر فاجعل لهم بالضرب بعصاك طريقا في البحر يابسا لا تخاف أن يدركك فرعون ولا تخشى غرقا.
- (٧١) قال فرعون آمنتم له قبل أن آذن أنا لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلف - قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى -، ولأصلبنكم على جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأدومه.
- (٧٢) قالوا لن نختارك على ما جاءنا من البينات الدالة على صدق موسى، والذي خلقنا ولم نكن شيئا. فاصنع ما قلته إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا.
- (٧٣) إنا آمنا برينا خالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا ليغفر لنا ذنوبنا، وما أكرهتنا عليه من تعلم السحر والعمل به، والله خير ثوابا لمن آمن به وعمل صالحا، وأبقى عذابا لمن كفر به وعصاه.
- (٧٤) إنه من يأت ربه كافرا فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه.
- (٧٥) ومن يلاقى ربه على الإيمان وصالح العمل فله الدرجات العالية.
- (٧٦) وهذه الدرجات العلاء هي: جنات الإقامة الدائمة تنساب من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، وذلك جزاء لمن طهر نفسه بالإيمان والطاعة من الكفر والمعصية.
- (٧٧) وأضل فرعون قومه بدعائهم إلى عبادته وما هداهم؛ بل أوقعهم في الهلاك خلاف ما قاله لهم «وما أهديكم إلا سبيل الرشاد».
- (٨٠) خاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكرا لهم بنعمه عليهم، فقد نجاهم وأهلك عدوهم، ووعد رسولهم موسى عليه السلام لمناجاته بجانب جبل الطور الأيمن، ورزقهم المن الحلو وطيور السلوى ذا اللحم الشهي.
- (٨١) كلوا من طيبات ما رزقناكم، ولا تتجاوزوا الحد فيه بالإفراط بشكره والتعدي فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فينزل عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد تردى وهلك.
- (٨٢) وإني لغفار لمن تاب من الشرك ووجد الله وعمل صالحا بأداء بالفرائض وتقرب بالنوافل ثم ثبت واستمر على ذلك حتى أتاه الموت.

٨٠ سبق الحديث عن المن والسلوى في سورة البقرة.



﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدَفْتُمَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلِ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُونَ مَن مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ ۞ ﴾

لهم، فكيف يتخذ إليها؟

(٨٣) وما سبب إعجالك بالحضور دون قومك يا موسى.

(٩٠) ولقد قال لهم هارون قبل أن يرجع موسى يا قوم إنما فتنتم بالعجل وإن ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني في عبادة الله وأطيعوا أمري في الثبات على الدين.

(٨٤) قال موسى إن قومي قرييون مني، لاحقون بي، وإنما سبقتهم إليك يا رب رغبة في أن تزيد رضا عني.

(٩١) قالوا لن نزال على عبادته مقيمين حتى يرجع إلينا موسى. (٩٢) قال له موسى حين رجع يا هارون ما منعك أن تكفهم عن الضلالة عندما رأيتهم وقعوا فيها.

(٨٥) قال الله له: لقد امتحنا قومك بالعجل بعد فراقك لهم وأضلهم السامري - من السامرة، إحدى قبائل بني إسرائيل - فعبدوا العجل.

(٩٣) أن لا تتبعن فيما عهدت به إليك أم هل عصيت أمري؟ (٩٤) قال هارون يبنؤم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي، إنني خشيت - لو اتبعتك لتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل - أن تقول فرقت بين بني إسرائيل وتغضب عليّ ولم تنتظر قولي فيما رأيته في ذلك.

(٨٦) فرجع موسى إلى قومه غضبان حزينا بما فعلوا، قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا صدقا أنه يعطيكم التوراة، أفتطال عليكم مدة مفارقتي إياكم، بل أردتم عبادةكم العجل أن يحل عليكم غضب من ربكم، فأخلفتكم وعدكم إياي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمرتكم به وتركتكم المجيء بعدي.

(٩٥) قال موسى، عليه السلام، للسامري: ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟

(٨٧) قالوا ما أخلفنا موعدهك باختيارنا، ولكن غلبنا بكيد السامري، وكنا قد حملنا أثقالا من حلي قوم فرعون استعمرناها منهم فطر حناها في النار بأمر السامري فكما ألقينا ألقى السامري ما معه من حليهم ومن التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام.

(٩٦) قال علمت ما لم يعلموه فقبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول جبريل فألقيتها في تمثال العجل المصاغ، وكذلك زينت لي نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم، وقد طلب منك قومك أن تجعل لهم إلهًا. كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٨).

(٨٨) فأخرج لهم السامري عجلا صاغه من الحلي جسما بلا روح يخور كما تخور الأبقار، فقال السامري وأتباعه هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى ربه هنا وذهب يطلبه عند الطور.

(٨٩) أفلا يعلمون أن العجل لا يرجع إليهم كلاماً ولا يرد عليهم جواباً، ولا يملك دفع ضرر عنهم ولا جلب نفع

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٧﴾ إِنَّكَ إِلهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿٢٠﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٢٤﴾ وَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٢٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٢٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿٢٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿٣٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٣٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ .

- (٩٧) قال موسى للسامري: اخرج من جماعتنا، وإن جزاءك في الدنيا أن تهيم على وجهك، مدة حياتك وأن تقول لمن رأيت لا تقربني، وإن لعذابك في الآخرة موعداً محددًا لا تستطيع الفرار منه، وانظر إلى الهك الذي عكفت على عبادته، وفتنت الناس به، لنحرقنه ثم لنذرونه في البحر ذروا.
- (٩٨) إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع علمه كل شيء.
- (٩٩) كما قصصنا عليك - أيها الرسول - قصة موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده، نقصص عليك من أخبار ما سبق من الأمم، وقد أعطيناك من عندنا قرآنا مشتملاً على هذه القصص والأخبار جدير بالتفكير والاعتبار.
- (١٠٠) من أعرض عنه فلم يؤمن به فإنه يحمل يوم القيامة حملاً ثقيلاً من الإثم يستوجب العقوبة الثقيلة.
- (١٠١) خالد بن الوليد في عذاب الوزر وبئس حملهم السيئ يوم القيامة.
- (١٠٢) اذكر - أيها الرسول - لأمتك يوم ينفخ في القرن النفخة الثانية نفخة البعث من القبور، ونحشر الكافرين يومئذ زرقاً عيونهم من الرعب والفرع.
- (١٠٣) يتسارون فيما بينهم - لما يملأ صدورهم من الرعب والهول - ما مكثتم في الدنيا إلا عشرة أيام.
- (١٠٤) نحن أعلم بما يقولون في حال تناجهم وبما يقول أعدلهم طريقة بأنها لم تكن إلا كيوم واحد، لما يعاينونه من أهوال في الآخرة.
- (١٠٥) ويسألك - أيها الرسول - عن الجبال كيف تكون يوم القيامة، فأجبههم بأن الله يفتتها كالرمل، ثم يطيرها بالرياح فتكون هباء.
- (١٠٦) فيذر موضعها من الأرض منبسطة مستويةاً.
- (١٠٧) لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.
- (١٠٨) يوم إذ نسفت الجبال يستجيبون مسارعين إلى الداعي إلى المحشر - بعد خروجهم من القبور - لا يميلون عنه، وسكنت الأصوات للرحمن لمهابته فلا تسمع إلا صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.
- (١٠٩) يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أحداً إلا من أذن له الرحمن أن يشفع ورضي قوله وهو سيدنا محمد ﷺ كما جاء في حديث الشفاعة المتفق عليه (... يا محمد .. اشفع شفع).
- (١١٠) يعلم ما بين أيديهم من أمور الآخرة، وما خلفهم من أمور الدنيا، ولا يحيط علمهم بمعلوماته.
- (١١١) وخضعت الوجوه للحي القيوم، وقد خسر من أشرك بالله.
- (١١٢) ومن يعمل من الطاعات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً بزيادة في سيئاته ولا هضمًا بنقص من حسناته.
- (١١٣) ومثل إنزال ما ذكر أنزلنا القرآن عربياً وكررنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون الشرك أو يحدث القرآن لهم ذكراً بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون.



﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ. وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا
إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾
فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا
تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾
فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لُهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ
فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ أَهْبَطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا بَايُنُسُكُم مَنِ هَدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نُجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ
يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

- (١١٤) فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين، النافذ أمره ونهيه في ملكوته، ولا تعجل - أيها الرسول - بقراءة القرآن من قبل أن يفرغ جبريل من إبلاغه، وقل رب زدني علما بالقرآن فكلما أنزل عليه شيء منه زاد به علمه.
- (١١٥) ولقد وصينا آدم أن لا يأكل من الشجرة قبل أكله منها فترك عهدنا ولم نجد له حزما وصبرا عما نهيناه عنه.
- (١١٦) واذكر - أيها الرسول - إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس امتنع واستكبر، وكان يعبد الله مع الملائكة.
- (١١٧) فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك حواء، فلا يكونن سببا لإخراجكما منها، فتعب وتشقى في طلب رزقك، فإنك في عيش رغيد لا كلفة ولا مشقة فيه.
- (١١٨) إن علينا أن نكفل لك مطالب حياتك في الجنة، فلن يصيبك فيها جوع ولا عرى.
- (١١٩) وأنه لن يصيبك فيها عطش، ولن تتعرض فيها لحر الشمس.
- (١٢٠) أسر إليه إبليس قائلا: يا آدم هل أدلك على الشجرة التي يخلد من يأكل منها، وملك لا يفنى.
- (١٢١) فأكل آدم وحواء منها فظهر لكل منهما ما يسوء صاحبه من قبل ودبر، وأخذوا يلزقان عليهما من ورق الجنة ليستترا به وعصى آدم ربه فضل عن المطلوب حين اغتر بالعدو بالأكل من الشجرة.
- (١٢٢) ثم قرّبه ربه فتاب عليه وهداه إلى المداومة على التوبة.
- (١٢٣) قال اهبطا بما اشتملتما عليه من ذريتكما من الجنة جميعا، بعض الذرية لبعض عدو يظلم بعضهم بعضا، فإن يأتكم مني هدى فمن اتبع ما جاء به الأنبياء والرسل فلا يضل في الدنيا لا يشقى في الآخرة.
- (١٢٤) ومن خالف أمري وما أنزلته على رسلي فإن له معيشة ضيقة في الدنيا، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر.
- (١٢٥) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا وعند البعث.
- (١٢٦) قال الأمر في شأنك كما وقع: أتتك آياتنا فتركتها ولم تؤمن بها، ومثل نسيانك آياتنا: اليوم تترك في النار.
- (١٢٧) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن، نجزي من أشرك ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب جهنم أشد وأدوم من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى.
- (١٢٨) أفلم يتبين لكفار مكة كم أهلكتنا من الأمم السابقة بسبب تكذيب رسلهم، ولم يتعظوا بهم مع أنهم يمشون في ديارهم ومساكنهم، ويشهدون آثار ما حل بهم من العذاب، وإن في تلك المشاهد لعظات لأصحاب العقول الراجحة.
- (١٢٩) ولولا قضاء سبق من ربك بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى - هو يوم القيامة - لكان الإهلاك لازما لهم في الدنيا كما لزم غيرهم.

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝١٣٠ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ مِنْ رِزْقِنَا حَيْرٌ وَابْقَىٰ ۝١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۝١٣٢ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٣٣ وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي ۝١٣٤ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۝١٣٥﴾

- (١٣٠) فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب الكفار واستهزائهم، وصل وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه، وابعده - وحده - دائماً، وخاصة قبل أن تشرق الشمس وقبل أن تغرب، ونزهه وابعده في ساعات الليل، وفي أطراف النهار بالصلاة، حتى تدوم صلتك بالله، فلتطمئن إلى ما أنت عليه، وترضى بما قدر لك.
- (١٣١) ولا تتعدَّ بنظرك إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفرة استحساناً وتمنياً له، لأن هذا المتاع زينة الحياة الدنيا وزخرفها، يمتحن الله به عباده في الدنيا، ويدخر الله لك في الآخرة ما هو خير وأدوم منه.
- (١٣٢) وأمر أهلك بالصلاة واصبر عليها لا نكلفك رزقا لنفسك ولا لغيرك نحن نرزقك والجنة لأهل التقوى.
- (١٣٣) وقال المشركون هلا يأتينا محمد بآية من ربه مما يقترحونه، أولم يأتيهم بيان ما في الصحف الأولى المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.
- (١٣٤) ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبل محمد الرسول لقالوا يوم القيامة ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا فتتبع آياتك المرسل بها من قبل أن نذل في القيامة ونخزي في جهنم.
- (١٣٥) قل لهم كل منا ومنكم منتظر فانتظروا فستعلمون من أصحاب الطريق المستقيم ومن اهتدى من الضلالة.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَعْبُونَ ۝٢ لَأَهْبَةَ قُلُوبَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤﴾

- (١) تنبيه من الله، عز وجل، على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها.
- (٢) ما يأتيهم من قرآن جديد إنزاله إلا استمعوه وهم يستهزؤون.
- (٣) غافلة قلوبهم عن معناه، وأسرى الذين ظلموا قائلين فيما بينهم خفية ما محمد ﷺ إلا بشر مثلكم، وما يأتي به سحر،
- (٤) قال الرسول ﷺ لهم - بعدما أطلعه الله على ما أسروه - ربي يعلم كل ما يقال في السماء والأرض، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم، وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الأولين والآخرين.

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِزْنَا بِتَايَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّكُمْ لَا تَنْزِلُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْجِعُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يُبَوِّئُنَا إِنْ أَرَادْنَا أَنْ نَنْزِلَ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْزِلَ هُوًّا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

- (٥) إخبار عن تعنت الكفار وعنادهم، واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحيرتهم فيه، فتارة يجعلونه أخلاط أحلام رآها في النوم وتارة يجعلونه كلاما اختلقه ثم أعرضوا عن ذلك، وقالوا: بل هو شاعر يستولي على نفوس سامعيه، فليأتنا بمعجزة مادية دالة على صدقه، كما أرسل الأنبياء الأولون مؤيدين بالمعجزات.
- (٦) ما آمنت قبلهم أمة من الأمم التي أهلكتها بعد أن كذبت بالمعجزات المادية التي أيد الله بها رسله، فهل يؤمن هؤلاء إذا جاءهم ما يطلبون؟!.
- (٧) وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - إلا رجالا نوحى إليهم، فاسألوا أهل العلم بالتوراة والإنجيل إن كنتم لا تعلمون ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.
- (٨) وما جعلنا الرسل أجساداً تخالف أجساد البشر يعيشون دون طعام، بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (الفرقان: ٢٠) وما كانوا باقين مخلدين في الدنيا، بل كانوا يعيشون ثم يموتون.
- (٩) ثم صدقناهم، وحققنا لهم الوعد، فأنجيناهم وأنجينا معهم من أردنا نجاتهم من المؤمنين، وأهلكنا المفرطين في التكذيب بالإصرار والاستمرار عليه حتى حل بهم العذاب.
- (١٠) لقد أنزلنا إليكم - يا معشر قريش - كتابا فيه شرفكم وصيتكم، وتذكيركم - لأنه بلغنكم - أفلا تعقلون، فتؤمنون به.
- (١١) وكثير من أهل القرى أهلكتناهم بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم، وأنشأنا بعدهم أمة آخرين.
- (١٢) فلما تيقنوا وقوع العذاب بهم، كما وعدهم نبيهم إذا هم يفرون هاربين.
- (١٣) قيل لهم - بتهكم وتوبيخ - لا تفروا مسرعين فلن يعصمكم من عذاب الله شيء، وارجعوا إلى ما كنتم فيه من التمتع والتلذذ وإبطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم، لعلكم تستلون عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم، فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة.
- (١٤) قالوا يا هلاكننا إنا كنا ظالمين بالكفر.
- (١٥) فما زالوا يكررون مقالتهم تلك ويدعون بها حتى صاروا مثل الزرع المحصود ميتين، كالنار إذا طفئت.
- (١٦) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما على هذا الصنع البديع والنظام المحكم لأجل اللهو واللعب، وإنما للدلالة على قدرتنا ونفع عبادنا وللاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.
- (١٧) لو أردنا أن نتخذ ما نلوه به لاتخذناه من عندنا في الملائ الأعلى - وما خلقنا جنة ولا ناراً، ولا موتاً، ولا بعثاً، ولا حساباً - ولسنا بفاعلين ذلك لاستحالته في حقنا.
- (١٨) بل نحن نعلم إلى باطلكم فنقذف بالحق عليه - كراهية للباطل - فيقمعه ويطله فإذا هو ذاهب مضمحل، ولكم الهلاك والعذاب أيها الكفار على ما تفترون.

﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُبْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّن مَّعِيَ وَذِكْرٌ مَّن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِّنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوْلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

قال بعض العرب: إن الملائكة بنات الله، بل هم عباد مكرمون عنده، فهم مخلوقون وليسوا بأولاد.

(٢٧) لا يسبق قولهم قوله، وهم بأمره يعملون، ولا يتعدون حدود ما يأمرهم به.

(٢٨) وهو تعالى علمه محيط بهم، يعلم ما عملوا منها وما هم عاملون، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى تعالى أن يشفع له، وهم من رهبته مرتعدون خائفون.

(٢٩) ومن يقل من الملائكة - على فرض أن لو قال ذلك - إنى إله يعبد من دون الله فذلك نجزيه جهنم، مثل هذا الجزاء نجزي الظالمين بادعاء الألوهية.

(٣٠) أولم يعلم الجاحدون لإلهية الله - المستقل بالخلق والتدبير - أن السماوات والأرض كانتا في بدء خلقهما ملتصقتين، فبقدرتنا فصلنا كلا منهما عن الأخرى، وجعلنا من الماء الذي لا حياة فيه كل شيء حي، أفلا يؤمنون بأنه لا إله غيرنا؟ مع ظهور الآيات.

(٣١) وجعلنا في الأرض جبالاً ثبتنا بها الأرض؛ لئلا تضطرب وتتحرك، فلا يحصل للمخلوقات عليها قرار، وجعلنا في الأرض طرقاً ومسالك واسعة، لعلهم يهتدون إلى مقاصدهم ومصالحهم في الأسفار.

(٣٢) وجعلنا السماء سقفا للأرض - كالسقف للبيت - محفوظاً عن الوقوع أو الاختلال، ومن استمتع الشياطين، وهم عن آياتها المنظورة - الدالة على وحدانيته وقدرته وبديع صنعته وكمال حكمته - معرضون لا يتفكرون فيها.

(١٩) وله من في السماوات والأرض خلقاً وملكاً، ومن عنده من الملائكة الكرام لا يستكبرون عن عبادته ولا يعيرون منها.

(٢٠) ينزهون الله ويعظمونه دائماً في جميع أوقاتهم بلا كلل ولا ملل.

(٢١) بل - عبدوا غيره الله، واتخذوا من الأرض آلهة - أصناماً من حجر وخشب وذهب وفضة... لا تستحق أن تعبد، وكيف يُعبد من دون الله من لا يستطيع إعادة الحياة بعد الموت؟!

(٢٢) لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله تُدبر أمرهما لاختل نظامهما المحكم وبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف، فتزيتها لله رب العرش العظيم عما يزعمه المشركون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد.

(٢٣) لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرد بالألوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعدون.

(٢٤) بل اتخذوا من دونه آلهة يعبدونها. قل لهم - أيها الرسول - هاتوا دليلكم على أن الله شريكاً في الملك يستحق أن يعبد، وهذا القرآن الذي جاء مذكراً لأمتي بما يجب عليها، وهذه كتب الأنبياء التي جاءت لتذكر الأمم قبلي تدعوا كلها إلى توحيد الله، بل أكثرهم لا يعلمون ما جاء فيها فهم معرضون عن الإيمان بالله.

(٢٥) وما أرسلنا قبلك - أيها النبي - رسولا، إلا أوحينا إليه أن يبلغ أمته أنه لا يستحق العبادة أحد غيري، فاعبدوني ولا تشركوا معي شيئاً.

(٢٦) زعموا أن الله - سبحانه وتعالى - ولداً من الملائكة، كما



٣٠ كشف علماء الفلك و علماء الأرض أن المادة التي تشكلت منها الأرض هي نفسها المادة التي تشكلت منها السماء، وقد استدلوا على ذلك بما يلي :

أولاً : تصوير مركبة الفضاء الأمريكية المسماه مستكشف الخلفية الإشعاعية للكون والتي قامت بتصوير الكون المنظور، وقياس درجة الخلفية الإشعاعية للكون فثبت للعلماء تجانس مادة الكون وتساويها التام ، فانتهاوا إلى إثبات وجود حالة دخانية معتمة سادت الكون ثم تشكلت منها الأرض والسماوات.

ثانياً : تأكد لهم ذلك بما لا حظوة من حصول الاندماج النووي داخل الشمس وجميع نجوم السماء بين نوى ذرات الهيدروجين وغيره وتخلق العناصر المختلفة بتلك العملية الاندماجية.

ثالثاً : ثبت لهم خلال دراسة الأطياف الضوئية للنجوم والشهب ومن ثم مقارنتها مع الأطياف التي تصدر عن العناصر والذرات في الأرض أنها متماثلة ، ولذلك صرح أحد أكابر علماء الفلك والأرصاد بأمريكا بأن كل الدلائل تثبت أن الأرض والسماء كانتا جسماً واحداً ثم انفصل بعضه عن بعض.

رابعاً : تبين علمياً أن الأرض والسماء كانتا متصلتين ففصلتا، وبالنتيجة فإن هذا يتطابق مع ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كانتا متصلتين أو ملتصقتين ففصل هذا من هذا، فسبحان من يدبر الكون بأمره وتجرى أنظمتها بقضائه وقدره، وهنا يمكن ملاحظة أن النص توجه بالخطاب إلى الكفار ولعله يشير إلى أن أول من سيعثر على أدلة هذه الحقيقة هم الكفار، وفعلاً كما رأينا في النقول السابقة فإن أول من رصد شواهد هذه الحقيقة هم من علماء أمريكا وأوروبا من غير المسلمين. فكان هذا التطابق جامعاً بين المعجزة العلمية والخبرية. ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ : يقرر العلم الحديث أن الماء هو أصل الحياة للإنسان والنبات والحيوان وأن كل كائن حي قد تكون من الماء ومكونات أخرى رافدة للماء.

٣١ سبق الكلام عن وظيفة الجبال في جعل الأرض مستقراً للإنسان، وكذا البيان عن نشوء الأنهار والفيضات.

٣٢ لا يخفى على أحد منا أهمية الغلاف الجوي الأرضي بالنسبة للحياة على ظهر هذا الكوكب، وكلما تقدم العلم كلما اكتشف خصائص ومزايا لهذا الغلاف العجيب الذي جعله الله تعالاً سبباً لحماية الحياة على الأرض بكافة أنواعها:

يمتد الغلاف الجوي لعدة مئات من الكيلومترات فوق سطح الأرض، وسماكته ضئيلة جداً مقارنة بحجم الأرض التي يبلغ قطرها أكثر من اثني عشر ألفاً من الكيلومترات، فهو يقوم بما يلي :

١- من أهم خصائص الغلاف الجوي أنه يحفظ حياة الكائنات على ظهر الأرض، ففيه الأكسجين اللازم لاستمرار الحياة.

٢- يقوم الغلاف الجوي بحفظ وتخزين الحرارة القادمة من الشمس، والمحافظة على حرارة معتدلة ومناسبة للحياة، ولولا الله سبحانه وتعالى أضفى هذه الميزة لأصبح كوكب الأرض كالقمر، درجة الحرارة على أحد وجهيه أكثر من مئة درجة، وعلى الوجه الآخر أقل من مئة درجة تحت الصفر.

٣- ملايين الأحجار تهوي على الأرض كل يوم، جميعها يتصدى لها الغلاف الجوي فتحترق بسبب احتكاكها معه قبل أن تصل إلى الأرض إلا القليل منها.

٤- يتصدى هذا السقف الرائع لجميع الإشعاعات الضارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض لأحرقت من عليها، منها الأشعة فوق البنفسجية الخطيرة، الأشعة الكونية الأخطر، فلا يصل من هذه الإشعاعات للأرض إلا الجزء الضروري واللازم لاستمرار الحياة.

٥- كما أن الأرض تتمتع بحزام مغناطيسي قوي لأكثر من ألفي كيلو متر فوق سطحها، هذا الحزام يقي الأرض من كثير من الجسيمات الأولية السابحة في الفضاء.

٦- وهو في نفس الوقت محفوظاً فحفظه الله من التبدد والزوال ولا حافظ لهذا الغلاف الجوي إلا الله فهو سقفاً محفوظاً بأمر الله وهو كذلك حافظاً بأمر ربه لما تحته مما سبق ذكره.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣٣) وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْخَدُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ فَأَنْتَ أَتَى بِكَ الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٨﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْفُرْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مَتَانًا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ .

- (٣٣) وهو الذي خلق الليل بظلامه وسكونه، والنهار بضوئه وأنسه، وجعل الشمس ضياء والقمر نورا كل واحد يجري في مداره كسباحة السابح على سطح الماء.
- (٣٤) وما جعلنا لبشر من قبلك - أيها الرسول - البقاء الدائم في الدنيا، أفإن مت أبقى هم أحياء دون غيرهم من سائر البشر.
- (٣٥) كل نفس ذائقة الموت في الدنيا ونختبركم بما يصيبكم من نفع وضرر، ليطمئن الشاكر في السراء والصابر في الضراء من الجاحد للنعم والجازع عند المصيبة، وإلينا ترجعون فنحاسبكم على أعمالكم.
- (٣٦) وإذا رآك الذين كفروا - أيها الرسول - يستهزئون بك ويتنقصونك، ويقول بعضهم لبعض أهذا الذي يعيب آلِهَتكم، وهم بذكر الله كافرون.
- (٣٧) كأن الإنسان خلق من عجل لسرعة استعجاله وقلة ثباته كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١) - نزلت في الذين يستعجلون العذاب - سأريكم نعمتي على
- من عصاني فلا تشغلوا أنفسكم باستعجال ما هو آت.
- (٣٨) ويقولون للنبي ﷺ وأصحابه متى وقت العذاب إن كنتم صادقين فيه.
- (٣٩) لو يعلم الكافرون حين تحيط بهم النار ولا يقدر على دفعها عن وجوههم ولا عن ظهورهم، ولا يجدون لهم ناصراً يمنعها لما قالوا ذلك.
- (٤٠) بل تأتيهم القيامة فجأة من غير توقع فتحيرهم فلا يستطيعون ردها ولا هم يمهلون ليتوبوا أو يعتذروا.
- (٤١) ولقد استهزيت برسول من قبلك - أيها النبي - ، فنزل بالذين سخروا من رسلكم العذاب الذي جعلوه سخرية واستهزاء.
- (٤٢) قل لهم - أيها النبي - من يحفظكم بالليل والنهار من عذاب الرحمن إذا نزل بكم، بل هم عن القرآن معرضون لا يتفكرون فيه.
- (٤٣) ألهم آلهة تمنعهم من العذاب غيرنا، لا يستطيع الآلهة نصر أنفسهم ولا الكفار من عذابنا يجارون.

٣٣ كل في فلك يسبحون :

أثبتت الدراسات العلمية المشاهدة أن حركة كل الأجرام السماوية تسبح في وسط مادي وليس في فراغ كما يتوهم البعض



﴿ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُوَيْلِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

يروونه في آثار صنعه - وهم من أهوال يوم القيامة خائفون وجلون.

(٥٠) وهذا القرآن تذكير لكم يفيض بالخير، أنزلناه لكم، أفنتكرونه؟! وأنتم أولى الناس بالإيمان به.

(٥١) ولقد آتينا إبراهيم، عليه السلام، رشده من صغره فألهمناه الحق والحجة على قومه، وكنا بأحواله عالمين بأنه أهل لذلك.

(٥٢) واذكر - أيها الرسول - حين قال إبراهيم لأبيه وقومه ما هذه الأصنام التي أنتم على عبادتها مقيمون.

(٥٣) قالوا: وجدنا آباءنا يعظمونها ويعبدونها فافتدنا بهم.

(٥٤) قال لهم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم عبادتها في ضلال بين.

(٥٥) فقالوا ما تقوله أهو جدّ وحق، أم لعب وهزل؟

(٥٦) قال بل ربكم المستحق للعبادة مالك السماوات والأرض الذي خلقهن على غير مثال سابق، وأنا على ما قلته من المتحققين به والمبرهنين عليه.

(٥٧) وقال - في نفسه مقسما بالله - لأدبرن تديباً أكسر به أصنامكم بعد أن تبتعدوا عنها، ليظهر لكم ضلال ما أنتم عليه.

(٤٤) بل استدرجناهم وتمعناهم في الحياة الدنيا كما متعنا آباءهم حتى طال عليهم العمر - ولم نجعل عقاب هؤلاء بكفرهم - أفلا يعتبرون فيرون أنا نقصد الأرض فننقصها من أطرافها بالفتح ونصر المؤمنين؟! أفهم الغالبون أم النبي وأصحابه الذين وعدهم الله بالنصر والتأييد؟.

(٤٥) قل لهم - أيها النبي - إنما أهدركم بالوحي من الله لا من عندي، وهم لطول إعراضهم عن الحق ختم الله على سمعهم حتى صاروا كالصم، ولا يسمع الصم الدعاء حين يخوفون بالعذاب.

(٤٦) ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليقولن يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين أنفسنا في الدنيا.

(٤٦) ونضع الموازين العدل في يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً من نقص حسنة أو زيادة سيئة، وإن كان العمل وزن حبة من خردل آتينا بموزونها وكفى بنا محصين كل شيء.

(٤٧) ولقد آتينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام وضيء بها و عظة للمتقين.

(٤٨) الذين يخافون ربهم مع أنهم لا يرونه بأعينهم - إنما

٤٤ سبق الكلام حول نقص الأرض من أطرافها في سورة الرعد الآية (٤١).

٤٥ تأكيد على أن تعطل الحاسة في مكانها من المخ يستحيل معه الاستفادة من العضو الظاهري، كما هو الحال هنا، فالأذن موجودة ولكن الحاسة تعطلت فاستحال عليهم السمع.

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَتُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا بِنَارِ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَانِيتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾

- (٥٨) فجعلهم - بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عيد لهم فئاتا بفأس إلا صنماً كبيراً استبقاه وجعل الفأس على عنقه ليرجعوا إليه ويسألوه عما وقع لآلهتهم فلا يجيبهم فيظهر لهم بطلان عبادتهم.
- (٥٩) قالوا بعد رجوعهم ورؤيتهم ما حدث من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين؟
- (٦٠) قال بعضهم: سمعنا شاباً يعيهم يدعى إبراهيم.
- (٦١) قال كبارهم: اذهبوا إليه فأحضروه ليحاسب على مرأى من الناس، لعلهم يشهدون بما فعل ويشاهدون العقوبة التي سنزلها به.
- (٦٢) قالوا بعد أن أحضره: أنت الذي فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم؟
- (٦٣) قال ساخراً منهم: بل فعله كبيرهم هذا، فاسألوا الآلهة عمّن فعل بهم هذا إن كانوا يستطيعون أن يردوا جواب سؤالكم؟
- (٦٤) فرجعوا إلى عقولهم بالتفكير فقالوا لأنفسهم إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم من لا ينطق.
- (٦٥) ثم انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة، وقالوا لإبراهيم: إنك قد علمت أن هؤلاء الذين نعبدهم لا ينطقون، فكيف تطلب منا أن نسألهم؟
- (٦٦) قال إبراهيم منكرًا لعبادتهم أفتعبدون من دون الله جمادات لا تنفع ولا تضر؟!.
- (٦٧) قبحاً ونتاجاً لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى وحده.
- (٦٨) قالوا حرّقوا إبراهيم وانصروا آلهتكم بالانتقام لها إن كنتم ناصرين لها، فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار ورموا فيها إبراهيم.
- (٦٩) قلنا يا نار كوني ذات برد وسلام على إبراهيم فلم تحرقه وسلمه الله من الموت.
- (٧٠) وأرادوا به كيدا - التحريق - فجعلناهم المغلوبين الأسفلين.
- (٧١) ونجيناها ولوطاً - ابن أخيه من العراق - إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين (بكثرة الأنهار والأشجار) وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم.
- (٧٢) ووهبنا لإبراهيم إسحاق وبعده يعقوب عطية - بغير سؤال وكان سأل ولدًا -، وجعلناه هو وولديه أنبياء.
- (٧٣) وجعلناهم أنبياء يقتدى بهم في الخير يرشدون الناس بإذنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكانوا لنا خاشعين مخلصين.
- (٧٤) ولوطاً آتيناه الفصل بين الخصوم في الحكم والعلم النافع، ونجيناها من القرية - سدوم من أرض الشام - التي كان يعمل أهلها الأعمال الشاذة الحيثة كاللواط وغيره من المفساد. إنهم كانوا قوم سوء عصاة متمردين على الشرع.



﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهْلَهُ مِنْ أَلْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَاسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ: أَيُّ مَسِّئِ الضَّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَمْرِ وَكَذَلِكَ نُفَصِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

الجواهر لسليمان، ويعملون عملاً غير ذلك من البناء وغيره، وكنا لهم مراقبين لأعمالهم، فلا ينالون أحداً بسوء، ولا يتمردون على أمر سليمان.

(٨٣) واذكر أيوب حين دعا ربه رب إني قد أصابني الضر، وأنت أرحم الراحمين.

(٨٤) فاستجبنا دعاءه، وفرغنا عنه الضر، وأعطيناه أولاداً بقدر من مات من أولاده، وزدناه مثلهم رحمة به من فضلنا، وتذكيراً لغيره ممن يعبدوننا ليصبروا كما صبر فيثابون.

(٨٥) واذكر إسماعيل وإدريس وذا الكفل كل منهم صابرون على احتمال التكاليف والشدائد.

(٨٦) وجعلناهم من أهل رحمتنا، إنهم من الكاملين في الصلاح.

(٨٧) واذكر يونس - ابن متى صاحب الحوت - حين ذهب غضبان على قومه مما قاسى منهم ولم يؤذن له في ذلك، فظن أن لن نضيق عليه بحبسه في بطن الحوت، فدعا في ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بأن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

(٨٨) فاستجبنا له ونجيناه من الغم بتلك الكلمات وكما نجيناه ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

(٨٩) واذكر زكريا حين دعا ربه قائلاً: رب لا تذرني بلا ولد يرثني وأنت خير الوارثين الباقي بعد فناء خلقك.

(٧٥) وأدخلناه في أهل رحمتنا إنه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى.

(٧٦) واذكر نوحاً إذ دعا ربه أن يهلك قومه بالهلاك من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه وأهله من الغم الشديد من التكذيب والأذى.

(٧٧) ومنعناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على رسالته؛ إنهم كانوا أصحاب شر فأغرقناهم أجمعين.

(٧٨) واذكر - أيها الرسول - داود وسليمان حين كانا يحكما في الزرع، إذ رعته غنم ليلاً بدون راع وأكلته، وكنا لحكمهما في قضية الزرع عالمين.

(٧٩) فهمنا سليمان القضية التي جرى فيها الحكم، وكلاً من داود وولده سليمان أعطيناه نبوة وعلماً بأحكام الله، وسخرنا لداود الجبال والطير تسبح معه إذا سبح وكنا فاعلين لما هو أعجب من ذلك.

(٨٠) وعلمنا داود صنعة الدروع التي تقيكم من حربكم مع أعدائكم، فاشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

(٨١) وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب، تجرى بحسب رغبته وأمره إلى الأرض التي زدنا فيها الخير - الشام - وكنا بكل شيء عالمين، لا تغيب عنا كبيرة ولا صغيرة.

(٨٢) ومن الشياطين من يغوصون في البحر فيخرجون منه

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلْسِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَفَخَّخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَجْعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ، وَإِنَّا لَهُ، كَنُوبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِيَوْمِنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولاةَ آلهةَ مَا وَرَدُواهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الِفْرَعُ الْأَكْبَرُ وَنَنَلَقْنَهُمْ الْمُتَبَكَّةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ۞

يسرعون في المشي إلى الفساد.

(٩٧) واقترب يوم القيامة فيفاجأ الذين كفروا بأبصارهم لا تغمض أبداً من شدة الهول، فيصيحون قائلين: يا حسرتنا قد كنا في غفلة من هذا اليوم، بل كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر والعناد.

(٩٨) إنكم وآلهتكم التي عبدتموها من غير الله وقود جهنم، وأنتم داخلون فيها معذبون بها.

(٩٩) لو كانت الأوثان التي عبدتموها آلهة تستحق أن تُعبد ما دخلوا النار، وكل من العابدين والمعبودين في النار دائمون.

(١٠٠) لهم فيها تنفس شديد، وهم فيها لا يسمعون شيئاً لشدة غليانها.

(١٠١) إن الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا هم عن حريقها مبعدون.

(١٠٢) لا يسمعون صوت فوران نارها، وهم فيما تشتته أنفسهم باقون.

(١٠٣) لا يحزنهم الهول الأكبر، وتستقبلهم الملائكة عند خروجهم من القبور يقولون لهم: هذا يوم ثوابكم الذي كنتم توعدون في الدنيا.

(٩٠) فاستجبنا دعاءه ووهبنا له ولدا اسمه يحيى وأصلحنا له زوجه فأتت بالولد بعد عقمها، إن من ذكر من الأنبياء كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، ويدعوننا رغبة في رحمتنا وخوفاً من عقابنا وكانوا لنا متواضعين في عبادتهم.

(٩١) واذكر مريم التي حفظت فرجها عن الحرام وصانته، فنفخنا في جوفها روح عيسى عليه السلام، وجعلناها تحمل به دون زوج، وجعلنا ابنها دون أب، فكانت هي وابنها دليلاً ظاهراً - للعالمين - على قدرتنا في تغيير الأسباب والمسببات.

(٩٢) إن ملة الإسلام دينكم يجب أن تكونوا عليها أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدوني.

(٩٣) وتفرقوا في أمر دينهم بحسب أهوائهم فصاروا به فرقا مختلفة، كل فريق منهم راجع إلينا يحاسب على أعماله.

(٩٤) فمن يعمل من الأعمال الصالحة وهو يؤمن بالله وبدينه الذي ارتضاه فلا يضيع شيء من عمله، وكنا لهذا العمل كاتبين.

(٩٥) وممتنع على قرية أهلكنا أهلها أن يرجعوا إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

(٩٦) حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج وهم من كل مرتفع



﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾
 وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ
 عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ
 أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ
 الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ
 وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ .

- (١٠٤) يوم نطوي السماء كطي الصحيفة على المكتوب، كما بدأنا أول خلق من عدم نعيده بعد إعدامه، وعدا حقا، إنا كنا فاعلين ذلك لا محالة.
- (١٠٥) ولقد كتبنا في كتاب داود عليه السلام من بعد التوراة أن الجنة يرثها عبادي الصالحون.
- (١٠٦) إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لوصولاً لبغية المؤمن العامل بما فيه.
- (١٠٧) وما أرسلناك - أيها الرسول - إلا رحمة عامة للعالمين كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة.
- (١٠٨) قل لهم: - أيها الرسول - إنما يوحى إلي في أمر الإله أنه إله واحد، فهل أنتم منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله؟
- (١٠٩) فإن أعرضوا عن دعوتك فقل لهم لقد أعلمتكم جميعاً بما أمرني به ربي، وبذلك استوينا في العلم، ولا أدري ما توعدون به من البعث والحساب، أهو قريب أم بعيد؟
- (١١٠) إنه تعالى يعلم كل ما يقال مما تجهرون به، وما تكتُمون في أنفسكم.
- (١١١) وما أدري لعل إمهالكم وتأخير العذاب عنكم اختبار يمتحنكم الله به، وتمتع إلى حين انقضاء آجالكم.
- (١١٢) قل - أيها الرسول - رب احكم بيني وبين مكذبي بالحق: بالعذاب لهم أو النصر عليهم وربنا الرحمن - المنعم بجلائل النعم، المستحق للحمد والشكر، هو المستعان به على إبطال ما تفترونه أيها الكافرون.

١٠٤ تثبت الكشوف العلمية الكونية الفتق للسماوات والأرض نتيجة بحث عميق وملاحظات ومقارنات مستفيضة؛ ومن جملتها ما ألمحنا إليه آنفاً من مرور خلق السماوات والأرض بمرحلة الرقيق، وأنها جاءت من مادة دخانية ثم حصل الفتق فتشكلت السماوات واستقرت الأرض، وتشير بعض الدراسات العلمية أن الكون سيטوى ويعبر عنه (بالإنكماش الكوني)، وكل ذلك يلتقي مع ما أشارت إليه النصوص القرآنية. وهذا التلاقي يمثل مظهراً من مظاهر الإعجاز العلمي.

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُذِّبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَكُكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّدُ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

- (١) هذا خطاب للناس يأمر الله فيه عباده بخشيته والخوف (٥) يقيم الله على المنكرين للبعث والإعادة خاصة الحجة منه بامتنال الأوامر واجتناب النواهي وبنه عباده إلى خطر يوم القيامة ليستعدوا له فيقول يوم ترون هذه الزلزلة العنيفة التي تحصل في ذلك سترون أمراً عظيماً.
- (٢) سترون من شدة هول ذلك اليوم انشغال الموضع عن طفلها بالكلية، أو عن إرضاعه خاصة، ووضع الحامل لحملها فزعا وترون الناس وكأنهم سكارى وما هم بسكارى وإنما ذلك كله من شدة ذلك اليوم.
- (٣) يخبر الله أن من الناس من طبعه الجحود فمع ظهور الحجة وقوتها يرد الحق بالباطل ومنهم النضر بن الحرث، الذي زعم أن الله لا يقدر على إعادة من بلي وأصبح ترابا، والخطاب عام فيه وفي غيره من الكفار المكابرين في أي زمن.
- (٤) يخبر عن مصير متبعي الشيطان وما يوصلهم إليه من ضلال وهداية إلى عذاب السعير.
- يقوم الله على المنكرين للبعث والإعادة خاصة الحجة بالإيجاد من العدم في الأولى والقدرة على الإعادة ثانية، ويخبرهم عن خلقه بأهم آدم عليه السلام من تراب ثم خلقه ذريته بسنن كونية تبدأ بالنطفة وهي القطرة من المنى ثم من قطعة جامدة من الدم وهي العلقة، ثم من مضغة صغيرة قدر ما يمضغ، وذكر أحوال تلك المضغة من تمام ونقص وتصوير إلى تمام خلقة وفي هذا بيان كمال قدرته على إحياء الأموات وبعثهم وأخبرهم عن إرادته في خلقه حيث يحيي من يشاء منهم فيخرجه تاما ومنهم من يسقطه ومنهم من يقيه حتى يبلغ أشده أو إلى آخر عمره وقد يوصله إلى أرذله حتى يصبح كالطفل لا يعقل شيئا، ثم ضرب لهم مثلا يعرفونه بإحياء الأرض اليابسة التي لا نبت فيها فيصيبها المطر فتهتز وتتحرك وتنتفخ وما يتبع ذلك من إنبات وخضرة لكل نوع جميل بهيج يسر الناظر لجماله وفي هذا بيان كمال الحجة لبعث الأرض اليابسة عن الحياة.

٢ استطاع علماء الطب رصد أثر الخوف الشديد على وظائف الأعضاء، ومن ذلك أثره على إفرازات الغدد الصماء؛ وأنه يمكن أن يعطل عمل بعض الأعضاء فضلا عن توقف إفراز بعض الهرمونات الهامة؛ وكذلك إفراز بعض الهرمونات الضارة، وهنا نلاحظ في هذه الآية إشارة القرآن الكريم إلى ظاهرتين أساسيتين هما:

١ - ذهول المرضعة عن وليدها الذي ترضعه وهي في حالة ذروة الالتصاق به.

٢ - فشل ضبط عضلات الرحم وغيرها مما ينتج عنه نزول الجنين بدون إرادة الحامل وربما بدون شعورها، وكل ذلك تحت وطأة الرعب الذي يتسبب في ذلك كله.

كما أن الإنسان يفقد السيطرة على تفكيره والتوازن في تصرفاته نتيجة ذلك الهول والخوف الشديد، وهذا يتطابق مع ما حذر الله منه، وأخبر عنه في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾



٥ سبق الكلام عن أصل تكوين الإنسان من تراب عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَمْثَلْ أَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ﴾ آل عمران. ثم من نطفة، كما في سورة النحل. ثم من علقه: يذكر علماء الطب أن النطفة بعد أن يتلقى الحوين المنوي بالبويضة الأنثوية ويلقحها فيختلط ما يحتويه الحوين المنوي مع ما تشتمل عليه البويضة الأنثوية وينشأ من هذا الاحتلاط النطفة الأمشاج التي تنقسم عدة مرات فتتشكل الكتلة التوتية ثم تنقسم إلى طبقات ثلاث ليصبح شكلها كمثل العلقه، وبما أنه يمر زمن بين تشكل النطفة الأمشاج وتشكل العلقه لذلك ناسب الإتيان بالحرف (ثم) حيث يفيد الترتيب مع التراخي، ولفظ العلقه هنا فيه دلالة دقيقة على ذلك الطور الذي يمر به الجنين: والذي يماثل شكل دودة العلقه، والناحية الثانية لكونه يلتصق في بطانة الرحم من جانب على حين يكون الجانب الآخر متديلاً فهو معلق بالرحم كما تعلق الدودة بالماشية، ومن ناحية ثالثة فإن الجنين يتغذى في هذه المرحلة من دم أمه مباشرة تماماً كالعلق الذي يتغذى على دماء الحيوان الذي يلتصق به، وهذه الأطوار كلها غطاها التعبير القرآني المعجز بكلمة واحدة وهي قول الله تعالى ﴿ثم من علقه﴾.

قوله تعالى: ﴿ثم من مضغة ..﴾ المضغة في لغة العرب تأتي بعدة معانٍ الأول شيء لا كتة الأسنان، والثاني: مضغ الأمور أي صغارها، والثالث الشيء الذي يكون في حجم ما يمكن مضغه وإن إطلاق القرآن الكريم وصف (مضغة) على الطور الثالث الذي يمر به الجنين تتحقق فيه المعاني اللغوية السابقة.

قوله تعالى: ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾: وبما أن الجنين يتحول ويتغير من يوم إلى يوم بل من ساعة إلى أخرى فالجنين في النصف الثاني من هذا الطور تقريباً تظهر عليه براعم اليدين والرجلين والرأس والصدر والبطن، كما تتكون معظم براعم أعضائه الداخلية، ومع احتفاظه بالشكل الخارجي المشابه لمادة ممضوغة يصدق عليه أنه مخلق وغير مخلق.

وهذا الوصف القرآني يقرر الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ (الحج: ٥).

وفي هذا النص دلالة على أن التخليق يبدأ في هذا الطور وهو ما أكدته حقائق علم الأجنة في أن التخليق يبدأ من أول الأسبوع الرابع، وينتهي هذا الطور قبيل نهاية الأسبوع السادس حيث يبدأ الطور التالي في التخليق.

قوله تعالى: ﴿ونقر في الأرحام ما نشاء﴾: في الآية إشارة إلى ما قد يحصل للجنين في الرحم من عدم الاستقرار رغم توافر كل عناصر الاستمرارية ولكن حسب مشيئة الله يسقط وينتهي أمره على حين لبق ما قدر له أن يستقر في الرحم ويستمر مدة إلى أن يخرج طفلاً بإذن الله.

وفي قوله تعالى: ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾: إشارة إلى ما سبق ذكره من الخلق في سورة النحل من عودة الإنسان إلى أرذل العمر، والضعف بعد القوة والهرم بعد الشباب.

وفي قوله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾: لقد أشار المولى عز وجل في تسلسل علمي غاية في الدقة إلى خطوات إخراج النبات في صورته البهيجة من الأرض الميتة الهامدة، وهذا ما أشارت إليه الآية، حيث تشير هذه الآية إلى خمس حلقات مستتسلة بترتيب معجز وهي: (١) الأرض الهامدة. (٢) عملية إنزال المطر، ثم يليها (٣) عملية اهتزاز التربة، (٤) وما يتبعها من عملية ربو التربة وزيادتها وما يصاحبها من انفصال العناصر المغذية للنبات، (٥) وأخيراً يخرج النبات طيباً بهيجاً.

وفي ملمح علمي توصل إليه العلماء في الأزمنة الأخيرة يتمثل ببيان حقيقة ذلك الاهتزاز وأنه يتلخص بما يحصل من تشرب التربة بما تحتويه من معادن وغيره للماء واكتسابها شحنة كهربائية، وتميز هذه الشحنة إلى سالبة وموجبة، وبما أن الماء موصل للكهرباء ينشأ من ذلك بين الشحنتين حركة دائرية أطلق عليها اسم الحركة البروانية نسبة إلى العالم الذي كشفها أولاً، فكان هذا الكشف مطابقاً لقوله تعالى: **اهتزت**، وهكذا نجد أن النص القرآني بمرونته يستوعب المعاني العديدة ويعبر عنها بعبارة تناسب كل المستويات وفي كل الأزمان، فتبارك الله الذي أحكمه وأنزله هدى للعالمين.

وكذلك قوله تعالى: **ربت** نجد فيه الدقة في التعبير لما ينشأ عن تشرب ذرات التراب لذرات الماء حيث يلاحظ زيادة حجم التراب، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: **وربت** حيث إن الربو معناه الزيادة.

وفي قوله تعالى: (وأنبتت) إثبات لمعنى إضافي يتمثل بظهور النبات ونموه، وبذلك ينتفي التوهم الذي قد يحصل للبعض من أن الربو والزيادة إنما هو بالنبات، فسبحان الفاعل في كل ذلك وبيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير.

فقوله: **أنبتت**: أي حدثت عملية إنبات البذور وغيرها مما تحويه الأرض كما في الآية الثالثة لنزول الماء على الأرض، وهذا يوحي بخروج الحي من الميت كما في قوله تعالى: ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ فاطر.

﴿ ذَلِكِ يَآنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نُنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

- (٦) مَا ذَكَرَ افْتِقَارَ المخلوقات إليه وتسخيرها نبه على أن الموجد على الحقيقة هو الله لأن كل موجود مسخر ناقص الوجود والله وحده هو صاحب القدرة المطلقة على كل شيء المحيي المميت الذي لا يتغير ولا يزول.
- (٧) أي وليعلموا قرب الساعة وتحقق وقوعها وأن بعث الناس من قبورهم أحياء كائن لا محالة ليجازي المحسنين ويعاقب العصاة.
- (٨) ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا رشاد ولا كتاب بين.
- (٩) لا ويا عنقه أو جانبه تكبرا وتجبرا وإعراضا عن القرآن والإسلام والمعنى أنه معرض عن الحق بجذاله وتولي عن النظر في القرآن على نحو قوله تعالى: ﴿ولم يستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا﴾.
- (١٠) حين يدخل الكافر النار يقال لأحدهم هذا جزاؤك الذي قدمت من الكفر والمعاصي دون ظلم لأن الله لا يظلم عباده.
- (١١) يخبر الله عن المنافقين أن عبادتهم في عدم ثباتها ورسوخها كمن يمشي على حافة جبل يكاد يسقط في أي لحظة وذلك لأن أحدهم كان إذا أسلم فوجد خيرا من نماء وغنيمة ورخاء استبشر وإن وجد غير ذلك من
- فتن الدنيا ونقائصها تشاءم بالإسلام فنكص على عقبيه، ومن هذا صنيعه يخسر الدنيا والآخرة.
- (١٢) الكافر الذي يعبد الصنم يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه وذلك هو الضلال الكامل.
- (١٣) إن الكافر ينادي من ضره عليه أكثر من نفه ويعتبره إليها، فلبس من كان مولاه ونصيره صنما.
- (١٤) بعد أن ذكر حال الكفار والمنافقين عقب بحال المؤمنين في الآخرة وأنه تعالى يثيب الناس على أعمالهم فللمؤمن الجنة برحمته وللكافر النار بعدله.
- (١٥) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَنَّهُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْطَعَ النَّصْرَ الَّذِي أُوتِيَهُ فليعلق نفسه بحبل في سقف البيت ثم يقتل نفسه كمدا فإن ذلك أسهل عليه من قطع هذا النصر المحتوم أو رده فإن محمدا ﷺ منصور مرزوق لا راد لذلك.
- (١٦) كما أنه أنزل القرآن كذلك علق وجود هداية الصالحين على إرادته وحده دون سواه.
- (١٧) إن الذين آمنوا بالله وبمحمد ﷺ والذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين والمجوس والمشركين ممن سيفصل الله بينهم يوم القيامة ويجازي المؤمنين بالجنة والكافرين بالنار وفقا لعلمه الشامل لكل شيء.



﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (١٨) هَذَا حَصَانِ أَخْصَمُوا فِي رِيهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَقْلَعُونَ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكْمِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ .

المؤمنين في الدنيا وجعله لهم في الجنة حيث يلبسهم أساور الذهب والفضة وملابس الحرير والزبرجد ويهيأ لهم آنتها للشرب ويسقيهم من خمر الجنة الذي لا لغو فيها ولا تأثيم.

(٢٤) أرشدوا إلى قول: لا إله إلا الله والحمد لله وتلاوة القرآن و الأذكار والالتزام بأخلاق الإسلام القولية وذلك وصفهم في الدنيا وفي الآخرة.

(٢٥) يخبر الله عن شناعة فعل مشركي قريش حيث صدوا رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية عن المسجد الحرام ولم يكن ذلك من عادة العرب قبل لأنه مكان عظيم أقامه الله لعبادته وسوى فيه بين الحاضر والباد وجعل الصد عنه من الإلحاد فيه والمعنى خسر وخاب من فعل ذلك وسيجازى بالعذاب الأليم يوم القيامة.

(٢٦) واذكر حين هيننا لإبراهيم عليه السلام مكان الحرم وحدوده وبينها له بعد أن لم تكن كذلك وأمرناه بالإيمان الخالص لله وحده، وتطهير هذا البيت من الأجناس الحسية الظاهرة والمعنوية كالأصنام ليكون مخصصا لعبادة الله من صلاة وطواف واعتكاف.

(٢٧) ونادي في الناس ليحجوا هذا البيت العظيم يأتوك على أقدامهم وركبانا على كل وسيلة متاحة من الأبل الضامرة حال وصولها لطول المسير، والسيارات والقطارات والطائرات وغيرها متحملين المشاق والمتاعب من أجل الوصول إلى هذا الهدف العظيم.

(١٨) ألم تر بقلبك وعقلك أن المذكورات تسجد لله والله أعلم بكيفية ذلك وهي السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس في الجنة وكثير منهم حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم وذلك قضاء الله وحكمه.

(١٩) نزلت هذه الآيات الثلاث السابقة في ثلاثة نفر من المؤمنين وثلاثة نفر كافرين هم: حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، وثبت في صحيح البخاري أن عليا قال أنا أول من يجتو للخصومة بين يدي الله يوم القيامة وهي تتحدث عن خصومة أهل العدل والظلم يوم القيامة وأن الله يحكم لأهل الحق على أهل الكفر بالعذاب الأليم في أشكال مختلفة ليشملهم من فوقهم ومن تحتهم.

(٢٠) يذاب ما في بطونهم وجلودهم من شحم يوم القيامة وذلك بسبب ما ينالهم من عذاب النار.

(٢١) للملائكة مرازب ومطارق من حديد يضربون به الكفار على رؤوسهم إمعانا في إذلالهم.

(٢٢) كلما أرادوا الخروج من النار أعيدوا فيها بالضرب على رؤوسهم بالمعاول وبكتوا بهذا القول ذوقوا عذاب الحريق كقله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم).

(٢٣) لما ذكر جزاء الخصم الكافر وأنه النار ذكر هنا جزاء الخصم الثاني الذي هو المؤمن وما أعد له في الجنة من حلي لأن ملوك الدنيا يتزينون بذلك وقد حرمه الله على الرجال

﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ، وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهَا خَيْرٌ لَّهُمْ وَجِدْ فَهِيَ أَصْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبَدَنَاتُ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

- (٢٨) ليحضروا ما يعود عليهم بالنفع من مغفرة الذنوب، والحصول على الثواب، وتوحيد الكلمة وغير ذلك من منافع الدين والدنيا وليذكروا اسم الله على ما يذبحونه من الهدايا في أيام معلومات هي: عاشر ذي الحجة وثلاثة أيام بعده؛ شكرًا لله على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، وليأكلوا من هذه الهدايا، ويطعموا منها من كان شديد الفقر.
- (٢٩) ثم ليقضوا ما بقي من مناسكهم، ويتحللوا بحلق رؤوسهم أو تقصيرها وقص الأظافر وإزالة الأوساخ، ويطوفون طواف الإفاضة بهذا البيت العريق الذي أعتقه الله من ظلم الجبارة فلم يسلطهم عليه، وليتموا وفاء نذورهم من حج أو عمرة أو هدي.
- (٣٠) ذلك الذي أمرتم باجتنابه هو ما أوجبه الله عليكم، فعظموه ومن عظم حرمت الله أن يستحلها فهو خير له في الدنيا والآخرة عبدي، وأحلت لكم بهيمة النعام إلا ما حرمه الله في القرآن، واجتنبوا القدر من الأوثان، وشهادة الزور.
- (٣١) أمرهم أن يكونوا مقبلين على الله بالعبادة معرضين عما سواه غير مشركين وأخبر عن مصير المشركين وحالهم وأنه كمن سقط من السماء إلى الأرض فتلقاه الطير بالخطف بسرعة تمزيقا أو كمن تذهب به الريح إلى واد عميق فتناثرت أجزاءه.
- (٣٢) ذلك المذكور من إجلال حرمت الله وأعلام دينه التي منها المناسك بأدائها كما أمر الله هو من تقوى الله ووسيلة إليه.
- (٣٣) لكم في الهدايا المسوقة، من البدن ونحوها منافع من حلب وركوب حتى تصل مكانها وزمانها الذي تنحر فيه وتذبح وهو منى والحرم كله ولكم أن تأكلوا منها وتهدوا ويطعموا البائس الفقير.
- (٣٤) ولكل أمة قبلكم جعلنا منسكا خاصا بها لإقامة ذكر الله وإفراده بالعبادة، وشكره على نعمه وهي مقاصد كلية اتفقت الأمم عليها، فسابقوا إلى الأعمال الصالحة عامة ومنها إهداء الأنعام إلى هذا البيت فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها وأمر بالاستلام والانقياد له سبحانه وبشر من أطاعه بخيري الدنيا والآخرة.
- (٣٥) هذا ذكر لصفات المخبتين التي هي وجلهم من الله وتعظيمه مما دفعهم إلى طاعته واجتناب معاصيه، والصبر على ما يصيبهم من البأساء والضراء، وإقامة الصلاة بأدائها كاملة الأركان والواجبات والسنن كما أردا الله تعالى ظاهرا وباطنا، ودوام الإنفاق مما رزقهم الله وأول ذلك إخراج الزكاة والنذر والنفقات الواجبة وأداء الحقوق، ويشمل بذل شيء آخر من الصدقات والنفقات المستحبة والمندوبة.
- (٣٦) وشعائر الله عامة في كل ما أمر الله بتعظيمه ومنها البدن التي سخرها لنا وجعل لنا فيها منافع كثيرة دينية ودنيوية فأمر بذكر اسم الله عليها وهي قائمة صواف ثم تعقل قوائمها اليسرى ثم تنحر فإذا سقطت على جنوبها أمر بالأكل منها وإطعام الفقير المتعفف والفقير الذي يسأل وأخبر أن ذلك العمل كله من أسباب التقوى والشكر لله تعالى.



﴿ لَنْ يَبَالَ اللَّهُ لِحُومِهَا وَلَا دِمَاؤِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمُوعُ وَبِيعَ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۗ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ۝

- (٣٧) ليس المراد من هذا التكليف مجرد اللحم أو الدم لأن الله تعالى غني عن جميع عباده وإنما أراد بذلك رحمة بعباده ليثيب المطيعين ويطعم الجياع من عباده، ثم حدد ما يناله من عبادة العباد بالإخلاص الذي هو التقوى فعلى الحاج والمهدي للبيت والعابد أن يخلص عمله لله تعالى ويبعد عنه الرياء والسمة، وأخبر تعالى أنه سخر الأنعام مع عظمها لعباده ليكبروه ويعظموه ويشكروه على ما هداهم إليه من عبادته فهو المستحق لذلك وحده، وبشر المحسنين في أداء العبادة على الوجه المحدد شرعا وهم من يعبدونه كأنهم يرونه أو كأنه يراهم ووصفهم بهذا معناه أنهم يؤدون عباداتهم عامة (مع الله ومع الناس) بهذا الشكل بإتقان ومن كان هذا حالهم فلهم البشري كما قال ﴿للذين أحسنوا لِحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٍ﴾.
- (٣٨) هذا إخبار، ووعد، وبشارة للذين آمنوا بالله أنه سيدفع عنهم كل سوء وأخبر أنه يكره الخائن في أداء أمانته وكل كافر بنعمه تعالى وفي ذلك تهديد بالعقوبة يوم القيامة.
- (٣٩) هذا إذن بعد الحظر، وكان ذلك قبل الهجرة وهذا بعدها لما قويت شوكة المسلمين وقامت لهم دولة (أرض وأمة ومنهج) واستمر الظلم عليهم بالمنع من أداء دينهم وأخرجوا من بلادهم، بعد كل ذلك أمرهم الله بالقتال ووعدهم بالنصر وهو لا يخلف الميعاد ويفهم منه أن من ظلم ومنع من عبادته وتهيأ له مثل هذه الأسباب وأعد ما استطاع فسينصره الله.
- (٤٠) الذين أُلجئوا إلى الخروج من ديارهم مكة المكرمة وغيرها بالفتنة عن دينهم وأذيتهم الجسدية والمعنوية بغير حق إذ ليس لهم ذنب سوى أنهم قالوا ربنا الله وحده، وبين الله أهمية جهاد الكفار والحاجة إليه لرفع الظلم وحصول الاستقرار ونشر الأمن بين الناس عامة حتى غير المسلمين ليعبد أهل الأديان ربهم من يهود ونصارى ومسلمين فلا تهدم دور العبادة، ووعد بنصر من ينصر دينه وعباده المظلومين لأنه كامل القوة عزيز لا يرام جانبه.
- (٤١) أخبر عن صفة من ينصرون الله فينصرهم بتمكين الدين لهم وإقامته لهم دون معارض أو مناوئ وهم الذي يقيمون الصلاة إقامة تامة في أوقاتها وبشرطها واستمروا على ذلك وأدوا زكاة أموالهم وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وبين أنه العالم بعواقب جميع الأمور وهذا تهديد للحكام ومن جعل الله أمر العباد إليه فإذا عدل وأقام الحق كان جزاؤه عظيما وإلا عوقب عقابا أليما.
- (٤٢) وإن يكذبك قومك المشركون فقد كذبت قبلهم أمم رسلها كقوم نوح وعاد وثمود.
- (٤٣) ومن كذب الرسل كذلك قوم إبراهيم وقوم لوط عليهما السلام وكل هذا تسلية لرسول الله ﷺ.
- (٤٤) هؤلاء كلهم كذبوا أنبياءهم فكيف كانت عاقبتهم لقد أعطاهم الله الفرصة وأمهلهم العقوبة لكن كيف كان جزاؤهم لقد أخذهم بأشد العقوبات كالغرق والصيحة والريح العقيم والخسف والظلة ليعتبر بهم ويخاف عقاب الله من بعدهم ككفار قريش إن أخذه أليم شديد.

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَدِلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾

الأمور ومرجعها إلي مهما طالت وتأخرت.

(٤٩) قل - مخاطبا الرسول - للناس إنما أنا مرسل إليكم جميعا منذرا ومخوفا للكافرين والظالمين من عذاب أليم إذا هم لم يؤمنوا بي.

(٥٠) فالذين آمنوا بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر وعملوا الصالحات فسيغفر الله جميع ذنوبهم ، ويعطيهم رزقا كريما في الجنة.

(٥١) والذين سعوا في الكيد للإسلام جاهدين في محاربتة والوقوف في وجهه أولئك هم أصحاب الجحيم الملازمين له.

(٥٢) يخبر تعالى أنه ما من رسول أرسله الله قبل محمد ﷺ ولا نبي قرأته التي يعلمها الناس ويدعوهم بها أمرا ونهيا إلا وألقى الشيطان في قراءته تلك من مكايده ما هو مخالف لها إلا أن الله لعصمته لرسله وحفظه لرسالتهم حتى يبلغوها على الوجه الصحيح جعلها غير متأثرة بتلك المحاولات الخاسرة بل يزيل الله وينسخ ما تحاول الشياطين إدخاله ويحكم آياته فيبقيها محفوظة من أي تبديل أو تحريف مما يريد أهل الباطل والله عزيز كامل القدرة، حكيم فيما يقدره ويشعره.

(٤٥) وكم من قرية عذبناها عذابا أليما في الدنيا والآخرة بسبب ظلمها وكفرها وتكذيبها لرسولنا فانظر إلى منازلها وديارها خاوية مهدمة على عروشها بسبب ذلك العذاب الذي حل بها، وكم من بئر مدمرة كانت يردها الناس ويتزاحمون عليها طلبا للماء فغدت لا يصدر عنها اليوم أحد، ومثلها القصور التي كانت مشيدة عامرة فإذا بها لا يزورها زائر كآلم تغن بالأمس لماحل بها من الدمار والخراب.

(٤٦) ليسيروا بأبدانهم ولينظروا بعيونهم وعقولهم تلك الآثار والمعالم ويتأملوا فيها مواقع العبر والاتعاظ، وأنكر الله عليهم عدم الاستفادة من عقولهم بالموازنة بين النتائج الماضية والحاضرة واستفادتهم من أخبار الأمم السابقة ونبه على خطر عمى القلب بقوله فإنها لا تعمى الأبصار لكن تعمى القلوب التي في الصدور.

(٤٧) ويطلبوا منك المكذوبون استعجال العذاب لتكذيبهم وجهلهم فأخبرهم أنه كائن لا محالة وأن الله مجزيهم فيه وأنه لا يخلف وعده ، وليعلموا أن أمامهم يوما عظيما قدره ألف سنة من أيامهم.

(٤٨) وكأين من قرية أمهلتها مدة طويلة مع ظلمها وتكذيبها ثم أخذتها بالعقوبة فأجازي من أشاء فليحذر كفار قريش وكل كافر معاند من تأخير العقوبة عنهم لأن عاقبة

٤٦ كنا قد أشرنا في سورة البقرة وغيرها إلى أهمية القلب وأنه مركز التعقل واتخاذ القرار فإننا نجد في هذه الآية الكريمة دليلاً قاطعاً أن القلب الذي في الصدر هو مركز الفكر والتعقل ، ويؤيد ذلك ما قام به العلماء من عمليات رصد وإجراء التجارب وتتالي المشاهدات السريرية على من أجريت لهم عمليات زرع القلب حيث إن ذلك قد أثبت ما ذكرناه فصدق الله وصدق رسوله ﷺ .



﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾
 وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ
 عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمَلِكُ يُومِنُ بِاللَّهِ بِحُكْمٍ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا أَوْ
 مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضُونَهُ، وَإِنَّ
 اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ
 غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ .

استشهاد لما كانوا عاقدين عليه العزم أولئك سيرزقهم الله في الدنيا والآخرة رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين.

﴿٥٩﴾ ليدخلهم مدخلا يرضونه في الدنيا مقابل ما تركوه لله ومنه ما هيا الله لهم به من مهاجر ومسكن بالمدينة وأهلها، وما أتم لهم من فتح مكة وما فتح على أيديهم من المدائن بعد ذلك وما وعدهم به من جزاء في الآخرة مما يحقق الرضا لأنه عليم بالظاهر وخير لا يستعجل العقوبة لمن يريد عقابه.

﴿٦٠﴾ ذلك أن الله حكم أن من ظلم وبغى عليه بأنه يجوز له أن يعاقب من ظلمه بمثل ما فعل (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ولا لوم عليه في ذلك، وإن ظلم مرة أخرى جزي الظالم ولم يترك لأن المظلوم أخذ حقه سابقا وفيه إشارة إلى أن من عفا في المرة الأولى أو عجز عن أخذ حقه فنصره أولى والله عفو غفور: عن المذنبين فلا يعاجلهم العقوبة وقد يعفو عنهم وقد يبدل سيئاتهم حسنات كل ذلك حسب إرادة الله ومشيئته وما يعلمه من نية الشخص وصدق توبتهم وفي الآية تنبيه للمظلومين بأهمية العفو- بعد القدرة على أخذ الحق - من الظالم لأنه لا معنى للعفو قبل ذلك.

﴿٦١﴾ ذلك النصر الذي نصر به من بغى عليه لأنه القادر على كل شيء ومن قدرته إدخال الليل في النهار والنهار في الليل، ويزيد في أحدهما وينقص في الآخر حسب مشيئته وما يترتب على ذلك من فصول واختلاف للأحوال من أجل مصالح عباده في الدنيا والآخرة وأن الله سميع لدعاء عباده باختلاف لغاتهم وطلباتهم ويرى أفعالهم الكبيرة والصغيرة .

﴿٥٣﴾ ليجعل ما يلقيه الشيطان امتحانا لطائفتين لا يبالي الله بهما: الأولى: من في قلوبهم مرض وهم المنافقون فيفتنون عند أول شبهة. والثانية: من جعل الله قلوبهم غليظة قاسية لا تقبل معروفا ولا تنكر منكرا ولا تقبل أمر الله تعالى وبذلك يظهر الله للناس ما كان يعلمه من حقيقة الطائفتين المفتونتين.

﴿٥٤﴾ وليعلم من أعطاهم الله العلم الذي به يفرقون بين الحق والباطل والرشد والغي - وهم الطائفة الثالثة بعد الطائفتين السابقتين - أن القرآن وحي من الله لا يتطرق إليه تلييس ولا تحريف فيؤمنوا به وتخشع له قلوبهم، ويعلمون أن الله يهدي المؤمنين به إلى صراطه المستقيم.

﴿٥٥﴾ ولا يزال الذين كفروا مستمرين في شكهم في القرآن وفي صدق النبي ﷺ حتى يعاقبهم الله بالهلاك العظيم في الدنيا أو تفتنهم الساعة بقيامها بغتة فيعلمون عندها أنهم على ضلال وكذب ولات حين مندم.

﴿٥٦﴾ الملك يوم القيامة الله يفصل بين هذه الطوائف الثلاث (المؤمنين والكافرين والمنافقين) بحكمه العادل وقضائه الفاصل، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم لهم فيها ما يشاؤون خالدين فيها جزاء الإيمان والعمل الصالح.

﴿٥٧﴾ أما الطائفة الثانية وهم الذين كفروا بالله وبرسله وكذبوا القرآن فأولئك لهم عذاب مذل ماديا ومعنويا جزاء تكذيبهم وصداهم.

﴿٥٨﴾ ومن تركوا ديارهم وأموالهم في سبيل دينهم ودعوتهم ثم جاهدوا في سبيل الله حتى استشهدوا أو أتاهم الموت دون

﴿ ذَٰلِكَ يَأْتِيكَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٦٢) ﴿ تَرَأْتِ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّكَ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّكَ اللَّهُ لَهْوُ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ ﴾ (٦٤) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٥) .

بواطن الأشياء وخفياتها وما يصلح لعباده مما يخفى عليهم ومن لطفه إنزال المطر رحمة بعباده، وهو خير بالخبايا والسرائر.

(٦٤) له ما في السموات والأرض يفعل بهم ما يشاء وهو الغني الغنى عن جميع خلقه فلا يحتاج إليهم فهو من يطعم ولا يطعم له خزائن السموات والأرض المحمود في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته الحسنى وفي أفعاله.

(٦٥) ومن قدرته ورحمته أنه رفع السماء وأمسكها عن السقوط على الأرض إذ لولا قدرته ورحمته لوقعت وإلا فمن الذي يستطيع أن يرفعها أو يمنعها من السقوط؟ ولكن رحمته بالناس التي هي أشد من رحمة الأم بولدها جعلته يفعل ذلك بل بها سخر لهم الكون كله.

(٦٢) ذلك الحكم لأن الله هو الحق الثابت الذي لا يتغير ولا يزول وأن ما يدعون من دونه من أصنام ومعبودات هو الباطل في نفسه وعبادته باطلة كذلك لأنه لا ينفع ولا يضر ونتيجتها باطلة هي عذاب الله وأليم عقابه وأن الله هو العلي على جميع خلقه والعلي في قدرته وصفاته قاهر لجميع خلقه كبير ذاته وفي أسمائه وصفاته (وسع كرسية السموات والأرض).

(٦٣) يرغب الله عباده في النظر والمشاهدة بالبصر إلى آياته المنظورة الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي إنزال المطر من السماء على الأرض القاحلة المجذبة فتغدو بعد ذلك بيسير مخضرة من كل زوج بهيج تسر الناظر ليعلم أن ﴿الذي أحيأها لمحي الموتى﴾ إن الله لطيف يدرك

٦١ سبقت الإشارة إليها في سورة آل عمران وغيرها.

٦٢ مع إشارتنا إلى ما ذكرناه حول نزول الماء من السماء وما يحقق بذلك من نعم الله على العباد من خروج النبات وحصول الكفاية المعيشية، وقد ذكر بعض الباحثين اقتران ذكر الله لإنزال الماء من السماء بما يحصل من نعم ناتجة عنه في حين أن الآيات التي ذكرت خروج الماء سواء بفعل الإنسان أو تفجره ينابيع وأنهاراً لم تقترن بذكر تلك النعم مما يؤكد أن أصل الماء من السماء ومن ثم صار يتقلب بتقدير الله العليم الحكيم بين بخار يصعد وسحب تتشكل وأمطار تنهمر.

٦٥ الآية تؤكد ما ورد في سورة البقرة من تهيئة أسباب الحياة على الأرض وتمهيدها وجعلها منبثة للزروع وخازنة للكنوز ومصادر الطاقة، وخصوصاً الماء الذي هو شريان الحياة، فكل ذلك بفضل الله وتسخير، وله المنة في ذلك كله، وفي قوله تعالى: ﴿والفلك تجري في البحر بأمره﴾ ذكر لمنة أخرى لله سبحانه وتعالى على عباده بأن سخر لهم السفن ينتقلون فيها ويستفيدون منها في صيد ما خلق الله تعالى واستخراج الخيرات العظيمة من لؤلؤ وثروات مختلفة في أعماق الماء. وهنا لا بد من التوقف في استشعار نعمة الله في خلق الهواء وتقدير سنة التدافع بين الموجودات الكونية حيث إنه باستثمار ذلك تحصل حركة السفن، ولو أن الله سلب الهواء صفة الصدام والتمازج مع حركة المجاديف ونفث حركة المحركات لما أمكن سير السفن على سطح الماء فتبارك الله الذي خلق كل شيء بحكمته وتقديره.

وفي قوله تعالى: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ..﴾ منة ثالثة أن الله سبحانه يحفظ البشر من غائلة تساقط شيء من السماء أو مما في المسافة البينية الكائنة بين السماء والأرض مع أننا نرى ولا نلمس جرم السماء التي وصفها الله بأنها سقف محفوظ وبناء متين إلا أن الله سبحانه وتعالى كشف لنا عن حقيقة ما تحويه من مليارات المليارات من كواكب وشموس ورجوم ونيازك، ولو سقط شيء على الأرض لأحدث الدمار والبوار، وقد ثبت في بعض الأزمنة سقوط شيء من الرجم الفضائية في مناطق روسيا فأحدث دماراً كبيراً ودويماً وقتل نفوساً كثيرة فسبحان الرحيم بعباده الذي يدفع عنهم عائلة ذلك كله.



﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلْتَهُمْ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعُوا لَهٗ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَنَخْلُقُوهُمْ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئِدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ ۞

كتاب هو اللوح المحفوظ إن ذلك العلم والحفظ قليل على الله وإن تعاضتموه.

(٧١) ويعبد الكافرون من دون الله مستحق العبادة وحده ما لم ينزل بعبادته حجة ولا سلطانا يدل على صحته وصوابه وهذا متضمن للتهديد والوعيد.

(٧٢) وإذا تقرأ عليهم الكتاب البين الواضح في التعريف بالحق تلمح في وجوههم التكذيب والعناد وكرهية الحق وبغضه، مما يجعلهم يكادون يبطشون بالضرب والقتل من شدة ما في قلوبهم من بغض وبأس من هذا حاله يقابل الحق بالتكذيب والكرهية بدلا من قبوله ومناصرتة فقل مخبرا عما هو أعظم من ذلك وأشر هو النار وعدها الله الذين كفروا وبئس من كانت النار مصيره.

(٧٣) يا أيها الناس استمعوا إلى هذا المثل العظيم وعوه بعقولكم حيث ضربه الله في الذين يعبدون من دونه أصناما ومعبودات مختلفة لا تنفع ولا تضر وهي عاجزة عن خلق ذباب - وهو من أصغر مخلوقات الله - ولو اجتمعت كلها، كما أنها عاجزة عن استرجاع ما أخذه الذباب وفي هذا كمال الحجة على عجزها عما عدا ذلك ثم قال ضعف الطالب الذي يعبد الوثن من دون خالقه، والمطلوب الذي هو الذباب أو الوثن المعبود من دون الله.

(٦٦) وهو الذي أوجدكم من العدم ثم يميتكم بعد ذلك الإيجاد ثم يحييكم بعد موتكم تلك ليحكم بينكم فيجازي المحسن ويعاقب المسيء لأن جنس الإنسان مجبول على كفر نعم الله تعالى وكثير منهم يكفر بوجوده وقدرته على البعث بعد الموت.

(٦٧) لكل أهل دين عبادة قد تختلف عن قبلهم في بعض التشريعات حسب تأبي الأمة وطاعتها مع اتفاقهم في الضروريات الخمس ومكارم الأخلاق وذلك الاختلاف رحمة منه بخلقه وإلا فلو شاء لعل لهم شريعة واحدة، فلا تلتفت - أيها الرسول - لمنازعة المكذبين لشريعتك ومخالفتهم في بعض ما أنزل الله عليك مما يخالف شرائعهم أو عقولهم الفاسدة فدعهم عنك وادع إلى ربك بالحكمة وكن على ثقة تامة من شريعتك ومنهجك فأنت على الهدى المستقيم الموصل إلى الحق.

(٦٨) وإن خاصموك في هذه الحقائق فأعرض عنهم وقل لهم: الله عالم بنياتكم وما تعملون من عمل.

(٦٩) الله يقضي بينكم يوم القيامة بالعدل فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا فيجازي المحسن ويعاقب المسيء.

(٧٠) اعلم أن الله عالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في السماء ولا في الأرض وأن ذلك كله محفوظ عنده في

﴿ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا أَيُّكُمْ إِتْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

- (٧٤) هؤلاء المشركون الذين يعبدون من دون الله أصناما لم يقدرها الله حق قدره حيث سووا بين من يخلق ومن لا يخلق وبين القوي والضعيف إن الله لقوي كامل القوة منبع كامل المنعة له الخلق والأمر سبحانه وتعالى عما يشركون.
- (٧٥) الله يختار من ملائكته رسلا يرسلهم لأنبيائه ويكلفهم بمهام عامة وخاصة كما يختار من الناس رسلا يجتبيهم لهذه المهمة العظيمة مهمة إبلاغ الرسالة للناس إن الله سميع لا تخفى عليه الأصوات بصير بكل شيء حتى النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل يراها سبحانه.
- (٧٦) يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به، فلا يخفى عليه من أمورهم شيء.
- (٧٧) نداء من الله لعباده المؤمنين وأمر لهم بالركوع والسجود وعبادته عامة وفعل الخير لما في ذلك من فلاح ونجاح وفوز بالمطلوب في الدنيا والآخرة.
- (٧٨) وابتدوا وسعكم في الحصول على المطلوب من عبادة الله ومن أعظمه بذل المهج في سبيل الله ومنه امتثال ما أمر الله به ونهى عنه ويذكر الله هذه الأمة العظيمة بنعمة اختيار الأمة لهذا الدين والنبى الذي هو أفضل الرسل والكتاب الذي هو أشمل الكتب، وما رفع عنها من المشاق والعسر والخرج وما سهل عليها من الأوامر وما أعطاه من الرخص حيث جعل الضرورات مبيحة للمحظورات لطفًا منه ورحمة. وبين أن هذا الدين هو دين أبينا إبراهيم عليه السلام وأن الله سمانا مسلمين في الكتب السابقة كما هو اسمنا في هذا الكتاب المبين، وجعل محمدا ﷺ شاهدا علينا يوم القيامة بالإيمان به وبما جاء به، ونحن شهداء على الأمم السابقة أن رسلها بلغوها الأمانة وأدوها إليهم كاملة وفي ذلك من الشرف الشهادة لنا بالخير والعدالة وأمرنا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاحتماء بالله من المكار له لأنه من يتولى أمرنا بالتدبير، وهو نعم المولى لمن تولاه بحصول ما يؤمل، ونعم النصير لمن انتصر به لدفع ما يخشاه من ضرر.

٧٢ في الآيات ذكر لحقيقتين :

الأولى : تتبدى من خلال التحدي بالخلق وأن الكافرين مهما بذلوا واجتهدوا وتكاثروا وكان بعضهم لبعض ظهيرا لأجل خلق حياة من شيء مادي فلن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، وبالفعل فإن الملحدون في روسيا حشدوا العلماء وعلى رأسهم (أوبرين)، ورفضوا ذلك الجهد بكل الإمكانيات المادية والتقنية لأجل استحداث حياة من مادة وقد استخدموا لتلك التجارب الذباب للحصول على حمض نووي حي، ولكنهم باؤا بالفشل ولم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا.

الثانية : تتمثل باستحالة استعادة ما يسلبه الذباب، وقد كشف العلم أن الذباب يقوم بإفراز إنزيمات هاضمة ومواد مذيبة على المادة التي يريد تناولها ثم تتحول هذه المادة إلى أحماض أمينية وسكريات ودهون وتتحول المادة إلى طاقة في معدة الذباب يتم امتصاصها فلا يستطيع أحد استنقاذ تلك المواد من الذباب الهاضم ولا يستطيع الذباب أن يرجع تلك المادة، فحقا ﴿ ضعف الطالب والمطلوب ﴾.

سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنكُمْ يُومَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ۝١٧ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرِضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ۝١٨ ﴾

- (١) يخبر الله تعالى عن فلاح عباده ونجاتهم يوم القيامة ويصفهم بهذا الوصف العظيم في مقام المدح مع التذكير بسبب ذلك مما اتصفوا به من صفات أخرى في الآيات التالية.
- (٢) فهم من تحضر قلوبهم وتخضع وتسكن أجسادهم عند أداء الصلاة فيقومون خائفين من الله سبحانه وتعالى متذللين له ساكنين لا يتحركون متأنين في قراءتهم وتسيبهم.
- (٣) وهم المترفعون عن كل ما لا فائدة فيه من الكلام.
- (٤) وهم من يؤدون زكاة أموالهم جميعا.
- (٥) وهم الذين حفظوا فروجهم من الزنا والتعري.
- (٦) إلا من قصروا ذلك على ما أحله الله من زوجاتهم وإمائهم فإنهم بذلك غير معاتبين ولا ملومين.
- (٧) أما من طلب غير الزوجة والسرية مما حرم عليه فأولئك هم المعتدون.
- (٨) والذين يؤدون أماناتهم ويحافظون على عهودهم ومواثيقهم فيوفوا بها.
- (٩) وهم يداومون على أداء صلواتهم في أوقاتها تامة الأركان والشروط والسنن.
- (١٠) فالتصنفون بتلك الصفات هم الوارثون للجنة بأعمالهم الصالحة هذه.
- (١١) الذين يرثون الفردوس ليخلدوا فيها جزاء إيمانهم وعملهم الصالح.
- (١٢) هذا ذكر لمراحل خلق الإنسان بدءا من سلالة الطين التي خلق منها أبانا آدم وهو المقصود هنا.
- (١٣) بعد خلق أبونا آدم خلق الله ذريته من نطفة وهي قطرة من مني يجعلها مستقرة في الرحم داخل بويضة المرأة ثم يحول الله تلك النطفة إلى ما يشبه العلقة فيحول هذه العلقة إلى ما يشبه المضغة من اللحم فيحول هذه المضغة اللينة إلى عظام قاسية فيلبس الله تلك العظام باللحم.
- (١٤) فتمجد الله وتقديس بكمال قدرته وإتمام خلقه للإنسان الذي خلقه في أحسن صورة.
- (١٥) ثم إن الإنسان بعد هذه المراحل ميت لا محالة.
- (١٦) ثم إن الناس يخرجون من قبورهم يوم القيامة للجزاء والعقاب.
- (١٧) ولقد خلقنا فوقكم سبع طبقات بعضها فوق بعض هي السماوات السبع وكما لم نغفل عن خلقكم لم نغفل عن خلقها على عظيمها وكبرها.
- (١٨) وأنزل الله من السماء ماء المطر بتوزيع عادل على الأرض كل سنة فجعل بعضه مستقرا في الأرض وبعضه يذهب وهو قادر على ذهابه كله ولكنه تركه رحمة بعباده.

﴿ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقِحٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ لَكُمْ مَوَازٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ فَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ .

أخرى كالأصواف والجلود.

(١٩) فجعل لكم بهذا الماء جنات فيها نخيل وعنب وغيرها من الفواكه الكثيرة ومما يأكله الإنسان.

(٢٢) وعلى هذه الأنعام تركبون كما هو الحال في السفن.

(٢٠) وكما أنشأنا لكم النخيل والعنب أنشأنا لكم شجرة الزيتون من جبل مبارك هو جبل سيناء تنبت الزيت الذي يؤدم به ويدهن.

(٢٣) لقد أرسل الله نوحا وهو أول الرسل إلى أهل الأرض فنهى قومه عن عبادة الأصنام وأمرهم بعبادة الله وحده وقال لهم ليس لكم إلا إله واحد هو الله وأمرهم بتقوى الله والخوف من عقابه.

(٢١) وإن الله جعل لكم في الإبل والبقر والغنم عبرة لما فيها من ألبان تشرب ولحوم تؤكل ولما فيها من منافع كثيرة

١٢ في هذه الآية الكريمة يتبدى مظهر رائع من مظاهر الإعجاز العلمي حيث إنها نزلت على نبيينا الأُمِّي في زمن كان خلواً من أي رصيد معرفي في دقائق تكون الأجنة وتطورها في الأرحام، وإذا بهذه الآية الكريمة تعرض بشكل واضح وبكل دقة لمرحلة تطور الجنين في رحم أمه بعد ذكر أصل خلق الإنسان الأول سيدنا آدم عليه السلام وأنه من تراب الأرض كما يلي:

أولاً: مرحلة خلق سيدنا آدم وأنه استل من تراب الأرض؛ وهنا تصرف كلمة (سلالة) إلى معنى الخلاصة أو انتزاع الشيء برفعه. ثانياً: هنا نلاحظ ما يقوله علماء الأجنة أن الحويين المنوي الذي يؤدي عملية التخصيب للبويضة الأثوية هو خلاصة ما يقذفه الرجل أثناء الوقاع؛ حيث يشتمل السائل المنوي المقذوف على ملايين الحويينات المنوية فمن هذه الملايين لا يقوى على الفوز بتلقيح البويضة إلا خلاصة الحويينات وأقواها وأنشطها وهذا ما ينطبق مع قول الله تعالى: (سلالة) أي خلاصة.

ثالثاً: وبما أن إلتقاء الحويين المنوي مع البويضة وفوزة باختراق جدارها ومن ثم حصول الاختلاط بين مكونات الحويين المنوي مع مكونات البويضة يستغرق زمناً؛ لذلك جاء التعبير القرآني عن المرحلة التالية مسبقاً بكلمة (ثم) الدالة على حدوث الفعل على الترتيب مع التراخي.

رابعاً: وقوله جل وعلا: ﴿ ثم جعلنا نطفة في قرار مكين ﴾ وخلال هذه الفترة لا تعدو عن كون مقدارها بقدر قطرة ماء وتحمل ضمنها أخلاطاً كثيرة لذلك وصفت هذه النطفة في سورة الإنسان بقوله تعالى: (نطفة أمشاج)، أي: أخلاط ولكونها منغرزة في بطانة الرحم كان أدق تعبير عن حالها هو قوله تعالى: ﴿ في قرار مكين ﴾ لكونها مستقرة فيه في فترة الحمل وهي مواصفات الحماية والحفاظ عليها. ولأن هذه المرحلة تستغرق وقتاً حتى تأتي المرحلة التي تليها جاء التعبير القرآني بكلمة (ثم) ليدل على الترتيب مع التراخي.

أما المرحلة التالية وهي قول الله تعالى: ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ فيمكن إجمال وصفها بما يأتي:

تثبت النطفة في بطانة الرحم بعد أن كانت متحركة أن لفظة (علقة) عند العرب تأتي بعدة معان منها دودة العلق الطبي، ومنها الشيء المعلق، ومنها القليل من الدم، فإذا لاحظنا ما كشفه علم الأجنة الحديث عن الجنين في هذه المرحلة سنجد أنه ينطبق تماماً مع هذه المعاني الثلاثة، فهو يشبه دودة العلق الطبي من حيث الشكل الخارجي، وهو معلق بجدار الرحم، كما أنه يشبه في شكله قطعة دم متخثرة، وهنا نؤكد على أن عملية انغراس النطفة الملقحة والتي يطلق عليها عملية الحرث هي التي تعطى ذلك الشكل الجديد لدى تعلقها بالمشيمة الملتصقة بالرحم قال تعالى: ﴿ نساؤكم حرث لكم ﴾.

١٧ سبق الإشارة إلى خلق السموات السبع في سورة البقرة.



١٨ تشير الآية في أنه قدّر نظام ماء المطر الذي يغور في الأرض بحيث يسكن بعضه فيها، ويخرج بعضه الآخر إلى السطح. كما قدّر نظام ماء المطر الذي يسيل على السطح ويجري باستمرار في مجاريه، ومن الجدير بالذكر أن مياه الأمطار الساقطة على الأرض تتوزع كما يلي:

- (١) جزء يتبخّر مباشرة ويعود إلى الغلاف الجوي.
- (٢) جزء يجري على السطح وتتكون منه الأنهار والجداول ويسمى الماء المنطلق.
- (٣) جزء يدخل إلى التربة ويتسرب منها إلى الصخور التي تحتها ويسمى الماء المتخلل، والذي يتخلل إلى مستودعات المياه الجوفية. وحركة المياه الجوفية في باطن الأرض تتوقف على ثلاث صفات رئيسية للصخور، وهذه الصفات هي المسامية، والإنفاذ والإمرار وجود شقوق وفواصل تعمل كأنابيب تسمح بمرور الماء.

٢٠ إن الشجرة هي شجرة الزيتون وأن في ثمارها ما ينتفع به من الدهن والأصباغ، فإذا حللنا ثمار الزيتون بالطرق العلمية الحديثة في التحليل سنجد بها علاوة على الدهن كميات من الأحماض الأمينية (وهي الأحماض التي يرتبط بعضها مع بعض في سلسلة ببتيدية طويلة لتكون البروتين)، بعض هذه الأحماض تسمى بالأحماض الأمينية الأساسية وهي الأحماض الأمينية التي يمرض الإنسان إذا لم يتناولها في طعامه لمدة طويلة أحد هذه الأحماض الأمينية الأساسية هو حمض الفينيل ألانين والموجود في ثمار الزيتون، وله دور أساسي في إعطاء لون البشرة ولون رموش العين ولون الشعر في الإنسان. ويحدث هذا علمياً بتناول الإنسان الحمض الأميني فنيل ألانين في الطعام فيتحول إلى تيروزين، والتيروزين يتحول إلى الميلانين، والميلانين هو المادة الكيميائية الحيوية التي تصبغ جلد وشعر ورموش الإنسان عندما تتسرب في بعض طبقات الجلد والشعر والرموش.

وجاء لفظ الدهن معرّفًا بالألف واللام، بينما الصبغ جاء نكرة، لأنه ليس المنتج الأساسي لشجرة الزيتون، والتفسير على هذا النحو: « وشجرة تخرج من طور سيناء تثبت بالدهن وصبغ للأكلين » أي بمعنى منتج أساسي وهو الزيت للتغذية، ومنتج ثانوي وهو الصبغ (الماء الأحمر الذي يفصل عن الزيت، ويتكون هذا الماء الأحمر من صبغ، وهي كل مادة تصبغ أو تعطي لونا لكل الأشياء التي تصبغها أو تختلط معها، وهي مركبات عضوية توجد في الزيتون وتمتاز بخاصية تغيير لونها مع التأكسد والضوء) وهو للمنفعة الصحية، والمعروف عن هذه المركبات أنها تحول دون التأكسد، وهو شيء في غاية الأهمية بالنسبة للجسم، وبدراسة الخصائص الكابحة للجراثيم المضرة لهذا الصبغ تبين أنه جد فعال في كبح نمو الجراثيم، وبهذه الخاصية يمكن أن يستعمل كمادة طبيعية لحفظ المواد الغذائية بدل الإضافات الكيميائية الصناعية الخطرة.

وقد وصفت هذه الشجرة بالمباركة ذلك لأنها لا تفسد التربة من حيث يمكن زراعة ما بين الأشجار بمزروعات أخرى كالحبوب، وهي لا تضيع الفرشة المائية، وترطب الجو وتحتوي في أوراقها على مكونات صحية وطبية حيث تحتوي على مواد نافعة جداً وقد تشفي من عدة أمراض، وقد أظهرت الأوراق نتيجة عالية في شفاء داء المفاصل والروماتيزمات وإصابة الشعر والأظافر والجلد وتسوس الأسنان، وتقيد مكونات زيت الزيتون في الوقاية من الإصابات المتعلقة بالقلب والشرايين حيث يعمل على خفض الكوليسترول الدموي، ومن الملاحظات القيمة أن سكان حوض البحر الأبيض المتوسط لا يصابون بأمراض القلب والشرايين، ويقال السرطانات كذلك في هذه المنطقة، ويرجع الفضل في هذا الحادث العجيب إلى كون سكان هذه المنطقة يستهلكون الزيتون وزيت الزيتون بكثرة.

٢٣ الله سبحانه وتعالى يصف لنا بدقة بالغة أن فوقنا سبع طرائق في كوننا (السماء) الذي نعيش فيه. وقد اكتشف العلماء أن فوقنا الغلاف الجوي، وهي أول طرقة للأرض، فيمكننا السير في أجوائها بالطائرات، ولا يمكن تخطيها إلى الطرقة التي تعلوها (الفضاء) بسهولة. ثم يعلوها طرقة فضاء المجموعة الشمسية)، وإذا ما تمكنا الوصول إليها فيمكننا التجول فيها بالمركبات الفضائية، إلا أنه لا يمكن تخطيها لخارج المجموعة الشمسية بسهولة. وهكذا تعلوها، طرقة المجموعة النجوم المجاورة، ثم طرقة مجرة درب التبانة، فطرقة المجموعة المجرية المحلية، فطرقة الكلاستر، فطرقة السوبر كلاستر المسماة «فيرجو». وهو آخر ما تم اكتشافه حتى الآن. ولكل طرقة قوانين وضوابط للتحرك فيها. فسبحان الله الذي وصف لنا حال طبقات سمائنا الدنيا.

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحِينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدِكُمْ أَنْتُمْ وَإِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَهَيَاتَ هَهَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

- (٢٤) فقال السادة والعظماء المتبوعون لأتباعهم معارضين دعوة نوح عليه السلام: ما نوح هذا إلا إنسان مساو لكم في البشرية لكنه يسعى إلى أن يكون له فضل عليكم بهذه الرسالة وهذه الدعوة ولو أراد الله إرسال رسول لكم لأنزل عليكم ملكا، ولم نسمع بهذا في آبائنا السابقين.
- (٢٥) قالوا إن نوحا مجرد رجل به مس من الجنون فانتظروه حتى يزول عنه ما به وعندها سيترك دعوته، أو يموت فتستريحون منه.
- (٢٦) فلما رأى نوح تماديهم التجأ إلى الله طالبا نصرته غضبا لله.
- (٢٧) فأوحى الله إلى نوح أن يصنع السفينة بمرأى من الله فإذا جاء الوقت الذي قدر الله فيه عذابهم بالإغراق فسيجعل الله علامة ذلك نبع الماء بقوة من التنور عند ذلك ادخل السفينة ومن معك، وأدخل من كل نوع زوجا حتى تبقى الأجناس فلا تهلك، واحمل أهلك إلا ابنك الذي سبق عليه حكم الله وقدره أنه من الكافرين ومثله زوجتك لما كانت عليه من الظلم ولا تسأل نجاة القوم الظالمين فهم معرّفون.
- (٢٨) فإذا ركبت واستويت داخل السفينة فاحمد الله على النجاة والسلامة وقل الحمد الذي نجانا من الظالمين وأهلك عدونا.
- (٢٩) وقل رب يسر لي المنزل المبارك الآمن وأنت خير المنزلين فاستجاب الله دعاءه وأنزله بسلام.
- (٣٠) إن إنجاء نوح وقومه وهلاك الكافرين علامات واضحة على صدق نوح وضلال قومه المكذبين.
- (٣١) وبعد مدة طويلة خلق الله قوما آخرين هم قوم هود عليه السلام.
- (٣٢) فبعثنا فيه رسولا هذا الرسول هو هود عليه السلام لأنه كان بعد نوح فأمر قومه بعبادة الله وحده وحذرهم من عقابه وحثهم على تقواه.
- (٣٣) وقال السادة من قوم هود الذين كفروا به وكذبوا بالبعث بعد الموت، ممن اتصفوا بالغنى والترف في العيش ما هود هذا الذي يدعوكم إلا بشر مثلكم يأكل الطعام الذي تأكلون ويشرب الشراب الذي تشربون ولو كان مرسلا لكان ملكا.
- (٣٤) ولئن أجبتم دعوة رجل مثلكم وتركتم عبادة آلهتكم لخسرتم.
- (٣٥) كيف تصدقون من يخبركم أنكم بعد موتكم وتحولكم إلى تراب وعظام أنكم ستحيون وتخرجون من الأرض مرة أخرى؟
- (٣٦) بعد حقا ما يعدكم به من الحياة بعد الموت.
- (٣٧) إن حياتنا قاصرة على هذه الدنيا وفيها نموت ثم لا نبعث بعد ذلك.
- (٣٨) إن هودا ما هو إلا رجل كذب على الله في دعوى إرساله إلينا ولذا لن نصدق في دعواه .



﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِحِّحَنَّا نَدِيمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَرَاتُفًا كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعَدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْزَلْنَا لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ بَيَّنَّا الرُّسُلَ كُلُّوهُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فِرْحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَّهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴿٥٤﴾ ائْتَسَّبُونَ أَنْمَا يُنَادُّهُمُ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ﴿٥٥﴾ تُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ۞

- (٣٩) قال هود رب انصرنني عليهم بعد ما كذبوني.
- (٤٠) فأجاب الله دعوته فقال بعد مدة قليلة سيندم مكذبوك ويعلمون أنك على الحق.
- (٤١) فما مضى وقت قصير حتى أرسل الله عليهم صيحة قوية مع ريح شديدة فجعلهم الله أجزاء صغيرة متلاشية كأجزاء غشاء السيل أو كهشيم المحتظر وأبعدهم الله عن رحمته لما وقع منهم من ظلم.
- (٤٢) ثم أوجدنا بعد هؤلاء القوم المكذبين أقواما آخرين كقوم لوط وشعيب وأيوب ويونس.
- (٤٤) ثم أرسل الله رسله بعضهم في أثر بعض وكانت كل أمة بعد الأخرى تكذب رسولها فعاقبهم الله بالهلاك وجعلهم عبرة وحديثا لمن أتى بعدهم فهلاكا لقوم يكذبون رسلهم.
- (٤٥) ثم بعد تلك الأمم بزمن طويل أرسلنا موسى وأخاه هرون بآيات ظاهرة متعددة لإقامة الحججة على قومهما وهي: (العصى، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنون، ونقص الثمرات).
- (٤٦) أرسلهما الله إلى فرعون ملك مصر وملئه فكذبوهما وتعالوا وتكبروا لما كانا عليه من تلك الأوصاف الذميمة.
- (٤٧) فقال قوم فرعون أنصدق بشرين مثلنا وقومهم (بنو إسرائيل) تحت سيادتنا وإمرتنا.
- (٤٨) فكذبوا موسى وهارون فكانوا من المهلكين بالغرق.
- (٤٩) ولقد أنزلنا على موسى التوراة رجاء هداية قومه.
- (٥٠) وجعلنا عيسى بن مريم وأمه برهانا بينا على كمال قدرة الله حيث خلق عيسى من غير أب وخلق له ولأمه ما يحتاجانه من الرطب الجني من جذع نخلة قديم.
- (٥١) هذا أمر من الله لرسله وهو أمر لأتباعهم بالأكل من الطيبات وهي كل ما أباح الله، وأن يعملوا الأعمال الصالحة لأن الله مطلع على أعمالهم، مجازيهم عليها يوم القيامة.
- (٥٢) وإن دين الرسل جميعا دين واحد هو دين الإسلام الذي أمر بعبادة الله وطاعته وإن اختلفت شرائعهم، وأمرهم بتقواه والخوف من عقابه مما يوجب أن يكون أتباعهم جماعة واحدة.
- (٥٣) ففترق أتباع الرسل وتقطعوا جماعات وأحزابا مختلفة كل واحدة تزعم أنها على الحق وأن غيرها على الباطل.
- (٥٤) فدعهم في جهلهم وغيهم إلى وقت نزول العذاب عليهم.
- (٥٥) أیظن هؤلاء المكذبون أن ما نعطيهم من نعمنا من مال وأولاد هو علامة على أنهم على الحق وأنهم من أهل النجاة يوم القيامة.
- (٥٦) كلا ليس الأمر كذلك بل هو إمهال واستدراج.
- (٥٧) إن الذين هم على خوف وشفقة من ربهم.
- (٥٨) والذين هم بآيات ربهم مصدقون.
- (٥٩) والذين هم بربهم لا يشركون معه غيره بل يفردون بالطاعة والعبادة.

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِتِ وَهُمْ لَهَا سَاقِطُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَنكَلِفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍقٍ مِّنْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٣﴾ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٤﴾ حَقَّ إِذَا أَخَذْنَا مَتْرَفِهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٦﴾ فَكَانَتْ آيَاتِنَا تُنذِرُ عَلَىٰ عَيْبِكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٰٓ أَعْقَابِكُمْ تُنكَصُونَ ﴿٦٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٨﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٠﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧١﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنِ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِنَاهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُونَ ﴿٧٧﴾ ۞

- (٦٠) والذين يعملون ما يعملون من الأعمال الصالحة من إيمان وصلاة وحج وصوم وصدقة وهم مع ذلك يخافون أن لا يقبل الله منهم.
- (٦١) أولئك المجتهدون في الطاعات والمسارعون في فعلها باستمرار.
- (٦٢) لا يكلف الله نفساً إلا ما تقدر على فعله حيث رفع الحرج والآصار عن هذه الأمة وأخبر أنه يعلم أعمال عباده وجعلها في سجل حافظ ينطق يوم القيامة بما فيه من أعمالهم بالعدل فلا يظلم أحد.
- (٦٣) بل قلوب الكافرين المكذبين في غمرة من الجهل والغفلة والإعراض تمنعهم من قبول القرآن وتصديق النبي ﷺ، ولهم أعمال فاسدة يعملونها يؤجل الله عقوبتهم حتى يعملوها ليزيد من عذابهم يوم القيامة.
- (٦٤) حتى إذا عاقب الله أهل الترف والبطر منهم بالعذاب شرعوا يصرخون ولا مغيث.
- (٦٥) وسيقال لهم عندها لا تصرخوا فالיום لا أحد ينصركم ولا ينجيكم من عذابنا.
- (٦٦) قد كانت آياتي (القرآن) تقرأ عليكم في الدنيا فكنتم لا تقبلون سماعها بل تفعلون عند سماعها ما يفعله المعرض من الرجوع القهقري.
- (٦٧) متكبرين على الناس بأنكم أهل البيت وبدلاً من أن تعظموه تبيتون حوله سماراً تلهون بالسيء من القول والفعل.
- (٦٨) أفلم يتأملوا القرآن الكريم لمعرفة صدقه أم منعهم من قبوله أنه لم يأتهم من قبل آبائهم السابقين.
- (٦٩) أم منعهم من الإيمان به أن من جاء به غير معروف لديهم؟
- (٧٠) أم ظنوا أن محمداً ﷺ مجنون وهو ليس كذلك بل أتاهم بالصدق ولكنهم منعهم الجحود والحسد لذا فأكثرهم يبغضون الحق ويكرهونه.
- (٧١) ولو وافق القرآن أهواءهم المنحرفة لفسدت السموات والأرض وكل من فيهن بسبب ظلمهم وعدوانهم بل أنزل الله عليهم كتاباً فيه شرفهم ومجدهم ولكنهم لجهلهم أعرضوا عنه.
- (٧٢) أم منعهم عن الإيمان بك وبالقرآن أنك طلبت منهم أجراً على دعوتك وأنت لم تفعل لأن عطاء ربك من الأجر والخير كثير والله خير الرازقين فسينعم عليك ويتفضل.
- (٧٣) وإنك - أيها الرسول - لتدعو الناس إلى دين قويم.
- (٧٤) وإن الذين أنكروا اليوم الآخر وكفروا بالله عن طريق الحق مائلون منحرفون.
- (٧٥) ولو تفضل الله عليهم وأزال عنهم ما بهم من جوع وقحط لظلوا في غيهم سادرين
- (٧٦) ولقد أصبناهم بصنوف العذاب المختلفة فما حملهم ذلك الخوف من الله واللجوء إليه حال نزوله بهم ولا بعد ذلك وهذا غاية الكبر والعناد.



﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَعِابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

- (٧٧) حتى إذا جاء يوم القيامة وفتحنا عليهم باب جهنم إذا هم ساعثن آيسون في حيرة من أمرهم وندم وفي ذلك الوقت لا ينفع الندم.
- (٧٨) وهو الذي خلق لكم إدراك المسموعات وإبصار المرئيات وتعقل المعقولات ومع كل تلك النعم لا تشكرونه على ذلك إلا قليلا.
- (٧٩) وهو الذي خلقهم جميعا وجعل لكم الأرض قرارا وسكننا وسيعيدهم يوم القيامة ويجمعهم ليجازي المحسن ويعاقب المسيء.
- (٨٠) وهو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو الذي يخالف بين الليل والنهار فيدخل هذا في هذا ويخرج هذا من هذا بقدره عجيبة ولحكمة بالغة أفلا يلفت هذا أنظاركم لتعرفوا على كمال قدرته سبحانه.
- (٨١) بل قال كفار قريش كما قال أسلافهم.
- (٨٢) قالوا إذا متنا وبليت عظامنا في التراب أفنخرج من الأرض بعد ذلك أحياء؟.
- (٨٣) لقد قيل لأبائنا من قبل إنهم سيبعثون كما تقول - يا محمد - لنا الآن وما هذا القول إلا حكايات وكذب الأولين.
- (٨٤) إذا كنتم تنكرون ذلك فلمن هذه الأرض وكل من فيها إن كان لديكم علم.
- (٨٥) سيعترفون لا محالة بأنها لله لأنهم يعترفون بربوبيته دون ألوهيته فقل لهم ألا تدركون بذلك قدرته على الإحياء بعد الموت.
- (٨٦) قل من خلق هذه السماوات السبع ومن مالكتها ومن خلق العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات؟.
- (٨٧) فسيقولون إنه الله، فقل لهم: أفلا تتعظون وتؤمنون بما أخبركم به.
- (٨٨) قل لهم من يملك خزائن كل شيء ومن يحيي من استجار به ولا يحمي عنه أحد ممن أراد إنزال العقوبة به فهل تعلمون من هو؟.
- (٨٩) سيقولون ذلك كله لله فقل لهم فإلى متى يخفى عليكم الحق ويغيب عنكم وهو الإيمان بالله واليوم الآخر.
- (٩٠) بل أعطينا هؤلاء المكذبين الحق الذي هو كتاب الله ولكنهم مكذبون به كارهون له.
- (٩١) لم يجعل الله له ولدا لغناه وعدم حاجته إليه وما كان معه من إله آخر ولو كان معه إله آخر لاستبد كل واحد بما لديه من خلق ولكان أحدهما إلهها والآخر مخلوقا له تنزه الله عما يقولون فالله إله واحد لا شريك له ولا معين، له الخلق والأمر.

٧٨ سبقت الإشارة عن السمع والأبصار والأفئدة في سورة النحل الآية (٧٨).

٨٠ سبقت الإشارة عن ذلك.

﴿ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيبِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَيَّ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعُدُّهُمْ لِقَدَرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيَّةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ عَلَىٰكَ فُكْمُكَ فَمَا تَتَكَبَّرُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمِنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَٰئِزُونَ ﴿١١١﴾ ۞

- (٩٢) عالم بكل ما غاب وحضر من خلقه فلا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء فتتزه عما يشركون به من مخلوقات.
- (٩٣) قل رب إن تريني من إيقاع العذاب الذي وعدت بإنزاله عليهم.
- (٩٤) رب فلا تجعلني مع القوم الظالمين الذين سينزل بهم عقابك.
- (٩٥) وإننا لقادرون على أن نطلعك على ما وعدناهم به من العذاب.
- (٩٦) رد بالإحسان على من أساء إليك وكل أمرهم إلينا فنحن أعلم بما يصفونك به وسنجازيهم على ذلك.
- (٩٧) وقل رب أستجير بك من غوايات الشياطين.
- (٩٨) وأستجير بك أن يشركوا معي في أي أمر من أموري.
- (٩٩) حتى إذا حان وقت موت أحد المشركين أدركه الندم وتمنى أن يعود إلى الدنيا.
- (١٠٠) لعله يعمل عملاً صالحاً فيما مضى من الدنيا، فيقال له: كلا، فما قلت مجرد كلمة لا تدل على شيء إذ لو أعيد للدنيا لعمل كما كان يعمل، وسيبقى بينهم وبين الدنيا حاجز إلى يوم يخرجون من قبورهم إلى البعث.
- (١٠١) فإذا نفخ في القرن لقيام الناس من قبورهم فلا مجال للافتخار بالأنساب ولا أحد يسأل عن الآخر بل يفر كل امرئ من أخيه.
- (١٠٢) فمن رجحت موازينه بالحسنات في هذا اليوم فأولئك هم الفائزون.
- (١٠٣) ومن قلت حسناته بسبب الشرك والظلم فأولئك من ضيعوا أنفسهم إذ مصيرهم يومئذ جهنم وسيخلدون فيها إلا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم).
- (١٠٤) تحرق النار وجوههم وأجسادهم وهم فيها عابسون.
- (١٠٥) ويقال لهم: ألم يكن القرآن الكريم يتلى عليكم فكنتم به تكذبون.
- (١٠٦) قالوا يوم القيامة معتذرين بالباطل ربنا غلبت عليها شقاوتنا باتباعنا أهواءنا وشهواتنا لما قدرته علينا وكنا بذلك ضالين عن الحق.
- (١٠٧) ربنا أخرجنا من النار وأرجعنا إلى الدنيا لنطيعك فإن رجعنا إلى الغواية والمعصية فنحن ساعتهذ من الظالمين ونستحق العذاب.
- (١٠٨) قال تعالى رادا عليهم امكثوا في النار ولا تكلموني.
- (١٠٩) إنه كان فريق من المؤمنين في الدنيا يطيعون ربهم ويقولون ربنا آمنا فاستر ذنوبنا ويطلبون المغفرة والرحمة من خير الراحمين.
- (١١٠) فجعلتموهم أضحوكة واستهزأتم بهم حتى أنساكم ذلك الفعل القبيح ذكر ربكم.
- (١١١) إني جزيت هؤلاء المؤمنين الذي صبروا على أذاكم في الدنيا وسخرتكم فجعلتهم هم الناجحين الفائزين بالجنة.



﴿ قَدْ كَمْ لَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قَلَّ إِن لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

(١١٢) قال كم مدة إقامتكم في الدنيا من السنين ؟
والأمر رب العرش العظيم.

(١١٣) قالوا مجيبين كانت مدة لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل

(١١٧) ومن يعبد إلها مع الله لا دليل له عليه - وكل معبود دون الله كذلك - فإن الله سيحاسبه على ذلك يوم القيامة وسيخسر الكافرون المبطلون.

أهل الحساب الذين يعدون وما ذلك إلا لشدة العذاب.

(١١٤) قال ما مدة لبثكم إلا زمن يسير لو أنكم كنتم تعلمون أن الدنيا فانية وأن الآخرة باقية.

(١١٨) وقل - أيها الرسول - رب استر واعطف وأنت أهل لذلك وأنت خير الراحمين.

(١١٥) أفضنتمم أنما خلقناكم في الدنيا للهوي واللعب وأنكم لا تردون إلى يوم القيامة للجزاء والحساب.

سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

وأمر بحضور مجموعة من المؤمنين لتنفيذه استنكاراً واستشناعاً لهذا الفعل القبيح وقد تعالت أصوات اليوم باعتبار هذه الأحكام مخالفة لحقوق الإنسان وكرامته مما يوجب الحذر والتنبيه لذلك فلا أحد أرف من الله بعباده ولا أرحم. أما الثيب من الرجال والنساء فقد دلت السنة الثابتة القولية والعملية على أن حكمهما الرجم.

(١) السورة المجموعة من الآيات وخصها الله بهذا مع أن كل السور كذلك للتنبيه إلى عظم شأنها ولما فرض فيها وقدر وأنزل من أحكام ظاهرة بينة كالحودود والشهادات والآداب وغيرها رجاء التذكر والخوف منه تعالى.

(٢) الزاني والزانية هما من وقع في فاحشة الزنا دون عقد صحيح وهذا بيان لحد البكر خاصة وهو من لم يتزوج من قبل، وحدثهما الجلد مائة جلدة جلداً متوسطاً يتجنب الوجه، وأمر تعالى الحاكم والمنفذ وعامة المسلمين بعدم الرأفة في التنفيذ أو التعاطف مع مستحق العقوبة لأن هذا الحكم عقوبة لمن تجاوز حدوده وجعل ذلك علامة الإيمان

(٣) الزاني لا يتزوج إلا زانية مثله أو مشركة والزانية كذلك تقبيحاً وتشنيعاً لهذا الفعل وتنفيراً منه وحرمة الزنا ونكاح الزاني والمشركات والزناة والمشركين على المؤمنين رجالاً ونساءً.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾
 إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

زوجها صادقاً فيما اتهمها به.

(١٠) ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم وأنه تواب رحيم حل بالكاذب من المتلاعنين ما حلف به على نفسه من لعنة أو غضب عيادا بالله.

(١١) ولما كان الحديث عن القذف وعظمتها ناسب أن تذكر قصة الإفك لعظم شأنها لأن أمرها يتعلق بمن شهد القرآن ببراءتها وطهارتها وهي أمنا عائشة الطاهرة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما فأخبر تعالى أن تلك العصاة التي سعت في ذلك البهتان العظيم هم من المسلمين إذ منهم من هو مسلم ظاهرا وباطنا مع عظم ذنبه ومنهم من هو مسلم في الظاهر فقط وهم المنافقون. وقال معزيا ومخففا على المسلمين لا تحسبوا هذا الإفك شرا لكم بل هو خير لكم لما وقع فيه من بيان طهارة الصديقة رضي الله عنها ولما وقع فيه من توبة على بعض المسرفين ولما نزل بسببها من أحكام تتلى إلى يوم الدين لكل واحد ممن نالوا من عرض أمنا واتهموها كذبا جزاؤهم من العقاب في الدنيا بالحد. أما الذي تولى كبره وهو عبد الله بن أبي بن سلول كبير المنافقين فعليه الوزر الأكبر من ذلك يوم القيامة وهو الخلود في نار جهنم لنفاقه وكفره بل هو في الدرك الأسفل من النار.

(٤) والذين يقذفون المحصنات العفيفات بالزنا ثم لم يقيموا البينة على ذلك وهي أربعة شهود يشهدون بمشاهدة وقوع الزنا في وقت واحد وفي مكان واحد فحكمهم إذا نكصوا أو نقصوا أو اختلفوا أن يجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة وأن ترد شهادتهم أبدا وأن يحكم عليهم بالفسق وذلك حفاظا على أعراض المسلمين من الطعن والنيل.

(٥) واستثنى الله تعالى من رد الشهادة والحكم بالفسق التائبين من القذف بتكذيب أنفسهم وندمهم على ذلك والعزم على عدم العود لمثله.

(٦) أما الرجال الذين يقذفون أزواجهم بالزنا وليس لهم شهداء على ذلك إلا شهادة أنفسهم فعلى أحدهم أن يشهد بذلك أربع مرات تقوم مقام الشهداء الأربعة ويحلف بالله في كل مرة أنه من الصادقين.

(٧) ويزيد في يمينه الخامسة الدعاء عليه بلعنة الله إن كان كاذبا فيما رماها به من الزنا.

(٨) ويمنع عن الزوجة حد الزنا أن تشهد بالله تعالى أربع شهادات إن زوجها لكاذب فيما اتهمها به من الزنا.

(٩) وتزيد في اليمين الخامسة أن عليها غضب الله إن كان

٢ في الآية حكم تشريعية كثيرة لكننا نتوقف هنا ناحية تتعلق بعلم النفس وذلك أن مبادئ التعليم الشرطي ربط الناحية المادية بالظاهرة النفسية كي يحصل عند الإنسان إندفاع لناحية أو إنكفاء عن أمر، وهنا نجد أن الأمر الإلهي بإحضار جماعة ليشهدوا إيقاع العقاب على الزاني (الجلد ومن باب أولى الرجم للمحصن)، فيه فائدتان :
 الأولى: تتجلى بالألم النفسي الذي يحصل لمن وقع عليه الجلد وهو أبلغ من الألم المادي مما يقوي عنده الدافع إلى ترك هذه الجريمة مستقبلاً. والثانية: توليد الكف الذاتي عند المشاهدين لهذه العقوبة مما يدعوهم للبعد عن ارتكاب هذا السلوك الشائن ويعرف في المصطلح العلمي المعاصر (الردع العام)، ونشير هنا إلى أنه قام بعض الباحثين بتتبع ما يتعلق بهذه القضية وخلص إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد مثل لعقوبة الجلد من الناحية العلمية لزرع الناس من الوقوع في تلك الفواحش.



﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

عليه من الجزاء.

- (١٨) ويوضح لكم الأحكام لتمثلوا أمره وتجتنبوا نهيه والله عليم بما كان وما يكون حكيم يضع الشيء في موضعه.
- (١٩) إن الذين يرغبون في نشر وإشاعة الأمور المستقبحة الشنيعة من الزنا والقذف به ونحوه ويشيعونها بين الناس رجاء أن تصح أمرا عاديًا غير مستحب ولا مستنكر هم مهتدون بعقاب أليم من الله في الدنيا بالحد والتعزير وفي الآخرة بعذاب مؤلم وفي هذا إشارة إلى شناعة فعل ذلك أي القذف أو الزنا لأن هذا عقاب محب إشاعته فكيف بمن فعله؟.
- (٢٠) ولولا تفضل الله عليكم ورحمته بكم لما بين لكم هذه الأحكام والمواظب ولما أخرج عنكم العذاب ولما عفا عن مذنبكم ولكن لفضله ورحمته بكم فعل ذلك لأنه رؤوف بكم رحيم.
- (٢١) هذا نداء للمؤمنين عامة لتهيئهم عن جميع المعاصي القولية والفعلية والقلبية وذلك بتجنب طرق الشيطان ووسائله المختلفة لأن من اتبع تلك الخطوات سيقع لا محالة في الكبائر والمنكرات ولولا فضل الله بعباده المؤمنين لترك بينهم وبين شهواتهم وما يدعو الشيطان إليه ولكنه رحمة بهم طهرهم من الذنوب بالتوبة وبالإيمان والعقوبة وبفعل الحسنات وقبولها وأبعدهم عن خطوات الشيطان وعن الذنوب بفضله وكرمه فهو خير من يزكي والله واسع الفضل والعطاء عالم بكل شيء.

(١٢) هذا إرشاد من الله لعباده للتصرف الأمثل عند سماع مثل هذا أن يظنوا بإخوانهم وأخواتهم خيرا وينزهوهم عما لا يليق وما يترفعون هم عنه ويتبعوا هذا الظن الحسن بقول حسن وهو قولهم: هذا أفك مبين.

(١٣) هلا أتى القاذفون للأبرياء على دعوهم الكاذبة بأربعة شهداء أما لو لم يأتوا بها حتى ولو كانوا في نفس الأمر صادقين فهم عند الله كاذبون ويجب أن يحكم الناس بكذبهم مهما تظاهروا به من صدق وعدالة لأن الله حرم عليهم الإخبار بذلك ولو شاهدوه ما داموا أقل من أربعة في وقت واحد.

(١٤) ولولا فضل الله ورحمته بكم في الدنيا والآخرة لأنزل عليكم عذابا بسبب ما قلتم وتحذثتم به من اتهام البريئة الطاهرة ولكنه رحمة بكم شرع لكم التوبة والتطهير.

(١٥) إذ يلقى بعضكم على بعض وتتكلمون به وأنتم لا تعلمون حقيقته ولا علم لكم به ومع ذلك تتساهلون في الحديث فيه ظنا منكم أن الأمر هين وهو عند الله قول عظيم لما فيه من التعرض للأعراض الطاهرة.

(١٦) هلا إذ سمعتم مقولة أهل الإفك قلتهم ردا عليهم ما يكون لنا أن نجاريكم فيما تقولون من كذب وتزهون الله قائلين سبحانك هذا بهتان عظيم.

(١٧) يخوفكم الله أن ترجعوا لمثل مقالة أهل الإفك مرة أخرى إن كنتم تؤمنون بما أخبركم به من عظم ذلك وما أوعد

١٥ ﴿ إذ تلقونه بالسنتكم ... ﴾ الآية هنا فيها إشارة إلى قضية عملية تنبئ عن ظاهرة مرضية تعترى النفس الإنسانية فتجعلها تأخذ الكلام وتتجاوز مرحلة استيعابه وتقييمه وقبول النافع وطرح الفاسد، ففي هذه الحالة المرضية ينصب الاهتمام على التلقي والنقل المباشر فكأن الكلام لم يمر على الأسماع البتة.

﴿ وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْغَيْبَاتُ لِلْغَيْبِيِّنَ وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ۞

وهم الزناة ونحوهم ، والطيبات من النساء كعائشة للطيبين من الرجال كرسول الله ﷺ أولئك الطيبون والطيبات مبعدون عن كل ما يقوله المفترون الأفاكون، لهم مغفرة من ربهم ولهم رزق كريم في الدنيا والآخرة.

(٢٧) ينادي الله المؤمنين ناهياً إياهم عن دخول بيوت غير بيوتهم إلا بعد استئذان أهل تلك البيوت والسلام عليهم؛ لأن الاستئذان خير لكم من الدخول فجأة على أهلها لعلكم تتذكرون أوامر الله لتمثلوها.

(٢٨) فإن لم تجدوا في البيوت أحداً فلا تدخلوها حتى يسمح لكم بالدخول، وإن قيل لكم ارجعوا ولم يؤذن لكم فارجعوا فذلك الرجوع أفضل لكم والله بما تعملون من أعمال عليم يجازيكم عليها.

(٢٩) ليس عليكم حرج في دخول بيت لا يسكنه أحد ولكم فيه متاع لكم والله يعلم ما تظهرون وما تخفون (كالمُتاجر والمباني العامة).

(٣٠) وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم من الزنا واللواط والتعري ذلك خير لهم وأزكى والله خير بما يعملون فيجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

(٢٢) ولا يحلف أهل الفضل واليسار من المؤمنين كأبي بكر الصديق أن لا يعطوا أولي القرابة منهم والمساكين عامة والمهاجرين في سبيل الله (كمسطح من أثائه) بسبب أخطائهم وخوضهم في الإفك ونحوه وليقدموا العفو والصفح وجعل العفو عنهم سبباً في عفو الله تعالى ولذا لما نزلت قال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي.

(٢٣) إن من يقذفون العفيفات الغافلات عن الفاحشة المؤمنات بالله جزاؤهم اللعنة من الله في الدنيا بسقوط العدالة عنهم وبما ينالهم من العقوبة العاجلة وبإبعادهم من رحمة الله في الآخرة وبما ينتظرهم من عذاب الله وسوء عقابه.

(٢٤) في يوم القيامة تشهد عليهم ألسنتهم بما قالوا من قذف وأيديهم بما بطشوا بها وأرجلهم بما ذهبوا إليه من معصية الله كل هذه الجوارح تشهد على أصحابها بما فعلت وهي شهادة لا يمكن أن تدفع ولا يمكن لصاحبها أن يكذب.

(٢٥) في ذلك اليوم العظيم يعطيهم الله جزاءهم كاملاً غير منقوص وفيه يعلمون عدل الله وصدقته وأنه هو الحق المبين وذلك حين تعرض عليهم أعمالهم ولا يشهد عليهم غير أنفسهم ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾.

(٢٦) الخبيثات من النساء الزواني ونحوهن للخبيثين من الرجال

٣٠ بما أن الله سبحانه وتعالى علق حرمة النظر على التكرار، فقد ثبت علمياً أن التكرار للنظر بشهوة يولد رغبة جامحة لإشباع الغرائز مما يفرض على مشاكل عديدة كاحتقان البروستات والضعف الجنسي... وغير ذلك لأن حاسة النظر أقوى الحواس من ناحية الاستجابة للإثارة الجنسية واستخدامها بلا نظام يعني تبديدها وإتاعها مما يفقد الإنسان التوازن النفسي، ولعلنا نستطيع التذليل على ذلك بما يورده العلماء في هذا الجانب.



﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُوهِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْتِبَاءِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْوَالِدِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعَفُّفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِنْبَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تَكْرَهُوا فَيْتَنَتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ ۞

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ ورتب على ذلك، الفلاح في الدنيا والآخرة فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والفلاح نيل المطلوب.

(٣٢) وزوجوا من لا زوج لها من النساء الحرائر الأيتام والفقيرات، والأيتام من العبيد والإماء. ووعد تعالى بإغنائهم بفضله من الفقر وفيه حث على التزويج، والله واسع الفضل والنعمة عليم بعباده.

(٣٣) وَلَيْسَتَعَفُّفُ عَنِ الْحَرَامِ - مَنْ لَا يَجِدُونَ قُدْرَةَ مَالِيَّةٍ : لَدَيْهِمْ أَوْ لَدَىٰ أَوْلِيَاءِهِمْ، أَوْ قُدْرَةَ بَدْنِيَّةٍ عَلَى النِّكَاحِ - حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَعِينُوا بِالصَّوْمِ . وَعَدَ الْمُسْتَعْفِفُ بِأَنَّهُ سَيُغْنِيهِ، وَيَسِّرَ لَهُ أَمْرَهُ، وَمَنْ طَلَبَ مِنْكُمْ الْمَكَاتِبَةَ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ فَأَجِيبُوهُ وَجُوبًا أَوْ اسْتِحْبَابًا إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ صَالِحًا فِي الدِّينِ لِأَنَّ فِي الْمَكَاتِبَةِ مَصَالِحَ مِنْهَا تَحْقِيقَ الْحَرَبَةِ الَّتِي يَتَشَوَّفُ الشَّرْعُ إِلَيْهَا، وَفِيهَا الْعَوْضُ الْمَالِي لِلسَّيِّدِ، وَحِرْصًا عَلَيْهَا أَمْرًا بِمَعَاوَنَتِهِمْ مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ نَهَى اللَّهُ عَنِ إِكْرَاهِ الْجَوَارِي عَلَى الزَّوْجِ مَطْلَقًا إِنْ أَرَدَ التَّعَفُّفَ أَمْ لَمْ يَرِدْهُ لِأَنَّ الْخُطَابَ لَا مَفْهُومَ لَهُ لِكَوْنِهِ بَيَانًا لِلْوَقْعِ . كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي يُكْرَهُ أُمَّتِيهِ عَلَى ذَلِكَ . وَفَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَابَ وَعَزَمَ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَ مَرَّةً أُخْرَى .

(٣١) هذا أمر للمؤمنات بغض أبصارهن عن عورات الرجال بعد أمر الرجال به وبحفظ فروجهن من الزنا والتعري أو اللمس، ونهاهن عن إبداء الزينة وبدن المرأة كله من الزينة، وأمرهن بضرب خمرهن وهي ما تغطي به النساء وجوههن من الثياب وتسدله على الجيب وهو فتحة الصدر وذلك لكمال الستر ثم كرر النهي عن إبداء زينتهن، واستثنى من ذلك من يحل لها أن تبدي له زينتها إما بشكل عام كالزوج، أو بشكل خاص محدد كالمحارم وهم الأبناء والآباء ومن ذكروا معهم، والذين يخالطون النساء في البيوت من غير أولي الرغبة في النساء لعدم وجود الشهوة لديهم كالعنين والمجبوب، والأطفال الذين لا يميزون ولا ينتبهون إلى عورات النساء لعدم وجود الشهوة لديهم كل هؤلاء يجوز لهم النظر دون غيرهم وقال تعالى ﴿ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ أي: لا يضربن الأرض بأرجلهن، لتصوت الخلاخل والنعال (الكعاب)، فتعلم زينتها بسبب ذلك فتحصل الفتنة وهو دليل على اعتبار الوسائل وتنزيلها منزلة الغايات إذ الأصل في ضرب الرجل الإباحة لكنه حرم لما يوصل إليه سدا للذريعة وأمر سبحانه بعد هذه التحذيرات بالتوبة فقال: ﴿ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا

فحينما ينظر الإنسان إلى امرأة أجنبية بشهوة ويعيد النظر تتطلق هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم فتؤثر على ضربات القلب وتوسع الأوردة المحيطية وتضييق الشرايين المتوسطة والصغيرة وترفع ضغط الدم، ويحصل تبدل في كيمياء الدم، وبالتالي تحدث أمراض لا تعد ولا تحصى وتكون تلك الهرمونات بمثابة السم، ولذلك يكون من أثر دورة هذا السم توسع فتحات الغدد العرقية في الكعبين وأسفل القدمين والمؤخرة مما يسبب بعض البواسير وحب الشباب وداء الشقيقة أو الصداع النصفي وآلام المفاصل وحدوث جلطة وريدية وتصلب للشرايين بل وتسبب بثقل في اللسان وحصول إمساك للإنسان والذي ينتج عنه عددا كبيرا من الأمراض .

﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣٤) اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بَيْوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

القرآن والذكر والتعليم أول النهار وآخره ورفعها بيناتها وتطهيرها وإقامة الصلاة المكتوبة والنوافل فيها وتعليم القرآن والاعتكاف وتهيتها بما يناسب ذلك من إضاءة وفرش وتهوية وتطيب، واختيار الأئمة والمؤذنين والحراس والعمال وتقديم الخطب والمواظب وإزالة كل مكدور يؤثر على ذلك من الكفار والمجانين والحيوانات ونحو ذلك، وتجنبيها البيع والشراء ورفع الصوت.

(٣٧) رجال المساجد وإن باعوا واشتروا إلا أن ذلك لا يشغلهم عن ذكر الله وإقامة الصلوات المكتوبة في وقتها بشرائطها مع الجماعة والإكثار من النوافل والذكر، وهم من يؤدون زكاة أموالهم فعلم أن لهم أموالاً، وعدم الاشتغال لا يعني ترك التكسب المباح، يخافون يوم القيامة لأنه يوم عظيم تتقلب فيه القلوب والأبصار من شدة الهول والفرع.

(٣٨) ليجزيهم الله على أعمالهم الصالحة أحسن مما عملوا كما يجازيهم على أحسنها وأتمها كما قال تعالى ﴿ وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ بل يزيدهم أفضل من ذلك، والله يرزق من يشاء من عباده بغير حساب فيعطي على القليل كثيراً مما لا يمكن حده ولا عده.

(٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا « برهم وكذبوا رسله » أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقَاعٍ ؛ لا شجر فيه ولا نبات، يتوهمه العطشان من بعيد ماءً، حتى إذا وصل إليه لم يجدْه كذلك فيندم ويزاد عطشه بسبب انقطاع الرجاء، وهو مثل ضربه الله لأعمال الكافر التي يعمل في الدنيا ويظنها أعمالاً نافعة فإذا مات وجدها هباءً منثوراً لعدم قبولها أصلاً لافتقادها شرط القبول.

(٣٤) وكما نبه في أول السورة على أهميتها وعظم منزلتها وما تضمنته من أحكام ذكر به تعالى هنا فقال (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) واضحات الدلالة، وأنزلنا إليكم مثلاً من الأمم السابقة المطيعة والعاصية وما جرى بينها وبين أنبيائها ورسَلها عليهم السلام، وأنزل القرآن موعظة وذكرى للمؤمنين.

(٣٥) الله منور السموات والأرض إذ هو نور وحجابه نور وبه استنار العرش والكرسي، وكتابه نور وشرعه نور يهدي إليه وإلى الإيمان به، وشبه القرآن هنا بالكوة فيها مصباح لأن نور المصباح فيها يجتمع ولا يتفرق، والمصباح في زجاجة كأنها في الإنارة كوكب مضيء يتوقد، وذلك المصباح من شجرة زيتونية لا شرقية ولا غربية لذلك تصيبها الشمس صباحاً ومساءً ولهذا فإن زيتها يكاد يضيء من صفائه ولم تمسه نار، فنورها نور على نور: نور النار ونور الزيت وضيائه، وهذا مثل ضربه الله لحالة المؤمن ونور الله في قلبه ففطرته مثل الزيت الصافي تجعله يقبل الخير، وإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه وزاد لبعده عن المؤثرات والمكدرات فهو يجمع بين نور الفطرة ونور الإيمان، وذلك فضل من الله ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ من خلقه، ﴿ ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ ليعقلوا المسائل ويعوها، والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء.

(٣٦) لما ضرب الله المثل بالمشكاة ذكر مكانها الذي توضع فيه وهو المسجد وهو أفضل مكان في الأرض، وهي البيوت التي يذكر الله تعالى فيها ويعبد فأمر برفعها وإكرامها لأنها مكان ذكر الله وتسيحه بالصلاة وقراءة



﴿ أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظُلْمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عِلْمَ صَلَاتِهِ، وَتَسْبِيحِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

(٤٠) أو كظلمات في بحر عميق فوقه موج من فوق الموج موج آخر ومن فوق الموج سحب مما جعلها ظلمات مترامية بعضها فوق بعض فمن كان فيها وأخرج يده لا يكاد يراها مع قربها منه ، وهو مثل ضربه الله للكافر وظلماته التي يعلو بعضها بعضا من ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة الكفر مما منع من قبول أعماله ، ولهذا لم يجعل الله له نورا ولا ينفعه أي عمل .

(٤١) ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض من هذه المخلوقات ، وكل منها له دعاء وتسبيح وعبادة بحسب حاله اللاتقة به وقد ألهمه الله إياها ، إما بواسطة الرسل ، كالجن والإنس ، والملائكة ، وإما بالهام كالنحل والنمل والجمال كل قد علم الله تسبيحه وإن لم يعلمها الناس أو علموا شيئا منها ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ .

٣٩ ظاهرة السراب تتمثل بنشوء تيارات حمل ناشئة عن انبعاث الحرارة من سطح الأرض المستوية والتي تشكل تموجات ينشأ عنها صور تشابه حالة انعكاس صور الأشياء على سطح الماء . ولكي يحدث السراب فلا بد من شرط وجود الأرض المستوية وهي ما أشارت إليه الآية بكلمة (بقية) ، وشرط حرارة الجو حيث أشارت إليه الآية بلفظ (يحسبه الظمان) ولا يكون الضمأ إلا في الجو الحار ، وشرط وجود الهواء المتحرك وتموجه أشارت إليه الآية بلفظ (ماء) ، وهنا يتراءى للناظر بهذه البقعة تموج طبقات الجو بحيث يتخيل انعكاس صور مما تقع في حسابانه أنه مكان ماء ، وأن عملية التوصيف الفيزيائي لهذه الظاهرة من ثبات المسافة بين عين الناظر والظمان ومكان السراب الثابت حيث تنتقل الصورة التي تتراءى للظمان مع تحركه ، وكلما ظن أنه وصل إلى المكان الذي فيه ماء لم يجد شيئا وهو ما عبره عنه القرآن الكريم (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) .

٤٠ بعد أن ضرب الله تعالى مثلاً لأعمال الكافرين بسراب يكون في قيعه ، ضرب مثلاً آخر في البحار ، وعلى الرغم من أن تفاصيل البحار لم تكن معلومة زمن تنزيل القرآن الكريم ولا بعده بقرون إلا أن القرآن الكريم يشير إلى تلك الظواهر البحرية منذ (١٤) قرناً في دقة متناهية وتصوير رائع مثير تتفاعل مع النفس وكأنها أمام واقع حي نشاهده ، فحين اكتشف علماء البحار وجود الأمواج الداخلية في بدايات القرن العشرين وأنها تكون أقوى وأعتى من الأمواج السطحية وهي مع الأمواج السطحية ومع السحاب تمثل حواجز ثلاثة لأشعة الشمس تسبب الظلمات في البحار العميقة مما يؤدي إلى انعدام الرؤية عند هذا العمق حتى أن الأسماك التي تكون في تلك الأعماق إما أن تكون عمياء ولكن الله زودها بأفواه كبيرة تمكنها من التقاط طعامها ؛ وإما أن تكون مبصرة وقد زودها الله تعالى بمصاييح في أجسادها تعمل بالطاقة الكيميائية داخل جسم السمكة ، وهذه الحواجز المسببة لظلمات البحار العميقة قد أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلْمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي ﴾ أي عميق ، في إشارة إلى أنه لا يمكن أن تحدث هذه الظلمات في البحار السطحية غير العميقة ، ووصف الأمواج الداخلية والسطحية والسحب بقوله تعالى : ﴿ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلْمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِرْهَا ﴾ ، ويقول علماء الفيزياء الضوئية أن (إشعاع الشمس الساقط) الأبيض مكون من ألوان الطيف السبعة ، وهي : (الأحمر والأصفر والبرتقالي والأخضر والنيلي والبنفسجي والأزرق) وأن لكل لون طولاً موجياً محدداً ، وتمتص هذه الألوان تدريجياً عند اختراق سطح الماء ويبدأ امتصاص اللون الأحمر ثم الذي يليه حتى يتلاشى آخر الألوان في الماء وهو الأزرق عند عمق (٢٠٠) متر ، وهو ما يجعلنا نرى البحر باللون الأزرق ، وكما أن تلاشي هذه الألوان من الناحية الفيزيائية يسبب الظلمات في الأعماق فإن اللفظة القرآنية (كظلمات) تغطي هذا الوصف إذ أن لفظة ظلمات جمع قلة والذي يبدأ من ثلاث إلى عشرة ، فكما أن لفظة (ظلمات) تغطي وصف الحواجز الثلاثة ، فهي كذلك تغطي وصف الألوان السبعة ، كما أنها تغطي الوصفين معا وهي الحواجز الثلاثة علاوة على الألوان السبعة والتي بمجموعها تكون عشرة وهي داخلة في جمع القلة . فمن أين للنبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم والذي لم يركب البحر ولمורה واحدة هذه الأسرار العلمية الدقيقة ، إنها لمعجزة شاهدة على صدقه صلى الله عليه وسلم وشاهدة على عظيم كلام الله الخالق .

﴿ وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ .

من كل زوج كريم. وتارة ينزل الله من ذلك السحاب، بردا يتلف ما يصيبه. بحسب حكمه القديري، وحكمته العادلة. يكاد ضوء هذا البرق من شدته يذهب بالابصار وهذا كله دليل على كمال قدرة الله وعظيم صنعه.

(٤٤) « يُقَلِّبُهَا بِإِدْخَالِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ وَمَا يَعْتَرِيهِمَا مِنْ حَرٍّ وَبَرَدٍ وَضِيَاءٍ وَظَلَامٍ إِنْ فِي ذَلِكَ التَّقْلِيلِ آيَاتٌ وَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْعُقُولِ وَالْبَصَائِرِ لِيَعْتَبِرُوا وَيَتَعَفَّوْا .

(٤٢) والله وحده ملك السموات والأرض وإليه مصير الأشياء ومرجعها وحده ليجازي بها.

(٤٣) ألم تشاهد عظيم قدرة الله، وكيف يسوق قطعا متفرقة من السحاب ثم يؤلف بينها، فيجعلها سحابة مترامكا، مثل الجبال. فتري الواابل يخرج من خلال السحابة، قطرا متفرقا، ليحصل بها الانتفاع، من دون ضرر، فتمتلى بذلك الغدران، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض

٤٢ يقول علماء الأرصاد الجوية أن أنواع السحاب أكثر من واحد وعشرين نوعاً وأن الممطر منها ثلاثة أنواع فقط، وهي السحاب الركامي والسحاب الطبقي والسحاب المعصر . وهذه الآية تتحدث عن النوع الأول من هذه الأنواع. ويقول علماء الأرصاد الجوية إن أول مراحل تكون السحاب الركامي (وهو الذي يشبه في هيئته الجبال) يمر بعدة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: تهب الرياح فتسوق قزعات السحال المتفرقة إلى خط يسمى خط التجمع وهو يمثل قاعدة السحابة وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى : (ألم تر أن الله يزجي سحابا) ومن مرحلة تجميعه في خط التجمع إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة التآليف بين تلك الكتل من السحب، وهي ما عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثم يؤلف بينه) يأخذ زمنا طويلا كما يقول علماء الأرصاد، ولذا نجد أن القرآن الكريم عبر عنه بحرف العطف (ثم) والذي يدل على الترتيب مع التراخي، كما أن مرحلة تآليف تلك الكتل من السحب إلى المرحلة الثالثة وهي مرحلة الركم بعضه فوق بعض يأخذ زمنا طويلا أيضا نجد أن وصف هذه المرحلة الزمنية لم يغلها القرآن الكريم بل عبر عنها بحرف العطف (ثم) والذي يفيد الترتيب مع التراخي ، وفي المرحلة الرابعة يتم عملية النمو الرأسي بسلك يتراوح من (١٥-٢٠) كم، وعند توقف ذلك النمو ينزل المطر فوراً من مناطق الخلل والضعف في جسم السحابة وليس من كل جسم السحابة ، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ فتري الودق يخرج من خلاله ﴾ ، ونلاحظ هنا استعمال حرف عطف آخر وهو حرف الفاء الدال على الترتيب بدون تراخ ليصف تلك المرحلة القصيرة بين اكتمال عملية الركم وبين نزول المطر ، كما أن قوله تعالى : (من خلاله) وصف لمناطق الضعف والخلل التي ينزل منه المطر وليس من كل جسم السحاب ، ولذا نرى في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك ﴿ فتري الودق يخرج من خلاله ﴾ وفي هذا النوع من السحاب والذي يكون مصحوبا بالبرق والصواعق والبرد، يشير القرآن الكريم إلى ظاهرة كانت زمن التنزيل مصدرا للخرافة وهي ظاهرة البرق، وسبب تكونه وهو البرد بقوله تعالى : ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ وهو ما وصل إليه علماء الأرصاد أخيراً من أن البرد يتكون في أعلى قمم السحاب الركامي، وعند ثقله في منطقة فوق مبرد يهوي داخل جسم السحاب وقبل مغادرته لجسم السحابة يهب تيار هواء صاعد فيرجعه إلى أعلى قمة السحاب ويستمر هذا النزول وصرفه إلى أعلى عدة مرات حتى يأذن الله بنزوله في المكان المناسب وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ﴾ ، وبسبب هبوط كميات البرد وعودتها تتكون شحنات كهربية داخل جسم السحاب ، وفي الوقت نفسه يقوم البرد بالتوصيل بين تلك الشحنات فينتج عنه حدوث ولمعان البرق، ولذا نجد القرآن الكريم يؤكد على أن سبب البرق ولمعانه هو البرد بقوله تعالى: ﴿ يكاد سنا بركه ﴾ أي برق البرد، فالضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو البرد ، ولم يكتف القرآن الكريم بوصف ظاهرة هذا النوع من السحاب بل وصف الحالة النفسية لمن يكون تحت تأثيره بقوله تعالى : ﴿ يكاد سنا بركه يذهب بالابصار ﴾ ، فمن أين للنبي الأمي هذه الأسرار العلمية الدقيقة . قال تعالى : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما ﴾ .

٤٤ سبق الإشارة في قوله تعالى : ﴿ يغشي الليل النهار ... ﴾ .



﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرْتَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلٌ لَا نَفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ۞

في الحب والكره مطيعا لحكم الله وشرعه واستوى عنده الحكم له أو عليه.

(٥٠) أفى قلوب هؤلاء مرض، فيقبلون الحكم حين يكون لهم ويعرضون حين يكون عليهم، أم هو بسبب الشك والريب في إيمانهم بهذا الدين، أم هو خوف من الجور والظلم في حكم الله ورسوله المنزه عن ذلك، والحقيقة إنه الأول الذي هو النفاق ولذا وصفوا بالظلم.

(٥١) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الْعَامِلِينَ إِذَا دُعُوا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عِنْدَ التَّخَاصُمِ سَوَاءً وَافِقًا أَوْ هَوَاءَهُمْ، أَوْ خَالَفَهَا أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاجْتَبَا حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الْفَائِزُونَ وَالنَّاجُونَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

(٥٢) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ وَخَافَ مِنَ اللَّهِ وَاتَّقَاهُ فَأُولَئِكَ الْفَائِزُونَ بِالنَّجَاتِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٥٣) وَالْمُنَافِقُونَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ غَايَةَ جَهْدِهِمْ أَنَّهُمْ سَيُطِيعُونَ النَّبِيَّ ﷺ إِنْ أَمَرَهُمْ بِالْخُرُوجِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ: لَا تَقْسَمُوا بِاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ فَطَاعَتُكُمْ طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ عَلَامَتُهَا التَّكَاسُلُ وَالتَّسْتِرُّ بِالْأَعْدَارِ الْكَاذِبَةِ وَأَيْمَانُكُمْ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِأَعْمَالِكُمُ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٤٥) والله خلق كل دابة تدب على الأرض من ماء وجعلها أنواعا فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات، ومنهم يمشي على رجلين كالإنسان، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام، وأشار إلى أن التمثيل هنا ليس للحصر لأن الله يخلق ما يشاء وهو سبحانه على كل شيء قدير فقد يوجد ما يمشي على أكثر أو أقل من ذلك.

(٤٦) لقد أنزلنا إليكم آيات واضحات من إيمان وعبادات وآداب وأخلاق ليعمل بها من هدى والله يهدي إلى طريق الهداية الواضح وهو الصراط المستقيم.

(٤٧) ويقول المنافقون المكذبون آمنا بالله وبالرسول بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ويقولون أطعنا الله ورسوله ثم يرجع فريق منهم على عقبيه كما فعلوا يوم أحد، وما هذا حال المؤمنين حقا إنما هذا صنيع المنافقين.

(٤٨) وإذا طلبوا للتخاصم إلى شرع الله ورسوله ليحكم بينهم بقضاء الله وأمره إذا فريق منهم رافضون يريدون حكم الجاهلية من قوانين أرضية وأعراف بشرية وذلك حين يعلمون أن الحكم عليهم بسبب ظلمهم وما أولئك بالمؤمنين.

(٤٩) وإن يكن حكم الشرع لهم بما علموا من إصابتهم للحق يأتوا إليه خاضعين مستسلمين وليس الطاعة إلا لمن يكون

٤٥ من الحقائق العلمية في الآية :- من تحاليل الكائنات الحية المختلفة اتضح أن الماء يكون (٧٥ ٪ تقريبا) من وزنها، فهو لذلك عنصر أساس في الكائن الحي، إذ لا بد من وجوده ليحيا الكائن، فهو يكون أكثر من ثلاثة أرباعه. ويقرر العلم الحديث أن جميع المواد الغذائية اللازمة للأحياء على اختلاف أنواعها ناتجة أصلا من النبات، وهذه المواد الغذائية تكونت في النبات من اتحاد كيميائي حيوي بين الماء و ثاني أكسيد الكربون، والماء يتكون من ذرتي هيدروجين وذرة أكسجين، وثاني أكسيد الكربون يتكون من ذرة كربون وذرتين أكسجين، وقد دلت آخر الأبحاث التي تمت بالا ستعانة بالعناصر المشعة أن الأوكسجين الذي يدخل في تكوين اللبنة الأولى من المواد الغذائية، وما يترتب عليها من المواد الأخرى التي يتغذى عليها الكائن الحي مصدره الماء وحده.. رغم أن الأوكسجين الموجود في ثاني أكسيد الكربون ضعف الموجود في الماء.

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذَّ بِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنَكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا اسْتَعِذَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ۞

- (٥٤) قل - أيها الرسول - أطيعوا الله ورسوله فإن أبوا وتولوا فإنما عليك ما كلفت به من حمل الرسالة وتبليغها إليهم وبيانها، وعليهم أن يطيعوك فيما أمرت به ونهيت عنه وإن فعلوا ذلك هدوا إلى صراط الله المستقيم وما عليك سوى تبليغهم البلاغ المبين.
- (٥٥) وعد الله من أخلصوا في إيمانهم له وعملوا الأعمال الصالحة أن يجعلهم خلفاء الأرض ويمكن لهم فيها كما جعل من سبقوهم من الأمم خلفاء، وليظهن لهم دينهم الذي هو الإسلام على الأديان الأخرى ليحكم في الأرض وتسود شعائره وشرائعه العادلة بين الناس، وليبدلنهم من حال الخوف إلى حال الأمن، ومن كفر بعد ذلك التمكين والعزة في الأرض فأولئك هم الخارجون عن الطاعة.
- (٥٦) يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها، وشروطها، وآدابها، ظاهرا وباطنا. وبإيتاء زكاة الأموال، إلى مستحقيها وبطاعة الرسول فيما أمر به ونهى عنه رجاء أن يرحمهم الله حين يقومون بذلك.
- (٥٧) لا تحسبن الذين كفروا معجزين لله في الأرض بل الله قادر عليهم وسيعاقبهم ولن يفلتوا منه ونهايتهم النار ولبس الملأ الأليم.
- (٥٨) هذا نداء من الله للمؤمنين ليلزموا مواليهم وأبناءهم ممن لم يبلغوا الحلم بالاستئذان قبل الدخول في أوقات ثلاثة هي: (عند انتباههم قبل صلاة الفجر، وفي وقت الظهيرة وشدة الحر، ووقت نومهم بالليل بعد صلاة العشاء) لأنها أوقات يمكن أن ترى فيها العورات لتتهيأ الناس للراحة فيها، ونفى عنهم الحرج في ترك الاستئذان في غيرها من الأوقات لأن هؤلاء يترددون عليكم كذلك يبين الله آياته في الاستئذان والله عليم بأحوالكم وظروفكم حكيم يضع الشيء في موضعه.
- (٥٩) يأمر الله الآباء والأولياء أن يؤدبوا من تحت ولايتهم، وأن الأطفال إذا بلغوا الحلم أمروا بالاستئذان قبل الدخول في سائر الأوقات. كمن يدخل بيتا غير بيته، والله عليم بما يصلح أحوالكم حكيم يضع الشيء في موضعه.
- (٦٠) واللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة ممن لا يطمعن في النكاح، ولا يطمع فيهن، وذلك، لكونهن عجائز ليس عليهن إثم « أن يضعن ثيابهن الظاهرة، كالخمار ونحوه كاليدن والقدمين بشرط أمن البعد عن التبرج بالزينة، ومع الجواز يبقى الاستعفاف وترك ذلك أفضل لهن » والله سميع « لجميع الأصوات بما فيها ضرب الأرجل لتعلم الزينة عليم بالنيات والمقاصد.



﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالَكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَدَّاءَ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ۞

تقدير العذر في حال الإذن يستغفر للمستأذن حتى لا يكون العذر غير كاف والله غفور سائر رحيم بعباده.

﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ (٦٣) في سرعة الاستجابة له ولو كان المدعو في الصلاة، ولا من حيث المناذاة بالاسم المجرد فلا ينادى إلا برسول الله ونبي الله. ونبيهم إلى أن الله يعلم المتسللين منهم في خفية لبعض شأنهم حتى لا يرون مقدمين له على الأمر العام المتعلق بمصالح الأمة كالجهاد وأنه مجازيهم على ذلك بما قد يصيبهم من فتنة في الدين أو عذاب يوم القيامة.

﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ملكا، يتصرف فيهم بحكمه القدري، وحكمه الشرعي ويعلم ما أنتم عليه من خير وشر، وإيمان ونفاق، ويوم القيامة يخبرهم بما عملوا في الدنيا والله بكل شيء من أعمالهم الظاهرة والباطنة عليم.

(٦١) ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة على القادرين من غيرهم لعجزهم وذلك كالجهاد، وليس عليكم حرج أن تأكلوا في بيوتكم وما ذكر من بيوت الأقارب، أو ما ملكتم مفاتيحه بالولاية والوكالة ونحوها وبيوت الأصدقاء مما جرى به العرف والعادة من الأكل عندهم. « فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا » أي كانت فمن السنة أن تسلموا على من فيها ولو كانت بيوتكم أو كانت مهجورة لا أحد فيها، تحية مباركة طيبة من عند أنفسكم هي (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ثم قال: ﴿ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ عنه أو امره ونواهيته فترشدون.

(٦٢) إنما المؤمنون بالله ورسوله حقا من إذا كانوا معه على أمر مهم كالجهاد والمشورة لا يذهبون عنه لأي شأن من شؤونهم إلا بإذن منه وجعل الاستئذان علامة على الإيمان، ونبه على الإذن لمن يشاء منهم في حال استئذانهم لقضاء بعض حاجاتهم وقبول عذره في الخروج ومع

سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا اسْطِطِيرُ الْأَوْلِيَاءِ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْنَا كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ۞

- (١) تعاضم وكمل خير من أنزل الكتاب العظيم على محمد بن عبد الله الذي أتم العبودية لله حتى يكون ذلك الإنزال للعالمين نذارة وتخويفا من الله.
- (٢) الذي له ملك السموات والأرض ، وليس له ولد ولا شريك في ملكه وخلق كل شيء كبير أو صغر وهدهد وأرشده.
- (٣) وجعلوه له شركاء يعبدونهم من دونه، وهم مع ذلك مخلوقون عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم أو رفع الضرر عنها بما في ذلك الحياة والموت والنشور ومن هذا حاله لا يصلح أن يكون إلها.
- (٤) وقال الكافرون بالله وبرسوله وبالقرآن: إن القرآن كذب أفتراه النبي ﷺ - حاشاه - وعاونه عليه مجموعة أخرى، وهم بهذا يقولون قولا عظيما.
- (٥) وزعموا أن القرآن مجرد حكايات يقولها السابقون اكتبها محمد ﷺ فهي تملئ عليه أول النهار وآخره وليست وحيا من عند الله.
- (٦) قل لهم - أيها الرسول - إن القرآن أنزله الله عليك وهو يعلم السر وأخفى ولذا لا يمكن أن يكذب عليه أحد وهو ينصره ويحفظه ،إنه كان غفورا للتائبين رحيمًا بهم.
- (٧) وقال المشركون اعتراضا وتهكما لما ذا محمد يأكل الطعام
- (٨) أو يلقى إليه كنز من السماء يغميه عن البيع والشراء في الأسواق ،ولكان يملك بستانا عظيما فيه نخيل وفواكه وزروع، ومن شنيع أقوالهم كذلك قولهم إنه مجرد رجل مسحور.
- (٩) انظر لترى تعارضهم وتناقضهم وبعدهم عن الحق والعقل فيما يضربون لك من الأمثال مما جعلهم في ضلال بعيدين لا يستطيعون الوصول إلى الحق.
- (١٠) تنزه الله الذي إن شاء جعل لك - أيها الرسول - خيرا مما ذكروا في الدنيا والآخرة وجعل لك جنات تجري من تحتها الأنهار وجعل لك قصورا مشيدة في الدنيا ولكن الله اختار لنبيه ما هو أفضل من ذلك في الآخرة.
- (١١) ليست تلك المطالب بحثا عن الدليل والحجة وإنما هي على سبيل العناد لذلك كذبوا بالساعة وقد أعد الله لمن كذب بيوم القيامة عذابا مؤلما.
- (١٢) النار مهينة لأصحابها تنتظرهم فإذا كانوا منها بحيث تراهم سمعوا صوتا شديدا كأنها غضبي متغيظة من شدة توقدها فيجمع بين النار الحسية والعذاب المعنوي عياذا بالله.



﴿ وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقْرَبَيْنِ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَدْرَأَيْكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا نَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَتِيكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَتِيكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٣﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٤﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٥﴾ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ وَيُرَى الْمَلَتِيكَةُ نَزِيلًا ﴿٢٦﴾ ۞

تركا ولا ناصر لكم، وأما المستكبر المعاند الذي ظهر له الحق ورده ظلما فذلك نذيقه عذابا مؤلما.

(٢٠) وما أرسلنا قبلك - أيها الرسول - من المرسلين إلا بشرا مثلك يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وذلك لحكمة: لتصبروا وفتنوا جزاء ذلك وقد فعل رسل الله ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهُمْ وليختبر المتبعين الذين يعجبون بالأغنياء ويحتقرون الفقراء وكان الله بصيرا بعواقب الأمور عالما بها ليجازي المحسنين ويعاقب المسيئين.

(٢١) وقال الذين لا يؤمنون باليوم الآخر: هلا أنزل الله علينا الملائكة أو نرى ربنا فيكلمنا ويقول لنا هذا رسولي تطاولا بسبب التكبر والتصلب ضد الحق.

(٢٢) يوم يرى المكذبون بالبعث الملائكة عند الموت أو يوم القيامة وهم يسوقونهم إلى النار يندمون ويشاهدون الحق.

(٢٣) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فِي الدُّنْيَا يظنون أنه أعمال صالحة فجعلها الله كالهباء المنثور في الهواء وذلك لأنها لم تبين على إيمان صحيح وشرط قبول العمل الصالح الإيمان الصحيح.

(٢٤) أهل الجنة في ذلك اليوم الذي يعذب فيه أهل النار حالهم مختلف فمستقرهم الجنة يتعمون فيها، ومقيلهم مقيل حسن.

(٢٥) يومئذ يوم عظيم تشقق فيه السماء بالغمام وتغير الأحوال وتنزل الملائكة محيطة بالخلائق مكونة صفوفًا بعضها وراء بعض.

(١٣) وإذا طرح أهل النار فيها كان مكانهم فيها ضيقا ووضعوا فيه مقرنين في القيود، وهم ينادون ندما بالويل والثبور على أنفسهم من شدة ما هم فيه من العذاب ولا ينفع عند ذلك الندم.

(١٤) وتجيئهم ملائكة النار بعد زمن طويل بهذا الجواب (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) فلن ينفعكم أي من ذلك.

(١٥) قل لهم - أيها الرسول - أهذا الذي وصف لكم من عذابهم خير أم تؤمنون بالله فيجازيكم بجنة الخلد التي أعدها لعباده المتقين لتكون لكم مقرا ومصيرا.

(١٦) لأصحاب الجنة ما يريدون من نعيم أعلاه النظر إلى وجه الله تعالى وهم مع ذلك خالدون فيها أبدا.

(١٧) ويوم يحشر الله أهل النار مع معبوداتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فيقول لهم مبكتا: أنتم أضللتم عبادي هؤلاء عن الهدى بعد إذ جاءهم بدعوتهم وتزيين الضلال لهم؟ أم هم ضلوا السبيل؟

(١٨) قالوا منزهاً الله تعالى عن ذلك: ما كان يجدر بنا أن نتخذ معبودات من دونك وأنت المستحق للعبادة، ولكنك يا ربنا متعتهم وآباءهم الكافرين بالدنيا فشغلتهم عن عبادتك مما تسبب في هلاكهم وبعدهم عن الحق، وهو عذر غير صادق ولا مقبول.

(١٩) فرد الله عليهم بقوله (فقد كذبوكم أيها العابدون) بزعمهم النفع والضر فأنتم اليوم لا تستطيعون فعلا ولا

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
 مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا بُولَقَى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
 لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ
 الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ
 فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى
 جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُكْرٌ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾
 فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ
 لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ۞

- (٢٦) ويقول الله « الملك يوم القيامة » الحق للرحمن وكان يومًا على الكفار عسيرا.
- (٢٧) وفي ذلك اليوم يعضُّ الظالمُ أصابعه بيديه ندما قاتلا يا ليتني آمنت برسول الله واتبعت طريق الإيمان ولم أكذب وهو ندم لا يزيده إلا حسرة وعذابا.
- (٢٨) يا ويلتي وياحسرتي ويليتني لم أتخذ من أضلني من أصدقاء الجن والإنس صاحبًا مصافيا وعاديت من كان يجب أن أتخذه خليلا.
- (٢٩) لقد أضلني هذا الصاحب الشقي عن القرآن والهدى بعد إذ جاءني وكان الشيطان الذي أضله عدوا للإنسان داعيا له إلى الخذلان واتباع سبيل الشر وهذا يرجح أن خليله الذي أضله الشيطان وكل صديق ضل صاحبه يدخل في هذا.
- (٣٠) « وقال الرسول » مناديا لربه، وشاكيًا له إعراض قومه إن قومي أعرضوا عن كتابك الذي أرسلت به وتركوه وراءهم ظهريا.
- (٣١) وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ ممن قبلك أعداء من عتاة المذنبين ، ومع ذلك فلا تلتفت إليهم ولا تحزن لفعالهم فسيفيكفهم الله وهو لك ولن تبعد ولدنك هاد إلى الحق ناصر على الظالمين، فلا تحزن عليهم.
- (٣٢) وقال الذين كفروا مقترحين على الله لسوء أدبهم لولا نزل القرآن على النبي ﷺ مرة واحدة فرد الله عليهم قولهم مينا سبب تنزيل القرآن مفرقا وهو أنه من أجل تثبيت قلب النبي ﷺ ولحفظه وتجويده وفهمه والعمل به لكل ذلك نزل بهذا الشكل المتمهل المتدرج لأهميته وللعناية به.
- (٣٣) ولقد أضلنا قوما بعد ما آتيناهم الكتاب وحملنا معهم أخاه هارون وزيرا وأحسن مقيلا.
- (٣٤) الذين كفروا يحشرون في أبشع صورة وهي أنهم تجرهم ملائكة العذاب على وجوههم إلى جهنم وأولئك أسوء مكانا ممن آمن بالله وصدق رسله إذ هم خير مستقرا وأحسن مقيلا.
- (٣٥) ولقد أعطى الله موسى التوراة وارسل معه أخاه هارون وزيرا يعضده ويقويه وقص علي المشركين سنن السابقين تذكيرا وتنبها وتخويفا.
- (٣٦) فأمر الله موسى وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون وقومه الأقباط الذين كذبوا رسل الله وأيدهما بمعجزات ظاهرة فلم يسلموا فحل بهم العذاب والدمار حيث أغرقهم الله في البحر.
- (٣٧) يكثر إطلاق تكذيب الرسل على كل أمة كذبت رسولها لأن من كذب رسولا واحدا كمن كذب الرسل جميعا لأن رسالاتهم واحدة والإيمان بهم جميعا واجب فقال هنا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقهم الله جميعا بالطوفان ولم ينج إلا من ركب مع نوح عليه السلام وجعلهم بذلك عبرة وعظة وتذكرة للناس إلى يوم القيامة.
- (٣٨) وقوم عاد وثمود وأصحاب الرس كلهم كذبوا الرسل وكذلك أمم أخرى أرسل الله إليها رسلا في قرون كثيرة بين هذه الأمم وكلها كذبت فحاق عليها العذاب بسبب ذلك.



﴿ وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

(٣٩) وكلا من هذه الأمم ضربنا لها الأمثال بما جرى من هلاك الأمم قبلها، ولكن ذلك لم ينفعهم حتى عمهم الهلاك والتبار جميعا.

(٤٠) ولقد أتوا على قرية قوم لوط التي أمطرت بالحجارة وجعل الله عاليها سافلها واسمها (سدوم) حتى اختفت من الوجود فلم تعد ترى، وذلك بسبب كفرهم وإنكارهم للبعث بعد الموت وصددهم عن دين الله وفعلهم تلك الفاحشة التي لم تعرفها البشرية قبلهم.

(٤١) وإذا رأى الكافرون النبي ﷺ جعلوا يسخرون منه ويستهزؤون ويقولون أهذا الذي يزعم أن الله بعثه رسولا إلينا لأنهم بمقاييسهم الهابطة يقولون لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم جاهلين أن الفضل لله يضعه حيث يشاء وهم في هذا يجعلون مقياسهم واحدا هو الدنيا وليس العقل ولا النسب ولا الشجاعة ولا الكرم.

(٤٢) إن كاد ليصدنا ويشينا عن معبوداتنا إلا أنهم صبروا على عبادة تلك الأصنام من دون الله فقال الله ردا عليهم ومتوعدا إياهم على ذلك الموقف وسوف يعلمون عاقبة ذلك وجزاءه حين يرون العذاب هل هم على الحق أم النبي ﷺ.

(٤٣) أرايت من جعل معبوده من دون الله ما يهواه أفأنت تكون عليه وكيفا حتى تهديه وهو لا يريد ذلك وهو استفهام إنكاري لقطع أمل النبي ﷺ من هدايتهم حتى لا تذهب نفسه الرحمة عليهم حسرات.

(٤٤) لا تحسب أن أكثرهم يسمعون سماع تعقل وتفهم إذ هم كالأنعام في عدم السماع والتفهم بل أبعد ضلالا من الأنعام لأنها يرشدها الراعي فتستجيب ولأنها لم تعط العقول أصلا ولم تكلف بالخطاب.

(٤٥) ثم، ألم تر كيف يمد الله الظل بعد أن لم يكن موجودا ولوشاء لأبقاه ساكنا، وكيف جعل الشمس علامة عليه ولذا فإنه يخفي مع عدم وجود الضوء.

٤٥ مما امتن الله علينا وجود حركة الظل المستمرة، ولو شاء الله لجعله ظلًا ممدوداً أبداً أو رفعه فلا ظل أبداً، في حين أننا نرى صوراً لا امتداد للظل دائماً وثابتاً كما يقرره علماء الفلك أن الكرة الأرضية ظلًا ممدوداً في الفضاء، وأن ظل الأرض يمتد خارجاً منها على شكل مخروط، فإذا كان طول مخروط ظل الأرض عبارة عن قيمة ثابتة تقدر بحوالي مائتين وواحدة وعشرين مرة قطر الكرة الأرضية، فهذا يعني أن الظل الممدود للأرض لا يمتد ولا ينقبض فهو ثابت الطول بالرغم من وجود الشمس مسلطة على الجانب الآخر من الكرة الأرضية وهو ما ينطبق مع ما جاء في بعض التفاسير من وصف للظل الساكن بأنه ثابت لا يمتد ولا ينقبض.

وفي حال رفعه أبداً فإن صورته تتحقق في المنطقة المدارية (الواقعة بين مدار السرطان ومدار الجدي) حيث إن حركة الشمس الظاهرية في هذه المنطقة فقط على هيئة قوس يتعامد تماماً على خطوط العرض الواقعة في هذه المنطقة فتجد أنه في وقت الظهيرة تماماً لا يوجد أي ظل للأجسام أو الأشياء، وهو يحدث مرتين في العام عند كل خط عرض من خطوط العرض التي تقع في المنطقة المدارية، وهذا يعني أن الظل الساكن حقيقة موجودة، وقد من الله علينا بأنه يمد الظل وينقبضه، ولم يجعله ساكناً إلا في حالات محددة أشرنا إليها رحمة بعباده وحكمة من حكمه.

﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْسَاءً كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

- (٤٦) ثم رفعا الظل رفعا يسيرا كلما ارتفعت الشمس نقص الظل حتى يذهب نهائيا وفي كل ذلك دليل على كمال قدرة الله تعالى.
- (٤٧) وهو الذي جعل لعباده الليل ساترا كاللباس وهذه النعمة يفرط فيها كثير من الناس اليوم بسبب وجود الإضاءة فيجعلون الليل نهارا والنهار ليلا وهذا يمكن أن يسبب أضرارا كثيرة صحية ونفسية واقتصادية واجتماعية.
- (٤٨) والله الذي ساق الرياح بشاره بما يتبعها من مطر يكون فيه المطر رحمة فيسقي الناس وتنبت الأرض ويكثر الرزق ويعم الخير.
- (٤٩) ليحيي الله بالمطر البلدة الميتة الجرداء، ويسقيه مما خلق من الأنعام: الإبل والبقر والغنم والناس الكثير.
- (٥٠) وقد وزع الله المطر بين عباده على أرضه حتى ورد في الأثر (ما من عام أمطر من عام) وذلك ليتذكروا قدرة الله ويؤمنوا بإحياء الأموات بعد موتهم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بما رأوا من الآيات والبينات.
- (٥١) ولو أراد الله لبعث في كل قرية رسولا ينذرها ويبشرها لكن حكمته اقتضت أن لا يفعل ذلك بل إنه ختم الرسالات بنبي الأمة رسولا للعالمين نذيرا وبشيرا.
- (٥٢) فلا تطع الكافرين في ترك شيء مما أرسلت به.

٤٧ اللباس هو الغطاء الذي يستتر معظم الجسد، ويحميه من كثير من الأضرار، وهذا ينطبق على الليل، لأن الليل يحيط بالأرض من جميع جوانبها باستثناء طبقة رقيقة جدا هي طبقة النهار، والتي لا يتجاوز سمكها واحد بالمئة من قطر الأرض. كذلك في تعريف اللباس أنه يقي الإنسان من الأذى، وبالفعل الليل يقي الناس من الرياح الشمسية القاتلة، فلو كانت الأرض معرضة بشكل دائم للشمس من الجهة ذاتها، فإن الرياح الشمسية ومع مرور ملايين السنين ستخرق الغلاف الجوي وتقتل الحياة على ظهر الأرض، ولكن من رحمة الله بنا أنه جعل تعاقب الليل والنهار. من فوائد اللباس أيضاً أنه يقي الإنسان من الحر والبرد، ووجود الليل على الأرض يؤدي إلى اعتدال درجات الحرارة.

٤٨ سبق الكلام عن الرياح والمطر في سورة الرعد والنور.

٥٠ يستفاد من هذه الآية الكريمة أن الكم الكبير من الماء المتوفر على سطح الأرض معياري المقدار (أي أنه يوجد تناسب بين حجمه وحاجة البشر) وهذا الكم يطرأ عليه تغير من بقعة إلى أخرى بحيث يهطل مقدار فائض في بعض الأعوام ضمن منطقة ما ويقل في أعوام أخرى، ولكنه في الوقت نفسه يكون زائداً على حاجة منطقة أخرى بمقدار ما طرأ من نقص عن المنطقة السابقة؛ وبذلك يبقى ما يصل إلى الأرض من هطول ثابتاً وبدقة ولا يتغير وسطياً من عام إلى آخر وهو ما يعبر عنه علمياً بالتوازن الرطوبي والتهاطلي لذلك فهو المتطابق مع ما جاء في حديث رسول الله ﷺ بقوله: « ما من عام بمطر من عام » حيث يتوزع الهطول على سطح الأرض وفق حكمة رب العزة بشكل يحقق التوازن النطاقي والإقليمي، كما يحافظ على التوازن الرطوبي، لتتحقق بذلك مختلف أشكال التوازن المادي الأرضي، كما قال تعالى: ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾. ونرى مصداق هذه المعيارية والمقدارية لدى وقوفنا أمام ظاهرة الرطوبة على سطح الأرض والتي تتكون من مجموعة عناصر الكسب الرطوبي ومجموعة عناصر الخسارة الرطوبية؛ وذلك لأن عناصر الكسب الرطوبي تتجلى في الهطول السنوية فوق المحيطات وما يرد إليها من مياه نهريّة، وأما الخسارة الرطوبية فهي عبارة عن كمية المياه المتبخرة سنوياً من المحيطات، ولدى رصد العلماء المتخصصين لهذا الجانب تبين لهم أن كمية الماء المتبخر سنوياً من المحيطات تعادل مقدار الهطول فوقها مضافاً إليها ما يصب فيها من مياه الأمطار.



﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ إِلَّا مِن شَاءِ أَن يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَةً سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾

المطيعين بالجنة ونذير الكافرين والجاحدين بالنار يوم القيامة.

(٥٧) قل لهم يا محمد لا أسألكم على إبلاغ الدين والبشارة به والنذارة مالا حتى لا يكون ذلك عائقا أمام دخولكم في الدين، إلا من شاء أن ينفق في سبيل الله نفقة خاصة يرجو ثوابها عند ربه فذلك تطوع لا يجبر أحد عليه وليس هو في مقابل إرشاد أو تعليم.

(٥٨) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَأَعْبُدْهُ، واشكره وتوكل عليه في الأمور المتعلقة بك، والمتعلقة بالخلق وكفى به عالما بذنوب عباده فيجازي كلا بحسب عمله.

(٥٩) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْرَامٍ وَمَجْرَاتٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ سَقَفُ الْمَخْلُوقَاتِ، وأعلاها، وأوسعها المحيط بها (وسع كرسية السموات والأرض) فمن هذا صفتة أسأل به خبيراً وهو الله نفسه العالم بكل شيء.

(٥٣) والله هو من خلط البحرين البحر العذب الصافي، والبحر المالح الأجاج وجعل فيهما منافع الناس على اختلافهما، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا يَمْنَعُ اخْتِلَاطَ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ، وحائطا حصينا ليقى كل واحد محتفظا بخصائصه المائية والحيوانية وغيرها.

(٥٤) الله وحده هو الذي خلق الآدمي من ابن آدم من ماء عبر مراحل محددة حتى أصبح بشرا سويا وخلق منه ذريته التي قد تزداد حتى تصبح خلقا كثيرا، وجعلهم أنسابا وأصهارا، متفرقين ألا يدل ذلك الانتشار الكبير من تلك القطرة المائية على قدرته تعالى.

(٥٥) ويعبد هؤلاء المخلوقون أصناما لا تنفعهم ولا تضرهم ويجعلونها أندادا لله الخالق النافع الضار وكان الكافر بالله مناصرا لهذه الأصنام عابدا لها من دون مولاه الذي يستحق عليه العبادة وحده.

(٥٦) يخبر الله تعالى: أنه محمدا ﷺ ليس إلا مبشرا للمؤمنين

٥٣ اكتشف العلماء الدارسون لمناطق الالتقاء بين الأنهار والبحار (مناطق المصببات) أن ماء النهر شديد العذوبة، وماء البحر شديد الملوحة، ويفصل بينهما ماء المصب الذي هو مزيج بين الملوحة والعذوبة اعتبر حجرا (أي حبسا) على الكائنات الحية التي فيه، فلا تستطيع الخروج منه محجورا (أي ممنوع الدخول إليه) من قبل الكائنات الخاصة بالبحار والأنهار، وأن ماء المصب محاط ببرزخ مائي يفصل بين البحر والنهر. وذلك ما قرره القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام على لسان نبي أمي عاش في أرض صحراوية ليس فيها نهر ولا مصب.

ولم تتقدم علوم البحار إلا في القرنين الأخيرين، وقبل ذلك كان البحر مجهولاً مخفياً، تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به راكبه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة.

٥٤ سبق أن تكلمنا عن نشأة الإنسان (في سورة المؤمنون) من تلاقي ماء الرجل مع ماء المرأة وتلقيح الحوين المنوي للبيضة الأنثوية، ونزيد هنا ناحية أخرى تتمثل بتكون الشفرة الوراثية التي تحدد مسار النسل وتميز الأنساب عن بعضها مما كان خافيا على البشرية وقت التنزيل؛ ويمكن الله الإنسان من اكتشاف الجينوم البشري، وأظهر الله له التطابق في ذلك من قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُ نَسَبًا ﴾ وبين هذه الحقيقة العلمية. وهكذا نجد أن الفيصل في زمننا هذا في تحديد الأنساب للجوء إلى الحمض النووي المتمثل بقراءة الجينوم البشري فتبارك الله أحسن الخالقين.



﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَنْوِبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْرِبُونَ الْعُرْفَةَ يَمَّا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

بالقبول والافتقار إليها، والانقياد، والتسليم وازدادوا بها إيمانًا و يقينا وسرورا.

(٧٤) هم من يدعون ربهم ويسألونه أن يعطيهم من أزواجهم الذرية الصالحة التي تقر بها أعينهم وتسكن، واجعلهم قدوة للمتقين أئمة في الدين يقتدي بهم من بعدهم في أفعالهم وأقوالهم كما كانوا هم يقتدون في ذلك بمن قبلهم من أئمة الدين المتقين وهو دعاء شامل لما لا يتم ذلك إلا به كالزوجات والمال والصبر واليقين.

(٧٥) أولئك يُجْزَوْنَ المنازل العليا والمسكن الرفيعة الجامعة لكل خير تلذذ الأعين وتشتهي النفوس جزاء صبرهم على طاعة الله وعن معصيته.

(٧٦) باقين في الجنة لا يخرجون والجنة حسنت مكان قرار وإقامة لمن دخلها.

(٧٧) قل - أيها الرسول - لأمتك إن الله لا يبالي ولا يكثرث بهم إذا لم يعبدوه وحده ويخلصوا العبادة له أما لو كذبوا وكفروا فسوف يكون العذاب ملازما لهم لا يفارقهم أبدا فإله يعامل عبيده بحسب طاعتهم وعصيانهم لأمره لا لأي اعتبار آخر.

(٧٠) إِلَّا مَنْ تَابَ من تلك المعاصي وأقلع عنها، وندم على ما فعل منها وعزم أن لا يعود وآمن بالله إيمانًا صحيحًا، يقتضي ترك المعاصي، وفعل الطاعات وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا من فعل الطاعات واجتناب المعاصي فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ أفعالهم السيئة حسنات وكان الله غفورًا لمن تاب، رحيمًا بعباده يقبل توبتهم ويجازيهم بالحسنات إحسانًا.

(٧١) ومن تاب من ذنوبه وعمل الصالحات فإن ذلك علامة توبته لله، وهو حث على تحقيق التوبة وإكمالها ليوفيه الله أجره كاملاً.

(٧٢) وَالَّذِينَ لَا يَحْضُرُونَ مجالس الكذب قولاً كالغيبية أو فعلاً كالخمر أو أي لغو آخر من كلام محرم ساقط كالنميمة والقذف ولعب الميسر، وإذا حضروها عرضاً تجاوزوها مسرعين مكرمين لأنفسهم بالترفع عنها بالخروج من مجالسها.

(٧٣) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ قَبَلُوا الذِّكْرَ ولم يعرضوا عنها وَلَمْ يَكْذِبُوا بل استمعوا إليها بنظر قلبي وسمعي وليسوا كمن لم يؤمنوا بها ولم يصدقوا وإنما قابلوها

سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَّرَ ١ ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ نَشَأَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ .

- (١) سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.
- (٢) هذه آيات القرآن الموضح لكل شيء الفاصل بين الهدى والضلال.
- (٣) لعلك - أيها الرسول - من حرصك على هدايتهم مهلك نفسك؛ لأنهم لم يصدقوا بك ولم يعملوا بهديك، فلا تفعل ذلك.
- (٤) إن نشأ نزل على المكذبين من قومك من السماء معجزة مخوفة لهم تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناقهم خاضعة ذليلة، ولكننا لم نشأ ذلك - فإن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب اختياراً.
- (٥) وما يجيء هؤلاء المشركين المكذبين من ذكر من الرحمن مُحَدَّثٍ إنزاله، شيئاً بعد شيء، يأمرهم وينهاهم، ويذكرهم بالدين الحق إلا عرضوا عنه، ولم يقبلوه.
- (٦) فقد كذبوا بالقرآن واستهزؤوا به، فستأتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه، وسيحل بهم
- (٧) ألم ير الكفار المكذبون الأرض كم أنبت الله فيها من كل نوع نفيس من النباتات ومع ذلك لا يستجيبون لما توجهه العقول من دلالة ذلك على الخالق وعلى إحياء الموتى.
- (٨) إن في ذلك لدلالة على قدرة الخالق للأشياء ومع ذلك فإن أكثر الناس لم يؤمنوا به وكذبوا رسله وأنكروا البعث.
- (٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي عَزَّ كُلَّ شَيْءٍ وَقَهَرَهُ، الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ فَلَا يَعْجَلُهُم بِالْعُقُوبَةِ.
- (١٠) واذكر - أيها الرسول - مناداة الله لكليمه موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن واصطفاه بالنبوة وأمره بالذهاب إلى فرعون وقومه الظالمين بكفرهم لله واستعبادهم لبني إسرائيل.
- (١١) قوم فرعون، ألا يتقون الله بترك الكفر بالله والظلم لبني إسرائيل.

♥ كم : خبرية تفيد الكثرة جاءت بصيغة الاستفهام للتقرير كما تقول لصاحبك: كم أحسنت إليك، بدل أن تعدد مظاهر إحسانك إليه فتسأله لأنك واثق أن الإجابة في صالحك، فالكلام بالإخبار دعوى منك لكن الإجابة على سؤال إقرار منه، فالعنى: أن نبات الأرض كثير يفوق الحصر.

والزوج : أنواع، والزوج أيضاً الذكر والأنثى، والبعض من العامة يظن أن الزوج يعني الاثنين، وهذا خطأ، فالزوج واحد معه مثله كما في هذه الآية. والنباتات مجموعة رئيسية من الكائنات الحية من أمثلتها الأشجار والأزهار والأعشاب والشجيرات والحشائش وأيضاً السراخس.

وتغطي النباتات معظم سطح الأرض، وتستطيع أن تعيش في جميع البيئات، كما أنها تزودنا بالأكسجين عندما تصنع غذاءها الذي يعتبر غذاءاً للمخلوقات الأخرى، وتطرح بخار الماء الذي يعمل على تلطيف الجو وذلك من فضل الله بالإنسان والحيوان والنبات.



﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيْدِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِيْنِ اتَّخَذتْ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

- (١٢) فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِي فِيمَا جِئْتُهُمْ بِهِ.
- (١٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاي، وَيَعْجِزُ لِسَانِي عَنِ الْكَلَامِ بِإِبْلَاغِهِمْ.
- (١٤) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فِي قَتْلِ الرَّجُلِ الْقِبْطِيِّ، فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِي بِهِ.
- (١٥) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى كَلَّا لَنْ يَقْتُلُوكَ، وَقَدْ أَجَبْتَ طَلْبَكَ فِي هَارُونَ، فَادْهَبَا بِالْمُعْجَزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِكُمَا، إِنَّا مَعَكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْحِفْظِ وَالنَّصْرَةِ مُسْتَمِعُونَ.
- (١٦) فَاتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا لَهُ: إِنَّا مَرْسَلَانِ إِلَيْكَ وَإِلَى قَوْمِكَ مِنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
- (١٧) أَنْ أَتْرَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ لِيَذْهَبُوا مَعَنَا فِي هَذَا دَلِيلٍ عَلَى أَنْ الْحَرِيَّةَ مِنْ مَقَاصِدِ الدِّينِ الْكَبِيرِ لَذَا أُرْسِلَ الرِّسَالُ مِنْ أَجْلِهَا.
- (١٨) فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِمْتَنَّا عَلَيْهِ: أَلَسْتَ أَنْتَ الَّذِي رَبَّيْنَاكَ فِينَا وَفِي بَيْتِنَا وَعَلَى فِرَاشِنَا وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِ مَدَّةً مِنَ السِّنِينَ.
- (١٩) وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الشَّنِيعَةَ الَّتِي فَعَلْتَ وَهِيَ قَتْلُكَ الْقِبْطِيِّ وَأَنْتَ بِهِذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ لِنِعْمَتِنَا عَلَيْكَ.
- (٢٠) قَالَ مُوسَى مُجِيبًا فِرْعَوْنَ: فَفَعَلْتُ مَا ذَكَرْتَ قَبْلَ أَنْ يُوْحِيَ اللَّهُ إِلَيَّ، وَيُعِثُّنِي رَسُولًا.
- (٢١) فَخَرَجْتَ مِنْ بَيْنِكُمْ فَارًّا إِلَى «مَدْيَنَ»، خَوْفًا مِنْكُمْ لَمَّا فَعَلْتُ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ، فَوَهَبَ لِي رَبِّي تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَكَرَّمَا النُّبُوَّةَ وَالْعِلْمَ، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ.
- (٢٢) وَتِلْكَ التَّرْبِيَّةُ فِي بَيْتِكَ تُعْطِيهَا نِعْمَةٌ مِنْكَ عَلَيَّ، وَقَدْ جَعَلْتَ
- بني إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم وتستحيي نساءهم؟ فما هي نسبتها مع تلك الجرائم؟
- (٢٣) قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدعي أنه أرسلك؟
- (٢٤) قال موسى: هو مالك ومدبر السماوات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فأمنوا وصدقوني فيما أخبرتكم به.
- (٢٥) قال فرعون لمن حوله من الملأ: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟
- (٢٦) قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون من هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد فنوا كأبائكم؟
- (٢٧) قال فرعون لخاصته يستثير غضبهم؛ لتكذيب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، يتكلم كلامًا لا يعقل!
- (٢٨) قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر.
- (٢٩) قال فرعون بعد انقطاع حجته مهددًا موسى: لئن اتخذت إلهًا غيري لأسجننك مع من سجن، وهكذا الطغاة حين يعجزون عن المنطق والحلول يلجؤون إلى الحبس.
- (٣٠) قال موسى: أتجعلني من المسجونين، ولو جئتك ببرهان قاطع يتبين منه صدقي؟

﴿ قَالَ فَاتِّبِعْ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنّٰظِرِيْنَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تَوَكُّبُ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السّٰحِرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مّٰعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنّٰسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّآ نَبِّئُكَ السّٰحِرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السّٰحِرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ هُمْ مُوسَىٰ أَتَوْا مَا أَنْتُمْ مُّكْفَرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا جَاهِلْمُ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّكَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَىٰ السّٰحِرَةُ سِجِّدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُمْ فَبَلَّ أَنْ ءَادَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السّٰحِرَ فَلَسَوْفَ نَأْتِيَنَّكُمْ لَاقِطَةً مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مُّخِيطَةً وَنُصِبَ إِلَيْنَا أَعْيُنُهُمْ إِنَّا نَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ وَلِيُنَظَّرَهُ إِنَّا تَرَيْنَا لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞

- (٣١) قال فرعون: فاتت به إن كنت من الصادقين في دعواك.
- (٣٢) فألقى موسى عصاه فتحولت ثعباناً حقيقة، لا تمويهاً كما يفعل السحرة.
- (٣٣) وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تبهر الناظرين.
- (٣٤) قال فرعون لأشرف قومه خشية أن يؤمنوا: إن موسى لساحر ماهر.
- (٣٥) يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره بأي شيء تشيرون به في شأنه أتبع رأيكم فيه؟.
- (٣٦) فرد عليه الملائة: أخر أمر موسى وهارون، وأرسل في المدائن جنداً جامعين للسحرة وللناس.
- (٣٧) يأتوك بكل من أجاد السحر، وتفوق في معرفته.
- (٣٨) فجمع السحرة، وحدد لهم وقت، الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم، ويجتمعون ويتزيتون؛ للاجتماع بموسى.
- (٣٩) وحض الناس على الاجتماع - أملاً في أن تكون الغلبة للسحرة.
- (٤٠) إننا نطمع أن تكون الغلبة للسحرة، فنثبت على ديننا.
- (٤١) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون: أئن لنا لأجرًا من مال أو جاه، إن كنا نحن الغالبين لموسى.
- (٤٢) قال فرعون: نعم لكم عندي ما طلبتم من أجر، وإنكم حينئذ لمن المقربين لدي.
- (٤٣) قال موسى للسحرة مريداً إبطال سحرهم وإظهار أن ما جاء به ليس سحراً بل هو الحق: ألقوا ما تريدون إلقاءه من السحر.
- (٤٤) فألقوا جباهم وعصيتهم، وأقسموا بعزة فرعون قائلين: إننا لنحن الغالبون.
- (٤٥) فألقى موسى عصاه، فإذا هي حية عظيمة، تبتلع ما صدر منهم من إفك وتزوير.
- (٤٦) فلما شاهد السحرة ذلك، علموا أنه ليس من تمويه السحر فأمنوا بالله وسجدوا له، وهذا من فضل العلم حين يوصل إلى الله.
- (٤٧) وأعلنوا تحول ولائهم عن فرعون بقولهم آمنا برب العالمين.
- (٤٨) وأعلنوا تبعيتهم لموسى وهارون بدلاً من فرعون.
- (٤٩) قال فرعون للسحرة مستنكراً: أنتم لموسى بغير إذن مني، وقال موهماً أن فعل موسى سحر: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، فلسوف تعلمون ما ينزل بكم من عقاب: لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى أو عكس ذلك، ولأصلبناكم أجمعين.
- (٥٠) قالوا: لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا، وذلك لقوة إيمانهم لأنه مبني على العلم، إننا راجعون إلى ربنا فيعطينا النعيم المقيم.
- (٥١) إننا نرجو أن يغفر لنا ربنا خطايانا من الشرك والسحر ومناصرة الباطل وغيره - لكوننا أول المؤمنين بموسى.



﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتَوْهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَخْبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يُضِرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْلَامُونَ ﴿٧٦﴾ ۞

- (٥٢) وأوحى الله إلى موسى أن سر بني إسرائيل ليلاً؛ لأن فرعون وجنوده متبعوكم حتى لا يلحقوا بكم قبل وصولكم إلى البحر.
- (٥٣) فأرسل فرعون جنده يجمعون الناس من مدائن مملكته ليلحقوا موسى وقومه.
- (٥٤) وقال فرعون مقللاً من شأن موسى وقومه: إن الذين خرجوا مع موسى من بني إسرائيل طائفة قليلة حقيرة.
- (٥٥) وإنهم لفرعون وجنده مغضبون لخروجهم عن طاعته.
- (٥٦) وإنا لجميع متيقظون بسبب هذا العمل.
- (٥٧) فأخرج الله فرعون وقومه من أرض «مصر» ذات البساتين الملتفة والأنهار وعيون الماء العذبة.
- (٥٨) وخزائن المال والمنازل الحسان.
- (٥٩) وكما أخرجنا فرعون وجنده من مصر، ملكنا ديارهم وممتلكاتهم لبني إسرائيل.
- (٦٠) فلحق فرعون وجنده موسى ومن معه وقت شروق الشمس.
- (٦١) فلما رأى كل واحد من الفريقين الآخر قال أصحاب موسى: إن جمع فرعون مُدْرِكُونَا ومهلكونا.
- (٦٢) قال لهم موسى: كلاً ليس الأمر كما ذكرتم فلن تُدْرِكُوا - إن معي ربي بالنصر، سيهديني لما فيه نجاتي ونجاتكم.
- (٦٣) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضره، فانفلق البحر إلى اثني عشر طريقاً بعدد قبائل بني إسرائيل، فكانت كل قطعة انفصلت من البحر كالجلبل العظيم.
- (٦٤) وقربنا الآخرين: فرعون وقومه من البحر حتى دخلوا ذلك الطريق الذي سلك منه موسى وقومه.
- (٦٥) وأنجاهم الله من فرعون ومن البحر حتى خرجوا إلى الضفة الأخرى بسلام آمنين.
- (٦٦) ثم أغرقنا الآخرين فرعون ومن معه ولم ينج أحد من جنده.
- (٦٧) إن في إنجاء موسى وقومه وهلاك فرعون وجنده آية عظيمة، على صدق ما جاء به موسى عليه السلام، وبطلان ما عليه فرعون وقومه.
- (٦٨) إن ربك أيها الرسول - الذي أهلك الكافرين - هو العزيز الذي لا يغلب، الرحيم بالمؤمنين.
- (٦٩) وأتل - أيها الرسول - على الناس، خبر إبراهيم عليه السلام.
- (٧٠) إذ سأل أباه وقومه عما يعبدون تنبيها لهم على خطئهم فأجابوه مستكبرين:
- (٧١) قالوا نعبد أشكالا ننحتها فننزل مقيمين على عبادتها.
- (٧٢) قال إبراهيم: هل يستجيبون لدعائكم، ويفرجون كربتكم؟
- (٧٣) أو يقدمون لكم نوعاً من النفع أو يردون عنكم شيئاً من الضر؟
- (٧٤) قالوا: لا، بل وجدنا آبائنا يعبدونها فنعبدها تقليداً لهم.
- (٧٥) قال أفرايتم ما كنتم تعبدون من تلك الأصنام.
- (٧٦) أنتم وأباؤكم السابقون.

﴿ فَاتَّهَمَ عَدُوِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودِ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُوبِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ۞

- (٧٧) فإن هذه الأصنام التي كنتم أتتم وآباؤكم تعبدونها لو كانت تنفع أو تضر فلتضرني لأنني عدو لها، وأعبد إليها غيرها هو إلهي الذي ينفع ويضر.
- (٧٨) فهو الذي خلقتني من العدم وهو الذي يهديني للحق أما الأصنام فلا تنفع ولا تضر.
- (٧٩) وهو الذي يطعمني ويسقيني وليس ذلك لأحد غيره.
- (٨٠) وهو الذي إذا مرضت شفاني من المرض.
- (٨١) وهو الذي يميتني بعد انتهاء أجلي ثم يحييني للحساب والعقاب.
- (٨٢) وهو الذي أرجو منه أن يغفر لي ذنوبي وأخطائي يوم الحساب.
- (٨٣) رب أعطني علما كثيرا، أعرف به الأحكام، والحلال والحرام، وأعلمه الناس، وألحقني بالصالحين من إخواني الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
- (٨٤) واجعل لي ثناء صدق، مستمر إلى آخر الدنيا.
- (٨٥) واجعلني من أهل الجنة، التي يورثهم الله إياها بفضله ورحمته.
- (٨٦) وطلب إبراهيم ربه أن يغفر لأبيه لأنه من جملة الضالين طلب ذلك رحمة ووفاء بالوعد فقد وعد أباه أن يدعو له بقوله (سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيبا) وكان هذا قبل أن يعرف حقيقته وحين تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.
- (٨٧) ولا تخزني في ذلك اليوم بالتوبيخ على بعض الذنوب، والعقوبة عليها، ولا تفضحني بين خلقك.
- (٨٨) وهو يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.
- (٨٩) إنما ينفع فيه أن يأتي الشخص لله بقلب سليم من الشرك عامر بالإيمان.
- (٩٠) وهيئة الجنة للمتقين الخائفين من الله.
- (٩١) وأظهرت النار وأعدت للمعاندين.
- (٩٢) وقيل لهم تهكما بهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها في الدنيا؟
- (٩٣) هل تنفعكم اليوم أو تضر عدوكم، وهم يعلمون أنها لا تنفعهم ولا تضر غيرهم.
- (٩٤) فألقوا في النار صاغرين هم ومن كان يعبدها معهم.
- (٩٥) وألقي جنود إبليس الذين أطاعوه وعصوا أمر ربهم من الإنس والجن كلهم يلقون في النار.
- (٩٦) قال جنود إبليس الغاوون مخاطبين الأصنام التي كانوا يعبدونها.
- (٩٧) والله لقد كنا في ضلال بين حيث عبدناكم من دون الله.
- (٩٨) وسوينا بينكم وبين خالقنا رب العالمين.
- (٩٩) وما ذهب بنا بعيدا عن الحق إلا الأئمة المضلون.
- (١٠٠) فما لنا والحال هذه من أحد يشفع لنا لينقذنا من عذاب الله ويدخلنا الجنة.
- (١٠١) وليس لنا قريب مصاف، ينفعنا بأدنى نفع، كما جرت العادة بذلك في الدنيا.
- (١٠٢) فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا، فنؤمن لنسلم من العقاب.

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّتِ وَعْيُونَ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آيَاتِنَا ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتِ وَعْيُونَ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَظِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ .

وبطشهم، الرّحيم بنبيه هود، حيث نجاه ومن معه من المؤمنين.

(١٤٠) بعد أن ذكر الله قدرته وعزته ذاته يصنع ما يشاء ويفعل ما

يريد بشر عبادة بأنه بهم عزيز رحيم، ورحمته بالمؤمنين أعظم فقال تعالى (فكان بالمؤمنين رحيم)

(١٤١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْقَبِيلَةَ الْمَعْرُوفَةَ فِي مَدَائِنِ الْحَجْرِ الْمُرْسَلِينَ

وذلك بتكذيبهم لنبيهم صالح عليه السلام.

(١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ أَخُوهُمْ فِي النَّسَبِ، يَرْفُقُ وَلِينٌ: أَلَا

تَتَّقُونَ اللَّهَ تَعَالَى، وَتَدْعُونَ الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِي.

(١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ، لَطْفًا بِكُمْ

وَرَحْمَةً، فَتَلَقُوا رَحْمَتَهُ بِالْقَبُولِ، وَقَابَلُوهَا بِالْإِذْعَانِ،

أَمِينٌ عَرَفَ بِالْأَمَانَةِ قَبْلَ أَنْ يَرْسَلَ وَبَعْدَ إِرْسَالِهِ مِمَّا يُوْجِبُ

عَلَيْكُمْ تَصَدِيقَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ.

(١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

(١٤٤) وَمَا أَطْلَبُ مِنْكُمْ أَجْرَةَ عَلَى إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ وَالنَّصِيحِ لَكُمْ

إِنَّمَا أَجْرِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي وَخَالِقِكُمْ.

(١٤٥) أَتُظَنُّونَ أَنْكُمْ تَتْرَكُونَ تَتَنَعَّمُونَ بِهَذِهِ النِّعَمِ آمِنِينَ مِنْ مَكْرِ

اللَّهِ بَعْدَ كُفْرِكُمْ وَتَكْذِيبِكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ؟.

(١٤٦) فِي الْبَسَاتِينِ وَالْحَدَائِقِ وَالْعِيُونَ الْجَارِيَةِ.

(١٤٧) وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ زُرُوعٍ بِهَا ثَمَارٌ وَنَخِيلٌ بِهِ ثَمَرٌ يَنْعُ نَضِيجٌ.

(١٤٨) وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَافِيَةِ أَنْكُمْ غَدَوْتُمْ تَنْحِتُونَ

مِنَ الْجِبَالِ الصَّمِّ بِيُوتًا فَارَهَةً جَمِيلَةً تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ.

(١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَتَصَدِيقِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَامْتِثَالِ

الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي.

(١٢٨) أتبنون بكل مدخل بين الجبال وما ارتفع منها بناء شامخا للعبث والتفاخر بينكم.

(١٢٩) وتجعلون قصورا مشيدة كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون.

(١٣٠) وَإِذَا سَطَوْتُمْ عَلَى النَّاسِ سَطَوْتُمْ بِالسِّيَافِ وَضَرَبْتُمْ بِالسَّيَاطِ وَأَخَذْتُمْ أَمْوَالَهُمْ بِغَيْرِ حَقِّ.

(١٣١) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاتْرَكُوا شِرْكَكُمْ وَبَطْرَكُمْ وَأَطِيعُونِي حَيْثُ عَلِمْتُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ.

(١٣١) وَاتَّقُوا مِنْ أَعْطَاكُمْ مَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِنْعَامِ.

(١٣٢) هُوَ الَّذِي أَعْطَاكُمْ الْإِبِلَ، وَالْبَقَرَ، وَالْغَنَمَ وَكَثْرَةَ النَّسْلِ.

(١٣٣) وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ بِالْبَسَاتِينِ وَمَا بَهَا مِنْ فَوَاكِهٍ وَزُرُوعٍ وَعْيُونَ وَمَاءٍ عَذْبٍ تَشْرَبُونَ وَتَأْكُلُونَ وَتَتَمَتَّعُونَ بِرَبِّيتِهِ.

(١٣٤) إِنِّي أَشْفَقُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ وَبِنِعْمَةِ عَلَيْكُمْ وَبِغَيْبِكُمْ وَإِفْسَادِكُمْ فِي الْأَرْضِ.

(١٣٥) قَالُوا عَنَادًا وَكُفْرًا يَسْتَوِي عِنْدَنَا وَعَظْمُكَ وَعَدْمُهُ.

(١٣٦) إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ وَالنِّعَمَ عَادَةُ الْأَوَّلِينَ، فَمِنْهُمْ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَبِهَذَا أَنْكَرُوا مَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نِعَمٍ.

(١٣٧) وَنَفَوْا الْعَذَابَ وَالْبَعْثَ اسْتِكْبَارًا وَعَتَوْا وَقَالُوا مَا دَامَتِ النِّعَمُ مَوْجُودَةً فِي الدُّنْيَا فَإِنَّا لَوْ فَرَضْنَا أَنَا حَيِّينَا بَعْدَ الْمَوْتِ فَسَنَكُونُ أَغْنِيَاءَ بَعْدَ الْحَيَاةِ كَذَلِكَ.

(١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ اللَّهِ وَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا مَعَ كَثْرَةِ آيَاتِهِ وَتَنَوَّعِهَا.

(١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي أَهْلَكَ قَوْمَ هُودٍ مَعَ قُوَّتِهِمْ



﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٥٠ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٥١ ﴾ الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ١٥٢ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ١٥٣ ﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٥٤ ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ١٥٥ ﴿ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦ ﴿ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ١٥٧ ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٥٨ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١٥٩ ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ١٦٠ ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْقُونَ ١٦١ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٦٢ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٦٣ ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٤ ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ١٦٥ ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ١٦٦ ﴿ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ١٦٧ ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ١٦٨ ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٦٩ ﴾ .

من كذب رسولا واحدا كمن كذب الجميع لأن رسالتهم واحدة والأيمان بهم جميعا واجب.

(١٥٠) ولا تطيعوا أمر المسرفين المبذرين اللذين تجاوزوا الحد في الإسراف.

(١٦٠) واذكر أمر قوم لوط إذ قال لهم أخوهم في المساكنة لوط: ألا تتقون الله بترك هذه الفاحشة القبيحة.

(١٥١) اللذين وصفهم وداؤهم، الإفساد في الأرض، بعمل المعاصي، والدعوة إليها، إفسادا لا إصلاح معه..

(١٦١) إني لكم رسول من الله أمين في إبلاغ رسالتي وفي هذا من التشريف والتكريم - لو قدره - ما لا يخفى.

(١٥٢) قالوا إنما أنت مسحور تقول ما لا معنى له.

(١٦٢) فاتقوا الله بفعل أوامره واجتنب نواهيه وأطيعوني فيما جئتمكم به من الإيمان وترك الفاحشة وغير ذلك.

(١٥٣) ما أنت إلا إنسان مشابه لنا وليست لك أي فضيلة تفوقنا بها حتى نتبعك وعليك أن تأتينا ببرهان لنعلم أنك نبي صادق.

(١٦٣) ولا أطلبكم على إبلاغي رسالتي إليكم بأجر إذ أجر ذلك على ربي وربكم ورب الناس جميعا.

(١٥٤) قال نبي الله صالح هذه آية وهي خروج ناقة من صخرة صماء كما تشاهدونها لها يوم تشرب من البئر وحدها، ولكم يوم خاص بكم وتشربون لبنها ولا تأتيكم في اليوم الثاني وتترك لكم الماء.

(١٦٤) أتأتون الذكور من الناس شهوة ياله من شذوذا!

(١٥٥) ولا تقربوها بفعل سيء فيأتيكم عذاب يوم كبير ورأوا ذلك وفعلوه لكنهم لم يصبروا عليه.

(١٦٥) إن ترك الرجال للنساء اللاتي خلقهن الله لهذا الغرض لما في ذلك من الانسجام والمصالح واكتفاءهم بالرجال انتكاسة فطرية وفعل حيواني يدل على كفران نعمة الله وعلى مجاوزة الحد في العدوان.

(١٥٦) فنحروها وخالفوا بذلك أمر ربهم فأصبحوا على ذلك الفعل السيء في ندم شديد.

(١٦٦) قالوا له: لئن لم تكف عن دعوتنا للخير وإنكار منكرنا لتكونن من المبعدين من القرية.

(١٥٧) فأتاهم العذاب إذ صاح بهم الملك فأهلكهم الله جميعا إن فيما حصل لهم من خروج الناقة ومن شربها وما نزل بهم من عذاب آية وبرهانا على صدق صالح عليه السلام وأنه على الحق ومع ذلك كفر به أكثرهم.

(١٦٧) قال إني لفعلكم من الكارهين المبغضين.

(١٦٨) ثم التجأ إلى ربه طالبا منه الحماية له ولأهله من عمل القوم الظالمين وهو شامل لفعالهم ولما ينتج عنه من عذاب وهلاك.

(١٥٨) وإن ربك لهو العزيز يفعل ما يشاء، الرحيم بعباده يرسل لهم الرسل ويظهر لهم الآيات ويقيم عليهم الحجة ويقبل توبتهم.

(١٦٩) فاستجاب الله دعاءه فنجاه وأهله من فعلتهم النكراء ومما حاق بهم من عذاب.

(١٥٩) وكما كذب قوم صالح كذب قوم لوط المرسلين؛ لأن



١٦٥ تشير هذه الآية الكريمة إلى انحراف في السلوك وتغير الفطرة وهما أتيان الذكران ، وترك الزوجات الحلال ، وبين الله عز وجل أن هذا الإنحراف فاحشة فقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٨٠). والأمراض الجنسية التي تنتقل عن طريق اتیان الذکران والرجال من دون النساء كثيرةٌ وجدير بالذكر هنا أن: مرض الإيدز الذي يؤدي إلى الموت (ظهرت أول حالة لهذا المرض في كاليفورنيا في أمريكا عام ١٩٨١ مصاب بها شاب مثلي جنسياً) ثم انتشر هذا المرض بين المثليين والذين يمارسون الجنس المحرم. وتأتي حالات التهاب الكبد الفيروسي A المبلغ عنها في إسبانيا في عام ٢٠١٧ أعلى بثماني مرات تقريبا من عدد الحالات المبلغ عنها خلال الفترة نفسها بين عامي ٢٠١٢ و٢٠١٦. وأغلب الحالات هي حالات رجال تتراوح أعمارهم بين ١٥ إلى ٤٥ عاما، وفئة الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال هي أكثر الفئات إصابة، وقد لاحظت إدارة الصحة في مدينة نيويورك زيادة في حالات التهاب الكبد A بين الرجال الذين يمارسون الجنس مع الرجال من الذين لم يفيدوا بسفرهم إلى الخارج. ولقد انتشر التحذير من خطر إصابة الشواذ بنوع فتاك وجديد من البكتريا ينتقل عبر التلامس الجسدي في العلاقات الجنسية الشاذة - وسموها البكتريا آكلة لحوم البشر "ستافيلوكوك ساوربيوس المقاومة للمثيسيلين" ، ويعرف اختصاراً ببكتيريا MRSA - حيث تفوق نسبة إصابة الشواذ بهذا النوع من البكتريا غيرهم بثلاثة عشر مرة. وأن هذه البكتريا مقاومة لأغلب المضادات الحيوية المعروفة، ونسبة الذين يصابون من السرطان من الشواذ هي الضعف من الأشخاص العاديين حتى أنه هنا كسرطان خاص بهم اسمه Kaposi sarcoma وهو متواجد بكثرة بين المثليين في كاليفورنيا ولوس أنجلوس. ويصاب نحو ٧٨ مليون شخص بالأمراض الجنسية المعدية سنوياً، ويمكن أن تؤدي إلى العقم. وحللت منظمة الصحة العالمية البيانات التي تصلها من ٧٧ بلداً، وتبين أن مقاومة المضادات الحيوية عند المصابين بمرض السيلان أضحت واسعة الانتشار. وبين مركز الأمراض والسيطرة CDC عليها في أمريكا أن نسبة المصابين بالسيلان الشرجي ١٦٪ في ٢٠١٦ ، نسبة المصابين بالكلاميديا الشرجية ١٧٪، نسبة السيلان في ١٩٨٩ في الشواذ بأمريكا ٣,٩٪ ، وفي ٢٠١٥ (١ ، ٣٨٪) ، وفي ٢٠١٦ (٨ ، ٣٧٪) ، وفي مسجل ٤٤ ولاية أمريكية تبين أن الجنسين الشواذ ٧٠٪ منجمله الجنس المحرم وأن ٨٠٪ منهم مصابين الزهري بنوعيه الأولى والثاني في عام ٢٠١٦ ، والشواذ المصابين بالزهري والإيدز في الفترة من ٢٠١٢ - ٢٠١٦ (٧ ، ٦٣٪) ، وزادت بنسبة ٤ ، ١٦٪ في الفترة من ٢٠١٥ - ٢٠١٦ ، ونسبة الإصابة بفيرس الإيدز بين الشواذ ٥٢٪ ، بينما هي قليلة بين الذين يمارسون الجنس مع الرجال والنساء ٦٪ ، وبين الرجال والنساء ١٧٪ ، وبين النساء والنساء ١١٪ . وفي تقرير لمنظمة الصحة العالمية عام ٢٠١٤ ، فقد أكد أن معدلات الإصابة بفيروس الإيدز تزيد بين الشواذ جنسياً ١٩ مرة مقارنة بالأشخاص الآخرين من ذوى الجنس المحرم.

ونجد أضراراً كثيرة بين الذين يأتون الذکران دون النساء منها أضراراً دينية: كفرهم بشرع الله واستحلال ما حرم الله، وأضراراً نفسية: شذوذ وانقلاب في السلوك والتزين مثل النساء، الخوف والقلق وشروذ الفكر وقد لاحظ العلماء أن المادة البيضاء في المخ تتناقص عند الشاذين جنسياً، وإن المادة البيضاء تمثل قنوات الاتصال بين خلايا الدماغ، وفقدان كمية منها ولو قليلة يؤدي إلى عدم قدرة الدماغ على تنسيق العمليات بين الخلايا، وبالتالي فإن الإنسان يُصاب بالخرف أو الزهايمر. ولذلك تجد الشاذين جنسياً لا يمكنهم اتخاذ قرارات صائبة، وتجد نسبة العنف لديهم أكبر، وكذلك لديهم اضطرابات نفسية حادة تصيبهم مع مرور الزمن، تماماً مثل إنسان سكران لا يدر كما يفعل، وهذا ما أخبرنا به القرآن عن قوم لوط: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (الحجر: ٧٢) ، وأضراراً اجتماعية: الانحراف عن الزواج الطبيعي وقطع النسل، وأضراراً صحية: انتشار الأمراض الجنسية بينهم، وأضراراً اقتصادية: عبأ على الدولة في معالجتهم، وقلة أعمالهم والسعي إلى انحراف غيرهم. ولكل هذا كان العقاب الإلهي لمن بدأ ويمارس هذا في زمن نبي الله لوط من جنس عملهم فلما انقلبت فطرتهم قلب الله عليهم بيوتهم ودفنها وأهل عليها حجارة من السماء من سجيل منضود.



﴿ فَجِئْنَاهُ وَآهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَنْقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾

- (١٧٠) واستثنى الله امرأته حيث بقيت معهم حتى أتاها الهلاك وإن كان الله نجاها من الوقوع في الفاحشة ولم ينجها من العذاب لأنها كانت معهم في تكذيبها وعدم إيمانها وإن لم تفعل فعلهم الدنيء إكراما لعرض نبي الله عليه السلام.
- (١٧١) ثم بعد خروج نبي الله ومن آمن معه أهلك الله من بقي بأن جعل عالي القرية أو القرى سافلها.
- (١٧٢) وأرسل الله عليهم الحجارة بعد ما قلب بهم الأرض ولا تسأل عن مطر الحجارة لما فيه من الشناعة المناسبة لتكذيب من أنذروا وأقيمت عليهم الحجج فلم يستجيبوا عنادا واستكبارا.
- (١٧٣) إنما فيما حصل لهم من قلب الأرض بهم ورجمهم بالحجارة لعلامة واضحة على عدم إيمان وتكذيب أكثرهم، وعلى شناعة فعلتهم النكراء كما أنه دليل وموعظة للمكذبين.
- (١٧٤) وإن الله لهو العزيز يعاقب من عصاه بما يستحق، الرحيم بخلقه فلا يعذبهم حتى يقيم عليهم الحجج ويقبل توبة المنيبين ويرحم المؤمنين به فينجيهم من عذابه وسخطه ويدخلهم جنات النعيم.
- (١٧٥) وكما كذبت الأمم السابقة رسلها كذب أصحاب الأشجار الملتفة، وهم أصحاب (مدين)، نبهم شعيبا، الذي جاء بما جاء به المرسلون من الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر وإصلاح المجتمع فيما يحتاجه من إصلاح أخلاقي أو اقتصادي وهو هنا البعد عن التطييف في الكيل.
- (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَنْقُونَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِفَعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ وَاجْتَنَابَ مَا نَهَاكَ عَنْهُ.
- (١٧٧) إني لكم خاصة رسول من عند الله آتاكم بما أرسلني به إليكم، أمين في إبلاغ الرسالة.
- (١٧٨) فاتقوا الله في ما أمركم به ونهاكم عنه وأطيعوني فما جئتمكم به من عند الله.
- (١٧٩) وما أطلب منكم على تبليغ رسالة ربي من أجر قل أو كثر لأن أجر ذلك على الله ربي وربكم صاحب النعمة والفضل على الناس جميعا.
- (١٨٠) أتموا الكيل والوزن وأكملوه ولا تنقصوه أو تخسروا الموازين والمكاييل لتأخذوا أموال الناس بالحيل والأباطيل.
- (١٨١) وزنوا ما تزنونه للناس بالموازين العادلة التي لا نقص فيها.
- (١٨٢) ولا تقللوا من قيمة أموال الناس بالعيب والتزهد فيها أو بالتحايل وغيره، ولا تسيروا في الأرض مفسدين بنقص المكاييل والموازين أو غير ذلك.
- (١٨٣) وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحِجْلَةَ الْأُولَىٰ فَهُوَ كَمَا تَفْرَدُ بِخَلْقِكُمْ وَخَلَقَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَنْ بَعْدَكُمْ دُونَ مَشَارِكٍ فِي ذَلِكَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعَذَّبَهُ وَحْدَهُ دُونَ شَرِيكَ.
- (١٨٤) فردوا عليه باستكبار قائلين: إنما انت مسحور تهذي وتقول ما لا تعيه.
- (١٨٥) وما أنت إلا إنسان مثلنا لا تزيد علينا بأي شيء آخر حتى تستحق أن تدعونا فتتبعك وإنا لنظنك لمن الكاذبين فيما تدعيه من أن الله أرسلك.
- (١٨٦) ولعنادهم وتماديهم طالبوا بإسقاط العذاب عليهم من السماء وجعلوا ذلك علامة لصدقه كما قالت قريش (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء).

﴿ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوْلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَىٰ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ .

والتخصص واعتبار رأي أهله والصدور عنه.

(١٨٧) قال ربي العالم بأعمالكم وما كان وما يكون وسيجازيكم على أعمالكم تلك.

(١٩٧) ولو أنزل الله القرآن على بعض العجم الذين لا يفهمون العربية ولا يتكلمون بها أما أنتم فقد نزل بلسانكم فكان من واجبكم حمد الله وشكره والمبادرة إلى طاعته وتصديقه فكان تكذيبهم له بعد عجزهم عن محاكاته عنادا وجحودا.

(١٨٨) فكذبوه فأظلمت سحابة فنظروا إليها واجتمعوا تحتها فرحين يحسبونها غمامة تمطرهم فإذا بها عذاب أليم جعلهم خامدين هلكت.

(١٩٨) فلو قرئ القرآن على أولئك الأعجمين لقالوا إنهم لم يفهموه وكانت تلك شبهة لهم أما أنتم فلا شبهة لكم إطلاقا.

(١٨٩) إن فيما حصل لهم لعلامة على صدق نبي الله شعيب عليه السلام وبطلان ما عليه قومه، وما كان أكثرهم مؤمنين به مع مشاهدتهم للآيات والحجج الظاهرة.

(١٩٩) كذلك أدخلنا التكذيب في قلوب المجرمين كما يدخل السلك في الحبة فهو في قلوبهم مشرب حتى غدا وصفا ملازما لهم.

(١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الغالب لأعدائه وأعداء رسله، الرحيم بخلقهم عامة وبالمؤمنين خاصة.

(٢٠٠) وهؤلاء الظالمون بكفرهم لا يؤمنون بالقرآن مهما أتاهم من البينات والنذر حتى يأتيهم العذاب الأليم فيعرفون الحق ساعتئذ ولات حين مندم.

(١٩١) وإن هذا المذكور وغيره لنزول من رب العالمين رحمة بعباده.

(٢٠١) فيأتيهم العذاب على حين غفلة، ولا استشعار بنزوله، ليكون أبلغ في عقوبتهم.

(١٩٢) نزل به جبريل أمين الوحي جبريل عليه السلام.

(٢٠٢) فيطلبون التأجيل والامهال في وقت نزول العذاب الذي لا يرفع.

(١٩٣) على قلبك - أيها الرسول - لترهب وتدعو إلى صراط الله.

(١٩٤) هو بلسان عربي فصيح بين وفي هذا ما يدل على فضل اللغة العربية وأنها لم تعد لسان جنس أو قوم بل هي لسان دين إذ القرآن النازل بها كلام الله ونزل به أفضل الملائكة على أفضل الرسل وتضمن ما يصلح الناس في دينهم وديانهم إلى قيام الساعة.

(٢٠٣) وهو العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستعجلونه تهكما وهل عندهم قوة على تحمله؟ لكنهم قوم يجهلون.

(١٩٥) والقرآن الكريم بشرت به كتب الأولين وصدقته وصدقها كذلك.

(٢٠٤) وما الفائدة حتى لو تأخر عنهم العذاب عددا من السنين

(١٩٦) أولم تكن لهم علامة بينة على صحة هذا الكتاب

(٢٠٥) ثم نزل بهم العذاب الذي وعدوا به.

وصدق مبلغه وأنه من عند الله أن علماء بني إسرائيل يعلمون ذلك ويصدقونه كعبد الله بن سلام لا أولئك الذين عرفوا الحق فأنكروه وفيه تنبيه على أهمية العلم



﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيَاطِينَ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا نَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَقَوَّلْ عَلَى الْعَرْزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلْنَا الشَّيَاطِينَ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلْنَا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

(٢٠٧) يخبر تعالى عن عدله وأنه لم يهلك قرية إلا بعد إنذارها وإقامة الحججة عليها.

(٢٠٨) ذكرى لهم وإقامة للحجة عليهم. وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ فِي إِهْلَاكِ تِلْكَ الْقَرَى، إِنَّمَا فَعَلْنَا بِهَا مَا تَسْتَحِقُّ بَعْدَ تَكْذِيبِهَا لِلرُّسُلِ وَعِنَادِهَا بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهَا الْحَقُّ.

(٢٠٩) هذا تنزيه لكتاب الله وإظهار لقدره عن أن تنزل به الشياطين.

(٢١٠) وما ينبغي للشياطين أن تنزل بالقرآن ولا تستطيع ذلك أصلاً.

(٢١١) إن الشياطين مبعدون عن سماع القرآن وقد أعدت لهم الشهب يرحمون بها كلما حاولوا الاستماع إليه فهو محفوظ بحفظ الله.

(٢١٢) ينهي الله تعالى نبيه ﷺ والخطاب له خطاب لأمته عن دعاء إله مع الله وعبادته بأي نوع من العبادة وأن من فعل ذلك كان جزاؤه العذاب الأليم.

(٢١٣) وهذا أمر بالتحذير من الله ودعوة الأقرنين عامة وخاصة الأسرة الزوجة والأبناء وأبناء العمومة ثم العشيرة والقبيلة والجيران ويدخل فيه زملاء العمل والدراسة ونحو ذلك.

(٢١٤) أمر للنبي ﷺ بلسان الجانب ولطف الخطاب والتودد والإحسان لمن معه من المؤمنين وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حتى أصبح خلقه القرآن الكريم وهو أمر للمؤمنين به كذلك.

(٢١٥) فإن عصى الأتباع أو الأقارب فأعلن براءتك منهم ومن أعمالهم المخالفة لما أمرك الله به وولاءك الله رب العالمين.

(٢١٦) هذا أمر بالاعتماد على الله القوي الرحيم بعباده في جميع الأوقات ولاسيما في وقت الإعراض والتخلي عن الدين وتكالب الأعداء عليه، ومعنى التوكل اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله وحسن الظن.

(٢١٧) الذي يراك في كل حال وفي وقت أدائك لهذه الصلاة في ركوعك وفي سجودك وقيامك وما تقول فيها من تكبير وتسبيح ودعاء.

(٢١٨) ويراك وأنت في صلب آبائك تنتقل من صلب طاهر إلى صلب طاهر وفي قيامك وسجودك.

(٢١٩) إن ربك هو السميع لتلاوتك وذكرك العليم بالغيب والشهادة.

(٢٢٠) هل أخبركم على صفات من تنزل عليهم الشياطين حقيقة.

(٢٢١) إنها تنزل على كل كذاب مفتر كثير المعاصي.

(٢٢٢) يلقون عليه ما يسترقونه من سمع مشوه فيه خلط بين الحق والباطل، وأما محمد ﷺ فحاله غير ذلك فقد أوحى الله إليه بوحى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٢٢٣) والشعراء الكفار غاؤون ضالون لأنهم يستخدمون هذه الموهبة فيما لا يرضي الله تعالى ويتبعهم في الغالب أهل الكفر والضلال والسفهاء المفسدون من الإنس والجن.

(٢٢٤) ألم تر غوايتهم وسوء ضلالهم وأنهم في كل واد من أودية الشعر والكلام يذهبون من مدح وذم وتغزل ونحو ذلك.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ .

والمسلمين، واستخدموا الشعر في الحث على الفضائل ومكارم الأخلاق ومواكبة الأمة في أفراحها وأحزانها.

(٢٢٧) وسيعلم الشعراء الظالمون وكل ظالم أي مرجع يرجع يوم توضع الموازين وتتكشف الحقائق وفي الآية إشارة إلى عون الله للشعراء المسلمين في وجه شعراء الباطل كما قال النبي ﷺ لحسان: (اهجهم وروح القدس معك).

(٢٢٥) ومن علاماتهم مخالفة أقوالهم لأفعالهم فهم يمدحون من يكرهونه ويبالغون في الكذب ذما ويقولون ما لا يعلمون.

(٢٢٦) وقد استثنى الله من هؤلاء الشعراء، الشعراء المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات عامة ومنها توجيه الشعر في خدمة الدين والدفاع عنه كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه، وأكثروا من ذكر الله وانتصروا لدينهم من شعراء الضلال ممن هجوا الدين ورسوله ﷺ

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَيْفُ مَنَّا بِخَبْرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشَهَابٍ مِمَّنْ سَاءَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُجٌ إِنَّهُ ءَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ .

في خلقه وتدييره الذي أحاط بكل شيء علماً.

(٧) اذكر قصة موسى حين قال لأهله في مسيره من «مدين» إلى «مصر»: «إني أبصرت نارا سأتىكم منها بخبر يدلنا على الطريق، أو أتىكم بشهاب منها - كي تستدفئوا به من البرد.

(٨) فلما جاء موسى النار نودي وأخبر بقدسية المكان وبركته بحيث جعل مكان كلام الله لموسى وتكليفه بالرسالة، ونزه الله نفسه عما لا يليق به من النقائص وهو أهل لذلك لأنه خالق العالمين.

(٩) يا موسى إنه أنا الله المستحق للعبادة وحدي، الغالب لمن عاداني، الحكيم في تدبير شأن خلقي.

(١) طس تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، هذه آيات القرآن، وكتاب واضح لا لبس فيه.

(٢) هذه الآيات هداية وبشرى للمؤمنين بالفوز في الدنيا والآخرة.

(٣) الذين يؤدون الصلوات الخمس كاملة، بخشوع ويؤدون الزكاة، وهم يوقنون بالحياة الآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب.

(٤) إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، ولا يعملون من أجلها، زين لهم الشيطان أعمالهم الفاسدة فهم حاثرون .

(٥) أولئك الموصوفون بذلك هيأ الله لهم نار جهنم وهم بذلك هم أشد الناس خسارة وندما

(٦) وإنك - أيها الرسول - لتلقى القرآن من عند الله، الحكيم



﴿ وَأَلْقَ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعْقَبُ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَفُؤُومِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ۞

- (١٠) وألقى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان، فلما رآها تتحرك في خفة تحرك الحية السريعة ولسى هاربا ولم يرجع، فقال الله له: يا موسى لا تخف، إني لا يخاف لدي من أرسلتهم.
- (١١) إنما يخافني من ظلم وغير وبدل وعصى بعد توبته، أما من بدل الذنب توبة فإني أقبل توبته وأغفر ذنبه فأنا الغفور لذنوب عبادي، الرحيم بهم.
- (١٢) وأدخل يدك في فتحة ثوبك تخرج بيضاء نقية من غير برص ضمن تسع معجزات بينات، هي اليد، والعصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم؛ لتكون لك برهانا وسلطانا على أنه رسول إلى فرعون وقومه لأنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله.
- (١٣) فلما جاءتهم هذه المعجزات التسع الظاهرة البينة التي يراها من نظر إليها بعين قلبه، قالوا: هذا سحر بين .
- (١٤) وكذبوا بهذه المعجزات التسع الدالة على نبوة موسى عليه السلام مع تيقنهم منها في نفوسهم، وهذا الصنيع ظلم واستكبار عاقبته وخيمة ومن أراد أن يعرف ذلك فلينظر نتائج ذلك على المستكبرين الذي أفسدوا الحق بعلوهم فكان هلاكهم بالغرق.
- (١٥) ولقد آتينا داود وسليمان علما، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا بهذا على كثير من عباده المؤمنين. ومن هذا العلم العمل به وشكر الله عليه وتقدير نعمته وفضله.
- (١٦) وورث سليمان داود في النبوة والعلم والملك، وقال سليمان: يا أيها الناس فهما كلام الطير، وأعطينا من كل شيء تدعو إليه الحاجة، في زماننا، إن هذا الذي أعطانا الله تعالى لهو الفضل الواضح البين.
- (١٧) وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يساقون.
- (١٨) حتى إذا وصلوا وادي النمل قالت نملة حكيمة تحمل هم أمتها: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يقتلنكم سليمان وجنوده، وهم لا يعلمون وهو اعتذار حسن عنهم.

١٨ تسمع النملة عن طريق وجود شعيرات حسية دقيقة على جسمها وخاصة على أرجلها وهي التي تنقل حركة الهواء الى مخ النملة فيترجمها الى اصوات، لذلك سمعت النملة صوت حركة جيش سيدنا سليمان عليه السلام اثناء انحداره من على الجبل الى وادي النمل من على مسافة تقدر بحوالى خمسة كيلومترات فبدأت بتحذير بقية النمل.

تتكلم النملة من اعضاء إصدار الصوت التي توجد على السطح الظهري لبطنها ،و ذلك من خلال السطح الظهري للعقلة الثالثة و الرابعة. عضو إصدار الصوت و الذى يسمى الريشة (pectrum) يوجد على الحافة الخلفية للسطح الظهري للعقلة البطنية الثالثة، وايضا عضو آخر يسمى الملف (file or pars stridents) و الذى يوجد فى منتصف السطح الظهري للعقلة البطنية الرابعة. عندما ترغب النملة ان تتكلم فإنها تحرك الريشة الى اعلى واسفل فى حركات مستمرة على الملف و الذى يتكون من عدد من البروزات الصلبة على جليد النملة و التى تشبه اوتار الآلة الموسيقية و على الرغم من ان بعض اوتار الآلات الموسيقية يصل الى ٦ اوتار فقط فإن اوتار النملة تصل الى اكثر من ٥٠ و ترا ، وعن طريق حركة الريشة على الملف فإن النملة تصدر الأصوات التى تريدها وباللغة التى تريد بها ان تتهاهم مع بقية افراد النمل والصوت الذى اصدرته النملة بهذه الطريقة سمعه سليمان عليه السلام و فهمه مما جعله تبسم ضاحكا من قولها.

﴿ فَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذِبَنَّهُ، عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحَنَّهُ، أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحُطْ بِهِ، وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ بَنِي بَقِيْنٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنِّي أَتَىٰ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوْا مِنْ مُّسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ۝

المستور في السماوات والأرض من المطر والنبات وغير ذلك، ويعلم ما تُسرون وما تظهرون.

(٢٦) الله الذي لا معبود يستحق العبادة سواه، هو رب العرش العظيم.

(٢٧) قال سليمان للهدهد: ستتأمل فيما جئتنا به من الخبر أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين فيه؟

(٢٨) اذهب بكتابي هذا إلى ملكة سبأ وحكومتها فأعطهم إياه، ثم تنح عنهم قليلاً بحيث تسمع كلامهم، فتأمل ما يتردد بينهم من الكلام.

(٢٩) فلما وصل إليها رمى لها الكتاب فأخذته وقالت لملئها ووزرائها إني أتاني كتاب كريم

(٣٠) إنه أي الكتاب من سليمان، وقرأت الكتاب بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣١) ألا تتكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه من الإسلام بل اقبلوه وأذعنوا له.

(٣٢) قالت: يا أيها الأشراف أشيروا عليّ في هذا الأمر العظيم، إذ ما كنت لأفصل في أمر إلا بمشورتكم والسماع إلى رأيكم فيه وفي فعلها للمشورى حكمة في الحكم وسداد في الرأي وأمان من الفرقة والشتات والوصول إلى العقل الجمعي الذي تأمن معه الأمة على نفسها وتحمل مسؤولية قرارها، إذ أن رأي الفرد المستبد برأيه كثيراً ما يوقع الأمم في الفتن والمحن..

(١٩) فتبسم سليمان ضاحكاً من قول النملة وتحذيرها واعتذارها، واستشعر نعمة الله عليه، فقال ربّ ألهمني، ووفقني، أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي، وأن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأدخلني برحمتك في جملة عبادك الصالحين الذين رضيت عنهم.

(٢٠) وتفقد سليمان الطير حاضرها وغائبها، ولم يجد الهدهد، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ هل هو موجود لا أراه أم أنه من الغائبين؟ فظهر بعد البحث أنه غائب فقال:

(٢١) لأعذبه لغيابه دون إذن عذاباً شديداً، أو لأذبحه عقوبة على ما فعل حيث أخل بما سخر له، أو ليأتيني بحجة ظاهرة، فيها عذر لغيبته.

(٢٢) فمكث الهدهد مدة يسيرة ثم رجع فحاسبه سليمان على مغيبه وتخلفه، فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة «سبأ اليمنية» بأمر متيقن.

(٢٣) إني وجدت امرأة تحكم أهل «سبأ»، وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا، ولها سرير ملك عظيم القدر، تجلس عليه لإدارة مملكتها.

(٢٤) وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وحسن لهم الشيطان أعمالهم السيئة وصر فهم بذلك عن الإيمان بالله، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله وتوحيده.

(٢٥) زين لهم الشيطان ما زين لئلا يسجدوا لله الذي يُخرج



﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ أَنْفَرُونَ ﴿٣٦﴾ .

- (٣٣) قالوا: نحن أصحاب قوة في العدد والعدة وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب، والأمر موكول إليك، وأنت صاحبة الرأي، فأمرني بما شئت ونحن سامعون لأمرك مطيعون.
- (٣٤) قالت الملكة مخاطبة ملأها ومحذرة لهم من مواجهة سليمان بالعداوة، ومبيّنة لهم سوء مغبة ذلك: إن الملوك إذا دخلوا فاتحين قرية خربوها وصيروا أعزّة أهلها آذلة، قال الله مصدقا كلامها: وكذلك يفعلون.
- (٣٥) وإني مرسلّة إلى سليمان وقومه بهديّة قيمة نفيسة أجامله بها، ومنتظرة ما يرجع به الرسل من عنده.
- (٣٦) فلما جاء رسول الملكة بالهدية إلى سليمان، ردها مستنكرا متحدثا بنعم الله عليه: أتمدوني بمال؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والأموال الكثيرة وتسخير الإنس والجن والطير أفضل مما أعطاكم، وأنتم تفرحون بالهدية التي تُهدى إليكم - لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا ومكاثرة بها.

٢٥ تشير الآية الكريمة إلى وجود مخبوءات في الأرض والسموات يظهرها الله لمن يشاء ويخفيها عن من يشاء. وإن عدم إحاطتنا بالأشياء لا يعنى عدم وجودها فهناك أشياء كثيرة من حولنا وتعيش معنا ولا نراها كالجن (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) (٢٧) الاعراف . والبكتريا والفيروسات والفطريات لا نراها بأعيننا المجردة والأصابتنا الذعر والرعب والخوف منها وهى التى نستنشقها وتلوث طعامنا وشرابنا وتحيط بنا من كل جانب ، وتم رؤية بعضها تحت الميكروسكوب الضوئى والالكترونى ومخفى عنا منها الكثير ، وكان العالم يستخدم فى القديم الفحم الحجري وكان البترول مخبوءا فى قاع الأرض والبحار والمحيطات. ولم يعرف الإنسان من علوم البحار إلا القليل كاختلافها فى درجة الحرارة والكثافة ونسبة الملوحة وأن مائي البحرين الأجاج منفصلان عن بعضهما بالحاجز المائي، مع السماح باختلاطهما في نفس الوقت لتقارب الاختلاف بينهما، وأما التقاء ماء نهر عذب بماء بحر ملح أجاج نجد صورة أخرى ذكرها الله تعالى فى سورة الفرقان: (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا (٥٣) ، فنرى الحجر المحجور عند منطقة المصب حيث يكون الماء فيها مزيجا بين العذوبة والملوحة ، مما ينشأ عنه فوارق كبيرة في الحرارة والكثافة والضغط المتناضحي مما يجعل منطقة المصب منطقة حجر (حبس) على ما فيها من الكائنات الحية فلا يسمح بخروجها لا إلى البحر ولا إلى النهر . ومن هذه المخبوءات (البحر المسجور) أى الذى تحته نارا شديدة وقد قال النبي ﷺ فيما أخرجه أبو داود والبيهقي في سننهما، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (لا يركب البحر إلا حاج أو معتمر أو غاز في سبيل الله، فإن تحت البحر نارا، وتحت النار بحرا) ووجود النار بين ماءين فى البحار المسجورة لحقيقة علمية لم تكتشف إلا فى أوائل القرن الحادى والعشرين. وتم اكتشاف الصدوع العملاقة والتي تكون فيما بينها ما يعرف باسم أودية الخسف أو الأغوار العميقة التى تحيط بالكرة الأرضية إحاطة كاملة ويخرج منها البراكين. وتكلم القرآن الكريم عن الجبال ووظيفتها (والجبال أوتادا) (النبا ٧) وكانت خفية عن أعيننا حتى القرن التاسع عشر؟ وما اكتشفه علماء الفضاء فى القرن العشرين من مخبوءات السموات إلا كحبة رمل فى صحراء شاسعة متنامية الأطراف ، ومن هذه المخبوءات العديد من المجرات والنجوم والكواكب وإن اكتشاف المجرات والجوارى الكنسى والنجوم الطارقة الثاقبة والأبراج فى السماء وبنائها المحكم ونسيج هذه السماء المحبوك بالمجرات والكواكب والشموس والأقمار ، وبداية تكوين الكون ، واتساع الكون والتقريب السوداء والتي كانت مخبوءة من قبل اكتشافها فى القرن العشرين والحادى والعشرين ، أليس لها دلالات فى كتاب الله عز وجل؟ ولنا أن نتساءل هل نرى الكهرباء إنها موجودة بأثارها مستورة وخفية عن أعيننا ، واكتشاف الموجات اللاسلكية والموجات الكهرومغناطيسية والأشعة السينية وأشعة ألفا وبيتا وجاما والأشعة فوق بنفسجية والأشعة تحت الحمراء واكتشاف الالكترونات والحزم الالكترونية كل هذه الأشياء مستورة وخفية عن أعيننا إلا أن العلم الحديث بين كنهها وطول موجاتها. إن الاكتشافات الحديثة فى علوم الأرض والسموات كانت مخبوءة عن المختصين من العلماء فى أنحاء الكرة الأرضية قبل القرن التاسع عشر والقرن العشرين وبينها الله عز وجل لنبيه والمسلمين قبل اكتشافها بأربعة عشر قرنا من الزمان لدليل صدق على رسالته ﷺ وأن القرآن الكريم وحى من الله العليم الخبير.

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا تَأْتِيَهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَن تَهْتَدِيَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

عرشك؟ قالت: إنه يشبهه. فظهر لسليمان عقلها وصوابها، وعلمت هي قدرة الله وصحة نبوة سليمان عليه السلام، فقال سليمان: وأوتينا العلم بالله وبقدرته من قبلها، وكنا منقادين لأمر الله متبعين للدين الحق دين الاسلام.

(٤٣) وَمَنْعَهَا عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحده من قبل ما كانت تعبده من الأصنام، إنها كانت كافرة ونشأت بين قوم كافرين.

(٤٤) قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي صحن القصر وكان بلاطه من زجاج تحتته ماء، فلما رآته ظنته ماء تتحرك أمواجه، وكشفت عن ساقها لتخوض الماء، فقال لها سليمان: إنه صحن أملس من زجاج صاف والماء تحتته. فأدركت عظمة ملك سليمان، وقالت: رب إنني ظلمت نفسي بما كنت عليه من الشرك، ودخلت مع سليمان في دين الله خاضعة لرب العالمين.

(٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ صَالِحًا وَهُوَ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ وَحَدُوا اللَّهَ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَلَمَّا دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ انْقَسَمُوا فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ آمَنُوا، وَفَرِيقٌ كَفَرُوا، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَى الْحَقِّ.

(٤٦) قَالَ صَالِحٌ لِلْفَرِيقِ الْكَافِرِ: لِمَ تَبَادُرُونَ بِالْكَفْرِ وَعَمَلِ السَّيِّئَاتِ الَّذِي يَجْلِبُ لَكُمْ الْعَذَابَ، وَتَوَخَّرُونَ الْإِيمَانَ وَفَعَلْتُمُ الْحَسَنَاتِ الَّذِي يَجْلِبُ لَكُمْ الثَّوَابَ؟ هَلَا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْكَفْرِ رَجَاءً أَنْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ.

(٣٧) وقال سليمان عليه السلام لهذا السفير ارجع إلى دولة سبأ فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها، ولنخرجهم من أرض سبأ أدلة، إن لم يتقادوا للإسلام مؤمنين.

(٣٨) قال سليمان مخاطبًا جنوده من الجن والإنس: أيكم يأتيني بعرشها ملكها العظيم قبل أن يأتوني طائعين؟

(٣٩) قال ماردي شديد من الجن: أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا، وإني لقوي على حملي، أمين على ما فيه.

(٤٠) قال رجل صالح عنده اسم الله الأعظم: أنا أتيتك بهذا العرش قبل أن ترجع أطراف أجنالك، فأذن له سليمان فدعا الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب، فأتى العرش. فلما رآه سليمان حاضراً لديه ثابتاً عنده قال: هذا من فضل ربي الذي خلقني ومن علي بالرسالة والملك وسخر لي الإنس والجن والطير ليختبرني: أشكره أم أكفره؟ ومن شكر الله على نعمه فإن نفع ذلك يرجع إليه، ومن جحد النعمة وترك الشكر فإن ربي غني عن شكره، كريم يعم بخيره في الدنيا الشاكر والكافر، ثم يحاسبهم ويجازيهم على ذلك في الآخرة.

(٤١) قال سليمان لمن عنده: غيروا سرير ملكها إلى حال تنكره إذا رآته - لنرى أتهتدي إلى معرفته أم تكون من الذين لا ينتبهون لذلك؟

(٤٢) فلما جاءت ملكة «سبأ» إلى سليمان في مجلسه قيل لها: أهكذا

﴿ كما أوضحت إحدى الدراسات أن مساكن النمل قوية، وهو ما يمكن أن يفهم من لفظة «لا يحطمنكم»، فلولا أن مساكن النمل قوية لما احتتمت بها مستعمرة النمل، ونجت من تحطيم جيش سليمان لها. ﴾



﴿ قَالُوا أَطِئْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهَطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرَنًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ يَبُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرَجُوا ءَالَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ۝

فعاقدوا، وارتكبوا ذلك، ظلما منكم وجرأة على الله.

(٥٥) وتلك الفاحشة هي أنهم يأتون الرجال في أدبارهم، محل الغائط، والخبث: ويتركون ما خلق الله لهم، من نكاح النساء، من المحال الطيبة، التي جبلت النفوس على الميل إليها، وذلك بسبب انقلاب فطرهم، باستحسان القبيح، واستقباح الحسن. بل هم قوم يجهلون عظم حق الله عليهم.

(٥٦) فما كان جواب قومه تذكرا، بل قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم وتناسوا حقهم في القرية فلم يعتبروهم مواطنين لسبب واحد غير منطقي هو أنهم أناس يتزهون عن فعل هذه الفاحشة القبيحة فجعلوا القبيح حسنا والحسن قبيحا.

(٥٧) فأنجيناه وأهله من الهلاك وذلك أن الله أمره بالخروج عنهم ففعل وأخرج أهله ليلا إلا امرأته فبقيت لأنها كانت معهم في نقل الأخبار لا في فعل الفاحشة فصبّحهم العذاب.

(٥٨) وأمطرهم بالحجارة المسومة مبالغة في عذابهم فبئس مطر من أذروا وخوفوا بعذاب الله ولم يخافوا وتمادوا في غيهم حتى نزل بهم عذاب الله الأليم.

(٥٩) قل الحمد لله مستحق الحمد والثناء وسلام على عباد الله الذين اختارهم واصطفاهم على العالمين، من الأنبياء والمرسلين، الله خير أم الأصنام والأوثان التي عبدوها من دونه وهي لا تنفع ولا تضر بل الله خير مما يشركون.

(٤٧) فردوا عليه بقولهم: تشاء منا بك وبمن معك ممن دخل في دينك، قال لهم صالح: ما أصابكم الله من خير أو شر فهو مقدر لا أثر للطيرة فيه، بل هو اختبار وامتحان لكم بالسراء والضراء والخير والشر.

(٤٨) وكان في «الحجر» الواقعة في شمال غرب جزيرة العرب - تسعة رجال من قومه قد مردوا على الفساد وعرفوا بالشر والبعد عن الإصلاح.

(٤٩) قال بعضهم لبعض: ليحلف كل واحد منا: لنأتين صالحا وأهله ليلا فنباغتهم وقتلهم جميعا، ثم لنقولن لأولياء الدم من قرابتهم: ما حضرنا قتلهم، وإنا لصادقون فيما قلناه.

(٥٠) ودبر هؤلاء الرهط مكرهم، فأخذهم الله بمكرهم على غرة وهم غافلون ونجى صالحا وقومه.

(٥١) فانظر - أيها الرسول - إلى عاقبة غدرهم بنبي الله صالح وأن الله دمرهم ومن معهم أجمعين.

(٥٢) فتلك مساكنهم خالية منهم بسبب ظلمهم لأنفسهم بالشرك، وتكذيب نبيهم والسعي للمكر به إن في ذلك التدمير والإهلاك لعلامة وعبرة لقوم يعلمون سنن الله في هلاك الظالمين.

(٥٣) وأنجيننا المؤمنين بالله، وكانوا يتقون الشرك بالله، والمعاصي، ويعملون الطاعات.

(٥٤) واذكر - أيها الرسول - لوطا إذ أنكر على قومه الفعلة الشنعاء، التي تستفحشها العقول والفطر السليمة، وتحرمها الشرائع وهم يبصرون ذلك، ويعلمون قبحه،

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُكُمْ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا بُرْهَانَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌّ لَهُمْ فِي شَكِّ مَنَّا ۗ بَلْ هُمْ مَنَّهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ۗ

- (٦٠) أمَّن خلق السموات السبع وما فيها من مخلوقات عظيمة والأرضين السبع وما فيها من بحار وجبال وغيرها وأنزل من أجلكم المطر من السماء فأنبت به الحدائق الجميلة المبهجة للنفوس التي لم يكن لأحد أن ينبت شجرها وثمرها، هل كل هذا يفعله إله آخر تعبدونه من دون الله أم ذلك لا يستطيع فعله إلا الله سبحانه فعلام إذا تعبدون معه غيره وأنتم تعلمون ذلك؟ بل أنتم قوم تشركون بمساواتكم مع الله غيره.
- (٦١) أمَّن جعل الأرض مهياة للحياة يستقر عليها العباد ويتمكنون من السكنى، والحراث، والبناء، والذهاب، والإياب وجعل فيها أنهارا ينتفع بها العباد، في زروعهم وأشجارهم، وشربهم، وشرب دوابهم، وجعل لها الجبال أوتادا تثبتها، لئلا تميد وجعل بين البحرين حاجزا لئلا يختلط المالح بالعذب فتفوت المنفعة المقصودة من كل منهما، هل فعل ذلك إله آخر غير الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون بالله غيره وينسبون فعله لغيره كذبا وزورا.
- (٦٢) هل يجيب المضطر، الذي أفلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب إلا الله وحده؟ وهل يكشف الضر إلا الله وحده؟ ومن يجعلكم خلفاء في الأرض، يمكنكم منها، ويعينكم بالرزق أئله مع الله، يفعل هذه الأفعال كلها أم هو الله وحده؟ لا أحد يفعل ذلك إلا الله قليل تذكركم وتدبركم للأمر، وإلا لأدرتكم ذلك ورجعتم إلى الهدى.
- (٦٣) من الذي يهديكم، حين تكونون في ظلمات البر والبحر، حيث لا وسيلة إلى النجاة إلا هدايته لكم، ومن يرسل الرياح بشارة قبل إنزال المطر فتقوم بإثارته وجمعه وإدراره إله مع الله يفعل ذلك والجواب قطعاً: لا إله يفعل ذلك إلا الله، فتنزه الله وتعالى عما يشركون.
- (٦٤) من الذي يبدأ الخلق من نطفة عبر مراحل دقيقة، وينشئ المخلوقات من العدم، ثم يعيد الخلق يوم البعث والنشور؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض، بالمطر والنبات؟. «أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ» يفعل ذلك، ويقدر عليه؟. قل - أيها الرسول: هَاتُوا حُجَّتَكُمْ ودليلكم على ما قلتم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فالله أقام الحججة على أنه إله خالق رازق محي مميت وطالبهم بالإتيان بحججهم على ما يزعمون من وجود إله آخر.
- (٦٥) قل - أيها الرسول - إن الله هو المتفرد وحده بمعرفة ما غاب في السماوات وفي الأرض، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ومنها علم قيام الساعة فهذه المغيبات اختص الله بعلمها دون خلقه، وإذا كان هو المتفرد بعلم ذلك، المحيط علمه بالسرائر، والبواطن، والخفايا وإذا كان الإنسان لا يعلم الغيب ولا يدري متى يموت ومتى يبعث فعليه أن يعلم ضعفه ونقصه وكمال علم الله وقدرته فيخلص له العبادة وحده دون من سواه.
- (٦٦) بل ضعف علمهم بالآخرة ولم يكن يقينا، بل هم في شك منها. بل هم من حصولها في عمى حيث عميت عنها بصائرهم مما جعلهم ينكرون وقوعها.



٦٠ سبق أن تكلمنا عن نزول الماء من السماء، ونضيف هنا إلى أنه ثبت علمياً بأن المطر من السماء وهو المصدر لكل موارد المياه في الأرض من مياه جوفية ونباييع وأنهار وغير ذلك، فقد اكتشفت هذه الحقيقة عام ١٥٧٠م وقد كانت الفكرة التي كانت سائدة قبل ذلك تقول: إن ماء العيون والأنهار يتفجر من باطن الأرض آتياً إليها من حفر وآبار في قيعان البحار، فسبق القرآن الكريم إلى الحقيقة الثابتة مقررأ أن أصل كل المياه من السماء (المطر).

﴿ حدائق ذات بهجة ﴾: هناك طريقة حديثة جداً لعلاج الاكتئاب، وهي العلاج بالنظر وتأمل ألوان الطبيعة الخضراء، يقول الباحثون: إن النظر إلى الحدائق يثير بهجة في النفوس، وأن التأمل ساعة كل يوم في الشجر والورود وألوانها الذهبية هو طريقة فعالة لعلاج الاكتئاب والإحباط، وكثير من الحالات النفسية المستعصية. وقد أجريت تجارب متعددة بينت أن اللون يؤثر في إقدام المرء أو إحجامه ويشعره بالحرارة أو البرودة، وبالسرور أو الكآبة، ووصل العلماء إلى قرار قاطع بأن اللون الوحيد الذي يجلب السرور داخل النفس والانتعاش في الفكر هو اللون الأخضر والأصفر، ﴿ ما كان لكم أن تثبتوا شجرها ﴾: هذه الآية فيها تحد للبشرية أن يخلقوا حياة ولو نباتية بإرادتهم، وقد شهدت عصور عدة محاولات من فئات مختلفة من الملاحظة أفضت جميعها إلى الفشل، وصدق الله القائل: ﴿ أقمّن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (النحل: ١٧)، وبقيت الحجة البالغة لله سبحانه وتعالى في هذا التحدي.

٦٢ نسبة خلافة البشر إلى الأرض هي نسبة إلى أصل نشأة آدم عليه السلام منها وجميع البشرية استلت من آدم إلى أن تقوم الساعة، والأرض تحتوي علي الماء واليابسة بنسبة ٧٩:٢١ وهذه النسبة أيضا في جسم الإنسان، وبين ربنا عز وجل أن الخلق من الأرض: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٦١) سورة هود، ومن الماء: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴾ (٥٤) سورة الفرقان، ومن التراب: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ (٦٧) سورة غافر، ومن الطين ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (١٢) سورة المؤمنون، ويمر الطين بعدة تغيرات فيكون لازبا ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (١١) سورة الصافات، ويكون حمأ مسنونا وصلصالا كما في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ (٢٦)، وخلق حواء عليها السلام من آدم والذرية منهما وجميعهم من الأرض ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (١) سورة النساء، وبين ربنا عز وجل في آية جامعة على علاقة الإنسان بالأرض ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٥٥) سورة طه. وقال الإمام ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾ أي: يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف. وإذا قارنا بين صفات الطين مع تغيره وصفات الإنسان نجد التطابق التام بينهما مما يدل على الخلق من الأرض فالطين اللزب هو الطين اللزج، وجميع مكونات جسم الإنسان تحتوي على اللزوجة فالدم والمصل والإنزيمات والهرمونات والخلايا على اختلاف أنواعها والنخاع الشوكي والنخاع العظمي وإفرازات العين والأنف والإذن جميعها لزجة. وقوله تعالى: ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ (المؤمنون/١٢)، قال الراغب الأصفهاني أي: من الصفو الذي يسيل من الأرض، وبتحليل جسم الإنسان وجد العلماء أنه يحتوي على أفضل عناصر الأرض، والحما: الطين الأسود المنتن المصور الملمس، وكل هذه المعاني ملازمة للإنسان فهو مصبوب على هيئة صورة وجلده أملس رقيق لا يحتوي على حراشيف كالزواحف والأسماك، ولا على شعر غزير كالحيوانات ولا على ريش كالطيور، ولجسمه رائحة من تعرقه، ومن صفات الفخار أن له مسام ينفذ منها ما بداخله وإذا طرق عليه تسمع له صلصلة أي صوت. وجميع خلايا جسم الإنسان لها مسام على سطحها تساعد على خروج مكوناتها أو دخول الغذاء لبقائها وهكذا نجد العرق والإفرازات الداخلية كالهرمونات والخارجية كالمخاط وشمع الأذن، وإذا تم الطرق على جسم الإنسان حيا أو ميتا تسمع له صلصلة. وعند موته يمر بالمراحل العكسية للخلق فبعد خروج الروح يكون جثة هامدة (وترى الأرض هامدة) ثم تتغير وتتفخ فيسمع له صوتا عند الطرق عليها (صلصال كالنخار) ، ثم إلى رائحة منتنة (حمأ مسنون)، ثم طينا لزجا (طين لازب) ثم يجف الماء وتتحول إلى تراب فإذا ما اختلط تراب الجثة بتراب الأرض لا يستطيع أي إنسان أن يفرق بينهما لأنهما أصل واحد، ثم تحتفظ الأرض بعجب الذنب والذي يكون منه البعث (منه خلق وفيه يركب) وهذا يكون بإنزال الماء على الأرض ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩) سورة فصلت، وهكذا نجد جمال الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴾.



﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءَابَاؤُنَا أَنِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفٌ لَّكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

- (٦٧) وقال الذين كفروا إذا متنا وتحولت أجسادنا ترابا وكذلك من سبقنا من آباءنا فإن إعادتنا للحياة من جديد أمر بعيد بل غير ممكن.
- (٦٨) لَقَدْ وُعِدْنَا بِالْبَعْثِ نَحْنُ وَّآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ مَجِئْنَا لِلدُّنْيَا، ولم نر من ذلك شيئا فهو من حكايات وقصص الأمم الماضية التي تقطع بها الأوقات ولا أصل لها من الصحة.
- (٦٩) قل سيروا في الأرض فانظروا بعين العقل وعين البصر لتروا عاقبة المجرمين فقد أهلكهم الله بسبب كفرهم وتكذيبهم لأنبيائهم.
- (٧٠) ولا تحزن - أيها الرسول - على هؤلاء المكذبين إن لم يؤمنوا، ولا يكن في صدرك حرج بسبب تكذيبهم وما يخططون له من الصد عن دين الله فإنهم لن يعجزوا الله شيئا وستحل عليهم العقوبة.
- (٧١) ولقلة عقولهم وشدة تكذيبهم يقولون: متى وعد العذاب الذي سينزل بهم ويجعلون تحديده دليلا على صدقه جاهلين أن الله أجله بوقت مقدر محدد لا يتأخر.
- (٧٢) قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرَبٌ مِّنْكُمْ، وأوشك أن يقع بكم بعض الذي تستعجلون من العذاب.

٦٤ تشير الآية الكريمة وغيرها من الآيات كما في سورة الإعراف ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٢٩) وفي سورة الروم ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٢٧) إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وتحتاج هذه الآيات إلى مزيد إيضاح فتأتى السنة النبوية المطهرة لتبين لنا كيفية بدأ خلق الإنسان وكيفية إعادته بعد أن تأكل الأرض جسده إلا عظمة صغيرة سماها النبي ﷺ (عجب الذنب) فقال ﷺ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب» رواه البخاري ومسلم. فقد أشار المصطفى ﷺ أنه لا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب فإذا أراد الله بعث الأجساد أنزل عليها مطرا من السماء فینبت الإنسان من بقايا ذلك الشريط الأولى الكامن في عجب الذنب (المنطقة العصبية). وأوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب هو الشريط الأولى Primitive Streak وأن هذا الشريط الأولى هو الذي يتكون إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته وخاصة الجهاز العصبي، ثم يندثر هذا الشريط ولا يبقى منه إلا أثر يسمى (عجب الذنب). وهذا الحديث يبين حقيقة علمية دقيقة لم يكتشفها العلماء إلا في نهاية القرن العشرين حيث تبين أن الشيفرة الوراثية الأولى التي خلق منها الإنسان موجودة في هذا الجزء المتناهي في الصغر، وأن الإنسان بعد موته يبدأ جسمه بالتحلل والتفكك ويفنى الجسد كله باستثناء عجب الذنب. وأن هذا الجزء لا يتأثر بالغليان أو بالمواد الحمضية أو القلوية ولا حتى بالحرق مما يجعله يقاوم الظروف البيئية الصعبة ويبقى في التربة حتى يوم البعث فيركب فيه الخلق مرة أخرى. وهنا تتجلى عظمة البيان النبوي عن هذه الحقيقة العلمية الثابتة. ووجه آخر للإعجاز في هذا الحديث (وفيه يركب) أن هذا الجزء سيكون فيه تركيب الجسد مرة أخرى ولا تأتي (منه يركب) بالمعنى الدقيق الذي تحتويه (وفيه يركب) لأن «من» أما تبعيضية أي من جزء منه وهذا لا يتحقق علميا، أو ابتدائية وقد جاءت في قوله ﷺ (منه خلق)، وأما (فيه يركب) فقد أثبتتها العلماء المتخصصون عندما قاموا بقطع هذا الجزء (الخيوط الأولى والعقدة الأولية) وزرعه في جنين آخر في المراحل الجنينية المبكرة في الأسبوع الثالث والرابع فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة في الجنين المضيف، وقاموا بسحقه وغليه وحرقة وتعرضه لبيئة حمضية أو قلوية ثم زرعه مرة أخرى في جنين مضيف فتما الجنين الثانوي دون أن تتأثر مادته الوراثية بكل هذا العوامل البيئية الصعبة وهذه التجارب التي قام بها العلماء في القرن العشرين تؤكد صدق حديث المصطفى ﷺ، الذي يعتبر سابقة لكافة العلوم المكتسبة بأكثر من ألف وأربعمائة سنة.



﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ .

- (٧٣) وإن الله صاحب الجود والكرم على عباده مما يوجب عليهم شكره ومع هذا فأكثر الناس قد أعرضوا عن الشكر، واشتغلوا بالنعم عن المنعم.
- (٧٤) وإن ربك ليعلم ما تنطوي عليه صدورهم وما يعلنون فليحذروا من عالم السرائر والظواهر، وليراقبوه.
- (٧٥) وما من خفية، في السماء والأرض وسر من أسرار العالم، العلوي والسفلي إلا وهو مدون في اللوح المحفوظ ما كان منه وما ويكون إلى أن تقوم الساعة.
- (٧٦) إن هذا القرآن الكريم يحكي على بني إسرائيل أكثر ما قد وقع عندهم من خلاف واشتباه بتفصيل وبيان يزيد عنهم الشك في أكثر ما كانوا يختلفون فيه من مسائل.
- (٧٧) وإن القرآن هدى يهتدى به ورحمة للمؤمنين فهو وإن كان نفعه عاما إلا إن هدايته مختصة بالمؤمن به.
- (٧٨) إن ربك يفصل بين الناس بقضائه العادل وهو العزيز الذي قهر الخلاق فأذعنوا له، العليم بجميع الأشياء.

٧٥ غَائِبٌ : غَيْرٌ حَاضِرٌ ، غَابَتِ الشَّمْسُ : اخْتَفَتْ وَغَرِبَتْ وَاسْتَتَرَتْ عَنِ الْعَيْنِ . وَقَالَ الْمَفْسُرُونَ مَا مِنْ أَمْرٍ يَغِيبُ عَنِ أَبْصَارِ النَّظَائِرِينَ (الطَّبْرِيُّ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ، وَابْنُ الْقَطَّاعِ) أَوْ غَائِبٌ عَنِ عِلْمِ الْخَلْقِ (سَيِّدُ طَنْطَاوَى) فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ وَإِنَّمَا بَيْنَ رَبِّنَا أَنْ الْكِتَابِ الْمُبِينِ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَجْرِ ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (١) ، وَفِي سُورَةِ النَّمْلِ : ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١) وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ الْمُبِينِ أَنْبَأْنَا رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ كَانَتْ حَاضِرَةً ثُمَّ غَابَتْ عَنِ أَعْيُنِ النَّظَائِرِينَ ثُمَّ تَظْهَرُ مَرَّةً أُخْرَى ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ قَوْمٌ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ شَاهَدَهُمُ النَّاسُ فِي زَمَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤) . وَفِي حَدِيثِ تَمِيمِ الْأَدَارِيِّ (وَهُوَ الْمَشْهُورُ بِحَدِيثِ الْجَسَّاسَةِ) أَنَّهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ قَدِ رَأَوْا الدَّابَّةَ الْأَهْلَبَ وَكَلِمَتَهُمْ وَأَشَارَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا كَهْفًا بِجَوَارِهَا وَفِيهِ الْمَسِيحُ الدَّجَالُ وَقَدْ كَلِمَهُمْ وَسَأَلَهُمْ عَنِ نَخْلِ بَيْسَانَ وَبَحِيرَةِ طَبْرِيَّةَ وَبِعَثَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْكَبِيرَةِ لِقِيَامِ السَّاعَةِ وَأَنَّهَا سَتَعُودُ بَعْدَ غِيَابِهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا . وَفِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ قَدْ أَشَارَتْ الدِّرَاسَاتُ الْحَفْرِيَّةُ وَعِلْمُ الْفِضَاءِ أَنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ كَانَتْ مَرُوجًا وَأَنْهَارًا وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَوْدَتِهَا كَمَا كَانَتْ كَمَا فِي صَحِيحِ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ : الَّذِي يَقُولُ فِيهِ "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مَرُوجًا وَأَنْهَارًا" وَقَدْ أَكَّدَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ تِكْنُولُوجِيَا مَكْوَكِ الْفِضَاءِ الْمُبْتَكِرَةَ قَدْ سَمَحَتْ لَهُمْ بِرِسْمِ خَرَائِطٍ لِأَكْثَرِ مِنْ ١٠ أَلْفِ بَحِيرَةٍ تَتَخَلَّلُ جَمِيعَ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ بِمَا فِي ذَلِكَ صَحْرَاءَ النُّفُودِ الْكَبِيرِ الْقَاحِلَةِ . وَأَكَّدُوا وَجُودَ طَبَقَاتٍ مِنَ الرُّوَاسِبِ الَّتِي خَلْفَتْهَا أَنْهَارٌ قَدِيمَةٌ فِي جَنُوبِ شَرْقِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَهَذَا مُتَّصِلٌ بِمِشَارَةِ مَعِ اكْتِشَافِ بَقَايَا الْفِيلَةِ وَافِرَاسِ النَّهْرِ وَالتَّمَّاسِيحِ وَالرَّخَوِيَّاتِ ، وَأُظْهِرَتِ الصُّورَةُ الْجُويَّةُ لِلْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ مَرَكَبَةِ الْفِضَاءِ كُولُومْبِيَا وَجُودِ مَجْرَى لِنَهْرِ قَدِيمِ عَمَلَاقٍ يَخْتَرِقُ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ نَاحِيَةَ الْكُوَيْتِ . وَكَمْ مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ فَالنُّجُومُ لَهَا دَوْرَةٌ حَيَاةٍ فَهِيَ تُولَدُ وَتَكْبُرُ ثُمَّ تَمُوتُ ، وَتَتَلَاشَى . وَالنُّجُومُ عِنْدَمَا تَتَفَزَّعُ طَاقَتُهُ يَبْدَأُ يَهُوِيٌّ عَلَى نَفْسِهِ ثُمَّ يَتَلَاشَى وَيَمُوتُ حَسَبَ وَزْنِهِ فَالنُّجُومُ الثَّقِيلَةُ جَدَا أَوْ مَا يَعْرِفُ بِالنُّجُومِ الزَّرْقَاءِ الْعَمَلَاقَةُ إِمَّا تَتَفَجَّرُ أَوْ تَتَكَمَّشُ عَلَى نَفْسِهَا مَكُونَةَ النُّجُومِ النِّيْتْرُونِيِّ (النُّجُومِ الطَّارِقِ) تَصْدُرُ عَنْهُ أَشْعَةٌ جَامَا وَهِيَ مِنْ أَقْوَى الْأَشْعَةِ وَأَشْدُّهَا لِمَعَانَا) أَوْ مَكُونَةَ الثَّقَبِ الْأَسْوَدِ (مَقْبَرَةُ النُّجُومِ) وَتَمَكَّنَ الْعُلَمَاءُ مِنْ رِصْدِ تَرَدُّدَاتِ صَوْتِيهِ تَصْدُرُ عَنِ الْغَازَاتِ الْمُحِيطَةِ وَتَمَّ اكْتِشَافُ أَوَّلِ ثَقَبٍ عَامَ ١٩٧١ م . وَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى كَنْسِ كُلِّ مَا يَصَادِفُهَا (الْمَكْنَسَةُ الْفِضَائِيَّةُ) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (١٦) مِنْ سُورَةِ التَّكْوِينِ . وَاكْتِشَفَ بِلُوتُو عَامَ ١٩٣٠ وَكَانَ يُعْتَبَرُ مِنْ كَوَاكِبِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ التَّسْعَةِ . وَلَكِنِ الْإِتِّحَادُ الْفَلَكِيُّ الدُّوَلِيُّ فِي ٢٤ أَوْغُسْتُسَ ٢٠٠٦ م ، وَاعْتَبَرَ بِلُوتُو كَوَكَبًا قَرْمًا ، لِیَصْبِحَ عِدَدُ كَوَاكِبِ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ ثَمَانِيَّةً . وَمَذْنِبَاتُ تَظْهَرُ كُلُّ مِثَّاتِ السَّنِينَ كَمَذْنِبِ هَالِي حَيْثُ يَكُونُ مَرْتَبًا بِوَضُوحٍ بِالْعَيْنِ الْمَجْرُودَةِ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْتَفِي لِمُدَّةِ ٧٥-٧٦ عَامًا ثُمَّ يَعُودُ مَرْتَبًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ . وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَحَدَّثَهَا لِدَلِيلِ صَدَقَ عَلَى رِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ لِسُنَّتِهِ ﷺ .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٧٩) إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آذًا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوهُ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَنفُوسٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي لَأَنْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنَّ عَبَدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ .

بضياته للعمل، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بكمال وحدانية الله ودليل على عظم نعمه السابغة.

(٨٧) ويوم ينفخ الملك في الصور يوم عظيم لما فيه من الكرب والفرح لكل من في السموات والأرض إلا من استثناه الله ممن لا يروعون ولا يخافون لما ثبتهم الله وأمنهم به، وكل جاؤوا إليه صاغرين ذليلين من رؤساء ومرؤسين.

(٨٨) ومن إتقان صنع الله ترى الجبال تحسبها جامدة لا تتحرك وهي تسير كالسحب في السماء من خفتها، ذلك الذي تشاهدونه صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون فيجازيكم بأعمالكم كبيرها وصغيرها.

(٨٩) من أتى بالحسنة فله أكثر منها وأصحاب الحسنات في مآمن من ذلك الفرع والخوف الرهيب بسبب ما قدموا من عمل صالح متقبل.

(٩٠) وأما أصحاب السيئات المكفرة أو من زادت سيئاتهم على حسناتهم فسيكبون على وجوههم في النار جزاء أعمالهم السيئة في الدنيا.

(٩١) إنما أمرني الله أن أعبد رب مكة المكرمة التي جعلها الله محرمة يوم خلق السموات والأرض، وأنعم على أهلها بنعمة الأمن فأوجب تأمين من دخلها وسوى بين أهلها وحجاجها وعمارها من غير أهلها إكراما لوافديها. وله كل شيء «سبحانه من المخلوقات العلوية والسفلية وأمرت أن أكون من المستسلمين لله تعالى.

(٧٩) واعتمد على الله في جلب المصالح ودفع المضار وفي تبليغ الرسالة وإقامة الدين واعلم أنك على الحق البين الواضح.

(٨٠) إنك لا تسمع الموتى حين تدعوهم وتناديهم، وبخاصة إذا ولّوا مُدْبِرِينَ فإن ذلك يكون أبلغ في عدم إسماعهم.

(٨١) وما أنت - أيها الرسول - بهاد عن الضلالة من أعماء الله عن الهدى والرشاد، ولا يمكنك أن تسمع إلا المؤمنين المصدقين بآيات الله فهم مسلمون منقادون.

(٨٢) وإذا وقع على الناس، القول الذي حتمه الله، وفرض وقته أخرجنا لهم عند اقتراب الساعة علامة من علاماتها الكبرى، وهي دابة من الأرض تكلمهم بما يفهمون أن الناس كانوا بآياتنا المنزلة على نبينا لا يصدقون.

(٨٣) ويوم يجمع الله، المكذبين لآياته فيجمع من كل أمة فوجا وطائفة من أولهم وآخرهم في صعيد واحد.

(٨٤) حتى إذا حضروا، قال لهم، موبخا ومقرعا: أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا وَكَانَ الْوَجِبُ التَّوَقُّفُ عَنِ التَّكْذِيبِ حَتَّىٰ يَحْصَلَ الْعِلْمُ، أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ؟ فلا يستطيعون جوابا لأن عملهم لغير الله تعالى.

(٨٥) وحققت عليهم كلمة العذاب بسبب ظلمهم، الذي استمروا عليه، بعد إقامة الحجة عليهم، فهم لا ينطقون لأنهم لا حجة لهم.

(٨٦) ألم يشاهدوا الآية العظيمة، والنعمة الجسيمة، وهي تسخير الله لهم الليل بظلامه للسكن والراحة والنهار



٨٦ سبقت الإشارة إلى آية الليل والنهار في سورة يونس الآية (٦٧).

وقد توصل العلم الحديث إلى أن السكن والنوم يكونان ليلاً وفي أوقات القيلولة فحسب، أما العمل ليلاً والنوم نهاراً لفترات طويلة فإنه يؤدي إلى اضطراب الساعة البيولوجية في جسم الإنسان، مما يسبب له أمراضاً نفسية وعضوية. وكما أثبت العلم الحديث من خلال التجارب العلمية والدراسات المخبرية أن أفضل نوم للإنسان هو نومه بالليل، وبخاصة في الساعات الأولى منه، لأنه يجدد النشاط ويقوي الذاكرة، ويريح أغلب أجهزة الجسم، كما أثبت أن كثرة النوم بالنهار في غير ساعات القيلولة ضار بالصحة، فهو يؤثر على نشاط الدورة الدموية تأثيراً سلبياً، ويتهدد عضلاته بالتعب، كما يتهدد وزنه بالزيادة المفرطة، وجسده بالترهل، نظراً لتراكم الدهون في أجزاء مختلفة منه، كما يؤدي إلى شيء من القلق والتوتر النفسي.

ومن ناحية أخرى أثبت الطب الحديث أن الغدد الصنوبرية التي تقع تحت المهاد تقوم بإنتاج أحد الهرمونات المهمة لحياة الإنسان، ألا وهو هرمون الميلا تونين الذي تفرزه ليلاً، وتتوقف عنه نهاراً، وهذا الهرمون يلعب دوراً مهماً في المحافظة على جسد الإنسان لأنه من مضادات الأكسدة، فيقلل من فرص التعرض لأمراض القلب والشرابين والتقليل من فرص تجلط الدم، ويعمل على المحافظة على الخلايا العصبية وخلايا الدماغ، كما يعمل على تقوية جهاز المناعة بالجسم، ويؤخر ظهور آثار الشيخوخة عليه، ويبدو أن التعرض لضوء النهار يزيد من قدرة الغدد الصنوبرية على إفراز هرمون السيروتونين نهاراً والذي يؤدي إلى زيادة نشاط الجسم وتحسين وظائفه، وعلى إفراز الميلا تونين ليلاً، بينما تعرض الإنسان ليلاً للأضواء الاصطناعية لا يقلل من إنتاج السيروتونين، ويثبط من قدرة الغدة على إفراز الميلا تونين الذي تتناقص معدلات إنتاجه بزيادة شدة الضوء الذي يتعرض له الإنسان، وتزيد تلك المعدلات كلما اشتد الظلام وعليه فإن النوم في الغرف المظلمة تامة أكثر نفعاً للإنسان وعلى اللذين يسهرون ليلاً طويلاً وينامون نهاراً أن يعلموا أنهم يدمرون صحتهم ويخالفون فطرة الله فيهم الذي جعل الليل سكناً والنهار معاشاً.

٨٨ يقرر العلم الحديث حقيقتين لحركة الجبال:

أما الحقيقة الأولى هي أن الجبال ليست ساكنة بل هي متحركة لقوله تعالى «وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ» وهذه هي الحقيقة التي لم يتمكن البشر من اكتشافها إلا بعد مرور ما يقرب من ألف عام من ذكر القرآن الكريم لها. إن اختيار الجبال كمثال للتدليل على حركة الأرض هو اختيار في غاية الحكمة فلوراقب مشاهد حركة الأرض من على ظهر مركبة فضائية فإن الجبال البارزة من سطح الأرض هي وحدها التي تكشف عن حركة الأرض. فالكرة الأرضية منذ نشأتها تدور حول نفسها باستمرار أمام الشمس مرة في كل يوم، وأنها تدور مرة كل سنة حول الشمس، شأنها في ذلك شأن جميع الأجرام السماوية التي تسبح في أفلاكها بانتظام، وعلى ذلك فكل ما على الأرض من جبال وبحار وغلاف جوي كلها تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها ودورتها السنوية حول الشمس. وها هو العلم يثبت أن الأرض تدور بمن عليها من مخلوقات جامدة وحية بنفس السرعة، فلذلك نحسب أن الجبال ثابتة، بينما هي في حقيقتها تدور مع الأرض، ولماذا استخدم الحق سبحانه وتعالى حركة السحب وهو يصف لنا تحرك الجبال؟ لأن السحب ليست ذاتية الحركة.. فهي لا تتحرك من مكان إلى آخر بقدرتها الذاتية.. بل لابد أن تتحرك بقوة تحرك الرياح ولو سكنت الرياح لبقيت السحب في مكانها بلا حركة، وبما أن الجبال موجودة فوق الأرض، فلا توجد قوة تحرك الجبال إلا إذا كانت الأرض تتحرك بسبب الطاقة الحركية منذ نشأتها ومعها الجبال التي فوق سطحها.

وأما الحقيقة الثانية هي أن الجبال تتحرك على سطح الأرض منذ ملايين السنين، وفق ما يعرف بـ (ترحح القارات) أو الانجراف القاري. وهناك ضغوط هائلة تحت الجبال على أعماق مختلفة تتراوح من ٧٠ إلى ١٠٠ كم تحت سطح الأرض وهي طبقة من الصخور الملتهبة واللزجة. فقشرة الأرض ليست ثابتة، والقشرة هي الطبقة الخارجية للأرض، هذه الطبقة وجد العلماء أنها تنقسم لمجموعة ألواح وهذه الألواح تتحرك مع ما عليها من جبال عدة ميليمترات كل عام، ولكننا لا نحس بحركتها ولكن الحسابات والمقاييس الدقيقة ترصد لنا هذه الحركة.

وقوله سبحانه وتعالى في خاتمة الآية (صنع الله الذي أتقن كل شيء) دليل على أنه لا صلة للآية بالقيامه، إذ الصنع يناسب حياتنا الدنيوية، وأما يوم القيامة، فهو يوم إبادة نظام الحياة فالجبال تتساقط وتتلاشى، فلا يناسبه التركيز على إتقان الصنع.

﴿ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۖ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ۝ .

(٩٢) وأمرت أن أبلغ القرآن للناس وأن أتلوه عليهم ليتعلموه ويهتدوا بهديه فهذا الذي سيقوم لكم برهانه ويجلي لكم حجته في آفاق الكون وفي تكوينكم البشري بما تضمنه من عظام الإقان وجلال التكوين جسماً و عقلاً ونفساً وروحاً ومظهراً مكرماً وشكلاً منسقاً بديعاً.

(٩٣) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُعَلِّمُكُمْ آيَاتِهِ عِلْمًا يَدُلُّكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَيُبَعِّدُكُمْ عَنِ الْبَاطِلِ وَلَيْسَ اللَّهُ بِسَاهٍ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَهُوَ عَالِمٌ بِهَا كُلِّهَا وَسَيَجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

٩٣ تشير هذه الآية إلى ما يكشفه الله تعالى لعباده من أسرار هذا الكون سواء في ذلك الظواهر المرصودة أو الحقائق المستترة والأنظمة التي قدرها الله وخفيت على السابقين؛ فصار اكتشاف ذلك كله آيات باهرات إضافية مصدقة برسالة محمد ﷺ ومؤددة على ربانية هذا الكتاب العزيز ولله الحجة البالغة. وفي ثانيا هذه الآية إجابة على ما استشكله بعضهم بخصوص الإعجاز العلمي حيث إن الآية تدل بصراحة على أن ظهور تلك الأسرار الكونية (شاهد الإعجاز العلمي) ستكون في مستقبل الأيام وبتتابع ظهورها مع مرور الزمن حيث جاء اللفظ القرآني: (سيريكم).

سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ۝ .

- (١) ﴿طسم﴾ تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. (٥) ونريد أن نتفضل على الذين استضعفهم فرعون في أرض مصر؛ بإهلاكه، ونصيرهم أئمة للناس في الحق، ونجعلهم يرثون أرض الشام المباركة.
- (٢) هذه آيات القرآن البين.
- (٣) نقرأ عليك من خبر موسى وفرعون بالحق الذي لا شك فيه لقوم يؤمنون؛ إذ هم من ينتفع به.
- (٤) إن فرعون طغى في أرض مصر حتى قال ما علمت لكم من إله غيري، وجعل أهلها طوائف يفرق بينها، يستضعف فريقا منهم، وهم قوم موسى عليه السلام، إنه كان من المفسدين في الأرض بالظلم والظغيان.
- (٦) ونريد أن نمكّن لهم في الأرض فيصبحوا أصحاب سلطانها، ونري فرعون وهامان وجنودهما المعاوين لهما في ملكهما، ما كانوا يخافونه من ذهابه، وانقضائه على يد مولود ذكر من بني إسرائيل.



﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَدِيعِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِهُ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾

أخته وأنها تتفقد خبره.

(١٢) وامتنع موسى بتدبير من الله عن الرضاع من النساء، فلما رأت أخته حرصهم على إرضاعه قالت لهم: هل أرشدكم إلى أهل بيت يقومون بإرضاعه ورعايته، وهم له ناصحون؟

(١٣) فأرجعنا موسى إلى أمه؛ رجاء أن تقرّ عينها برؤيته عن قرب، ولا تحزن لفراقه، ولتعلم أن وعد الله بإرضاعه إليها حق لا شك فيه، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا الوعد، ولا أحد يعلم أنها هي أم موسى.

(١٤) ولما بلغ سن اشتداد البدن، واستحكم في قوته أعطيناها فهماً وعلماً في دين بني إسرائيل قبل نبوته، وكما جزينا موسى على طاعته نجزي المحسنين في كل زمان ومكان.

(١٥) ودخل موسى المدينة في وقت غفلة من الناس، فوجد فيها رجلين يتضاربان، أحدهما من قوم موسى عليه السلام، والآخر من قوم فرعون أعداء موسى، فطلب الذي هو من قومه أن يعينه على الذي هو من أعدائه، فضرب موسى الرجل بقبضة يده، فقتله، قال موسى عليه السلام: ما صنعت من تزوين الشيطان، إن الشيطان عدو مضل لمن اتبعه، ووضح العداوة.

(١٦) قال موسى داعياً ربه مقرّاً بما صدر منه: رب إنني ظلمت نفسي بقتل هذا الرجل، فاغفر لي ذنبي، فغفر الله له، إنه هو الغفور لمن تاب من عباده، الرحيم بهم. فأقر لربه بما فعل وأثنى على الله، ثم دعا.

(٧) وألهمنا أم موسى عليه السلام أن أرضعته حتى إذا خشيت عليه من فرعون وقومه أن يقتلوه فضعته في صندوق، وارميه في نهر النيل، ولا تخافي عليه من الغرق ولا من فرعون، ولا تحزني لفراقه، إننا مرجعوه إليك حياً، ومصيره من رسل الله الذين يبعثهم إلى خلقه.

(٨) فامتثلت ما ألهمناها من وضعه في صندوق، ورميه في النهر، فعثر عليه آل فرعون فأخذوه، ليتحقق ما أراداه الله من أن موسى سيكون عدواً لفرعون يزيل الله ملكه على يده، جالباً لحزنهم، إن فرعون ووزيره هامان وأعوانهما كانوا أئمن بكفرهم وطغيانهم، وإفسادهم في الأرض.

(٩) ولما أراد فرعون قتله قالت له امرأته: هذا الولد مصدر سرور لي ولك، لا تقتلوه لعله ينفعنا بالخدمة، أو نتخذه ولداً بالتبني، وهم لا يعلمون ما سيؤول إليه ملكهم على يده.

(١٠) وأصبح قلب أم موسى عليه السلام خالياً من أي أمر من أمور الدنيا إلا من أمر موسى فلم تعد تصبر، حتى قاربت أن تظهر أنه ولدها من شدة التعلق به، لولا أن ربنا على قلبها بتبنيته، وتصبيرها؛ لتكون من المؤمنين الصابرين على ما يقضي الله به.

(١١) وقالت أم موسى عليه السلام لأخته بعد إلقائها له في النهر: اتبعني أثره لتعرفي ما يفعل به، فأبصرت به عن بعد حتى لا يكشف أمرها، وفرعون وقومه لا يشعرون أنها

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي ائْتَنَصَرَهُ، بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ، قَالَ لَهُ، مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوسَى إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي تَدْعُوكَ لِتَجْزِيَنِي أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِبُ اسْتَعِجْرَهُ ابْنِي خَيْرٌ مَنِ اسْتَعَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

(١٧) رب بسبب ما أنعمت علي به من نعم فلن أكون معيناً (٢٢) ولما توجه موسى إلى جهة مدين قال: عسى ربي أن يرشدني إلى خير طريق، فلا أضل عنها.

(١٨) فأصبح موسى بعد ما صنع في المدينة خائفاً يتربص بما يحدث، فإذا الذي طلب منه العون والنصر على عدوه بالأمس يستعين به على رجل آخر، قال له موسى: إنك لذو غواية وضلال واضح.

(١٩) فلما أن أراد موسى عليه السلام أن يبطش بالذي هو عدو له ولمستغيته، ظن مستغيته أن موسى يريد البطش به هو لما سمعه يقول: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فقال لموسى: أتريد أن تقتلني مثلما قتلت نفساً بالأمس، لا تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض تقتل بغير حق، وما تريد أن تكون ممن يصلحون بين المتخاصمين.

(٢٤) فأشفق عليهما فسقى لهما غنمهما، ثم انصرف إلى الظل، ودعا ربه بالتعريض بافتقاره إليه: رب إنني لما أنزلت إلي من خير محتاج.

(٢٥) ولما انتشر الخبر جاء رجل من أقصى المدينة مسرعاً شفقة على موسى من أعدائه، فقال: يا موسى، إن العلية من قوم فرعون يتشاورون بقتلك فاخرج من البلد، إنني لك من الناصحين شفقة عليك من بأسهم وهذا من تدبير الله لعباده الصالحين المصلحين.

(٢٦) فدعا ربه: رب نجني من القوم الظالمين، فلا يقرّبوني بسوء.

(٢٦) قالت إحدى ابنتيه لأبيها: يا أبت استأجره؛ ليرعى غنمنا، فهو جامع بين القوة والأمانة، فبالقوة والأمانة يؤدي المطلوب في العامل.



﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَّ إِلَى آتَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا نُتَزَّتْ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَى مُدَبِّرًا لَمْ يَعْقِبْ يَمْوِسَّ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمِمَّنْ آتَبَعَكُمَا الْعٰغِلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَعَيْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عٰقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ ۞

- (٢٧) قال أبوهما لموسى عليه السلام: إني أريد أن أزوجه إحدى ابنتي هاتين، على أن يكون مهرها رعي غنمنا ثماني سنين، فإن أكملت عشر سنين فهذا تفضل منك؛ لأن العقد على ثمان سنين فقط، فما فوقها تطوع، وما أريد أن أزمك ما فيه مشقة عليك، ستجدني - إن شاء الله - من الذين يوفون بالعقود، ولا ينقضون العهود.
- (٢٨) قال موسى عليه السلام: ذلك الذي بيني وبينك على ما تعاقدنا عليه، فأى الأجلين عملت لك، فلا تطالبني بزيادة، والله وكيل على ما تعاقدنا عليه، رقيب عليه.
- (٢٩) فلما أكمل موسى أعلى الأجلين، وسار بأهله من مدين أبصر من جانب الطور نارا، قال لأهله: اثبتوا، إني أبصرت نارا، لعلي آتيكم منها بخبر، أو آتيكم بشعلة من النار توقدون بها نارا؛ لعلكم تستدفنون من البرد.
- (٣٠) فلما جاء موسى تلك النار ناداه ربه سبحانه: من جانب الوادي الأيمن في الموقع المبارك من الشجرة أن: يا موسى إني أنا الله رب المخلوقات كلها.
- (٣١) و اطرح عصاك، فطرحها، فلما رآها تتحرك وتضطرب كأنها حية في سرعتها ولى هاربا خوفا منها، ولم يرجع من هربه، فناداه ربه: يا موسى أقبل، ولا تخف منها؛ فإنك من الأمنين منها ومن غيرها.
- (٣٢) أدخل - يا موسى - يدك اليمنى في فتحة قميصك مما يلي الرقبة تخرج بيضاء من غير برص. فأدخلها فخرجت بيضاء واضمم إليك يدك؛ ليسكن خوفك. فضمها إليه فذهب عنه الخوف، فالعصا واليد حجتان من ربك إلى فرعون وعلية قومه، إنهم كانوا قوما خارجين عن طاعة الله.
- (٣٣) قال موسى: إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلوني به إن جتتهم بما أرسلت به.
- (٣٤) وأخي هارون هو أبين مني كلاما فابعثه معي معينا يوافقني في كلامي، إن كذبتني فرعون وقومه، إني أخاف أن يكذبوني فيما جتتهم به.
- (٣٥) قال الله: سنقويك - يا موسى - ببعث أخيك معك رسولا معينا، ونجعل لكما حجة وتأييدا، فلا يصلون إليكما بسوء تكرهانه، بسبب آياتنا التي بعثناك بها أنتما ومن اتبعكما من المؤمنين المنتصرين.
- (٣٦) فلما جاءهم بآياتنا واضحات قالوا: ليس الذي جئت به إلا كذبا مختلقا، وما سمعنا بهذا في آبائنا السابقين.
- (٣٧) وقال موسى مخاطبا فرعون: ربي يعلم الذي جاء بالرشاد من عنده، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، إنه لا يفلح الظالمون لخذلان الله لهم.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النُّكْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ لَفَقَدُوا رَبَّنَا وَلَوْلَا أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ ۞

كنت من الحاضرين فتعلم خبر ذلك وتقصه على الناس، فما تخبرهم به وحي من الله، لا اختلاق ولا سحر.

(٤٥) ولكننا أنشأنا أمة من بعد موسى، فتباعد عليهم الزمن فقتست قلوبهم، ولذلك حذر الله المؤمنين من هذه الأمة من قسوة القلوب بسبب تطاول الأمد، وما كنت مقيماً في أهل مدين تقرأ عليهم آياتنا، ولكننا أرسلناك، فأوحينا إليك خبر موسى وإقامته في مدين، ولولا ذلك ما علمت ما أخبرناك به.

(٤٦) وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى، ولكن أرسلناك رحمة من ربك للناس، فأوحينا إليك خبر ذلك؛ لتنذر قوماً ما جاءهم رسول من قبلك ينذرهم؛ لعلهم يتعظون، فيؤمنون.

(٤٧) ولولا أن يقع عليهم عقاب بكفرهم به، فيقولوا محتجين بعدم بعث رسول إليهم: هلا بعثت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونعمل بها، ونكون من المؤمنين، لولا ذلك لعجلنا لهم العقاب، لكننا أخرناه عنهم حتى نقطع عذرهم ببعث رسول إليهم قبل العذاب.

(٤٨) فلما جاء قريشاً محمد بالرسالة من ربه سألوا يهود عنه فلقنوهم أن يقولوا: هلا أعطي محمد مثل ما أعطي موسى من الآيات الدالة على أنه رسول من ربه؛ كاليد والعصا، أمر رسوله أن يرد عليهم: ألم يكفر اليهود بما أعطي موسى من قبل، وقالوا في التوراة والقرآن: إنهما سحران يعضد أحدهما الآخر، وقالوا: إنا بكل منهما كافرون؟!

(٣٨) وقال فرعون: يا أيها الملأ ما علمت لكم من معبود غيري، فأشعل لي يا هامان على الطين حتى يشتد فابن لي به بناءً عالياً؛ لعلني أنظر إلى معبود موسى، وإني لأظن أن موسى كاذب فيما يدعيه أنه مرسل من الله.

(٣٩) واشتد تكبر فرعون وجنوده واستعملوا في أرض مصر بغير حق، وأنكروا البعث، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون يوم القيامة للجزاء.

(٤٠) فأخذناه هو وجنوده فطرحناهم في البحر فغرقوا حتى هلكوا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كانت نهاية الظالمين، فقد كانت سيئة.

(٤١) وجعلناهم قدوة للطغاة والضلال يدعون إلى النار بما يبتون من كفر وضلال، ويوم القيامة لا ينصرون بإنجائهم من العذاب.

(٤٢) وأتبعناهم في هذه الدنيا خزيًا وطردًا، ويوم القيامة هم من المذمومين المبغدين عن رحمة الله.

(٤٣) ولقد أعطينا موسى التوراة من بعد ما أرسلنا إلى الأمم السابقة رسلاً فكذبوا رسلاًهم، فأهلكناهم؛ لتكذيبهم إياهم، في التوراة ما يُبصر الناس بما ينفعهم، وبما يضرهم، وفيها إرشادهم إلى الخير، ورحمة؛ رجاء أن يتذكروا نعم الله عليهم فيشكروه ويؤمنوا به.

(٤٤) وما كنت - أيها الرسول - حاضراً بجانب الجبل الغربي حين أنهيته إلى موسى الأمر ببعثه إلى فرعون وملئه، وما



﴿ قُلْ فَاتَّقُوا كِتَابَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمْنًا بِهَذَا إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّبَّحِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نَنخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَأَمْنًا يَجِيءُ إِلَيْهِ نَمُرُّ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَأَيَّتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

أعمالنا، ولكم جزاء أعمالكم، سلمتم منا من الشتم والأذى، لا نبتغي مصاحبة أصحاب الجهل لضررهم.

(٥٦) إنك - أيها الرسول - لا تهدي من أحببت بأن توفقه للإيمان، ولكن الله هو الذي يوفق للهداية من شاء، وهو أعلم بمن قدر أنه من المهتدين إلى الصراط المستقيم.

(٥٧) وقال المشركون من أهل مكة معتردين عن اتباع الإسلام: إن نتبع هذا الإسلام ننتزع من أرضنا بسرعة، أولم نمكن لهم حرماً لا يجوز فيه سفك الدماء ولا الظلم، يأمنون فيه على أنفسهم من غيرهم، تجلب إليه ثمار كل شيء رزقاً من لدنا؟! ولكن معظمهم لا يعلمون ما أنعم الله به عليهم فكفروا نعمه.

(٥٨) وما أكثر القرى التي كفرت نعمة الله عليها فأسرفت في المعاصي! فبعثنا عليها عذاباً فأهلكناها به، فتلك مساكنهم مندثرة يمرّ الناس عليها لم تسكن من بعدهم إلا زمناً يسيراً من بعض المارّين، وكنا نحن الوارثين الذين نرث السماوات والأرض ومن فيهما.

(٥٩) ولم يكن ربك - أيها الرسول - مهلك القرى حتى يعذر إلى أهلها ببعث رسول في القرية الكبرى منها كما بعثك أنت في أم القرى، وهي مكة، وما كنا؛ لنهلك أهل القرى وهم مستقيمون على الحق، فلا نهلكهم إلا إذا ظلموا بالكفر والمعاصي.

(٤٩) وأمره أن يقول لهم: جيئوا بكتاب منزل من عند الله أهدى سبيلاً من التوراة والقرآن، فإن أتيتم به أتبعه إن كنتم صادقين في ادّعاءكم أن التوراة والقرآن سحران.

(٥٠) فإن لم تستجب قريش لما دعوتهم إليه من ذلك فاعلم أن تكذيبهم بهما ليس عن دليل، بل عن هوى، ولا أحد أضلّ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله سبحانه، إن الله لا يوفق للهداية القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

(٥١) ولقد وصلنا للمشركين واليهود من بني إسرائيل القول بقصص السابقين، وما أصابهم حين كذبوا رسلهم؛ رجاء أن يتعظوا بذلك فيؤمنوا فلا يصيبهم ما أصابهم.

(٥٢) الذين ثبتوا على الإيمان بالتوراة من قبل نزول القرآن هم بالقرآن يؤمنون لعلمهم بالإخبار به ونعته في كتبهم.

(٥٣) وإذا يقرأ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق الذي لا شك فيه، المنزل من ربنا، إنا كنا من قبل القرآن مسلمين؛ لإيماننا بما جاءت به الرسل قبله.

(٥٤) أولئك المذكورون يعطيهم الله ثواب عملهم مرتين بصبرهم على الإيمان بكتابهم، وبإيمانهم بمحمد ﷺ حين بعث، ويدفعون بحسنات أعمالهم ما عملوه من الإثم، ومما رزقناهم ينفقون في وجوه البرّ.

(٥٥) وإذا سمع هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب الباطل من القول أعرضوا عنه، وقالوا مخاطبين المبطلين: لنا جزاء

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَّا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهٍ كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ فيقولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فلمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ ينادِيهِمْ فيقولُ ماذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَدَقَاتٍ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

- (٦٠) وما أعطاكم ربكم من شيء فهو مما تتمتعون به وتزينون في الدنيا ثم ينقضي، وما عند الله من ثواب في الآخرة خير وأبقى مما في الدنيا من متاع وزينة زائلين، أفلا تعقلون ذلك، فتؤثروا الباقي على الفاني؟! (٦١) أفمن وعدناه في الآخرة الجنة كمن أعطيناه ما يتمتع به من مال وزينة في الدنيا، ثم يكون يوم القيامة من المحضرين إلى العذاب؟! (٦٢) ويوم يناديهم الله سبحانه: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم وتزعمون أنهم شركائي؟ (٦٣) قال الذين وجب عليهم العذاب من المتوعين في الكفر: ربنا هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا، تنبراً إليك منهم، ما كانوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين. (٦٤) وقيل لهم: نادوا شركاءكم؛ لينقذوكم من الخزي، فنادوهم فلم يستجيبوا لندائهم، وشاهدوا العذاب المهيباً لهم، فتمنوا لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق. (٦٥) ويوم يناديهم الله: ماذا أجبتهم الذين أرسلتكم إليكم؟ (٦٦) فخفي عليهم ما يحتجون به، فلم يذكروا شيئاً، ولا يسأل بعضهم بعضاً لما أيقنوا أنهم معذبون.
- (٦٧) فأما من تاب منهم من كفره وآمن بالله ورسوله، وعمل عملاً صالحاً؛ فعسى أن يكون من المفلحين.
- (٦٨) وربك - أيها الرسول - يخلق ما يشاء، ويصطفى من يشاء، ليس للمشركين الاختيار حتى يعترضوا على الله، تنزهه سبحانه وتقدس عما يعبدون معه من الشركاء.
- (٦٩) وربك يعلم ما تخفي صدورهم وما يعلنونه، لا يخفى عليه شيء من ذلك.
- (٧٠) وهو الله سبحانه لا معبود بحق غير، له وحده الحمد في الدنيا، وله الحمد في الآخرة، وله القضاء النافذ الذي لا مرد له، وإليه وحده ترجعون يوم القيامة للجزاء.
- (٧١) يأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: أخبروني إن صير الله عليكم الليل متواصلاً إلى يوم القيامة، من معبود بحق غير الله يأتيكم بضياء؟! أفلا تسمعون هذه الحجج، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم به؟! (٧٢) وأن يقول لهم: أخبروني إن صير الله عليكم النهار مستمراً إلى يوم القيامة، من معبود بحق غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه؛ لتستريحوا؟! أفلا تبصرون هذه الآيات، وتعلمون أن لا إله إلا الله يأتيكم به؟! (٧٢)

٥٩ تشير الآية الكريمة الى احدى السنن الاجتماعية في علم العمران والاجتماع البشري، ألا وهي أن اهلاك القرى والأمصاير مرتبط بالظلم وعدم اقامة العدل، وهو ما أشار اليه ابن خلدون في مقدمته بقوله: «أن الظلم مؤذن بخراب العمران».



﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ. وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٧٣) وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قُرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِكْ نِصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

(٧٣) ومن رحمته بكم أن جعل لكم الليل مظلمًا؛ لتسكنوا فيه بعد الكدح في النهار، وجعل لكم النهار مضيئًا؛ لتسعوا إلى طلب الرزق فيه، ولعلكم تشكرون نعم الله عليكم.

(٧٤) ويوم يناديهم الله: أين شركائي الذين كنتم تعبدونهم، وتزعمون أنهم شركائي؟

(٧٥) وأحضرنا من كل أمة نبيها شاهدا عليها بما عملت، كقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٤١ النساء) فقلنا للمكذبين من تلك الأمم: أعطوا حججكم وأدلتكم على كفركم وتكذيبكم، فانقطع حججهم وأيقنوا أن الحق الذي لا شك فيه لله، وغاب عنهم ما كانوا يزعمونه من الشركاء له سبحانه.

(٧٦) إن قارون كان من قوم موسى عليه السلام فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح الفرح المذموم، إن الله لا يحب الفرحين الفرح المذموم.

(٧٧) واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا، فكل واشرب والبس من غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن مع ربك ومع عباده كما أحسن هو إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بالبطر والمعاصي، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض، بل يبغضهم.

(٧٨) قال قارون: إنما أعطيت هذه الأموال لعلم عندي. أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هم أشد قوة وأكثر جمعًا للمال؟! فما نفعهم شيء من ذلك، ولا يسأل في مشهد من مشاهد يوم القيامة المجرمون عن ذنوبهم لعلم الله بها. ويسألون في مشهد آخر ولقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢٤ الصافات).

(٧٩) فخرج قارون في زينته، قال الذين يطمعون في زينة الحياة الدنيا من أصحابه: يا ليتنا أعطينا من زينة الدنيا مثل ما أعطي قارون، إن قارون لذو نصيب عظيم.

٧١ كشف علم الفلك اليوم أن تبادل الليل والنهار على كوكب الأرض نعمة عظيمة على الإنسان، فيتم التحكم في درجات الحرارة والرطوبة وكميات الضوء اللازمة للحياة والعمليات الحيوية مثل التنفس والنتح والايض وغيرها، كما يتم ضبط التركيب الكيميائي للغلاف السماوي المحيط بالأرض وتتم به دورة المياه بين الأرض والسماء وغيرها من الظواهر التي لا يمكن للحياة أن تكون صالحة من دونها. والكائنات الحية تحتاج إلى الراحة بالليل واستعادة نشاطها بالنهار. وإمكانية سرمدية الليل والنهار موجودة في بعض الكواكب التي لا حياة فيها، حيث يكون نصفها نهارا سرمديا مواجهًا للشمس والنصف الآخر ليلا سرمديا. وإمكانية حدوث هذا في الأرض ممكن لولا إمتنان الله علينا بنعمة تبادل الليل والنهار لاستمرار الحياة على الأرض وختم الله آية الليل بقوله (أَفَلَا تَسْمَعُونَ)، وفي النهار: (أَفَلَا تَبْصُرُونَ)؛ لأن سلطان السمع أبلغ في الليل من سلطان البصر.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِءَ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآتُهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

الحسنة حيث تضاعف له إلى عشر أمثالها، ومن جاء يوم القيامة بالسيئة، فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثل ما عملوا دون زيادة.

(٨٥) يخبر الله نبيه بأن الله الذي أنزل عليه الكتاب سيرجه في حياته إلى مكة وسيرجه بعد موته هو وغيره إلى حياة أخرى. ثم يأمر رسوله أن يقول للمعاندین من قومه: ربي أعلم من جاء بالهدى وهو أنا، ومن هو في ضلال عن الحق وهو أنتم أيها المعاندون.

(٨٦) ثم يخاطب رسوله: وما كنت - أيها الرسول - تتحرى أن ينزل الله عليك القرآن، فما أنزله الله عليك إلا رحمة بك، وبالناس فلا تكونن معينا للكافرين، بل اشكر الله على فضله العظيم.

(٨٧) ولا يصدنك هؤلاء الكفار عن آيات الله بعد أن أنزلها الله عليك، وادع الناس إلى ربك ووحده، ولا تكن ممن يشركون معه غيره.

(٨٨) ولا تعبد مع الله معبودا غيره فلا معبود بحق سواه سبحانه كل شيء إلا وجهه سبحانه فهو باق، وله وحده الحكم في الدنيا والآخرة وإليه ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.

(٨٠) وقال الذين أعطوا العلم حين شاهدهوه في زينته وسمعوا أمنية أصحابه: ويلكم! ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن به وعمل عملاً صالحاً مما أعطي قارون من زينة الدنيا، ولا يوفق لقول هذه الكلمة والعمل بها إلا الصابرون الذين يصبرون على إظهار الباقي من ثواب الله على الفاني من متاع الدنيا.

(٨١) فخسفنا الأرض به وبداره؛ انتقاماً منه على بغيه، كقوله: ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ .. (٤٠ - العنكبوت) فما كان له من جماعة ينصرونه من دون الله، وما كان من المنتصرين بنفسه.

(٨٢) وأصبح الذين تمنوا ما كان فيه قبل الخسف به يقولون متحسرين: ألم نعلم أن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم؟! لولا أن مَنَّ الله علينا فلم يعاقبنا لخسف بنا مثل ما خسف بقارون، إنه لا يفوز الكافرون، بل يخسرون.

(٨٣) تلك الدار الآخرة نجعلها دار تكريم للذين لا يريدون تكبراً في الأرض مثل فرعون، ولا فساداً فيها، والعاقبة المحمودة للمتقين لربهم بامثال أوامره واجتناب نواهي.

(٨٤) من جاء بالحسنة يوم القيامة، فله جزاء خير من تلك

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ١ ﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ءَعْلَمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايِهِمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٢﴾

- (١) الم القول فيها هو ما تقدم في سورة البقرة.
- (٢) أظنَّ الناس أن يتركوا بعد إيمانهم دون اختبار يثبت صدق إيمانهم، ليس الأمر كما تصوروا سيختبرون.
- (٣) والابتلاء سنة إلهية فقد ابتلينا الأمم السابقة بالبأساء والضراء فليظهروا الله علم حالهم للناس، فيعلم الصادق في دعواه، والكاذب فيها.
- (٤) بل أظنَّ الذين يتركبون فعل السيئات أن يفوتوا عقابنا؟ بشس حكمهم هذا.
- (٥) من كان يرجو ثواب الله فليصبر في الدنيا، على طاعة الله حتى يلقاه، فيجازيه فإن لقاء الله قريب، وكل ما هو آت قريب وهو السميع لأقوالكم، العليم بأفعالكم.
- (٦) ومن جاهد نفسه في طاعة الله، فنفج جهاده عائد إليه فالله لا ينتفع بجهاده، وهو سبحانه غني عن المخلوقات كلها. والمخلوقات مفتقرة إليه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥- فاطر).
- (٧) ومع غناه عن طاعة عباده يعد الذين آمنوا به وعملوا الأعمال الصالحة أن يكفر عنهم سيئاتهم وأن يجازيهم ثواب أحسن الذي كانوا يعملون من الطاعات.
- (٨) يخبر الله أنه وصى الإنسان بوالديه أن يحسن إليهما، الأم للإشفاق والأب للإنفاق وإن جاهداه على أن يعصي الله فلا يعصه؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إلي وحدي مرجعكم - أيها العباد - فأخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا وأجازيكم به.
- (٩) والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة لندخلهم يوم القيامة في الصالحين فنبعثهم في زمرةهم ونجازيهم جزاءهم.
- (١٠) ومن الناس من يقول: آمنا بالله فإذا عذبه الكفار على إيمانه جعل عذابهم له كعذاب الله فارتد؛ موافقة للكفار، ولئن حصل نصر من ربك للمؤمنين ليقولنَّ: إنا كنا معكم - أيها المؤمنون - على الإيمان أو ليس الله بأعلم بما صدور الناس، لا يخفى عليه ما فيها من الكفر والإيمان.
- (١١) وليعلمنَّ الله علما يظهر للناس الذين آمنوا به حقا وليعلمن المنافقين الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان.
- (١٢) وقال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا وسنحمل نحن عنكم ذنوبكم، فلا تعاقبون بها وليسوا بحاملين شيئا من ذنوبهم وإنهم لكاذبون في دعواهم هذه.

﴿ وَيَحْمِلُونَ أثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسَّ لَنَّا أَنْ تَقُولَ لَئِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ إِلَّا الْإِلَهَ الَّذِي كَفَرْنَا بِهِ حَمَلَآءَ أُنثَىٰ وَلَئِنَّا لَنَعْبُدُونَ إِلَّا إِلَهًا وَاحِدًا كَمَا كُنَّا نُعْبُدُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَجْنَحْنَاهُ وَاصْحَبْنَا السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ هَبْنَا قُرَيْشًا مِّنَ الْكَافِرِينَ أَتَقُوهُ وَاللَّهُ يَأْتِيهِمْ أَلْفَافًا كَثِيرَةً وَلِئِن لَّمْ يَظُنُّوا أَنَّ اللَّهَ يُبْعِدُهُمْ فَلَا يَظُنُّ الْكَافِرُونَ خَيْرًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا قُلْ الْيَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ آيَةً إِنَّ إِلَهنا أَوْثَقُ مِنَ اللَّهِ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٩﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي وَأَلْبَسُوا عِبْرَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢٢﴾ ۝

ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

(١٣) وليحملن هؤلاء الداعون إلى باطلهم ذنوبهم وليحملن ذنوب من اتبع دعوتهم دون أن ينقص من ذنوب التابعين لهم شيء لبقوله ﷺ: « وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مَنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مَنْ أَوْزَارَهُمْ شَيْءٌ » رواه مسلم. وليسألن يوم القيامة عما كانوا يخلقونه في الدنيا من الأكاذيب.

(١٤) ولقد بعثنا نوحا رسولا إلى قومه، فمكث فيهم تسعمائة وخمسين عاما يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه وتمادوا على كفرهم فأخذهم الطوفان وهم ظالمون بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله فهلكوا بالغرق.

(١٥) ثم يذكر الله نهاية قصة نوح عليه السلام، فيخبر أنه نجى نوحا ومن معه من المؤمنين في السفينة من الهلاك بالغرق وجعل السفينة أو القصة عبرة للناس يعتبرون بها.

(١٦) ويذكر الله نبيه بقصة إبراهيم عليه السلام حين قال لقومه: اعبدوا الله وحده واتقوا عقابه بطاعته، والبعث عن معصيته ذلكم المأمور به من توحيد الله وطاعته خير لكم إن كنتم تعلمون.

(١٧) ويخاطب الله المشركين مذكرا إياهم بأنهم إنما يعبدون أصناما لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ويخلقون الكذب حين يزعمون أنها تستحق العبادة، إن الذين تعبدونهم - أيها المشركون - من دون الله لا يملكون لكم رزقا فيرزقونكم، فاطلبوا عند الله وحده الرزق، فهو مالكة، وعبدوه وحده واشكروا له ما أنعم به عليكم، إليه وحده، لا إلى أصنامكم

(١٨) ويواصل خطابهم: وإن تكذبوا بما جاء به رسولكم فقد كذبت أمم من قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود وما على الرسول إلا البلاغ الواضح وقد بلغكم ما أمره ربه بتبليغه تبليغا لا لبس فيه، ويستنكر عليهم تكذيبهم بالبعث وهم يرون كيف يخلق الله الخلق ابتداء ثم يعيده بعد فئاته إن الخلق والإعادة على الله سهل فهو قادر، لا يعجزه شيء.

(١٩) ثم يأمر الله نبيه أن يأمر المكذبين بالبعث بالسير في الأرض؛ ليشاهدوا كيف بدأ الله خلق الأشياء ثم الله الذي خلق الأشياء أول مرة يعيدها مرة أخرى، إن الله على إنشاء جميع خلقه بعد إفئاته كهيئته قبل فئاته، وعلى غير ذلك قادر لا يعجزه شيء.

(٢٠) قل - أيها الرسول - لمنكري البعث بعد الممات: سيروا في الأرض، فانظروا كيف أنشأ الله الخلق، ولم يتعذر عليه إنشاؤه مبتدأ؟ فكذلك لا يتعذر عليه إعادة إنشائه النشأة الآخرة. إن الله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء أراد.

(٢١) يعذب من يشاء من خلقه بعدله ويرحم من يشاء منهم بفضله وإليه وحده ترجعون يوم القيامة.

(٢٢) ويخاطب الله المكذبين فيذكرهم بأنهم ليسوا بفاتنين ربهم ولا ناجين من عقابه في الأرض، ولا في السماء وليس لهم من دون الله ولي يتولى أمرهم وليس لهم من دون الله نصير يرفع عنهم عذابه.



﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُؤُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢٣) ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٢٥) ﴿ فَأَمَّا لَوْ لَئِن لُوطُ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢٦) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٧) ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأنتونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٨) ﴿

عَدُوًّا إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿ ومقرمكم النار وليس لكم من ناصرين
من أصنامكم أو غيرها يمنعونكم من عذاب الله.

(٢٦) فصدقه لوط عليه السلام وقال: إني مهاجر إلى ربي
إلى أرض الشام المباركة إنه هو العزيز في ملكه الذي لا
يغالب ولا يذل من هاجر إليه، الحكيم في تدبيره وصنعه.

(٢٧) ووهبنا لإبراهيم إسحاق وابنه يعقوب وصيرنا في أولاده
النبوّة والكتب المنزلة وأعطيناها الثناء الحسن في الدنيا وإنه
في الآخرة لمن ضمن الصالحين فينال جزاءهم.

(٢٨) ويأمر الله نبيه أن يذكر قصة لوط حين قال لقومه: إنكم
لتأتون الفاحشة ما سبقكم إليها أحد من العالمين قبلكم فأتتم
مبتدعو هذا الذنب القبيح الذي تأنف منه الفطر السليمة.

(٢٣) والذين كفروا بآيات الله سبحانه وبلقائه يوم القيامة
أولئك قنطوا من رحمتي فلن يدخلوا الجنة أبداً لكفرهم
وأولئك لهم عذاب موجه ينتظرهم في الآخرة.

(٢٤) يخبر الله عن جواب قوم إبراهيم فيقول: فما كان جواب
قومه بعدما أمرهم به من عبادة الله وحده وترك عبادة
غيره من الأوثان إلا أن قالوا: اقتلوه أو ارموه في النار
انتصاراً لألهتكم فسلمه الله من النار إن في تسليمه من النار
بعد رميه فيها لعبرا لقوم يؤمنون، فهم المنتفعون بالعبر.

(٢٥) وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: إنما اتخذتم أصناماً آلهة
تعبدونها للتعرف والتواد على عبادتها في الدنيا ثم يوم
القيامة ينقطع ذلك التواد، فيتبرأ بعضكم من بعض،
ويلعن بعضكم بعضاً ﴿ الأخلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

٢٠ تؤكد الآية الكريمة على ضرورة أن نسير في الأرض وننظر ونتأمل من حولنا وندرس ما حولنا من أجل اكتشاف «كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» ومثل هذه الآيات كانت سبباً في تحفيز علمائنا قديماً لاكتشاف الكثير من العلوم وهذا ما ساهم في دفع عجلة العلم ولذلك كان لعلماء المسلمين الفضل في كثير من العلوم، التي أخذها عنهم علماء أوروبا واستفادوا منها وقاموا بتطويرها. وبدراسة كل طبقة من طبقات الصخور نجد أنها تحدثنا عن بداية التكوينات وأصل كل تكوين وبالتالي يستطيع علماء الجيولوجيا باستخدام النظائر المشعة بتقدير عمر التكوينات الصخرية. كذلك استفاد العلماء من دراسة بعض النيازك الصغيرة التي سقطت على الأرض وحللوها فوجدوا في كل جزء من أجزائها سجلاً حافلاً بالمعلومات، استطاعوا بواسطته معرفة حالة الكون قبل أربعة آلاف مليون سنة! وهذا ما تحدث عنه القرآن في زمن كان الاعتقاد السائد بأولية الكون. كما تؤكد الدراسات الجيولوجية للحفريات في طبقات الأرض للعصر الكامبري أي قبل حوالي ٦٠٠ مليون سنة ظهرت فجاه ولأول مره معظم مجموعة اللاقاريات الأساسية وقد عثر عليها في شكل كامل ومتطور (بعيون مركبة مثلاً وليست بسيطة) فيما يعرف بطبقة الصخور الكامبرية. وقد اعترف ريتشارد دوكنز أشهر دعاة التطور في العصر الحديث على مضض أن هذا الانفجار الكامبري هو ضربة قاتلة لنظرية دارون المسماة « بنظرية النشوء والارتقاء» في كتابه أصل الأنواع وتواجد هذه الأنواع مستمر حتى وقتنا هذا.

إن الدعوة التي أطلقها القرآن قبل أربعة عشر قرناً والتي تؤكد أن سر بداية الخلق موجود في الأرض، حيث أمر الله تعالى بأن نسير في الأرض وننظر ونتأمل ونبحث في نشوء الحياة وكيف بدأ الخلق، لنستيقن بأن الله هو الحق وأنه قادر على إعادة الخلق يوم القيامة، يقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (العنكبوت: ٢٠). ولنزداد يقيناً بلقاء الله تعالى فهو القائل: ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ صدق الله العظيم.

﴿ أَيُنْكُمُ لِلتَّائِبِينَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لِوَطْءٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمِهِمْ فَذَعَا قَوْمَهُ لِيُخْفُوا فِي بُيُوتِهِمْ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا نُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتُكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا نَمُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجَالًا مِّنَ السَّمَاءِ يَمَسُّوهُم بِأَبْصَارِهِمْ لِيَنْجِبُوهُمْ وَأَمْ لَأُنزِلَنَّاهُمْ مِنَ السَّمَاءِ فَتَجْعَلُونَ أَهْلَهُمُ اثْقَالًا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ إِذْ يَسْتَنْصِفُونَ قَالُوا إِنَّا نَخَافُ أَن يُنزلَ عَلَيْنَا سَحَابًا مِّنَ الْمَاءِ أَوْ مِرَالًا كَمَا نَزَّلْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ السَّمْوِ فَكُنَّا فِيهَا كَالْعِجَالِ الْغَابِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِثْلَهَا فِي آيَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ يُعْرَفُ الَّذِينَ كَذَبُوا فَكَذَّبُوا وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَوَجَدْنَا عَلَيْهِمُ الرِّجَالَ فَكَبَرُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ عَلَيْنَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَوَجَدْنَا عَلَيْهِمُ الرِّجَالَ فَكَبَرُوا ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴿٣٧﴾ ۞

(٢٩) أنكم - يا قوم - لتأتون الذكران في أدبارهم لقضاء

شهووتكم وتقطعون الطريق على المسافرين، فلا يبرون بكم خشية ما ترتكبونه من الفاحشة وتأتون في مجالسكم الأفعال المنكرة كالعري وإيذاء من يمر بكم بالقول والفعل ويخبر الله عن جواب قومه فيبين أنه ما كان جوابهم له بعد نهيهم عن فعل المنكرات إلا أن قالوا له في تعنت: اتنا بعذاب الله الذي توعدنا به إن كنت صادقاً فيما تدعيه.

(٣٠) ولما أتت الملائكة لوطاً ساءه وأحزنه أن جاءوا خوفاً عليهم من خبث قومه لظنه إيأهم رجلاً من البشر وقومه يأتون الرجال شهوة من دون النساء وقالت له الملائكة: لا تخف فلن يصل إلينا قومك ولا تحزن على ما أخبرناك من إهلاكهم إنا منقذوك وأهلك من الهلاك إلا امرأتك كانت من الباقيين الهالكين فسنهلكها معهم.

(٣١) قال لوط عليه السلام داعياً ربه بعد ما رأى من تعنت قومه، واستخفافهم بالوعيد: رب انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ بِمَا يَشُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَقَبَائِحِ الذُّنُوبِ.

(٣٢) إنا منزلون على أهل هذه القرية الفاسقين عذاباً: حجارة من السماء؛ عقاباً لهم على خروجهم عن طاعة الله بما يركبونها من الفاحشة القبيحة.

(٣٣) ولما جاءت رسلنا من الملائكة الذين بعثناهم بإبراهيم بإسحاق ومن بعده ابنه يعقوب قال الرسل له: إنا مهلكو أهل سدوم: قرية قوم لوط إن أهل هذه القرية كانوا ظالمين بما يفترونه من الفاحشة فاستحقوا الإهلاك.

(٣٤) ولقد تركنا من هذه القرية التي أهلكتها آية واضحة لقوم يعقلون، فهم الذين يعتبرون بالقصص.

(٣٥) قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: إن في هذه القرية التي تريدون إهلاك أهلها لوطاً وليس من الظالمين قال الملائكة: نحن أعلم بمن فيها، لننقذنه وأهله من الهلاك المنزل على أهل

(٣٦) وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً عليه السلام فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا بعبادتكم إياه الجزاء في اليوم الآخر ولا تفسدوا في الأرض بفعل المعاصي ونشرها.

(٣٧) فكذب قومه، فأصابتهم الزلزلة فأصبحوا صرعى ميتين في دارهم.

٢٨ سبق الإشارة إلى أضرار الفاحشة التي يعبر عنها بالشدوذ الجنسي، ونذكر هنا بالحديث الشريف الذي يبين عاقبة انتشارها بقوله ﷺ في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر: «ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا،...». وحين أعلنت الفاحشة وسمح لها علانية في بعض الدول أصابهم الله بالأمراض الجنسية القاتلة كالسيلان والإيدز والهيريس والثاليل والزهري، وهي أمراض لم تكن معروفة في الماضي.



﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَرَبِّكَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُوبًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّمْنَا بَدْنِيَّةً مِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

سجيل منضود ومنهم قوم صالح و قوم شعيب الذين أخذتهم الصيحة ومنهم قارون الذين خسف به و بداره الأرض ومنهم قوم نوح وفرعون وهامان اللذين أهلكتهم بالغرق وما كان الله ليظلمهم بإهلاكهم بغير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بارتكاب المعاصي فوقعوا.

(٤١) ويضرب الله المثل بضعف ما يتعلق به المشركون من الأصنام فيقول: إن مثل المشركين الذين اتخذوا من دون الله أصناما يعبدونها أمليين نفعهم أو شفاعتهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لا يقيها من الحر والبرد والاعتداء عليها وإن أضعف البيوت لبيتها فهو لا يدفع بردا ولا يقي من حر وهكذا أصنام المشركين لا تنفع، ولا تضر ولا تشفع لو كان المشركون يعلمون هذا لما اتخذوا أصناما يعبدونها من دون الله أمليين جلب النفع أو كشف الضر.

(٣٨) وأهلكنا كذلك عادا قوم هود و ثمود قوم صالح وقد تبين لكم - يا مشركي مكة - من مساكنهم بالحجر والشجر من حضرموت ما يدلكم على إهلاكهم فمساكنهم الخاوية شاهدة على ذلك وحسن لهم الشيطان أعمالهم التي كانوا عليها من الكفر والمعاصي، فصرفهم عن الطريق المستقيم وكانوا ذوي إِبصار بالحق والضلال بما علمتهم رسلهم لكن اختاروا اتباع الهوى على اتباع الهدى.

(٣٩) ثم يتواصل الإخبار بإهلاك الظالمين، فيخبر عز وجل بإهلاك قارون بالخسف به، وإهلاك فرعون وهامان بالغرق مع أن موسى جاءهم بالمعجزات الواضحات برهانا على أنه مرسل من ربه فتكبروا في الأرض، ولم يؤمنوا به، وما كان لهم أن ينجوا من عقابنا بفوتهم لنا.

(٤٠) ويخبر جل جلاله عن أنواع العذاب الذي أهلكت به المذكورين فيخبر أن منهم قوم لوط الذين أرسل عليهم حجارة من

٤١ العنكبوت المذكورة في الآية (أنثى)، وقد ثبت علمياً أن بناء بيت العنكبوت هي مهمة إناث العنكبوت التي تحمل في جسدها غدد إفراز المادة الحريرية، وقد يشترك الذكر أحيانا بالمساعدة في عمليات التشبيد أو الترميم أو التوسعة إلا أن أصل البناء عملية أنثوية محضة، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذَتْ ﴾ حيث قطعت بالوصف للأنثى.

﴿ أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾: تبين الآية وهن البيت من وجوه:

أ - فبيت العنكبوت من الناحية المادية البهتة أضعف بيت على الإطلاق، فهي لا تقي حرارة الشمس ولا زمهرير البرد، ولا تُحدث ظلا كافيا، ولا تقي من مطر هائل، ولا من رياح عاصفة، ولا من أخطار المهاجمين.

ب - الوهن المذكور في بيت العنكبوت، وليس في خيوط بيت العنكبوت، فهي أقوى مادة بيولوجية عرفها الإنسان حتى الآن، وأطلق العلماء عليه اسم «الفولاذ الحيوي» أو «الفولاذ البيولوجي» أو «البيو صلب» وهو أقوى من الفولاذ العادي بعشرين مرة.

ج - الوهن المعنوي: إن بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن البيوت على الإطلاق لأنه بيت محروم من معاني المودة والرحمة التي يقوم على أساسها كل بيت سعيد، وذلك لأن الأنثى في بعض أنواع العنكبوت (وهي الأرملة السوداء) تقضي على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب، وذلك بقتله وافتراس جسده، لأنها أكبر حجما وأكثر شراسة منه، وفي بعض الحالات تلتهم الأنثى صغارها دون أدنى رحمة، ويحدث في بعض الأحيان تليهم الصغار الأنثى.

د - وهذه السورة غي جملتها تتحدث عن عدد عظيم من نعم الله على خلقه وأن الأصل في مقابل هذه النعم أن يشكر الله فيعبد، وأن يقرب العبد من ربه بالعبادة له وحده لا شريك له، لا أن يكون متكبرا جاحدا لنعم الله عليه كما تفعل العنكبوت بعضها مع بعض. ومن هنا ضرب الله تعالى به المثل في الوهن والضعف لافتقاره إلى أسبغ معاني المودة والرحمة بين الزوج وزوجته والأم وصغارها والأخ وأخيه والأخت وأختها. وتأمل قول الله: ﴿ وإن أوهن البيوت ﴾ بصورة عامة، ولم يذكر الله تمييزا للوهن الذي يتصف به بيت العنكبوت.. ليشمل المعنيين «الوهن المادي والمعنوي».

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَلَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْرَبَ الصَّلَاةَ وَأَدَّى الْمَالَ لِلصَّلَاةِ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَالنَّهْمُ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَأَزْتَابُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾

الله إلينا من القرآن وآمنا بالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وإلهنا الذي نعبد وإلهكم الذي تعبدونه واحد، لا شريك له، ونحن له وحده منقادون متذللون.

(٤٧) وكما أنزلنا الكتب على من قبلك أنزلنا عليك القرآن فالذين أعطيناهم الكتب من قبلك مثل عبد الله بن سلام يؤمنون به؛ لما يجدونه من نعته في كتبهم ومن هؤلاء المشركين من يؤمن به، وما يكفر بآياتنا إلا الكافرون الذين دأبهم الكفر، والجحود للحق مع ظهوره.

(٤٨) ويخبر الله عن حال نبيه قبل البعثة فيقول: وما كنت - أيها الرسول - تقرأ قبل القرآن أي كتاب وما كنت تكتب بيمينك، فأنت أمة لا تقرأ ولا تكتب، لو كنت تقرأ وتكتب لشك الجهلة في نبوتك وقالوا: إنك تكتب عن قبلك من أهل الكتاب.

(٤٩) ما كنت تقرأ قبل القرآن من كتاب وما كنت تخط بيمينك، بل القرآن المنزل عليك آيات واضحات في صدور الذين أعطوا العلم من المؤمنين وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون لأنفسهم بالكفر بالله والشرك به.

(٥٠) ويخبر الله عن تعنت المشركين حين يقولون: هلا أنزل على محمد ﷺ معجزات من ربه مثل ما أنزل على الرسل من قبله ويأمر رسوله أن يقول لهؤلاء المقترحين: إنما المعجزات بيد الله، ينزلها متى شاء وليس إلي إنزالها وإنما أنا نذير لكم من عقاب الله واضح النذارة.

(٤٢) إن الله يعلم ما يعبدونه من دونه لا يخفى عليه شيء منه وهو العزيز الذي لا يغالب الحكيم في تقديره وتدييره.

(٤٣) وهذه الأمثال التي نضربها ما ضربناها إلا لتوقظ الناس وتبصّرهم بالحق وترشدهم إليه وما يدرك كنه المطلوب منها إلا العالمون بشرح الله وحكمه.

(٤٤) خلق الله سبحانه وتعالى السماوات وخلق الأرض بالحق، لا بالباطل، فهو منزّه عنه، كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ ﴿٤٥﴾ إن في ذلك الخلق لدلالة واضحة على قدرة الله يدرکہا المؤمنون.

(٤٥) يأمر الله نبيه أن يقرأ على الناس ما أوحى الله به إليه من القرآن وأن يقيم الصلاة على الوجه المطلوب، إن الصلاة التي يقيمها المؤمن وفق صفتها الكاملة تنهى صاحبها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات، ولذكر الله أكبر وأعظم من كل شيء والله يعلم ما تفعلونه لا يخفى عليه من أعمالكم شيء وسيجازيكم عليها يوم القيامة.

(٤٦) وتأليفا لليهود والنصارى؛ لأنهم أهل كتاب ينهى الله المؤمنين أن يحاجوهم إلا بالأسلوب الأحسن والطريقة المثلى وهي الدعوة بالموعظة الحسنة والحجج البينة، لكنه استثنى الظالمين منهم بالعناد فهؤلاء يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، ويأمر المؤمنين أن يذكروا أهل الكتاب بالمشتركة بينهم، فيقولوا لهم: آمنا بالذي أنزل



﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَءَ هُمُ الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَعَثَةٌ وَهَمَّ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَنعٰبِدِى الَّذِىنَ ءَامَنُوا إِنِّ اَرْضِى وَسِعَةٌ فَاِتٰىنِى فَاَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذٰٓئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ اِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِىنَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرٰى مِن تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا نِعَمٌ اَجْرٌ الْعٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِىنَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَانَ مِن دَآئِبَةِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللّٰهُ يَرْزُقُهَا وَاِيَّاكُمْ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَاَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَسَخَّرِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَاَنَّىٰ يُؤْفِكُونَ ﴿٦١﴾ اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۗ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ۝

- (٥١) وينكر الله عليهم اقتراحهم الآيات حيث لم يكفهم ما أنزل إليهم من القرآن، إن في القرآن المنزل عليهم لرحمة وعظة لقوم يؤمنون فهم الذين ينتفعون بما فيه، فما أنزل عليهم خير مما اقترحوه من نظير ما أنزل على الرسل سابقا.
- (٥٢) ويأمر رسوله أن يقول لهم: كفى بالله شاهدا على صدقي فيما جئت به وعلى تكذيبكم به يعلم ما في السماوات ويعلم ما في الأرض لا يخفى عليه شيء فيهما والذين آمنوا بما يعبد من دون الله وكفروا بالله المستحق وحده للعبادة أولئك هم الخاسرون لاستبدالهم الإيمان بالكفر.
- (٥٣) ويخبر الله عن جهل المشركين حيث يستعجلون الرسول بالعذاب الذي أنذرهم إياه ولولا أن الله قدر لعذابهم وقتا محددًا لنزل بهم ما طلبوا من العذاب وليأتينهم فجأة، وهم لا يحسون به حتى يستعدوا له.
- (٥٤) يستعجلون الرسول بالعذاب الذي وعدهم إياه وإن جهنم التي وعد الله الكافرين لمحيطة بهم، لا يستطيعون النجاة منها.
- (٥٥) ينزل بهم عذابها يوم القيامة يوم يغطيهم العذاب من فوقهم ويكون مهادا لهم من تحت أرجلهم ويقول لهم الله توبيخا لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون من الكفر والإثم.
- (٥٦) ولسلامة دين المؤمنين يأمرهم الله بالهجرة، فيقول: يا عبادي هاجروا من أرض لا تستطيعون فيها عبادتي إن أرضي واسعة، فاعبدوني وحدي، ولا تشركوأبي أحدا.
- (٥٧) ولا يمنعكم خوف الموت من الهجرة فالموت على كل نفس، ثم إلينا وحدنا ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.
- (٥٨) ثم يبين الله العاقبة الحسنی للمؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة حيث أخبر أنه ينزلهم من الجنة غرfa تجري من تحتها الأنهار ماكثين فيها أبدا، لا يلحقهم فيها فناء نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذا الجزاء.
- (٥٩) ويثني الله على هذا الجزاء فيقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله الذين صبروا على طاعته وعن معصيته وعلى ربهم لا غيره يعتمدون في أمورهم.
- (٦٠) ولا يخف المهاجر من الجوع فكثيرة هي الدواب التي لا تستطيع جمع رزقها ولا حملها، الله وحده يرزقها ويرزقكم أتم، وهو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم وأفعالكم وسيجازيكم عليها.
- (٦١) وينبه الله نبيه على تناقض المشركين حين يجيبون على سؤال: من خلق السماوات والأرض ومن سخر الشمس والقمر مستمرين؟ بأن فاعل ذلك كله هو الله، ثم هم يصرفون عن الإيمان بالله وحده ويعبدون من دونه آلهة لا تنفع، ولا تضر.
- (٦٢) ثم يخبر الله عن تفرده بالرزق حيث يوسع الزرق على من يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء لحكمة تخفي على غيره إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء مما يصلح لعباده.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِمَّا آمَنَّا وَيُنْخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

معهم معبوداتهم.

(٦٦) انقلبوا مشركين؛ ليكفروا بما أعطيناهم من النعم وليتمتعوا بما أعطوا من الدنيا فسوف يعلمون عاقبتهم السيئة بعد الموت.

(٦٧) ونبههم الله إلى أمان آخر حيث جعل لهم حرماً يأمنون فيه على دمائهم وأموالهم في حين يقتل غيرهم ويؤسر وتنتهب أمواله، أفتبطلون من آلهتهم المزعومة يصدقون وبنعمة الله عليهم يجحدون؟

(٦٨) ويذكر الله ذنب الإشراف به وجزاء المشركين فلا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً بنسبة شريك إليه أو كذب بالحق الذي جاء به رسوله أليس في جهنم مسكن للكافرين؟ بلى إن فيها مسكننا لهم.

(٦٩) كما يذكر المجاهدين في سبيله وجزاءهم في الدنيا، حيث يوفقهم لإصابة طريق الحق، والسبل الموصلة إليه وإن الله لمع المحسنين بالعون والهداية.

(٦٣) ويتواصل تنبيه الرسول على تناقض المشركين حين يجيبون على سؤال من نزل من السماء ماء فأنتبت به الأرض بعد أن كانت قاحلة؟ حيث يشتون أن فاعل ذلك كله هو الله، مع إشراكهم معه غيره فيأمر رسوله أن يقول: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم بل الحاصل أن معظمهم لا يعقلون إذ لو كانوا يعقلون لما أشركوا بالله أصناماً لا تنفع ولا تضر.

(٦٤) وتقرن السورة بين الدنيا فما فيها من الشهوات والمتاع لهو لقلوب المتعلقين بها ولعب ينقضني بسرعة، وبين الآخرة التي هي الحياة الحقيقية لبقائها، لو كان المشركون يعلمون لما قدموا ما يفنى على ما يبقى.

(٦٥) ويتواصل الحديث عن تناقض المشركين حين يوحدون الله عند الخوف، ويشركون به عند الأمان فإذا ركبوا السفن في البحر يدعون الله مخلصين أن ينجيهم من الغرق فإذا سلمهم من الغرق انقلبوا مشركين يدعون

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ الم ٢ غَلَبَتِ الرُّومُ ٣ فِي آدَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٤ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ
 مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ٥ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦
 وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٧ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ٨
 أُولَئِكَ يَنْفَكِرُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ
 لَكٰفِرُونَ ٩ أُولَئِكَ يَسِيرُونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ
 وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٠
 ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أُسْتُوا السُّوْأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ١١

- (١) الم، الكلام فيها نظير الكلام في الحروف المقطعة، وقد تقدم في سورة البقرة.
- (٢) يخبر الله عن معجزة تتعلق بخبر غيبي تحقق، فيقول: غلبت فارس وهم مشركون الروم، وهم أهل كتاب.
- (٣) في أقرب أرض الشام إلى بلاد فارس. والروم من بعد غلبة فارس لهم سيغلبون فارس.
- (٤) في زمن لا يقل عن ثلاث سنوات ولا يزيد على عشر، لله الأمر كله قبل انتصار الروم وبعده، ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون.
- (٥) يفرحون بنصر الله للروم لأنهم أهل كتاب ينصر الله من يشاء على من يشاء وهو العزيز الذي لا يغالب الرحيم بعباده المؤمنين.
- (٦) وعد الله بنصرهم وعدا، والله لا يخلف ما وعد، بل ينجزه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الله إذا وعد لا يخلف وعده.
- (٧) لا يعلمون الإيمان، وإنما يعلمون من الحياة الدنيا ما هو ظاهر، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة حقا معرضون، لا يلتفتون إليها.
- (٨) وينكر الله على المشركين عدم اعتبارهم بخلقهم وخلق الكون، فهم لا يتفكرون في أنفسهم كيف خلقها الله وسواها بعد أن كانت عدما. ثم يخبر أن خلق الله السماوات، وخلق الأرض إنما كان بالحق، لا عبثا، وقد جعل للسماوات والأرض أجلا محددًا يمكثانه في الدنيا، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم يوم القيامة لكافرون، فلا يتهيؤون بالعمل الصالح للقاء ربهم.
- (٩) كما ينكر عليهم عدم الاعتناء بتاريخ الأمم فيقول: أولم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض؛ ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، ولم تنتفع هذه الأمم بقوتها فقد كانت أشد من هؤلاء قوة، وقلبوا الأرض للزراعة، وعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وجاءتهم رسالهم بالبراهين الواضحة على توحيد الله، فما ظلمهم الله حين عذبهم بالإهلاك، ولكن ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله.
- (١٠) ويخبر الله عن نهاية المجرمين السيئة، فقد كانت نهاية الذين أساءوا أعمالهم بالشرك بالله، وعمل المعاصي تلك النهاية المتناهية في السوء؛ لأنهم كذبوا بآيات الله، وكانوا يستهزؤون بها، ويسخرون منها.

٣ ذهب بعض العلماء انطلاقا من هذا النص الشريف إلى أن مكان المعركة هو ما يحيط بمنطقة البحر الميت حيث كان الحسم في تلك المنطقة التي ثبت جغرافيا بأنها أخفض منطقة على سطح اليابسة من الكرة الأرضية، فعلى هذا الوجه تكون الآية قد أشارت لنا إلى سر علمي كان مجهولا في زمن التنزيل، وثبت بالتحقيق العلمي والرصد الدقيق أن منطقة البحر الميت فعلا هي أخفض منطقة على سطح اليابسة. فكان في ذلك دليل آخر على ربانية هذا الكتاب العزيز وصدق المبلغ له محمد ﷺ.

﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ ءَايَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَقَ الْأَنْسِينَكُمْ وَالنَّوْتِينَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ .

- (١١) وبين لهم أن البعث ممكن، فالله يبدأ الخلق من غير مثال سابق، ثم يميتهم متى شاء، ثم يعيده، ثم إليه وحده ترجعون يوم القيامة للحساب والجزاء.
- (١٢) وبعد أن أخبر الله عن عقاب المجرمين في الدنيا أخبر عن عذابهم في الآخرة، فيوم تقوم القيامة ييأس المجرمون من رحمة الله، وينقطع أملهم في ربهم.
- (١٣) ويخبر عن حال شركائهم حيث لم يكن لهم من شركائهم من يشفعون لهم لينجواهم من العذاب، وكانوا بشركائهم كافرين، فقد خانوا مع مسيس حاجتهم إليهم.
- (١٤) ويخبر الله عن اختلاف جزاء الناس يوم القيامة، ففي ذلك اليوم يفرق الناس في الجزاء حسب أعمالهم في الدنيا بين مرحوم مرفوع، ومعذب مخفوض.
- (١٥) ثم يفصل الفرق بين الناس، فجزاء الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة المرضية الدخول في جنة يسرون بما ينالون فيها من النعيم الدائم.
- (١٦) وجزاء الذي كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا، وكذبوا بالبعث والحساب، أنهم محضرون في عذاب الله.
- (١٧) ويأمر الله الناس أن يسبحوه حين دخولكم في وقت المساء: وقت صلاتي العشاءين: المغرب والعشاء، ويسبحوه حين دخولكم في وقت الصباح، وقت صلاة الفجر.
- (١٨) لله وحده الثناء في السماوات يحمده ملائكته، وفي الأرض تحمده خللائقه، ويأمرهم أن يسبحوه حين دخولكم في وقت صلاة العصر، وحين دخولكم في وقت الظهر.
- (١٩) يخرج الحي من الميت مثل الإنسان من النطفة، والفرخ من البيضة، ويخرج الميت من الحي مثل النطفة من الإنسان، بالمطر والنبات، ومثل إحياء الأرض بإنباتها تخرجون من قبوركم للحساب والجزاء.
- (٢٠) ومن آياته الدالة على قدرته ووحدايته أن خلقكم من تراب بخلق أبيكم من طين، ثم إذا أنتم بشر تتناسلون وتتوالدون، وتنتشرون في مشارق الأرض ومغاربها.
- (٢١) ومن آياته الدالة على قدرته ووحدايته أن خلق لأجلكم - أيها الرجال - من جنسكم أزواجا لتطمئن نفوسكم إليهن بالتجانس بينكم، وصير بينكم وبينهن محبة، وشفقة، إن في ذلك لبراهين واضحة لقوم يتفكرون إذ هم المستفيدون من عقولهم.
- (٢٢) ومن آياته الدالة على قدرته ووحدايته خلق السماوات وخلق الأرض، ومنها اختلاف لغاتكم، واختلاف ألوانكم، إن في ذلك لبراهين لأهل العلم والبصيرة.
- (٢٣) ومن آياته الدالة على قدرته ووحدايته نومكم بالليل، ونومكم بالنهار؛ لتستريحوا من عناء أعمالكم، ومن آياته أن جعل لكم النهار لتنتشروا فيه مبتغين الرزق من ربكم، إن في ذلك لبراهين لقوم يسمعون سماع قبول.



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

(٢٧) وهو الذي يبدأ الخلق من غير مثال سابق، ثم يعيده بعد إفنائيه، وإعادة الخلق أيسر من الخلق ابتداءً، وكلاهما سهل عليه؛ وله الوصف الأعلى في كل ما يوصف به من صفات الجلال والكمال، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في خلقه وتدييره.

(٢٨) ويرد الله على المشركين حين أشركوا به من هم في ملكه بمثل مأخوذ من محيطهم: هل لكم من عبيدكم ومماليككم شريك يشارككم في أموالكم بالسوية؟، تخافون منهم كما يخاف بعضكم من بعض، هل ترضون لأنفسكم من عبيدكم هذا، فالله أولى بأن لا يكون له شريك من مخلوقاته، وعبيده، بمثل ذلك من ضرب الأمثال وغيره نبين الحجج لقوم يعقلون لأنهم هم الذين ينتفعون بها.

(٢٤) ومن آياته الدالة على قدرته أنه يريكم البرق، خوفاً من الصواعق، وطمعا في المطر، وينزل لكم من السماء ماء المطر، فيحيي الأرض بعد جفافها بالنبات، إن في ذلك لبراهين ودلالات واضحة لقوم يعقلون، فيستدلون بها على البعث بعد الموت للحساب والجزاء.

(٢٥) ومن آيات الله الدالة على قدرته ووحدانيته قيام السماء دون سقوط، والأرض دون انهدام، ثم إذا دعاكم بنفخ الملك في الصور إذا أنتم تخرجون من قبوركم أحياء للجزاء.

(٢٦) وله وحده من في السماوات، وله من في الأرض خلقا وملكا، كل من في السماوات، وكل من في الأرض من مخلوقاته مستسلمون لأمره.

٢٠ تأمل قدرة الله عز وجل! التراب ميت ساكن، ومنه نشأ الإنسان... ويعقبه مباشرة بصورة البشر منتشرين متحركين!

تأمل المقابلة في المشهد والمعنى بين التراب الميت الساكن والبشر الحي المتحرك وهذه المعجزة الخارقة آية من آيات القدرة، وإيحاء كذلك بالصلة الوثيقة بين البشر وهذه الأرض التي يعيشون عليها، والتي يلتقون بها في أصل تكوينهم، والنقلة الضخمة من صورة التراب الساكن الزهيد إلي صورة الإنسان المتحرك المكرم... نقلة تثير التأمل في صنع الله الخالق العظيم

انطبق ذلك علي خلق أدينا آدم (عليه السلام) من تراب الأرض، كما ينطبق علي خلق نسله من بعده وذلك لأن جميع بنيه من عهده إلي اليوم وحتى قيام الساعة كانوا في صلبه لحظة خلقه، وينطبق ذلك أيضا علي كل واحد من بني آدم بشخصه وذلك لنموه وهو في بطن أمه علي دمها المستمد من الغذاء الذي تأكله وهو مستمد أصلا من تراب الأرض، ثم علي نموه من بعد ميلاده علي لبن أمه المستمد من غذائها وهو مستمد كذلك من تراب الأرض، ثم علي نموه من بعد فطامه إلي وفاته علي ما يتناول من طعام وهو مستمد أصلا من تراب الأرض، فإذا قال ربنا تبارك وتعالى: "ومن آياته أن خلقكم من تراب..". انطبق ذلك علي جميع الخلق من لدن أدينا آدم عليه السلام إلي آخر واحد من ولده.

٢١ يسخر الله عز وجل العلم الحديث ليكشف لنا أوجهاً من إعجاز هذه اللفظة القرآنية «لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» فيكشف العلم بإذن ربه أن اللقاء الزوجي يؤدي لمجموعة رائعة من التفاعلات المتتالية، مما ينتج عنها: القضاء على القلق والتعب والمرض تحت دفع الهرمونات المحررة من قبل الجسم (وهو ما يؤدي إلي السكن بمعنى الراحة أو السكون). وقد أبرزت عدد من الأبحاث مؤخرا الدور الذي يلعبه السكن الزوجي في الوقاية من كثير من الأمراض كبعض أمراض القلب وبعض الأورام الخبيثة وتسكين بعض الآلام وكذلك الوقاية من بعض الأمراض النفسية بالإضافة التي تأثيره الإيجابي على الصحة العامة، وذلك كله إذا أقيمت العلاقة الزوجية على الأسس الطبية التي رسخها رسول الله ﷺ القائل خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي والقائل استوصوا بالنساء خيرا.

٢٢ يقول العلماء إن في أدمة الجلد خلايا تمتد على جوانبها زوائد رقيقة يصل عددها في كل بوصة مربعة إلي ستين ألف خلية، ولا اختلاف في عدد الخلايا بين الإنسان الأبيض والإنسان الأسود أو الملون، ولكن اختلاف اللون ينجم عن اختلاف في كثافة المادة الملونة التي تسمى الميلانين، حيث توصلت بعض البحوث إلي أنه يمكن للون البشرة أن يكون بصمة وراثية، ووصل كذلك إلي أن سطح اللسان يماثل سطح البنان كبنية مميزة والله على كل شيء قدير.



﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (٢٩) فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ .

على الحق، وأن غيرهم على الباطل.

(٢٩) ثم يذكرهم بسبب ضلالهم فليس بسبب قصور في الحجج، ولا خفائها، بل السبب اتباع الظالمين لأنفسهم بالكفر ما يهوونه تقليداً لبائهم، ولا أحد يوفق من أضله الله، وليس لهم من ناصرين يدفعون عنهم عذاب الله.

(٣٠) وبعد أن بين الله أحوال المعرضين أمر رسوله أن يقيم هو ومن معه وجهه، ويوجهه للدين الذي وجهه الله إليه؛ مائلاً عن جميع الأديان إليه، دين الإسلام الذي فطر الناس عليه، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ولكن معظم الناس لا يعلمون أن الدين الحق هو هذا الدين.

(٣١) ويأمر الله عباده بالرجوع إليه بالتوبة، وبامثال أوامره واجتناب نواهيهِ وإقامة الصلاة، وينهاهم أن لا يكونوا من المشركين الذين يناقضون الفطرة، فيشركون مع الله غيره.

(٣٢) أن لا يكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم، وآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وكانوا فرقا وأحزابا، كل حزب بما هم عليه من الباطل مسرورون، يرون أنهم وحدهم

(٣٣) يقومون بذلك؛ ليجحدوا ما أعطيناهم من نعمة تجلت في كشف ما أصابهم من بلاء، ثم يأمرهم الله أن يتمتعوا بما ينالونه من نعم في هذه الحياة، فسوف يعلمون يوم القيامة ما ينتظرهم من عذاب.

(٣٤) ثم ينفي الله حججهم في الشرك به فيقول: ما الذي جعلهم يشركون بالله، هل أنزلنا عليهم حجة من كتاب يحتاجون بها على شركهم بالله، فالكتاب يتكلم بشكرهم، ويقرر لهم صحة ما هم عليه من الكفر؟. ليس الأمر كذلك بل لا حجة لهم.

(٣٥) سبقت الإشارة إليه في سورة (الرعد: ١٢، والنور: ٤٣). وفي الآية إشارة إلى ربط القرآن الكريم بين البرق والسحاب الثقيل، وقد علم في هذا العصر بأن البرق والبرد لا يحدث إلا في السحاب الركامي حيث تحدث عملية البرق نتيجة شحن البرد لجسم السحابة الركامية بسبب حركته بداخلها بشحنات موجبة وسالبة، وهو في الوقت نفسه موصل جيد بين هذه الشحنات الكهربائية؛ لذلك يحصل البرق، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)، كما أن البرق ينتج عن اقتراب الغيوم بعضها من بعض حيث تتفرغ الشحنات الكهربائية بين غيمتين مختلفتي الشحنة، كما أنه يحصل بين الغيمة والأرض، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة بدقة مذهلة عندما تحدثت عن البرق أولاً ثم عن نشوء الغيوم الثقيلة. وأن ذكر ظاهرة البرق وارتباطها بإنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها، والتأكيد على علاقة الأرض بالسماء يحرض الفكر الإنساني لاستشعار الحقيقة أن الله الذي يفعل ذلك كله قادر على إخراج الموتى من قبورهم في يوم البعث.

٢٤ سبقت الإشارة إليه في سورة (الرعد: ١٢، والنور: ٤٣). وفي الآية إشارة إلى ربط القرآن الكريم بين البرق والسحاب الثقيل، وقد علم في هذا العصر بأن البرق والبرد لا يحدث إلا في السحاب الركامي حيث تحدث عملية البرق نتيجة شحن البرد لجسم السحابة الركامية بسبب حركته بداخلها بشحنات موجبة وسالبة، وهو في الوقت نفسه موصل جيد بين هذه الشحنات الكهربائية؛ لذلك يحصل البرق، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار)، كما أن البرق ينتج عن اقتراب الغيوم بعضها من بعض حيث تتفرغ الشحنات الكهربائية بين غيمتين مختلفتي الشحنة، كما أنه يحصل بين الغيمة والأرض، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة بدقة مذهلة عندما تحدثت عن البرق أولاً ثم عن نشوء الغيوم الثقيلة. وأن ذكر ظاهرة البرق وارتباطها بإنزال المطر وإحياء الأرض بعد موتها، والتأكيد على علاقة الأرض بالسماء يحرض الفكر الإنساني لاستشعار الحقيقة أن الله الذي يفعل ذلك كله قادر على إخراج الموتى من قبورهم في يوم البعث.

البرق هو الضوء الذي يظهر فجأة في قلب السماء، وهو عبارة عن الضوء الناشئ نتيجة تصادم سحابتين أحدهما تحمل شحنة كهربائية السالبة والأخرى تحمل شحنة كهربائية موجبة كما سبق ذكره وبذلك ينتج عن التصادم شرارة قوية تصدر الضوء الذي نراه فجأة ثم يختفي. فالبرق والرعد والصواعق مشاهد معروفة إنما تتجمع في جو من الرهبة والترقب، والخوف والطمع، في سياق تصوير سلطان الله المتفرد بالقهر والنفع والضر



﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصَبِّهِمْ سَيْئَةً يَمَا فَدَمَّتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَفْطَنُونَ ﴿٣٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَكَاتِذَا الْقُرْآنُ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَن يَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْضِعُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِّنْ ذَلِكَ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ، وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

- (٣٦) ثم يصف حال بعض الناس مع الله حيث يفرحون فرح البطر بالنعم، ويأسون من رحمة الله عندما يصابون بسوء بسبب ما يرتكبونه من المعاصي.
- (٣٧) وينبههم إلى أنه يوسع الرزق لمن يشاء امتحانا له أيشكر نعمته أم يكفرها؟، ويضيقه على من يشاء ابتلاء له أيصبر على بلائه أم يتسخط؟، إن في توسيع الرزق، وتضييقه لدلالات للمؤمنين على لطف الله ورحمته.
- (٣٨) وبعد بيان نعمة الرزق، يأمر الله المسلم أن يعطي القريب ما يستحقه من البر والصلة، ويؤتي المحتاج ما يدفع به حاجته، ويعطي الغريب الذي انقطع عن بلده، ذلك الإعطاء في تلك الوجوه خير للذين يريدون به وجه الله، وأولئك المعطون لتلك الحقوق هم الفائزون بنيل المطلوب والنجاة من المهروب.
- (٣٩) وبين الله سوء نية الذين يتصرفون في أموالهم بغرض دنيوي زهيد لا بقصد رضا الله حيث يعطون الزائد من أموالهم عن حاجتهم من يطمعون أن يرد به إليهم بزيادة، فهو لاء لا ينمو أجرهم عند الله، وبين بالمقابل حسن نية من يدفعون أموالهم للمحتاج يريدون بذلك وجه الله، لا غرضا دنيويا كالمنزلة عند الناس، فهو لاء يضاعف الله لهم الأجر.
- (٤٠) الله وحده هو الذي انفرد بخلقكم ثم إمامتكم ثم إحيائكم للبعث، هل من أصنامكم من يفعل شيئا من ذلك؟، تنزه عما يشركه به المشركون.
- (٤١) ظهر الفساد في البر والبحر في معاش الناس بنقصها، وفي أنفسهم بحصول الأمراض والأوبئة، والسبب ما عملوه من المعاصي، ظهر ذلك؛ ليزيقهم الله جزاء بعض أعمالهم السيئة لعلهم يرجعون بالتوبة إليه.

٤١ تشير الآية الكريمة بجلاء ووضوح إلى الفساد الذي يدمر البر والبحر نتيجة لتدخل الإنسان في قوانين المنظومة البيئية المتزنة. كما توضح الآية الكريمة الضرر البالغ الذي يحل بالإنسان من جراء عمله هذا، قال تعالى: ﴿لِيذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾. فإذا فسد الناس تركهم الله - سبحانه وتعالى - وشأنهم حتى يذوقوا بعض نتائج أعمالهم، لعلهم يرجعون وينتبهون إلى الله - عز وجل. أما من الناحية العلمية فقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن التلوث البيئي يؤدي إلى اختلال المنظومة البيئية، وأنواع الفساد متعددة مثل (التلوث الكيميائي والتلوث الإشعاعي والتلوث النووي والتلوث الحراري وغيرها) وهذا بسبب الفساد الأخلاقي للإنسان، وبالتالي يسبب الأمراض القاتلة التي تؤدي بحياة البشر وباقي الكائنات الحية التي تعيش في البر والبحر. ومشكلة الفساد البيئي وإن بدت في أول الأمر مشكلة إقليمية تعاني منها بعض الدول، إلا أنها تحولت إلى مشكلة عالمية وعائقي من عوائق تقدم الحضارة البشرية. والتلوث ليس له وطن واحد لأنه ينتقل بواسطة الرياح والأمواج والطيور عبر القارات حاملا معه الملوثات الخطرة لتصيب البلدان التي تمر بها.

ولقد أشارت الآية الكريمة إلى ظهور الفساد في البر والبحر والتي جاءت بصيغة الماضي كما في كلمة ﴿ظَهَرَ﴾، وذلك لأن المستقبل عند الله هو حقيقة واقعة لا بد منها وكأنها وقعت حتما بالنسبة لله تعالى ولأمقر من حدوثها. وقد حدث التلوث وأصبح في يومنا هذا أخطر مشكلات العصر وأكثرها تعقيدا وأصعبها حلا. ولقد اقتضت الآية الكريمة على ذكر الفساد الناتج عن الإنسان في البر والبحر ولم تذكر في الجو، وهذا مناسرا للبيان في التعبير القرآني حيث انه يأتي بأمر تتناسب مع فهم المعاصرين أنذاك عند نزول الآية دون أن يتعارض مع المستقبل الذي حدث فيه الفساد جوا بسبب الناسان. كما أن فساد الجو مرتبط ارتباطا وثيقا بفساد الإنسان برا وبحرا، وكل ما أصاب الجو من ملوثات وتغيرات مناخية تؤثر تأثيرا مباشرا بالضرر أو السقوط بفعل الجاذبية الأرضية مرة أخرى على البر والبحر.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ، مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَهُمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ ءَابَىٰ عَنْهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مَبْشُرَتٍ وَلِيذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ۗ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ ۗ وَلِتَبْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۗ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَّتْ أَلْوَدَقُ يُخْرِجُ مِنْ خَلَالِهِ ۗ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ ۖ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ ۖ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ ۞ .

ورخاء، ولتجري السفن في البحر بمشيئته، و ليطلب الناس من فضله بالتجارة في البحر، ولعلمهم يشكرون نعم الله عليهم فيزيدهم منها.

(٤٧) ويسلي الله رسوله بشأن إعراض قومه عنه بأنه بعث من قبله رسلا إلى أمهم، فجاءوهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فكذبوا بما جاءتهم به رسلهم، فكانت العاقبة الانتقام من الذين ارتكبوا السيئات، بالإهلاك بالعذاب، وإنجاء الرسل والمؤمنين من الهلاك، وبين الله أن إنجاء المؤمنين ونصرهم حق أوجه على نفسه.

(٤٨) ويمت الله بسوق الرياح وبعثها، فهو الذي يسوق الرياح وبعثها، فتزعج تلك الرياح السحاب، وتحركه، فيمدّه في السماء كيف يشاء من قلة أو كثرة، ويصيرها قطعاً، بحيث يرى الناظر المطر يخرج من فتوقه ومخارجه، فإذا أصاب بالمطر من يشاء من عباده إذا بهم يسرون برحمة الله لهم بإنزال المطر الذي ينبت الله الأرض بما يحتاجه الناس، وتحتاجه دوابهم.

(٤٩) وإن كانوا من قبل أن ينزل الله عليهم المطر لقائظين من نزوله عليهم.

(٤٢) ثم يأمر الله رسوله أن يأمر المشركين بالسير في الأرض وأن يتأملوا، كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، فقد كانت نهاية سيئة، كان معظمهم مشركين بالله، يعبدون معه غيره، فأهلكوا بإشراكهم.

(٤٣) وفي مقابل إعراض المشركين عن ربهم يأمر الله نبيه أن يقيم وجهه لدين الإسلام المستقيم من قبل أن يأتي يوم القيامة، فهو إذا جاء لا راد له، فيه يتفرق الناس فريق منعمون وفريق معذبون.

(٤٤) ثم يبين الله أن ضرر العمل السيئ يصيب صاحبه ونفع العمل الصالح يناله حيث إن من كفر بالله فهو خالد في النار، ومن عمل عملاً صالحاً يبتغي به وجه الله فلا أنفسهم يهيؤون دخول الجنة، والتنعم بما فيها دائماً.

(٤٥) ثم يوزع الله الناس فريقين؛ ليجزي الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، إنه لا يحب الكافرين به ويرسله، بل يمتقنهم أشد المقت.

(٤٦) ثم يخاطب الله عباده مبينا لهم أن من آياته الدالة على قدرته ووحدانيته أن بعث الرياح تبشر العباد بقرب نزول المطر، وليذيق الناس من رحمته بما يحدث من خصب

٤٦ قام العلماء حديثاً بتصنيف الرياح وفق شدتها وأثارها، وقاسوا قوتها وفق ما يعرف بمقياس بيوفورت. وقد ذكر القرآن الكريم تصنيف الرياح، ومن هذه الأنواع التي صنفت علمياً حديثاً: الرياح المبشرات للواقع وهي نوع من الرياح تقابل النسيم النشط وقوتها (٤) حيث تهتز الأشجار الصغيرة وتكبر الأمواج المعتدلة، وتكون سرعتها ٣، ٩ متر/ث، وهي رياح تسبق المطر وتبشر بالخير، ومسؤولة عن حمل كل نوع من السحب في مكانه بطبقات الجو، وقد تقدم الحديث عنها في سورة (الأعراف: ٥٧). وجاء ذلك مطابقاً لما انتهى إليه علماء الأرصاد من تقسيم الرياح إلى أنواع حسب شدتها وأثارها في نهاية القرن العشرين، وبما أن البشر كانوا على جهالة تامة بذلك التقسيم وقت التنزيل، فإن حصول ذلك التطابق بين وصفها في القرآن الكريم، مع تلك الحقيقة فيه إعجاز علمي ظاهر.



﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ. يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْرِينًا ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

- (٥٠) ويأمر رسوله أن ينظر إلى آثار المطر الذي ينزله الله رحمة لعباده، كيف يحيي الله الأرض بعد الجفاف بما ينبت عليها من أنواع النبات، إن الذي أحيا تلك الأرض الجافة بالمطر والنبات هو الذي يعيد الحياة إلى الموتى، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.
- (٥١) ويخبر الله عن مسارعتهم إلى كفر النعم حيث لو بعث الله على زروعهم ونباتهم ريحا تفسدها عليهم، فرأوا زروعهم مصفرة بعد اخضرار لظلوا بعد مشاهدتهم له يكفرون بنعم الله السابقة.
- (٥٢) ثم يخاطب الله رسوله؛ ليبين له أن هداية التوفيق بيده وحده، وأن الرسول لا يستطيع إسماع الموتى، ولا يستطيع إسماع الصم إذا ولوا هارين، فكذلك لا يستطيع هداية من لم يهده الله، فلا يحزن عليهم.
- (٥٣) ويتواصل خطابه بتأكيد مضمون الآية السابقة حيث يؤكد له أنه ليس بموفق من ضل عن الحق إلى سلوك سبيله وأنه لا يسمع سماعا ينتفع به إلا من يؤمن بآياته لانقياده لأمره، واستسلامه له.

٤٨ كشف علماء الأرصاد الجوية أن السحاب الطبقي يمر بمراحل عند تكونه وهذه المراحل هي :

المرحلة الأولى: وهي مرحلة تهيج حبيبات بخار الماء وتماسكها مما يجعلها تظهر في السماء، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ فتثير سحابا ﴾ حيث إن كلمة (آثار) في اللغة تعني هييج. المرحلة الثانية: مرحلة البسط وهي امتداد السحاب. المرحلة الثالثة: مرحلة التقطيع وهي تقطع السحاب الركامي إلى قطع طويلة وقطع عرضية، وهو ما أشار إليه قوله تعالى: (ويجعله كسفًا) أي قطعاً. المرحلة الرابعة: مرحلة نزول المطر فوراً.

ولا ينزل المطر من كل جسم السحابة؛ وإنما من مناطق الضعف والخلل وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: (فترى الودق)، أي المطر (يخرج من خلاله) أي من مناطق الضعف والخلل فيه كما في قراءة (من خلله)، وهذا النوع من المطر لا يصحبه رعد ولا برد ولا صواعق، ومن يكون تحت تأثير هذا النوع من المطر يشعر بسعادة وسلامة، ولذا جاء التعبير القرآني بقوله تعالى: ﴿ فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾. فقد أخبر القرآن الكريم بهذا النوع من السحاب الممطر وطريقة تكوينه والظواهر المصاحبة له والنتائج التي تحدث منه في وقت كانت السحب مصدراً للخرافات والأساطير عند الأمم زمن تنزيل القرآن الكريم وبعده، بينما لم تعرف هذه الحقيقة العلمية إلا بعد أن امتلك الإنسان وسائل علمية متطورة مكنته من سبر أغوار السحب وكيفية تشكلها وأنواعها والظواهر المصاحبة لتكونها.

٥٠ سبق أن تحدثنا في (سورة البقرة: ١٦٤)، و(سورة النحل: ٦٥).

وقد ثبت علمياً أن من أهم أسباب حياة الأرض الميتة هو نزول الماء عليها، وذلك أن التربة يوجد فيها مواد وكائنات تكون في حالة سكون، وعند نزول الماء تنبعث فيها الحياة من جديد وتنبت الزروع، فالله سبحانه وتعالى يلفت الفكر الإنساني ليستدل بذلك على أن الله الذي جعل هذا النظام للنبات قادر على إحياء الموتى، وهو على كل شيء قدير.

٥١ لم يكن بمقدور البشر زمن التنزيل معرفة حقيقة ما يجري للرياح من تقلبات واكتسابها وصف الاصفرار حتى تمكن الإنسان من امتلاك وسائل علمية حديثة مكنته من رصد ذلك؛ حيث ثبت أن الريح المصفر تحمل الرمال الناعمة. كما ثبت أن هذه الريح تتسبب في تدمير البلاستيك الخضراء لكون الغبار يسد منافذ تنفس أوراق الشجر وتحولها نتيجة جفافها إلى اللون الأصفر، كل ذلك يشهد أن محمداً ﷺ هو رسول من عند الله.

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِنُسَوِّعَ لَكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

- (٥٤) ثم يذكر الله الناس بمراحل أعمارهم حيث خلقهم من ماء مهين، ثم جعل من بعد ضعف طفولتهم قوة الرجولة، ثم جعل من بعد قوة الرجولة ضعف الشيخوخة والهرم، يخلق الله ما يشاء من ضعف وقوة، وإحياء وإماتة، وغيرها، وهو العليم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء.
- (٥٥) ويذكر الله بيوم القيامة حيث يحلف المجرمون أنهم ما مكثوا في قبورهم إلا ساعة، كما صرفوا عن معرفة قدر ما لبثوا في قبورهم كانوا يصرفون عن الحق.
- (٥٦) ويبين الله حال من لم يصرفوا عن الحق ممن أعطاهم الله العلم من الأنبياء والملائكة حيث يقولون: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه من يوم خلقكم إلى يوم بعثكم الذي أنكرتموه، ولكنكم كنتم لا تعلمون أن البعث واقع، فكفرتم به.
- (٥٧) فيوم يبعث الله الناس للحساب لا ينفع الظالمين ما يخلتفون من أعدار، ولا يطلب منهم أن يتوبوا ليرضى الله عنهم، فقد فات وقت التوبة.
- (٥٨) ويمتن الله بضرب الأمثال حيث ضرب للناس في القرآن من كل مثل ليتضح لهم الحق من الباطل مذكرا الرسول بأنه لو جاءهم بحجة على صدقه ليقولن الذين كفروا بالله ما أنتم إلا مبطلون فيما جئتم به.
- (٥٩) مثل الحتم على قلوب هؤلاء الذين إذا جئتهم بآية لا يؤمنون بها يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون أن ما جئتهم به حق.
- (٦٠) ويأمر الله رسوله بالصبر على تكذيب قومه له، فوعد الله له بالنصر والتمكين ثابت لا مربة فيه، ويحذره أن يستخفه الذين لا يوقنون بأنهم مبعوثون، فيحملوه على الطيش وترك الصبر.

٥٤

قسم العلماء ما يمر به الإنسان إلى ثلاث مراحل :

أ - مرحلة الضعف الأولى : وتشمل الجنين والطفولة.

ب - مرحلة القوة : وتشمل الأشد.

ج - مرحلة الضعف والشيبة: وتشمل الشيخوخة وأرذل العمر (مرحلة التنكيس).

وقد ثبت علمياً أنه في مرحلة الضعف الأولى (خلقكم من ضعف) تكون أغلب عظام الرضيع طرية، ولذلك تكون قابلة للكسر وللتشوه إذا لم تعامل بحرص شديد ثم يبدأ تكلسها بالتدريج حتى تقوى، وتثبت الأسنان الأولى (وهي عادة الأمامية السفلى) عند تمام الشهر السابع من عمر الوليد. ويولد المولود بعضلات كاملة ولكنها صغيرة بالنسبة إلى حجمه، وبحواس منبهة وأولها السمع والبصر واللمس وقدرة القبض على الأشياء، وإن تأخرت حاسة الذوق قليلاً، وتستكمل قشرة المخ نشاطها بالتدريج، ويستطيع التمييز بين الأصوات في الأسبوع الثامن من الميلاد وإدراك ما حوله، وتزداد قدراته بالتدريج، وتكتمل حاسة الإبصار في الشهر السادس، وتزداد قدرته على إصدار الأصوات والانفعال بالأحداث مما حوله في الشهر السابع. ويبدأ الطفل بالتدريج في إدراك ما حوله حتى يدخل فترة المراهقة إلى سن العشرين حين يكتمل نمو العظام والعضلات وتقوى وتشتد.

﴿ ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ : وهذه في طور الشباب إلى الرجولة، حيث تزداد القدرات البدنية والعقلية والنفسية بالتدريج



حتى يصل إلى قمتها في سن الخامسة والعشرين، وتستمر بهذا الزخم إلى سن الأربعين (وهي مرحلة الرجولة الكاملة) ثم يبدأ منحني الجسد في التدهور ليدخل في دور الكهولة ثم الشيخوخة.

﴿ ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ﴾ : حيث تأخذ القدرات البدنية في التناقص التدريجي ثم بالتناقص الحاد من سن الخامسة والستين إلى نهاية العمر، وهي حالة من التدهور التدريجي في بنية كل حي يشمل جميع خلاياه وأنسجته وأعضائه وأجهزته مما يضعف من كفاءتها ومن قدرتها على القيام بوظائفها بالمعدلات التي كانت تقوم بها في طوري الشباب والرجولة، وهذا التدهور الصحي هو نوع من التدمير الذاتي المبرمج في الشفرة الوراثية للخلية الحية، فيبدأ الخلل في التراكم على مستوى الخلايا لينعكس على الأنسجة والأعضاء والأنظمة، ويبدأ في الظهور في أشكال متعددة من التغيير في تركيب الأحماض النووية التي تكتب بها الشفرة الوراثية إلى شيب الرأس وتجاعيد الجلد وضعف الحواس.

ومن أبرز التغيرات الجسمية التي تحصل في مرحلة الشيخوخة هي ما يلي:

- الحواس : ففي البصر يحتاجون إلى إضافة (٣٣٪) من الضوء الذي اعتادوا عليه لتعويض نقص الضوء، كما أن حساسية العين للألوان تتأثر بسبب اصفرار العدسة، ويجري ضعف في بقية الحواس كالسمع والشم والذوق وحتى اللمس فتنقهر حدة الحواس جميعاً تقريباً.
- الشيب: يتحول لون الشعر عن لونه الطبيعي إلى البياض، ويعد الشيب أكثر العلامات استخداماً للدلالة على دخول الإنسان عمر الشيخوخة (العمر الثالث).
- الهيكل العظمي : وقد ثبت طبيياً أن عظام الإنسان تبلغ الذروة في سن الشباب ثم تأخذ في الضمور والتناقص بمعدل ثابت هو (١٪) سنوياً للرجال، و (٢٪) للمرأة.

وكذلك بالنسبة لانكماش الجلد وتجعله نتيجة تناقص نشاط الغدد العرقية والدهنية وضعف أنسجته الضامة. والتدهور التدريجي للجهاز العصبي والتنفسي والهضمي والجهاز البولي التناسلي، كما يحصل ضعف في جهاز المناعة. وقد ميز القرآن الكريم ضعف التعمير والانتكاس عن الضعف الأول وهو ضعف الخلق والتسوية والتعديل والنشأة والابتداء والنماء بأن قرن الضعف الأخير بالشيب، وإن وصف القرآن لها بهذه الدقة العلمية والترتيب المنطقي لما يشهد لهذا الكتاب الخالد بأنه من عند الله، ويشهد للرسول ﷺ الخاتم بالنبوة والرسالة الصادقة.

سورة لقمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

- (١) الم من الحروف المقطعة، والكلام فيها هو الكلام في (٤) هؤلاء المحسنون هم من يؤديون الصلاة على أكمل وجه، ونظائرها وقد تقدم في سورة البقرة.
- (٢) يخبر الله رسوله عن القرآن فهو آيات الكتاب ذي الحكمة.
- (٣) وتلك الآيات هداية ورحمة للذين يحسنون العمل بقيامهم بما يلزمهم.
- (٤) هؤلاء المحسنون هم من يؤديون الصلاة على أكمل وجه، ويعطون زكاة أموالهم، وهم موقنون بما في الآخرة من بعث وحساب وثواب.
- (٥) ويخبر الله عن المتصفين بتلك الصفات أنهم على هدى من ربهم، وأنهم هم الفائزون بنيل المطلوب، والبعد عن المرهوب.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٦)
 وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قُورًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ ۖ يَبْنَىٰ لَكَ شَرِكٌ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ۝

حتى لا تضطرب، ونشر فوق الأرض أنواع الحيوان، وأنزل من السماء ماء المطر، فأنتب من كل صنف بهيج المنظر، نافع.

(١١) هذه الآيات الكونية خلق الله، فليرني المشركون ماذا خلقت أصنامهم التي يعبدونها من دون الله، بل الظالمون في ضلال واضح عن الحق حيث يشركون مع ربهم من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون.

(١٢) ولقد أعطينا لقمان الفقه في الدين والإصابة في الأمور، وأمرناه أن يشكر لربه ما أنعم به عليه من التوفيق لطاعته، ومن يشكر ربه فإِنَّمَا نَفَعُ شُكْرُهُ عَائِدًا إِلَىٰ نَفْسِهِ، لا إِلَى اللَّهِ، ومن جحد نعمة الله فضرر جحوده عليه، لا على الله، فإن الله غنى عن خلقه، محمود على كل حال كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

(١٣) ويأمر الله رسوله أن يذكر ترغيب لقمان لابنه، وترهيبه له حيث نادى ابنه ناهياً إياه أن يعبد مع الله أي معبود؛ ذلك أن عبادة معبود مع الله ظلم عظيم للنفس بارتكاب أعظم ذنب، يؤدي الخلود في النار.

(٦) ثم يذكر الله صفات المسيئين، فمن صفاتهم ما تصف به النضر بن الحارث حيث كان يختار الأحاديث الملهية؛ ليصرف إليها الناس عن دين الله بغير علم، ويتخذ آيات الله هزواً يسخر منها، ويذكر جزاءهم حيث لهم عذاب مذل في الآخرة.

(٧) ويتواصل ذكر صفاتهم وجزائهم، فأحدهم إذا تُقِرَّأَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا أَدْبَرَ مُسْتَكْبِرًا عَنْ سَمَاعِهَا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا، كَأَن فِي أُذُنِهِ صِمًّا عَنْ سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَبْشِرَهُ بِعَذَابٍ مَّوْجِعٍ جَزَاءً عَلَىٰ إِعْرَاضِهِ عَنِ الْحَقِّ.

(٨) ثم يذكر الله جزاء المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة، فقد أعد لهم جنات النعيم يتنعمون فيها.

(٩) وهم ماكثون في جزائهم، وعدهم الله بذلك وعداً حقاً لا شك فيه، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.

(١٠) ثم يذكر الله بعض آياته الكونية، فقد خلق السماوات مرفوعة بلا عمد نراه، ونصب في الأرض جبالاً رواسخ

١٠ سبقت الإشارة إلى خلق السموات بغير عمد في سورة (الرعد: ٢).

وفيها: أن الله تعالى خلق السموات من غير أعمدة مرئية، وبالفعل فإن الذي ينظر إلى الكون من الخارج يرى كتلاً ضخمة من المجرات ترتبط وتتحرك بنظام وكأنها مجموعة واحدة، وهذه المجرات تم رفعها وتموضعها في أماكنها المخصصة لها من دون أعمدة، بل بمجموعة قوى وقوانين فيزيائية خلقها الله وسخرها لاستمرار الكون. ولذلك يمكن أن تعتبر بمثابة أعمدة ولكنها غير مرئية، وبالتالي يمكن اعتبار هذا وجهاً إعجازياً لأن قوة الجاذبية لا نراها، ولولاها لما استمر نظام الكون، ولما توزعت المجرات بهذه الطريقة. وهذا يدل على أن هذا الكتاب تنزيل من حكيم خبير.

﴿ وألقى في الأرض رواسي .. ﴾ : سبقت الإشارة في سورة (النحل: ١٥)، و(الأنبياء: ٣١).

﴿ أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ : سبقت الإشارة إلى الزوجية في سورة (الشعراء: ٧).



﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِتَى الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾
 وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ
 إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ
 أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِي أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ حَذَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ
 فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

إن السيئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبة من خردل، وكانت في بطن صخرة، لا يطلع عليها أحد، أو كانت في أي مكان في السماوات أو في الأرض فإن الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازي العبد عليها، إن الله لطيف بعباده، خبير بهم.

(١٧) وينادي لقمان ابنه مرة أخرى أمرا إياه بإقامة الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المكروه؛ ذلك أن ما أمره به مما عزم الله به عليه، فلا اختيار له في ترك امتثاله.

(١٨) وينهاه أن يعرض عن الناس تعالياً، وأن يمشي مختلاً متكبراً؛ فالله لا يحب كل مختال في مشيته، فخور بما أوتي من نعم، لا يشكر الله عليها.

(١٩) ويأمره أن يكون مشيه وسطاً، لا إسراعاً ولا دبيباً، وأن يخفض من صوته، فلا يرفعه رفعا يؤدي غيره؛ ذلك أن أقبح الأصوات صوت الحمير لارتفاعه.

(١٤) ويخبر الله أنه عهد إلى الإنسان أن يطعم أبويه ويبرهما فيما لا معصية فيه لله، ويؤكد حق الأم حيث حملته في بطنها بمشقة بعد مشقة، وطفامه عن الرضاعة في عامين، وقال له الله: اشكر لله ما أنعم به عليك من نعم، ثم اشكر لوالديك ما قاما به من تربيته ورعايتك، إلي وحدي المرجع لحساب العباد.

(١٥) ويبين الله أن حق الله مقدم على حق الوالدين، فإذا بذل الوالدان جهداً؛ ليحملا ابنهما على أن يشرك بالله غيره - كما حصل لسعد بن أبي وقاص - من أمه حرم عليه أن يطيعهما في ذلك؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وأمره أن يصاحبهما في الدنيا بالبر والصلة والإحسان، وأن يتبع طريق من رجع إليه موحداً طائعا، ثم ذكر الله بالرجوع إليه، فإليه وحده يرجع الناس، فيخبرهم بما كانوا يعملون في الدنيا ويجازيهم.

(١٦) ويعود الخطاب إلى وصية لقمان حيث ينادي ابنه قائلاً:

١٤ وهنا على وهن: أي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف. وقيل: المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل وقال ابن جرير: ضعفاً على ضعف. وهذا الوهن يشمل وهن الحمل وهن الولادة وما بعدها بفقدان الدم، وهن الرضاعة وتبين الدراسات الحديثة أن نصف الحوامل يعانين من الغثيان والقيء والحرقه (الحموضة) والإمساك وسكر الحمل وارتفاع ضغط الدم وإذا لم يعالج فإنه قد يؤدي إلى حالات تسمم خطيرة قد تؤدي إلى وفاة الجنين أو الأم ذاتها. أن العبء على قلبها يزيد بحوالي ٣٠٪ من كفاءته، وأن كمية الدم تزيد بنسبة ٣٠٪ عن معدلاتها قبل الحمل، زيادة في التنفس إلى حوالي ٤٠٪ من معدلاتها العادية. وتتخلص الحامل من نفايات ونفايات الجنين معاً. ومن أجل هذا تتحمل كليتها عبئاً زائداً قد يصل إلى حوالي ٦٠٪. وهذا يستلزم دورة دموية نشطة. كما أنها تعاني من وهن نقصان الحديد وهن نقصان الهيموجلوبين وهو يعني الحاجة إلى مزيد من الدم في الرحم والمشيمة والجنين، وهو غير ما يفقد من الدم من نزيف بسبب إسقاط أو نحوه، والنزف عند الولادة أو بعدها. ولذلك نجد إن فقر الدم عند الإناث هو أكثر أمراض الدم شيوعاً. بسبب النزيف، وفي كثير من الأحيان يضاف إلى هذه المتاعب التهابات المجارى البولية التي تزداد زيادة كبيرة أثناء الحمل، مما قد يؤدي إلى فقدان الزلال في البول ويؤدي ذلك إلى تورم الأقدام والوجه.

١٩ إشارة إلى عنصر من عناصر التلوث البيئي، والمتمثل بالضجيج وقد ثبت أن شدة صوت نهيق الحمام تتسبب في هذا الضجيج حيث تتجاوز مئة ديسيبل، وهي بذلك تعتبر من أشد الأصوات إيذاءً للأذن للإنسان.

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي
 اللَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ
 كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
 الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ
 الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
 اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا
 فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾
 مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافًا وَوَحْدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ
 النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي سَبِيلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

من خلق السماوات، ومن خلق الأرض لقالوا : خلقهن الله، ويأمره أن يقول لهم: الحمد لله الذي أظهر الحجة عليكم، بل معظمهم لا يعلمون من يستحق الحمد لجهلهم.

(٢٦) ثم يبين الله أن له وحده ما في السماوات، وما في الأرض خلقاً وملكاً وتدبيراً، وأنه هو الغني عن جميع مخلوقاته، المحمود في الدنيا والآخرة.

(٢٧) ثم يبين سعة كلماته بحيث لو أن ما في الأرض من شجر جعل أقلاماً، والبحر مداداً، يمدّه سبعة أبحر أخرى ما فنت كلماته لعدم تنايها، كقوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (سورة الكهف ١٠٩) إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، حكيم في خلقه وتدبيره.

(٢٨) ثم يبين سهولة الخلق عليه، فما خلق الناس ولا بعثهم يوم القيامة للحساب إلا كخلق نفس واحدة وبعثها في السهولة، إن الله سميع، لا يشغله سماع صوت عن سماع آخر، بصير لا يشغله إبصار شيء عن إبصار آخر، ولا خلق نفس أو بعثها عن خلق أخرى وبعثها.

(٢٩) ثم يذكر الله بدورة الليل والنهار حيث ينقص من كل منهما، ويزيد الآخر، ويذكر بتدليل الشمس والقمر حيث يجريان، كل في مداره إلى أمد محدد، وبنه إلى أن الله بما يعمل هؤلاء المشركون خبير، لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، وسيجازيهم عليها.

(٢٠) ويذكر الله الناس ببعض نعمه التي يشاهدونها حيث إنه ذللي لهم ما في السماوات من شمس وقمر وغيرهما، وذل لهم ما في الأرض من دواب وشجر ونبات، وأكمل عليهم نعمه الظاهرة كجمال الصورة، والخفية كالعقل والعلم، وينكر الله على من يرى هذه النعم أن يجادل في توحيد غير علم مستند إلى وحي، أو عقل مستتير، أو كتاب واضح منزل.

(٢١) وينكر على المشركين تقليدهم الأعمى حيث يقولون لمن أمرهم أن يتبعوا ما أنزل الله على رسوله: لا تتبعه، إنما نتبع ما وجدنا عليه أسلافنا من عبادة الأصنام، أيتبعون أسلافهم حتى لو كان الشيطان يدعوهم بما يضلهم به من عبادة الأوثان إلى عذاب السعير.

(٢٢) ومن يقبل على الله مخلصاً ومحسناً في عمله متبعاً فقد أخذ بأوثق ما يتعلق به، فلا يخاف انقطاعه، وإلى الله وحده مرجع الأمور، فيجازي كلا بما يستحق.

(٢٣) وينهى نبيه أن يحزن لكفر من كفر، فالى الله وحده مرجعهم يوم القيامة، فيخبرهم بما عملوا من سيئات، ويجازيهم عليها، إن الله عليم بما في صدور الناس، لا يخفى عليه شيء مما فيها.

(٢٤) ثم يذكر جزاءهم حيث يمتعهم بما يعطيهم من متع في الدنيا زماً قليلاً، ثم يلجئهم يوم القيامة إلى عذاب شديد.

(٢٥) ويخبر الله عن تناقض المشركين حيث لو سألهم الرسول:



ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

(٣٠) ذلك التدبير والتقدير بأن الله وحده هو الحق، فهو حق في ذاته وصفاته وأفعاله، وأن ما يعبد المشركون من دونه هو الباطل الذي لا أصل له، وأن الله هو العلي بذاته، وصفاته على جميع مخلوقاته، الذي لا أعلى منه، الكبير الذي هو أكبر من كل شيء.

(٣١) ويتواصل التذكير فيذكر بجريان السفن في البحر بلطفه وتسخيرها؛ ليري الناس من آياته الدالة على قدرته، إن في ذلك المذكور لدلالات لكل إنسان كثير صبره على الضراء، كثير شكره للنعماء.

٢٧ توصل العلماء حتى الان الى تحديد وتصنيف نحو مليوني نوع من الكائنات الحية، ومعظم هذه ثدييات وطيور وحشرات، ويتم سنويا اكتشاف ١٥ الف نوع جديد. ويقدر العلماء ان العدد الكلي للكائنات الحية على الارض والتي يتوقع اكتشافها يتراوح بين خمسة ملايين الى مئة مليون نوع، بما فيها من فطريات وبكتيريا وفيروسات. وبعد الانتهاء من مشروع الجينوم البشري (Human Genome) وفي شهر يونيو تموز ٢٠٠٠ كان ٩٧ بالمئة من خريطة الجينات البشرية أو ما يطلق عليه « كتاب الحياة» قد تمت دراسته. وتبين من هذه الدراسة أن يحتوي الجسم البشري على نحو ١٠٠ تريليون خلية بكل خلية حمض نووي طوله يقرب من المترين موزعا على ست وأربعين كروموسوم أما عرضه فيبلغ ٢ نانومتر (النانومتر جزء من ألف مليون جزء من المتر) أي أن قطر شعرة الإنسان يزيد بخمسين ألف مرة عن قطر هذا الشريط. وهذا الحمض النووي متواجد في جميع الكائنات الحية. إذا تم فرد جميع الدنا DNA الموجود في واحد من البشر طرفا لطرف، يمكن للخيط الناتج أن يصل من الأرض إلى الشمس وبالعكس. وتترتب القواعد النيتروجينية (الجوانين G، والسيتوزين C، والثايمين T، والأدينين A) على هذا الشريط وترتيبها تعطى الجينات الوراثية. ويعد الترتيب المحدد للحروف A و T و C و G في غاية الأهمية، فهذا الترتيب يحدد جميع أوجه التنوع الحيوي في الكائنات الحية، ففي هذا الترتيب تكمن الشفرة الوراثية Genetic code، فكما أن ترتيب الحروف التي تتكون منها الكلمات هو الذي يجعلها ذات معنى، فإن ترتيب هذه الحروف يحدد كون هذا الكائن الحي إنسانا أو ينتمي إلى نوع من الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وفصائلها. وإذا أردنا أن نقرأ الجينوم البشري بسرعة حرف واحد في الثانية لمدة ٢٤ ساعة يوميا، فسيستغرق الأمر قرناً كاملاً للانتهاء من قراءة كتاب الحياة! ويحتاج الطباعة typist الذي يكتب بسرعة ٦٠ كلمة في الدقيقة (نحو ٣٦٠ حرفاً) ولدة ثماني ساعات يوميا، إلى نصف قرن للانتهاء من طباعة كتاب الحياة! ولو تمت كتابته على الورق باستخدام الأحرف الكتابية لاحتاج إلى مليون صفحة ورقية. (٢٠٠٠ رزمة ورق)، وإذا تم كتابة جميع الحروف (٣ بلايين) المكونة للجينوم البشري بحيث يكون كل منها على بعد ١ ملم من الآخر، في ورق A4 فستمتد لمسافة ٣٠٠٠ كيلومتر - أو نحو ٧٠٠ ضعف لارتفاع مبنى الإمباير ستات، وهي ناطحة السحاب الشهيرة في مدينة نيويورك. هذا بالنسبة لفرد من البشر فكم من المليارات ماتوا ويوجد ٦,٧ مليار فرد من البشر الآن وكم من المليارات ستأى مستقبلا، وكم من الأنواع والأصناف المختلفة من الطيور والحيوانات التي ماتت والتي تعيش والتي تأتي مستقبلا، وكم من الحشرات والبكتريا والفيروسات والفطريات تعيش بيننا وفي الماء والهواء والتربة وكلها تتكون بكلمات الله التي في حمضها النووي. فكم من الأشجار يبرى على هيئة أقلام وكم من المداد يملأ البحار لكتابة هذه الأحرف مختصرة على الجينوم البشري. وهنا يتضح معنى الإعجاز العلمي في هذه الآية العظيمة فهل درس محمد الجينوم البشري والجينوم لجميع الكائنات التي ماتت أو عاشت حتى يقول هذا الكلام المعجز أم أنه وحى من العليم الخبير؟

٢٩ سبقت الإشارة إليه في (سورة آل عمران: ٢٧)، (سورة الحج: ٦١).

٣١ تدفع الرياح ذلك النوع من السفن التي كانت معلومة وقتها للمخاطبين، وغير الريح من القوى التي سخرت للإنسان في هذا الزمان من بخار أو ذرة أو ما يشاء الله أن يخلق بعد الآن ليجعلها قوة في هذا الكون تحرك الجوازي في البحر كالأعلام. ويتقدم الإنسان في صناعة السفن شيئا فشيئا تم صنع السفن الكبيرة لنقل عشرات الآلاف من الركاب، وناقلات البترول الضخمة، والحاملات العملاقة والتي وصل حجمها في عصرنا الحديث إلى ما يزيد عن مائتي ألف طن، وأصبحت السفن تسير بقوة البترول والغاز، بل بعضها بقوة الطاقة النووية. وهذه السفن التي تجري في البحار والأنهار آية من آيات الله تعالى، لكنها لا تستغني عن وجود الهواء الذي يمثل العنصر الأساسي الأول - بشكل مباشر أو غير مباشر - في حركتها.

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

عن والده شيئاً، إن وعد الله بالجزاء يوم القيامة واقع لا محالة، ثم يحذرهم أن تخدعهم الحياة الدنيا بما فيها من شهوات وملاه، أو يخدعهم الشيطان بحلم الله وتأخير العذاب عنهم.

(٣٤) ثم يخبر الله عن اختصاصه بعلم الغيبات، فهو وحده عنده علم الساعة، فيعلم متى تقع، وينزل المطر متى شاء، ويعلم ما في الأرحام تفصيلاً، وما تعلم نفس ما تكسب غداً من خير أو شر، وما تعلم نفس بأي أرض تموت، والله يعلم ذلك، إن الله عليم خبير، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(٣٢) وبين الله تناقض المشركين في حالتها الشدة والرخاء، فهم إذا تجللهم موج مثل الجبال والغمام دعوا الله وحده مخلصين له الدعاء أن ينقذهم، فإذا استجاب لهم، وأنقذهم إلى البر، وسلمهم من الغرق انقسموا إلى مقتصد لم يقيم بما وجب عليه من الشكر كاملاً، وجاهد لنعمة الله، وما يجحد بآياتنا إلا كل غدار ينكث عهده، كفور بنعم الله لا يشكر ربه.

(٣٣) وبعد أن ذكر الله حال المشركين المعرضين نادى الناس أمراً إياهم بامثال أوامره، واجتناب نواهيه وبالخوف من عذابه يوم لا يغني فيه والد عن ولده، ولا يغني مولود

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَنْزِلِ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

من الله، لعلهم يهتدون إلى الحق، فيتبعونه، ويعملون به. ثم بين الله أنه هو الذي خلق السماوات وخلق الأرض، وخلق ما بينهما في ستة أيام، وهو قادر على خلقها في أقل من طرفة عين، ثم استوى على العرش استواء يليق بجلاله، وليس للناس من دونه من ولي يتولى أمرهم، أو شفيع يشفع لهم، أفلا تتفكرون - أيها الناس - وتعبدون الله الذي خلقكم، ولا تعبدون غيره.

(١) الم، الكلام فيها نظير الكلام في مثيلاتها، وقد تقدم في بداية سورة البقرة.

(٢) يخبر الله أن هذا القرآن منزل من رب العالمين، لا شك في ذلك.

(٣) أم يقول المكذبون بذلك: إن محمداً اختلقه، ليس الأمر كما قالوا، بل هو الحق الذي لا مرية فيه المنزل - أيها الرسول - عليك من ربك؛ لتخوف قوماً من عذاب ربهم، هؤلاء القوم ما جاءهم رسول من قبلك يخوفهم



﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

- (٥) يدبر أمر جميع مخلوقاته في السماوات وفي الأرض، ثم يصعد إليه ذلك الأمر في يوم كان مقداره ألف سنة مما يعدّه الناس في الدنيا.
- (٦) ذلك الذي يدبر الأمر كله هو عالم ما غاب وما حضر، لا يخفى عليه منهما شيء، العزيز الذي ينتقم من أعدائه، الرحيم بعباده المؤمنين.
- (٧) الذي أتقن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من غير مثال سابق من طين.
- (٨) ثم جعل أولاده من بعده من نطفة ضعيفة رقيقة.
- (٩) ثم أتم خلق الإنسان سوياً، ونفخ فيه من روحه حيث أمر الملك الموكل بنفخ الروح، وجعل لكم الأسماع لتسمعوا بها، والأبصار لتبصروا بها، والأفئدة لتعقلوا بها، قليلاً ما تشكرون نعم الله.
- (١٠) ويبين الله حجة المكذبين بالبعث حين يقولون: هل يعقل أنه إذا متنا وغبنا في الأرض، وصارت أجسامنا تراباً نبعث أحياء من جديد؟ ويرد عليهم أنهم في واقع أمرهم كافرون بالبعث لا يؤمنون به، ولا حجة لهم على إنكاره.
- (١١) ويأمر الله نبيه أن يقول للمكذبين بالبعث: يتوفاكم ملك الموت الذي وكله الله على قبض أرواحكم، ثم إلينا وحدنا يوم القيامة ترجعون للحساب والجزاء.
- (١٢) ويذكر الله الرائي بحال منكري البعث يوم القيامة حيث يخفضون رؤوسهم عند ربهم يوم القيامة من الخجل والندامة قائلين: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به من البعث، وسمعنا مصداق ما جاءت به الرسل فارجعنا إلى الدنيا نعمل عملاً صالحاً يرضيك عنا، إنا موقنون الآن بالبعث وبما جاءت به الرسل، لو رأي الرائي المجرمين على تلك الحال لرأي أمراً عظيماً.

٥ تشير الآية مع آية سورة الحج (٤٧) في قوله تعالى: (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) إلى نسبية الزمن وإلى الحد الأقصى للسرعة الكونية ومقدارها سرعة الضوء في الفراغ (٥, ٢٩٩٧٩٢ كم/ث)؛ لأن الأمر الكوني المشار إليه في هذه الآية يقطع بسرعه القصوى في يوم أرضي مسافة مساوية للمسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة قمرية، أي ما يعادل مسافة طولها (١٢٠٠٠) مدار قمرى، وبهذه المعادلة القرآنية يمكن حساب السرعة المطلقة في الكون مساوية في حدها الأقصى سرعة الضوء تماماً، وهذا إعجاز قرآني في أهم القضايا الكونية المطلقة.

٧ الطين هو أولى مراحل خلق الإنسان الأول (آدم عليه السلام)، وهو ناتج من امتزاج عنصري الماء والتراب. فالمادة الترابية التي بدأ منها خلق آدم عليه السلام كانت عبارة عن طين طري (طين لازب)، ثم تحولت إلى حمأ في مرحلة مبكرة جداً. وقد دلت البحوث العلمية على أن المواد الأساسية في تكوين الجسد الإنساني هي نفسها المواد المكونة للطين اللازب. إن ذكر هذا الطور غاية في الإعجاز ودليل آخر على صدق رسالة محمد ﷺ حيث أخبر أن الصلصال من أصل طيني، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾.

٨ ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾: والسلالة الخلاصة ويعني الجزء الأساسي أو الأفضل من شيء ما، وهذا يبين أن نشأة الإنسان هي فقط من جزء من ماء الرجل وليس كله، وهو المنوي الذي يُسَل من بين ملايين المنويات (الماء المهين أو المنى) كما قال تعالى: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾.

٩ سبقت الإشارة إليه في (سورة النحل: ٧٨).

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَنَحْنُ نَعْلَمُ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ۞

- (١٣) ويخبر الله عن نفسه أنه لو شاء إعطاء كل نفس توفيقها للحق لأعطاه ذلك، ولأعطى هؤلاء المكذبين توفيقهم، ولكن وجب القول منه: ليملائن جهنم يوم القيامة من الجن والناس لاختيارهم طريق الكفر والضلال.
- (١٤) ويخبر عما يبكت به المجرمين حين يخاطبون: بأن يذوقوا العذاب بسبب غفلتهم في الدنيا عن لقاء الله يوم القيامة للحساب، إنا تركناهم في العذاب غير مباليين بما يقاسونه، وذوقوا عذاب النار بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.
- (١٥) إنما يؤمن بآياتنا المنزلة على رسولنا الذين إذا وعظوا بها سجدوا لله مسبحين بحمده وهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا السجود له بأي حال.
- (١٦) هؤلاء المؤمنون تتباعد جنوبهم عن فرش نومهم للصلاة في جوف الليل يتهددون لله يدعونه في صلاتهم وغيرها خوفاً من عذابه وطمعاً في رحمته ينفقون أموالهم التي رزقناهم في سبيل الله.
- (١٧) ويذكر الله جزاءهم فهم لا تعلم أي نفس ما هيأه الله لهم مما تقر به أعينهم جزاء على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.
- (١٨) وينكر الله على من يساؤون بين المؤمن الملتزم بطاعة ربه والكافر الخارج عنها أفمن كان مؤمناً بالله عاملاً بأوامره، مجتنباً نواهيها كمن كان خارجاً عن طاعته؟، لا يستويان عند الله في الجزاء.
- (١٩) ويفصل جزاء المؤمنين، فالمؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة جزاؤهم المهيا لهم جنات يأوون إليها ضيافة من الله لهم جزاء لهم على ما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة.
- (٢٠) ثم يفصل جزاء الخارجين عن طاعته بالكفر والمعاصي فهؤلاء يجعل مستقرهم الذي يأوون إليه يوم القيامة النار مستمرين فيها أبداً كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ويقال لهم تكبنا لهم: ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون رسلكم أنه واقع.
- (٢١) ويقسم الله ليذيقن المكذبين الخارجين عن طاعته - إن لم يتوبوا - من المحن والبلاء في الدنيا دون العذاب الأكبر المهيا لهم يوم القيامة لعلهم يتوبون إلى الله عندما يواجهون المحن.
- (٢٢) ولا أحد أظلم ممن وعظ بآيات الله، فأعرض عنها غير مكترث بها، إنا من المجرمين بارتكاب الكفر والمعاصي منتقمون لا محالة.
- (٢٣) ويؤكد الله أنه أعطى موسى التوراة، وينهى نبيه أن يصيبه شك من لقاء موسى ليلة أسري به، و يبين فائدة الكتاب المنزل على موسى فهو هاد لبني إسرائيل من الضلال.
- (٢٤) ويخبر الله أنه جعل من بني إسرائيل أمة يقتدي بهم الناس في الحق يدلون على الحق جزاء صبرهم على امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه وعلى الأذى في سبيله، وعلى إيقانهم بآيات الله المنزلة على رسولهم.



﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (٢٥) أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ
فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾
قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَاَنْظَرُ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

الماء زرع تأكل منه إبلهم وبقرهم وغنمهم، ويأكلون هم
منه، أفلا يبصرون ذلك، ويدركون أن من أنبت الأرض
القاحلة قادر على إحياء الموتى فيؤمنوا بالبعث.

(٢٥) ويخاطب الله نبيه فيؤكد له أنه هو الذي يفصل بينهم يوم
القيامة فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا، ويجازي كلا بما
يستحقه بعد امتياز المحق من المبطل.

(٢٨) ويبين الله استعجال المكذبين بالعذاب حين قالوا: متى
هذا الحكم الذي تزعمون أنه سيفصل بيننا وبينكم يوم
القيامة، فندخل نحن النار وتدخلون أنتم الجنة؟

(٢٦) وينكر الله على المشركين عما هم حيث لم يتبين لهم كثرة
الأمم السالفة التي أهلكتها الله، فها هم يمشون في مساكن
تلك الأمم التي كانوا يسكنونها قبل إهلاكهم فلم يتعظوا
بحالهم، إن فيما حدث لتلك الأمم من الإهلاك بكفرهم
ومعاصيهم لعبرا يستدل بها على صدق رسلهم الذين
جاؤوهم من عند الله، أفلا يسمع هؤلاء المكذبون من
آيات الله سماع قبول واطعاض؛ ليتنفعوا بها؟

(٢٩) ويأمر رسوله أن يقول لهم: يوم الفصل بين العباد لا
ينفع الذين كفروا بالله في الدنيا إيمانهم في الآخرة، ولا هم
يؤخرون، فيتوبوا إلى ربهم، وينيبوا إليه.

(٢٧) ويذكر الله منكري البعث بالبرهان عليه وهو أنه يسوق ماء
المطر إلى الأرض القاحلة التي لا نبات فيها، فيخرج بذلك

(٣٠) فأعرض عنهم - أيها الرسول - وانتظر هلاكهم إنهم
ينتظرون هلاكك، وفي هذا تهديد لهم.

سورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ
رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾

(٢) ويأمره باتباع ما ينزله عليه ربه من الوحي، إن الله كان بما
تعملون خبيراً، وسيجازيكم على أعمالكم.

(١) ينادي الله نبيه محمداً ﷺ أمراً إياه بـمداومة تقوى
الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن يخافه وحده
وناهيا إياه عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يملون
عليه مما يخالف شرعه إن الله كان عليماً بكيد الكافرين
والمنافقين، حكيماً في خلقه وتدييره.

(٣) ويأمره بالاعتماد على الله وحده في أموره، وكفى بالله
حافظاً لمن توكل عليه.

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولَئِىَ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَتِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ .

إلى غيره، وزوجاته عليهن السلام بمثابة أمهات لجميع المؤمنين، فيحرم على أي مؤمن أن يتزوج إحداهن بعد موته عليهن السلام، وذوو القرابة بعضهم أحق ببعض في الإرث في حكم الله من أهل الإيمان والهجرة في سبيل الله الذين كانوا يتوارثون فيما بينهم في صدر الإسلام، ثم نسخ توارثهم بعد ذلك، إلا أن تفعلوا - أيها المؤمنون - إلى أوليائكم من غير الورثة معروفًا من إيصال لهم وإحسان إليهم، فلكم ذلك، كان ذلك الحكم في اللوح المحفوظ مسطورًا فيجب العمل به.

ويذكر الله رسوله بأخذه العهد المؤكد من الأنبياء أن يعبدوا الله وحده، ولا يشركوا به شيئًا، وأن يبلغوا ما أنزل الله إليهم، وأخذ العهد منه هو، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم، أخذ الله منهم عهدًا مؤكدًا أن يفوا بما ائتمنوا عليه من إبلاغ وحي الله إلى أمهم.

(٨) ويبين الله الحكمة من أخذ الله العهد من الأنبياء، وهي أن يسأل الصادقين من الرسل عن صدقهم تبكيًا للكافرين، وقد هيأ للكافرين به يوم القيامة عذابًا موجعا.

(٤) ما جعل الله لرجل من قلبين، وما جعل الله زوجاتكم التي تشبهونهن بظهور أمهاتكم في الحرمة، ما جعلهن الله مثل أمهاتكن في الحرمة، وإنما يكفي أن يكفر المظاهر، وما جعل من يدعون لغير آبائهم أبناء لكم كما كان سائدًا في الجاهلية، ذلك التحريم بالظهار، والتبني لمن لا أبوة لكم عليه قول ترددونه بأفواهكم، ولا حقيقة له في الواقع، فلا الزوجة أم لمن ظاهر منها، ولا الدعي ابن لمن ادعاه، والله يقول الحق؛ ليعمل به عباده، وهو يرشد إلى طريق الحق.

(٥) ويأمر الله بنسبة الأديعاء إلى آبائهم، فنسبتهم إليهم أعدل عند الله، هذا إن علم آباؤهم فإن لم يعلم لهم آباء ينسبون إليهم فهم إخوانكم في الدين، وأبناء عمومكم، فادعوا أحدهم بيا أخي، ويا ابن عمي، ويرفع الله الإثم عنم أخطأ، فنسب دعيا إلى مدعيه، ولكن تأثمون عند تعمد النطق بذلك، وكان الله غفورًا لمن تاب من عباده، رحيمًا حين لم يؤاخذهم بالخطأ.

(٦) ثم يبين الله منزلة نبيه من أمته فهو أحق بالمؤمنين من أنفسهم في كل ما دعاهم إليه، ولو كانت أنفسهم تميل

٤ إذا قمنا بعملية استقصاء لجميع المواليد البشرية في العالم لاتوجد حالة واحدة بها قلبان على الإطلاق، وقد يوجد توائم ملتصقة بقلب واحد؛ ولكن لا يوجد جنين بقلبين، جاء التحديد للرجال دون النساء.

٥ لا يجوز نسبة الناس إلى غير آبائهم، وقد كشفت الدراسات العلمية في علم الجينوم أن كل إنسان تكون شفرته الوراثية منسوخة من آباءه وأمهاته، ولا يمكن أن تتطابق مع غيرهم، ولا يمكن تعديل أي جزء من أجزاء الكائن الحي إلا من خلال تعديل المعلومات الرقمية المكتوبة في الشريط الوراثي (د. ن. أ.).



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْنَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَإِلَّا قَلِيلًا مِّن قَبْلِ أَنْ يُولَئِكَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ۞

(٩) ثم ينادي الله المؤمنين أمرا إياهم بذكر نعمته عليهم حين جاءتكم جنود المشركين متحزبين على قتالهم،

(١٤) ولو دخل العدو عليهم المدينة من نواحيها، وسألهم العودة إلى الكفر والشرك لأعطوا عدوهم ما سأل، وما تخلفوا عن الردة إلى الكفر إلا قليلا.

(١٥) مع أنهم عاهدوا الله بعد فرارهم يوم أحد أنه إن يحدث قتال لا يفرّوا خوفا منهم، وكان العبد مسؤولا عما عاهد الله عليه وفي أو أخلف؟

(١٦) ويأمر الله نبيه أن يقول لهم: لن ينفعكم الفرار إن فررتم من القتال خوفا من الموت أو من القتل، فالأعمار محددة، والقتال لا يقرب الأجل، والفرار لا يبعده، وإذا فررتم ونجوتهم فلأن أجلكم لم يحن، ولن تستمتعوا في الحياة إلا زمنا قليلا ونجوتم.

(١٧) ويأمره أن يقول لهم بأسلوب الاستفهام الإنكاري: من الذي يحول بينكم وبين الله إن أراد بكم موتا أو قتلا تكرهونه، أو أراد بكم ما ترغبون فيه من السلامة والخير، لا أحد يمنعكم من ذلك، ولا يجد هؤلاء المنافقون لهم من دين الله وليا يتولى أمرهم، ولا نصيرا يمنعهم من عقاب الله لهم.

(١٨) ويبين الله علمه بالمشيطين منهم عن القتال مع رسوله ﷺ وبمن يقولون لإخوانهم: تعالوا إلينا ولا تقتلوا معه فقتلوا وهؤلاء المخذولون لا يأتون الحرب إلا نادرا وإن أتوها فلدفع العار عن أنفسهم.

وساندتهم المنافقون واليهود، فبعث الله عليهم ريح الصبا نصره لنبيه، وبعث جنودا من الملائكة لم يشاهدها المؤمنون، فرجع المشركون هاربين، وكان الله بما تعملون بصيرا، وسيجازيكم على أعمالكم.

(١٠) ويذكرهم بنعمته حين جاءكم عدوهم من أعلى الوادي، ومن أسفله من جهتي المشرق والمغرب، وحين مالت الأبصار عن كل شيء إلا عن نظر عدوها، ووصلت القلوب إلى حناجر أصحابها من شدة الرعب، حتى وصل الأمر أن بعضهم يظن النصر، وبعضهم يظن اليأس منه.

(١١) في ذلك الموقف الصعب في غزوة الخندق اختبر المؤمنون بما لاقوه من تداعي الكفار عليهم، واضطربوا اضطرابا شديدا من شدة الهول.

(١٢) ويذكر الله رسوله والمؤمنين بما يقوله المنافقون وضعفاء الإيمان الذين في قلوبهم شك حين يقولون: ما وعدنا الله ورسوله من النصر على عدونا، والتمكين لنا في الأرض إلا باطلا لا أساس له.

(١٣) ويتواصل تذكير الرسول والمؤمنين بما خاطب به فريق من المنافقين أهل المدينة حين قال: يا أهل يثرب: لا إقامة لكم عند سفح سلع قرب الخندق فارجعوا إلى منازلكم، ويذكرهم بطلب فريق منهم الإذن من النبي ﷺ أن ينصرفوا إلى بيوتهم بحجة أن بيوتهم مكشوفة أمام عدوهم، ويرد الله

﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَكَلَّمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَسَلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ عَافُوًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ۞

إلا من كان يرجو اليوم الآخر ويعمل له وذكر الله ذكرا كثيرا وأما الذي لا يرجو اليوم الآخر ولا يذكر الله كثيرا فإنه لا يتأسى برسوله.

(٢٢) ولما عين المؤمنون الأحزاب المتجمعة لقتالهم قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والمحن والنصر، وصدق الله ورسوله فيما وعدا به، فقد تحقق، وما زادتهم معاينتهم للأحزاب إلا إيمانا بالله وانقيادا له.

(٢٣) ويخبر الله عن بعض المؤمنين واصفا إياهم بصدق العهد مع الله والوفاء بما عاهدوه عليه من الثبات والصبر على الجهاد فبعضهم مات أو قتل في سبيل الله وبعضهم ينتظر الشهادة في سبيله وما غير هؤلاء المؤمنون ما عاهدوا الله عليه.

(٢٤) ويذكر الله بجزائه للصادقين حيث يجزي الله الصادقين الذين وفوا بما عاهدوا الله عليه بصدقهم ووفائهم بعهودهم يذكر جزاء المنافقين حيث يعذبهم لنقضهم لعهودهم إن شاء بأن يميتهم قبل التوبة من كفرهم أو يتوب عليهم بأن يوفقهم للتوبة وكان الله غفورا لمن تاب من ذنوبه رحيمًا به.

(١٩) وهم بخلاء على المؤمنين - بأموالهم، وأنفسهم، ومودتهم، فإذا جاء الخوف عند لقاء العدو رأيتهم ينظرون إليك - أيها الرسول - تدور أعينهم جنبنا مثل الذي يعاني سكرات الموت فإذا ذهب عنهم الخوف واطمأنوا بالكلام بألسنة ذريرة حداد أشحة، أولئك المتصفون بهذه الصفات لم يؤمنوا بالإيمان المطلوب فأبطل الله ثواب أعمالهم، وكان ذلك الإبطال يسيرا على الله.

(٢٠) يظن هؤلاء الجبناء أن الأحزاب المتألفة لقتال رسول الله ﷺ والمؤمنين لن يذهبوا حتى يستأصلوا المؤمنين وإن قدر أن الأحزاب عادوا مرة أخرى يودّ المنافقون الجبناء أنهم لم يكونوا في المدينة وإنما هم مع الأعراب بعيدا عنها يسألون عن أخباركم: ماذا حدث لكم بعد القتال، ولو كانوا فيكم - أيها المؤمنون - ما قاتلوا معكم إلا قليلا فلا تبالوا بهم، ولا تأسوا عليهم.

(٢١) ويذكر الله المؤمنين بقدوتهم الحق حيث إن لهم في رسول الله قدوة حسنة فقد حضر وياشر الحرب بنفسه فكيف يرضون بأنفسهم عن نفسه؟ ولا يتأسى برسول الله ﷺ

١٩ العينان نافذة على النفس وانفعالاتها الشعورية، فأغلب الحالات النفسية تصحبها انعكاسات عضوية في مختلف أعضاء الجسم ومنها العينان، وما حالة الارتجاج في العينين التي تشاهد عند بعض الناس إلا مثال على ذلك، والإعجاز العلمي يظهر في حركة الارتجاج في العينين وهي من العلامات الرئيسية التي تصاحب الإصابات المرضية القاتلة في جذع الدماغ، وقد عرف أطباء الجهاز العصبي منذ سنة ١٩٥٩م فقط وصف علامة العين التي تدور، فكل إصابة في جذع الدماغ مصحوبة بعلامة العين التي تدور هي إصابة مميتة، يكون المريض خلالها في حالة غيبوبة عميقة، تنتهي به سريعا إلى موت أكيد، ولم يعرف الأطباء أي حالة غيبوبة مصحوبة بعلامة العين التي تدور إلا وانتهت إلى الموت، ويكفي ظهور هذه العلامة وحدها فقط عند أي مريض في حالة غيبوبة لكي تعني بالنسبة إلى أطباء الأعصاب قرب انتهاء أجل المريض بصورة شبه أكيدة. وصدق الله العظيم القائل: (كالذي يغشى عليه من الموت ..) .



﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ مِنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرًا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ۞

- (٢٥) ويخبر الله عن نهاية غزوة الخندق حيث رد أحزابهم الكافرة المتألبة على قتال المؤمنين خاسرين مغتازين من رجوعهم خائبين لم يظفروا بما أرادوا من استئصال المؤمنين وكفى الله المؤمنين بما أرسله من الريح وبما أنزله من الملائكة قتال عدوهم وكان الله قويا عزيزا لا يغالبه أحد.
- (٢٦) ويذكر مصير أعوان المشركين من اليهود حيث أنزل الذين أعانوهم من اليهود من حصونهم وألقى الخوف في نفوسهم فصار المؤمنون يقتلون فريقا، ويأسرون فريقا آخر.
- (٢٧) ويذكر الله مصير ممتلكاتهم حيث ملك الله المؤمنين بعد هلاك عدوهم أرضهم بما فيها من زروع ونخيل، وملكهم منازلهم وأموالهم الأخرى، وملكهم أرض خيبر التي لم يطؤها بعد لكنهم سيطرونها، وكان الله على كل شيء قديرا، لا يعجزه شيء.
- (٢٨) ينادي الله نبيه أمرا إياه أن يقول لأزواجه حين طلبن منه التوسعة في النفقة، ولم يكن عنده ما يوسع به عليهن: إن كنتم تردن الحياة الدنيا وما فيها من زينة فتعالين إلي أمتعن بما تمتع به المطلقات، وأطلقكن طلاقا، لا إضرار فيه ولا إيذاء.
- (٢٩) أما إن كنتم تردن رضا الله، ورضا رسوله، وتردن الجنة في الدار الآخرة فاصبرن على حالكن، فإن الله أعد لمن أحسن منكن بالصبر وحسن العشرة أجرا عظيما، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.
- (٣٠) ثم ينادي الله نساء النبي ﷺ محذرا إياهن من إتيان معصية ظاهرة حتى لا يضاعف لها العذاب يوم القيامة ضعفين لمكانتها ومنزلتها، ولصيانة جناب النبي ﷺ. وكانت تلك المضاعفة على الله سهلة.
- (٣١) ويعد الله نساء النبي ﷺ أن من أطاعت الله منهن وأطاعت رسوله وعملت عملا صالحا أعطها ضعف ما يعطي غيرها وأعد لها في الآخرة أجرا كريما هو الجنة.
- (٣٢) وينادي الله نساء نبيه ﷺ مبينا أنهن لسن في الفضل والشرف كسائر النساء، بل هن في الفضل والشرف بالمنزلة التي لا يصل إليها غيرهن إن امتثلن أوامر الله، واجتنبن نواهيها، وبنهاهن عن تليين القول، وترقيق الصوت عند الكلام مع الأجانب من الرجال، فيطمع من في قلبه شهوة الحرام، ويأمرهن أن يقلن قولا بعيدا من الريبة بقدر الحاجة.

٣٢ قال المفسرون: (لا يرقن الكلام إذا خاطبن الرجال).

وقد ثبت اليوم أن الغريزة الجنسية قد تنار بالمشاهدة البصرية التي تعمل على إفراز هرمونات في الجسم، وأيضا الشم واللمس، وكذلك تأثير الصوتيات، ولذلك أوجب الله على المرأة المسلمة أن لاتلين كلامها مع الأجانب ولا تكسره.



﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٤٠) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَلَا تُطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعَّ أَذْنُهُمْ وَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨) عَدَّةٌ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدَّةٍ تَعْدُونَهَا فَمْتِعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلْنِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

الصد عن دين الله، ويأمره بالإعراض عن أذاهم، فإن ذلك أدعى لأن يؤمنوا بما جاءهم به، وأن يعتمد على الله في أموره، وكفى بالله وكيلاً يعتمد عليه العباد في أمورهم.

(٤٩) ثم ينادي الله المؤمنين شارحاً لهم أنهم إذا عقدوا على المؤمنات عقد نكاح، ثم طلقوهن من قبل البناء بهنّ فما لهم عليهنّ من عدة بالأقراء أو الشهور لبراءة أرحامهنّ، ويأمرهم بمتيعةنّ حسب وسعهم جبراً لخواطرهنّ المنكسرة بالطلاق، وأن يخلوا سبيلهنّ ينطلقنّ إلى أهليهنّ دون إيذاء لهنّ.

(٥٠) ثم ينادي نبيه مذكراً إياه بما أباحه له من النساء حيث أباح له أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وأباح له ما ملك من الإماء مما حصل عليه من السبايا، وأباح له نكاح بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، وأباح له أن ينكح امرأة مؤمنة وهبت نفسها له من غير مهر إن أراد هو نكاحها - وهذا من خصائصه - قد علمنا ما أوجبناه على المؤمنين في شأن زوجاتهم حيث لا يجوز لهم أن يتجاوزوا أربع نساء، وما شرعناه لهم في شأن إماءهم حيث إن لهم أن يستمتعوا بمن شاءوا منهنّ دون تقييد بعدد، وأبنا لك - أيها الرسول - ما أبنا مما لم نبهه لغيرك لئلا يكون عليك ضيق ومشقة، وكان الله غفوراً لمن تاب من عباده، رحيماً بهم.

(٤٠) ويرى الله نبيه من أبوة أي من الرجال، فليس والد زيد حتى يحرم عليه نكاح زوجته إذا طلقها، ولكنه رسول الله إلى الناس، وخاتم النبيين، فلا نبي بعده، وكان الله بكل شيء عليماً.

(٤١) ثم ينادي الله المؤمنين أمراً إياهم أن يذكروه ذكراً كثيراً.

(٤٢) ويأمرهم أن ينزهوه بالتسبيح والتهليل أول النهار وآخره.

(٤٣) ثم يمتنّ الله على عباده فهو الذي يرحمهم ويثني عليهم، وتدعو لكم ملائكته؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وكان بالمؤمنين رحيماً، فلا يعذب مطيعهم.

(٤٤) ويخبر الله عن تحية المؤمنين يوم يلقونه فهي سلام وأمان من كل سوء، ويخبرهم أنه أعد الله لهم ثواباً كريماً هو الجنة.

(٤٥) ثم ينادي الله رسوله مخبراً ببعثه إياه إلى الناس شاهداً عليهم بأن بلغهم ما أرسل به إليهم، ومبشراً للمؤمنين منهم بالجنة، ومخوفاً للكافرين من النار.

(٤٦) ويخبره ببعثه إياه داعياً إلى توحيد الله وطاعته بأمره، وبعثه مصباحاً منيراً لمن يريد الهداية .

(٤٧) ويأمره أن يخبر المؤمنين بالله الذين يعملون بما شرعه لهم بأن لهم فضلاً عظيماً، يشمل نصرهم في الدنيا، وفوزهم في الآخرة بدخول الجنة.

(٤٨) وينهاه عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يدعون إليه من

٤٩ ﴿ من قبل أن تمسوهن ﴾ : إذا طلقت المرأة قبل الدخول عليها فلا عدة عليها ولا يستثنى إلا المتوفى عنها زوجها فتعتد أربعة أشهر وعشراً. وقد ثبت علمياً أن المبيض تكون فيه بويضات تخرج متتابعة، فإذا جامعها زوجها كان من تكوين هذه البويضات شيئاً من ماء الرجل، أما إذا لم يجامعها فإنها ليست له، ولذلك لا عدة عليها كما في الآية.

﴿ تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤَيِّئُ إِلَيْكَ مَنْ نَشَاءُ وَمَنْ أُنْبَغِيَتْ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنَهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَأْتَهُنَّ كُنَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَتَأَيَّمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحِيءُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِيءُ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تُبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خُفِّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾

حاجة مثل آنية ونحوها فليطلبوا حاجتهم تلك من وراء حجاب، ولا يطلبوها مباشرة حتى لا تراهن أعينهم صونا لمكانة رسول الله ﷺ، ذلكم الطلب من وراء ستر أظهر لقلوبهم، وأظهر لقلوبهن حتى لا يتطرق الشيطان إلى قلوبهم وقلوبهن بتزيين المنكر، وما ينبغي للمؤمنين أن يؤذوا رسول الله بالملك للحديث، ولا أن يتزوجوا نساء من بعد موته، فهن أمهات المؤمنين، إن ذلكم الإيذاء، ونكاح نساؤه من بعد موته كان عند الله إثما عظيما.

(٥٤) ويحذر الله من إضمار السوء وإظهاره كإضمار أو إظهار الزواج من نساؤه ﷺ بعد موته، فلن يخفى على الله منه شيء، إن الله كان بكل شيء عليما، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

(٥٥) ثم بين الله من يجوز له رؤيتهن، والحديث معهن دون حجاب حيث لا إثم عليهن أن يراهن ويكلمهن دون حجاب آبائهن، أو أولادهن أو إخوانهن، أو أبناء إخوانهن، أو أبناء أخواتهن من النسب أو الرضاة، ولا إثم عليهن أن يكلمهن دون حجاب النساء المؤمنات، و ما ملكت أيمانهن من العبيد، المؤمنات، ثم أمر المؤمنين بتقوى الله فلا يظهرن إلا ما يجوز إظهاره أمام المذكورين، إن الله كان على كل شيء شهيدا، لا يخفى عليه شيء.

(٥١) لك - أيها الرسول - أن تؤخر من نشاء تأخير قسمها من نساءك، وأن تضم إليك من نشاء منهن فتبيت معها ومن طلبت أن تضمها ممن طلبت أن تؤخرها فلا إثم عليك في ذلك، ذلك التوسيع لك أقرب أن تقر به أعينهن، وأن يرضين بما أعطيتهن جميعهن إذ لم تترك واجبا، ولم تخل بحق، والله يعلم ما في قلوبكم - أيها الرجال - من الميل إلى بعض النساء دون بعض، وكان الله عليما بأعمال عباده، لا يخفى عليه منها شيء، حلينا لا يعاجلهم بالعقوبة.

(٥٢) لا يجوز لك - أيها الرسول - النساء من غير زوجاتك اللاتي هن في عصمتك، ولا يحل لك تطليقهن، أو تطليق بعضهن؛ لتأخذ غيرهن، ولو أعجبك حسن من تريد أن تتزوج بها من غيرهن، لكن لك أن تتسرى بما ملكت يمينك من الإماء، دون حصر في عدد، وكان الله على كل شيء حفيظا.

(٥٣) ثم ينادي الله المؤمنين ناهيا إياهم عن دخول بيوت النبي إلا بعد إذن منه لهم بدخولها بأن يدعوهم إلى طعام غير منتظرين نضجه، ولكن إذا دعاهم إلى طعام فليدخلوا، فإذا أكلوا فليصرفوا، ولا يكتثوا بعده يستأنس بعضهم بكلام بعض، إن ذلك التأخر كان يؤذي النبي ﷺ، فيستحبي أن يأمرهم بالانصراف، والله لا يستحبي أن يأمر بالحق، فأمرهم بالانصراف عنه حتى لا يؤذوا نبيه بالمقام، ويأمرهم الله إذا طلبوا من زوجات النبي ﷺ

٥٥ الآية تبيح الدخول على هؤلاء بسبب الحرمة المقدره شرعا وعقلا في إطار الضوابط الشرعية المرعية. وقد سبق الكلام عنها في (سورة النساء ٢٣).



﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدَّى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّكَ وَكَانَ اللَّهُ عَافُوًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴿ يَسْئَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يٰلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴿

واليهود سؤال اختبار بشأن وقت الساعة ويأمره أن يقول لهم: علم الساعة عند الله، ليس عندي منه شيء، وما يشعرك - أيها الرسول - أن الساعة تكون قريبة.

(٦٤) ثم يخبر الله عن طرد الكافرين من رحمته، وإعداد نار ملتهبة لهم..

(٦٥) يدخلونها ماكثين في عذابها المعد لهم أبدًا، لا يجدون فيها وليا يتولى أمرهم، ولا نصيرا يدفعها عنهم.

(٦٦) يوم القيامة تقلب وجوههم في نار جهنم، يقولون من شدة الندم: يا ليتنا في الدنيا أطعنا الله بامثال أمره، واجتنب نهي، وأطعنا الرسول فيما جاء به.

(٦٧) ويخبر الله عن اعتذارهم المرذود حين يقولون لربهم: إنهم أطاعوا رؤساءهم وكبراء أقوامهم، فأضلوهم عن الصراط المستقيم.

(٦٨) ويخبر عن دعائهم ربهم أن يعطي هؤلاء الرؤساء الذين أضلوهم ضعفي ما أعطاهم من العذاب لإضلالهم إياهم، وأن يطردهم من رحمته طردًا عظيمًا.

(٦٩) وينادي الله المؤمنين ناهيا إياهم عن إيذاء رسوله، فيكونوا مثل الذين آذوا موسى بقولهم عنه: إنه منتفخ الخصيتين فبرأه الله بأن بين لهم سلامته مما وصموه به، وكان موسى وجيها عند الله.

(٥٦) إن الله يشي عند ملائكته على رسوله، وملائكته يدعون له، يا أيها الذين آمنوا بالله صلوا على الرسول، وسلموا تسليمًا.

(٥٧) ويتوعد الله المؤذنين له ولرسوله بالإبعاد عن الرحمة في الدنيا والآخرة، وبإعداد العذاب المذل لهم في الآخرة.

(٥٨) ويخبر أن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بالقول أو الفعل بغير ذنب اكتسبوه أنهم احتملوا كذبًا وإثمًا ظاهرًا.

(٥٩) وينادي الله نبيه أن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين: إن عليهن أن يرخين عليهن من الجلايب التي يلبسناها حتى لا تنكشف وجوههن أمام الأجانب من الرجال، ذلك أقرب أن يعرفن أنهم حرائر، فلا يؤذين بالتعرض لهن كما يؤذي الإمام به، وكان الله غفورًا لذنوب من تاب من عباده، رحيماً به.

(٦٠) ويتوعد الله المنافقين ومرضى القلوب بتعلقهم بالشهوات، والذين ينشرون الأخبار الكاذبة للتفريق بين المؤمنين أنه سيأمر رسوله بمعاقتهم ويسلطه عليهم، ثم لا يساكنونه في المدينة إلا زمنا قليلا بإهلاكه لإفسادهم في الأرض.

(٦١) هم مطرودون من رحمة الله، في أي مكان لقوا أخذوا وقتلوا تفتيلاً؛ لنشرهم الفساد في الأرض.

(٦٢) هذا المذكور بشأنهم سنة الله المستمرة في المنافقين إذا أظهروا النفاق، وسنة الله ثابتة لن تجد لها أبدًا تغييرًا.

(٦٣) ثم ينبه الله رسوله إلى ما يسأله عنه المشركون سؤال إنكار،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

- (٧٠) ويناديهم مرة أخرى أمراً إياهم بالتقوى وقول الصواب.
- (٧١) ويخبرهم أنهم إن اتقوا الله وقالوا قولاً صواباً أصلح لهم أعمالهم، وتقبلها منهم، و محا عنهم ذنوبهم، وأن من أطاع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.
- (٧٢) ثم يخبر الله عن عرضه التكليف الشرعية على السماوات و الأرض، والجبال فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبته، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوماً لنفسه، جهولاً بعاقبة حمل الأمانة.
- (٧٣) حملها الإنسان بقدر من الله؛ لحكمة هي أن يعذب الله المنافقين من الرجال والمنافقات من النساء، والمشركين من الرجال والمشركات من النساء، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفوراً لذنوب من تاب من عباده رحيماً بهم.

سورة سبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغُرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

- (١) الحمد لله الذي له ما في السماوات و ما في الأرض خلقا وملكا وتدييرا، وله الشاء في الآخرة، وهو الحكيم في خلقه وتدييره، الخبير بعباده، لا يخفى عليه من أمرهم شيء.
- (٢) ويصف الله سعة علمه فهو يعلم ما يدخل في الأرض من معادن وماء ونبات، ويعلم ما يخرج منها من نبات وغيره، ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغيره، ويعلم ما يصعد من ملائكة وغيرهم، وهو الرحيم بالمؤمنين، الغفور لمن تاب.
- (٣) ويخبر الله عن استبعاد الكافرين مجيء الساعة، ويأمر رسوله أن يقول لهم: بلى والله لتأتينكم، لكن لا يعلم ذلك إلا الله فهو عالم الغيب، لا يغيب عن علمه وزن أصغر نملة في السماوات، ولا في الأرض، ولا يغيب عنه أصغر منه، ولا أكبر إلا هو مكتوب في كتاب واضح، ذلكم الكتاب هو اللوح المحفوظ.
- (٤) الذي أثبت الله ما أثبت فيه؛ ليجزي الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة، أولئك لهم من الله مغفرة لذنوبهم، ولهم رزق كريم هو الجنة.



﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزِ الْيَمِّ ﴿٥﴾ وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَبْتَئِكُمُ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلَّ مَزْقٍ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ لِقَاءُ يَوْمِكُمْ هَٰذَا أَلَمْ نَقْتُلْكُم مَّا كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَحْشِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا بَلَّغْنَا أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَاحِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غُدُوهَا شَهْرٌ وَرَوْحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا فَصَّيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ فَمَا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ۞

- (٥) ويخبر الله عن جزاء الساعين ببذل جهودهم لإبطال ما أنزل من آيات، حيث قالوا عنها: سحر، وقالوا عن رسوله: كاهن، ساحر، شاعر، فأولئك أسوأ عذاب يوم القيامة وأشدّه.
- (٦) ويعلم أمثال عبد الله بن سلام الذين أعطاهم الله العلم أن الذي أنزله الله إليك هو الحق، ويرشد إلى طريق العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود على كل حال.
- (٧) ويخبر الله عما يقوله الكافرون على سبيل السخرية حين يقول بعضهم لبعض: هل ندلكم على رجل يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم أنكم ستبعثون بعد موتكم أحياء!
- (٨) هل اختلق هذا الرجل على الله كذبا فزعم أننا نبعث بعد موتنا؟ أم هو مجنون يهذي بالخيال؟، ليس الأمر كما قالوا، بل الواقع أن الذين لا يصدقون بالآخرة في العذاب الشديد يوم القيامة، وفي الضلال البعيد عن الحق في الدنيا.
- (٩) وينكر الله على المكذبين بالبعث عدم اعتبارهم بما يشاهدون من الأرض والسماء، فالله قادر على أن يسقط عليهم قطعا من السماء لو شاء، وعلى أن يسقط قاطعة لكل عبد منيب إلى ربه يستدل بها على قدرة الله، فالقادر على ذلك قادر على بعثهم بعد موتهم وتمزيق أجسامهم.
- (١٠) ويخبر الله بما أعطى داود عليه السلام من الملك والنبوة، وبما أمر به الجبال والطيور من التسييح معه، وبما سخر له من الحديد حين ألانه له؛ ليصنع ما يشاء من آلات.
- (١١) ويخبر بأمره إياه أن يعمل دروعا واسعة تقي مقاتليه بأس عدوهم، ويصير المسامير مناسبة للحلق، فلا تكون دقيقة بحيث لا تستقرّ فيها، ولا غليظة بحيث لا تدخل فيها، ويأمرهم أن يعملوا عملا صالحا، فهو بما يعملون بصير، لا يخفى عليّ من أعمالهم شيء.
- (١٢) ويخبر عن تسخير الريح لسليمان عليه السلام حيث تسيّر صباحا مسافة شهر، ومساء مسافة شهر، ويخبر عن تسييله له عين النحاس ليصنع منه ما يشاء، ويخبر عن تسخير من يعمل من الجن بين يديه بأمر ربه، وأن من عدل من الجن عما أمر به أذيق من عذاب النار الملتهبة.
- (١٣) يعمل الجن لسليمان ما أراد من مساجد وقصور، وما شاء من صور، وقصاع واسعة مثل الحياض، وقدر ثاببات، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود شكرا لله على ما أنعم به عليكم، وقليل من عبادي الشكور لما أنعمت عليه.
- (١٤) ويخبر الله عن قصور علم الجن فلما حكم الله على سليمان بالموت ما أرشد الجن إلى أنه مات إلا الأرض تأكل عصاه، فلما سقط تبينت الجن أنهم لا يعلمون الغيب إذ لو كانوا يعلمونه لما مكثوا في العذاب فيما كانوا عليه من الأعمال الشاقة.

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَيَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ ﴾

- (١٥) لقد كان لقبيلة سبأ في مسكنهم علامة ظاهرة على إنعام الله عليهم حيث كان لهم جنتان إحداهما عن اليمين، والأخرى عن الشمال، وقلنا لهم: كلوا من رزق ربكم، واشكروه على نعمه، هذه بلدة طيبة وربكم رب غفور لذنوب النائبين.
- (١٦) فما كان منهم إلا أن أعرضوا عن شكر الله على نعمه، فعاقبهم فبدل نعمهم نقما فأرسل عليهم سيلا جارفا خرب سددهم وأغرق مزارعهم، وبدلهم ببساتينهم بستانين لهما ثمر مرّ، وأشجار غير مثمرة كالأثل، وشيء قليل من السدر.
- (١٧) حصل ذلك التبديل بكفرهم وإعراضهم عن شكر النعم، ولا نعاقب هذا العقاب الشديد إلا الجحود لنعم الله.
- (١٨) ومن إنعام الله أن جعل بينهم وبين قرى الشام التي باركنا فيها قرى متقاربة وقدر فيها السير بحيث يسرون من قرية إلى قرية دون تعب حتى يصلوا الشام، وقلنا لهم: سيروا فيها ما شئتم من ليل أو نهار في أمن مما يضركم.
- (١٩) فبطروا نعمة الله عليهم حين قرب لهم المسافات، ودعوا الله أن يزيل تلك القرى حتى تتباعد الأسفار فيذوقوا تعبها وتظهر مزية ركائبهم تفرقا بينهم وبين الفقراء، وظلموا أنفسهم بالبطر وكفر النعم، وحسد الفقراء، فصيّرناهم أحاديث يتحدث بها من بعدهم، وفرقناهم كل فريق، إن في ذلك المذكور من الإنعام على أهل سبأ، والانتقام منهم لعبرة لكل كثير صبر على طاعة الله، كثير شكر لنعمه.
- (٢٠) ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أنه يستطيع إضلالهم عن الحق، فاتبعوه في الكفر والضلال إلا طائفة من المؤمنين لم يصدقوا ظنه لأنهم اهتدوا.
- (٢١) وليس للشيطان عليهم من سلطان يجبرهم على الضلال، وإنما يزين لهم ويغريهم، لكن أدنا له في إضلالهم؛ لنعلم علما يظهر للعباد من يصدق بالآخرة وما فيها من جزاء، ممن هو من الآخرة في شك، وربك - أيها الرسول - على كل شيء حفيظ، ومن ذلك حفظه أعمال عباده، ومجازاتهم عليها.

١٥ قيل بلدة طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها، فالآية الكريمة تلفت النظر إلى أهمية اختيار مواقع المدن والتجمعات العمرانية من حيث المناخ الجيد والهواء الطيب، كما تلفت النظر إلى علاقة وجود الجنت الأراضية وتأثيرها على تحسين مناخ هذه التجمعات، فلقد أشارت الآية إلى وجود جنتين عن يمين وشمال مساكن بلدة سبأ، حيث أن احاطة المساكن عن يمينها وشمالها بالحدائق يحميها من الرياح المحملة بالرمال في حالة هبوبها على هذه التجمعات السكنية، الى جانب توفير الشكل الجمالي.

١٦ تشير الآية الكريمة بإعجاز تاريخي عن مملكة سبأ وهي واحدة من أقدم الأمم في التاريخ وهي مملكة عربية يمنية قديمة، وهناك اختلاف حول مرحلة نشأتها، فهي موجودة من القرن الحادي عشر قبل الميلاد على الأقل. ويحكي القرآن الكريم عن النعيم التي كانت فيه وكيف انحرفت عن منهج الله فعبدوا الشمس والقمر والكواكب فأرسل الله عليهم سيل العرم فدمر سدودهم وأغرق مزارعهم. كل ذلك لم يدونه إلا القرآن الكريم، لأن ما جاء عن قوم سبأ في كتب الأولين لا يتعدى ذكر الاسم فقط، ومن هنا كان في ذكر القرآن الكريم لأمة سبأ شهادة تاريخية لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسوله.



﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّكُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا أَخْنُصِدْ دَنْكُم عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

في خلقه وقدره وتدبيره.

(٢٨) ويبين الله عموم رسالة نبيه، فقد بعثه الله للناس عامة، ويبين الحكمة منها وهي تبشير المتقين بالجنة، وتخويف الكفار من النار وما بعثناك - أيها الرسول - إلا للناس عامة مبشرا أهل التقوى بأن لهم الجنة، ومخوفا أهل الكفر، والفجور من النار، ولكن معظم الناس لا يعلمون ذلك، فلو علموه لما كذبوك.

(٢٩) ويقول المشركون استعجالا للعذاب الذي يخوفون به: متى يحصل الوعد بالعذاب إن كنتم صادقين في دعواكم أنه حق؟.

(٣٠) فيأمر نبيه أن يقول لهم: لكم ميعاد يوم محدد لا تتأخرون عنه ساعة، ولا تتقدمون عنه ساعة، هو يوم القيامة.

(٣١) ويخبر عن تعنتهم حين قالوا: لن نؤمن بهذا القرآن الذي يزعم محمد أنه منزل عليه، ولا بالكتب السماوية السابقة، ولو ترى - أيها الرسول - حين الظالمون محبسون عند ربهم للحساب، يتراجعون الكلام بينهم، يلقي كل منهم اللائمة على الآخر، يقول الأتباع الذين استضعفوا لساداتهم الذين استضعفوه في الدنيا: لولا أنتم أضللتمونا لكننا مؤمنين بالله ولنجوننا من العذاب.

(٣٢) فيجيبهم المتبوعون المستكبرون مستنكرين: أنحن صرفناكم عن الهدى الذي جاءكم به محمد؟ لا بل كنتم ظلمة وأصحاب فساد وفساد.

(٢٢) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: ادعوا الذين زعمتهم أنهم فيكم شركاء من دون الله لجلب نفع أو كشف ضرر، فهم لا يملكون وزن أصغر نملة في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم شرك فيها مع الله، وليس الله من معين يعينه.

(٢٣) ولا تنفع الشفاعة عند الله إلا لمن أذن له، وهو لا يأذن فيها إلا لمن ارتضى لعظمته، ومن عظمته أنه إذا تكلم في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي بذاته، الكبير.

(٢٤) ويأمر الله رسوله أن يسأل المشركين عنم يرزقهم بإنزال المطر، ومن الأرض بالإنبات ويأمره أن يجيبهم بأن من يفعل ذلك هو الله، وإنا أو إياكم - أيها المشركون - لعلى هداية أو في ضلال واضح عن الطريق، فأحدنا لا محالة كذلك.

(٢٥) ويأمره أن يقول للمشركين: أنتم لا تسألون يوم القيامة عن ذنوبنا التي اكتسبناها، ولا نحن نسأل عما كنتم تعلمون.

(٢٦) ويأمره أن يقول لهم: يجمع الله بيننا وبينكم يوم القيامة ثم يحكم بيننا وبينكم بالعدل، فيبين المحق من المبطل وهو الحاكم الذي يحكم بالعدل، العليم بما يحكم به.

(٢٧) ويأمره أن يقول لهم قل لهم: أروني - أيها المشركون - الذين ألحقتم بالله شركاء في العبادة، ليس الأمر كما تصورتهم، بل هو الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً وَأَسْرُوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي
قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ
﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
ءَابَتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ
مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ
﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم
لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ۞

حساناتهم تضاعف لهم، وهم في المنازل العليا من الجنة
آمنون مما يخافونه.

﴿٣٨﴾ والذين يسعون في إبطال آياتنا المنزلة على رسولنا يبذل
جهدهم مقدرين أنهم يفوتوننا أولئك في العذاب يوم
القيامة محضرون تحضرهم إليه زبانيته.

﴿٣٩﴾ ويأمر الله رسوله أن يقول: إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء
من عباده، ويضيقه على من يشاء منهم، وما أنفقتم من
شيء في سبيل الله فالله يعطيكم بدله في الدنيا، ويثيبكم
في الآخرة بالثواب الجزيل، والله هو خير الرازقين فليلجأ
إليه من يطلب الرزق.

﴿٤٠﴾ ويأمر الله نبيه أن يذكر يوم يحشرهم الله جميعاً، ثم يقول
للملائكة تقرّيعاً للمشركين وتوبيخاً لهم: أهؤلاء كانوا
يعبدونكم في الدنيا من دون الله؟

﴿٤١﴾ فتجيب الملائكة: تنزهت وتقدست، أنت ولينا، ولا موالاة
بيننا وبينهم، بل كان هؤلاء تتمثل لهم الشياطين ملائكة،
فيعبدونهم، معظمهم به مؤمنون.

﴿٤٢﴾ ففي يوم الحشر تسقط الدعاوى الكاذبة، فلا يملك
المعبودون لعابديهم نفعا، ولا يملكون لهم ضرا، ونقول
للذين ظلموا أنفسهم بإيرادها المهالك: ذوقوا عذاب
النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا.

﴿٣٣﴾ فيجيب الأتباع المستضعفون من سادتهم: بل مكرهم
بنا بالليل والنهار هو الذي صدنا عن الحق حيث كنتم
تأمرونا بالكفر بالله، وعبادة نظراء من دونه، وأخفوا
الندامة على كفرهم في الدنيا لما عاينوا العذاب، وعلموا
أنهم مواقعوه، وجعلنا الأغلال في أعناق الكافرين، لا
يجزون هذا الجزاء إلا بما عملوه في الدنيا من عبادة غير
الله وارتكاب المعاصي.

﴿٣٤﴾ ويسلي الله رسوله حين يقول: وما بعثنا في قرية من
القرى من رسول يخوفهم عذاب الله إلا قال المنعمون:
إنا بما بعثتم به - أيها الرسل - كافرون.

﴿٣٥﴾ وقالوا مفتخرين: نحن أكثر أموالا وأكثر أولادا، وما
زعمتم من تعذيبنا كذب، فلسنا بمعذبين في الدنيا ولا
في الآخرة.

﴿٣٦﴾ ويأمر الله رسوله أن يقول لهم: ربي يوسع الرزق لمن
يشاء امتحانا له أيشكر أم يكفر؟، ويضيقه على من يشاء
اختبارا له أيصبر أم يتسخط؟، ولكن معظم الناس لا
يعلمون أن الله حكيم في خلقه وتدييره.

﴿٣٧﴾ وليست أموالكم، ولا أولادكم التي تفتخرون بها بمقرّبة
لكم إلى الله تقرّيبا، لكن من آمن بالله وعمل عملا صالحا
تقرّبه تقرّيبا، فالأموال بإنفاقها في سبيل الله، والأولاد
بدعائهم له، فأولئك المؤمنون العاملون للصلحاحات
لهم ثواب هو ثواب ضعف ما علموا من حسنات لأن



﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعْتِ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَافُؤٌ مِمَّا كَفَرْتُمْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آيَاتِنَاهُمْ مِنْ كِتَابٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آيَاتِنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ نَنفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ ءِ وَآتَىٰ لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

- (٤٣) ويبين الله موقفهم من الوحي، ومن رسوله فهم إذا قرأ عليهم آياتنا المنزلة على رسولنا واضحة قالوا في الرسول: ما هذا إلا رجل يريد أن يصرفكم عما كان عليه آباؤكم، وقالوا في الوحي: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه، وقال الذين كفروا بالله للقرآن لما جاءهم: ليس إلا سحرا واضحا لتفريقه بين الناس.
- (٤٤) وليس لهم حجة على موقفهم هذا، فما أعطيناهم من كتب يقرؤونها تبين لهم أن هذا القرآن اختلقه محمد، وما أرسلنا إليهم قبل إرسالك - أيها الرسول - من رسول يخوفهم من عذاب الله.
- (٤٥) وكذبت الأمم السابقة مثل عاد وثمود وقوم لوط، وما وصل قومك - أيها الرسول - معشار ما أعطينا أولئك من القوة والمنعة، فكذبوا رسلكم، فما نفعهم ما أعطوا، فنزل بهم عذابي، فانظر كيف كان إنكاري عليهم، وعقابي لهم.
- (٤٦) ويأمر الله نبيه أن يقول لقومه: إنما أنصحبكم بخصلة واحدة هي أن تقوموا متجردين من الهوى لله سبحانه اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو منفردين، ثم تفكروا في شأن صاحبكم، وما علمتم من عقله وخصاله الحميدة؛ لتبينوا أنه ليس به جنون، ما هو إلا محذر لكم بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا من الشرك به.
- (٤٧) ويأمره أن يقول لهم: ما سألتكم من ثواب على ما جئتكم به، فهو إن قدر وجوده لكم، ليس ثوابي إلا على الله وحده، وهو على كل شيء شهيد، يشهد على أي بلغتكم، ويشهد على أعمالكم.
- (٤٨) ويأمره أن يقول لهم: إن ربي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، وهو علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض.
- (٤٩) وأمره أن يقول لهم: جاء الإسلام الذي هو الحق، وذهب الشرك الذي هو الباطل، ولا أثر للباطل فهو لا يبدي ولا يعيد.
- (٥٠) ويأمره أن يقول لهم: إن ضللت عن الحق فيما أبلغكم، فضرر ضلالي علي، وإن اهتديت إليه فبسبب ما يوحى إلي ربي، إنه سميع لأقوال عباده، قريب يسهل عليه سماع قولي، لا يخفى عليه شيء.
- (٥١) ولو ترى - أيها الرسول - إذ فرغ المكذبون حين شاهدوا العذاب يوم القيامة، فلا مفر لهم منه، وأخذوا من مكان قريب سهل التناول، لو ترى ذلك لرأيت أمرا عجبا.
- (٥٢) وقالوا حينها: أمنا بيوم القيامة، وكيف لهم تناول الإيمان وقد بعد عنهم مكان قبوله بخروجهم من الدنيا دار التكليف.
- (٥٣) وكيف يحصل منهم الإيمان، ويقبل وقد كفروا به في الدنيا، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، فيقولون في رسوله: ساحر، كاهن، شاعر.
- (٥٤) وحيل بين المكذبين وبين ما يشتهونه من الملمات، ومن التوبة والعودة إلى الدنيا، كما فعل بأمثالهم من الأمم المكذبة من قبلهم، إنهم كانوا في شك مما جاءت به الرسل، شك باعث على الريية.

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى وَثَلَاثَ وَرَبِيعٌ زَبِيدٌ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَتَأَيَّأُ النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيْحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ .

- (١) الحمد لله خالق السماوات والأرض دون سابق مثال، مصير الملائكة رسلا بأوامره القدرية، ومنهم من يبلغ الأنبياء الوحي، لهم أجنحة، فمنهم ذو جناحين، وذو ثلاثة، وذو أربعة، يزيد في الخلق ما يشاء من زيادة، إن الله على كل شيء قدير.
- (٢) بيده مفاتيح كل شيء، فما يفتح للناس من رزق وهداية، فلا أحد يستطيع منعه، وما يمسكه من ذلك، فلا أحد يستطيع إرساله، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره وتدبيره.
- (٣) وينادي الله الناس أمرا إياهم أن يذكروا نعمة الله عليهم بالقول والعمل، فما لهم من خالق غير الله يرزقهم من السماء بما ينزله من المطر، ومن الأرض بما ينبت من الثمار والزرع، لا معبود بحق غيره، فأنى يصرفون عن عبادته وحده.
- (٤) ويسلي الله رسوله حين يقول له إن كذبت قومك، فلست أول من يكذب من الرسل، فقد كذبت أمم من قبلك رسلهم، وإلى الله وحده ترجع الأمور، فينصر رسوله ويهلك المكذبين.
- (٥) وينادي الله الناس ليؤكد لهم أن ما وعد به من البعث حق
- لا شك فيه، ويحذرهم أن تخدعهم الدنيا وشهواتها عن الاستعداد ليوم القيامة بالعمل الصالح، وأن يخدعهم الشيطان بتزيين الباطل.
- (٦) ويحذر الناس من الشيطان؛ لأنه عدو دائم العداوة، فاتخذوه عدوا وحاربوه، فهو إنما يدعو أتباعه إلى الكفر بالله؛ لتكون عاقبتهم دخول النار الملتهبة.
- (٧) ويبين الله مصير الكافرين المتبعين للشيطان فهو عذاب قوي، و مصير المؤمنين الراضين أتباعه فهو مغفرة من الله لذنوبهم، وأجر عظيم هو الجنة.
- (٨) ويفرق الله بين الكافر الذي حسن له الشيطان عمله السيء فاعتقده حسنا والمؤمن الذي زين له الله الحق فاعتقده حقا، ويبين أن لا مكره له فهو يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ومن ثم حذر رسوله أن لا يموت من الندم على ضلال الضالين، إن الله عليم بما يصنعون، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.
- (٩) ويبين بعض مظاهر قدرته الدالة على البعث، فهو الذي بعث الرياح، فتحرك سحبها، فسقنا السحاب إلى بلد لا نبات فيه، فأحيينا الأرض بمائه بعد جفافها بما أنتناه فيها، كإحيائنا هذه الأرض بعد موتها بإنباتها يكون بعث الموتى.



﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لِحَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَآخِرَ لَبَنًا مِّنْ فَضْلِهِ، وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ۞

وإدبارها؛ لتطلبوا من فضل الله بالتجارة، ولعلكم تشكرون ربكم على نعمه الكثيرة.

(١٣) يدخل الله الليل في النهار فيزداد طولاً، ويدخل النهار في الليل، فيزداد طولاً، وسخر الشمر، والقمر، كل منهما يجري لأجل مقدر، هو يوم القيامة، ذلك الذي يقدر تلك الأمور كلها هو الله ربكم له وحده الملك، والذين تعبدونهم من دونه ما يملكون من لفافة نواة تمرة، فكيف يعبدون من دون الله؟.

(١٤) ويخاطب الله المشركين مبيناً لهم عجز معبوديهم، فهم إذا دعوهم لا يسمعون دعاءكم، ولو فرض أن سمعوا دعاءهم، لما استجابوا لهم، ويوم القيامة يتبرؤون من عبادتهم إياهم، فلا أحد يخبرك - أيها الرسول - أصدق من الله الخبير.

(١٥) وينادي الله الناس مخبراً إياهم أنهم المحتاجون إلى الله في شؤونهم، وأن الله هو الغني فلا يحتاج إليهم في شيء، المحمود في الدنيا والآخرة.

(١٦) لا مكره له فهو إن شاء أزالهم بإهلاك، وجاء بخلق بدلهم يعبدونه.

(١٠) ويبين اختصاصه بالعزة فمن كان يريدها فلا يطلبها إلا منه، فهي له وحده، إليه يصعد ذكره، وعمل العبد الصالح يرفعه إليه، والذين يدبرون المكائد السيئة كقتل الرسول ﷺ لهم عذاب شديد، ومكر أولئك الكافرين يهلك ويزول.

(١١) ويبين من مظاهر قدرته وإحاطة علمه فهو الذي خلق أبا البشر من تراب، ثم خلق أبناءه من نطفة، ثم جعلهم ذكوراً وإناثاً يتزاوجون بينهم، وما تحمل من أنثى جنينا، ولا تضعه إلا بعلمه، لا يغيب عنه من ذلك شيء، وما يزداد في عمر معمر، ولا ينقص من عمره إلا كان ذلك مسطوراً في اللوح المحفوظ، إن ذلك المذكور من خلقهم من تراب وغيره على الله سهل.

(١٢) ولا يتساوى البحرين: بحر عذب جداً، سهل شربه، وبحر ملح مر، لا يستطاع شربه، ومن كل من البحرين المذكورين تأكلون لحمًا طرياً هو السمك، وتستخرجون من المالح من البحرين اللؤلؤ والمرجان تلبسونهما زينة، وترى - أيها الناظر - السفن تشق البحر في إقبالها

٩ سبقت الإشارة إليه في سورة النور: ٤٣، وسورة الروم: ٤٨.

وفي الآية إشارة تؤكد ما سبق بيانه في كيفية تكون السحاب الركامي والتي يمكن أن نجمل مراحل تكونه في الآتي:

(١) إرسال الرياح: لترفع ذرات الماء من البحار إلى الجو. (٢) إثارة السحاب: من خلال تلقينه وتجميعه.

(٣) بسط السحاب: من خلال الحقول الكهربائية. (٤) جعله كسفناً: أي قطعاً ضخمة وثقيلة.

(٥) نزول الودق: وهو المطر الغزير.

وهذه المراحل مطابقة لأحدث الأبحاث العلمية عن آلية نزول المطر بإذن الله.

﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا نُؤَذِّرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ۝ .

ولو كان المدعو قريباً، إنما تخوَّف - أيها الرسول - من الذين ينتفعون بتخويفك وهم من يخافون ربهم بالغيب، وأتموا الصلاة على أتم وجه، ومن تطهَّر من المعاصي فنفع تطهُّره لنفسه، وإلى الله الرجوع للحساب والجزاء.

(١٧) وليست إزالتهم، والإتيان بخلق بدل منهم بممتنع على الله.
(١٨) وبين الله عدله حيث بين أن نفساً لا تحمل ذنب نفس مذنبه أخرى، بل كل نفس تحمل ذنبها، وإن تدع نفس مثقلة بحمل ذنوبها من يحمل عنها شيئاً من ذنوبها لا يحمل عنها شيئاً،

١١ سبقت الإشارة إلى مراحل تطور خلق الإنسان في مواضع كثيرة.

فالآية تشير إلى بداية خلق الإنسان من تراب، ثم من نطفة، وأن عملية خلق الكائنات الحية تبدأ من مكون واحد وهي النطفة الأمشاج والتي أثبت العلماء أنها خلية واحدة نتجت عن امتزاج كروموسومات خلية ذكرية مع أخرى أنثوية، ثم قدر بينكم الزوجية. وهو ما يؤكد النبي ﷺ في حديث ابن مسعود والذي فيه قوله ﷺ: « ثم يؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله... » مما يشعر بتقدير كل شيء يحصل لهذا المخلوق. وقد كشف العلم الحديث وجود شفرة وراثية تتضمن كل تلك الصفات التي قدرها الله لهذا الكائن والتي وأمر الله الملك بإثباتها.

١٢ نرى بأن القرآن الكريم قد فرق وميز بين أنواع المياه بدقة فائقة، وصنفها بما يتناسب مع درجة نقاوتها، فيسُمى الماء العذب بالفرات ويتوفر في الأنهار (وهو الماء المستساغ المذاق عندما ينزل من السماء يكون طهوراً ثم يمتزج بالمعادن والأملاح والغازات مثل الحديد الذي يجعل طعم الماء حلواً)، وماء البحر بالماء الأجاج (الذي يحتوي على درجة ملوحة زائدة)، وقد ثبت علمياً الفوارق الكبيرة بين البحر والنهر. فالقرآن الكريم تحدث عن مواصفات وخصائص الماء قبل أن يكتشفها علماء الفيزياء بقرون طويلة. وهذا دليل مادي على أن القرآن الكريم كلام الله تبارك وتعالى. ﴿ ومن كل تأكلون لحماً طرياً ﴾: وتم الإشارة إليه في الآية رقم (١٤) من سورة النحل.

(حلية تلبسونها): الحلية والجمع حلي: هي ما يترزين به، وقال الإمام الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: فالتنوين في قوله: « وَمَنْ كُلُّ » تنوين عوض أي من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان وهذا مما لا نزاع فيه. واستخرج اللؤلؤ من البحار الدافئة في أمريكا الوسطى إضافة إلى الأنهار حيث اشتهر نهر المسيسيبي بصفته أحد المصادر للآلئ المياه العذبة. وكان الهنود الحمر قبل اكتشاف الأمريكيتين يجمعون حبات اللؤلؤ بالآلاف من محارات المياه العذبة ليدفنها مع موتاهم في تلال الدفن. وقد ثبت وجود اللؤلؤ في الماء العذب كما جاء في دائرة معارف الشعب المصرية عدد ٧٣ صحيفة ٥٢٧ أن أنواع المحار جميعها قد تنتج اللؤلؤ وكنه يوجد غالباً في أنواع معينة منها، فقد عثر مثلاً على لآلئ رائعة الجمال في محار المياه العذبة الذي يعيش في بريطانيا خاصة أنهار ويلز واسكتلندا. وتعتبر اليابان أكبر منتج للؤلؤ في العالم، ففي سنة ١٩٨٨ أنتجت اليابان ٦, ٧١ طن من اللؤلؤ من بينها ٧٠ طن من المياه المالحة و ١, ٧ طن من المياه العذبة. والمرجان: وفي قوله تعالى: ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ قال الإمام الألويسي: اللؤلؤ صغار الدر، والمرجان كباره. ويقول الفيروز آبادي: المرجان هو صغار اللؤلؤ. وذكر لوكاس Lucas أن هناك ألواناً عديدة للمرجان، فقد يكون أبيض أو أحمر في فروق طفيفة أو أسود، لكن الأبيض والأحمر منه هما اللذان كان كلاهما مستعملاً في مصر القديمة. وذكر لوكاس Lucas وقد وجدت خرزات من المرجان يرجع تاريخها إلى فترة البداري، وعصر ما قبل الأسرات الأول، وأن كمية من المرجان قد وجدت في مقبرة نوبية من نحو عصر الدولة القديمة. ومرجان المخ Brain Coral معروف للجميع وموجود في أحواضنا حتى أحواض المياه العذبة. ويستخرج الماس والياقوت والتوباز والزيركون وغيرها من الأحجار الكريمة والذهب من ترسيبات الأنهار العذبة. وعلى هذا فقد أثبت العلماء أن الحلية تستخرج من كلا البحرين العذب والفرات والملح الأجاج فهل ركب محمد النهر أو البحر أو غاص في قيعانها أو طاف على البحار والأنهار التي تجري في دول العالم حتى يقول هذا الكلام المعجز أم أنه وحى من العليم الخبير.

١٣ وجد العلماء أن تداخل الليل في النهار عملية معقدة جداً، ووجدوا أن الليل يدخل في النهار والنهار يدخل في الليل، وهذه العملية تحدث على مدار أربعة وعشرين ساعة بدون توقف، وجاء الفعل بصيغة المضارعة للدلالة على أن هذه العملية مستمرة. وسبقت الإشارة إليه في (سورة آل عمران: ٢٦، ٢٧)، و (سورة الحج: ٦١).



﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذتُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَتْ نَكِيرٌ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ۞

وأصفر وغيرها، ومن الجبال طرائق بيض وطرائق حمر، وطرائق شديدة السواد.

(١٩) ويفرق الله بين الكافر والمؤمن فلا يستويان مثل الأعمى والبصير.

(٢٨) ومن الناس، والدواب، والإبل، والبقر، والغنم مختلف ألوانه مثل ما ذكرنا، إنما يخاف من عذاب الله العلماء من عباده، إن الله عزيز، لا يغالبه أحد، غفور لمن تاب من عباده.

(٢٠) ويفرق بين الكفر والإيمان فلا يستويان مثل الظلمات والنور. (٢١) ويفرق بين الجنة والنار فلا يستويان مثل الظل والريح الحارة.

(٢٩) إن الذين يقرؤون كتاب الله، ويعملون بما فيه، وأتموا الصلاة على أحسن وجه، وأنفقوا مما رزقناهم خفية وجهرًا يرجون بذلك تجارة لن تكسد.

(٢٢) ويفرق بين المؤمنين والكفار فلا يستويان مثل الأحياء والأموات، إن الله يسمع من يشاء هدايته، وما أنت - أيها الرسول - بمسمع الكفار الذين يشبهون الموتى في القبور.

(٢٣) ما أنت - أيها الرسول - إلا مخوف لهم من عذاب الله.

(٣٠) ليتم الله لهم ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله، إنه غفور للمتصفين بهذه الصفات، شكور لأعمالهم الحسنة.

(٢٤) إنا بعثناك - أيها الرسول - بالحق مبشرًا للمؤمنين بالثواب الكريم، ومخوفًا للكافرين من العذاب الأليم، وما من أمة من الأمم الماضية إلا مضى فيها رسول يخوفها من عذاب الله.

(٣١) والذي أوحينا إليك - أيها الرسول - من الكتاب هو الحق مصدقًا للكتب السابقة، إن الله لخبير بعباده، بصير، يوحى بما تحتاجه كل أمة.

(٢٥) ويسلي الله رسوله بأنه ليس أول رسول كذبه قومه، فقد كذبت الأمم السابقة رسلها، جاءتهم رسلهم بالهجة الواضحة، والمعجزات الدالة على صدقهم، وجاءتهم رسلهم بالصحف، وبالكتاب المنير لطريق الحق.

(٣٢) ثم أعطينا القرآن أمة ﷺ الذين اخترناهم، فمنهم ظالم لنفسه يفعل المحرمات ويترك الواجبات، ومنهم مقتصد يفعل الواجبات، ويترك المحرمات، وبعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، يفعل الواجبات والمستحبات، ويترك المحرمات والمكروهات وبعض المباحات، ذلك الاختيار لهذه الأمة وإعطاؤها القرآن هو الفضل الكبير الذي لا يدانيه فضل.

(٢٦) ولم يصدقوهم مع هذه الحجج والمعجزات، بل كذبوهم، فأهلكت الذين كفروا، فتأمل - أيها الرسول - كيف كان إنكاري عليهم.

(٢٧) ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء مطرًا، فأخرجنا بمائه ثمرات مختلفًا ألوانها أحمر وأخضر

﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

(٣٣) جنات إقامة تدخلها هذه الأمة، يلبسون فيها أسورة من ذهب، ولؤلؤا، ولباسهم في الجنة حرير، وقالوا بعد دخول الجنة: الحمد لله الذي أزال عنا الحزن، إن ربنا لغفور
 (٣٤) الذي أنزلنا دار الإقامة والاستقرار من فضله، لا بحول منا ولا قوة، لا يصيبنا فيها تعب ولا عناء.

٢٧ تشير هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ (١٤١) سورة الأنعام، وفي سورة الرعد: ﴿ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صَنْوَانٌ وَغَيْرُ صَنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بِعُضْهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) إلى علم الوراثة فإن هذه الأرض الواحدة التي تسقى بماء واحد إلا أنها تخرج بقدر ربها زروع وثمار مختلفة في الشكل واللون والطعم ولا يكون ذلك إلا باختلاف التراكيب الوراثية لكل زرع أو ثمر. قال الإمام القرطبي: تراها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات، ثم تتفاوت في الثمار والتمر؛ فيكون البعض حلوا، والبعض حامضا؛ والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصفر والكبر واللون والمطعم. وكما أن أصل البشرية واحد وهو آدم عليه السلام إلا أن الذرية جاءت مختلفة في الألوان والألسن (واختلاف أسننتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) (الروم: ٢٢) لأنهم يختلفون اختلافا ضئيلا في التركيب الوراثي. وكذلك الحال في الدواب والأنعام فكل ما يدب على الأرض من حشرات وزواحف وطيور وحيوانات فهي مختلفة في التراكيب الوراثية مما يؤدي إلى اختلاف ألوانها وأشكالها وتركيبها التشريحي فهذه طيور جارحة وأخرى داجنة وهذه حيوانات مفترسة وأخرى أليفة وهذه حشرات نافعة وأخرى ضارة يقول تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ (٢٨) سورة فاطر. والتركيز على اختلاف الألوان في كل هذه المخلوقات لأنه أبين وأوضح لكل الناس على الاختلاف الوراثي فيها. وفي هذا أدل دليل على وحدانيته وعظم صمديته، وهذا أدل دليل على بطلان القول بالطبع؛ إذ لو كان ذلك بالماء والتراب في جميع المخلوقات على أن الفاعل له الطبيعية لما وقع الاختلاف. وفي هذا إبطال لمعتقدات الدهريين وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ولنظرية النشوء والإرتقاء التي يتغنى بها الدارويون. وتشير نهايات هذه الآيات إلى أن من يتدبر ذلك هم العاقلون وهم العالمون لما حياهم الله بهذا العلم فيه يستدلون به على وحدانيته وعظمته وبديع صنعته لذلك هم الأولى بخشيته (إنما يخشى الله من عباده العلماء (فاطر: ٢٨)).

وجاء تقييد الآية الكريمة للغرايب السود وهو ما ينطبق تماما على صخور الفحم الحجري وذلك لتكوينها الفريد نتيجة دفن الغابات والأشجار في مستنقعات مائية بعيدا عن ضوء الشمس ونور النهار. ولقد فصلت الآية الكريمة بين الألوان المختلفة في قوله: (جدد بيض) من جهة و(غرايب سود) من جهة أخرى، باعتبارها صخور سوداء تكونت في باطن الأرض كما أنها توجد على شكل راقات وهذا ما يطلق عليها علميا (راقات)، أما الصخور ذات اللون الأبيض أو الأحمر تسمى طبقات وكل ذلك لم تحدد له التسمية الا في أوائل القرن العشرين. كما أن التسمية المعدنية مختلفة، ولقد فصل العلم في تسمية التمعينات بين صخور الجدد والغرايب السود حيث أطلق على التكوين المعدني لصخور الجدد بالمعادن ولا يمكن أن يستخدم علميا هذه التسمية في دراسة الفحم الحجري ولكنها التسمية العلمية هي التكوينات المعدنية أو الماسيرالز.

٢٨ الأصل في الوان الكائنات الحية هو النبات حيث يمثل أكثر من ٧٠٪ من الكائنات الحية.

يتغير لون النبات نتيجة وجود صبغات في أوراقه مثل الكلوروفيل، كاروتينيدات، انثوسيانين وبيتالين وهي التي تعطي الألوان المختلفة للنبات التي نراها ونستمتع بها وتبهجنا رؤيتها. ويعزى لون البشر إلى صبغة الميلانين، حيث كلما تغير تركيز هذه الصبغة في الجلد يتدرج اللون من اللون الأسود إلى اللون الفاتح الأبيض. أيضا يتغير اللون في البشر نتيجة انتقال الجينات من الآباء إلى الأبناء. أما اختلاف الوان الطيور والدواب والأنعام فيرجع إلى وجود كروماتوفورز التي تعطي الحيوانات الوانها المختلفة. ويرجع اختلاف الوان الحشرات إلى مواد كيميائية أو صبغات معينة أيضا الوان فيزيائية والوان مركبة تنتج من انعكاس اشعة الضوء على سطح الحشرة فسبحان الذي جعل اصل الألوان كلها من الماء.



﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (٣٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَا إِذْ هُمَا لَمُتَّحَمَاتٌ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنِ الْإِذَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾

- (٣٥) والذين كفروا بالله لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم بإماتتهم من عذاب النار شيء، مثل هذا الجزاء نجزي كل جحود لنعم ربه.
- (٣٦) هؤلاء الكفار يصيحون في النار مستغيثين: ربنا أخرجنا من النار نعمل عملا صالحا خلاف ما كنا نعمل في الدنيا، فيجيبهم ربهم: أولم نجعلكم تعيشون عمرا يتذكر فيه من يتذكر لو أراد، فيتوب إلى الله ويعمل عملا صالحا؟ وجاءكم الرسول مخوفاً لكم من عذاب الله، فلا عذر بعد هذا كله، فذوقوا عذاب النار، فما للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي من نصير ينقذهم من عذاب الله أو يخففه عنهم.
- (٣٨) إن الله عالم ما غاب في السماوات والأرض، لا يفوته شيء منه، إنه عليم بما يخفيه الناس في صدورهم من خير وشر.
- (٣٩) هو الذي جعل بعضكم - أيها الناس - يخلف بعضا في الأرض؛ ليختبركم كيف تعملون، فمن كفر، فإثم كفره عليه، ولا يضر ربه، ولا يزيد الكفار كفرهم عند ربهم إلا بغضا شديدا، ولا يزيد الكفار كفرهم إلا خسارا لأنفسهم وأهلهم.
- (٤٠) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم ماذا خلقوا من الأرض؟ أم لهم شرك مع الله في خلق السماوات، أم أعطيناهم كتابا فيه حجة على صحة عبادتهم لهم، بل لا يعد الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي بعضهم إلا خداعا لا وجود له.
- (٤١) ويذكر الله من مظاهر قدرته أنه يمسك السماوات والأرض مانعا إياهما من الزوال، ولئن قدر زوالهما فلا أحد يمسكهما عن الزوال من بعده، إنه كان حلِيمًا لا يعاجل بالعقوبة، غفورا لذنوب من تاب من عباده.
- (٤٢) ويذكر نقض الكفار لعهدهم حين أقسموا قسما مغلظا لئن جاءهم رسول من الله يخوفهم من عذاب الله ليكونن أكثر اتباعا للحق من أهل الكتاب، وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ يخوفهم من عذاب الله ما زادهم مجيئه إلا بعدا عن الحق وتعلقا بالباطل.
- (٤٣) وباعثهم على القسم هو الاستكبار في الأرض وخداع الناس، ولا يحيط المكر السيئ إلا بأصحابه الماكرين، فهل ينتظر هؤلاء المستكبرون الماكرون إلا إهلاكهم كما أهلك أمثالهم من أسلافهم، فهو سنة، ولن تجد لسنة الله في إهلاك المستكبرين تبديلا ولا تحويلا لثباتها واستمرارها.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَا كُن يُؤَخِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾

(٤٤) أما سار هؤلاء المكذوبون في الأرض؛ ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة قبلهم؟ فقد كانت نهاية سوء حيث أهلكتهم الله، وكانوا أشد قوة من هؤلاء، وما كان الله ليفوته شيء في السماوات، ولا في الأرض، إنه كان عليما بأعمال المكذبين، لا يغيب عنه منها شيء، قديرا على إهلاكهم متى شاء.

(٤٥) ومن حلمه أنه لو يعاقب الله الناس بما عملوه من المعاصي لأهلك جميع أهل الأرض وما يملكون من دواب وأموال، ولكنه يؤخرهم إلى أجل محدد في علمه، فإذا جاء يوم القيامة فإن الله كان بعباده بصيرا لا يخفى عليه منها شيء.

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤﴾ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١﴾ ﴿

- (١) يس - سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٢) أقسم بالقرآن الذي أحكمت آياته.
- (٣) إنك - أيها الرسول - لمن الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.
- (٤) على منهج مستقيم وشرع قويم.
- (٥) هذا المنهج منزل من العزيز الذي لا يغال به أحد، الرحيم بعباده المؤمنين.
- (٦) أنزلناه إليك؛ لتخوِّف العرب الذين لم يأتهم رسول ينذرهم، فهم لاهون عن الإيمان.
- (٧) لقد وجب العذاب من الله على أكثرهم بعد أن بلغهم الحق من الله على لسان رسوله، فلم يؤمنوا به، وبقوا على كفرهم، فهم لا يصدقون بالله، ولا يعملون بما
- (٨) مثلهم في عدم الاهتداء مثل من جعلت أغلال في أعناقهم، وجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت مجامع لحاهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فلا يستطيعون خفضها، فهؤلاء مغلولون عن الإيمان بالله.
- (٩) وجعلنا من بين أيديهم حاجزا عن الحق، ومن خلفهم حاجزا، وأغشينا أبصارهم فلا يبصرون إبصارا يتفجعون به.
- (١٠) سواء أخوفتهم - أيها الرسول - أم لم تخوفهم، لا يصدقون بما جئت به.
- (١١) إنما تخوِّف من صدق بالقرآن واتبعه وخشى ربه خاليا لانتفاعه بالتخويف، فبشر من هذه صفاته بمغفرة ذنوبه، وبثواب عظيم ينتظره في الآخرة هو الجنة.



﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَّا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِنْ يُرِيدِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْ يَئِيْزُوكَ إِذْ لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ يَأْمُرْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

من تكذيب الرسل وتهديدهم بالقتل، قال: يا قوم اتبعوا هؤلاء الرسل فيما جاءوا به.

(٢١) اتبعوهم فهم جديرون بالاتباع فهم لا يطلبون منكم ثوابا، وهم مهتدون.

(٢٢) وأي مانع يمنعني من عبادة الله الذي خلقتني، وأي مانع يمنعكم من عبادته، وإليه وحده ترجعون بالبعث للجزاء.

(٢٣) آتخذ من دونه معبودات بغير حق، إن يردي الرحمن بسوء لا تغن عني شفاعتها شيئا، ولا تستطيع أن تنقذني من السوء الذي أراه الله بي.

(٢٤) إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح حيث عبدت من لا يستحق العبادة.

(٢٥) إني آمنت بربي وربكم جميعا فاسمعوني، فقتلوه، فأدخل الجنة.

(٢٦) قيل بعد قتله: ادخل الجنة شهيدا، فلما دخلها، وشاهد ما فيها من النعيم قال متمنيا: يا ليت قومي الذين كذبوني وقتلوني يعلمون.

(٢٧) بما حصل لي من مغفرة الذنوب، وبما أكرمني به ربي؛ ليؤمنوا مثلما آمنت، وينالوا جزءا مثل جزائي.

(٢٨) وما احتجنا إلى ملائكة نزلهم من السماء تهلكهم، فإهلاكم أيسر عندنا من ذلك، وليس من شأننا أن نزلهم لإهلاك المكذبين، بل نبعث عذابا، فيهلكهم.

(٢٩) فما كانت قصة إهلاكهم إلا أن بعثنا صيحة واحدة عليهم فإذا هم صرعى، كئنا كانت مشتعلة، فانطفت.

(١٢) إنا نحن نحوي الموتى ببعثهم للحساب، ونكتب ما قدموه في الدنيا من الأعمال الصالحة والسيئة، ونكتب ما كان له من أثر باق بعد حياتهم من خير أو شر، وقد أحصينا كل شيء في اللوح المحفوظ.

(١٣) ويأمر الله رسوله أن يجعل للمكذبين من قومه مثلا يعتبرون به، هو قصة أهل القرية حين جاءتهم رسلهم.

(١٤) حين أرسلنا إليهم رسولين ليدعواهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوا الرسولين، فقويناهما بثالث، فقال الرسل لأهل القرية: إنا إليكم مرسلون.

(١٥) قال أهل القرية: لستم إلا بشرا مثلنا، وما أنزل الرحمن من وحي، ولستم إلا تكذبون على الله في ادعائكم أنكم رسل.

(١٦) ردّ الرسل على تكذيب أهل القرية لهم: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون منه.

(١٧) ولا نطالب إلا بتبليغ ما أمرنا بتبليغه بوضوح، لسنا مطالبين بهدايتكم.

(١٨) قال أهل القرية: إنا نشاءنا بكم، وإن لم تنتهوا عن دعوتنا لنعاقبكم بالرمي بالحجارة حتى الموت، ولينالكم منا عذاب موجه.

(١٩) ردّ الرسل عليهم: شؤمكم ملازم لكم لكفركم بالله وترككم اتباع رسله، أنتشاءمون إن ذكرناكم بالله؟، بل أنتم قوم تسرفون في ارتكاب المعاصي.

(٢٠) وجاء من مكان بعيد من القرية رجل مسرع خوفا عليهم

﴿ يَحْسَرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٣٠) الْمَرِيضَى كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ .

- (٣٠) يا ندامة المكذبين حين يعاينون العذاب، فقد كانوا في الدنيا لا يأتيهم رسول من عند الله إلا سخروا منه واستهزأوا به.
- (٣١) ألم ير المكذبون بالرسول عبرة في الأمم السابقة، فقد ماتوا، ولن يرجعوا إلى الدنيا، بل أفضوا إلى ما قدموا.
- (٣٢) وما الأمم إلا محضرون عندنا للجزاء يوم القيامة.
- (٣٣) وعلامة لمنكري البعث أن البعث حق: هذه الأرض الفاحلة أنزلنا عليها المطر من السماء، فأنبثنا فيها من أنواع النبات والحبوب ليأكل الناس منها.
- (٣٤) وصيرنا فيها بساتين من نخيل وعنب، وفجرنا فيها عيوناً تسقيها.
- (٣٥) فعلنا ذلك؛ ليأكل الناس من ثمار تلك البساتين، وليس لهم سعي فيه، وإنما هو منة منا، أفلا يشكرون ربهم على نعمه فيعبده وحده.
- (٣٦) تقدس الله وتعالى الذي أنشأ الأصناف من النبات، ومن الناس حيث أنشأ منهم الذكور والإناث، ومن مخلوقات أخرى لا يعلمها الناس.
- (٣٧) ويذكر الله دلالة للناس على توحيد إلههم الذي أنشأ الأصناف من النبات، ومن الناس حيث أنشأ منهم الذكور والإناث، ومن مخلوقات أخرى لا يعلمها الناس.
- (٣٨) ويذكر الله دلالة للناس على توحيد إلههم الذي أنشأ الأصناف من النبات، ومن الناس حيث أنشأ منهم الذكور والإناث، ومن مخلوقات أخرى لا يعلمها الناس.

٣٦ أخبر الله سبحانه وتعالى أن المخلوقات فيها زوجية سواء في النبات أو الإنسان أو في غيرها وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ (الذاريات ٤٩). فقررت هذه الآية أن النباتات أزواج ذكورا وإناثا ولم يكن أحد يعلم بهذه الزوجية إلا في النخيل، وقد كشف العلم الزوجية في جميع النباتات والحيوانات وحتى الذرات الالكترونية، وكذلك ثبت علما التزاوج في البكتريا والفيروسات وجميع الكائنات الدقيقة فسبحان من أنزل هذا العلم الإلهي في كتابه الكريم والقاتل ﴿ سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

٣٧ تذكر الآية: أن الله يسليح طبقة النهار عن الليل وهذا المشهد لنزاع طبقة النهار عن الليل لم يكن بالإمكان مشاهدته قبل صعود الإنسان إلى السماء في القرن العشرين حيث شاهد الإنسان طبقة النهار التي لا يزيد ارتفاعها عن (٢٠٠) كلم ثم علم بأنه يتبعها الظلام لأن الكون كله مظلم، وفيه إشارة إلى دوران الأرض حول محورها وشكلها الكروي.

٣٨ أثبت العلم اليوم أن حركة الشمس في المجرة حركة لولبية تشبه الجريان فهي تجري في السماء بسرعة وحولها المجموعة الشمسية، وبذلك فقد طبقت هذه الحقيقة ما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾، وهذا الجريان باتجاه نقطة محددة في الكون، يقول علماء الكون بأن الشمس ستستقر فيه يسمونه مستقر الشمس. وقد قال النبي ﷺ: « يا أبا ذر أتدري ما مستقرها » فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم، قال: مستقرها تحت العرش)، فسبحان الله العزيز العليم.



﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

- (٣٩) وآية لهم دالة على توحيد هذا القمر الذي قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ صغيراً، ثم يكبر، ثم يصغر حتى يصير مثل عذق النخلة المتعرج المندرس.
- (٤٠) وآيات الشمس والقمر والليل والنهار مقدره بتقدير الله، فلا تتعدى ما قدر لها، فلا الشمس يمكن لها أن تلحق القمر لتغير دورته، ولا يصح ليل أن يسبق النهار، ويدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من هذه الآيات يجري وحده في فلك.
- (٤١) ويذكر علامة على رحمته بهم أنه حمل من نجا من الطوفان من ذرية آدم في السفينة المملوءة بمخلوقاته.
- (٤٢) ويذكر علامة لهم على توحيدهم أنه خلق لهم من مثل سفينة نوح ومن بعض الحيوان ما يركبونه في أسفارهم.
- (٤٣) ولو شاء الله أن يغرقهم لفعل ذلك، وإن كان ذلك لا مغيب يمنع إغراقهم ولا منقذ لهم من الله أحد.
- (٤٤) إلا أن يرحمهم الله فيسلمهم من الغرق، ويقيهم؛ ليتمتعوا إلى أجل محدد.
- (٤٥) وإذا قيل للمشركين: احذروا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، واحذروا الدنيا المدبرة؛ ليمن الله عليكم برحمته ما أمثلوا، بل أعرضوا عنه غير مباليين.

٣٩ إن حركة القمر حول الأرض ينتج عنها دورة للقمر حيث يبدأ بداراً ثم يصبح قمراً ثم يتلاشى قليلاً قليلاً حتى يصبح مثل عرجون النخيل اليابس، وفي كل شهر تتكرر هذه الحركة في توقيتات دقيقة ومذهلة ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾. وحسب ما توصل إليه علماء الفلك فإن القمر يدور حول الأرض في مدار شبه دائري وأثناء هذه الدورة، يقع القمر على خط واحد بين الأرض والشمس فيواجه الأرض بوجه مظلم تماماً ثم يبدأ القمر في التحرك ليخرج من هذا الوضع الواصل بين مراكز تلك الأجرام الثلاثة فيولد الهلال الذي يحدد مولده بداية شهر قمري جديد، ويقع هذا الهلال في أول منزل من منازل القمر؛ ويمكن رؤيته بعد ساعات من ميلاده إذا كان الجو على درجة من الصفاء تسمح بذلك.

وباستمرار تحرك القمر في دورته البيطئية حول الأرض تزداد مساحة الجزء المنير من وجهة المقابل لكوكبنا بالتدريج حتى يصل إلى التربيع الأول، وبخروج القمر عن هذه الاستقامة مع كل من الأرض والشمس تبدأ مساحة الجزء المنير من وجهه المقابل للأرض في التناقص بالتدريج فيتحول إلى مرحلة الأحدث الثاني في حدود ليلة الثامن عشر ويستمر في هذه المرحلة حتى يعود القمر إلى وضع الاقتران بين الأرض والشمس من جديد وهكذا.. وقد جاء وصف القرآن الكريم مذهباً لحقائق الكون حتى كأنك تشاهد هذه الآيات وتبصر حركتها في السماء. فسبحان العليم الحكيم.

٤٠ قرر علماء الفلك أن القمر يدور بحركة شديدة التعقيد، فهو يدور حول الأرض، ويدور مع الشمس حول مركز المجرة التي نحن فيها، ويدور مع المجرة كلها في مدار كوني لا يعلمه إلا الله تعالى.

إذن الشمس لا يمكن أن تصطدم بالقمر، وهذه حقيقة يقرها العلم الحديث، والليل لا يمكن أن يسبق النهار بحيث يبقى تعاقب الليل والنهار بنظام محدد، وفي هذه الآية إشارة لحركة الليل والنهار ودورانهما. هذه الحقائق العجيبة عن عظمة النظام الكوني لم يكشف عنها إلا في العصر الحديث، ولكن القرآن الكريم سبق العلم فتحدث بالتفصيل عن حقائق الكون. ويتبين من الفعل «سبح» الوارد في القرآن الكريم أن هناك إشارة دقيقة إلى الحركات الخاصة بكل من الشمس والقمر. ولقد توافقت هذه الحركات مع الحقائق العلمية المعاصرة. ولا يمكن لإنسان عاش في القرن السابع الميلادي معرفة الحركة الذاتية الخاصة بكل من الشمس والقمر على وجه التفصيل، مهما كان قد بلغ من العلم في عصره فهي دلالة على أن القرآن الكريم من عند الله.

٤١ سبقت الإشارة إلى ذلك في سورة النحل.

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعِمَهُ; إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بُولَاقًا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٌ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهِةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَنْبِيءَ ءَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنْتَ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ; إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ ۝

- (٥٢) قال منكرو البعث: يا خسارتنا من الذي بعثنا من قبورنا؟ فيجابون: هذا ما وعد الله أنه لا بد واقع، وصدق المرسلون فيما بلغوه عن ربهم من ذلك.
- (٥٣) ما كانت قصة البعث إلا أثرا عن نفخة ثانية في الصور، فإذا جميع الخلائق محضرون عند الله يوم القيامة للحساب.
- (٥٤) فلا تظلم نفس شيئا لا بزيادة سيئاتها ولا بنقص حسناتها، وإنما توفون جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا.
- (٥٥) إن أصحاب الجنة في هذا اليوم مشغولون؛ لما شاهدوه من النعيم الدائم.
- (٥٦) هم وأزواجهم يتنعمون على الأسرة تحت ظلال الجنة.
- (٥٧) لهم في الجنة أنواع من الفواكه الطيبة، ولهم ما يطلبونه من الملاذ.
- (٥٨) ولهم سلام يكرمون به قولا من رب رحيم بهم.
- (٥٩) أما الكافرون فيقال لهم: تميزوا عن المؤمنين، فلا علاقة لكم بهم.
- (٦٠) ألم أوصكم - يا بني آدم - بما جاءت به رسلي: ألا تطيعوا الشيطان بعمل المعاصي، إن الشيطان لكم عدو بين العداوة.
- (٦١) وأن تعبدوني وحدي، فإفرادي بالعبادة طريق مستقيم،
- وإشراك غيري فيها طريق معوج.
- (٦٢) ولقد أضل الشيطان منكم خلقا كثيرا، أفلم تكن لكم عقول تقيكم من إضلاله؟
- (٦٣) هذه هي جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا تعابونها في الآخرة.
- (٦٤) عانوا من حرها ما كثر في أبادا لكفركم بالله.
- (٦٥) اليوم نطبع على أفواههم فيصبرون خرسا، فلا يتحدثون بإنكار كفرهم ومعاصيهم، وتكلمنا أيديهم بما بطشت به في الدنيا، وتشهد أرجلهم بما جنوه من المعاصي.
- (٦٦) ولو نشاء إذهب أبصارهم لأذهبنها، فتسابقوا إلى الصراط ليعبروا منه إلى الجنة، وأنى لهم عبوره.
- (٦٧) ولو نشاء تغيير خلقهم وإقعادهم على أرجلهم لغيرنا خلقهم وأقعدناهم على أرجلهم، فلا يستطيعون تقدا أو تأخرا.
- (٦٨) ومن نعمره عمرا طويلا نرجعه ضعيفا، أفلا يتفكرون بعقولهم.
- (٦٩) ويزه الله رسوله عن الشعر، فلم يعلمه إياه، وما ينبغي له ذلك، فدعوى أنه شاعر باطلة، إنما علمه ذكرا وقرآنا واضحا.



﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٧٠) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكَةٌ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَنَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ .

- (٧٠) لينذر من ينتفع به وهو حي القلب، ويحق العذاب على الكافرين لقيام الحجة عليهم بإنزاله وبلوغ دعوته إليهم.
- (٧١) أولم يروا أنا خلقنا لهم أنعاما، فهم يتصرفون فيها.
- (٧٢) وجعلناها منقادا لهم، فمنها ما يركبون ظهره، ومنها ما يأكلون لحمه.
- (٧٣) ولهم فيها منافع غير ذلك كأصوافها وأوبارها وأشعارها، ولهم فيها مشارب حيث يشربون من ألبانها، أفلا يشكرون ربهم الذي من عليهم بها؟.
- (٧٤) واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛ لتنقذهم من عذاب الله.
- (٧٥) لا تستطيع هذه الآلهة نصر أنفسهم ولا نصر عبدتها، والعباد والمعبودون جميعا محضرون في العذاب.
- (٧٦) وينهى الله نبيه أن يحزنه ما يقول المشركون فيه، إنا نعلم ما يسرون من ذلك وما يظهرون، وسنجازيهم عليه.
- (٧٧) أو لم ير منكر البعث أنا خلقناه من مني، ثم مرّ بأطوار حتى ولد ونما، ثم صار كثير الخصام، فيعلم أنّ من قام بذلك قادر على بعثه.
- (٧٨) وضرب منكر البعث مثلاً على صحة نفي البعث، ونسي أنه خلق من ماء مهين، قال هذا المنكر: من يحيي العظام إذا صارت بالية؟
- (٧٩) ويأمر الله نبيه أن يحييه: يحييها من خلقها أول مرة، فلا يعجز عن إعادة الحياة إليها، وهو بكل خلق عليم، لا يخفى عليه منه شيء.

٦٨ التنكيس انقلاب الهيئة تمثيلاً لتغيرات مقدرة حال الشيخوخة ترتبط بعمر الإنسان؛ حتى ولو لم تصبه أية أمراض، وتشمل الشكل والوظيفة، وتعال كافة أعضاء الجسم حتى البناء الخلوي، وأهم تلك التغيرات فقدان القدرات العقلية على التذكر والتعلم وهو ما سبق القرآن الكريم بتقريره قبل أربعة عشر قرناً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ، ويكشف العلم الحديث عن حقيقة ما يجري من خلال الوصف الدقيق للتدهور والارتداد الشاملتين لكافة التغيرات الظاهرة والخفية وذلك لفظ «تنكسه في الخلق» يشمل كافة التركيبات والأنشطة البدنية، ومنذ نزول القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي إلى عقود قليلة لم يكن معروفاً سوى التغيرات الظاهرة في الهيئة، ولكن مع توفر التقنيات وتقدم الدراسات لم تخرج التغيرات الخفية المكتشفة حديثاً عن هذا الوصف الجامع، فسبحان الذي يغير ولا يتغير.

٧٢ سبقت الإشارة إلى تسخير هذه المخلوقات للإنسان في سورة النحل.

٧٧ سبق الحديث عن الإعجاز في وصف أول مراحل الجنين في بطن أمه في سورة المؤمنون، وهي مرحلة النطفة، والنطفة هي القطرة في لغة العرب، أو القطرة المختلطة من ماء؛ وقد تمكن الإنسان بواسطة المجاهر من مشاهدة النطفة التي يتكون نصفها من مورثات الأب التي يحملها المنوي ويخترق البويضة التي تحتوي داخلها نصف المورثات من الأم. وتجتمع هذه المورثات لتكون الخلية الإنسانية الأولى ثم يحدث لها البرمجة الجينية أو التقدير، كما قال تعالى: ﴿ من نطفة خلقه فقدره ﴾ .

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي يَبْدِيهِ مَلَكَوَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

- (٨٠) الذي جعل للناس من الشجر الأخضر الرطب نارًا تستخرج، فإذا أنتم توقدون منه نارًا، فمن جمع رطوبة الشجر وحرارة النار قادر على إحياء الموتى.
- (٨١) أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على إحياء الموتى، بلى إنه لقادر عليه، وهو الخلاق الذي خلق المخلوقات، العليم بها.
- (٨٢) إنما شأن الله أنه إذا أراد كينونة شيء أن يقول له: كن، فيكون ذلك الشيء.
- (٨٣) فتنزه الله عن نسبة المشركين العجز إليه، فهو الذي له ملك الأشياء كلها، وإليه وحده ترجعون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

٨٠ ثبت علمياً اليوم وجود مصانع الطاقة في النبات الأخضر (الكلوروفيل) حيث يتم تحويل ثاني أكسيد الكربون والماء في وجود الطاقة الشمسية إلى غذاء وأكسجين يستفيد منه النبات والحيوان والإنسان . وهذه النباتات تتحول بعد طمرها في باطن الأرض إلى مختلف أنواع الوقود كالفحم الحجري والبتروول والغاز وغيرها . فهذه من الآيات الباهرات التي تكشف عن عظمة الله وقدرته وعلمه سبحانه وتعالى لكونها أشارت إلى حقيقة علمية مفادها أن مأل كل النباتات إلى مصادر للطاقة مما لم يكن البشر على دراية بها .

سورة الصفات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّفَاتِ صَفًا ﴿١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلِيدِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذِّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾

- (١) يقسم الله بملائكته مصطفين في عبادتهم.
- (٢) ويقسم بهم يزجرون السحاب، ويسوقونه إلى حيث شاء الله.
- (٣) ويقسم بهم يتلون القرآن.
- (٤) إن معبودكم - أيها الناس - بحق لواحد، هو الله.
- (٥) ربّ السماوات الأرض، وربّ ما بينهما، ورب مشارق الشمس ومغاربها عبر السنة.
- (٦) ويذكر الله الحكمة من خلق الكواكب، فقد خلقها لتكون زينة للسماء الدنيا.
- (٧) وتكون حافظة لها من كل شيطان خارج عن الطاعة.
- (٨) لا يستطيع الشياطين سماع الملائكة في السماء إذا تكلموا بما يوحى ربه من شرعه، أو يقدره، ويرمون بالشهب من كل ناحية.



﴿ دُحُورًا وَطَمَّ عَذَابٌ وَإِصْبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَيْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوْلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا بَنِيَّ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ۞

- (٩) إبعاداً لهم عن الاستماع إليهم، ولهم في الآخرة عذاب مؤلم ثابت.
- (١٠) إلا من اختطف من الشياطين خطفة، وهي كلمة مما يترادده الملائكة بينهم ولم يصل علمه إلى أهل الأرض، فيتبع المستمع شهاب مضيء يحرقه، وقد ينجو منه، فيرمي تلك الكلمة إلى إخوانه من الكهان، فيكذبون معها مائة كذبة.
- (١١) ويأمر الله أن يسأل منكري البعث: أهم أشد خلقاً مما خلقنا من السموات والأرض والملائكة، إنا خلقناهم من طين لزج، أفنعجز عن بعثهم؟.
- (١٢) بل عجبت - أيها الرسول - من قدرة الله، وعجبت من تكذيب المشركين بالبعث، وهم يسخرون إذا أخبرتهم به.
- (١٣) والمشركون قساة القلوب فهم إذا وعظهم واعظ لا يتعظون.
- (١٤) وإذا عاينوا معجزة دالة على صدقه ﷺ يسخرون منها.
- (١٥) وقالوا ما الذي جاء به محمد إلا سحر واضح.
- (١٦) أيعقل أنه إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية أن نبعث أحياء؟
- (١٧) أو يبعث أبائنا الأولون الذين ماتوا منذ زمن بعيد؟.
- (١٨) ويأمر رسوله أن يجيبهم: نعم تبعثون جميعاً وأنتم ذليلون.
- (١٩) فإنما هي نفخة واحدة في الصور (النفخة الثانية) فإذا هم جميعاً يترقبون ما يفعل الله بهم.
- (٢٠) وقال منكرو البعث: يا هلاكنا، هذا يوم الجزاء الذي يجازى فيه الناس على أعمالهم في الدنيا.
- (٢١) فيقال لهم: هذا يوم الفصل بين العباد الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.
- (٢٢) ويقال للملائكة: اجمعوا المشركين الظالمين بشركهم هم وأمثالهم في الشرك، واحشروا ما كانوا يعبدونه.
- (٢٣) من دون الله من الأصنام، فعرفوهم طريق النار، ودلوهم عليها.
- (٢٤) واحبسوهم للحساب قبل سوقهم إلى النار، فهم مسؤولون.

٦ قال المفسرون الكواكب زينة للسموات الدنيا ومنها شهب لرجم الشياطين بأمر ربها، ويعني أن الرجم من نفس الكوكب وقد يسقط الكوكب الصغير بأمر ربه رجوماً للشياطين، إنما يفصل منه شيء يرم به من غير أن ينقص ضوءه ولا صورته. وقد أصبح من المعلوم أن النيازك تنفصل من الكواكب ثم تسقط على الغلاف الجوي وتشاهد وهي تحترق نتيجة احتكاكها بالهواء.

١٠ يرى الإنسان المتأمل في السماء بين حيث وآخر أجساماً مضيئة تخترق الغلاف الجوي بسرعة فائقة وتعتبر الشهب من الأجرام السماوية حيث يتراوح حجمها من حبة الرمل إلى حجم حبة الحصى تندفع نحو الأرض بسرعة ١٤٠٠ ميل في الدقيقة، وهناك مصدران أساسيان للشهب هما:

- (١) صخور مصدرها من حزام الكويكبات وهي تشكل أعلى نسبة من حيث المصدر.
- (٢) بقايا الغبار والجزيئات الصخرية الصغيرة التي هي عبارة عن مخلفات تتركها المذنبات بالقرب من مدارها حول الشمس.

١١ سبق الحديث عن مراحل خلق الإنسان في (الحجر: ٢٦)، (الحج: ٥)، (المؤمنون: ١٢-١٤)، (السجدة ٦-٩)، (فاطر: ١١)، (ص: ٧٢، ٧١)، (غافر: ٧).

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ ﴾ (٢٥) بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْمْ قَوْمًا طَغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَدْرِكُوا آلَ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّرْبِيبِ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَرُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْظَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿

- (٢٥) ويقال لهم توبيخا لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تتناصرون في الدنيا؟.
- (٢٦) بل هم اليوم منقادون لأمر الله، عاجزون عن نصر بعضهم بعضا.
- (٢٧) وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون.
- (٢٨) قال الأتباع للمتبعين: إنكم كنتم تأتوننا من جهة الحق، فتزيتون لنا الكفر، وتكرهون إلينا الإيمان .
- (٢٩) فيجيبهم المتبعون: بل كنتم على الكفر، ولم تكونوا مصدقين.
- (٣٠) ولم يكن لنا من تسلط عليكم، بل كنتم قوما متجاوزين الحد في الضلال.
- (٣١) فوجب علينا جميعا وعيد الله في قوله: ﴿لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾، فنحن ذائقو العذاب لا محالة.
- (٣٢) فدعوناكم إلى الضلال، إنا كنا ضالين عن الهدى، فأطعتمونا.
- (٣٣) فالجميع أتباعا ومتبعين في العذاب مشتركون.
- (٣٤) إن ما فعلنا بهؤلاء نفعل مثله بالمجرمين تابعهم ومتبعوهم.
- (٣٥) إن هؤلاء المشركين كانوا إذا ذكروا بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله رفضوها؛ تكبرا واستعلاء.
- (٣٦) ويقولون مستنكرين: أنترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يدعي أنه رسول.
- (٣٧) ليس الأمر كما تصوروا، بل جاء بالقرآن، وصدق المرسلين فيما جاءوا به من عند الله.
- (٣٨) إنكم - أيها المكذبون - لذائقو العذاب الموجه يوم القيامة.
- (٣٩) ولستم تجزون إلا ما كنتم تعملون في الدنيا.
- (٤٠) لكن عباد الله المؤمنين الذين أخلصهم الله لعبادته، في منجاة من العذاب.
- (٤١) أولئك العباد المخلصون لهم يوم القيامة رزق، معلوم في طيبه واستمراره.
- (٤٢) ومما يرزقون فواكه طيبة، وهم مكرمون بالنظر إلى وجه الله الكريم.
- (٤٣) ينالونه في جنات النعيم.
- (٤٤) يتكئون على أسرة، ينظر بعضهم إلى بعض.
- (٤٥) يدار عليهم بكأس خمر، تجري بها الأنهار كأنها عين ماء.
- (٤٦) بيضاء اللون، يلتذ شاربيها لذة كاملة.
- (٤٧) لا تذهب العقول كخمر الدنيا، ولا ينتاب شاربيها صداع.
- (٤٨) وعندهم نساء عفاف، لا تمتد أبصارهن إلى غير أزواجهن، حسان العيون.
- (٤٩) كأنهن في بياض ألوانهن وشوبها بصفرة بياض نعام مستور بالريش.
- (٥٠) فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون عما حصل لهم في الدنيا.



﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْ تَنْكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَيْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَيْ نَا لَمَدِيدُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ قِرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُمْ لَتَزِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾ لِيُمِثِلَ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ تَوَنَّنَا مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمِ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجِّنَتْهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ۞

- (٥١) قال قائل من هؤلاء المؤمنين: إني كان لي في الدنيا صاحب منكر للبعث.
- (٥٢) يقول لي منكر: أنك لمن المصدقين بالبعث؟
- (٥٣) إذا متنا، وصرنا ترابا، وعظاما نخرة أنبعث، ونجازي على أعمالنا؟
- (٥٤) قال قرينه المؤمن لأصحابه من أهل الجنة: اطلعوا معي لنرى مصيره.
- (٥٥) فاطلع هو فعائين قرينه في وسط جهنم.
- (٥٦) قال: تالله لقد قاربت أن تهلكني بدخول النار بدعوتك إياي إلى إنكار البعث.
- (٥٧) ولولا إنعام الله علي بالهداية لكنت مثلك من المحضرين إلى العذاب.
- (٥٨) ثم التفت إلى أهل الجنة وقال: لسنا نحن - أصحاب الجنة - بميتين.
- (٥٩) غير موتتنا في الدنيا، ولسنا بمعذبين كما يعذب الكفار.
- (٦٠) إن هذا الذي جازانا به ربنا لهو الظفر العظيم.
- (٦١) لمثل هذا الجزاء العظيم يجب أن يعمل العاملون، فهو التجارة الرابعة.
- (٦٢) أذلك الجزاء خير، وأفضل ضيافة وكرامة، أم شجرة الزقوم الملعونة في القرآن التي هي طعام الكفار.
- (٦٣) إنا صبرنا تلك الشجرة فتنة يفتن بها الظالمون بالكفر والمعاصي حيث قالوا: إن النار تأكل الشجر، فلا يمكن أن ينبت فيها.
- (٦٤) هي شجرة خبيثة المنبت، تخرج في قعر الجحيم.
- (٦٥) ثمرها الخارج منها كريحه المنظر كأنه رؤوس الشياطين، وفبح المنظر دليل على قبح المخبر، فثمرها خبيث الطعم.
- (٦٦) فإن الكفار لا يكونون من ثمرها.
- (٦٦) ومالتون منه بطونهم الخاوية.
- (٦٧) ثم بعد أكلهم منه لهم شراب حار.
- (٦٨) ثم إن رجوعهم بعده لإلي عذاب الجحيم، فلا راحة لهم.
- (٦٩) إن هؤلاء الكفار وجدوا آباءهم ضالين عن طريق الهداية.
- (٧٠) فهم يتبعون آثارهم في الضلالة مسرعين كأنهم يزعجون إلى ذلك.
- (٧١) ويسلّي الله نبيه بأن أكثر الأولين كانوا ضاللا، فليس قومك وحدهم الضلال.
- (٧٢) ولقد أرسلنا في تلك الأمم الأولى رسلا يخوفونهم من عذاب الله، فكفروا.
- (٧٣) فانظر - أيها الرسول - كيف كانت نهايتهم، إن نهايتهم كانت دخول النار خالدين فيها.
- (٧٤) إلا من أخلصهم الله للإيمان به فهم ناجون من العذاب.
- (٧٥) ولقد دعانا نوح حين دعا على قومه الذين كذبوه، فلنعم المجيبون نحن لدعوته عليهم.
- (٧٦) ولقد أنقذناه وأهل بيته والمؤمنين معه من أذى قومه ومن الغرق.

﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنِّ مِنْ شَيْعِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيِفْكَاءَ إِلَهَ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَا بَتِ يَا بَتِ أَفَعَلْ مَا تُمُرُّنَّ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ۞

- (٧٧) وجعلنا أولاده هم الباقين وحدهم، فقد أغرقنا غيرهم من كفار قومه.
- (٧٨) وأبقينا له في الأمم اللاحقة ثناء طيباً.
- (٧٩) أمان لنوح من أن يقال فيه سوء في الأمم اللاحقة، بل سيثنى عليه.
- (٨٠) إنا مثل هذا الجزاء الذي جازينا به نوحاً نجزي المحسنين بعبادتهم لله وحده.
- (٨١) إن نوحاً من عبادنا المصدقين العاملين المطيعين.
- (٨٢) ثم أغرقنا الباقين كلهم بالطوفان الذي أرسلناه عليهم.
- (٨٣) وإن من أهل دينه الموافقين له لإبراهيم.
- (٨٤) حين جاء ربه بقلب خال من الشرك، والشك، ناصح لله.
- (٨٥) حين قال لأبيه وقومه المشركين: ما الذي تعبدونه من دون الله؟
- (٨٦) أتريدون آلهة تعبدونها لمجرد الإفك الذي هو أسوأ الكذب.
- (٨٧) فماذا تظنون برب العالمين أن يصنع بكم إذا لقيتموه وأنتم تعبدون غيره؟
- (٨٨) فنظر إبراهيم نظرة في النجوم ليدير مكيدة تخلصه من الخروج معهم.
- (٨٩) فقال معتذراً عن الخروج معهم: إني مريض.
- (٩٠) فتركوه وراءهم وانطلقوا.
- (٩١) فمال نحو آلهتهم، فقال ساخراً منها ومن الطعام الذي يصنعه قومه لها؟
- (٩٢) ما شأنكم لا تتكلمون، أمثلكم يعبد من دون الله؟.
- (٩٣) فمال عليهم يضربهم بيده اليمنى يكسرهم بها.
- (٩٤) فأقبل إليه قومه يسرعون.
- (٩٥) فواجههم بثبات موبخاً إياهم: أتعبدون من دون الله آلهة أنتم الذين نحتموها بأيديكم؟
- (٩٦) والله خلقكم أنتم، وخلق عملكم، فهو المستحق للعبادة دون غيره.
- (٩٧) فلما عجزوا عن محاجته لجؤوا إلى القوة، فتشاؤروا فيما يفعلونه بإبراهيم، قالوا: ابنوا له بنياناً، واملؤوه حطباً، وأضرموه، ثم ارموه فيه.
- (٩٨) فأراد قومه به سوءاً، فصيرناهم الخاسرين فقد جعلنا النار عليه برداً وسلاماً.
- (٩٩) وقال إبراهيم: إني تارك بلد قومي إلى ربي لأعبده، سيدلني إلى ما فيه الخير.
- (١٠٠) يا رب أعطني ولداً صالحاً يكون لي عوناً في الغربة.
- (١٠١) فاستجبنا له دعوته، حيث بشرناه بولد يصير حليماً.
- (١٠٢) فلما شبَّ الولد، وأدرك سعيه رأي إبراهيم رؤياً، قال مخبراً ابنه عنها: يا بني إني رأيت في النوم أني أذبحك فانظر ما ترى في ذلك، فأجاب إسماعيل قائلاً: يا أباي افعل ما أمرك الله به من ذبحي، ستجدني - إن شاء الله - من الصابرين الراضين بحكم الله.



﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَلَدَيْتَهُ أَنْ يَتَابِرَهُمْ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّبِّيَّ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَاؤُ الْمُئِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْتَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنِّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَتْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَّرْنَاهُمْ فَاكْفَرُوا لَهُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَيِّنَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنِّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَأَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنِّ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ۞

- (١٠٣) فلما انقادا لله، وصرع إبراهيم ابنه على جانب جبهته.
- (١٠٤) ونادينا إبراهيم وهو بهم بذبح ابنه: أن يا إبراهيم.
- (١٠٥) قد صدقت الرؤيا التي رأيتها بالعزم على ذبح ابنك، إنا - كما جزيناك بتخليصك من هذا الابتلاء - نجزي المحسنين، فنخلصهم من الشدائد.
- (١٠٦) إن هذا لهو الابتلاء البين.
- (١٠٧) وفدينا إسماعيل بكبش عظيم يذبح عنه.
- (١٠٨) وأبقينا على إبراهيم ثناء حسنا في الأمم اللاحقة.
- (١٠٩) تحية من الله له، ودعاء بالسلامة.
- (١١٠) كما جازينا إبراهيم هذا الجزاء نجزي المحسنين.
- (١١١) إن إبراهيم من عبادنا المؤمنين الذين يفون بما تقتضيه العبودية لله.
- (١١٢) وبشّرناه بولد آخر يصير نبيا وعبدا صالحا جزاء له على طاعته لله.
- (١١٣) وأنزلنا عليه، وعلى ابنه إسحاق بركة منا، ومن أولادهما من هو محسن بطاعته، ومنهم من هو ظالم لنفسه بالكفر وارتكاب المعاصي واضح الظلم.
- (١١٤) ولقد منّا على موسى وأخيه هرون بالنبوة.
- (١١٥) وأقذناهما وقومهما من استعباد فرعون، ومن الغرق.
- (١١٦) ونصرناهم على فرعون وجنوده فكانت الغلبة لهم.
- (١١٧) وأعطينا موسى وأخاه هرون التوراة كتابا واضحا.
- (١١٨) وهديناهما إلى طريق الإسلام الموصلة إلى مرضاة الله.
- (١١٩) وأبقينا عليهما ذكرا طيبا في الأمم اللاحقة.
- (١٢٠) تحية من الله طيبة لهما، وثناء عليهما، ودعاء بالسلامة.
- (١٢١) إنا كما جازينا موسى وهارون هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين بطاعتهم.
- (١٢٢) إن موسى وهارون من عبادنا المؤمنين بربهم العاملين بشرعه.
- (١٢٣) وإن إلياس لمن المرسلين من ربهم.
- (١٢٤) إذ قال لقومه الذي بعث إليهم من بني إسرائيل: يا قوم ألا تتقون الله بامثال أوامره، وباجتناب نواهيه؟
- (١٢٥) أتعبدون من دون الله بعلا، وتركون عبادة الله أحسن الخالقين؟
- (١٢٦) والله هو ربكم الذي خلقكم، وخلق آباءكم من قبل، فهو المستحق للعبادة.
- (١٢٧) فكذبوه، فهم محضرون في العذاب.
- (١٢٨) إلا من كان منهم مؤمنا مخلصا لله فلن يحضر إلى العذاب.
- (١٢٩) وتركنا عليه ثناء حسنا في الأمم اللاحقة.
- (١٣٠) تحية من الله على إلياس.
- (١٣١) إنا كما جازينا إلياس هذا الجزاء الحسن نجزي المحسنين من عبادنا.
- (١٣٢) إن إلياس من عبادنا المؤمنين حقا.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَاتَّكُرُوا لَمْزُورٍ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ الْأَقْلَامِ نَقِيلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْقَمَمَةُ الْخَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَدَدْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَفَتَعْنَهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرَّبُّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُسُوتُ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْتِنَا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِلَيْهِمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتَ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ۞

(١٣٣) وإن لوطاً لمن أرسلهم الله إلى أقوامهم.

(١٣٤) حين أنقذناه وأهله كلهم من العذاب الواقع على قومه. (١٤٤) لمكث في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

(١٣٥) إلا زوجته، فقد كانت عجوزاً أصابها عذابهم لكونها (١٤٥) فألقيناه من بطن الحوت بأرض لا عمارة ولا شجر بها، كانت مثلهم. وهو ضعيف البدن.

(٣٦) ثم أهلكنا الباقين من قومه. (١٤٦) وأنبتنا عليه شجرة من القرع تظله.

(١٣٧) وإنكم - أهل مكة - لتمرون على منازلهم في أسفاركم (١٤٧) وأرسلناه إلى قومه، وعددهم مائة ألف، بل يزيدون.

(١٤٨) فآمنوا بما جاء به، فمّتعهم الله في الدنيا حتى انقضت إلى الشام في وقت الصباح.

(١٣٨) وتمرون عليها كذلك ليلاً، أفلا تعقلون، وتتعضون بهم.

(١٣٩) وإن يونس لمن أرسلهم الله إلى أقوامهم. (١٤٩) يأمر الله رسوله أن يسأل المشركين سؤال إنكار: أتجعلون

للبنات على كرهكم لهن، وتجعلون لكم البنين الذين تحبونهم؟ أي قسمة هذه؟ (١٤٠) إذ غضب على قومه وهرب إلى سفينة مملوءة ركاباً وأمتعة.

(١٤١) فكادت السفينة تغرق، فاقترعوا؛ ليلقوا بعضهم خوفاً من خرق السفينة لكثرة من عليها، فكان يونس من المغلوبين، فرمى في البحر. (١٥٠) كيف زعموا أن الملائكة إناث، وهم لم يحضروا خلقهم، وما شاهدوه؟ (١٥١) ألا إنهم من كذبهم ليقولون.

(١٤٢) فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه لأنه لم يستأذن ربه في ذهابه. (١٥٢) ولد الله، وإنهم لكاذبون في ادعائهم نسبة الولد إليه.

(١٥٣) أختار الله البنات اللاتي تكرهونهن على البنين الذين تحبونهن؟ بل هذا افتراءؤكم عليه. (١٤٣) فلولا أن يونس كان من الذاكرين الله كثيراً قبل رميه في

١٤٦ اليقطين من أنواع القرع ذي اللون الأخضر، قال المفسرون: (كان سيدنا يونس يستظل بها ويشرب من مائها حتى اشتد جسمه ولحمه ونبت شعره...). وقد ثبت علمياً جملة من الفوائد الطبية لهذا النبات منها: أنه يمنع الاكتئاب والبرقان، وينشط الكبد ويزيل التهابات الكلى والجهاز البولي، ومعالجة الجروح والأمراض الجلدية وطرده الديدان والحشرات، وهو علاج للضغط المرتفع ويقي من السرطان، كما يعالج به من مرض البدانة، والحمى. ولذلك جعل الله تعالى شجرة اليقطين سبباً لشفائه من سقمه نبي الله يونس عليه السلام.



﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِنْيَتِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ، فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُصْورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْعَلِيُّونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسُوفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْدَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسُوفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ .

- (١٥٤) ما لكم تحكمون هذا الحكم الجائر حيث تجعلون الله الإناث، وتجعلون لكم الذكور؟
- (١٥٥) أفلا تتذكرون بطلان اعتقادكم، فتركوه.
- (١٥٦) أم لكم حجة ظاهرة من كتاب أو رسول؟
- (١٥٧) فأتوا بكتابتكم الدال على هذا إن كنتم صادقين في دعواكم.
- (١٥٨) وجعل المشركون بين الله وبين الجن نسبا حين زعموا أن الملائكة بنات الله، وأن أمهاتهم سروات الجن، ولقد علمت الجن أن ربهم سيحضرهم للحساب، فلو كان بينه وبينهم نسب ما حاسبهم.
- (١٥٩) تنزه الله وتقدس عما يصفه به المشركون مما لا يليق به من الشريك والولد.
- (١٦٠) إلا عباد الله المخلصين فإنهم لا يصفون الله إلا بصفات الجلال والكمال.
- (١٦١) فإنكم أنتم - أيها الكفار وما تعبدون من دون الله.
- (١٦٢) لستم بمضلين من أحد.
- (١٦٣) إلا من حكم الله عليه أنه من أصحاب النار، فإن الله ينفذ فيه قضاءه فيكفر، ويدخل النار.
- (١٦٤) وقالت الملائكة مؤكدين براءتهم من زعم المشركين: وليس منا أحد إلا له مقام معلوم في عبادة الله وطاعته.
- (١٦٧) وإن المشركين من أهل مكة كانوا يقولون قبل بعثته
- (١٦٨) لو كان عندنا كتاب من كتب الأولين.
- (١٦٩) لأخلصنا العبادة لله، وهم كاذبون في ذلك، فقد جاءهم محمد ﷺ بالقرآن.
- (١٧٠) فكفروا به، فسوف يعلمون ما ينتظرهم يوم القيامة.
- (١٧١) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا من الرسل.
- (١٧٢) أنهم منصورون بما أعطاهم الله من الحجة والقوة.
- (١٧٣) وأن الغلبة لجنودنا الذين يقاتلون في سبيل الله.
- (١٧٤) ويأمر الله رسوله أن يعرض عن هؤلاء المشركين إلى مدة يعلمها الله.
- (١٧٥) ويأمره أن يبصرهم حين ينزل بهم العذاب، فسيبصرون هم.
- (١٧٦) أفيستعجل هؤلاء المشركون بعذاب الله؟
- (١٧٧) فإذا نزل بهم العذاب فبئس الصباح صباحهم.
- (١٧٨) ويأمر الله رسوله أن يعرض عنهم حتى يقضي الله بعذابهم.
- (١٧٩) ويأمره أن ينظر، فسينظرهم ما يحلّ بهم من عذاب الله.
- (١٨٠) ويخبر الله رسوله أن ربه رب العزة تقدس عما يصفه به المشركون من صفات النقص.
- (١٨١) وتحية الله على رسله الكرام.
- (١٨٢) والثناء كله لله، فهو المستحق له، وهو رب العالمين جميعا.

سورة ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَعَلَىٰ أَعْيُنِنَا ۝٣ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ ۝٤ وَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٥ أَجْعَلُ الْأَلِهَةَ إِيَّاهَا وَحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٦ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْعَهْكِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٧ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَلَمَةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا خُنُلُقٌ ۝٨ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابَ ۝٩ أَمْرٍ عِنْدَهُمْ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝١٠ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝١١ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝١٢ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٣ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٤ إِن كُفِّرْ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٥ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ۝١٦ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٧ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٨ ﴾

- (١) ص - تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. (٩) أم عند هؤلاء خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالب، يقسم الله بالقرآن ذي الشأن والمكانة. الذي يذكر الناس بما ينفعهم ليس الأمر كما يتصوره المشركون أن الله شريكا.
- (٢) بل الواقع أن الكفار متكبرون عن توحيد الله، ومعادون لرسوله.
- (٣) كم أهلكنا من قبلهم من الأمم المكذبة فنادوا؛ عند معاناة العذاب، وليس الوقت وقت خلاص وهروب من العذاب فلن تنفعهم استغاثتهم.
- (٤) وتعجبوا حين جاءهم رسول منهم، وقال الكافرون حين شاهدوا البراهين على صدق رسولهم: هذا رجل ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه.
- (٥) أصير هذا الرجل الآلهة إليها واحدا، إن صنيعه ليحمل على التعجب.
- (٦) وانطلق أشرف المشركين آمريين أتباعهم بالثبات على عبادة آلهتهم، إن ما دعاكم إليه كيد مدبر.
- (٧) ما سمعنا بما دعانا إليه محمد عند آبائنا، ولا فيما جاء به عيسى، ما هذا إلا كذب.
- (٨) أيمن أن ينزل عليه القرآن، ولا ينزل علينا ونحن السادة؟ بل هؤلاء في شك مما أنزل الله، ولما يدوقوا عذاب الله، فاغترّوا بإمهال الله لهم.
- (٩) أم عند هؤلاء خزائن فضل ربك العزيز الذي لا يغالب، الوهاب لما يشاء.
- (١٠) أم لهم ملك السماوات والأرض وما فيهما؟ فلهم أن يعطوا ويمنعوا، فليأخذوا بالأسباب الموصلة إلى السماء ليحكموا بما أرادوا، وأنى لهم ذلك.
- (١١) هؤلاء جند مهزوم مثل الجنود المكذبين، يجري عليه ما جرى عليهم.
- (١٢) ليسوا أول مكذب، فقد كذب قبلهم قوم نوح، وعاد، وفرعون ذو القوة.
- (١٣) وكذبت ثمود، وقوم لوط، وقوم شعيب، فهم المتحزون على التكذيب.
- (١٤) ما من أحد من هذه الأحزاب إلا كذب الرسل، فاستوجب عذاب الله.
- (١٥) وما ينتظر هؤلاء المكذبون بمحمد ﷺ إلا أن ينفخ في الصور النفخة الثانية التي لا رجعة فيها.
- (١٦) وقالوا؛ مستهزئين: يا ربنا عجل لنا حظنا من العذاب في الدنيا.
- (١٧) فيأمر الله رسوله بالصبر على ما يقوله هؤلاء، وأن يذكر عبده داود ذا القوة والصبر على طاعة الله، إنه كثير الرجوع إلى الله، والعمل بما شرع.



﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ، يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا مِنَ الْحَرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَيْنَا إِذْ سَأَلْتَنَا بِهَا وَإِنْ كُنَّا لَمِنَ الْخَالِطَاءِ الَّتِي يُبغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِّدَبْرُوكِ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيَنَتِ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾

حسن مصير يوم القيامة.

(١٨) إنا سخرنا الجبال معه يسبحن إذا سبح آخر النهار، وأوله عند الإشراق.

(٢٦) ويخبر الله داود إنا بجعله إياه خليفة في الأرض ينفذ الأحكام، ويأمره أن يقضي بين الناس بالعدل، وينهاه عن اتباع الهوى إذا حكم بين الناس فعاقبة اتباع الهوى الضلال عن صراط الله المستقيم، إن الذين يضلون عن صراط الله المستقيم لهم عذاب قوي لنسيانهم يوم الحساب، فلو ذكروه لاستقاموا على الحق.

(١٩) وسخرنا الطير في الهواء، كل مطيع يسبح بتسبيحه.
(٢٠) وقوينا ملكه، وأعطيناه النبوة والإصابة في أموره والبيان الشافي، والفصل في الكلام والحكم.
(٢١) وهل جاءك - أيها الرسول - خبر المتخاصمين حين تسورا على داود عليه السلام مكان عبادته.

(٢٧) وينفي الله العبث عن خلقه السماء والأرض، بل خلقهما للدلالة على قدرته فويل لهؤلاء الذين يظنون هذا الظن من عذاب النار يوم القيامة.

(٢٢) إذ دخلا عليه فجأة فارتاع من دخولهما فجأة، فلما شاهدا ارتياعه قالوا: لا تخف فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر فاحكم بيننا بالعدل، ولا تجر علينا إذا حكمت بيننا، وأرشدنا إلى سواء السبيل.

(٢٨) أنصير الذين صدقوا بالله واتبعوا رسوله وعملوا الأعمال الصالحة مثل المفسدين في الأرض بالكفر والمعاصي، أم نجعل المتقين لربهم مثل الكافرين والمنافقين المنغمسين في المعاصي؟، إن التسوية بينهما جور لا يليق بالله.

(٢٣) قال أحد الخصمين لداود: إن هذا الرجل أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فطلب مني أن أعطيه إياها، وغلبني في الحجة.

(٢٩) يخبر الله عن كتابه بأنه كتاب أنزله على رسوله كثير الخير والنفع؛ ليتدبر الناس آياته، وليتعض به أصحاب العقول الراجحة.

(٢٤) فحكم داود بينهما، وقال للمدعي: لقد ظلمك أخوك بما طلب منك، وإن كثيرا من الشركاء يظلم بعضهم بعضا، إلا المؤمنون الذين يعملون الأعمال الصالحة، فإنهم ينصفون شركاءهم، ولا يظلمونهم، والمتصفون بذلك قليل، وأيقن داود أنما أوقعناه في فتنة بهذه الخصومة، فطلب المغفرة من ربه، وسجد تقربا إلى الله.

(٣٠) وهبنا لداود ابنه سليمان لتقر عينه به، نعم العبد سليمان، إنه كثير الرجوع إلى الله.

(٢٥) فاستجبنا له فغفرنا له ذلك، وإنه عندنا لمن المقربين، وله

(٣١) اذكر حين عرضت عليه عصرا الخيل ذات الأصالة واقفة على ثلاث قوائم رافعة الرابعة، فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس.

﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾
 وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ
 ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهُ، عِنْدَنَا لُزُفَىٰ وَحُسْنٌ مَّثَابٍ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي
 مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرْنَا
 لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذْ بِيَدِكَ صَغَةً فَأَضْرِبْ بِهِنَّ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ ۞

- (٣٢) فقال: إني آثرت حب المال، والخيل على ذكر ربي حتى غابت الشمس.
- (٣٣) ردوها عليّ، فردوها عليه، فشرع يمسح سوقها وأعناقها.
- (٣٤) ولقد اخترنا سليمان وألقينا على كرسيه شقّ ولد، وذلك لما أقسم بالله ولم يستثن ليظوفنّ على نسائه، وتأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله، فلم يلدن كلهن إلا واحدة ولدت شقّ ولد، ثم تاب سليمان.
- (٣٥) قال: يا رب اغفر لي ذنوبي، وأئلني ملكا خاصا بي، لا يكون لأحد من الناس بعدي، إنك رب كثير العطاء.
- (٣٦) فاستجبنا له وذللنا له الريح تنقاد بأمره لينة، تحمله حيث أراد.
- (٣٧) وذللنا له الشياطين ما بين بناء وغواص يستخرج الدر من البحر.
- (٣٨) ومن الشياطين مردة موثقون في الأغلال.
- (٣٩) هذا عطاؤنا، فأعط من شئت، وامنع من شئت، فلن تحاسب على التصرف فيه بما شئت.
- (٤٠) وإنه عندنا لمن المقربين، وله حسن مرجع هو الجنة.
- (٤١) ويأمر الله رسوله أن يذكر عبده أيوب حين دعا الله ربه قائلًا: إني أصابني الشيطان بأمر متعب معذب.
- (٤٢) فقلنا له: اضرب برجلك الأرض، فنبع له ماء يشرب منه ويغتسل.
- (٤٣) فاستجبنا له، فكشفنا ما به من ضر، وأعطينا أهله، وزدناه مثلهم رحمة منا به، وليتذكر أصحاب العقول الراجحة أن عاقبة الصبر الفرج والثواب.
- (٤٤) ولما أقسم ليضربن زوجته مائة جلدة إن شفاه الله من مرضه قلنا له: خذ بيدك قبضة شماریخ فاضربها بها حتى لا تحنث في يمينك، فأخذ بحزمة شماریخ فاضربها بها، إنا وجدناه صابرا على البلاء، نعم العبد هو، إنه كثير الإنابة إلى الله.
- (٤٥) ويأمر الله رسوله أن يذكر عباده الذين اصطفيناهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقد كانوا أصحاب قوة في طاعة الله، وكانوا أصحاب بصيرة صادقة.
- (٤٦) إنا منّا عليهم بخالصة اختصاصناهم بها، وهي إعمار قلوبهم بذكر الآخرة.

٤٢ وفي الآية إشارة إلى الفوائد الطبية للعلاج بالماء البارد حيث أثبت الطب البديل عدة فوائد له ومن ذلك :

- ١ - تقوية الجهاز المناعي ومقاومة الأمراض.
- ٢ - إعادة النشاط إلى القلب والغدة الدرقية.
- ٣ - إعادة نشاط غدة البنكرياس لافراز الإنسولين الذي يعمل على حرق السكر الزائد.

وغيرها من الفوائد الطبية. ولذلك تعمل بعض المصحات حمامات مثلجة للغطس فيها لتحسين صحة المرضى وإعادة النشاط في أجسامهم. وفي بعض البلدان يستحمون في بحيرات متجمدة من أجل الصحة. وهذه التفاصيل العلمية الدقيقة التي أشارت إليها الآية الكريمة ما عرفت إلا بعد أن امتلك الإنسان الوسائل العلمية التي لم تكن متوفرة زمن التنزيل.



﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لَمُنْقِنِينَ لِحَسَنِ مَتَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْبُوبُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِينِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَتِهِ كَثِيرَةً وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الطَّرْفِ أُنْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُمْ، مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِلَى اللَّطِيفِينَ لَشَرِّ مَتَابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَمِنَ السَّمَاءِ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٦﴾ وَآخَرُونَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ لَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمْ تَكُنْ لَنَا مَرْجَبًا بِكُمُ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَمَنْ أَلْقَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ سَخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٍ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ۞

- (٤٧) وإنهم عندنا لمن اصطفينا لهم لطاعتنا، واختارناهم لتبليغ رسالتنا.
- (٤٨) وأمره أن يذكر إسماعيل، واليسع، وذا الكفل، وكل من المختارين.
- (٤٩) هذا ذكر لهؤلاء بالثناء الجميل، وإن للمتقين مرجعاً حسناً في الآخرة.
- (٥٠) فمرجعهم جنات إقامة يوم القيامة، وقد فتحت لهم أبوابها احتفاءً بهم.
- (٥١) متكئين على الأرائك المزيّنة لهم، يطلبون من خدمهم أن يقدموا لهم المشتهى من الفواكه الكثيرة المتنوعة، ومن الشراب.
- (٥٢) وعندهم نساء قاصرات أطرافهن على أزواجهن، مستويات في السن.
- (٥٣) يقال لهم هذا ما توعدون من الجزاء يوم القيامة على أعمالكم الصالحة.
- (٥٤) إن هذا الذي ذكرنا من الجزاء لرزقنا، وهو رزق ليس له انقطاع.
- (٥٥) هذا، وإن للمتجاوزين لحدود الله بالكفر والمعاصي لشر مرجع.
- (٥٦) جهنم، يعانون من حرها، لهم منها فراش، فبئس الفراش فراشه.
- (٥٧) هذا العذاب ماء حار، وصيد سائل من أصحاب النار، فليشربوه.
- (٥٨) ولهم عذاب من شكل هذا العذاب، فلهم عدة أصناف من العذاب في الآخرة.
- (٥٩) وإذا دخل أهل النار تبرأ بعضهم من بعض، فيقول بعضهم: هذه طائفة داخله النار معكم، فيجيئونهم: لا مرحبا بهم، إنهم معانوا ما نعانيه من العذاب.
- (٦٠) قال فوج الأتباع: بل أنتم لا مرحبا بكم، فأنتم الذين قدمتم لنا هذا العذاب بإضلالكم إيانا، فساء القرار هذا القرار.
- (٦١) قال الأتباع: ربنا من أضلنا فضعف عذابه في النار.
- (٦٢) وقال المتكبرون الطغاة: ما لنا لا نرى معنا في النار رجلاً كنا نحسبهم في الدنيا من الأشقياء الذين يستحقون العذاب.
- (٦٣) أكان استهزاؤنا بهم خطأ؟ أم صواباً، ولم تقع عليهم أبصارنا.
- (٦٤) إن المذكور من تخاصم الكفار بينهم يوم القيامة لحق، لا ريب فيه.
- (٦٥) قل - يا محمد - : إنما أنا منذر لكم من عذاب الله أن يعذبكم بكفركم به ولا إله يستحق العبادة إلا الله، فهو المنفرد في صفاته وأسمائه، القهار لكل شيء.
- (٦٦) وهو رب السماوات، والأرض وما بينهما، وهو العزيز في ملكه، الغفار لذنوب التائبين.
- (٦٧) قل - أيها الرسول - للمكذابين: إن القرآن خير له شأن عظيم.
- (٦٨) أنتم عنه معرضون، لا تبالون به.

﴿ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾

- (٦٩) ليس لي من علم بما كان يختصم فيه الملائكة بشأن خلق آدم، فالله الذي علمني.
- (٧٠) إنما يوحى الله إلي ما يوحيه لأنني نذير لكم من عذابه بين النذارة.
- (٧١) إذ قال ربك - أيها الرسول - للملائكة: إني خالق بشرًا هو آدم من طين.
- (٧٢) فإذا سويت خلقه، ونفخت فيه من روحي، فاسجدوا له.
- (٧٣) فامتثلوا، فاسجدوا جميعهم لم يبق منهم أحد.
- (٧٤) إلا إبليس تكبر عن السجود، وكان يتكبره على ربه من الكافرين.
- (٧٥) قال له الله: أي شيء منعك من السجود لآدم الذي خلقته بيدي.
- (٧٦) قال إبليس: أنا خير من آدم، فقد خلقتني من نار وخلقته من طين.
- (٧٧) قال الله لإبليس: فاخرج من الجنة فإنك ملعون.
- (٧٨) وإن عليك الطرد من الجنة إلى يوم الجزاء.
- (٧٩) قال إبليس: فأمهلني إلى يوم تبعث عبادك.
- (٨٠) قال الله: فإنك من المهملين.
- (٨١) إلى يوم الوقت المحدد لإهلاكك.
- (٨٢) قال إبليس: فبقدرتك وقهرك، لأضلن بني آدم أجمعين.
- (٨٣) إلا من عصمته من إضلالني وأخلصته لعبادتك وحدك.
- (٨٤) قال الله تعالى: فالحق مني، والحق أقوله.
- (٨٥) لأملأن يوم القيامة جهنم منك - يا إبليس - ومن تبعك من بني آدم أجمعين.
- (٨٦) ويأمر الله نبيه أن يقول: ما أسألكم على ما أبلغكم من جزاء، وما أنا من المتكلفين زيادة على ما أمرت به.
- (٨٧) ليس القرآن إلا تذكيرًا للإنس والجن.
- (٨٨) ولتعلمن خبر هذا القرآن، وأنه صادق بعد أن تتجلى لكم ما فيه من البراهين الدالة على صدقه.

الحين لا حد له في لغة العرب وهذه الآية فيها إنباء عن علم سيعلم بعد حين أي بعد زمن، وهذا العلم هو مشاهدة آيات الله في الآفاق وفي الأنفس التي أخبر الله عنها في كتابه الكريم ووعد به قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا﴾. وهذه من الآيات العظيمة الدالة على الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٥﴾ ﴾

- (١) تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم (٤) لو أراد الله اتخاذ ولد لاختار من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزهه وتقدس عما يقول المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته، لا شريك له، القهار لجميع خلقه.
- (٢) إنا أنزلنا إليك - أيها الرسول - القرآن مشتملا على الحق، فاعبد الله، مخلصا له التوحيد من الشرك.
- (٣) ألا لله الدين الخالص من الشوائب، والذين اتخذوا من دون الله أولياء من الأوثان يعبدونهم من دون الله معتذرين بقولهم: ما نعبد هؤلاء إلا ليقربونا إلى الله منزلة، إن الله يحكم بين المؤمنين الموحدين، وبين المشركين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد، إن الله لا يوفق للهداية من ينسب له الشريك كذبا.
- (٤) لو أراد الله اتخاذ ولد لاختار من خلقه ما يشاء، فجعله بمنزلة الولد، تنزهه وتقدس عما يقول المشركون، هو الواحد في ذاته وصفاته، لا شريك له، القهار لجميع خلقه.
- (٥) خلق السموات وخلق الأرض لحكمة بالغة، لا عبثا، يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، وذلك الشمس، والقمر، كل منهما يجري لأجل مقدر، ألا هو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الغفار لذنوب من تاب من عباده.

٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾: يحمل الليل على النهار. وعن مجاهد قال: يدوره. وذكر صاحب صفوة البيان: تكوير الشيء إدارته، وضم بعضه إلى بعض كتكوير العمامة، أي أن هذا يكر على هذا، وهذا يكر على هذا كرورا متتابعاً كتتابع أكوار العمامة بعضها إثر بعض، وهو دليلاً على كروية الأرض.

وقد شاهد العلماء منطقة التداخل بين الليل والنهار على شكل دائرة تحيط بالكرة الأرضية. فكلمة (يُكَوِّرُ) تعني أنه يدخل الليل في النهار بشكل دائري يشبه الكرة. وهذه الآية دليل على كروية الأرض أيضاً. والليل يتحرك ويحيط بالنهار من كل جانب على طول هذه الدائرة، ويظهر وكأنه يسابقه ويلاحقه، أما في الجانب الآخر فإن العكس يحدث، حيث يتحرك النهار ويحاول ملاحقة الليل ويلف حوله على طول الخط الفاصل بين الليل والنهار، وتتكرر هذه العملية باستمرار. ولم يشاهد الإنسان الأرض بشكلها الكروي إلا في عام ١٩٥٧م بعد أول صورة كاملة لكوكب الأرض التقطها علماء الروس بالقمر الاصطناعي سبوتنيك.. ولكن هذه الحقيقة العلمية ذكرت في كتاب الله منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً.

وقوله: ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ وسخر الشمس والقمر لعباده، ليعلموا بذلك عدد السنين والحساب، ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم.

﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقَكُمْ فِي بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسَىٰ مَا كَانَ يُدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَأَمِنُوا أَنْفُورًا رَبُّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ۞

النار الملازمين لها يوم القيامة.

(٩) أم من يقضي أوقات الليل ساجدا لربه وقائما له، يخاف عذاب الآخرة، ويأمل رحمة ربه خير أم الذي يعبد الله في الشدة ويكفر به في الرخاء، ويجعل مع الله شركاء، قل - أيها الرسول: هل يستوي الذين يعلمون ربهم، ويطيعونه، والذين لا يعلمونه، ويعصونه، إنما يتذكر الفرق بينهم أصحاب العقول السليمة.

(١٠) قل - أيها الرسول - لعبادي الذين آمنوا بي وبرسلي: اتقوا ربكم، للذين أحسنوا منكم العمل حسنة في الدنيا بأن ينصرهم الله ويغنيهم، وفي الآخرة بأن يدخلهم الجنة، وأرض الله واسعة، فهاجروا فيها حتى تجدوا مكانا تعبدون الله فيه، لا يمنعكم مانع، إنما يعطى الصابرون ثوابهم يوم القيامة دون عد.

(١١) ويأمر الله رسوله أن يقول: إني أمرني الله أن أعبده وحده، مخلصا له العبادة، أمرني بذلك، وأمر من يتبعني.

(١٢) وأن أكون أول من أسلم له، وانقاد من هذه الأمة.

(٦) خلقكم من نفس واحدة هو آدم، ثم خلق من آدم زوجه حواء، وخلق لكم من الإبل والبقر والضأن والمعز ثمانية أنواع، من كل خلق ذكرا وأنثى، ينشئكم في بطون أمهاتكم طورا بعد طور في ظلمات البطن والرحم والمشيمة، ذلكم الذي يخلق ذلك ربكم، له وحده الملك، لا معبود بحق غيره، فأني تصرفون عن عبادته.

(٧) إن تكفروا بربكم فإن الله غني عن إيمانكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به، ولا يأمر به، وإن تشكروه على نعمه، وتؤمنوا به يرض شكركم، ويشبكم عليه، ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرى، ثم إلى ربكم وحده مرجعكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا، ويجازيكم على أعمالكم، إنه عليم بما في قلوب عباده.

(٨) وإذا أصاب الكافر ضرر من مرضى وفقد مال وخوف غرق دعا ربه أن يكشفه راجعا إليه وحده، ثم إذا أعطاه نعمة ترك من كان يتضرع إليه من قبل وهو الله، وجعل له شركاء يعبدهم من دونه، قل - أيها الرسول - لهذا: استمتع بكفرك بقية عمرك القليلة، فإنك من أصحاب

٦ في قوله تعالى: ﴿ خلقكم من نفس واحدة ... ﴾ سبقت الإشارة إليه في بداية سورة النساء. كما أثبتت الدراسات العلمية أن الضوء يمكن أن يعرض الجنين للأذى والمخاطر، وأن الظلمة ضرورية لتخليق الجنين وسلامة نموه، وهذا ما يقوم به جدار البطن ثم جدار الرحم ثم جدار المشيمة، وهذا الغشاء مكون من ثلاثة أغشية (الغشاء الأمينوسي والغشاء الكوريوني، والغشاء الساقط). وهي تحيط بالجنين إحاطة كاملة وتمثل الظلمة الأولى التي تحيط بالجنين، فسبحان من علم بحاجة الجنين للظلام في هذه المرحلة فقد رله هذه البيئة المناسبة. وقد أخبر بهذه الحقيقة نبيه محمدا ﷺ لتكون دليلا إضافيا على صدق رسالته ﷺ.



﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (١٣) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلَلٌ ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ، يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُتَقَدُّ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْهُمْ هُمْ عُرْفٌ مِنْ قَوْفِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَّلَ الْحَدِيثَ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا فَنَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

- أيها الرسول - في توفيقه، لا تستطيع - أيها الرسول - إنقاذ من في النار؟.

(١٣) ويأمره أن يقول: إني أخاف إن عصيت الله، ولم أطمعه عذاب يوم عظيم وهو يوم القيامة.

(٢٠) لكن الذين امتثلوا أمر ربهم، واجتنبوا نهيه، لهم منازل عالية، بعضها فوق بعض، تجري من تحتها الأنهار، وعدهم الله بذلك وعدا، والله لا يخلف الميعاد.

(١٤) ويأمره أن يقول: أعبد الله وحده؛ مخلصا له العبادة، لا أعبد معه غيره.

(٢١) ألم تر - أيها الرسول - أن الله أنزل من السماء ماء، فأدخله في الأرض، ثم أخرجه عيونا وأنهارا، ثم يخرج بهذا الماء زراعا مختلف الألوان، ثم يبس الزرع، فتراه - أيها المشاهد - مصفرا اللون بعد اخضرار، ثم يجعله متكسرا، إن في ذلك المذكور لتذكيرا لأصحاب القلوب الحية.

(١٥) فاعبدوا أتمم - أيها المشركون - ما شئتم من دونه من الأوثان (والأمر للتهديد)، ويأمره أن يقول لهم: إن الخاسرين حقا هم الذين خسروا أنفسهم، وخسروا أهليكم، فلم يلتقوا بهم لمفارقتهم لهم بانفرادهم بدخول الجنة، أو بدخولهم معهم النار، فلن يلتقوا أبدا، ألا ذلك حقا هو الخسران الواضح الذي لا لبس فيه.

(٢٢) أيسوي من شرح الله صدره للإسلام، فاهتدى إليه، فهو على بصيرة من ربه مع من قسا قلبه، فخران لمن قست قلوبهم عن ذكر الله، أولئك في ضلال واضح عن الحق.

(١٦) لهم من فوقهم دخان ولهيب وحر، ومن تحتهم دخان ولهيب وحر، ذلك المذكور من العذاب يخوف الله به عباده، يا عبادي فاتقوني بامثال أوامري واجتنبوا نواهي.

(٢٣) الله نزل القرآن الذي هو أحسن حديث متشابهها يشبهه بعضه بعضا، تثنى فيه القصص والأحكام، وغيرهما، تقشعروا منه جلود الذين يخشون ربهم إذا سمعوا وعيده، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله إذا سمعوا ما فيه من البشارة، ذلك المذكور من القرآن وتأثيره هداية الله يهدي بها من يشاء و من لم يوفقه للهداية، فليس له من هاد يهديه.

(١٧) والذين اجتنبوا عبادة الأوثان، ورجعوا إلى الله بالتوبة يبشرون عند موتهم وفي القبر ويوم القيامة بالجنة، فبشّر - أيها الرسول - عبادي.

(١٨) الذين يستمعون القول، فيتبعون أحسنه لما فيه من النفع، أولئك الذين وفقهم الله للهداية، وأولئك هم أصحاب العقول السليمة.

(١٩) أفمن وجبت عليه كلمة العذاب لكفره، فلا حيلة لك

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سِوَأَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَبَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

- (٢٤) أيستوى هذا الذي وفقه الله، ومن كفر، ومات على كفره فأدخله النار مغلول اليدين والرجلين، لا يستطيع أن يتقي النار إلا بوجهه المكب عليه؟، وقيل للظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي توبيخاً: ذوقوا جزاء أعمالكم السيئة.
- (٢٥) كذبت الأمم قبلهم، فجاءهم العذاب فجأة من حيث لا يحسبون به.
- (٢٦) فأذاهم الله بذلك العذاب العار والفضيحة في الدنيا، ولعذاب الآخرة الذي ينتظرهم أعظم وأشد لو كانوا يعلمون.
- (٢٧) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن أنواع الأمثال في الخير والشر، والحق والباطل، والإيمان والكفر، وغير ذلك؛ رجاء أن يعتبروا بما ضربناه لهم منها.

٢١ الدلالات العلمية للآية الكريمة

أولاً: الإشارة إلى أن الماء المخزون تحت سطح الأرض كله من ماء المطر: ويقوم ماء المطر عند هطوله بتفتيت صخور الأرض، وتكوين التربة وشحنها بقدر من الرطوبة، كما يقوم بشق الفجاج والسبل، وتسوية سطح الأرض، وتلطيف الجو، والمحافظة على رطوبة الهواء، وبإذابة العديد من الأملاح التي في الصخور وحملها إلى البحار والمحيطات، وتركيز العديد من الخامات المعدنية والثروات الأرضية المختلفة.

ثانياً: إخراج الزروع مختلفة الألوان:

كشف العلم في زماننا الراهن أكثر من ٥٥٠,٠٠٠ نوع من أنواع النباتات، ويمثل كل نوع منها ببلايين الأفراد، وكل نوع من هذه الأنواع له من صفاته الخارجية (الشكلية) والداخلية (التشريحية) ما يميزه عن غيره، وإخراج كل هذه النباتات والزروع المتباينة في صفاتها، وكلها يسقى بماء واحد مما يدل على أن الله (تعالى) قد أعطى لكل نبتة القدرة الفائقة على اختيار ما يناسبها من عناصر الأرض ومركباتها، ولولا هذه القدرة الإلهية المبدعة في بناء الشفرة الوراثية لكل نوع من أنواع النبات، بل لكل فرد منها، ما أنبتت الأرض على الإطلاق، ولولا أن الله إنزال الماء من السماء ما نشطت تلك الشفرة الوراثية.

كما قد كشف العلم اليوم أن ألوان الزهور، والثمار، والأوراق التي جعلها الله في النباتات المزهرة عن طريق عدد من الأصباغ الأساسية (من مثل الكلوروفيلات الخضراء، والأنثوسيانينات الحمراء، والكاروتينات الصفراء) وعدد آخر من الأصباغ الثانوية التي تعرف باسم أصباغ الإحساس، وتباين نسب بعضها إلى بعض تكون هذه الأطياف المبهرة لألوان الزروع والنباتات المختلفة الذي جعلها الله (تعالى) متعة للناظرين.

ثالثاً: ثم يهيئ فتراه مصفراً:

في بدء حياة النبتة من الزروع المختلفة تطغى الأصباغ الخضراء على لونها، وذلك لحاجة النبات إليها في عملية التمثيل الضوئي التي بنى بواسطتها غذاءه، وعند تمام نضج الثمار تتوقف حاجة النبات إلى الغذاء، فتتوقف الأصباغ الخضراء، وتبدأ في التحلل والتحول إلى مركبات كيميائية تنقل إلى الخضرة تبدأ الأصباغ الصفراء (الأصباغ الكاروتينية) في الظهور التدريجي حتى تسود. وفي ذلك يقول الحق (تبارك وتعالى): ثم يهيئ فتراه مصفراً.

رابعا: ثم يجعله حطاماً:

يكون الماء أغلب أنسجة النباتات (نحو ٨٠٪ في المتوسط)، وعند نضج الثمار فإنها تفقد نسبة متباينة من مكوناتها المائية، خاصة في حالة الحبوب الجافة، وكذلك تفقد باقي أنسجة النبات ماءها في حالة المحاصيل الحولية، وتبقى موادها الصلبة، وما كان ذاتياً في مائها من أملاح، وتتوقف حياة النبات، وتبدأ مادته الجافة، في التحلل والتحول إلى حطام، وهي صورة مصغرة لحياة الإنسان وموته، وفي ذلك ذكرى لأولي الأبواب.



﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَكُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالذِّبْرِ مِنَ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

الرسول - المشركون من الأصنام أن تنالك بسوء، ومن لم يوفقه للهداية فما له من هاد يهديه.

(٣٧) ومن يوفقه الله للهداية فلا مضلّ يضله، أليس الله بعزيز لا يغالبه أحد، ذي انتقام ممن يكفر به، ويعصيه؟

(٣٨) ويسجل الله عليهم التناقض فلو سألهم الرسول: من خلق السموات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن الله، ويأمره أن يقول لهم: أخبروني عن هذه الأصنام التي تعبدونها إن أراد الله أن يصيبني بضرٍ هل يستطيع كشف ضره عني، أو أراد أن يمنحني رحمة منه هل يستطيع منع رحمته عني، ويأمره أن يقول: حسبي الله وحده، عليه اعتمدت في أموري، وعليه يعتمد المتوكلون.

(٣٩) ويأمره أن يقول لهم: يا قومي اعملوا على الحالة التي اخترتموها من الشرك بالله، إني عامل على ما أمرني به ربي، وعلى إخلاص العبادة له، فسوف تعلمون .

(٤٠) من يأتيه عذاب في الدنيا يذله، وينزل عليه في الآخرة عذاب لا ينقطع.

(٤١) إنا أنزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن للناس بالحق لتدعوهم ، فمن اهتدى ففجع هدايته لنفسه، فالله غني عنها، ومن ضل فضرر ضلاله عليها، فالله لا يضره ضلاله، ولست عليهم موكلا لتجبرهم على الهداية، فما عليك إلا البلاغ.

(٢٨) جعلناه قرآنا بلسان عربي، لا اعوجاج فيه، ولا لبس.

(٢٩) ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا مملوكا لشركاء متنازعين إن أرضى هذا أسخط هذا، فهو في حيرة، ورجلا خالصا لرجل واحد، يعرف مراده فهو في طمأنينة، هل يستوي هذان الرجلان؟ الحمد لله، بل معظمهم لا يعلمون، فلذلك يشركون بالله.

(٣٠) إنك - أيها الرسول - ميت، وإنهم ميتون.

(٣١) ثم إنكم يوم القيامة عند الله تختصمون، فيحكم بينكم، ويجازي كلا بما يستحقه.

(٣٢) ولا أحد أظلم ممن نسب إلى الله ما لا يليق به كذبا وكذب بالقرآن، ولا ممن كذب بما جاء به رسوله من الحق، أليس في النار مأوى للكفار، بلى.

(٣٣) والذي جاء بالصدق في أقواله وأفعاله، وصدق به مؤمننا، وعمل أولئك هم المتقون حقا.

(٣٤) لهم ما يشاؤون عند ربهم من الملذات، ذلك جزاء المحسنين مع ربهم.

(٣٥) ليمحو الله عنهم أسوأ الذي كانوا يعملونه من المعاصي بالتوبة، ويجزيهم ثوابهم بأحسن ما كانوا يعملون من الصالحات.

(٣٦) أليس الله بكاف عبده،؟ بلى إنه لكافيه، ويخوفك - أيها

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا حَوْلَهُ نِعْمَةٌ مَنَّ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ فَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُنَا لَآءٍ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ ۝

حضر، أنت وحدك تفصل بين عبادك يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا، فتبين الحق من الباطل.

(٤٧) ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك ما في الأرض، لاقتدوا به من العذاب الأليم، ولو قدر أنه لهم لم يقبل منهم، وظهر لهم من الله من صنوف العذاب ما لم يكونوا يظنون، فيا لندامتهم!

(٤٨) وظهر لهم سيئات ما كسبوه من المعاصي، وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

(٤٩) فإذا أصاب الإنسان الكافر ضرر دعانا لنكشفه عنه، ثم إذا وهبناه نعمة قال: إنما وهبني الله ذلك لعلمه بأني أستحقه، بل ما أعطيه ابتلاء، ولكن معظم الكافرين لا يعملون ذلك، فيغتروا بإنعام الله عليهم.

(٥٠) قد قال هذا القول من قبلهم من الكفار، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون شيئاً.

(٥١) فأصابهم سيئات ما كسبوا من المعاصي، والذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي من الحاضرين سيبيهم سيئات ما كسبوا مثل أولئك، ولن يفلتوا من عقاب الله.

(٤٢) الله الذي يقبض الأرواح إذا انتهى أجلها، ويقبض الأرواح التي لم ينته أجلها عند النوم، فيمسك التي حكم عليها بالموت، ويرسل التي لم يحكم عليها به إلى أمد محدد، إن في المذكور من الإماتة والإحياء لدلائل لمن يتفكرون على أن الله قادر على بعث الناس بعد موتهم.

(٤٣) أم اتخذ المشركون آلهة من أصنامهم يشفعون لهم عند الله، قل لهم - أيها الرسول - : أتخذونهم شفعاء حتى لو كانوا لا يملكون لكم ولا لأنفسهم شيئاً، ولا يعقلون، فهم جمادات صماء.

(٤٤) ويأمر رسوله أن يقول لهم : لله وحده الشفاعة، فلا تقع إلا بإذنه، ولن ارتضى، له وحده ملك السماوات، و الأرض، ثم إليه ترجعون يوم القيامة لا إلى غيره.

(٤٥) وإذا ذكر الله وحده نفرت قلوب المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكرت معبوداتهم من دونه إذا هم فرحون بذكرها.

(٤٦) ويأمر الله رسوله أن يقول : اللهم خالق السماوات والأرض على غير سابق مثال، عالم ما غاب وما

٤٢ وجه الإعجاز هنا: في الآية الكريمة إشارة إلى أن ظاهرة النوم هي خروج الروح من الجسد، وهذا يحدث أيضاً في حالة الموت، غير أنه سبحانه يمسك الروح التي قضى عليها الموت، ويعيد الروح التي لم يقدر على صاحبها الموت إلى أجل مسمى، وهذه دعوة إلهية للتأمل والتفكير عبادة لله تعالى. كما أثبت العلم اليوم فوائد جديدة ودقيقة للنوم مما يؤكد أنه ضروري للإنسان وأن حرمانه من النوم مدعاة لهلاكه.



﴿ أَوْلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ * قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ
 اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ
 أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ
 لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
 كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَءَايُتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾
 وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُحَى اللَّهُ
 الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَمْسُهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾
 لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي
 أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ *

فأنال ثوابهم.

(٥٩) ليس الأمر كذلك، فقد جاءتك آياتي، فكذبت بها، وتكبرت، وكنت من الكافرين بالله ورسوله.

(٦٠) ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بوصفه بما لا يليق به وجوههم مسودة؛ لشقائهم، أليس في جهنم مقرّ للمتكبرين على الإيمان بالله ورسوله؟ بلى.

(٦١) ويسلم الله المتقين من العذاب بإدخالهم مكان فوزهم وهو الجنة، لا يمسهم العذاب، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

(٦٢) الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء حفيظ، يدبر أمره، ويصرفه.

(٦٣) له مفاتيح خزائن الخيرات في السماوات والأرض، يمنحها من يشاء، ويمنعها من يشاء، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون لحرمانهم من الإيمان في الدنيا، ولدخولهم النار في الآخرة.

(٦٤) ويأمر الله رسوله أن يقول لمن يدعونه إلى عبادة أصنامهم: أتأمرونني - أيها الجاهلون بربكم - أن أعبد غير الله، لن أعبد غيره.

(٦٥) ولقد أوحى الله إليك - أيها الرسول - وإلى من قبلك من الرسل: لئن عبدت مع الله غيره ليبطلن ثواب عملك، ولتكونن من الخاسرين في الدنيا، وفي الآخرة.

(٥٢) أذكروا ما قالوا، ولم يعلموا أن الله يوسع الرزق على من يشاء؛ ابتلاء له أشكر؟، ويضيّقه على من يشاء؛ اختباراً له أيضاً، إن في ذلك المذكور من توسيع الرزق وتضييقه لدلالات على تدبير الله لقوم يؤمنون فهم من تنفعه الآيات.

(٥٣) ويأمر الله رسوله أن يقول للمسرفين على أنفسهم بالمعاصي: لا تياسوا من رحمة الله، ومن مغفرته، إن الله يغفر الذنوب كلها لمن تاب إليه، إنه هو الغفور للتائبين، الرحيم بهم.

(٥٤) وارجعوا إلى ربكم بالتوبة والعمل الصالح، وانقادوا له من قبل أن يأتيكم العذاب يوم القيامة، ثم لا تجدون من أصنامكم، أو أهليكم من ينقذكم من العذاب.

(٥٥) واتبعوا أحسن ما أنزله ربكم من القرآن، فاعملوا به من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة وأنتم لا تحسبون به فتستعدوا له بالتوبة.

(٥٦) حذر أن تقول نفس من شدة الندم: يا ندمها على تفريطها في جنب الله بما كانت عليه من المعاصي، وعلى ما كانت تسخر به من الحق وأهله.

(٥٧) أو تقول محتجة بالقدر: لو أن الله وفقني لكنت من المتقين لله.

(٥٨) أو تقول متمنية عند معاينة العذاب: لو أن لي عودة إلى الدنيا، فأتوب إلى الله، وأكون من المحسنين لأعمالهم،

﴿ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِقَضَائِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ، وَأَوْثَرْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴿﴾

يقرؤون عليكم آيات ربكم المنزلة، ويخوفونكم لقاء يوم القيامة؟ قال الكفار مقرين على أنفسهم: بلى قد حدث كل ذلك، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكفار.

(٧٢) فيقال لهم؛ إهانة لهم وتيئيسا من رحمة الله: ادخلوا أبواب جهنم؛ ما كثر فيها أبدا، فساء مقر المتكبرين المتعاليين على الحق.

(٧٣) وساق الملائكة المتقين ربهم إلى الجنة جماعات حتى إذا جاءوا الجنة فتحت لهم أبوابها، وقال لهم الملائكة الموكلون بها: سلام عليكم من كل ضرر، طابت قلوبكم وأعمالكم فادخلوا الجنة؛ ما كثر فيها أبدا.

(٧٤) فيقولون: الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعدنا، فقد وعدنا أن يدخلنا الجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل منها ما نشاء أن ننزله، فنعلم أجر العاملين الذين يعملون الأعمال الصالحة.

(٧٥) وترى - أيها الرسول - في ذلك اليوم الملائكة محيطين بالعرش ينزهون الله عما لا يليق به، وقضى الله بين الخلائق بالعدل، فجازى كلا بما يستحق، وقيل: الحمد لله رب المخلوقات على حكمه في خلقه.

(٦٦) بل اعبد الله وحده، ولا تشرك به أحدا، وكن من الشاكرين له على نعمه.

(٦٧) وما عظم المشركون الله حق تعظيمه حين أشركوا به غيره، وغفلوا عن قدرة الله التي منها أن الأرض بما فيها من جبال وأشجار وأنهار وبحار يوم القيامة في قبضته، وأن السماوات السبع كلها مطويات بيمينه، تنزهه، وتقدس وتعالى عما يشركه المشركون.

(٦٨) ونفخ الملك الموكل بالنفخ في القرن، فمات كل من في السماوات ومن في الأرض، ثم نفخ فيه مرة ثانية للبعث، فإذا الجميع قيام ينظرون ما الله فاعل.

(٦٩) وأضاءت الأرض لتجلّي ربها للفصل بين العباد، ونشرت صحف أعمال الناس، وجيء بالأنبياء، وبالملائكة الشهداء على أعمال الناس، وحكم الله بين جميعهم بالعدل، وهم لا يظلمون في ذلك اليوم.

(٧٠) وأكمل الله جزاء كل نفس، والله أعلم بما يفعلون، لا يخفى عليه من أفعالهم شيء، وسيجازيهم على أعمالهم.

(٧١) وساق الملائكة الكفار إلى جهنم جماعات حتى إذا جاءوا جهنم فتحت لهم الملائكة الموكلون بها أبوابها موبخهم بقولهم لهم: ألم يأتكم رسل من جنسكم

سورة غافر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ينادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَاكَ آتَيْنَا وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنَا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾

ويؤمنون به، ويطلبون المغفرة للمؤمنين؛ قائلين: ربنا وسع علمك ورحمتك كل شيء فاغفر للتائبين من ذنوبهم، المتبعين لدينك، واحفظهم من النار.

ربنا وأدخل المؤمنين جنات إقامة التي وعدتهم بدخولها، وأدخل الصالحين من آبائهم وأزواجهم وأولادهم، إنك أنت العزيز الذي لا يغلبك أحد، الحكيم في تقديرك وتديريك.

واحفظهم من سيئات أعمالهم فلا تعذبهم بها، ومن تحفظه يوم القيامة من العقاب عليها فقد رحمته، تلك الوقاية من العذاب، ودخول الجنة هي الفوز العظيم.

﴿١٠﴾ إن الذين كفروا ينادون يوم القيامة عندما يدخلون النار ويلعنون أنفسهم: لَمَقْتُ اللَّهُ لَكُمْ أَكْبَرَ مِنْ مَقَّتِكُمْ لأنفسكم حين كنتم تدعون في الدنيا إلى الإيمان بالله، فتشركون معه غيره.

﴿١١﴾ وقال الكفار؛ مقررين بذنوبهم: ربنا آمنا مرتين حيث كنا عدما فأوجدتنا، ثم آمنا بعد إيجادنا، وأحييتنا مرتين بإيجادنا من العدم، وبإحيائنا للبعث، فاعترفنا بما اكتسبنا، فهل إلى خروج من طريق نسله لتخرجنا من النار؟، فنعود إلى الحياة لنصلح أعمالنا، فننال رضاك.

(١) حم سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، تنزيل القرآن على رسوله ﷺ من الله العزيز فلا غالب له، العليم بمصالح عباده.

(٢) غافر الذنوب، قابل توبة التائب من عباده، شديد العقاب لمن لم يتب من ذنوبه، ذي الإحسان والتفضل على عباده، لا معبود بحق غيره، إليه وحده مرجع العباد يوم القيامة.

(٣) ما يخاصم في آيات الله الدالة على توحيده وصدقه رسله إلا الكفار لفساد عقولهم، فلا يغررك ما هم فيه من بسط الرزق، والنعم، فهم مستدرجون.

(٥) كذب قبل هؤلاء قوم نوح، وكذبت الأحزاب بعد قوم نوح، فكذبت عاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكذب فرعون، وهمت كل أمة من الأمم برسولها لتقتله، وجادلوا بما عندهم من الباطل ليزيلوا به الحق، فأخذت تلك الأمم كلها، فتأمل كيف كان عقابي لهم، فقد كان شديدا.

(٦) وكما حكم الله بإهلاك تلك الأمم وجبت كلمة ربك - أيها الرسول - على الذين كفروا أنهم أصحاب النار.

(٧) الملائكة الذين يحملون عرش ربك - أيها الرسول - والذين هم من حوله ينزهون ربهم عما لا يليق به،

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تَوَمَّنُوا فَاَلْحَكُمُ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَن أَمَلَكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفَى الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ﴾

لله الواحد في ذاته وصفاته وأفعاله، القهار الذي قهر كل شيء، وخضع له كل شيء.

(١٧) اليوم تجزى كل نفس بما كسبته من عمل، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، لا ظلم في هذا اليوم، إن الله سريع الحساب لعباده لإحاطة علمه بهم.

(١٨) وأنذرهم - أيها الرسول - يوم القيامة، فهو قريب، فكل آت قريب، حين ترتفع القلوب من شدة هوله حتى تصل حناجر أصحابها، وهم صامتون لا يتكلم أحد منهم إلا من أذن له الله، ما للظالمين لأنفسهم بالشرك من صديق ولا قريب، ولا شفيع يطاع.

(١٩) يعلم ما تختطفه نظرات الناظرين خلسة، ويعلم ما تكتمه الصدور.

(٢٠) والله يحكم بالعدل، والذين يعبدهم المشركون لا يحكمون بشيء لأنهم لا يملكون شيئا، إن الله هو السميع لأقوال عباده، البصير بنياتهم وأعمالهم.

(١٢) ذلكم العذاب الذي عذبتكم به لأنكم كنتم إذا دعي الله وحده، ولم يشرك به أحد كفرتم به وأشركتم، وإذا عبد معه غيره آمنتكم، فالحكم لله وحده، العلي بذاته وقهره الكبير.

(١٣) الله هو الذي يريكم آياته؛ لتدللكم على قدرته، وينزل لكم من السماء ماء ليكون سببا لما ترزقون به من النبات والزروع وغيرهما، وما يتعظ بآيات الله إلا من يرجع إليه بالتوبة.

(١٤) فادعوا الله - أيها المؤمنون - مخلصين له في الطاعة والدعاء، غير مشركين به، ولو كره الكافرون ذلك، وأغضبهم فطاعة الله أولى.

(١٥) فهو رفيع الدرجات مبين لخلقها، وهو رب العرش العظيم، يلقي الوحي على من يشاء من عباده ليعبدهم، ويحيوا غيرهم، وليخوفوا الناس من يوم التلاقي للجزاء.

(١٦) يوم هم ظاهررون، لا يخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم؟ لا أحد يستطيع ادعاء الملك اليوم، الملك

١٩ مع إشارتنا إلى ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قوله: (هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم وفيهم المرأة الحسنة فإذا غفلوا لحظ إليها).

فإننا نذكر هنا وجهاً آخر من وجوه معنى خائنة الأعين لأصحابها، وتتمثل بحالة وقوع النظر على شيء وصاحبه لا يدرك شيئاً منه، وهو ما أشار إليه الضحاك بقوله: هي قول الإنسان ما رأيت وقد رأى أو رأيت وما رأى، فهل يمكن للعين أن تخون صاحبها وتفضح الأسرار المخبأة في دماغه، هذا ما أكدته الدراسات العلمية القائمة على التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي للتأثير المتبادل بين الحركات السريعة للعين، وبين مناطق محددة في الدماغ دون أن يشعر بها الإنسان، وعلى هذا الوجه يكون المعنى أن قدرة الله تعالى لا تقف عند علمه بما يرى الإنسان ويشعر به ويتذكره فحسب بل إن قدرته وعلمه تحيط بخائنة العين وهو كل ما رآته العين حتى ولو لم يشعر به الإنسان ويتذكره فسيبحان من هو على كل شيء قدير وأحاط بشكل شيء علماً.



﴿أَوْلَم يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَفِرْعَوْنَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِن عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنِ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾﴾

- (٢١) أولم يسر المشركون في الأرض فيتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم، كانت تلك الأمم أشد منهم قوة، وأثروا في الأرض بالبناء ما لم يؤثر فيها، فأهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم مانع من عقاب الله.
- (٢٢) وقد أصابهم ما أصابهم لأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالأدلة الواضحة، فكفروا بالله، وكذبوا رسله، فأهلكهم الله إنه قوي، شديد العقاب لمن كفر به، وكذب رسله.
- (٢٣) ولقد بعثنا موسى بآياتنا الواضحات، وببرهان قاطع.
- (٢٤) بعثناه إلى فرعون ووزيره هامان، وإلى قارون، فقالوا: هو ساحر يسحر الناس، كذاب فيما يدعيه.
- (٢٥) فلما جاءهم موسى بالحجج الدالة على صدقه قال فرعون: اقتلوا أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستبقوا نساءهم؛ تنكيلا بهم، وما مكر الكافرين بالأمر بتقليل عدد المؤمنين إلا هالك ذاهب.
- (٢٦) وقال فرعون لقومه: اتركوني أقتل موسى، وليدع ربه أن يمنعه مني، إنني أخاف أن يغير من دينكم الذي كنتم عليه، أو أن يظهر في الأرض الفساد بالقتل والتخريب.
- (٢٧) وقال موسى: إنني استجرت بربي وربكم من كل متكبر عن الحق، لا يؤمن بيوم القيامة، وما فيه من حساب وعقاب.
- (٢٨) وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون يكتُم إيمانه عن قومه: أتقتلون رجلا دون ذنب إلا أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين الدالة على صدقه، وإن قدر أنه كاذب فضرر كذبه عائد عليه، وإن يكن صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم به من العذاب عاجلا، إن الله لا يوفق للحق من هو متجاوز لحدوده، مفتر عليه، وعلى رسله.
- (٢٩) يا قوم لكم الملك اليوم غالبين في أرض مصر، فمن ينصرنا من عذاب الله إن جاءنا بسبب قتل بريء؟، قال فرعون: ما أشير عليكم به إلا بما أشير به على نفسي، وقد رأيت أن أقتله؛ دفعا لفساده، وما أُرشدكم إلا إلى الصواب.
- (٣٠) وقال الذي آمن: إنني أخاف عليكم إن قتلتموه ظلما عذابا مثل عذاب الأحزاب الذي تحزبوا على رسلهم من السابقين، فأهلكهم الله.
- (٣١) كعادة من كفر وكذب الرسل مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين جاءوا من بعدهم فقد أهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم لرسله، وما الله يريد ظلما للعباد، وإنما يعذبهم بذنوبهم؛ جزاء لهم على أعمالهم السيئة.
- (٣٢) ويقوم إنني أخاف عليكم اليوم الذي ينادي فيه المؤمنون الكافرين، والكافرون المؤمنين.

﴿ يَوْمَ تُولُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ ﴿٤٢﴾ لَاجِرًا أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾

- (٣٣) يوم تؤولون هاربين خوفا من النار، مالكم من الله من مانع يمنعكم من عقابه، ومن لم يوفقه الله للإيمان فما له من هاد يهديه.
- (٣٤) ولقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالحجج الواضحة على توحيد الله فما زلتم في شك وتكذيب لما جاءكم به حتى إذا مات قلتم: لن يبعث الله من بعده رسولا، مثل ضلالكم عن الحق يضل الله كل من هو متجاوز لحدوده، شك في وحدانيته.
- (٣٥) الذين يخاصمون في آيات الله ليبتلوا بها برهان أنهم كبر جدالهم مقتنا عند الله وعند المؤمنين، كما ختم الله على قلوب هؤلاء المخاصمين في آياتنا يختم الله على كل قلب مستكبر عن الحق، متجبر، حتى لا يصل إلى صواب.
- (٣٦) وقال فرعون لوزيره هامان: يا هامان ابن لي بناء عاليا؛ رجاء أن أبلغ الطرق.
- (٣٧) رجاء أن أبلغ طرق السماوات الموصلة إليها، فأنظر إلى معبود موسى، وإنني لأظنه كاذبا فيما يدعيه، وهكذا زين لفرعون قبح عمله حين طلب ما طلب، وصرف عن طريق الحق، وما مكر فرعون لإظهار باطله، وإبطال الحق الذي جاء به موسى إلا في خسارة؛ لأن ماله الخيبة والفشل في سعيه، والشقاء الذي لا ينقطع أبدا.
- (٣٨) وقال الرجل الذي آمن من آل فرعون: يا قوم اتبعوني أرشدكم إلى طريق الصواب، والهداية إلى الحق.
- (٣٩) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا تمتع بملذات منقطعة، فلا تغتروا بمتاعها الزائل، وإن الدار الآخرة بما فيها من نعيم لا ينقطع هي دار الاستقرار والإقامة فاعملوا لها بطاعة الله.
- (٤٠) من عمل عملا سيئا فلن يعاقب إلا بمثله، ومن عمل عملا صالحا يبتغي به وجه الله، ذكرا كان العامل أو أنثى وهو مؤمن بالله ورسله فسيدخلون الجنة يوم القيامة، يرزقهم الله بغير حساب مما أودعه فيها من الثمرات والنعيم الذي لا ينقطع.
- (٤١) ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة من الخسران بالإيمان بما أدعوكم إليه من الحق، وتدعونني إلى دخول النار بما تدعونني إليه من الكفر.
- (٤٢) تدعونني قصد أن أكفر بالله، وأشرك معه ما لا علم لي بصحة أن يعبد معه، وأنا أدعوكم إلى الإيمان بالعزير الذي لا يغلبه أحد، القهار الذي قهر كل شيء.
- (٤٣) حقا أن ما تدعونني إلى الإيمان به، وإلى طاعته ليس له دعوة يدعى بها بحق في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يستجيب لمن دعاه، وأن مرجعنا جميعا إلى الله وحده، وأن المسرفين في الكفر والمعاصي هم أصحاب النار الملازمين لها.



﴿ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٤٤) فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَلَّجُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴿

- (٤٤) فلم يقبلوا نصحه، فقال: ستذكرون ما قدمت لكم من نصح، وتندمون على رفضه، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بعباده، لا يخفى عليه من هم شيء.
- (٤٥) فحماه الله من سوء مكرهم حين أرادوا قتله، وأحاط بال فرعون العذاب حين أغرق في الدنيا هو وجنوده.
- (٤٦) وفي البرزخ يعرضون على النار أول النهار وآخره، ويوم القيامة يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وأعظمه لتكذيبهم وكفرهم.
- (٤٧) ويأمر الله رسوله أن يذكر حين يتخاصم الأتباع والمتبوعون من أصحاب النار، فيقول الأتباع المستضعفون للمتبوعين المتكبرين: إنا كنا لكم أتباعا في الضلال في الدنيا، فهل أنتم مغنون عنا جزءا من عذاب الله تتحملونه عنا؟.
- (٤٨) قال المتبوعون المستكبرون: إنا وأنتم سواء كنا أتباعا أم متبوعين، فكلنا في النار، لا يتحمل أحد جزءا من عذاب غيره، إن الله قد حكم بين العباد، فأعطى كلا ما يستحقه.
- (٤٩) وقال المعذبون في النار من الفريقين لخزنة جهنم بعد اليأس من الخروج من النار والعودة ليتوبوا: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما واحدا من العذاب لنستريح.
- (٥٠) فيجيهم الخزنة: أو لم تكن تأتيكم رسلكم بالبراهين الواضحة، قال الكفار: بلى كانوا يأتوننا بها، قال الخزنة تهكما بهم: فادعوا أنتم، فنحن لا نشفع للكفار، وما دعاء الكافرين إلا في بطلان، فلا يقبل بسبب كفرهم.
- (٥١) ويطمئن الله رسوله فيقول: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا بالله ويرسله في الدنيا بإظهار حجتهم وتأييدهم على أعدائهم، وننصرهم يوم القيامة حين يقوم الشهود من الملائكة على تبليغ الرسل، وتكذيب أمهم بإدخالهم هم الجنة وبإدخال أعدائهم النار يوم القيامة ونصر المؤمنين عليهم في الدنيا.
- (٥٢) يوم لا ينفع الكفار اعتذارهم عن ظلمهم، ولهم في ذلك اليوم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء الدار في الآخرة وهو العذاب الأليم.
- (٥٣) ولقد أعطينا موسى المعجزات، والعلم الذي يهتدي به بنو إسرائيل إلى الحق، وجعلنا التوراة كتابا يتوارثه بنو إسرائيل جيلا بعد جيل.
- (٥٤) و التوراة هذه هادية إلى طريق الحق، وتذكير لأصحاب العقول السليمة.
- (٥٥) ويأمر الله رسوله بالصبر على ما يلاقيه من قومه حتى يتحقق وعد الله، إن وعد الله له بالنصر والتأييد حق لا مرية فيه، ويأمره أن يطلب المغفرة لذنبه، ويسبح بحمد ربه أول النهار وآخره.
- (٥٦) إن الذين يخاصمون في آيات الله لإبطالها دون حجة، ما يحملهم على ذلك إلا الاستعلاء والتكبر، ولن يصلوا إلى ما يريدونه، فاعتصم - أيها الرسول - بالله، إنه هو السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم.

﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ
يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحْمَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَكْرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞

- (٥٧) وردا على المتكبرين ومنكري البعث يقول الله: لخلق السماوات والأرض لخلق الناس، فالذي خلقهما مع عظمهما قادر على بعث الموتى من قبورهم أحياء ليجازيهم، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يعتبرون به، ولا يجعلونه دليلا على البعث، وداعيا للتواضع.
- (٥٨) ولا يستوي الأعمى، والبصير، ولا يستوي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله، وأحسنوا أعمالهم مع من يسيء عمله بالكفر والمعاصي، لا تتذكرون إلا قليلا إذ لو تذكرتهم لعلمتم الفرق بين الفريقين.
- (٥٩) إن الساعة لآتية لا محالة، لا شك فيها، ولكن معظم الناس لا يصدقون بمجيئها، فلا يستعدون لها بالإيمان والعمل الصالح.
- (٦٠) وقال الله ربكم: ادعوني وحدي، ولا تشركوا بي أحدا، إن الذين يتكبرون عن عبادتي سيدخلون يوم القيامة جهنم أذلاء.
- (٦١) الله هو الذي صير لكم الليل مظلمًا؛ لتسكنوا فيه للراحة، وصير النهار مضيئًا لتعملوا فيه، إن الله لذو فضل عظيم على الناس بما منحهم من نعمه، ولكن معظم الناس لا يشكرونه عليها.
- (٦٢) ذلكم المتفضل بنعمه هو خالق كل شيء، فلا خالق غيره، لا معبود بحق غيره، فأنى تصرفون عن عبادته إلى عبادة من لا يملك نفعًا ولا ضرا.
- (٦٣) كما صرف هؤلاء عن الإيمان بالله وعبادته وحده يصرف عنه من يجحد بآيات الله الدالة على توحيده في كل زمان ومكان.
- (٦٤) الله الذي صير للناس الأرض مهيأة لاستقرارهم، وصير السماء محكمة البناء فوقهم ممنوعة من السقوط، وصورهم في أرحام أمهاتهم، فأحسن صوركم، ورزقكم من حلال الأطعمة ومستطابها، ذلكم الذي أنعم عليهم هذه النعم هو الله ربهم، فتبارك الله رب المخلوقات كلها.

٥٧ في الآية الكريمة إشارة إلى أن الآيات الربانية الموجودة في الآفاق (أي المساوات والأرض) أكبر وأعظم من الموجودة في خلق الناس، وهو ما تؤكد الاكتشافات العلمية الحديثة.

٦١ سبقت الإشارة إليه في سورة السجدة.

٦٤ من المعجزات في هذه الآية:

- ١- وصف الأرض بأنها قرار لنا: وقد سبق الحديث عن ذلك.
- ٢- وصف السماء بالبناء: وقد أثبت العلم اليوم أن السماء مبنية وليست فراغًا كما كان يُظن. وهي تتركب من عدد هائل من الأجرام السماوية.
- ٣- الإشارة إلى مرحلة التصوير للجنين عندما يكتسب الصورة الأدمية. وقد سبق الحديث عنه سابقاً.



﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٥) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيََتَّخِذُوا شَيْوَحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلُ وَنُبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجْعِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِينَ نَعَلَهُمْ أَوْ تَتُوفِينَا فَإِنَّا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٧﴾

- (٦٥) هو الحي الذي لا يموت، لا معبود بحق غيره فادعوه قاصدين وجهه، ولا تشركوا معه غيره، الحمد لله رب الخلائق.
- (٦٦) ويأمر الله رسوله أن يقول: إني نهاني الله أن أعبد الذين تعبدونهم من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر حين جأنتني البراهين الواضحة على بطلان عبادتها، وأمرني الله أن أنقاد له بالعبادة، فهو رب الخلائق كلها.
- (٦٧) هو الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل خلقكم من بعده من نطفة، ثم بعد النطفة من دم منعقد، ثم بعد ذلك يخرجكم أطفالاً صغاراً، ثم لتصلوا كمال قوتكم، ثم لتكبروا حتى تصيروا شيوخاً، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا أمداً محدداً في علم الله، لا تنقصون عنه، ولا تزيدون، ولعلكم تعقلون ما بين الله من الحجج على قدرته.
- (٦٨) هو وحده الذي يحيي، وهو وحده الذي يميت، فإذا قضى أمراً فإنما يقول لذلك الأمر: كن، فيكون.
- (٦٩) ألم تر - أيها الرسول - الذين يخاصمون في آيات الله للتكذيب بها لتعجب من حالهم، كيف يصرفون عن الحق.
- (٧٠) الذين كذبوا بالقرآن، وبما بعثنا به رسلنا من الحق، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم السيئة.
- (٧١) يعلمون عاقبته حين تكون الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، حين تجرهم في النار زبانية العذاب.
- (٧٢) يسحبونهم في الماء الحار الذي اشتد غليانه، ثم في النار يوقدون.
- (٧٣) ثم تبكيता لهم يقال لهم: أين ما كنتم تشركون؟
- (٧٤) من دون الله، قال الكفار: غابوا عننا فلسنا نراهم، بل ما كنا نعبد في الدنيا شيئاً، مثل إضلال هؤلاء يضل الله الكافرين عن الحق في كل زمان ومكان.
- (٧٥) ويقال لهم: ذلك العذاب الذي تقاسونه لفرحكم بما كنتم عليه من الشرك، ولزياتكم في الفرح.
- (٧٦) ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها أبداً، فبئس مستقر المتكبرين عن الحق.
- (٧٧) فاصبر - أيها الرسول - على تكذيب قومك، إن وعد الله لك بالنصر حق، فإما نريدك في حياتك بعض الذي نعدهم به من العذاب، أو نتوفيناك قبل ذلك فإلينا وحدنا يرجعون يوم القيامة فنجازيهم على أعمالهم.

٦٧ في هذه الآية إشارة علمية معجزة إلى مراحل خلق الإنسان وقد سبق الحديث عنها وعن الإعجاز الدقيق في وصف هذه المراحل ومسمياتها التي تتطابق مع أدق الاكتشافات العلمية لمراحل تكوين الجنين ومراحل عمر الإنسان إلى أن يتوفاه الله.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

- (٧٨) ويسلِّي الله رسوله فيقول: ولقد بعثنا رسلا كثيرين من قبلك إلى أممهم فكذبوهم وأذوهم فصبروا على تكذيبهم وإيذائهم، من هؤلاء الرسل من قصصنا عليك خبرهم، ومنهم من لم نقصصه عليك، وما يصحّ لرسول أن يأتي قومه بآية من ربه إلا بمشيئته، فكيف يقترح الكفار المجيء بالآيات، فإذا جاء أمر الله بالفتح أو الفصل بين الرسل وأقوامهم فصل بينهم بالعدل، فأهلك الكفار ونجى الرسل، وخسر في ذلك الموقف أصحاب الباطل أنفسهم بإيرادها موارد الهلاك.
- (٧٩) الله هو الذي جعل لكم الإبل والبقر والغنم لتركبوا بعضها، وتأكلوا لحوم بعضها.
- (٨٠) ولكم فيها منافع أخرى، وتصلوا عليها حاجة في قلوبكم بالركوب عليها في أسفاركم، وعليها هي في البر، وعلى السفن في البحر تحمّلون إلى ما تتجهون إليه.
- (٨١) ويريكم الله من آياته الدالة على قدرته، فأى آيات الله لا تعترفون بها.
- (٨٢) أفلم يسر هؤلاء المكذبون في الأرض؟ ليتأملوا كيف كانت نهاية الأمم المكذبة من قبلهم فيتّعظوا بها، فقد كانت تلك الأمم أكثر منهم أموالا، وأعظم قوة، وأشدّ آثارا في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من القوة لما جاءهم عذاب الله.
- (٨٣) فلما جاءتهم رسلهم بالبراهين الواضحة كذبوا بها، ورضوا بالتمسك بما عندهم من العلم الفاسد، وحلّ بهم ما كانوا يسخرون منه من العذاب.
- (٨٤) فلما رأوا عذابنا قالوا؛ مقرين: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا نشركه معه من الأصنام.
- (٨٥) فلم يكن إيمانهم حين عاينوا عذابنا نافعا لهم، سنة الله مضت في عباده أنه لا ينفعهم إيمانهم بعد معاينة العذاب، وخسر حين نزول العذاب الكافرون أنفسهم حين أوردوها موارد الهلاك حين لم يتوبوا قبل معاينة العذاب.

﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَجَنَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ۞

قوة بزعمهم، فردّ الله عليهم: أو لم يروا أن الله الذي خلقهم وقواهم هو أشدّ منهم قوة، وكانوا يكفرون بآيات الله التي جاء بها نبيهم.

(١١) ثم قصد إلى خلق السماء وهي يومئذ دخان فقال لها، وقال للأرض: انقادا لأمرى مختارتين، أو مكرهتين، قالتا أتينا طائعتين وفق إرادتك.

(١٦) فأرسلنا عليهم ريحا لها صوت مزعج في أيام مشؤومات عليهم لما فيها من العذاب قصد أن نذيقهم عذاب المهانة مقدما لهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشدّ إهانة لهم، وهم لا يجدون من ينصرهم بإنقاذهم من العذاب.

(١٢) ففضى الله خلق السماوات في يومين، وأوحى الله في كل سماء ما يقدره فيها، وزين السماء الدنيا بالنجوم، وحفظها من استراق الشياطين السمع، ذلك المذكور كله من باب القضاء والتقدير وإكمال تكوين السماوات على أكمل حال، أما خلق السماوات وهو الإيجاد من العدم فقد تم في أربعة أيام.

(١٧) وأما ثمود قوم صالح فقد بينّا لهم طريق الحق، فاختراروا الضلال على الهداية إلى الحق، فأخذهم العذاب المذل بما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي.

(١٣) ويأمر الله نبيه إن عرض هؤلاء عن الإيمان أن يقول لهم: خوّفتمكم عذابا يقع عليكم مثل العذاب الذي وقع على عاد قوم هود وثمود قوم صالح.

(١٨) وأنجينّا الذين آمنوا بالله ورسله وكانوا يتقون الله من العذاب الذي وقع بقومهم.

(١٤) حين جاءتهم رسلهم يتبع بعضهم بعضا بدعوة واحدة يأمرونهم أن لا يعبدوا إلا الله وحده، قال الكفار منهم: لو شاء ربنا لأنزل ملائكة، فإننا كافرين بما أرسلتم به لأنكم بشر مثلنا.

(١٩) ويوم يحشر الله أعداءه إلى النار، يردّ أولهم إلى آخرهم، لا يستطيعون الهروب من النار.

(٢٠) حتى إذا ما جاءوا النار، وتنكروا لما كانوا يعملون في الدنيا شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي.

(١٥) فأما قوم هود فمع كفرهم تكبّروا في الأرض بغير الحق، وظلموا من حولهم، وقالوا في تعنت: لا أحد أشد منهم

١١ أطلق علماء الكونيات على أصل تكوين السماء الغبار الكوني؛ ثم تراجعوا عن هذه التسمية في نهاية القرن العشرين؛ لأن الغبار بارد وهي غازات ساخنة تحتوي على جزيئات، ثم سموها بالدخان وهو ما يتوافق مع وصف القرآن الكريم لها، ليشهد ذلك بأن هذا القرآن الكريم من عند الله وأن فيه علم الله. ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ۞



﴿ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرِينُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞

- (٢١) وقال الكفار لجلودهم: لم شهدتم علينا بما عملنا؟ قالت الجلود: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو خلقكم أول مرة في الدنيا، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للجزاء.
- (٢٢) وما كنتم تستخفون حين ترتكبون المعاصي حتى لا تشهد عليكم أسماعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم لأنكم لا تؤمنون بحساب ولا ثواب، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملونه، بل يخفى عليه فغرركم ظنكم هذا.
- (٢٣) والظن السيئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأصبحتم من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة.
- (٢٤) فإن يصبر هؤلاء فالنار متسقر لهم، وإن يسألوا رضا الله فما هم بنائليه لكفرهم.
- (٢٥) وبعثنا على هؤلاء قرناء من الشياطين يلازمونهم، فزينا لهم الكفر والمعاصي، ووجب عليهم العذاب في جملة أمم قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين حيث خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخولهم النار.
- (٢٦) وقال الكفار بعد عجزهم عن محاجة الحق: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تنقادوا لما فيه، وارفعوا أصواتكم عند قراءته له لعلكم تنتصرون عليه.
- (٢٧) فلنذيقن الذين كفروا بالله، عذابا شديدا يوم القيامة، ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون من الشرك والمعاصي عقابا لهم.
- (٢٨) ذلك المذكور جزاء أعداء الله النار لهم فيها خلود لا ينقطع أبدا؛ جزاء على جحدهم لآيات الله، وعدم إيمانهم بها.
- (٢٩) وقال الذين كفروا بالله وكذبوا رسله: ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس: إبليس الذي سن الكفر، وابن آدم الذي سن القتل ظلما نجعلهما في النار تحت أقدامنا؛ ليكونا من الأسفلين لينالوا أشد العذاب.
- (٣٠) إن الذين قالوا: ربنا الله، واستقاموا على شرع الله تنزل عليهم الملائكة عند احتضارهم يبشرونه بقولهم: لا تخافوا من الموت، ولا بما بعده، ولا تحزنوا على ما خلفتم في الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها في الدنيا.

٢١ إن جوارح ابن آدم تشهد عليه يوم القيامة وأول ما يشهد عليه فخذة وكفاه كما ورد في الحديث الشريف: «وتجيبون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وإن أول ما يتكلم من الأدمي فخذة وكفه.»
لكن في هذه الآية الكريمة إشارة إلى إنطاق الله لكل المخلوقات (الذي أنطق كل شيء) ومما يقرب المعنى لهذا الأمر ما كشفه العلم اليوم أن جميع المخلوقات تصدر عنها ترددات وذبذبات غير مفهومة لنا في الدنيا، ولكن هذا التعميم في الآية يتوافق مع هذه الحقيقة العلمية في أن كل المخلوقات تصدر عنها ذبذبات أو ترددات.
فالله تعالى كما حجب عنا فهم هذه الأصوات في الدنيا فإنه في الآخرة يكشف الحجاب فنسمع ما تنطق به.

﴿ نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴾ (٣١) ﴿ تَزْلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ (٣٢) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (٣٤) ﴿ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (٣٥) ﴿ وَإِنَّمَا يَزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٦) ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣٧) ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْعَمُونَ ﴾ (٣٨) ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً إِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِذْ لَآئِيهَا أَحْيَاهَا لِمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي بِنَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤٠) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتَبُ غَزِيرٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطُلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٤٣) ﴿

ينزهونه الليل والنهار، وهم لا يملكون من عبادته.

(٣٩) ومن آياته الدالة على توحيده، وقدرته على البعث أنك تشاهد الأرض خالية من النبات، فإذا أنزلنا عليها الماء من السماء تحركت بسبب المستور فيها من بذور، وارتفعت، إن الذي أحيا هذه الأرض الجرداء بإنباتها لمحيي الموتى، وباعثهم للجزاء، إنه على كل شيء قدير، لا يعجزه إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم.

(٤٠) إن الذين ينحرفون في آيات الله عن الصواب بإنكار، وتكذيب، وتحريف لا يخفون علينا، فنحن نعلمهم، أفمن يرمى في النار خير أم من يأتي يوم القيامة آمنا لا يخاف عذابا؟ اعملوا - أيها الناس - ما شئتم من خير وشر، إنه بما تعملون منهما بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم على ما عملتم من خير أو شر.

(٤١) إن الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم به رسولهم لمعذبون يوم القيامة.

(٤٢) وإنه لكتاب منيع لا يستطيع محرّف تحريفه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بنقص أو زيادة أو تبديل أو تحريف، تنزيل من حكيم في خلقه وتقديره، وتشريعه، محمود على كل حال.

(٤٣) ويسلّي الله رسوله بأنه لا يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله فليصبر، إن ربه لذو مغفرة لمن تاب إليه، وذو عقاب موجه لمن أصرّ على ذنوبه.

(٣١) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا بالحفظ والتسديد، وأولياؤكم في الآخرة، ولكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم من الملذات والشهوات، ولكم فيها كل ما تطلبونه.

(٣٢) رزقا معدّا لكم من رب غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، رحيم بهم.

(٣٣) ولا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى توحيد الله والعمل بشرعه، وعمل عملاً صالحاً، وقال: إنني من المنقادين لله.

(٣٤) ولا يستوي فعل الحسنات، والطاعات، ولا فعل السيئات والمعاصي، فالحسنات ترضي الله والسيئات تسخطه، ادفع بالخصلة التي هي أحسن إلى من أساء إليك، فإذا الذي بينك وبينه عداوة سابقة بإحسانك هذا ينقلب كأنه قريب شفيق.

(٣٥) ولا يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على الإيذاء، وما يلاقونه من السوء، ولا يوفق لها إلا ذو نصيب عظيم لعظم ما فيها من الخير.

(٣٦) وإن وسوس لك الشيطان بسوء فاعتصم بالله، والجا إليه، إنه هو السميع لأقوالك، العليم بأحوالك.

(٣٧) ومن آيات الله الدالة على قدرته الليل والنهار في تعاقبهما، والشمس والقمر، لا تسجدوا - أيها الناس - للشمس، ولا تسجدوا للقمر، فهما مخلوقان لا يملكان نفعا ولا ضرا، واسجدوا لله وحده الذي خلقهما إن كنتم تعبدونه حقا.

(٣٨) فإن تكبروا، ولم يسجدوا لله فالملائكة الذين هم عند الله



﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ كُمُوتٍ مِنْ أَكْمامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آيُنَ شُرَكَاءِى قَالُوا آءَازَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعُوْسُ فَنُطُوْءُ ﴿٤٩﴾﴾ .

ومن عمل عملا سيئا فضرره واقع عليه، فالله لا تضره معصيته، وسيجازي كلا بما يستحقه، وما ربك - أيها الرسول - بظلام لعيده، فلن ينقصهم حسنة، ولن يزيدهم سيئة.

(٤٧) إلى الله لا غيره يرد علم وقت الساعة، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها الحافظة لها، وما تحمل من أنثى إلا بعلمه، ويوم ينادي المشركين موبخا إياهم على شركهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء؟ قال المشركون: أعلمناك ما منا من يشهد أن لك شريكا.

(٤٨) وغاب عنهم ما كانوا يدعون من الأصنام، وعلموا أن لا مهرب لهم من عذاب الله، ولا محيد.

(٤٩) لا يمل الإنسان من طلب ما يسره، وإن أصابه ما يؤذيه فهو كثير اليأس والقنوط من رحمة الله.

(٤٤) ولو صيرنا هذا القرآن أعجميا لقال الكفار: لولا بينت آياته حتى نفهمها، أياكون القرآن أعجميا، ومن جاء به عربي؟ ويأمر الله نبيه أن يقول لهم: القرآن للذين آمنوا بالله هداية من الضلال وشفاء لما في الصدور من الجهل، والذين لا يؤمنون بالله في آذانهم صمم عن الحق، وهو عليهم عمى لا يفهمونه، أولئك ينادون من مكان بعيد، فبعيد أن يسمعوا صوت مناديتهم!

(٤٥) ولقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيه، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر به، ولولا وعد من الله أن يفصل بين العباد يوم القيامة فيما اختلفوا فيه لحكم بين المختلفين في التوراة، فبين الحق، والمبطل، فجازى كلا بما يستحقه، وإن الكفار لفي شك من أمر القرآن مريب.

(٤٦) من عمل عملا صالحا، فنفعه راجع إليه، فالله غني عن عمله،

٤٤ يشير قوله تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ إلى ما قرره العلماء من أن خلايا الدماغ في حالة اهتزاز دائم طيلة فترة حياتها، وتهتز كل خلية بنظام محدد وتتأثر بالخلايا من حولها، كما تبين لهم أن كل نوع من أنواع السلوك ينتج عن ذبذبة معينة للخلايا، ويؤكدون أيضا أن تعريض الإنسان إلى ذبذبات صوتية بشكل متكرر يؤدي إلى إحداث تغيير في الطريقة التي تهتز بها الخلايا، وبعبارة أخرى إحداث تغيير في ترددات الذبذبات الخلوية.

فهناك ترددات تجعل خلايا الدماغ تهتز بشكل حيوي ونشط، وإيجابي، وتزيد من الطاقة الإيجابية للخلايا، وهناك ترددات أخرى تجعل الخلايا تتأذى وقد تسبب لها الموت؛ ولذلك فإن الترددات الصحيحة هي التي تشغل بال العلماء اليوم، كيف يمكنهم معرفة ما يناسب الدماغ من ترددات صوتية؟ وأكد كثير من المعالجين اليوم باستخدام الذبذبات الصوتية لعلاج الأمراض النفسية مثل الفصام والقلق ومشاكل النوم، وكذلك لعلاج العادات السيئة مثل التدخين والإدمان على المخدرات وغير ذلك. إن صوت القرآن هو عبارة عن أمواج صوتية لها تردد محدد، وطول موجة محدد، وهذه الأمواج تنشر حقولا اهتزازية تؤثر على خلايا الدماغ وتحقق إعادة التوازن لها، مما يمنحها مناعة كبيرة في مقاومة الأمراض بما فيها السرطان، إذ أن السرطان ما هو إلا خلل في عمل الخلايا، والتأثير بسماع القرآن على هذه الخلايا يعيد برمجةها من جديد، وكأننا أمام كمبيوتر مليء بالفيروسات ثم قمنا بعملية «فرمته» وإدخال برامج جديدة فيصبح أداؤه عاليا، هذا يتعلق ببرامجنا بنا نحن البشر، فكيف بالبرامج التي يحملها كلام خالق البشر سبحانه وتعالى.

﴿ وَلَئِن أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَيَّ رَجِعْتُ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنُنَاجِيهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ نَمٌّ كَفَرْتُمْ بِهِ ۖ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ۝ ﴾

للحق مع ظهوره، ووضوح حجته؟

(٥٣) سنريهم آياتنا في السماوات وفي الأرض، وآياتنا في الأنفس حتى يتبين لهم بما يرفع الشك أن هذا القرآن هو الحق الذي لا ريب فيه، أو لم يكف هؤلاء المشركين أن القرآن حق شهادة الله أنه من عنده؟

(٥٤) ألا إن المشركين في شك من لقاء ربهم يوم القيامة، فهم لا يؤمنون بالآخرة، فلا يستعدون لها بالعمل الصالح، ألا إن الله بكل شيء محيط لا يغيب عن علمه شيء ولا يعجز عن شيء.

(٥٠) ولئن أدقناه رحمة منا ما يسره بعد بلاء ليقولن: هذا لي لاستحقاقي إياه، وما أظن الساعة قائمة، وعلى فرض قيامها فإن لي عند الله الحسنى، فكما أنعم علي في الدنيا سينعم علي في الآخرة، فلنخبرن الذين كفروا بالله بأعمالهم السيئة، ولنذيقنهم من عذاب متناه في الشدة.

(٥١) وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة ونحوها أعرض عن طاعة الله، وترفع بجانبه تكبرا، وإذا مسه مرض ونحوه فهو ذو دعاء لله كثير.

(٥٢) ويأمر الله نبيه أن يقول للمشركين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كفرتم، من أضل ممن هو في عناد

٥٣ هذا وعد من الله بأن يري الناس آياته في آفاق الأرض والسماوات، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ويعلموا أن القرآن الكريم من عند الله، وأن محمداً ﷺ، وقد كشف الله للناس في هذا العصر كثيرا من الآيات حين شاهدوا الحقائق العلمية التي طبقت دلالة ما ذكره الله في القرآن الكريم وستستمر الآيات والمعجزات لهذا القرآن الكريم إلى قيام الساعة لتكون بينة شاهدة على صدق النبي ﷺ.



سورة الشورى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

وهم في النار.

(١) حم.

- (٢) عسق تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٣) كما أوحى الله إليك - أيها الرسول - هذا القرآن يوحى إليك، ويوحى إلى من قبلك من الرسل الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.
- (٤) له وحده ما في السماوات، وما في الأرض خلقا وتديرا، وهو العلي ذاتا وقهرا، العظيم.
- (٥) تكاد السماوات يتشققن، والملائكة يسبحون بربهن تعظيما له، ويطلبون المغفرة من الله لمن في الأرض، إلا إن الله هو الغفور لذنوب من تاب من عباده، الرحيم بهم.
- (٦) والذين اتخذوا من دون الله أصناما من دون الله يوالونهم الله يحفظ عليهم أعمالهم ويجازيهم بها، وما أنت - أيها الرسول - بوكيل عليهم فلن تسأل عن أعمالهم، ويجازيهم عليها، ولست أنت إلا مبلغا.
- (٧) ومثلما أوحينا إلى الرسل من قبلك - أيها الرسول - أوحينا إليك قرآنا عربيا لتخوف مكة ومن حولها من بلاد العالم، وتخوف الناس من يوم القيامة يوم يجمع الله الخلائق للحساب، لا شك في ذلك اليوم، والناس في ذلك فريقان: فريق المؤمنين وهم في الجنة، وفريق الكفار
- (٨) ولو شاء الله جعلهم أمة واحدة على دين الإسلام وأدخلهم الجنة، ولكن اقتضت حكمته أن يدخل من يشاء في الإسلام ليكون جزاؤه الجنة، والظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي ما لهم من ولي يتولاهم، ولا نصير ينقذهم من عذاب الله.
- (٩) بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء يتولونهم، والله هو الولي الحق، فغيره لا ينفع، ولا يضر، وهو يحيي الموتى للجزاء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.
- (١٠) وما اختلفتم - أيها الناس - فيه من شيء من أمر دينكم، فحكمه إلى الله بالرجوع إلى كتابه و سنة رسوله ﷺ، هذا المتصف بهذه الصفات هو ربي، عليه اعتمدت في أموري كلها، وإليه أرجع بالتوبة.
- (١١) خالق السماوات والأرض على غير مثال سابق، جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من الإبل والبقر والغنم أزواجا، من كل زوجين اثنين: ذكر وأنثى، يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من أنعامكم، لا يماثله شيء من مخلوقاته، هو السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم.

﴿ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا وَكُلُّكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يَحَابِرُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، مُجْتَبِهِمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ۞

من بعد أسلافهم، ومن بعد هؤلاء المشركين لفي شك من هذا القرآن الذي جاء به محمد باعث على الرية.

(١٥) فلذلك الدين المستقيم وحده ادع، واستقم عليه وفق ما أمرك الله، ولا تتبع أهواءهم الفاسدة، وقل: آمنت بالله وبما أنزل من كتاب على أي رسول، وأمرني الله أن أحكم بينكم بالعدل، الله ربنا وربكم جميعاً، لنا أعمالنا خيرا وشرها، ولكم أعمالكم خيرا وشرها، لا جدال بيننا وبينكم بعد اتضاح الحجة، الله يجمع بيننا جميعاً، وإليه وحده المصير يوم القيامة، فيجازي كلا بما يستحقه.

(١٦) والذين يجادلون في هذا الدين بالحجج الباطلة من بعدما استجاب الناس له لقوة حجته، حجتهم ساقطة عند ربهم، وعليهم غضب من الله لكفرهم، ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

(١٧) الله الذي أنزل القرآن بالحق الذي لا مرية فيه، والعدل؛ ليحكم بين الناس به، وأي شيء يجعلك تدري لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريبة؟

(١٢) له مفاتيح خزائن السموات، والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده؛ اختباراً له أيشكر؟ ويضيقه على من يشاء؛ ابتلاء له أيصبر؟، إنه بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.

(١٣) شرع لكم - أيها الناس - من الدين ما أمرنا نوحاً بتبليغه، والعمل به والذي أوحيناه إليك - أيها الرسول - وشرع لكم الذي أمرنا إبراهيم وموسى وعيسى بتبليغه والعمل به، وهو إقامة الدين وترك التفرق فيه، عظم على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله، الله يصطفي من شاء من عباده، فيوفقه لطاعته، ويهدي إليه من يرجع إليه منهم بالتوبة من ذنوبه.

(١٤) وما تفرق الكفار إلا بعد قيام الحجة ببعثته ﷺ إليهم، وتفرقهم بسبب البغي، والظلم، ولولا ما سبق أن الله يؤخر عنهم العذاب إلى أجل محدد في علمه لحكم بينهم، فعجل لهم العذاب بسبب كفرهم بالله، وإن الذين أورثوا التوراة من اليهود، والإنجيل من النصارى

١١ لقد سبق البيان حول خلق السموات والأرض في سورة البقرة وغيرها. وكذا الكلام حول معنى فاطر وأن كلمة فطر: خلق من دون مثال سابق. كما سبق الكلام عن نظام الزوجية في عالم الأحياء عموماً؛ وكذا في مجال تتابع ذرية الإنسان بنظام دقيق على وجه الخصوص وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ يَذُرُّكُمْ فِيهِ ﴾. ونؤكد هنا بأن اكتشاف الخريطة الوراثية (الجينوم) التي تحدد الصفات جميعاً عبر الشريط الكروموزومي من الأباء للأبناء ومن الأجداد إلى الأحفاد كان بمثابة الصفحة القاضية لأباطيل الداروينيين القائلين بتطور الإنسان من فرد والطبيعيين الملحدين والله غالب على أمره.



﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِقُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَبِمَتَّعَ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ۞

- (١٨) يطلب الذين لا يؤمنون بها تعجيلها ، والذين آمنوا بالله خائفون منها ويعلمون يقينا أنها الحق الذي لا ريب فيه، ألا إن الذين يخاصمون في الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.
- (١٩) الله لطيف بعباده، يرزق من يشاء، فيوسع له الرزق، ويضييق على من يشاء، وهو القوي، فلا يغلبه أحد، العزيز الذي ينتقم من أعدائه.
- (٢٠) من كان يريد ثواب الآخرة نضاعف له ثوابه، ومن كان يريد الدنيا وحدها أعطيناها نصيبه المقدر له فيها، وليس له في الآخرة من حظ لإيثاره الدنيا على الآخرة.
- (٢١) وينكر الله على المشركين أن يكون لهم شركاء يوالونهم من دون الله، ويشرعون لهم من الدين ما لم يأذن لهم الله بشرعه، ولولا ما قدره الله من أجل محدد للفصل بين المختلفين لفصل بينهم، وإن الظالمين لأنفسهم بالشرك والمعاصي لهم عذاب موجه يوم القيامة.
- (٢٢) ترى - أيها الرسول - الظالمين أنفسهم بالشرك والمعاصي خائفين من العقاب بما كسبوا من المعاصي، والعقاب واقع بهم لا محالة، فلا ينفعهم الخوف دون توبة، والذين آمنوا بالله وبرسوله، وعملوا الأعمال الصالحة في بساتين الجنات، يتعمون، لهم ما يشاءون عند ربهم من أنواع النعيم، ذلك هو الفضل الكبير الذي لا يقاربه فضل.
- (٢٣) ذلك التبشير العظيم الذي يبشر الله به الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة، ويأمر الله رسوله أن يقول: لا أسألكم على تبليغ الحق ثوابا إلا ثوابا واحدا، وهو أن تحبوني لقرابتي فيكم، ومن يكسب حسنة نضاعف له أجره، إن الله غفور لذنوب من تاب إليه من عباده، شكور لأعمالهم الصالحة التي يبغون بها وجهه.
- (٢٤) وينكر الله على المشركين قولهم: اختلق محمد كذبا على ربه بدعواه أنه رسول منه، فإن يشأ الله الطبع على قلبك - أيها الرسول - حتى تنسى القرآن طبع عليه، ويزيل الله الباطل بدحر المشركين، والتمكين لدعوة الإسلام، إنه عليم بما في قلوب عباده، لا يخفى عليه شيء منه.
- (٢٥) والله هو الذي يقبل توبة عباده من الكفر والمعاصي إذا تابوا، ويتجاوز عن سيئاتهم التي عملوها، ويعلم ما تفعلون من شيء، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.
- (٢٦) ويجب دعاء الذين آمنوا بالله، ويزيدهم من فضله على ما لم يسألوه، والكافرون بالله لهم عذاب قوي يوم القيامة.
- (٢٧) ولو وسَّع الله الرزق لعباده لطنغوا في الأرض، ولكنه ينزل من الرزق بقدر ما يشاء فيضيِّق ويوسع، إنه خير بأحوال عباده، بصير بها، فيعلم من يفسده الفقر فيغنيه، ومن يفسده الغنى فيفقره.

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَانِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

- (٢٨) وهو الذي ينزل المطر على عباده بعد اليأس منه، وينشر رحمته بإنبات الأرض بعد المطر، وهو المتولي شؤون عباده، المحمود على كل حال.
- (٢٩) ومن آيات الله الدالة على قدرته خلق السماوات والأرض، وما نشر فيهما من دابة، وهو على جمعهم للحشر متى شاء قدير، فمن خلقهم أول مرة لا يعجز عن بعثهم.
- (٣٠) وما أصابكم - أيها الناس - فيما كسبته أيديكم من المعاصي، ويتجاوز الله لكم عن كثير منها، فلا يؤاخذكم به رحمة منه.
- (٣١) ولستم بفاتين ربكم هرباً إذا أراد عقابكم، وليس لكم من دونه ولي يتولى أموركم، ولا نصير يرفع عنكم العذاب إن أراد بهكم.
- (٣٢) ومن آيات الله الدالة على قدرته السفن الجوارى في البحر مثل الجبال.
- (٣٣) لو شاء الله لأسكن الريح التي تسيّر هذه السفن، فيظللن ثوابت في البحر، إن في خلق السفن وتسخير الرياح المذكور لدلالات واضحة على قدرة الله لكل صبار على المحن، شكور لنعم الله عليه.

٢٨ تشير الآية الكريمة إلى أهمية الماء الذي ينزله الله من السماء ليكون من مقومات الحياة الإنسانية، ولذلك أطلق الله عليه اسم الغيث؛ فهو في الحقيقة أصل حياة الإنسان وبقية الكائنات وبه قوام معيشتهم؛ وبانعدامه تتعرض الكائنات الحية للفناء، لذلك كان نزوله غيثاً له ورحمة من الله جل علاه.

وعلى الرغم من محاولات الإنسان لمعرفة طريقة تكوين السحاب ونزول الأمطار واستخدامه لكثير من الوسائل العلمية في محاولة لاستمطار السحب إلا أنها باءت بالفشل، مما يدل أن ذلك مما اختص الله به وليس للمخلوق قدرة على فعل ذلك، فتبارك الله الذي لا يباري قدرته أحداً من خلقه.

٢٩ يبرز هذا النص الشريف للجاحدين والكفرة دليلاً باهراً على وجود الله وقدرته وهي حقيقة خلق السموات والأرض، وأن هذا الكون ليس أزلياً كما كان يقوله الملحدون، والحقيقة الأخرى تتمثل بأن هذا الكون الرحيب بدءاً من الأرض وأغلفتها وما يعلوها من المسافة البينية وكذا السماوات التي تبدأ بالسماء الدنيا يشتمل على كائنات ودواب لا يحيط بها علماً إلا الله الذي خلقها، وقد أطلق الله عليها وصف: دابة، والذي من لوازمه الحركة وبقية الصفات الحيوية. وتشعر الآية بأن هناك كائنات غير الملائكة تعيش في هذا الكون الرحيب، وقد وجد العلماء الماء في بعض الكواكب وهم يربطون بين وجود الماء ووجود كائنات حية، وأن اللقاء بهم ممكن، بقوله تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير).

٣٢ في سياق ذكر نعم الله على عباده مما هو في الوقت نفسه يعتبر برهاناً واضحاً على وجوده ووحدانيته وقدرته، يذكرنا الله سبحانه وتعالى بسير المراكب على سطح الماء في البحار، فهي رغم كون بعضها من الضخامة تبدو كالجبال تسيّر على سطح الماء فينتقل الناس بواسطتها وينقلون بضائعهم؛ وبهذه الخاصية للماء تندفع السفن وتجري وتحصل المنافع من جريانها. ولولا الأنظمة الكونية التي خلقها وقدرها الله لتوصلنا إلى النتيجة المرجوة من حركة السفن، فله الفضل في تسخير ذلك للإنسان وله المنة.

وقد ذكر القرآن الكريم أنواع الرياح البحرية وتأثيرها على الأمواج وحركة السفن وإركاب البحر، وفي هذه الآية إشارة إلى الريح الساكنة التي تمثل النوع الأول من أنواع الرياح المعتمدة في المعايير الدولية لعلوم البحار منها وهي عندما تكون الرياح ساكنة فإن البحر يكون ساكناً كأنه قطعة السمن الجامد، ولا ترتفع الأمواج فيه كما قال تعالى ﴿ إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ﴾.



﴿ أَوْ يُوقِعَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يَجْدُلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

- (٣٤) أو يهلكها بإرسال الريح العاصفة عليها عقابا على ما كسبوا من الإثم، ويتجاوز تفضلا منه عن كثير من ذنوب عباده فلا يعاقبهم عليها.
- (٣٥) ويعلم عند ذلك الذين يجادلون في آياتنا لإبطالها ما لهم من مهرب عن الهلاك، فلا يدعون إلا الله، ويتركون من عداه.
- (٣٦) فما أعطيتم - أيها الناس - مما تحبون فمتاع الحياة الدنيا وهو زائل منقطع، وما عند الله من الثواب العظيم خير منه، وأدوم للذين آمنوا بالله ورسوله، وعلى ربهم وحده يعتمدون في أمورهم.
- (٣٧) والذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وقبائحها، وإذا غضبوا على من أساء إليهم يغفرون له زلته، ويتجاوزون عنها.
- (٣٨) والذين استجابوا لربهم باتباع شرعه، وأتموا الصلاة على أكمل وجه، والذين يتشاورون فيما يهم من أمر، ومما رزقناهم ينفقون على المحتاجين.
- (٣٩) والذين إذا أصابهم الظلم ينتصرون؛ إكراما لأنفسهم، وإعزازا لها.
- (٤٠) وجزاء سيئة عقاب مثلها دون زيادة، فمن تجاوز عمن أساء إليه، وأصلح ما بينه وبين أخيه فتوابه عند الله، إنه لا يحب الظالمين لغيرهم في أنفسهم أو أموالهم أو أعراضهم، بل يبغضهم.
- (٤١) ولن انتصر فعاقب من ظلمه فليس عليهم من مؤاخذاة ما اقتصروا على حقهم.
- (٤٢) إنما العقاب للذين يظلمون الناس، ويرتكبون المعاصي في الأرض، أولئك لهم عذاب موجه في الآخرة.
- (٤٣) ولمن صبر على ظلم من ظلمه، وتجاوز عنه، فصبره وتجاوزه عنه مما حث الله عليه، ولا يوفق له إلا ذو حظ عظيم.
- (٤٤) ومن خذله الله، فأضله عن الحق، فليس له ولي من بعده يتولى أمره، وترى الظالمين أنفسهم بالكفر لما عينوا العذاب يوم القيامة يقولون متمنين: هل إلى رجوع إلى الدنيا من طريق، فتتوب إلى الله؟
- (٤٥) وترى - أيها الرسول - الظالمين حين يعرضون على النار ذليلين متواضعين ينظرون إلى الناس خلسة من شدة خوفهم، وقال الذين آمنوا بالله: إن الخاسرين حقا الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بما لاقوه من عذاب الله، ألا إن الظالمين لأنفسهم بالكفر في عذاب دائم.
- (٤٦) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم بإنقاذهم من العذاب، ومن يخذله الله عن الحق فيضله، فليس له أبدا من طريق تؤديه إلى الهداية إلى الحق.
- (٤٧) استجيبوا - أيها الناس - لربكم بالمسارعة إلى العمل بما شرعه، وترك التسويف من قبل أن يأتي اليوم الذي إذا جاء لا رجوع له، ما لكم من ملجأ تلجؤون إليه، وما لكم من إنكار تنكرون به ذنوبكم.

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ إِلَّا الْبَلَّغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَبْنَا بِهَا وَإِنْ نُصِيبُهُمْ سَيْئَةً بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ .

- (٤٨) فإن أعرضوا عما أمرتهم به فما بعثناك عليهم حفيظا تحفظ أعمالهم، ليس عليك إلا تبليغ ما أمرت بتبليغه، وحسابهم على الله، وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة من غنى ونحوه فرح بها، وإن يصب البشر بلاء بمكروه بسبب ذنوبهم فإن طبيعتهم كفر نعم الله.
- (٤٩) لله وحده ملك السموات، وملك الأرض، يخلق ما يشاء، يعطي لمن يشاء إنثا فقط، ويعطي لمن يشاء الذكور، ويحرمه من الإناث.
- (٥٠) أو يجعل لمن يشاء الذكور والإناث معا ويصير من يشاء عقيما لا يولد له، إنه عليم، لا يخفى عليه شيء قدير، لا يعجزه شيء.
- (٥١) ما يصح لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا يوحيه إليه، أو تكليما مباشرا، لكن من وراء حجاب مانع من رؤيته كما حدث لموسى عليه السلام، أو يرسل إليه ملكا مثل جبريل، فيوحي إلى الرسول بإذن الله ما يشاء الله، إنه علي في ذاته وصفاته، حكيم في تقديره وشرعه.
- (٥٢) وكما أوحى الله إلى الرسل قبلك أوحى إليك قرآنا حيث لم تكن تعلم قبله ما الكتب المنزلة على الرسل، وما الإيمان؟ ولكن صيرنا القرآن ضياء نهدي به من نشاء من عبادنا، وإنك لتدل إلى طريق مستقيم هو دين الإسلام.
- (٥٣) طريق الله الذي له ما في السموات، وما في الأرض، ألا إلى الله ترجع الأمور.

٤٩ مع تسليمنا بأن الأولاد سواء كانوا ذكورا أو إناثا هم هبة من الله تعالى وأنه سبحانه قد جعل لنا من الأدلة ما نستهدي بها على كيفية الخلق، ومن ذلك ما كشفه علم الأجنة الحديث من أن السبب الكائن وراء اختلاف خلق الذكر والأنثى هو أن خلايا جسم الإنسان تحمل (٤٦) مورثا فيما عدا خلايا الغدد التناسلية في الذكر والأنثى التي يحمل كل منها نصف عدد المورثات أي (٢٣) مورثا فقط.

وتحمل الخلية في جسم المرأة زوجا من المورثات المسؤولة عن تحديد الجنس تسمى (XX)، وأما الخلية في جسم الرجل فتحمل زوجا من المورثات تسمى (XY)، وتحمل الخلية الجنسية في الرجل وهي الحيوان المنوي نوعين من المورثات نصفها (X) والنصف الآخر (Y)، وفي بويضة المرأة مورثا جنسيا واحدا هو (X). فمنويات الرجل هي السبب في تحديد نوع الجنين من حيث الأنوثة أو الذكورة حسب تقدير الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ ألم يك نطفة من مني يمى. ثم كان علقة فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى.﴾



سورة الزخرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَافِحًا أُن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ ﴿﴾

- (١) حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٢) يقسم الله بالكتاب الواضح لمن تدبره، المبين لشرع الله .
- (٣) إنا أنزلناه قرآنا بلسان العرب؛ ليعقل العرب معاني ما نزل بلسانهم.
- (٤) وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ عندنا رفيع، محكم لا تناقض فيه.
- (٥) أنترك إنزال القرآن لأجل أنكم كنتم قوما مسرفين في الشرك، والمعاصي؟
- (٦) وكم بعثنا من نبي في الأمم الأولى.
- (٧) وما يأتي تلك الأمم من نبي من عند الله إلا كانوا منه يسخرون، ويكذبونه.
- (٨) فأهلكنا من هم أشد بطشا من تلك الأمم، ومضى في القرآن صفة إهلاك الأمم الأولى كعاد وثمود وغيرهما.
- (٩) ولئن سألت - أيها الرسول - المشركين: من خلق السماوات، ومن خلق الأرض؟ ليقولن: خلقهن العزيز الذي لا يغلبه أحد، العليم بكل شيء.
- (١٠) الذي جعل لكم الأرض ممهدة للسكن، وجعل لكم فيها طرقا في جبالها وأوديتها؛ لتهتدوا بها في سيركم.
- (١١) والذي نزل من السماء مطرا بقدر يكفيكم، وكيف بهائمكم، وزروعكم، فأحيينا به بلدة قاحلة، وكما أحيا الله تلك الأرض القاحلة نحييكم للبعث.
- (١٢) وجعل لكم من السفن في البحر، والأنعام في البر ما تركبونه في أسفاركم.

١٠ الآية الكريمة تشير إلى حقيقة علمية لم يتمكن الإنسان من معرفتها في زمن نزول القرآن الكريم ولا بعده بقرون وهي أن باطن الأرض عبارة عن صهير ملتهب شديد الحرارة، وأن القشرة الأرضية هي عبارة عن طبقة رقيقة تحمي الكائنات الحية من تلك الحرارة، كما يحمي المهد الطفل من أذى ما يصيبه، وخشونة ما يكون تحته، فأى عبارة قادرة على تصوير ذلك بدقة من عبارة (مهذا) فسبحان من لا يخالف قوله صنعه، وهذا شاهد على صدق محمد رسول الله ﷺ.

١١ سبق الحديث عن آية نزول المطر وإنزاله بقدر، وفي هذه الآية إشارة إلى حقيقة إحياء البلدة الميتة بهذا القانون البيولوجي الذي يتجلى بإعادة الفعالية للمورثات الجينية الموجودة في الكائنات الساكنة في التربة، فتبارك الله الذي يحيي الموتى وينشر رحمته. وتوجد في التربة بكتيريا تكون ساكنة عند انحباس المطر وبسقوط المطر تعود لهذه البكتيريا حيويتها فتنتج النيتروجين الذي يتحول إلى سماد للتربة فتقلب من حالة الموت إلى حالة الحياة (فأنشرونا). وبما أن هذا صار مشاهدا اليوم فأين العجب في إحياء الإنسان يوم القيامة، ويؤكد ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ في ذكر مشهد البعث، فقال ﷺ: «... ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عظم الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» صحيح البخاري.

﴿ لَسْتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشُؤُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (١٣) كل ذلك؛ لتستقروا على ظهور ركائبكم في أسفاركم، ثم تذكروا بقلوبكم نعمة ربكم عليكم حيث سخرها لكم إذا ثبتتم على ظهورها، وتقولوا بألستكم: تنزه الذي سخر لنا هذا المركوب فصرنا نتحكم فيه، وما كنا له مطيقين لو لم يسخره لنا.
- (١٤) وإنا إلى ربنا وحده لراجعون بعد موتنا إلى الآخرة للجزاء.
- (١٥) وصيرّ المشركون لله جزءاً من عباده حين جعلوا الملائكة بنات الله، إن الإنسان لكفور بين الكفر والضلال حين ينسب لربه ما لا يليق به من الولد.
- (١٦) وينكر الله على المشركين قسمتهم الجائرة وهي أن الله اتخذ بنات لنفسه، وأنه أخلصهم هم بالذكر.
- (١٧) فيا لتناقضهم فهم إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً من شدة الهم وظل ممتلئاً غيظاً؟.
- (١٨) أينسبون إلى ربهم من يرئى في الزينة وهو في الجدل لا يبين الكلام؟
- (١٩) وصيروا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنثاً، أحضروا حين خلقهم الله، فأيقنوا أنهم إناث؟ ستكتب الملائكة شهادتهم أنهم إناث، ويسألون عن شهادتهم يوم القيامة.
- (٢٠) وقالوا محتجّين بالقدر: لو شاء الله ما عبدنا الملائكة، فكونه شاء أن نعبدهم دال على رضاه، ليس لهم بقولهم هذا من علم، ما هم إلا يكذبون في قولهم.

١٢ سبق الكلام حول خلق الأزواج من الأنعام والزرور وتسخير السفن في البحر وتمكين الإنسان من كل ذلك سواء في سورة الأنعام والنحل وسورة يس أو قبل ذلك عند قوله تعالى: ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض ﴾ في سورة البقرة أو الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

١٧ هذه الآية تشير إلى حقيقة مفادها أن ما يحصل للإنسان من تفاعل أو تأثر؛ بل وما يحمله من اعتقاد وما يكنه من مخزون فكري ينعكس على مرآة وجهه، ولذلك قرر علماء النفس بناء على تجارب وعمليات رصد ومتابعة أن الحزن وما يصاحبه من عوارض عضوية في الجسم ناتج عن مواد كيميائية تفرزها خلايا الجسم وتصبها في الدم بتحريض من الجهاز العصبي. لذلك فإنه غالباً ما يصاحب الحزن والقلق النفسي الدائم مضاعفات مرضية في الدورة الدموية ومختلف أعضاء الجسم... فالإنسان مهما حاول أن يخفي شعوره فلا بد أن يظهر شيء من ذلك على قسما وجهه.

١٨ تشير الآية الكريمة إلى ملمحين هما:

(١) تمييز الأنثى عن الذكر بميلها الفطري والمحبولة عليه والمتمثل بحرصها على الزينة والتحلي بأنواعها وأنها ملازمة لذلك في مختلف مراحل عمرها.

(٢) الضعف في ممارسة الخصومة والإدلاء بالحجج حيث نرى ضعف الأنثى أمام ذلك كله بل إنها قد تذهب لإدلاء حجة لها فتؤدي ذلك بشكل معكوس يجعل الحجة عليها، ومع تقدم الدراسات في علم التشريح وعلوم النفس ثبت أن المراكز المتعلقة بذلك في مخ الانثى متميزة عن مثيلاتها لدى الذكر، وقد سبقت الإشارة إلى الفرق بين شهادة الرجل وشهادة المرأة في سورة البقرة مما يؤكد ما سبق، ويوضح لنا الحكمة في وصية رسول الله ﷺ للناس في أيامه الأخيرة حيث قال: (اتقوا الله في الضعيفتين المرأة واليتيم وصدق الله العظيم القائل ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾).



﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءُهُمْ قَالُوا إِنَّمَا بُرِّئُوا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرَاءً وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِفُونَ ﴿٣٤﴾ ۝

- (٢١) أم أعطينا هؤلاء المشركين كتابا يحتجون به على عبادة غير الله فهم متمسكون به.
- (٢٢) بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا من قبلنا على ملّة، وإنا على آثارهم سائرون.
- (٢٣) وكما احتج هؤلاء بتقليدهم بما كان عليه آباؤهم لم نبعث من قبلك - أيها الرسول - في قرية من رسول إلا قال المنعمون منها: إنا وجدنا آباءنا على ملّة، وإنا متبعون آثار آبائنا.
- (٢٤) قال لهم رسولهم: أتبعون آباءكم ولو جئتمكم بما هو خير من ملتهم؟ قالوا: إنا كافرون بالذي أرسلت به أنت ومن سبقك من الرسل.
- (٢٥) فانتقمنا من المكذبين بالرسول من قبلك فأهلكناهم، فتأمل كيف كانت نهايتهم، فقد كانت أليمة.
- (٢٦) ويأمر الله رسوله أن يذكر إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني بريء مما تعبدون من دون الله، فموقف إبراهيم من قومه موقف يحتذي به المؤمنون.
- (٢٧) إلا الذي خلقتني فإنه سيرشدني إلى ما يصلحني.
- (٢٨) وجعل إبراهيم كلمته الدالة على التوحيد باقية في ذريته بعده، فلا يزال فيهم موحدون؛ لعلهم يرجعون إلى الله بالتوبة إليه.
- (٢٩) لم أعجلهم بالعقوبة، بل متعتهم بالبقاء في الدنيا، ومتعت آباءهم من قبلهم حتى جاءهم القرآن، ورسول مبين يبين لهم ما يريد الله منهم.
- (٣٠) ولما جاءهم هذا القرآن الذي هو الحق قالوا: هذا القرآن سحر يسحرنا به محمد، وإنا لن نؤمن به بل نحن كافرون به.
- (٣١) وقال المكذبون: هلا أنزل الله هذا القرآن على أحد رجلين عظيمين من مكة أو الطائف: الوليد بن عقبة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف.
- (٣٢) وينكر الله عليهم اقتراحهم هذا حيث قال: أهم يقسمون رحمة ربك - أيها الرسول - فيعطونها من يشاءون ويمنعون منها من يشاؤون؟ نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير؛ ليصير بعضهم مسخرًا لبعض، ورحمة ربك لعباده في الآخرة خير مما يجمعونه من متاع الدنيا.
- (٣٣) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة في الكفر لجعلنا لمن يكفر بالله جعلنا لبيوتهم سقوفًا من الفضة، وجعلنا لهم مراقي ومصاعد عليها يرقون، فلو فعلنا ذلك لكفر الناس كلهم.
- (٣٤) وجعلنا لبيوتهم أبوابًا، وجعلنا لهم أسرة عليها يتكئون.

٣٣ الآية الكريمة فيها إنباء عن استخدام المعادن بصفة عامة في إنشاء المباني، كما أن ذكر الفضة بالذات فيه إعجاز علمي أيضاً لتمييزها عن باقي المعادن والفلزات بقوة عكسها للضوء وتفوقها في توصيل الحرارة والكهرباء.

﴿ وَخُرْفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَفِيضٌ لَهُ، شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّةَ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُزَيِّنَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكَ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا تَأْيِهُ السَّاحِرُ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

- (٣٥) ولجعلنا لهم ذهبا، وما كل ذلك المذكور إلا متاع الحياة الدنيا، هو منقطع، وما في الآخرة من النعيم خير عند ربك - أيها الرسول - للمتقين ربهم لدوامه وعدم انقطاعه.
- (٣٦) ومن يعرض عن هذا القرآن نسلط عليه شيطاننا يضلّه، فهو ملازم له.
- (٣٧) وإن القرناء المسلمين على من أعرضوا عن القرآن ليصدونهم عن دين الله فلا يعملون به، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق، ومن ثم فلا يتوبون.
- (٣٨) حتى إذا جاءنا هذا المعرض يوم القيامة قال متمنيا: يا ليت بيني وبينك - أيها القرين - مسافة ما بين المشرق والمغرب، فأسلم منك، فقبحت من قرين.
- (٣٩) فيردّ الله على المعرضين بقوله: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم بالشرك اشتراككم في العذاب كما اشتركتم في الدنيا في الكفر والمعاصي.
- (٤٠) إن المعرضين صم لا يسمعون الحق، عمي لا يبصرونه، أفأنت - أيها الرسول - تستطيع إسماع الصم، أو هداية العمي، أو هداية من كان في ضلال واضح عن الطريق المستقيم؟ لا تستطيع ذلك.
- (٤١) فإن ذهبنا بك بإماتتك قبل أن نعذبهم فإننا منتقمون منهم بتعذيبهم في الدنيا بالقتل والأسر والآخرة بالنار.
- (٤٢) أو نرينك في حياتك بعض ما نعدهم من العذاب فإننا عليهم مقتدرون وهم عاجزون عن مغالبتنا.
- (٤٣) فتمسك - أيها الرسول - بما أوحى إليك ربك، واعمل به، إنك على طريق حق، لا اعوجاج فيه.
- (٤٤) وإن هذا القرآن لشرف لك، ولقومك، وسوف تسألون يوم القيامة عن العمل به وتبليغه.
- (٤٥) ويأمر الله نبيه أن يسأل من بعث من قبله من الرسل: أجعلنا من دون الرحمن معبودات؟ فلن يجيبوه إلا بنفي ذلك.
- (٤٦) ولقد بعثنا موسى بآياتنا إلى فرعون والملا من قومه فقال لهم: إني رسول رب العالمين إليكم أدعوكم إلى عبادة الله وحده.
- (٤٧) فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون ضحك السخرية والاستهزاء.
- (٤٨) وما نري هؤلاء من حجة على صحة ما جاء به موسى عليه السلام إلا كانت أعظم من الحجّة التي قبلها، وأخذناهم بالعذاب في الدنيا؛ لعلهم يتوبون من كفرهم.
- (٤٩) فلما نزل بهم العذاب قالوا لموسى: يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما وعدك به من كشف العذاب إن آمنا، إنا لمهتدون إليه إن رفع عنا العذاب.
- (٥٠) فلما صرفنا عنهم العذاب إذا هم ينقضون عهدهم، ولا يوفون به.
- (٥١) ونادى فرعون في قومه: يا قوم أليس لي وحدي ملك مصر؟ وهذه الأنهار تجري تحت قصوري، أفلا تشاهدون ملكي وعظمتي.



﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَبِّي وَرَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ۞

- (٥٢) أم أنا خير من موسى الذي هو مهين؟، ولا يكاد يتضح كلامه لأنه ألتغ.
- (٥٣) فهلا ألقى عليه ربه أسورة من ذهب؛ برهانا على إرساله إياه، أو جاء معه الملائكة يتبع بعضهم بعضا.
- (٥٤) فاستغفر فرعون قومه، فأطاعوه، إنهم كانوا قوما خارجين عن طاعة الله.
- (٥٥) فلما أغضبونا بإصرارهم على الكفر انتقمنا منهم، فأغرقتناهم جميعا.
- (٥٦) فصيرناهم بهذا العقاب سلفا لمن أشبههم، يهلك مثل هلاكهم وجعلناهم عبرة للمعتبرين كيلا يصيبهم ما أصابهم.
- (٥٧) ولما حسب المشركون أن عيسى إذ عبده النصارى داخل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ وقد نهى الله عن عبادة عيسى كما نهى عن عبادة الأوثان إذا قومك - أيها الرسول - يتمادون في الخصومة قائلين: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى، فأنزل الله ردا عليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.
- (٥٨) وقال ابن الزبيري وأمثاله: أمعبوداتنا خير أم عيسى؟ ما ضرب لك - أيها الرسول - ابن الزبيري هذا المثل؛ قصدا للحق، بل للجدل، فهم قوم مطبوعون على الخصومة.
- (٥٩) ليس عيسى بن مريم إلا عبدا لله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلناه مثلا لبني إسرائيل دالا على قدرة الله حين خلقه من غير أب كما خلق آدم من غير أبوين.
- (٦٠) ولو نشاء - يا بني آدم - لأهلكناكم، وجعلنا بدلکم ملائكة يخلفونكم في الأرض، يعبدون الله لا يشركون به شيئا، ولا يعصونه.
- (٦١) وإن عيسى حين ينزل آخر الزمان لعلامة للساعة، فلا تشكوا أن الساعة واقعة، واتبعوني، فما جئتكم به هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.
- (٦٢) ولا يصرفتكم الشيطان عن الصراط المستقيم، إنه لكم عدو بين العداوة.
- (٦٣) ولما جاء عيسى عليه السلام قومه بالبراهين على أنه مرسل قال لهم: قد جئتكم من عند الله بالحكمة، ولأوضح لكم بعض الذي تختلفون فيه من أمور دينكم، فاتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما بلّغتكم عن ربي.
- (٦٤) إن الله هو ربي، وربكم، فاعبدوه وحده، هذا الذي دعوتكم إليه من عبادته وحده هو الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

٥١ في الآية الكريمة إشارة إلى إعجاز تاريخي مفاده وجود أُنهار متعددة بمصر، حيث أشارت الدراسات التاريخية إلى وجود فروع متعددة لنهر النيل في منطقة الدلتا بشمال مصر.

﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْجَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَالِكِ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنكِتُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكْدٌ فَأَنَّا أَوْلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحٰنَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ۞

- (٦٥) فاختلقت الفرق في شأن عيسى بين من يزعم أنه إله، ومن يقول عنه: ابن الله، ومن يقول: هو وأمه الإلهان، فويل للذين ظلموا أنفسهم بما اعتقدوه باطلا في عيسى من عذاب موجه يوم القيامة.
- (٦٦) هل تنتظر هذه الفرق المختلفة في عيسى إلا الساعة تأتيهم فجأة، وهم لا يحسبون بإتيانها فإن صادفتهم على كفرهم فمصيرهم العذاب الأليم.
- (٦٧) المتصادقون على الكفر والضلال بعضهم لبعض أعداء يوم القيامة، لكن المتقين ربهم صداقتهم دائمة لا تنقطع.
- (٦٨) ويقول لهم ربهم: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم فيما تستقبلونه، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.
- (٦٩) الذين صدقوا بالقرآن المنزل على رسولهم، وكانوا منقادين للقرآن يأتمرون بأوامره، وينتهون عن نواهيها، فأنتم في سرور دائم.
- (٧٠) ادخلوا الجنة أنتم وزوجاتكم تسرون بما تناولونه من النعيم الذي لا ينقطع.
- (٧١) يطوف عليهم خدامهم بأنيبة من ذهب وبأكواب، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس، وتلذذ الأعين لرؤيته، وأنتم فيها ماكتون، لا تخرجون منها أبدا.
- (٧٢) تلك الجنة التي وصفت لكم هي التي أورثكم الله إياها بأعمالكم فضلا منه.
- (٧٣) لكم فيها فاكهة كثيرة دائمة منها تأكلون.
- (٧٤) إن المجرمين بالكفر بالله في عذاب جهنم يوم القيامة ماكتون فيه أبدا.
- (٧٥) لا يخفف عنهم من عذابها، وهم فيه آيسون من رحمة الله.
- (٧٦) وما ظلمناهم بتعذيبهم بها، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم بالكفر.
- (٧٧) ونادوا مالكا وهو خازن النار: يا مالك ليؤتتنا ربك لنسلم من العذاب، فيجيبهم مقتطا: إنكم ماكتون في العذاب دائما، لا تموتون، فينقطع عنكم.
- (٧٨) لقد جئناكم في الدنيا بالحق، ولكن معظمكم للحق كاره فهذا عقابكم.
- (٧٩) بل أحكموا لنبيهم كيذا فإنما محكمون لهم ما يفوق كيدهم.
- (٨٠) أم يظنون أنا لا نسمع سرهم الذي أخفوه في صدورهم، أو سرهم الذي يتناجون به، بلى إنا نسمع ما يسرون وما يعلنون، والملائكة يكتبون كل ما عملوه.
- (٨١) ويأمر الله نبيه أن يقول لمن يدعون أن الله بنات تعالى الله عن قولهم: إن كان الله تقديرا ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد.
- (٨٢) تنزه رب السماوات والأرض ورب العرش عما ينسبه المشركون إليه من الشريك والولد.
- (٨٣) ويأمر الله رسوله أن يتركهم يخوضون في باطلهم، ويلعبون حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، فسيندمون على كفرهم.



﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنَّا هَنُوْلَاءَ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿

- (٨٤) والله هو المعبود في السماء بحق، وهو المعبود في الأرض بحق، وهو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بعباده، لا يخفى منها شيء.
- (٨٥) وتزايد خير الله الذي له وحده ملك السماوات، وملك الأرض، وملك ما بينهما، وعنده وحده علم الساعة التي تقوم فيها القيامة، ليس ذلك لأحد غيره، وإليه وحده ترجعون في الآخرة للجزاء.
- (٨٦) ولا يملك معبودو المشركين الشفاعة عند الله، لكن من شهد أن لا إله إلا الله وهو يعلم ما شهد به مثل عيسى وعزير والملائكة فإنه يشفع بعد إذن الله له.
- (٨٧) ولئن سألتهم من خلقهم؟ ليقولنَّ: خلقنا الله، فأني يصرفون عن عبادته مع إقرارهم له بالربوبية؟
- (٨٨) وكما عنده علم الساعة عنده علم شكوى رسوله من تكذيب قومه، حين قال: يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون بما أرسلتني به إليهم.
- (٨٩) فاصفح عن زلاتهم، وقل لهم: سلام، فسوف يعلمون ما يلاقونه من العقاب.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٥ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٦ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝٨ إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝٩ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝١٠ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝١١ ﴾

- (١) حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٢) يقسم الله بالقرآن الموضح لطريق الحق.
- (٣) إننا أنزلنا القرآن في ليلة القدر، ليلة كثيرة الخيرات، إننا كنا مخوفين بهذا القرآن.
- (٤) في ليلة القدر يفصل كل أمر محكم في الأرزاق وغيرها مما يحدثه الله في السنة.
- (٥) يفصل كل أمر محكم من عندنا، إننا كنا باعثين الرسل.
- (٦) باعثهم رحمة من ربك - أيها الرسول - لأعمهم، إنه هو السميع لأقوال عباده، العليم بأفعالهم وبما في قلوبهم.
- (٧) رب السماوات والأرض، ورب ما بينهما إن كنتم موقنين بذلك فآمنوا برسولي.
- (٨) لا معبود بحق غيره، يحي ويميت، ربكم ورب آبائكم الأقدمين.
- (٩) ليس هؤلاء المشركون بموقنين بذلك، بل هم في شك منه يلهون عنه بباطلهم.

﴿ فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدْوَأْ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (١٠) ويأمر الله رسوله أن ينتظر ما يصيبهم من عذاب قريب يوم تأتي السماء بدخان واضح.
- (١١) يعم هذا الدخان، ويقال للمشركين: هذا العذاب الذي أصابكم عذاب موجه.
- (١٢) فيلجؤون إلى ربهم: ربنا اصرف عنا العذاب، إنا مؤمنون بك، وبرسولك إن صرفته عنا.
- (١٣) كيف لهم أن يتذكروا فيتوبوا وقد جاءهم رسول بين الرسالة، وعرفوا صدقه.
- (١٤) وقالوا: معلم علمه غيره، وقالوا عنه: هو مجنون، فليس رسولا.
- (١٥) إنا صارفوا العذاب عنكم قليلا، إنكم عائدون إلى كفركم وتكذيبكم.
- (١٦) ويأمر الله نبيه أن ينتظرهم يوم نبطش بالكفار البطشة الكبرى بإدخالهم النار يوم القيامة، إنا منتقمون منهم لكفرهم بالله وتكذيبهم رسوله.
- (١٧) ولقد اخترنا قبلهم قوم فرعون، وجاءهم موسى عليه السلام وهو رسول من الله كريم.
- (١٨) قال موسى لفرعون وملئه: أدوا إلي بني إسرائيل، فهم عباد الله، لأنقذهم من استعبادكم إياهم، إني لكم رسول من الله، أمين على ما أمرني أن أبلغكم.
- (١٩) وأن لا تتكبروا عن عبادة الله، وتستعلوا على عباده، إني آتيكم ببرهان واضح.
- (٢٠) وإني اعتصمت بربي وربكم من أن تقتلونني بالرحم بالحجارة.

١٠ تتجلى الآية الكريمة في وصف دخان آخر الزمان، حيث تنذر هذه الآية بأن دخانا سوف يأتي إلى الأرض من السماء. ويظل هذا الإنذار لأهل الأرض جمعا حتى فناء البشرية من من عليها. ثم يأتي بعدها أهوال يوم القيامة حيث قال تعالى: «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ (١٦)». وهو ما يعني أن الدخان هنا هو أحد علامات الساعة الكبرى، وبعده فناء البشرية. والدخان ذكر مرتين في القرآن، أولها كان في سورة فصلت، في قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها؟ قالتا أتينا طائعين (١١)». وهذه الآية تشير إلى أن الدخان في الآية الثانية في سورة الدخان هو المادة التي خلقت منها الأرض في بداية خلقها.

وقد اكتشف العلماء أن الأرض وكافة الأجرام السماوية تتخلق من دخان (غبار كوني)، وأهم عناصر هذا الدخان هو الهيدروجين. وعبر ملايين السنين تتكثف ويتكون منها الأجرام السماوية كالشمس والأرض. ثم يشع الشمس والنجوم بعد تكونها، فتبتعد عنها هذا الدخان، فيتشكل على شكل فقاعة ضخمة تحيط بالنجوم من كل جانب. وقد اكتشف علماء الفلك أن لمجموعتنا الشمسية (الشمس وكواكبها بالأرض) فقاعة سموها «الفقاعة المحلية». واكتشفوا أن المجموعة الشمسية بالأرض تتجه نحوها أحد تكتلات هذه الفقاعة. وقدرة العلماء تقريبا وقت هذا الاصطدام أنه سيكون في غضون عشر آلاف إلى ثمانية عشر ألف عام. وفي الوقت نفسه اكتشف علماء الجيولوجيا أن الأرض في هذا التوقيت تقريبا ينهار مجالها المغناطيسي بسبب انقلاب قطبيها المغناطيسي. وهو ما يعني أن الدخان الذي ستصطدم به الأرض في وقت ما، سيدخل إليها بسهولة مختبرات مجال الأرض المغناطيسي وغلافها الجوي الذي هو درع واقى لها من مخاطر الكون. إلا أن العلم لم يستطع التنبؤ إذا ما كان هذا الدخان سيؤثر على البشرية أم لا. حيث لم يمر بالأرض موقف مثل هذا من قبل. إلا أن القرآن سبق وأشار أن هذا الدخان عذاب للبشر، حيث قال تعالى: «يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (١٢)» سورة الدخان.



﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاَعْتَرِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَوَّلَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرِفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْونِ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَعَايَنْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعِبَادِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرَتُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ الْأَيْثِمِ ﴿٤٤﴾ .

- (٢١) وإن لم تصدقوا بما جئتكم به من ربي فاعتزلوني، ولا تقرّبوني بسوء.
- (٢٢) فدعا موسى: إن فرعون وملاه قوم مجرمون فعجل لهم العذاب.
- (٢٣) ويأمر الله موسى أن يسير بقومه ليلا، ويخبره أن فرعون وقومه سيتبعونهم.
- (٢٤) وأمره إذا اجتاز هو ومن معه أن يترك البحر ساكنا، إن فرعون وقومه جند مهلكون بالغرق.
- (٢٥) كم خلف فرعون وقومه وراءهم من بساتين وعيون جارية.
- (٢٦) وكم خلفوا من زروع، ومجلس حسن.
- (٢٧) وكم خلفوا من حياة كانوا فيها متنعمين.
- (٢٨) هكذا وقع لهم ما وقع، وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم بني إسرائيل.
- (٢٩) فما بكت على فرعون وقومه السماء والأرض حين أهلكوا، وما كانوا ممهلين حتى يتوبوا، بل جاءهم الهلاك بغتة.
- (٣٠) ولقد أنقذنا بني إسرائيل من العذاب المذل بالاستبعاد وقتل الأبناء واستبقاء النساء للخدمة.
- (٣١) أنقذناهم من عذاب فرعون إنه كان مستكبرا من المتجاوزين لحدود الله.
- (٣٢) ولقد اخترنا بني إسرائيل على علم منا على عالمي زمانهم لكثرة أنبيائهم.
- (٣٣) وأعطيناهم من المعجزات التي أيّدنا بها موسى كالمن والسلوى وغيرهما ما فيه نعمة ظاهرة.
- (٣٤) إن هؤلاء المكذبين ليقولون منكروين للبعث.
- (٣٥) ما هي إلا موتتنا الأولى، فلن نبعث بعدها.
- (٣٦) فأت - يا محمد - أنت ومن معك من أتباعك بآبائنا الذين ماتوا أحياء إن كنتم صادقين فيما تدعون من البعث.
- (٣٧) أهؤلاء المكذبون خير في القوة والمنعة أم قوم تبع والذين من بعدهم، أهلكناهم جميعا، إنهم كانوا مجرمين، فلا نعجز عن إهلاكهم هم إذا شئنا.
- (٣٨) وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لعباء، بل لحكمة بالغة.
- (٣٩) ما خلقناهما إلا لحكمة تقتضي خلقهما، ولكن معظمهم لا يعلمون.
- (٤٠) إن يوم الفصل بين العباد ميعاد الخلائق جميعا يجمعهم الله فيه للجزاء.
- (٤١) يوم لا ينفع قريب ولا صديق، ولا هم يمنعون من العذاب.
- (٤٢) لكن من رحمه الله ينتفع بما قدم من عمل صالح، إنه هو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره.
- (٤٣) إن شجرة الزقوم الخبيثة.
- (٤٤) طعام المكثّر من الإثم.

﴿ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُدُّهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يُذَوِّقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِئُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

- (٤٥) الزيت الأسود، يغلي في البطن من حرارته المتناهية. (٤٦) مثل غليان الماء المتناهي حرارة. (٤٧) ويؤمر زبانية النار: بأخذه وجره بغلظة إلى وسط الجحيم. (٤٨) ويأمرهم بصب الماء الحار فوق رأس هذا المعذب. (٤٩) ويقال له؛ تهكما: ذق ما تعانيه من عذاب إنك أنت العزيز جنابك، الكريم في قومك. (٥٠) إن ما تعانيه من هذا العذاب هو ما كنتم تشككون في وقوعه يوم القيامة، فقد عاينتموه. (٥١) إن المتقين ربهم في موضع إقامة آمنين من كل مكروه يؤذيهم. (٥٢) في بساتين وعيون جارية. (٥٣) يلبسون في الجنة من الدياج رقيقه وجليظه، يقابل بعضهم بعضا، ولا ينظر أحدهم قفا آخر. (٥٤) كذلك المذكور من الإكرام زوجناهم في الجنة بالنساء الحسان واسعات العيون جميلاتها. (٥٥) يدعون خدمهم فيها ليأتوهم بما شاؤوا من فاكهة آمنين من ضررها وانقطاعها. (٥٦) وهم خالدون فيها، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة التي كانت في الدنيا، ونجاهم ربهم من عذاب النار. (٥٧) تفضلا وإحسانا من ربك بهم، ذلك المذكور من إدخالهم الجنة، ووقايتهم من النار هو الفوز العظيم الذي لا يقاربه فوز. (٥٨) فإنما يسرنا هذا القرآن، وسهلناه بإنزاله بلسانك العربي لعلهم يتعظون. (٥٩) فانتظر نصرك وهلاكهم، إنهم منتظرون هلاكك.

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾

- (١) حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. (٢) تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتدبيره. (٣) إن في السماوات والأرض لآيات على قدرة الله، تظهر للمؤمنين دون غيرهم. (٤) وفي خلقكم - أيها الناس - طورا بعد طور، وفي خلق ما ينشره من حيوان يدب على الأرض علامات على قدرته تظهر لقوم يوقنون بأن الله هو الخالق.



﴿ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ ءَايَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبِئْسَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هَرُورًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مَن وَرَأَيْهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنَبِّئُوا مَن فَضَّلَهُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

- (٥) وفي تعاقب الليل والنهار، وفيما أنزل الله من السماء من المطر فأنتبت به الأرض بعد أن كانت لا نبات فيها، وفي تصريف الرياح بتبديل جهاتها لمنافعكم دلائل لقوم يعقلون فيستدلون بها على قدرته على البعث، وقدرته على كل شيء.
- (٦) وإن لم تؤمنوا - أيها المشركون - بما أنزل الله من حديث على رسوله وبما أقام من حجج فبأي حديث بعده تصدقون؟
- (٧) هلاك لكل كذاب كثير الإثم.
- (٨) يسمع هذا الكذاب آيات الله في القرآن تقرأ عليه، ثم يتمادى على كفره متكبرا في نفسه عن اتباع الحق، كأنه لم يسمع تلك الآيات المقروءة عليه، فأخبره - أيها الرسول - بما يسوءه في آخرته، وهو عذاب موجه.
- (٩) وإذا بلغه شيء من القرآن، وعلم أنه منه سخر منه، أولئك الساخرون من القرآن لهم عذاب مذل يذلهم الله به يوم القيامة.
- (١٠) أمام هؤلاء جهنم في الآخرة، ولا تكفي أموالهم من الله شيئا، ولا يكفي ما اتخذوه من دون الله من الأصنام، ولهم يوم القيامة عذاب عظيم.
- (١١) هذا الكتاب الذي أنزلناه على رسولنا هاد إلى طريق الحق، والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من نوع عذاب سيئ، موجه.
- (١٢) الله لا غيره هو الذي سخر لكم البحر لتجري السفن فيه بأمره، ولتطلبوا من فضله بالكسب المباح، ولعلكم تشركون نعمة الله عليكم.

٢ سبق بيان هذه القضايا الكونية عند تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

٤ مع إشارة الآية الكريمة إلى ما يستثير الفكر الإنساني في تكوين الإنسان فإنها لفتت إلى ما اكتشفه العلماء في العقود الأخيرة. بعد رصد مستمر لأحوال حياة الحيوانات الفردية والجماعية. أن هذه الحيوانات جميعاً إنما هي شعوب وقبائل وأمم تربط بينها صلات. فتبارك الله الذي قدر فهدي.

٥ وقد سبقت الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ واختلاف الليل والنهار ... ﴾ .

﴿ وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون ﴾: في عصر التنزيل وإلى زمن ليس بالبعيد لم يكن معلوماً لدى البشر مقدار العلاقة بين تشكل السحب وهبوب الرياح والكيفية التي تتحرك بها ولا دراية لهم بأنواعها على وجه الدقة العلمية، ونتيجة ذلك كله اكتشف العلماء توزع الرياح وبالتالي توزع السحب في اتجاهات متميزة وفق أنظمة في الغلاف الجوي؛ حيث إن اللقاء الحاصل بين الكتل الهوائية ذات الضغط المنخفض مع الكتل الأخرى ذات الضغط المرتفع نتيجة وجود المرتفعات الجبلية وتفاوت درجات الحرارة يحصل توزيع وتصريف للرياح بشكل محكم ومذهل لأهل الخبرة في هذا الشأن، فتبارك الذي صرف ذلك بقدرته وحكمته ليتدبر أولوا العقول وليتذكر أولوا الأبواب. ويمكن أن نجمل ذلك في القول بأن قول الله تعالى: (وفي خلقكم) إشارة إلى علم الطب (وما يبث فيهما من دابة) إشارة إلى علم الحيوان. (واختلاف الليل والنهار) إشارة إلى علم الفلك، ﴿ وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها.. ﴾ إشارة إلى علم الحياة، (وتصريف الرياح) إشارة إلى علم الأرصاد الجوية. إن ورود ذلك في هذا الكتاب يمثل صفة لأولئك الذين يزعمون التصادم بين العلم والدين.

﴿ وَسَخَّرْ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بَعْفَرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (١٤) مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصَدِّقٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾

فيما كانوا يختلفون فيه في الدنيا؛ ليتضح المحق من المبتل.

(١٨) ثم جعلناك - أيها الرسول - على شريعة من أمر الإسلام تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح، فاتبع هذه الشريعة، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون الحق.

(١٩) إن الذين لا يعلمون الحق لن يغنوا عنك من عذاب الله شيئاً فكيف تتبعهم، وإن الظالمين كيفما كانوا بعضهم ناصر بعض، ومؤيده على المؤمنين، والله ناصر المتقين ومؤيدهم.

(٢٠) هذا القرآن بصائر يبصر بها الحق من الباطل، وهداية إلى الحق، ورحمة لقوم يوقنون لأنهم هم الذين يهتدون به إلى ما يرضي ربهم.

(٢١) أحسب الذين اكتسبوا بجوارحهم الكفر والمعاصي أن نساويهم في الجزاء مع الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، فبح حكمهم هذا.

(٢٢) وخلق الله السماوات والأرض لحكمة عظيمة، ولم يخلقهما - كما يزعم الكفار - عبثاً، ولتجزى كل نفس بما كسبته من خير أو شر، والله لا يظلمهم بنقص في حسناتهم، ولا زيادة في سيئاتهم.

(١٣) وسخر لكم ما في السماوات من شمس وقمر وغيرهما، وما في الأرض من أنهار وأشجار وغيرها، إن في تسخير ذلك لكم لعلامات على قدرة الله لقوم يتفكرون في آياته المنصوبة للاعتبار.

(١٤) ويأمر الله رسوله أن يأمر المؤمنين بالتجاوز عن أساء إليهم من الكفار الذين لا يرجون ثواب الله، ولا يخافون عقابه؛ ليجزي كلا من المؤمنين الصابرين، والكفار المعتدين بما كانوا يكسبون من الأعمال في الدنيا.

(١٥) من عمل عملاً صالحاً ففجع عمله له، والله غني عنه، ومن أساء عمله، فعقابه عليه، والله لا يضره عمله، ثم إينا وحدنا ترجعون في الآخرة للجزاء.

(١٦) ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة والفصل بين الناس بحكمها، وجعلنا معظم الأنبياء منهم، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على أهل زمانهم.

(١٧) وأعطيناهم دلائل توضح الحق، فما اختلفوا إلا من بعدما قامت عليهم الحجج ببعثة محمد ﷺ، وما جرهم إلى الاختلاف إلا بغى بعضهم على بعض حرصاً على الرئاسة، إن ربك - أيها الرسول - يفصل بينهم يوم القيامة

١٢ تكلمنا عن تسخير البحر ومظاهره سواء عند الآية (١٦٤) من سورة البقرة، أو آيات سورة النحل، ومن جملة ذلك جريان السفن فيه، وانتقال البشر عبر المحيطات، ونقل البضائع والثمرات وغير ذلك.

ونشير هنا إلى قاعدة الطفو والتي مفادها إلى أن الله جعل قانون التدافع بين الجسم الغاطس في الماء وقوة تدفع باتجاه معاكس تكايفه وزن الجسم الغاطس فتكون النتيجة وكأن الجسم الذي يغطس بعضه في الماء يفقد من وزنه بمقدار الماء المزاح نتيجة غطس بعضه فيه مما يمكن هذا الجسم من السير على سطح الماء فالحمد لله الذي بحكمته سخر ذلك للإنسان.



﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِمْ ءَابَتُنَا بَيْنَتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّبُوا بِءَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَأ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَأَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٤﴾

اليوم تثابون - أيها الناس - ما كنتم تعملون في الدنيا من خير وشر.

(٢٩) هذا كتابنا كتبت فيه أعمالكم ينطق عليكم بالحق، فاقروا كتابكم، إنا كنا نأمر الملائكة أن تكتب ما كنتم تعملون في الدنيا.

(٣٠) فأما الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة فيدخلهم ربهم في جنته برحمته، ذلك الجزاء الذي أعطاهم الله إياه هو الفوز الواضح الذي لا يدانيه فوز.

(٣١) وأما الذين كفروا فيبكتهم بقوله لهم: ألم تكن آياتي تقرأ عليكم، فترفتهم على الإيمان بها، وكنتم قوما مجرمين بما كسبتم من الكفر والمعاصي.

(٣٢) وإذا قيل لكم - أيها المنكرون للبعث - إن وعد الله الذي وعده به عباده أنه سيبعثهم حق، لا ريب فيه، والساعة حق كذلك، فاستعدوا لها قلتهم: ما ندري ما الساعة، إن نظن إلا ظنا ضعيفا أنها آتية، وما نحن بمستيقنين أنها ستأتي.

(٣٣) وظهر لهم سيئات ما عملوه في الدنيا، ونزل بهم، العذاب الذي كانوا يستهزئون به عندما يحذرهم رسولهم منه.

(٣٤) وقال لهم الله: اليوم نترككم في النار كما أنكم نسيتم لقاء يومكم هذا فلم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا، ومستقركم الذي تأوون إليه هو النار، وليس لكم من ناصرين يمنعون عنكم العذاب.

(٢٣) أخبرني عنمن جعل معبوده هواه، وأضله الله على علم منه باستحقاقه ذلك، وختم على قلبه، فلا ينتفع بما يسمع، وجعل على بصره غطاء يمنعه من إبصار الحق، فمن الذي يوفقه للحق بعد أن أضله الله؟ أفلا تتذكرون ضرر اتباع الهوى، فتركوه ونفع اتباع شرع الله فتعملوا به؟

(٢٤) وقال الدهريون إنكارا للبعث: ما الحياة إلا حياتنا الدنيا هذه، فلا حياة بعدها، تموت أجيال فلا تعود، وتحيى أخرى، وما يفينا إلا تعاقب الليل والنهار، وليس لهم على إنكارهم للبعث من علم، إن هم إلا يظنون، والظن ليس حجة.

(٢٥) وإذا تقرأ على المنكرين للبعث آياتنا واضحات، ما كان لهم من حجة إلا قولهم للرسول ﷺ والمؤمنين: أحيوا لنا آباءنا اللذين ماتوا إن كنتم صادقين في دعوى أننا نبعث إذا متنا.

(٢٦) ويأمر الله رسوله أن يقول لهم: الله يحييكم بخلقكم الأول، ثم يميتكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة للجزاء، ذلك اليوم الذي لا شك فيه أنه آت، ولكن معظم الناس لا يعلمون، فلا يستعدون له بالعمل الصالح.

(٢٧) ولله وحده ملك السماوات، وملك الأرض، فكيف يعبد غيره فيهما؟ ويوم تقوم الساعة التي يبعثون فيها يخسر أصحاب الباطل الذي كانوا يشركون مع الله غيره، ويسعون لإبطال الحق، وإحقاق الباطل.

(٢٨) وترى - أيها الرسول - يوم القيامة كل أمة جائية على ربكها تنتظر مصيرها، كل أمة تدعى إلى كتاب أعمالها،

﴿ ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

- (٣٥) ذلكم العذاب الذي أصابكم باتخاذكم آيات الله سخريه تسخرون منها، وبانخداعكم بلذات الدنيا وشهواتها، فالיום لا يخرج المستهزون بآيات الله من النار، ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا ما يرضي عنهم ربهم.
- (٣٦) فله وحده الحمد، رب السماوات، ورب الأرض، ورب الخلائق.
- (٣٧) وله العظمة في السماوات، وفي الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتدييره.

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَم ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْزَلْتُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

- (١) حم تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة.
- (٢) تنزيل القرآن من الله العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.
- (٣) ما خلقنا السماوات، والأرض، وما بينهما عبثا، بل خلقنا ذلك؛ ليعرف العباد ربهم من خلالهما، فيعبده وحده، وليقوموا بالخلافة في الأرض إلى أمد محدد، والذين كفروا بالله، معرضون عما أُنذروا به في كتاب الله لا يبالون به.
- (٤) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: أخبروني عن
- (٥) معبوداتكم من دون الله ماذا خلقوا من الأرض؟ هل خلقوا جبلا أو نهرا؟ أم لهم نصيب مع الله في خلق السماوات؟ جيئوني بكتاب منزل من عند الله قبل القرآن، أو ببقية علم مما تركه الأولون إن كنتم صادقين في دعواكم أن أصنامكم تستحق العبادة.
- وليس أحد أضل ممن يعبد من دون الله صنما لا يستجيب لدعائه إلى يوم القيامة، وهذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله غافلة عن دعاء عبّادها لها؛ لأنها جماد، لا تسمع، ولا تبصر، ولا تعقل.

٢ إن تخصيص ما بين السماء والأرض بالذكر لفتة علمية عظيمة لكون تخصيص ذلك يمثل سبعا علميا حيث لم يكن يخطر على أفكار البشر وقت تنزل القرآن الكريم أن هذه المسافة التي أطلق عليها في زمننا هذا (المسافة البينية) تمثل عالما فيه من مظاهر الإبداع والقدرة والحكمة ما لم تدركه العلوم المكتسبة إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين والإفمن كان يدري أن في هذه المسافة من الثقوب السوداء والمادة الداكنة مع مليارات الأجرام والمجرات وأحزمة المجالات المتنوعة تحيط بالأرض وتحفظ البشر من المهالك .



﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَنَاهُ قُلُوبُ إِنَّا أَفْرَيْنَاهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرَّسْلِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ بِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِيَّاكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

يهتدوا بما جاءهم به رسولهم، فسيقولون: هذا الذي جاءنا به كذب قديم، ونحن لا نتبع الكذب.

(١٢) ومن قبل القرآن التوراة كتاب موسى - عليه السلام - أنزله الله إمامًا يُقْتَدَىٰ به في الحق، ورحمة لمن آمن به من بني إسرائيل، وهذا القرآن المنزل على محمد - ﷺ - كتاب مصدق لما سبقه من الكتب بلسان عربي؛ لينذر به الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله ويفعل المعاصي، وهو بشارة للمحسنين الذين أحسنوا طاعة الله.

(١٣) إن الذين قالوا: ربنا الله وحده، ثم استقاموا على الإيمان والعمل الصالح، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه في الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا، ولا على ما خلفوه وراءهم.

(١٤) أولئك الموصوفون بتلك الصفات أصحاب الجنة ما كثون فيها أبدًا؛ جزاء على عملهم الصالح في الدنيا.

(١٥) وأمرنا الإنسان بوالديه أن يحسن إليهما ببرهما، وبخاصة أمه التي حملته بمشقة، ووضعتة بمشقة، ومدة حملها به، مع بدء فطامه ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ كمال القوة قال رب: ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ بها، وعلى والدي، وألهمني أن أعمل عملاً صالحاً ترضاه مني، وأصلح لي أولادي، إني تبنت إليك من ذنوبي، وإني من المستسلمين لك.

(٦) وإذا حشروا يوم القيامة يكونون أعداء لعبادهم، ويتبرؤون منهم، ومن علمهم بعبادتهم إياهم.

(٧) وإذا تقرأ عليهم آياتنا قال الذين كفروا للقرآن لما جاءهم: هذا سحر واضح، لا وحي، كما يدعيه محمد.

(٨) بل يقول هؤلاء المكذبون: إن رسولهم اختلق القرآن، ونسبه إلى الله، ويأمر الله رسوله أن يقول لهم: إن اختلقته من تلقاء نفسي، فلا تملكون دفع تعذيبي، فأني أعرض نفسي لسخطه بالاختلاق عليه؟ الله أعلم بما تخوضون فيه من الطعن والقبح، كفى به شهيدا بيني وبينكم، وهو الغفور للتائبين من عباده، الرحيم بهم.

(٩) ويأمره أن يقول للمكذابين بنبوته: ما كنت أول رسول، فقد سبقني رسل كثير، ولا أعلم ما يفعله الله في الدنيا بي، ولا بكم، إن أتبع إلا ما يوحيه الله إلي، وما أنا إلا نذير، أخوفكم عذاب الله، بين النذارة.

(١٠) ويأمره أن يقول لهم: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به، وشهد شاهد من بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام على أنه من عند الله؛ لعلمه بما جاء في التوراة من الإخبار به، فأمن هو به، واستكبرتم عن الإيمان به، أستمم إذ ذاك ظالمين؟ إن الله لا يوفق القوم الظالمين للهداية.

(١١) وقال الذين كذبوا: لو كان ما جاء به محمد حقا يهدي إلى الخير ما سبقنا إليه أمثال خباب وزنيرة، وإذ لم

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِ لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِئْسَ لِلَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرَ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طِبْنَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (١٦) أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا من الأعمال الصالحة، و نتجاوز عن سيئاتهم، وهم في جملة أهل الجنة، هذا الوعد الذي وعدوا به وعد صدق سيتحقق.
- (١٧) والذي قال لوالديه: تبأ لكم أعدائي أن أخرج من قبري حيا، وقد مضت القرون العديدة، ولم يبعث أحد منهم، ووالدها يطلبان الغوث من الله أن يهديه للإيمان، ويقولان لابنهما: هلاك لك إن لم تؤمن بالبعث، فأمن به، إن وعد الله بالبعث حق ثابت، فيقول هو مستمرا في تكذيبه بالبعث: ما هذا الذي يقال عن البعث إلا منقول من كتب المتقدمين، وما سطروه، لا أساس له .
- (١٨) أولئك الذين وجب عليهم العذاب في جملة أمم سبقت من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين أنفسهم وأهلهم بدخولهم النار.
- (١٩) ولكلا الفريقين مراتب حسب أعمالهم، فلأهل الجنة درجات عالية، ومراتب أهل النار درجات سافلة، وليوفيهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون يوم القيامة.
- (٢٠) واذكر يوم يعرض الذين كفروا على النار؛ ليعذبوا فيها، ويقال لهم؛ توبيخا لهم: أذهبتكم طيباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتم بما فيها، أما في هذا اليوم فتجزون العذاب الذي يهينكم لتكبرهم في الأرض بغير الحق، ولخروجكم عن طاعة الله إلى معصيته بالكفر والمعاصي.

١٥ ﴿ حملته أمه كرها ووضعته كرها ... ﴾

تشير الآية إلى أن أدنى مدة الحمل ستة أشهر بدلالة الآية الأخرى في سورة البقرة (يرضعن أولادهن حولين كاملين) ، خلافا لما كان سائدا في القديم أن الطفل إذا ولد قبل الموعد الطبيعي أي تسعة أشهر فإنه قلما يبقى على قيد الحياة، ولكن هذه الآية تدل على أنه يعيش ، وفعلا فإن علماء الطب قد ثبت لهم أنه يمكن للوليد أن يعيش ولو كان لسته أشهر أو أكثر. ويعيش حياة طبيعية تماما، وبذلك فإن هذا الحمل تقص فترة مكثه في الرحم ثلاثة أشهر، ويعيش ويتلقى الرضاعة حولين كاملين لتكون فترة حمله ورضاعته ثلاثين شهرا كما صرحت الآية الكريمة.

﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أر بعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك ﴾: يذكر أهل العلم أن رأس الإنسان وجمجمته مركب من عظام متصلة مع بعضها بأسنان كأسنان المشط، لا أربطة تربط هذه العظام ولا أوتار كبقية المفاصل، إنما هي متداخلة في بعضها بصورة محكمة أيدعها رب العالمين، وبين هذه الأسنان غضاريف لينة تحكم سدها، وهذه الغضاريف اللينة تبقى كذلك وتصلب شيئا فشيئا حتى سن الأربعين ، فتأخذ كمال صلابتها، ويتقرر حجم الرأس بحيث يصبح كتلة عظمية واحدة. وتتمجي الغضاريف الموجودة تماما، وعليه يصبح الحجم مقررا لا يتطور، وتقرير هذا الحجم له دخل عظيم في احتمال الضغط والانضغاط على المخ الذي يحصل من جرائه ما يؤثر على جوهر العقل الذي محله الدماغ، فلذا جعل الله بعثة الأنبياء على رأس الأربعين، ووردت الآية مؤيدة كمال رشد الإنسان في بلوغ شدته العقلية حينما يستقر الرأس على حجم معين لا يكبر ولا يصغر أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ﴾ . وهكذا بقية أعضاء الجسم الإنساني يكتمل نموها في هذا السن، ونضيف على ما سبق ذكره أنها حملته في بطنها متعبة من حمله تعبها يجعلها كارهة لأحوال ذلك الحمل ووضعته بأوجاع وآلام جعلتها كارهه لوضعه وفي ذلك الحمل والوضع فائدة له هي فائدة وجوده الذي هو كمال حال الممكن وما ترتب على وجوده من الإيمان والعمل الصالح الذي به حصول النعم الخالدة. وأشير إلى ما بعد الحمل من ارضاعه الذي به علاج حياته ودفع ألم الجوع عنه وهو عمل شاق لأمه فذكرت مدة الحمل والارضاع لأنها لطولها تستدعي صبر الأم على تحمل كلفة الجنين والرضيع.



﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أُوْدِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَكَرَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

- (٢١) ويأمر الله رسوله أن يذكر هودا أخا عاد في النسب حين خوف قومه من وقوع عذاب الله عليهم، وهم بالأحقاد جنوب الجزيرة العربية، وقد مضت الرسل منذرين قومهم قبل هود، وبعده قائلين لأقوامهم: لا تعبدوا إلا الله وحده، إني أخاف عليكم - يا قوم - عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.
- (٢٢) قال له قومه: أجئتنا لتصرفنا عن آلهتنا، فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت صادقاً فيما تدعيه.
- (٢٣) قال إنما علم وقت العذاب عند الله، وأنا لا أعلم لي به، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قوماً تجهلون ما فيه نفعكم فتتركونه، وما فيه ضرركم فتأتونه.
- (٢٤) فلما رأوه سحاباً عارضاً في جهة من السماء متجهاً لأوديتهم قالوا: هذا عارض ممطرنا، قال لهم: هود: ليس الأمر كما ظننتم، بل هو العذاب الذي استعجلتموه، ریح فيها عذاب مؤلم.
- (٢٥) تدمر كل شيء مرت عليه مما أمرها الله بتدميره، فأصبحوا هلكى، لا يرى إلا مساكنهم، مثل هذا الجزاء المؤلم نجزي المجرمين المصرين على كفرهم.
- (٢٦) ولقد أعطينا قوم هود ما لم نعطكم إياه، وجعلنا لهم أسماء يسمعون بها، وأبصاراً يبصرون بها، وقلوباً يعقلون بها، فما أغنت عنهم أسماعهم، ولا أبصارهم ولا عقولهم من شيء، فلم تدفع عنهم العذاب، إذ كانوا يكفرون بآيات الله، وحل بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب إذا خوفهم منه نبيهم هود عليه السلام.
- (٢٧) ولقد أهلكنما ما حولكم - يا مشركي مكة - من القرى، مثل عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين، ونوعنا لهم الحجج؛ لعلهم يرجعون عن كفرهم.
- (٢٨) فهلا نصرتهم الأصنام التي اتخذوها آلهة يتقربون إليها بالعبادة والذبح، بل غابت عنهم أحوج ما كانوا إليها، وذلك افتراؤهم الذي متوا به أنفسهم أن أصنامهم تنفعهم وتشفع لهم عند الله.
- (٢٩) ويأمر الله رسوله أن يذكر إذ أرسل الله إليه فريقاً من الجن يستمعون القرآن المنزل عليه، فلما حضروا السماعه قال بعضهم لبعض: أنصتوا حتى نتمكن من سماعه، فلما أنهى الرسول ﷺ قراءته رجعوا إلى قومهم ينذرونهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بهذا القرآن.

٢٤ في هذه الآيات (٢٤، ٢٥) بيان لما حصل لقوم عاد مما جاء العلم الحديث بإثباته بعد اكتشاف آثار موطنهم مما يتطابق تماماً مع ما دلت عليه تلك النصوص القرآنية وذلك يعتبر إعجازاً علمياً.

هذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي جاء فيه ذكر لقوم عاد ولنبيهم هود عليه السلام وتحديد موقعهم الذي دفنوا فيه على مر العصور؛ حيث تم اكتشاف مدينتهم في صحراء الأحقاد، وقد خلت جميع كتب الأقدمين من أي إشارة لهذه الأمة، وهذا هو الرد الدافع ببطلان دعوى المدعين بأخذ القرآن الكريم قصصه عن تلك الكتب.

﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّمَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعَى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

بلى إنه لقادر على إحيائهم، إنه على كل شيء قدير، ومن ذلك البعث.

(٣٤) ويوم يعرض الذين كفروا على النار ليعذبوا فيها، ويقال لهم؛ توبيخا لهم: أليس هذا الذي تعابنونه من العذاب بالحق؟ أم أنه كذب كما كنتم تقولون؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، فيقال لهم: ذوقوا العذاب بسبب كفركم.

(٣٥) ويأمر الله رسوله بالصبر على تكذيب قومه له، مثل ما صبر أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ولا تستعجل لهم العذاب، كأنهم يوم يرون ما يوعدون منه في الآخرة لم يكتنوا في الدنيا إلا ساعة من نهار لطول عذابهم، هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ بلاغ إلى الناس جميعا، فهل يهلك بالعذاب إلا القوم الخارجون عن طاعة الله.

(٣٠) قالوا لقومهم: إنا سمعنا كتابا أنزله الله من بعد موسى مصدقا لما سبقه من الكتب المنزلة، يرشد إلى الحق، ويهدي إلى طريق مستقيم، طريق الإسلام.

(٣١) يا قومنا أجيئوا محمدا إلى ما يدعوكم إليه، وآمنوا أنه رسول من ربه، يغفر لكم الله ذنوبكم، ويسلمكم من عذاب موجه ينالكم إذا لم تجيبوه إلى ما دعاكم إليه.

(٣٢) ومن لا يجب محمدا ﷺ إلى ما يدعوه إليه فلن يفوت الله بالهرب، وليس له من دون الله من أولياء ينقذونه من العذاب، أولئك في ضلال عن الحق واضح.

(٣٣) أولم يرهؤلاء المكذبون بالبعث أن الله الذي خلق السماوات وخلق الأرض، ولم يعجز عن خلقهن مع عظمهن واتساعهن قادر على أن يحيي الموتى للحساب؟

٣٢ تقرر الآية أن الله الذي أبدع هذه الأكوان بدقائق ما فيها وببديع الأنظمة التي قدرها وببديع جمال تفاصيلها. وبانتظام شؤونها لا شك أنه القادر على إحياء من يموت ويفنى من البشر لأن قدرته مطلقة لا حدود لها فهو قيوم السموات والأرض وهو الذي لا يعزب عن علمه شيء ولا يخرج عن إرادته أحد، ولا يعجزه شيء من الأشياء وهو على كل شيء قدير.



سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمُ فَشَدُّوا الوُتَاقَ فَمَا مَتَّأِ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

- (١) الذين كفروا بالله، وصدوا غيرهم عن دينه أبطل أعمالهم بكفرهم.
- (٢) والذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، وآمنوا بما أنزل الله على رسوله محمد، وما أنزله عليه هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم، وأصلح لهم شئونهم.
- (٣) ذلك الجزاء للفريقين؛ لأن الذين كفروا بالله اتبعوا الباطل، وأن الذين آمنوا بالله وبرسوله اتبعوا الحق من ربهم، فجوزي كل فريق بما يستحق، كما بين الله حكمه في الفريقين يضرب الله للناس أمثالهم، فيلحق الشبيه بالشبيه.
- (٤) ويأمر الله المؤمنين إذا لقوا مقاتليهم من الكفار أن يضربوا رقابهم بالسيوف ويستمرروا في ذلك حتى يكثروا فيهم القتل، فيستأصلوا شوكتهم، فإذا أكثروا فيهم القتل فليشدوا قيود الأسرى، فإذا أسروهم فلهم الخيار حسب ما تقتضيه المصلحة بين المن عليهم بإطلاق سراحهم دون مقابل، أو مفاداتهم بمال أو غيره، أو قتلهم أو استرقاقهم، وعليهم أن يواصلوا قتالهم وأسروهم إلى أن تنقضي الحرب بإسلامهم أو معاهدتهم، ذلك المذكور من ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام، وانتصار بعضهم على بعض هو حكم الله، ولو يشاء الله الانتصار
- من الكفار دون قتال لانتصر منهم، لكنه أمر بالجهاد ليختبر بعض الناس كافرهم ومؤمنهم، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يبطل الله أعمالهم، بل سيثيبهم عليها.
- (٥) سيوقفهم لاتباع الحق في الدنيا، ويصلح شأنهم.
- (٦) ويدخلهم الجنة يوم القيامة، بينها لهم بما وصف لهم منها حتى عرفوها.
- (٧) وينادي الله المؤمنين واعداء إياهم بالنصر وتثبيت أقدامهم إن نصروه بنصر نبيه بالقتال ونصر دينه.
- (٨) والذين كفروا بالله فحسار لهم وهلاك، وأبطل الله ثواب أعمالهم بكفرهم.
- (٩) ذلك الجزاء بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله على رسوله؛ لما فيه من توحيد الله، فأحبط أعمالهم لكفرهم.
- (١٠) أفلم يسر هؤلاء في الأرض، فيتأملوا كيف كانت نهاية الذين كذبوا من قبلهم، دمر الله عليهم منازلهم فأهلكتهم، وأهلك أولادهم وأموالهم، وللكافرين في كل زمان ومكان أمثال ذلك العقاب.
- (١١) ذلك الجزاء؛ لأن الله ناصر المؤمنين، وأن الكافرين لا ناصر لهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَطْوِيٌّ لَهُمْ ۚ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرِيْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۗ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَتِهِ مِنَ زَيْنٍ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ۖ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۗ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ مِنْ زَيْنِهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۗ ﴿١٥﴾﴾ .

بصيرة، كمن زين له الشيطان سوء عمله، واتبعوا ما تمليه عليهم أهواؤهم من الشرك والتكذيب بالحق ؟

(١٥) ويصف الله الجنة التي وعد المتقين من عباده أن يدخلهم فيها، فهي فيها أنهار من ماء غير متغير لطول مكث، وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه، وفيها أنهار من خمر لذيذة للشاربين، وأنهار من عسل خال من الشوائب، ولهم فيها من كل أنواع الثمرات ما يشاؤون، ولهم مع ذلك محو من الله لذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، هل يستوي من كان هذا جزاء مع من هو ماكث في النار لا يخرج منها أبداً، وسقوا ماء شديد الحرارة، فقطع أمعاءهم ؟

(١٢) إن الله يدخل الذين آمنوا بالله، وبرسوله، وعملوا الأعمال الصالحة جنات تجري من تحتها الأنهار، والذين كفروا يتمتعون في الدنيا بما نالوا من الشهوات، ويأكلون كما تأكل الأنعام، والنار يوم القيامة هي مستقرهم الذي يأوون إليه.

(١٣) وكمن قرية من الأمم الماضية هي أشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً من مكة التي أخرجك أهلها منها أهلكتناهم ، فلا ناصر لهم ينجيهم من العذاب حين أتاهم، فنحن قادرون على إهلاك أهل مكة إذا شئنا إهلاكهم.

(١٤) أمن كانت له حجة واضحة من ربه، فهو يعبد على

١٥ ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ : كل شيء في الجنة يغير مُشاكله وسميّه في الدنيا، لذلك نحن لا نتوقف هنا لبيان ما في الجنة من نعيم ، إنما نتوقف لبيان علة تعرض مياه الدنيا للتغير وصيورتها إلى حالة تمجها النفس مما جعل وصفها يتغير من النقاء والصفاء والعدوية إلى أن تصبح آسنة غير مستعذبة ولا صافية بل وينبعث منها ريح مكروهة؛ وذلك كله لكون ماء الدنيا معرضاً للكائنات الدقيقة والعوالق الناعمة التي تخالط الماء فتحدث فيه أشياء كثيرة، ومع سكونه تتكاثر الكائنات الدقيقة وتتفاعل تلك السواقل فيه من العوالق الجوية فيتغير الماء على حسب ذلك، يصل إلى درجة يغير فيها وصفه من العدوية والصفاء إلى أن نطلق عليه إسماً يناسب تغيره فنقول إنه أصبح آسناً وغير مستساغ هذا في الدنيا، أما في الآخرة حيث إن ماء الجنة لا يتعرض لتلك الشوائب والأغيار لذلك فهو ماء غير آسن.

﴿ وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ : تدل هذه الآية على وعيد للكافرين بعذاب لهم في نار جهنم يتمثل بسقيهم ماء زادت حرارته لدرجة صار يوصف بأنه حميم ، ولدى تجرعهم إياه فإنه يقطع أمعاءهم مما يزيد في معاناتهم ضمن ما يعانونه من سوء العذاب ، وقد أثبت علماء التشريح حديثاً بأن الأمعاء الدقيقة تخلو بداخلها من المستقبلات الحسية بينما توجد هذه المستقبلات بكثافة عالية في منطقة المساريقا التي تقع بين الصفاق الجداري والطبقة الخارجية للأمعاء المغلفة بالصفاق الحشوي حيث يوجد في هذه المنطقة عدد كبير من جسيمات باسيني الناقلة للحرارة والأمم، ولذلك ذكر هنا لفظ التقطيع ولم يذكر الحرق والنضج ، كما ورد في آية النساء ﴿ نضجت جلودهم ﴾ وبذلك اتضح علمياً بأن السر في هذا التهديد الإلهي للكفار يكمن بالحقيقة التي مفادها أن الأمعاء لا تتأثر ذاتياً بالحرارة ولكنها إذا قطعت يخرج منها الماء الحميم إلى منطقة المساريقا الغنية بمستقبلات الحرارة والأمم والنهايات العصبية الناقلة لهما إلى المخ فيشعر الإنسان عندئذ بأعلى درجات الأمم، وهكذا من خلال ظهور تطابق دلالة الآية مع تلك الحقيقة العلمية التي عرفت حديثاً يتجلى لنا مثال آخر من أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وصدق الله العظيم القائل: ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾ .



﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَأُ أَؤْتِيكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَعَزَّزْنَاهُمْ بِقَوْلِهِمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوَّ صَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

القتال رأيت - أيها الرسول - المنافقين الذين في قلوبهم شك ينظرون إليك نظر من غشي عليه من شدة الخوف والرعب، فأولى لهم من النكوص عن القتال والخوف منه.

(٢١) أن يطيعوا ما أمر به الله، وأن يقولوا قولاً معروفًا لا نكر فيه. فإذا فرض القتال فلو صدقوا الله في إيمانهم به، لكان خيراً لهم من النفاق وعصيان أمر الله.

(٢٢) فلعلكم إن أعرضتم عن الإيمان بالله، تفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي، وتقطعون أرحامكم؛ كحالكم في الجاهلية.

(٢٣) أولئك المتصفون بتلك الصفات الذميمة هم الذين أبعدهم الله عن رحمته، وأصم آذانهم عن سماع الحق سماع قبول، وأعمى أبصارهم فلا يعتبرون بما عاينوا.

(٢٤) فهلا تدبروا القرآن، فلو تدبروه لأرشدكم إلى كل خير، أم على قلوب هؤلاء أقفالها، فلا تعظ ولا تتذكر؟

(١٦) ويخبر الله نبيه أن من المنافقين من يستمع إليه سماع المعرض، حتى إذا خرجوا من عنده قالوا لأصحابه: ماذا قال في حديثه قريباً؟، أولئك هم الذين ختم الله على قلوبهم، فلا تنتفع بخبر، واتبعوا أهواءهم، فأعموا عن إِبصار الحق.

(١٧) والذين اهتدوا إلى طريق الحق، زادهم ربهم هداية وتوفيقاً للخير، وألهمهم عمل ما ينجيهم ويقيهم من النار.

(١٨) فهل ينظر الكفار إلا أن تأتيهم الساعة فجأة؟ فقد جاءت علاماتها، فكيف لهم أن يتذكروا إذا جاءتهم الساعة؟ وأنى لهم الانتفاع بالذكرى.

(١٩) ويأمر الله رسوله أن يوقن أن لا معبود بحق غير الله، وأن يطلب من الله المغفرة لذنوبه، ولذنوب المؤمنين، وذنوب المؤمنات، والله يعلم تصرفهم في نهارهم، ومستقرهم بليلهم.

(٢٠) ويقول الذين آمنوا بالله: هلا أنزل الله سورة فيها ذكر القتال: فإذا أنزل الله سورة محكمة تشتمل على ذكر

﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ : هذه الآية تؤكد ما ذكرناه آنفاً عن الحقيقة التي كشف عنها العلم الحديث والمتملة بتبديد الوهم الذي كان يسيطر على فكر الأطباء منذ القديم؛ والذي مفاده أن القلب مقتصر عمله على ضخ الدم النقي إلى أنحاء الجسد لتغذيته وما كان فاسداً إلى الرئتين لتنقيته، واستقبال الدم النقي من الرئتين والفاسد من الجسد، فالأول لإمداد الجسد به والثاني لإرساله للرئتين كي يتخلص من السموم والشوائب؛ حيث إن العلماء قد وجدوا أن للقلب مهام أخرى جسيمة وخطيرة؛ فهو مركز الشعور والعاطفة والفهم وإدراك حقائق الأشياء، كما أن علاقته بالدماع وثيقة على مدار الزمن، ولذلك نجد هذه الآية تتسبب الإعراض عن قبول الحق وإنكارهم لقواطع البراهين على ثبوت الحق إلى تلك القلوب التي مرضت؛ ولم يعد لديها مجال لنفوذ أنوار الهدى بسبب الفجور واتباع الهوى والاستكبار.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا عَلَىٰ آذَانِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴿٥٥﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ قَالُوا
لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٥٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ
يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ أَنْتَعَوْا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٥٨﴾
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ
فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

- (٢٥) إن الذين ارتدوا عن إيمانهم من بعدما قامت عليهم الحجة، وتبين لهم صدق النبي ﷺ، الشيطان حسن لهم الكفر والنفاق، وغرهم بطول الأمل.
- (٢٦) ما حصل لهم من الإضلال لهم بسبب أنهم قالوا؛ سرًا للمشركين الكافرين ما نزل الله على رسوله من الوحي: سنطيعكم في بعض الأمر كالشيطان عن القتال، والله يعلم إسرارهم، لا يخفى عليه شيء.
- (٢٧) فكيف ترى حالهم إذا قبضت أرواحهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم.
- (٢٨) ذلك الحاصل عند قبض أرواحهم لأنهم اتبعوا ما أسخط الله عليهم من الكفر والنفاق، وكرهوا ما يقربهم من ربهم من الإيمان به والطاعة، فأبطل أعمالهم بكفرهم.
- (٢٩) أم ظن الذين في قلوبهم شك أن لن يخرج الله أحقادهم ويكشفها، ليظهرنها بالابتلاء بالمحن ليميز صادق الإيمان من كاذبه، ويتضح المؤمن، ويفتضح المنافق.
- (٣٠) ولو نشاء لعرفناك - أيها الرسول - المنافقين، فلعرفتهم بعلاقتهم، ولتعرفتهم كذلك من فحوى كلامهم، والله يعلم أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

٢٤ اكتشاف العلماء حقائق تثبت أن القلب له وظائف وآثار خطيرة منها:

- ١) في القلب هرمونات ناقلة ترسل إلى الجسم كله مما يعني أنه مركز تعقل.
 - ٢) وجود شبكة خلايا عصبية تعمل باستقلالية عن المخ، وهي للتعلم والتذكر والإحساس.
 - ٣) هناك علاقة ديناميكية ثنائية الاتجاه بين القلب والمخ، وتتم عبر وسائل أربعة هي:
 - أ - النبضات العصبية التي يؤثر بها القلب على المخ.
 - ب - هرمونات كيميائية يفرزها القلب.
 - ج - موجات ضغط فيزيائية تتبعث من القلب وهي عالية جداً.
 - د - طاقة مجال كهرومغناطيس، ويمكن قياسها بأجهزة حساسة.
- ويقرر العلماء أن المجال الكهربائي للقلب أقوى ستين مرة من المخ. كما يقررون بأن المجال المغناطيسي للقلب أقوى خمسة آلاف مرة من المخ، لذلك كله أصبح من اليقينيات العلمية بأن القلب مركز القضايا الحساسة والهامة في شخصية الإنسان، ومن ذلك الأمور الروحية وقضايا الإيمان والكفر. ونؤكد ما أشرنا إليه عند الآية (١٦) من هذه السورة على الحقيقة التي كشف العلم الحديث عنها؛ والتي تؤكد على أن القلب هو مركز الإدراك والفهم والشعور وغير ذلك بالدرجة الأولى وبشكل منسق ومتسق مع الدماغ وعبر قنوات المعرفة من السمع والبصر واللمس والذوق وغير ذلك من موارد الاستشعار والتعرف. وهنا نقول إن وصف القلوب المعرضة عن التدبر والفهم ومعرفة الحق وقبوله بالمقابلة يمثل تصويراً دقيقاً لحالة السقم المستحکم في تلك القلوب نتيجة استغراق أصحابها في آثام الشهوات واستمرارهم على الاستكبار والعناد وعبادة غير الله وتماديهم في طغيانهم اللعين. وهنا نشير إلى حديث رسول الله ﷺ: « تعرض الفتن على القلوب ... ».

٢٩ سبقت الإشارة إلى وظيفة القلب في الآية السابقة.



﴿ وَلَنبَلِّغُنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَنَبَلِّغُوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَافَرُوا
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يُضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ بِأَعْمَلِهِمْ ﴾ (٣٢) يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا
وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتَرَكَ أَعْمَلَكُمْ ﴾ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَإِنْ تَوَمَّنُوا وَتَنَقَّوْا يُؤْتِكُمْ
أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ (٣٦) إِنْ سَأَلْتُمْوهَا فَيُخَفِّفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُضْرِحْ أَضْغَنَكُمْ ﴾ (٣٧) هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ
لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلْ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا
يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٣٨) ﴿

ويخبرهم أنهم هم القاهرون الغالبون لهم، والله معهم
بنصره وتأييده، ولن ينقصهم من ثواب أعمالكم شيئاً،
بل يزيدهم منّا منه.

(٣٦) إنما الحياة الدنيا لعب ولهو فلا تشغل عن الآخرة، وإن
تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله يعطكم ثواب أعمالكم
غير منقوص، ولا يطلب منكم أموالكم .

(٣٧) إن يطلب منكم أموالكم، ويلج في طلبها منكم تبخلوا
بها، ويخرج ما في قلوبكم من الضغن.

(٣٨) ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا سبيراً من أموالكم في سبيل
الله، فمنكم من يمتنع بخلا منه، ومن يبخل، وإنما يبخل
على نفسه بحرمانها من ثواب الإنفاق، والله الغني فلا
يحتاج إلى إنفاقكم، وأنتم الفقراء إليه، وإلى ثوابه وإن
ترجعوا عن الإسلام يهلككم، ويأت بقوم غيركم، ثم لا
يكونون أمثالكم، بل يكونون مطيعين له.

(٣١) ويخبر الله رسوله خبراً مؤكداً أنه سيختبر المؤمنين
بالجهاد، والقتال والقتل حتى يعلم الله علماً يظهر للناس
المجاهدين منهم، والصابرين، ويعلم الصادق منكم
والكاذب.

(٣٢) إن الذين كفروا، وصرفوا عن دين الله أنفسهم، وصرفوا
غيرهم، وخالفوا رسوله وعادوه من بعد ما تبين لهم
صدقه لن يضرّوا الله، وإنما يضرّون أنفسهم، وسيبطل
الله أعمالهم، ويعذبهم.

(٣٣) وينادي الله عباده المؤمنين أمراً إياهم بطاعته وطاعة
رسوله، وناهياً إياهم عن إبطال أعمالهم بالكفر والرياء .

(٣٤) إن الذين كفروا بالله، وصرفوا أنفسهم، وصرفوا الناس
عن دين الله، ثم ماتوا على كفرهم، فلن يغفر الله لهم
ذنوبهم، بل سيؤاخذهم بها، ويدخلهم النار .

(٣٥) وينهى الله المؤمنين أن يضعفوا عن مقارعة عدوهم، وعن
دعوتهم عدوهم إلى الصلح قبل أن يدعوهم هم إليه،

٢٠ عرف من القدم أنه كان يوجد قافة ومتفرسون يقومون بتتبع الآثار لمعرفة الحقائق ولكن لم يكن ذلك عن منهجية
علمية في حين أن قوله تعالى: ﴿ فلعرفتهم بسيماهم ﴾ يشير إلى إمكان حصول ذلك علمياً.
حيث أمكن بالدراسات العلمية التي تعتمد على برمجة مختلف حركات عضلات الوجه « سيماء الوجه » وربطها بالحالات
الشعورية التي تصاحبها كالغضب والسرور والخوف والقلق واللامبالاة والانتباه وغيرها، ثم يجري تصوير سيماء الوجه
أثناء استجواب كل مشتبته. ومن خلال مخالفة الأشكال التي تأخذها عضلات وجهه، وكذلك في التدقيق في الكلام
وتسجيله يمكن التعرف على حقيقة شعور المتهم ومدى صدقه.

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَنَّهُنَّ الْكَافِرُونَ عَالِمِينَ دَائِرَةٌ السَّوَاءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيَهُ وَنُسَّخِجُوهُ بِكُفْرِهِ وَآصِيَالًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ۝

والأرض يؤيد بها من يشاء، وكان الله عزيزا، لا يغالبه أحد، حكيما في خلقه وتقديره.

﴿٨﴾ إنا بعثناك - أيها الرسول - شاهدا على أمتك يوم القيامة، ومبشرا المؤمنين في الدنيا بالنصر والتمكين، وفي الآخرة بالنعيم، ومحذرا الكفار في الدنيا من الذلة والهزيمة، وفي الآخرة من العذاب المؤلم الذي ينتظرهم.

﴿٩﴾ كل ذلك لتؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعظموا رسوله وتجلوه وتسبحوه أول النهار وآخره.

﴿١٠﴾ إن الذين يبايعونك - أيها الرسول - على قتال أهل مكة المشركين إنما يبايعون الله؛ لأنه هو الذي أمرهم بقتالهم، وهو الذي يثيبهم، يد الله عند البيعة فوق أيديهم، فمن نقض بيعته، ولم يوف بما عاهد عليه الله من نصر دينه، فإنما ضرر نقضه لبيعته، ونقضه لعهد عليه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله من نصر دينه، فسيعطيه جزاء عظيما في الآخرة.

﴿١١﴾ سيقول لك - أيها الرسول - المخلفون من الأعراب عن مرافقتك في عمرتك: شغلنا رعاية أموالنا، ورعاية أولادنا عن السير معك، فاطلب لنا المغفرة من الله، يقولون: بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويأمر الله نبيه أن يقول لهم: لا أحد يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم خيرا، أو أراد بكم شرا، بل كان الله بما تعملون خبيرا مهما أخفيتموه.

﴿١﴾ إنا فتحنا بصلح الحديبية لك - أيها الرسول - فتحا واضحا لا لبس فيه.

﴿٢﴾ ليغفر لك الله ما تقدم قبل الفتح من ذنبك، وما تأخر بعده، ويكمل نعمته عليك بنصر دعوتك، ويهديك طريقا مستقيما، هو طريق الإسلام المستقيم.

﴿٣﴾ وينصرك الله على أعدائك نصرا عزيزا، لا يردّه أحد.

﴿٤﴾ الله هو الذي أنزل الطمأنينة في قلوب المؤمنين؛ ليزدادوا إيمانا على إيمانهم، والله جنود السماوات والأرض يؤيد بها من يشاء، وكان الله عليما بمصالح عباده، حكيما فيما يقدره من نصر.

﴿٥﴾ ليدخل المؤمنون، والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار، ويمحو عنهم سيئاتهم، فلا يعاقبهم بها، وكان ذلك الجزاء، عند الله فوزا عظيما لا يقاربه فوز.

﴿٦﴾ ويعذب المنافقين والمنافقات، ويعذب المشركين، والمشركات الظالمين بالله أنه خادل دينه، وأن المؤمنين مغلوبون، فكانت الدائرة عليهم، وغضب الله عليهم بسبب ظنهم السيء، وطردهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة جهنم يدخلونها خالدين فيها أبدا، وساءت جهنم مرجعا يرجع إليه.

﴿٧﴾ وردا على ظنهم السيئ يثبت الله أن له جنود السماوات



﴿ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوَاءً وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَبَعَكُم يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ أَقُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدُّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ۞

- (١٢) ليست رعاية الأموال والأولاد سبب تخلفكم عن السير معه، بل ظننتم أن الرسول وأصحابه لا يرجعون إلى أهلهم في المدينة، بل سيهلكون وحسن الشيطان لكم ذلك في قلوبكم، وظننتم أن الله لن ينصر نبيه، وكنتم قوما هلكى بسوء ظنكم بالله وتخلفكم عن رسوله.
- (١٣) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فجزاؤه النار، وقد أعدنا يوم القيامة للكافرين بالله نارا مستعرة.
- (١٤) ولله وحده ملك السماوات، وملك الأرض، يغفر لمن يشاء، فيدخله الجنة بفضل، ويعذب من يشاء من عباده بعدله، وكان الله غفورا لذنوب من تاب من عباده، رحيمًا بهم.
- (١٥) سيقول المخلفون إذا انطلقتم - أيها المؤمنون - إلى غنائم خبير التي وعدكم الله إياها بعد صلح الحديبية؛ لتأخذوها: اتركونا نخرج معكم، يريدون أن يبدلوا بطلبهم هذا وعد الله الذي وعد به المؤمنين بعد صلح الحديبية أن يعطيهم وحدهم غنائم خبير، فيأمر الله نبيه أن يقول لهم: لن تتبعونا، فقد وعدنا الله أن غنائم خبير خاصة بمن شهد الحديبية، فيقولون: منعنا من اتباعكم إلى خبير ليس بأمر من الله، بل بحسدكم لنا، وليس الأمر كما زعموا، بل هم لا يفقهون أوامر الله، ونواهيه إلا قليلاً.
- (١٦) ويأمر الله رسوله أن يقول للمخلفين مختبراً إياهم: ستدعون إلى قتال قوم مثل فارس والروم أصحاب بأس قوي، تقاتلونهم في سبيل الله، أو يدخلون في الإسلام من غير قتال، فإن تطيعوا الله في قتالهم يعطكم أجراً حسناً هو الجنة، وإن تتولوا عن طاعته كتوليكم عنها حين تخلفتهم عن السير معه يعذبكم عذاباً موجعاً.
- (١٧) ليس على من به عى أو عرج أو مرض إثم إذا تخلف عن القتال في سبيل الله، ومن يطع الله، ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، ومن يعرض عن طاعتها يعذبه في الآخرة عذاباً موجعاً.
- (١٨) ويؤكد الله لنبيه رضاه عن المؤمنين إذ يبايعونه في الحديبية بيعة تحت الشجرة، فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص والصدق، فأنزل الطمأنينة على قلوبهم، وجزاهم على ذلك عما فاتهم من دخول مكة فتح خبير.
- (١٩) وأعطاهم غنائم كثيرة يأخذونها من يهود خبير، وكان الله عزيزاً، لا يغالبه أحد، حكيمًا في خلقه وتقديره.
- (٢٠) وعدكم الله - أيها المؤمنون - مغنم كثيرة تأخذونها في الفتوح في المستقبل، فعجل لكم مغنم خبير، وكف أيدي اليهود لما هموا أن ينالوا من أهلبيكم بعدكم، ولتكون هذه المغنم المعجلة آية لكم على نصر الله لكم، ويهديكم الله طريقاً مستقيماً لا اعوجاج فيه.

﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَذْبَنُرُ ثَمَّ لَا يَجِدُونَ وِلْيَانًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَيُضَيِّبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَو تَزَلَّيْنَا لَعَذَابُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ۝

- (٢١) ووعدكم الله مغنم أخرى لم تقدرُوا عليها في هذا الوقت، الله وحده هو القادر عليها، وهي في علمه وتدييره، وكان الله على كل شيء قديرًا، لا يعجزه شيء.
- (٢٢) ولو قاتلكم - أيها المؤمنون - الكفار لولوا منهزمين أمامكم، ثم لا يجدون وليًا يتولى أمرهم، ولا يجدون نصيرًا ينصرهم على قتالكم.
- (٢٣) وانتهاء الصراع بغلبة المؤمنين، وهزيمة الكافرين سنة ثابتة، فهي سنة الله في الأمم التي مضت، ولن تجد - أيها الرسول - لسنة الله الثابتة تبديلاً.
- (٢٤) وهو الذي كف أيدي المشركين عنكم حين أرادوا إصابتكم بسوء بالحديبية، وكف أيديكم عنهم، فلم تؤذوهم، بل أطلقتم سراحهم بعد أن أقدركم على أسرهم، وكان الله بما تعملون بصيرًا.
- (٢٥) هم الذين كفروا، وصدوكم عن المسجد الحرام، ومنعوا الهدى، فبقي محبوسا عن الوصول إلى محل ذبحه بالحرم، ولولا وجود رجال مؤمنين، ونساء مؤمنات، لاتعرفونهم لولا أن تقتلوهم مع الكفار، فيصيبكم من قتلهم إثم وديات بغير علم منكم لأذن لكم في فتح مكة؛ ليدخل الله في رحمته من يشاء، لو انفصل الذين كفروا عن المؤمنين في مكة لعذبنا الكفار عذابا موجعا.
- (٢٦) إذ جعل الكفار في قلوبهم الأنفة أنفة الجاهلية المرتبطة بالهوى، فأنفوا أن يدخل رسول الله ﷺ عليهم عام الحديبية؛ خوفا من تعبيرهم بالهزيمة أمامه، فأنزل الله الطمأنينة على رسوله، وعلى المؤمنين، فلم يجازوا الكفار بمثل صنيعهم، وألزم الله المؤمنين كلمة لا إله إلا الله، والقيام بحقها، وكان المؤمنون أحق بها من غيرهم، وكانوا أصحابها المستأهلين لها؛ لما علم الله في قلوبهم من الخير، وكان الله بكل شيء عليما، لا يخفى عليه شيء..
- (٢٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق حين أراه إياها في منامه وأخبر بها أصحابه وهي أنه هو وأصحابه يدخلون بيت الله الحرام آمنين من عدوهم منهم المحلق، ومنهم المقصر؛ إيدانا بنهاية نسكهم، فعلم الله من مصلحتكم - أيها المؤمنون - ما لم تعلموا أنتم، فجعل من دون تحقيق الرؤيا بدخول مكة تلك السنة فتحا قريبا، هو صلح الحديبية، وفتح خيبر على أيدي من حضروا الحديبية.
- (٢٨) الله هو الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبيان الواضح، ودين الإسلام ليعليه على الأديان المخالفة، وقد شهد الله على ذلك، وكفى بالله شاهدا.



﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ذَلِكَ مِثْلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمِثْلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَّرَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

أنهم في تعاونهم، وكمالهم كزرع أخرج صغاره، فقوي فاستوى على سيقانه يعجب الزراع كماله وقوته؛ ليغيظ بهم الله الكفار، وعد الله الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة من الصحابة مغفرة لذنوبهم، وثوابا عظيما من عنده هو الجنة.

(٢٩) محمد رسول الله وصحابته الذين معه أشداء على الكفار المحاربين، رحماء بينهم متوادون، تراهم - أيها الناظر - ركعا سجدا لربهم، يطلبون فضل الله ورضوانه، علامتهم في وجوههم من آثار السجود لله، ذلك وصفهم الذي وصفتهم به التوراة، وأما مثلهم في الإنجيل فهو

٢٩ تشير الآية الكريمة إلى سمات النبي محمد ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم فهم أشداء على الكفار المحاربين ، رحماء فيما بينهم كمؤمنين ، ركعا سجدا ، يبتغون الفضل والرضوان من ربهم ، لهم سمات في وجوههم من أثر السجود كإشراقه الوجه وهذا مثلهم في التوراة . أما مثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه . « والشطء : فَرَخُ الزَّرْعِ والنخل . قال ابن كثير: (أخرج شطأه) أي: فراخه ، (فأزره) أي: شده (فاستغلظ) أي: شب و طال ، (فاستوى على سوقه يعجب الزراع) أي : فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع . وقال الطاهر بن عاشور: وذلك يتضمن تشبيهه بدء دين الإسلام ضعيفا وتقويه يوما فيوما حتى استحکم أمره وتغلب على أعدائه . وهذا بأن يشبهه محمد ﷺ بالزراع ويشبهه المؤمنون الأولون بحبات الزرع التي يبذرهما في الأرض ، والشطء : من أيدوا المسلمين . وتشير الدراسات أن القمح والشعير والأرز والذرة الرفيعة وقصب السكر والنخيل هي من النباتات ذوات الفلقة الواحدة وخاصة العائلة النجيلية وهي التي تخرج أشطاء مماثلة تماما للساق الأصلي الذي يظهر مباشرة من الحبة بعد إنباتها . ونمو هذا الشطء لا يكون من الحبة ، ولكن من البراعم الموجودة على العقد السفلي للساق تحت سطح التربة مباشرة إلى أن يتكون عدد من الأشطاء قد يصل إلى ٣٠ شطا حسب نوع النبات وظروف البيئة المحيطة به . والشطا يشبه الأصل تماما ، وهو يختلف عن الفرع الذي يعرف بالإنجليزية (Branch) وهذا الأخير يختلف عن الأصل قليلا ، ويظهر في أي منطقة علي طول الساق كما هو في القطن والذرة والبقول مثلا . وهذه حقيقة واضحة الآن ، وتم تأكيدها بالبحوث الدقيقة التي تمت بواسطة أجهزة دقيقة وفحوص ميكروسكوبية لتأكيد العلاقة بين الشطاء والأصل . وأن الشطاء يدعم الساق والساق يدعمه في الغذاء وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان في كلمة: (فَأَزَرَهُ) . وأن الفاء في قوله تعالى (فأزره ، فاستغلظ ، فاستوى) هنا تعني التتابع أي أن الشطاء يخرج أولاً ثم تتم بعد ذلك المؤازرة ، ثم الاستغلاظ . وهذا المثل يضع بين أيدينا صورة المجتمع الإسلامي المتعاون الذي يصمد أمام فتن الأعداء وهجماتهم والذي تمثل بجلاء في المجتمع الإسلامي الأول . رحماء بينهم : فهم على حالتهم هذه في حالة تراحم بينهم يعين كل منهما الآخر ليزداد قوة ومنعة وهذا ما وجده العلماء في مثل هذا الزرع إذ يعاون الأصل الفرع (فأزره) في الأيام الأولى من حياته . ويقوم الفرع بنفس العملية عندما يعطي هو فرعاً آخر . وأكثر من ذلك أن الفروع عندما تكبر وقبل نضجها تعطي الأصول حين الحاجة مواد غذائية .

سورة الحجرات

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانْفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَلَبَا فَطَاحِلَا فَاَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْتَا إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ۝﴾

- (١) ينادي الله المؤمنين محذراً إياهم من التقدم بين يديه ويدي رسوله بقول أو فعل، وأمر إياهم بتقوى الله، ومخبر إياهم بأن الله سميع لأقوالهم، عليم بأفعالهم.
- (٢) ويناديهم أمراً إياهم أن يتأدبوا مع رسوله، فلا يرفعوا أصواتهم بحضرته، ولا يجهروا له بالكلام كما يجهر بعضهم لبعض؛ حتى لا يبطل ثواب أعمالهم، وهم لا يشعرون ببطلان ثوابها.
- (٣) إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله، أولئك هم الذين امتحن الله قلوبهم لتقواه، وأخلصهم لها، ثوابهم مغفرة لذنوبهم، ولهم ثواب عظيم يوم القيامة، هو الجنة.
- (٤) إن الذين ينادون الرسول من الأعراب من وراء حجرات نسائه، معظمهم لا يعقلون، إذ لو كانوا يعقلون لتأدبوا معه، ولصبروا حتى يخرج إليهم، فإذا خرج إليهم خاطبوه بخفض أصواتهم.
- (٥) ولو أن هؤلاء الذين ينادون الرسول من وراء حجرات نسائه صبروا، حتى يخرج إليهم، فيخاطبوه بأدب لكان ذلك خيراً لهم من نداءه من ورائها، والله غفور لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم، رحيم بهم.
- (٦) وينادي الله الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بخبر عن قوم، فتثبتوا من صحة خبره، ولا تبادروا إلى تصديقه؛ خوفاً أن تصيبوا - إذا صدقت خبره دون تثبت - قوماً بجهالة، فتصبحوا بعد إصابتكم لهم نادمين عندما يتبين لكم كذب خبره.
- (٧) واعلموا أن فيكم رسول الله ينزل عليه الوحي، وهو أدرى بمصلحتكم، لو يطيعكم في كثير مما تقترحونه لحصلت لكم مشقة، ولكن الله حبب إليكم الإيمان، وحسنه في قلوبكم، فأمتتم، وكره إليكم الكفر، والخروج عن الطاعة، وكره إليكم معصيته، أولئك المتصفون بهذه الصفات هم السالكون طريق الصواب.
- (٨) وما حصل لهم من ذلك إنما هو فضل من الله، ونعمة أنعمها عليهم، والله عليم بمن يشكره من عباده، فيوفقه، حكيم فيما يقدره.
- (٩) ويأمر الله المؤمنين في حال اقتتال فريقين منهم بالإصلاح بينهما بدعوتهما إلى تحكيم شرع الله في خلافهما، فإن أبت إحداهما عن الصلح، واعتدت فليقاتلوا المعتدية حتى ترجع إلى حكم الله، فإن رجعت إلى حكم الله، فليصلحوا بينهما بالعدل، وليعدلوا في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين في حكمهم.



﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّسَانِ بِبُغْضٍ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴿١٦﴾

واحد أبيكم آدم، وأنثى واحدة أمكم حواء، فلا يفخر بعضهم على بعض في النسب، وجعلهم الله بعد ذلك شعوبا عديدة، وقبائل منتشرة؛ ليعرف بعضهم بعضا، لا ليفخر عليه، لأن معيار الفضل التقوى، لا النسب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم بأحوالكم، خير بما فيكم من كمال ونقص.

(١٤) قالت الإعراب من بني أسد لما قدموا على النبي ﷺ: أمنا بالله وبرسوله، فأمر الله رسوله أن يقوله لهم: لم تؤمنوا، ولكن قولوا: استسلمنا، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم، ويتوقع له أن يدخلها، وإن تطيعوا - أيها الأعراب - الله ورسوله، لا ينقصكم الله شيئا من ثواب أعمالكم، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

(١٥) إنما المؤمنون هم الذين آمنوا بالله، وبرسوله، ثم لم يدخل شك في قلوبهم، وجاهدوا بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله، لم يرضوا بشيء منها، أولئك المتصفون بتلك الصفات هم الصادقون في إيمانهم.

(١٦) ويأمر الله نبيه أن يقول لهؤلاء الأعراب: أتعلمون الله، وتشعرونه بدينكم؟ وهو الذي يعلم ما في السماوات، ويعلم ما في الأرض، وهو بكل شيء عليم، فلا يحتاج إلى إعلامكم إياه بدينكم.

(١٠) إنما المؤمنون إخوة في الدين، والأخوة فيه تقتضي الإصلاح بين الأخوين المتنازعين، فأصلحوا بينهما واتقوا الله؛ لعل الله يرحمكم.

(١١) وينادي الله المؤمنين محذرا إياهم أن يستهزئ بعض منهم ببعض عسى أن يكون المستهزا بهم خيرا عند الله، أو أن يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكون المستهزا بهن خيرا عند الله، أو يعيبوا أنفسهم إخوانهم فهي مثل أنفسهم هم، أو يدعو بعضهم بعضا بلقب يكرهه، ومن فعل ذلك منهم فهو فاسق، بثست الصفة صفة الفسق بعد الإيمان، ومن لم يتب من هذه المعاصي فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب بسبب المعصية.

(١٢) ويعيد نداء المؤمنين أمرا إياهم بالابتعاد عن كثير من التهم الخالية عن برهان، إن بعض الظن إثم كسوء الظن بمن يظهر منه الصلاح، وناهيا إياهم عن تتبع عورات المؤمنين، أو أن يغتاب أحدكم أخاه بما يكره، فإن ذكره بما يكره مثل أكل لحمه ميتا، أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ لا، فقد كرهتم أكل لحمه ميتا، فاكرهوا اغتيابه، ثم أمرهم بتقوى الله، إن الله تواب على من تابوا، رحيم بهم.

(١٣) وينادي الله الناس مذكرا إياهم بنشاطهم الأولى من ذكر

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

(١٧) يَمُنُّ عَلَيْكَ هُوَ لاء الأعراب إسلامهم، فقل لهم - أيها الرسول: لا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، فنفع إسلامكم - إن كان - عائداً عليكم، بل الله هو الذي يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ وَفَّقَكُمْ لِلْإِسْلَامِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ.

١٧ تشير الآيات مع قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانِ .. ﴾: إلى أن الإسلام دين الفطرة، والنفس البشرية مفطورة على الإيمان.

وتشير مجموعة من الدراسات النفسية الحديثة أن الدين مطلب طبيعي للإنسان يماثل الطعام والشراب. ومن هذا المنطلق يقول الفريق العلمي: لقد اكتشفت الدراسات النفسية الدينية ثراء الدين بأرقى الأساليب العلمية.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ مَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَمْ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

- (١) ق . تقدم الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة، (٤) فيجيهم الله بعلمه بما تأكل الأرض من أجسامهم بعد موتهم، وأن عنده كتابا حافظا لما يقدره الله عليهم في حياتهم وبعد موتهم بعد البعث وعند قيامهم.
- (٢) لم يكذبك المشركون حين جئتهم، بل تعجبوا أن يأتيهم رسول منذر من جنسهم، وقالوا: مجيء رسول من البشر إلينا شيء عجيب!
- (٣) أنبعث إذا متنا؟ وصرنا ترابا، ذلك بعدما بليت أجسادنا شيء مستبعد، يستحيل أن يقع.
- (٤) فيجيهم الله بعلمه بما تأكل الأرض من أجسامهم بعد موتهم، وأن عنده كتابا حافظا لما يقدره الله عليهم في حياتهم وبعد موتهم بعد البعث وعند قيامهم.
- (٥) بل كذب المشركون بالقرآن لما جاءهم به نبئهم فهم في أمر مضطرب بشأنه.
- (٦) أفلم ينظر المكذبون بالبعث إلى السماء فوقهم كيف خلقناها، وبنيناها، وزيناها بالنجوم، وما لها شقوق، فمن خلق السماء لا يعجز عن بعث الموتى.



﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾

- (٧) والأرض بسطناها للاستقرار عليها، وألقينا فيها جبالا ثوابت حتى لا تضطرب، وأنبتنا فيها من كل صنف من النبات والشجر حسن المنظر.
- (٨) ليكون ذلك تبصرة، وتذكيراً لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة.
- (٩) ونزلنا من السماء ماء ذا نفع وخير، فأنبتنا به بساتين، وأنبتنا ما تحصدونه من حب الشعير ونحوه.
- (١٠) وأنبتنا به النخل طوالاً، لها طلع مترابك بعضه يعلو بعضاً.

٤ جاءت البحوث العلمية لتثبت للناس وجود نسخة من خريطة تكوين كل فرد من أبناء بني آدم محفوظة ضمن ما يطلق عليه الخريطة الوراثية حيث قد سجل فيها جميع مفردات تكوين كل فرد، وكما قال رسول الله ﷺ فإن تلك المنطقة التي كشف عنها العلماء وأطلق عليها منطقة كولر الهلالية، وينشأ منها الخيط الأولي والعقدة الأولية في مؤخرة القرص الجنيني هي نفسها التي تحفظ في منطقة عجب الذنب (العصص) ومنها يعود بنيان جسد الإنسان يوم القيامة بعد أن أصبح رميماً فتبارك الله الذي وسع كل شيء قدرة وعلماً.

٦ يستنهض الله سبحانه وتعالى همم عباده إلى مطالعة الآيات الدالة على وجوده وقدرته ووحدانيته؛ ومن ذلك النظر إلى بديع خلقه في بناء السماء وتزيينها بالنجوم والكواكب بل والمجرات المتكاثرة والتي تشكل في إحكامها وتناسقها وبديع اتساقها نسيجاً رائعاً، وكل ذلك إنما هو ضمن السماء الدنيا (الأولى) كما قال تعالى: ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾. لقد خطا الإنسان خطوات هائلة في مجالات العلوم الكونية والتقدم التكنولوجي، ولكن كل ذلك لا يمثل إلا القليل مما اشتملت عليه الأكوان التي أبدعها قيوم السموات والأرض. وتحمل دلالة عظيمة على قدرة الله وحكمته في إبداع هذه السماء وجعلها محكمة متناسقة في بنائها متنسقة فيما اشتملت عليه من نجوم وأقمار وبروج وأجرام لا يعلم عددها إلا الله. فصفحتها عندما تجلت لعلماء الفلك في عصرنا الحديث وبعد أن استعانوا بالتلسكوبات المتطورة أطلقوا عليها وصفاً جاء في القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً بأنها ذات نسيج وحبك متقن وبديع يأخذ بالألباب لا خلل فيه ولا تفاوت بل الانتظام والترابط والإحكام مع الزينة الجميلة والحلة القشبية.

٧ نتوقف هنا للإشارة إلى ملمحين من ملامح الإعجاز العلمي والمتمثلين بكلمة: (مددناها) وكلمة (ألقينا) فالأولى فيها إشارة إلى كروية الأرض لأن المد هنا يشمل كل الأرض، فالناظر إليها من أي بقعة فيها يراها ممدودة وهذا لا يكون إلا إذا كان الشيء الذي طلبنا النظر إليه كروياً وإلا فإن بعض أرجائه لن نرى فيه المد بل تنقطع رؤية المد عند حوافه إن كان غير كروي. وأما كلمة: (ألقينا) فتشير إلى إلقاء مادة الجبال من فوق بعد دفعها من الأرض، وهذا يشير إلى الحقيقة الثابتة لعلماء الأرض والمتمثلة بأن جوف الأرض السائل والمتهب قد نتج عنه اندفاع ما في بطن الأرض على شكل براكين؛ وانساحت تلك الحمم من الصهير الخارج من باطن الأرض فشكلت لدى تراكمها الجبال التي تسمى بركانية، فإن وظيفة الجبال بمثابة المراسي والأوتاد لهذه الأرض، وهنا نشير إلى أن الجبال في توزعها الحكيم على قشرة الأرض تحقق لها هذا التوازن بحيث لا تضطرب؛ وبذلك يتم للإنسان وبقية الكائنات على ظهرها الاستقرار والأمن هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن هذا النص يمتن فيه الله على الإنسان كيف شق الأرض وأوجد فيها التربة الصالحة للزراعة، وهياً في تلك التربة ما يكون سبباً في حياة النبات، كما هيأ الماء الذي هو قوام كل شيء حي، وجعل المناخ بعناصره الفازية والإشعاعية ونسبة الرطوبة متناسبا مع تلك الحياة للنبات فكانت الحصىلة من ذلك كله أن ازدانت هذه الأرض بأنواع شتى من الزروع والنباتات والأشجار المثمرة التي تتدق بأنواع متكاثرة من الثمار اليانعة. إنها يد الرحمن الحانية الكريمة التي جادت وأنعمت بذلك كله، فتبارك الله أحسن الخالقين.

﴿ رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مِّمَّا كَذَبَكَ الْخُرُوجُ ﴾ (١١) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ .

- (١١) أنبتنا ما أنبتنا من ذلك رزقا للعباد يأكلون منه، وأحيينا به بلدة لا نبات فيها، كما أحيينا بهذا المطر بلدة لا نبات فيها، كذلك نحبي الموتى، فيخرجون أحياء.
- (١٢) كذبت قبل هؤلاء المكذبين أقوام بأنبيائهم، فقد كذبت قوم نوح وأصحاب البئر، وكذبت ثمود.
- (١٣) وكذبت عاد وفرعون، وقوم لوط.
- (١٤) وكذب قوم شعيب أصحاب الأيكة، فثبت عليهم ما وعدهم الله من العذاب.
- (١٥) أفعجزنا عن خلقكم أول مرة فلن نعجز عن بعثكم؟ بل
- (١٦) يخبر الله خبرا مؤكدا عن خلقه الإنسان وعلمه بما تحدث به نفسه من الخواطر، وأنه أقرب إلى الإنسان من العرق الذي في العنق.
- (١٧) إذ يتلقى الملكان عمله، أحدهما قعيد عن يمينه، والثاني قعيد عن شماله.
- (١٨) ما ينطق من قول إلا لديه ملك رقيب على ما يقوله، حاضر.
- (١٩) وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت تنكص عنه، وتتأخر.

٩ نذكر هنا ما تقرر عند علماء الأرصاد والنبات حول مزايا الماء، وملخصه ما يلي :

١ - أصل الماء من السماء وهو ما عبر عنه الأثر الثابت عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢ - تميز الماء بسهولة التفكك إلى أيون الهيدروجين الموجب وأيون الهيدروكسيد السالب، وبسبب صغر حجم أيون الهيدروجين يستطيع التغلغل إلى كثير من المواد والقيام بالكثير من العمليات الكيميائية المهمة.

٣ - قدرة الماء بشكل متميز على إذابة المواد حتى الذهب.

٤ - قوى التماسك بين جزيئات الماء كبيرة؛ لذلك فهو يتميز بقوة الشد السطحي الكبيرة مما يجعله متماسكاً ويتسلق عبر الأنابيب الضيقة ومسافات كبيرة ولولا ذلك ما عاشت النباتات والأشجار.

كما أن ماء السماء الذي وصفه الله تعالى بالبركة لتتنوع أغراضه ووظائفه يكون من شأنه تخصيص الأرض التي تؤدي إلى جودة المحاصيل وتشكيل الغطاء النباتي الكثيف. وهكذا فإن الماء من الأسباب العظيمة في نشوء النبات، ولكن المنبت هو الله، وهو ركن أساسي في عالم الزراعة، ولكن الزارع الحقيقي هو الله؛ فبقدرته الله ينبت النبات، وبقدرته يكون الزرع وبقضائه وقدره تصبح الأشجار باسقة ومغدقة، وبإرادة الله وقدرته يقتات الإنسان بحب الحصيد فتبارك الله أحسن الخالقين.

١٦ يقرر علماء النفس بعد تجارب ومشاهدات ومقارنات بأن الحالة الوسواسية القهرية تمثل مرضاً عضالاً للنفس الإنسانية، بل قد يصيب هذا المرض شخصيات تتميز بحب النظام والرتابة والدقة في أداء الأعمال؛ بل يتمتعون بضمير يقظ وحرص على إتقان كل ما يقومون به من أعمال.

ولذلك يكون عندهم صلابة في الرأي وعدم تردد في اتخاذ القرارات، رغم تحملهم الشديد ومتابرتهم دون كلل.

إن كثيراً من الأمراض النفسية كالوسواس لا يمكن قياسها بالوسائل الطبية وإنما يتعرف عليها من خلال ظواهرها، وفي الآية إخبار من الحق تبارك وتعالى بعلمه بتلك الأمور النفسية وأسبابها وما ينتج عنها، وهذا ما لا يمكن أن يكون لبشر فسبحان من أحاط بكل شيء علماً.



﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عِينِي ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عِنْدِي ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَٰكِن كَانِ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ التَّكْمُرَ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا نُوعِدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

- (٢٠) ونفخ في القرن النفخة الثانية، ذلك يوم الوعيد للكفار والعصاة بالعذاب.
- (٢١) وجاءت كل نفس معها ملك يسوقها، وملك يشهد عليها.
- (٢٢) ويقال للمسوق: لقد كنت في الدنيا في غفلة عن هذا اليوم باغترارك بشهواتك، فكشفنا عنك غفلتك، فبصرك اليوم حاداً لا غفلة معه.
- (٢٣) وقال قرينه من الملائكة: هذا ما لدي من عمله حاضر دون نقص.
- (٢٤) ويقول الله للملكين السائق والشاهد: ألقيا في جهنم كل جحود للحق، معاند.
- (٢٥) كثير المنع لما عليه من حق، متجاوز لحدود الله، شاكاً فيما جاءه.
- (٢٦) الذي جعل مع الله معبوداً آخر، فألقياه في العذاب الشديد.
- (٢٧) قال قرينه من الشياطين: ربنا ما أضللتته، ولكن كان في ضلال بعيد.
- (٢٨) قال الله: لا تختصموا لدي، فلا فائدة من ذلك، فقد قدمت لكم في الدنيا الوعيد الشديد لمن كفر بي وعصاني.
- (٢٩) ما يغير القول لدي، ولا يخلف وعدي، ولا أظلم العبيد بنقص حسناتهم، ولا بزيادة سيئاتهم، بل أجزئهم بما عملوا.
- (٣٠) يوم يقول الله لجهنم: هل امتلأت من الكفار والعصاة، فتجيب ربها: هل من مزيد؛ غضبا على الكفار والعصاة.
- (٣١) وقربت الجنة للمتقين، فعينوا ما فيها من النعيم.
- (٣٢) ويقال تكريماً لهم: هذا ما وعدكم الله لكل راجع إلى ربه، حافظ لأمره.
- (٣٣) من خاف الله بالسر، ولقي الله بقلب سليم منيب إليه، خاضع، ويقال لهم:
- (٣٤) ادخلوا الجنة سالمين مما تكرر هون، ذلك يوم البقاء الذي لا موت بعده.
- (٣٥) لهم ما يشاءون فيها من النعيم الذي لا ينفد، ولدينا مزيد، ومنه رؤية الله.

١٧ هاتان الآيتان (١٧، ١٨) تذكران أمراً كان يستبعده الملاحدة لانسياقتهم مع نفوسهم الراضية للحق والتي اعتادت على إنكار كل مالم تدركه عقولهم القاصرة وذلك أن هاتين الآيتين تبينان أن هناك ملكين يحصيان على الإنسان ما يعمله وما ينطق به من أمور حسنة أو سيئة، وذلك يشمل كل إنسان منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد يقول قائل في الزمن الغابر مذبذباً أو مشككاً: كيف يمكن أن يكون ذلك؟ فصار بإمكان الإنسان في عصرنا المادي أن يرى كيف يتم تسجيل الأشياء في كتابة وصوت وصورة بالآلات التسجيل والأجهزة الحاسبة حيث صار يرى بأمر عينيه ما قد كان يشكك في إمكان حدوثه، والله تعالى قد أمكنه من صنع هذه الأجهزة ليريه إمكانية الكتابة وحفظها. فإذا كان هذا قدرة المخلوق فكيف بقدرة الخالق سبحانه الذي يعجزه شيء.

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَإِنَّا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٥﴾

- (٣٦) وكثيرة الأمم التي أهلكنا قبل المكذبين من أهل مكة، فبحشوا في البلاد لعلهم يجدون مهربا من العذاب فما وجدوه.
- (٣٧) إن في إهلاك الأمم السابقة لتذكيرا لمن كان له قلب يعقل به، أو أنصت بسمعه حاضر القلب.
- (٣٨) ولقد خلقنا السماوات، وخلقنا الأرض، وما بين السماوات والأرض في ستة أيام، وما أصابنا - كما يزعم اليهود - من تعب.
- (٣٩) ويأمر الله رسوله بالصبر على ما يقوله اليهود وغيرهم وأن يصلي لربه حامدا إياه صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، والظهر والعصر قبل غروبها.
- (٤٠) ويأمره أن يصلي له من الليل، ويسبحه بعد الصلوات.
- (٤١) ويأمره أن يستمع يوم ينادي الملك الموكل بالنفخ في الصور النفخة الثانية، من مكان قريب.
- (٤٢) يوم يسمع الخلائق صيحة البعث بالحق، ذلك اليوم يوم بعث الأموات من قبورهم للجزاء.
- (٤٣) إنا نحن نحيي، ونميت، لا غيرنا، وإلينا وحدنا رجوع العباد يوم القيامة.
- (٤٤) يوم تتشقق عنهم الأرض، فيخرجون مسرعين، ذلك حشر علينا سهل.
- (٤٥) نحن أعلم بما يقوله المكذبون، وما أنت - أيها الرسول - بمسلط عليهم فتكرهم على الإيمان، وإنما أنت مبلغ، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي فهو من يتعظ.

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالذَّارِبَاتِ دَرُورًا ﴿١﴾ فَالْحَدِيدِ ﴿٢﴾ فَالْجُرَيْدِ ﴿٣﴾ فَأَلْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِقُ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ ﴾

- (١) يقسم الله بالرياح تذرو التراب.
- (٢) وبالسحاب يحمل الماء الغزير.
- (٣) وبالسفن تجري في البحر بسهولة.
- (٤) وبالملائكة تقسم ما أمرها الله بتقسيمه من أمر.
- (٥) إن ما توعدون به من الحساب والجزاء لحق ثابت.
- (٦) وإن الحساب يوم القيامة لواقع لامحالة.
- (٧) ويقسم بالسماء ذات الحبوب.



﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَن أُوْكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَأْذِنُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِءَ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا أَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَفْهِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ۞

- (٨) على أن أهل مكة في قول مختلف بشأن القرآن وبشأن الرسول حيث يعنتونهما تارة بالسحر وتارة بالشعر.
- (٩) يصرف عن الإيمان من صرف لعلم الله أنه لا يؤمن.
- (١٠) لعن الكذابون الذين نعتوا القرآن ونبيهم بما لا يليق.
- (١١) الذين هم في جهل غافلون عن الدار الآخرة.
- (١٢) يسألون سؤال استبعاد متى يوم الجزاء؟.
- (١٣) فيجابون: يوم هم على النار يعذبون.
- (١٤) يقال لهم: ذوقوا عذابكم، هذا هو الذي كنتم تسألون تعجيله؛ استهزاء.
- (١٥) إن المتقين يوم القيامة في بساتين وعيون جارية.
- (١٦) آخذين ما أعطاهم ربهم من الجزاء الجزيل، إنهم كانوا قبل هذا الجزاء محسنين في الدنيا.
- (١٧) كانوا يصلون من الليل، لا ينامون إلا فترة قليلة.
- (١٨) وفي وقت الأسحار يطلبون المغفرة من الله.
- (١٩) وفي أموالهم حق للسائل من الناس، والذي لا يسأل؛ حياء، فيحرم من الصدقة.
- (٢٠) وفي الأرض وما أودع فيها دلالات على قدرة الله للمؤمنين أن الله هو الخالق القادر.
- (٢١) وفي أنفسكم - أيها الناس - براهين على قدرة الله، أفلا تبصرون إبصار اعتبار.
- (٢٢) وفي السماء رزقكم الديني والديني، وما توعدون من الجزاء في الدارين.
- (٢٣) فأقسم رب السماء والأرض إن البعث لحق لا مرية فيه، كما لا مرية في كلامكم حين تتكلمون.

٧ أشارت الآية الكريمة (والسماوات ذات الحجب) إلى أن شكل السماء يشبه النسيج، حيث اكتشف علماء الفلك حديثاً بعد معرفة تقريبية لجم الكون وتكويناته من التجمعات المجرية (كلاستر) والتجمعات المجرية الضخمة (السوبر كلاستر) أنها تشكل في الكون شكل نسيجي متشابك رائع، أسماه العلماء بالنسيج الكوني.

١٧ كشفت الأبحاث العلمية مؤخراً أن قيام الليل (وفي الثلث الأخير منه) يؤدي إلى: الحماية من ارتفاع ضغط الدم والجلطات القلبية والسكتة الدماغية والموت الفجائي، وإذا كان مصاباً بهذه الأمراض فيكون أقل عرضة للمضاعفات والوقاية من الأزمات الصدرية، والجيوب الأنفية، كما يحمي من متلازمة انقطاع التنفس الانسدادي أثناء النوم كما يقوم بحماية الجهاز الهضمي من زيادة إفراز الحامض المعدي، والقرحة، والارتجاع المريئي. وفي الوقت نفسه يحسن جهاز المناعة، حيث إنه يزيل التوتر، فيقل الكورتيزون المثبط للمناعة.

كما أنه يؤدي إلى تحسن حالة المرضى بالتهاب المفاصل سواء كانت روماتيزمية أو غير ذلك، وهو علاج ناجع من مرض «الاجهاد الزمني» لأنه يخلص الجسم من الجليسيريدات التي تتراكم في الدم، وتزيد من مخاطر الإصابة بأمراض الشرايين، وله دور كبير في تنشيط الذاكرة وتنبيه المخ وزيادة قوة التركيز والانتباه، كما يقضي من أمراض الزهايمر والاكْتئاب وغيرها. فقيام الليل وقاية وشفاء، فمن أخبر الحبيب المصطفى ﷺ بهذه الوقاية، وبأن فيها شفاء، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣)، ﴿إِنَّ هُوَ الْأَوْحَىٰ يُوْحَىٰ﴾ (النجم: ٤). وهذا ما أشار إليه قوله ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرودة لداء عن الجسد».

﴿ هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلُهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْفَظْ وَبَشِّرْهُ بِعَلِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرْقٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكُمْ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَنِ مِيزِينَ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بَرْكِيئَهُ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذَرْنَا مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾ ۝

- (٢٤) هل أتاك - أيها الرسول - حديث ضيف إبراهيم عليه السلام من الملائكة المكرمين منه.
- (٢٥) إذ دخلوا عليه فقالوا له: سلاما، قال إبراهيم: سلام، وأضمر في نفسه قوله: هؤلاء قوم لا نعرفهم.
- (٢٦) فمال إلى أهله سرّاً، فجاء من عندهم بعجل تامّ سمين؛ ظنا منه أنهم بشر.
- (٢٧) فقرّبه إليهم، قائلاً في رفق: ألا تأكلون.
- (٢٨) فلما أحجموا عن الأكل أخفى في نفسه الخوف منهم، ففطنوا له، فطمأنوه بقولهم: لا تخف، إنا رسل من عند الله، وبشروه بأنه سيولد له غلام له علم كثير.
- (٢٩) فلما سمعت امرأته البشارة أقبلت تصيح من الفرح، فلطمت وجهها، وقالت؛ متعجبة: أتلد عجوزاً؟ وهي في الأصل عقيم!
- (٣٠) قال لها الملائكة: كما أخبرناك بولد يولد لك كمال قال ربك، وما قاله لا رادّ له، إنه هو الحكيم في خلقه وتقديره، العليم بخلقهم وما يصلح لهم.
- (٣١) قال إبراهيم عليه السلام للملائكة: ما شأنكم أيها المبعثون؟
- (٣٢) قالوا؛ جواباً له: إنا أرسلنا الله إلى قوم مجرمين، يرتكبون قبائح الذنوب.
- (٣٣) لنبعث عليهم حجارة من طين متصلب.
- (٣٤) معلمة عند ربك، تبعث على المتجاوزين لحدود الله.
- (٣٥) فأخرجنا من كان في قريتهم من المؤمنين لثلاثيهم ما يصيبهم من العذاب.
- (٣٦) فما وجدنا في قريتهم إلا بيتاً واحداً من المسلمين، هو بيت لوط عليه السلام وأهله.
- (٣٧) وتركنا في قريتهم ما يدل على وقوع العذاب عليهم؛ ليعتبر به من يخاف العذاب الموجه، فلا يعمل عملهم.
- (٣٨) وفي موسى حين أرسلناه إلى فرعون بالمعجزات آية لمن يخاف العذاب الموجه.
- (٣٩) فأعرض فرعون بجانبه عن الحق، وقال في رسوله: هو ساحر يؤثر بسحره، أو مجنون يهذي بما لا يعقله.
- (٤٠) فأخذناه هو وجنوده فطرحناهم في البحر، فغرقوا، وفرعون أت بما يلام عليه من الكفر.
- (٤١) وفي عاد آية لمن يخاف العذاب الموجه حين أرسلنا عليهم الريح الخالية من كل خير.
- (٤٢) ما تترك هذه الريح من شيء أتت عليه إلا دمّرتة، وتركته كالبالي المتفتت.
- (٤٣) وفي ثمود آية لمن يخاف العذاب الموجه حين قيل لهم: استمتعوا بحياتكم إلى حين انقضاء آجالكم.
- (٤٤) فتكبّروا عن أمر ربهم؛ فأخذتهم صاعقة العذاب وهم ينتظرون نزوله لوعدهم به.
- (٤٥) فما استطاعوا أن يدفعوا عنهم ما نزل بهم من العذاب، ولم تكن لهم قوة يمتنعون بها.



﴿ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَدُّونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَاؤُهُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾ فَنُوحِلْنَاهُمْ مَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

- (٤٦) وقد أهلكنا قوم نوح بالغرق من قبل المذكورين، إنهم كانوا قوما خارجين عن طاعة الله.
- (٤٧) والسماء بنيناها بقوة، وإنا لموسعون ببسط الرزق.
- (٤٨) والأرض جعلناها مهادة للساكنين عليها، فنعمة الماهدون نحن.
- (٤٩) ومن كل شيء خلقنا صنفين؛ لعلكم تتذكرون وحدانية الله الذي خلق من كل شيء صنفين.
- (٥٠) ففرّوا إلى ثواب الله بطاعته، عن عقابه بمعصيته، إنني لكم - أيها الناس - منذر من عقابه بين النذارة.
- (٥١) ولا تجعلوا مع الله معبودا آخر، إنني لكم نذير منه، بين النذارة.
- (٥٢) مثل ذلك التكذيب من أهل مكة كذبت الأمم السابقة، فما جاءهم من رسول إلا قالوا عنه: ساحر، أو مجنون.
- (٥٣) أتواصى السابق من الكفار واللاحق على تكذيب الرسل؟ بل جمعهم على هذا طغيانهم.
- (٥٤) ويأمر الله رسوله بالإعراض عن المكذبين، ويزكيه برفع الملامة عنه، فما أنت بملوم، فقد قمت بما يلزمك.
- (٥٥) ويأمره بتذكيرهم؛ ذلك أن التذكير ينفع المؤمنين.
- (٥٦) ويذكر الله بالحكمة من خلقه الجن، والإنس وهي أن يعبدوه وحده دون شريك.
- (٥٧) فهو لا يريد منهم رزقا، ولا يريد منهم أن يطعموه.
- (٥٨) فهو وحده الرزاق، والخلائق محتاجون إلى رزقه، ذو القوة، المتين الذي لا يغلبه شيء.
- (٥٩) فإن للذين ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسول نصيبا من العذاب مثل نصيب أصحابهم السابقين، هذا النصيب له أجل محدد، فلا يطلبوا مني تعجيله قبل أجله.
- (٦٠) فويل للكفار من يومهم يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب.

٤٧ تحدثت الآية الكريمة عن حقيقة البناء الكوني، وقد ثبت يقيناً أن البناء الكوني منظم ومتسق ومحكم، وأن في الكون هندسة مبهرة، فالكون يحوي ملايين من المجرات والعديد من التجمعات المجرية، فسبحان من أحكم هذا البناء وحدثنا عنه قبل أن يكتشفه علماء الغرب بقرون طويلة. إن هذا البناء لخصه لنا القرآن بكلمة واحدة ﴿ بَنَيْنَاهَا ﴾، وهنا يتفوق القرآن الكريم على العلم من جديد، فكلمة (بناء) هي الكلمة الأنسب علمياً لوصف السماء. فسبحان القائل: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء: ٨٧).

كما أن الآية الكريمة تشير إلى أن هذا الكون يتوسع باستمرار من بداية خلقه إلى يومنا هذا، وفي قوله تعالى ﴿ لَمُوسِعُونَ ﴾ تعبير عن هذا الاتساع باسم الفاعل (موسع)، واسم الفاعل يكون في الأزمنة الثلاثة (الماضي والحال والاستقبال) كما هو معلوم لغة، أي أن هذا الاتساع بدأ في الماضي وهو مستمر في عصر نزول الآية وسيستمر إلى ما شاء الله تعالى، وتوسع الكون حقيقة لم يتمكن الإنسان من إدراكها إلا في الثلث الأول من القرن العشرين، ودار حولها الجدل حتى سلم بها أهل العلم أخيراً بعد مشاهدة التوسع الكوني بواسطة التحليل الطيفي للمجرات، وقد سبق القرآن الكريم بإقرارها قبل أربعة عشر قرناً أو يزيد، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لتلك الإشارة القرآنية الباهرة غير الله الخالق تبارك وتعالى، لتبقى هذه الومضة القرآنية الباهرة مع غيرها من الآيات القرآنية، شهادة صدق بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ كان موصولاً بالوحي من الله خالق السماوات والأرض، وأن القرآن الكريم هو معجزته الخالدة إلى قيام الساعة.

٤٨ سبقت الإشارة إلى هذا المعنى في سورة البقرة: ٢٢، طه: ٥٣، الزخرف: ١٠

٤٩ سبقت الإشارة إلى الزوجية في سور: هود: ٤٠، الرعد: ٣، النحل: ٧٢، المؤمنون: ٢٧، الشورى: ١١. وقد ثبت أن الزوجية موجودة في كل المخلوقات.

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالطُّورِ ١ ﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢ ﴿ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ٣ ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤ ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ ﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ ﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨ ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ٩ ﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سِيرًا ١٠ ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ ﴿ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ ﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ١٤ ﴿ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ١٥ ﴾ أَصْلُوهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ ﴾ .

- (١) يقسم الله بالجبل الذي كلم عليه موسى عليه السلام.
- (٢) و بالقرآن الذي هو كتاب مكتوب.
- (٣) في ورق منشور.
- (٤) و بالبيت المعمور في السماء تعمره الملائكة.
- (٥) و بالسماء المرفوعة سقفا للأرض.
- (٦) البحر المسجور: المحمي بما في أسفله بسبب ما يوجد في أسفله من براكين نارية.
- (٧) إن عذاب ربك - أيها الرسول - لواقع لا محالة .
- (٨) ليس له من دافع ولا مانع يمنعه عن الكفار.
- (٩) يوم تتحرك السماء تحركا، إيذانا بالقيامة.
- (١٠) وتسير الجبال تاركة مواقعها سيرا.
- (١١) فهلاك في ذلك اليوم للمكذبين بما أوعده الله به من العذاب.
- (١٢) الذين هم في خوض في الباطل يلعبون، لا يفكرون في عقاب أو ثواب.
- (١٣) يوم يساقون بعنف إلى نار جهنم سوقا.
- (١٤) ويويخون: هذه النار التي كنتم بها تكذبون عندما تحذركم الرسل منها.
- (١٥) ويويخون: أفسح هذا الذي شاهدتموه من العذاب؟ أم أنتم لا تشاهدونه؟.
- (١٦) عانوا حرّ هذه النار فاصبروا على معاناة حرّها، أو لا تصبروا، سواء صبركم، وعدمه، لا تجزون اليوم إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي.
- (١٧) إن المتقين لربهم في جنات ونعيم عظيم لا ينفد.

٦ ثبت لكل من علماء الأرض والبحار أن كل محيطات الأرض (بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي)، قيعانها مسجورة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي، وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساسا في قيعان البحار والمحيطات، وأن كم المياه في تلك الأحواض العملاقة - على ضخامته - لا يستطيع أن يطفئ جذوة الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض إطفاء كاملا، وأن هذه الجذوة على شدة حرارتها - أكثر من ألف درجة مئوية- لا تستطيع أن تبخر هذا الماء بالكامل، وأن هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية هو من أكثر ظواهر الأرض إبهارا للعلماء في زماننا، وهي حقيقة لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين ومن المبهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي الأمي الذي لم يركب البحر في حياته مرة واحدة، فضلا عن الغوص إلى أعماق البحار، يأتي بهذا الخبر عن ربه تعالى، فيخبر عن بحر يشتعل نارا، ويعجب الإنسان المتبصر لهذا السبق في القرآن الكريم بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الأرض التي لم يتوصل الإنسان إلى إدراكها إلا في نهايات القرن العشرين. فكما شاهدنا صدق ما أخبر الله في كتابه فسيأتي اليوم الذي يشاهد فيه أهل الكفر والفسوق والعصيان ما توعدهم الله به في الآية التالية بقوله تعالى: ﴿ إن عذاب ربك لواقع ﴾ .



﴿ فَكَفَّيْنِ يَمَاءٍ أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ وَّوَقَّهْمَ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ إِتْمَرًا بِمَا كَسَبَ رَهِيئًا ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وُعْلَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

- (١٨) يتفكحون بما أعطاهم الله من النعيم، وسلّمهم ربهم من عذاب الجحيم.
- (١٩) ويقال لهم: كلوا واشربوا مما تشتهون هنيئًا؛ جزاء لكم على أعمالكم الطيبة في الدنيا.
- (٢٠) متكئين على أرائك قد جعلت صفوفًا، وزوّجناهم بنساء بيض واسعات العيون في جمال.
- (٢١) والذين آمنوا، واتبعهم أولادهم في الإيمان ألحقتنا بهم أولادهم؛ زيادة في نعمتهم، ولو لم يعملوا عملهم، وما نقصناهم شيئًا من ثواب أعمالهم، كل إنسان محبوس بما كسبه من عمل سيء، لا يحمل عنه غيره من عمله شيئًا.
- (٢٢) وأمَدَدْنَاهُمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْفَاكِهَةِ، و بما اشتوهه من لحم.
- (٢٣) يتعاطون في الجنة كأسًا لا يهذي صاحبها بالباطل ولا يَأْتُم.
- (٢٤) ويدور عليهم خدم لهم كأنهم لؤلؤ مصون.
- (٢٥) وأقبل بعضهم على بعض، يسألونهم عن حالهم في الدنيا.
- (٢٦) فيقولون لهم: إنا كنا في الدنيا بين أهلينا خائفين من عذاب الله أن يصيبنا.
- (٢٧) فمن أَلَّهَ عَلَيْنَا بالتوفيق للإسلام، وسلّمنا من العذاب المتناهي في الحرارة.
- (٢٨) إنا كنا في الدنيا نعبد، وندعوه أن يسلمنا من عذاب النار، إنه هو البر بعباده، الرحيم بهم.
- (٢٩) ويأمر الله نبيه بأن يذكر قومه بالقرآن، ويزكيه بأنه بما أنعم عليه بالعقل والإيمان ليس بكاهن، له رأي من الجن، وليس بمجنون.
- (٣٠) أم يقول المذبذبون: إن محمدًا ليس رسولًا، بل هو شاعر نتنظر به أن يتخطفه الموت، فنستريح منه.
- (٣١) فيأمر الله رسوله أن يقول لهم: انتظروا موتي؛ لتستريحوا مني، وأنا أنتظر ما يحل بكم من عذاب؛ بتكذيبكم إياي.
- (٣٢) بل تأمرهم عقولهم أن يقولوا: إنه كاهن ومجنون؟ أتجتمع الكهانة والجنون؟ بل هم قوم متجاوزون لحدود الشرع، والعقل.
- (٣٣) أم يقول هؤلاء: إن محمدًا اختلق القرآن، لم يخلقه، بل هم يستكبرون عن الإيمان به، فيتذرعون بالقول باختلاقه إياه.
- (٣٤) فليأتوا بحديث مثله ولو مختلفًا إن كانوا صادقين في دعواهم اختلاقه إياه.
- (٣٥) أم خلقوا من غير خالق؟ أم هم الخالقون لأنفسهم، لا مخلوق دون خالق، ولا مخلوق يخلق، فليعبدوا خالقهم؟

٣٥ لا شك أن هذه الآية تحتوي على استفهام استنكاري يجزم بعدم إمكانية خلق شيء من العدم، وأن ذلك فقط لله عز وجل، ونشير إلى ما ذكرناه قبلاً في سياق سورة يونس (٣٤) وما حصل في مجمع أوبرين في روسيا - وغيره من المحاولات - لخلق خلية والتي باءت جميعها بالفشل.

﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعْمُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَعْمُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِن لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

- (٣٦) أم خلقوا السماوات والأرض؟ فخلقهما سابق لخلقهم هم، بل لا يوقنون أن الله هو الخالق، فلو أيقنوا ذلك لوحدوه.
- (٣٧) أم عندهم خزائن ربك من الرزق، فيتصرفون فيها بما يشاؤون؟ أم هم المتسلطون حسب إرادتهم؟
- (٣٨) أم لهم مصعد يصعدون به إلى السماء يستمعون فيها إلى وحي يثبت أنهم على حق، فليأت من استمع منهم إلى ذلك الوحي ببرهان واضح، يصدق دعواهم.
- (٣٩) أم له سبحانه البنات التي تكرونها، ولكم البنون الذين ترغبون فيهم؟
- (٤٠) أم تسألهم - أيها الرسول - أجرا على ما تبغى عن ربك، فهم من غرم ذلك مكلفون بما لا يقدر على.
- (٤١) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون للناس ما يطلعون عليه من الغيب؟
- (٤٢) أم يريد هؤلاء مكرا بك وبدينك، فثق بالله، فهم الممكور بهم، لا أنت.
- (٤٣) أم لهم معبود بحق غير الله؟ تنزه الله وتقدس عن الشريك.
- (٤٤) وإن يروا قطعا من السماء ساقطة يقولوا عنه: هذا سحاب ماركوم بعضه على بعض كالعادة، فهو مما اعتدناه، فلا نخاف منه.
- (٤٥) ويأمر الله رسوله أن يتركهم في جحودهم إلى أن يلاقوا يومهم الذي فيه يعذبون.
- (٤٦) يوم لا يغني عنهم مكرهم شيئا، ولا هم ينصرون بإنقاذهم من العذاب.
- (٤٧) وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذابا في الدنيا بالقتل والأسر قبل العذاب في البرزخ وقبل عذاب الآخرة، ولكن معظمهم لا يعلمون ذلك، فيتأدون على كفرهم.
- (٤٨) ويأمر الله رسوله بالصبر لقضاء ربه، ولحكمه الشرعي، فإنه بمرآي منه - سبحانه - ورعاية، وأن يسبح بحمد ربه حين يقوم من نومه.
- (٤٩) وأن يسبح ربه من الليل، ويصلي له، ويصلي صلاة الفجر حين تدبر النجوم حين يطمسها ضوء النهار.

سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ .

- (١) يقسم الله بالنجم إذا سقط بأفوله عند إقبال النهار.
- (٢) ما انحرف محمد ﷺ، وما صار غويا، ولكنه رشيد.
- (٣) وما يتكلم بهذا القرآن؛ تبع لهواه.
- (٤) ليس هذا القرآن إلا وحيا يوحيه الله إليه .



﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ٩ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ١٧ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ١٨ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّتَّ وَالْعُزَّى ١٩ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَعَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ٢٣ أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ٢٤ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ٢٥ وَكَمْ مِنْ مَلَكَ فِي السَّمَوَاتِ لَا تَغْنَى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ٢٦﴾ .

- (٥) علمه إياه ملك شديد القوة .
- (٦) هذا الملك ذو هيئة حسنة، فاستوى الملك ظاهرا للنبي ﷺ على هيئته التي خلق عليها.
- (٧) وهو بالأفق الأعلى عند مطلع الشمس.
- (٨) ثم اقترب الملك من النبي ﷺ، ثم ازداد قربا منه.
- (٩) فكان منه بمقدار قوسين أو هو أقرب.
- (١٠) فأوحى الملك إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى.
- (١١) ما كذب قلب محمد ﷺ ما رآه بصره.
- (١٢) أفتجادلونه أنتم فيما أراه ربه ليلة الإسراء.
- (١٣) ولقد رأي الملك على صورته مرة أخرى ليلة الإسراء.
- (١٤) عند سدرة المنتهى في السماء السابعة.
- (١٥) عند هذه السدرة جنة المأوى.
- (١٦) إذ يغشى السدرة شيء عظيم، لا يعلم حقيقته إلا الله.
- (١٧) ما مال بصره ﷺ، وما تعدى ما حد له.
- (١٨) لقد رأي ليلة عرج به من آيات ربه العظمى الدالة على قدرته: الجنة والنار، وغيرهما.
- (١٩) أفرايتم - أيها المشركون - معبوداتكم من الأصنام: اللات والعزى.
- (٢٠) ومناة الثالثة الأخرى من معبوداتكم. أخبروني هل تملك لكم نفعا أو ضرا؟
- (٢١) ألكم - أيها المشركون - الذكر الذي ترغبون فيه، وله سبحانه الأنثى التي ترغبون عنها؟
- (٢٢) تلك القسمة إذن قسمة جائزة؛ لأنها نابعة من الهوى.
- (٢٣) ليست هذه الأصنام إلا أسماء، فلا حظ لها ولا معنى لها، سميتوها أنتم وآبائكم، ما أنزل الله بها من برهان، لا يتبع هؤلاء في اعتقادهم إلا الظن، وما تميل إليه أنفسهم من تحسينات الشيطان، ولقد جاءهم على لسان نبيهم من ربهم الهدى، فلم يلتفتوا إليه.
- (٢٤) أم للإنسان المشرك ما تمنى من أن أصنامه تشفع عند الله؟
- (٢٥) ليس الأمر كما تمنى، فله وحده الآخرة والأولى، يعطي، ويمنع وفق مشيئته.
- (٢٦) وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا بعد أن يأذن الله في الشفاعة لمن شاء منهم، ويرضى عن المشفوع له.

١ لاحظ علماء الفلك أن النجوم في مرحلة متقدمة في نهاية عمرها تهوي على نفسها وتنفجر، فيقل حجمه ويتضائل، وهذه المرحلة تتم بعد أن يستنزف النجم وقوده ويصبح قوة جاذبيته أكبر من الإندماج النووي. ويؤكد العلماء أن أفضل وصف لحالة هذا النجم هو القول بأنه يتهاوى على نفسه وتسقط مادته باتجاه المركز، حيث إن مركز النجم هو مركز الجاذبية فيه، وبالتالي تتسارع مادة النجم باتجاه مركزه، ويعتبر العلماء هذه العملية بمثابة سقوط مادة النجم باتجاه مركز جاذبيته، وهذا وجه معتبر من معاني قول الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فسبحان من أخبر نبيه ﷺ بذلك قبل أربعة عشر قرنا ليكون شاهد له على صدق رسالته.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴾ (٢٧) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا عملُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَعْفَرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتَقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يَلْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرْنَا نازِرًا وَزَرَأُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِنْ نَظْفَةٍ إِذَا تَمَنَّىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٧﴾

- (٢٧) إن الذين لا يؤمنون بالبعث ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى باعتبار عدم إيمانهم بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.
- (٢٨) وما لهم بتسميتهم إياهم إنثاء من علم يعتمدون عليه، لا يتبعون في تسميتهم إلا الظن، وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، فلا ينزل منزلته.
- (٢٩) ويأمر الله رسوله بالإعراض عن من أدير عن ذكره، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهو لا يريد الآخرة، فيعمل لها.
- (٣٠) ما يقولونه من تسمية الملائكة تسمية الأنثى مبلغهم من العلم لجهلهم. إن ربك - أيها الرسول - هو أعلم بمن انحرف عن طريق الحق، وهو أعلم بمن اهتدى إليه.
- (٣١) ولله وحده ما في السماوات، وله ما في الأرض؛ ليجزي الذين أساءوا العمل في الدنيا بما يستحقون من العذاب، ويجزي المؤمنين الذي أحسنوه بالجنة.
- (٣٢) الذين يجتنبون كبائر الذنوب، وقبيح الآثام إلا صغائر الذنوب من غير إصرار، فترك الكبائر، والإكثار من الطاعات يكفرها، إن ربك - أيها الرسول - واسع المغفرة، يغفر ذنوب التائبين، هو أعلم بشؤونكم حين خلق أباكم آدم من تراب، وحين كنتم تتخلقون في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم بالثناء عليها، ومدحها بالتقوى، فهو أعلم بمن اتقاه.
- (٣٣) أفرايت قبح حال من أعرض عن الإسلام بعد أن أوشك أن يسلم.
- (٣٤) وأعطى قليلاً من المال، ثم منع الإنفاق منه بخلاً.
- (٣٥) أعنده علم الغيب، فهو يرى الغيب ويحدث به، أم هو مفتر على الله؟
- (٣٦) أم لم يخبر هذا المفتر بما في الصحف الأولى التي أنزلها الله على موسى.
- (٣٧) وبما في صحف إبراهيم الذي وفى كل ما كلف به.
- (٣٨) أن لا يحمل إنسان إثم إنسان.
- (٣٩) وأن ليس له إلا ثواب عمله.
- (٤٠) وأن عمله سوف يشاهد يوم القيامة عياناً.
- (٤١) ثم يجزي عمله تاماً غير ناقص.
- (٤٢) وأن إلى ربك وحده مرجع العباد بعد موتهم للجزاء.
- (٤٣) وأنه هو أفرح، وأحزن.
- (٤٤) وأنه أمات، وأحى.
- (٤٥) وأنه خلق النوعين: الذكر والأنثى.
- (٤٦) من نظفة إذا توضع في الرحم.
- (٤٧) وأن عليه إعادة خلقهما بعد موتهما للبعث.



﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُونِيفَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَعَشَّهَا مَا عَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكَ نَسْمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾ ﴾ .

- (٤٨) وأنه أغنى بتمليك المال، وأعطى من المال ما يتخذ قنية.
- (٤٩) وأنه هو رب النجم الذي يعبده بعض المشركين.
- (٥٠) وأنه أهلك عادا الأولى قوم هود.
- (٥١) وأهلك ثمود قوم صالح، فلم يترك منهم أحدا.
- (٥٢) وأهلك قوم نوح من قبلهما، إن قوم نوح كانوا أشد ظلما، وأعظم طغيانا منهما؛ فقد مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، فلم يستجيبوا له.
- (٥٣) وقد رفع قرى قوم لوط إلى السماء، ثم أسقطها إلى الأرض.
- (٥٤) فغشاها من الحجارة ما غشاها بعد رفعها وإسقاطها.
- (٥٥) فبأي نعم ربك تشك؟ فلا تشكر الله عليها؟
- (٥٦) هذا الرسول المبعوث إليكم من جنس الرسل الأولى الذين بعثهم الله.
- (٥٧) قربت القيامة القريبة أصلا؛ لأن كل ما هو آت قريب.
- (٥٨) ليس لها دافع من دون الله يدفعها.
- (٥٩) أفمن هذا القرآن تعجبون أن يكون من عند الله؟
- (٦٠) وتضحكون منه؛ استهزاء، ولا تبكون عند سماع مواعظه.
- (٦١) وأنتم لاهون، لا تكثرثون به.
- (٦٢) فاسجدوا لله، لا لأصنامكم، وأخلصوا له العبادة.

سورة القمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ﴾ .

- (١) اقترب مجيء الساعة، وانشق القمر؛ ليكون معجزة للنبي ﷺ.
- (٢) وإن يرى المشركون دليلا على صدق رسولهم يعرضوا عنه، ويقولوا عنه: سحر مستمر.
- (٣) وكذبوا بما جاءهم من الحق، واتبعوا أهواءهم في التكذيب، وكل أمر خيرا كان أو شرا واقع بمستحقه يوم القيامة.
- (٤) ولقد جاءهم من أخبار الأمم المهلكة ما يكفي لردعهم عن كفرهم لو اعتبروا.
- (٥) جاءتهم حكمة تامة لقيام الحجة، فما تنفع النذر من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.
- (٦) ويأمر الله رسوله بالإعراض عنهم وابتظار يوم يدعو الملك الموكل بالنفخ في الصور إلى أمر شنيع لم يعرف الناس مثيلا له.
- (٧) ذليلة أبصارهم، يخرجون من القبورهم كأنهم جراد منتشر.
- (٨) مسرعين إلى الداعي حين يدعو، يقول الكافرون: هذا اليوم يوم عسير؛ لما فيه من الأهوال.

﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۙ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ۙ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۙ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۙ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ۙ (١٣) تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ۙ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۙ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۙ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۙ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۙ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۙ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۙ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۙ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۙ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذْرِ ۙ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشْرًا مِمَّا وَجَدْنَا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۙ (٢٤) أَهْلَيْهِ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشْرٌ ۙ (٢٥) سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشْرِ ۙ (٢٦) إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِيَنَّا لَهُمْ فَأَتَيْبَهُمْ وَأَصْطَبِرَ ۙ (٢٧) وَبَيْنَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخَضَّرٌ ۙ (٢٨) فَتَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ۙ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ۙ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْحَنْظِرِ ۙ (٣١) ﴾ .

- (٩) كذبت قبل مشركي مكة قوم نوح، فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام حين بعثناه إليهم، وقالوا عنه: هو مجنون، وانتهروه إذا لم يترك دعوته إياهم إلى الله.
- (١٠) فدعا نوح ربه قائلا: إن قومي غلبوني، فانتصر منهم بعقوبة توقعها عليهم.
- (١١) فاستجبنا له، ففتحنا أبواب السماء بماء متتابع الانصباب.
- (١٢) وفجّرنا الأرض، فتحوّلت عيوننا تجري بالماء. فالتقى ماء السماء بماء الأرض على أمر قدره الله، فأغرق الجميع إلا من نجاه الله.
- (١٣) وحملنا نوحا على سفينة ذات ألواح ومسامير، فسلمناه ومن معه من الغرق.
- (١٤) تجري في أمواج الماء المتلاطمة بمرأي منا، وحفظ؛ انتصارا لنوح من قومه اللذين كذبوه.
- (١٥) ولقد تركنا عقوبتهم هذه عبرة، فهل من معتبر يعتبر؟
- (١٦) فكيف كان عذابي للكفار، وكيف كان إنذاري بإهلاكهم؟
- (١٧) ولقد يسّرنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه؟
- (١٨) كذّبت عاد نبيّها هودا عليه السلام فكيف كان عذابي لهم، فتأمّلوا - يا مشركي مكة - كيف كان عذابي لهم، وكيف كان إنذاري غيرهم بعدابهم.
- (١٩) إنا أرسلنا عليهم ريحا شديدة القوة والبرودة في يوم شرّ وشؤم مستمرّ معهم إلى يوم القيامة.
- (٢٠) من شدتها تقتلع الناس من الأرض، وترمي بهم على رؤوسهم كأنهم أصول نخل منقلع من مكانه.
- (٢١) فتأمّلوا - يا مشركي مكة - كيف كان عذابي لهم، وكيف كان إنذاري غيرهم بعدابهم.
- (٢٢) ولقد يسّرنا القرآن للحفظ، فهل من معتبر بما فيه.
- (٢٣) كذبت ثمود بما جاءهم به صالح عليه السلام.
- (٢٤) فقالوا مستنكرين: أتبع بشرا من جنسنا واحدا؟ إنا حال اتباعنا له لفي ضلال عن الصواب، وفي عناء.
- (٢٥) أنزل عليه الوحي من دوننا جميعا، لا بل هو كذاب متجبر.
- (٢٦) سيعلمون في الآخرة من الكذاب المتجبر أصلح أم هم؟
- (٢٧) إنا باعشو الناقة؛ اختبارا لهم، فانتظر - يا صالح - ما يصنعون بها وما نصنع بهم، واصبر على تكذيبهم.
- (٢٨) وأخبرهم أن ماء البئر مقسوم بينهم وبينها، يوم لها، ويوم لهم، كل منهما يختصّ بيومه، لا يحضر معه غيره.
- (٢٩) فتادى قومه صاحبهم؛ ليقتل الناقة. فتناول سيفه، وقتلها.
- (٣٠) فتأمّلوا - يا مشركي مكة - كيف كان عذابي لهم، وكيف كان إنذاري بعدابهم غيرهم.
- (٣١) إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فأهلكتهم، فكانوا كهيمن الشجر تتخذ منه الحظيرة.



﴿ وَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرِ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ صَيفِيهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بُكَرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقَدِّرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾

- (٣٢) ولقد يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلحفظ، فهل من معتبر بما فيه ؟
- (٣٣) كذبت قوم لوط بما أنذرهم به رسولهم لوط عليه السلام.
- (٣٤) إنا أرسلنا عليهم ريحا ترميهم بالحجارة، لكن آل لوط عليه السلام، لم يصبهم عذاب قومه، فقد أنجيناهم منه، حيث سرى بهم قبل وقوع العذاب من آخر الليل.
- (٣٥) أنقذناهم من العذاب؛ إنعاما منا عليهم، مثل ذلك الجزاء نجزي من شكر الله على نعمه.
- (٣٦) ولقد خوفهم من عذابنا، فتجادلوا في إنذاره.
- (٣٧) ولقد راوده قومه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه؛ ليفعلوا الفاحشة، فطمسنا أعينهم، فلم تبصر ضيوفه، وقلنا لهم: ذوقوا عذابي، وعاقبة إنذاري لكم.
- (٣٨) ولقد جاءهم صباحا عذاب مستمر معهم حتى يصلهم بعذاب الآخرة.
- (٣٩) وقيل لهم: ذوقوا عذابي النازل بكم، وعاقبة إنذار لوط لكم.
- (٤٠) ولقد يَسِّرْنَا الْقُرْآنَ لِلحفظ، فهل من معتبر بما فيه ؟
- (٤١) ولقد جاء آل فرعون التحذير على لسان موسى وهارون عليهما السلام.
- (٤٢) كذبوا بالحجج التي جاءتهم من عندنا، فعاقبناهم على تكذيبهم بها، عقوبة عزيز، لا يغلبه أحد، مقتدر لا يعجزه شيء.
- (٤٣) أكفاركم - يا أهل مكة - خير من الكفار المذكورين؟ أم لكم براءة من عذاب الله في الكتب المنزلة؟
- (٤٤) بل يقول كفاركم سوء: نحن جميع منتصر ممن يريدنا بسوء.
- (٤٥) سيهزم جمع هؤلاء الكفار، ويهربون أمام المؤمنين.
- (٤٦) بل الساعة التي ينكرونها موعدهم الذي يعدون فيه، والساعة أعظم وأقسى مما لقوه من عذاب الدنيا يوم بدر.
- (٤٧) إن المجرمين بالكفر والمعاصي في ضلال عن الحق، وعذاب وعناء.
- (٤٨) يوم يجرون في النار على وجوههم، ويقال لهم توبيخا: ذوقوا عذاب النار.
- (٤٩) إنا كل شيء في الكون خلقناه بتقدير سابق منا، ووفق علمنا، وما كتبناه في اللوح المحفوظ.
- (٥٠) وما أمرنا إذا أردنا شيئا أن يكون إلا أن نقول له: كن، فيكون في الحال مثل لمح البصر.
- (٥١) ولقد أهلكنا من الأمم السابقة أمثالكم - يا مشركي مكة - في الكفر، فهل من معتبر يعتبر فينجز عن كفره؟
- (٥٢) وكل شيء فعله العباد مدون في كتب الحفظ.
- (٥٣) وكل ما عملوه من صغير أو كبير مكتوب في صحف الأعمال، وفي اللوح المحفوظ.
- (٥٤) إن المتقين في جنات يتنعمون فيها، وفي أنهار جارية.
- (٥٥) في مجلس حق خال من اللغو والإثم، عند ملك له كل شيء، مقتدر لا يعجز عن شيء، فيا لكثرة ما ينالونه منه من النعيم الدائم.

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَحْسَبَانِ ۝٥ وَالتَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝٩ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَتْكُهُ ۝١١ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١٢ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ۝١٣ وَالرَّيْحَانُ ۝١٤ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٥ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ۝١٦ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٨ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾

- (١) الرحمن الذي سألتكم عنه حين قُلتُم: وما الرحمن؟
 (٢) علّم الناس القرآن بتيسير حفظه، وتسهيل فهمه.
 (٣) خلق الإنسان .
 (٤) علّمه النطق والكتابة؛ ليبين عمّا في نفسه.
 (٥) الشمس والقمر سيّرهما بحساب؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب.
 (٦) والنبات لا ساق له، والشجر يسجدان لله متقادين له.
 (٧) والسماء رفعها سقفا للأرض، وأثبت العدل؛ ليحكم به الناس.
 (٨) أثبتته؛ لئلا تجوروا في الحكم بينكم، ولئلا تخونوا في مكائلكم وموازينكم.
 (٩) وأقيموا الوزن بينكم بالعدل، ولا تنقصوا الوزن أو الكيل إذا قمتم به لغيركم.
 (١٠) والأرض وضعها مهياً لاستقرار الخلائق عليها.
 (١١) فيها أشجار الفواكه، وفيها النخل ذات الأوعية التي تنفتق عن القنوان.
 (١٢) وفيها الحب ذو التبن كالسبر، وفيها أنواع الحبوب، وفيها النباتات ذات الرائحة الطيبة.
 (١٣) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 (١٤) خلق أباكم عليه السلام من طين يابس تسمع له صلصلة، مثل الطين المطبوخ.
 (١٥) وخلق أبا الجن من لهب خالص من الدخان.
 (١٦) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 (١٧) رب مشرق الشمس ومغربيهما في الشتاء والصيف.
 (١٨) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 (١٩) بعث البحرين المالح والعذب يلتقيان فيما يراه الرائي.

١٩ من (٢٢، ١٩) فإن علوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين. وقبل ذلك كان البحر مجهولاً مخيفاً تكثر عنه الأساطير والخرافات، وكل ما يهتم به راكبه هو السلامة والاهتداء إلى الطريق الصحيح أثناء رحلاتهم الطويلة، وما عرف الإنسان أن البحار المالحة بحار متنوعة إلا في الثلاثينات من هذا القرن، بعد أن أقام الدارسون لآلاف المحطات البحرية لتحليل عينات من مياه البحار، وقاسوا في كل منها الفروق في درجات الحرارة، ونسبة الملوحة، ومقدار الكثافة، ومقدار ذوبان الأوكسجين في مياه البحار في كل المحطات، فأدركوا بعدئذ أن البحار المالحة متنوعة، وما عرف الإنسان البرزخ الذي يفصل بين البحار الملحة وهو عبارة عن حاجز مائي يقوم بتقليب الموجة المارة عليه فيفقدتها خصائص البحر القادمة منه ويكسبها خصائص البحر القادمة إليه، إلا بعد أن أقاموا محطات للدراسة البحرية المشار إليها، وبعد أن قضاوا أوقاتاً طويلة في تتبع وجود هذه البرازخ المتحركة، التي تتغير في موقعها الجغرافي بتغير فصول العام، وما عرف الإنسان أن الماء في كلا البحرين منفصل عن الآخر بالحاجز المائي، ومختلط في نفس الوقت إلا بعد أن عكف يدرس بأجهزته وسفنه حركة المياه في مناطق الالتقاء بين البحار، وقام بتحليل تلك الكتل المائية في تلك المناطق، وما قرر الإنسان هذه القاعدة على كل البحار التي تلتقي إلا بعد استقصاء ومسح علمي واسع لهذه الظاهرة التي تحدث بين كل بحرين في كل بحار الأرض كل ذلك يشهد بأن ما قاله الله تعالى في كتابه ونطق به نبيه ﷺ هو الحق المبين الشاهد لله تعالى بالوحدانية ولنبية بالرسالة.



﴿ يَنْهَمَا بَرِّحٌ لَا يَعْجَبَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٢٨﴾ بَسْمَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفِئُكُمْ لَكُمْ أَيْهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا نَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِئَ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نَكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ ۞

- (٢٠) بينهما حاجز يقي من طغيان أحدهما على الآخر ، فيبقى كل على هيئته.
- (٢١) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٢٢) يخرج من مجموع البحرين اللؤلؤ، ويخرج المرجان.
- (٢٣) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٢٤) وله وحده السفن الجارية في البحار مثل الجبال في الارتفاع.
- (٢٥) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٢٦) كل من على وجه الأرض هالك.
- (٢٧) ويبقى وجه ربك - أيها الرسول - ذو العظمة والإحسان.
- (٢٨) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٢٩) يسألها الملائكة في السماء، والجن والإنس في الأرض ما يريدون، كل يوم هو في شأن من إحياء وإماتة، ورزق وغير ذلك.
- (٣٠) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٣١) سنفرغ لحسابكم - أيها الإنس والجن - فنجازيكم بما تستحقونه.
- (٣٢) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٣٣) يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تجدوا لكم مخرجا من ناحية من السماوات والأرض فافعلوا، ولن تستطيعوا أن تفعلوا ذلك إلا بقوة وحجة، و ليس لكم ذلك.
- (٣٤) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٣٥) يرسل عليكم لهب نار لا دخان فيه، ودخان لا لهب فيه، فلا تمتنعان منه.
- (٣٦) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
- (٣٧) فإذا تشققت السماء يوم القيامة، فكانت حمراء كالرصاص المذاب من شدة يوم القيامة.
- (٣٨) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟

٢٤ سبقت الإشارة إليها في سورة الشورى.

٢٣ تحدى الله تبارك وتعالى كلا من الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض، ويؤكد أنهم لن يستطيعوا ذلك أبداً، إلا بسطان من الله، وأن مجرد محاولة ذلك بغير هذا التفويض الإلهي سوف يعرض محاولتهم لشواطئ من نار ونحاس فلا ينتصران في محاولتهما أبداً. وقد ثبت علمياً وجود رجوم فضائية تتهدد رواد الفضاء، وقد هدى الله تعالى المتخصصين في هذا الميدان لاكتشاف منافذ آمنة يعرفونها بحسابات دقيقة ، فتكون من جملة السلطان الذي أعطاه الله البشر.

٢٥ حدثنا القرآن أن الفضاء الخارج إذا ما استطاع البشر والجن صعوده فإنهم سيقذفون بنوعين. الأولى وهي النار، وهي الرياح النجمية الحارقة التي تقذفها النجوم تتكون من جسيمات مشحونة ذات درجات حرارة عالية، والثانية الشهب وهي صخور تحتوي على الحديد والنحاس، وهذا ما اكتشفه علماء الفضاء بعد محاولات صعود الفضاء.

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾ (٣٩) فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٍ ﴿٤٦﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَئِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْفٍ وَحَى الْجَنَّةَيْنِ دَانِ ﴿٥٤﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْنٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمَنْ دُونِهِمَا جَنَّانٍ ﴿٦٢﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبَأْيِ ءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ .

- (٣٩) ففي ذلك اليوم الشديد لا يسأل إنس ولا جن عن ذنوبهم ، (٥٧) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
فالله يعلمها.
- (٤٠) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٤٤) يدورون بينها، وبين ماء متناهي الحرارة.
- (٤٥) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٤٦) ولمن خاف القيام بين يدي ربه يوم القيامة جنتان.
- (٤٧) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٤٨) ذواتا أغصان عظيمة.
- (٤٩) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٥٠) فيهما عينان تجريان بالماء.
- (٥١) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٥٢) فيهما من كل فاكهة يتفكه بها نوعان .
- (٥٣) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٥٤) متكئين على فرش بطائنها من غليظ الديباج، وما يجنى من ثمارهما وفواكههما قريب من تناوله.
- (٥٥) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٥٦) فيهن نساء نظرهن قاصر على أزواجهن، لم يفتضهن قبل أزواجهن إنس ولا جان.
- (٥٧) كأنهن في الجمال الياقوت ، والمرجان.
- (٥٩) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٦٠) ما جزاء إحسان العبد طاعة ربه إلا أن يحسن الله جزاءه.
- (٦١) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٦٢) ومن دون الجنة المذكورتين جنتان أخريان.
- (٦٣) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٦٤) شديدا الخضرة.
- (٦٥) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٦٦) فيهما عينان فوارتان .
- (٦٧) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٦٨) فيهما فاكهة كثيرة، ونخل، ورمان.
- (٦٩) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٧٠) في هذه الجنان نساء طبيبات الأخلاق، حسان الوجوه.
- (٧١) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
(٧٢) حور مستورات في الحيام.
- (٧٣) فبأي نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟



﴿ لَمْ يَطْمِئِنَّا مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَبَأَىءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى رَقَرَفٍ حُضِرَ وَعَبَقَرِي حَسَانِ ﴿٧٦﴾ فَبَأَىءَ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

- (٧٤) لم يفتضضهنّ قبل أزواجهنّ أحد من الإنس أو الجنّ. (٧٧) فبأى نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟
 (٧٥) فبأى نعم الله - يا معشر الجن والإنس - تكذبان؟ (٧٨) تعاضم خيرا اسم ربك - أيها الرسول - ذي العظمة
 (٧٦) متكئين على وسائد لها أغطية خضر، وعلى فرش حسان. والإحسان على عباده.

سورة الواقعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْسُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُوفٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَنَكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلِحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

- (١) إذا حدثت القيامة التي ستقع حتما.
 (٢) لن توجد نفس تكذب بها.
 (٣) القيامة خافضة للكفار بإدخالهم في النار، رافعة للمؤمنين بإدخالهم في الجنة.
 (٤) إذا حرّكت الأرض تحريكاً.
 (٥) وفتت جبالها تفتيتاً.
 (٦) فكانت غباراً منتشراً.
 (٧) وكنتم أصنافاً ثلاثة.
 (٨) فأصحاب اليمين، ما أعظم منزلتهم!
 (٩) وأصحاب الشمال، ما أسوأ منزلتهم!
 (١٠) والسابقون بالعمل الصالح في الدنيا هم السابقون لدخول الجنة يوم القيامة.
 (١١) أولئك هم المقربون عند الله.
 (١٢) في جنات النعيم.
 (١٣) ثلاثة من هؤلاء، وقليل من الآخرين.
 (١٤) وهم السابقون المقربون.
 (١٥) على أسرة مرمولة بالذهب.
 (١٦) متكئين على تلك الأسرة، متقابلين بوجوههم.
 (١٧) يدور عليهم ولدان يخدمونهم، لايهرمون، ولا يموتون.
 (١٨) يدورون بأقداح لا عرا لها، وأباريق لها عرا.
 (١٩) ويدورون بكأس من خمر جارية في الجنة، لا انقطاع لها لا يصيب شاربها صداع، ولا فقد عقل، فليست مثل الخمر في الدنيا.
 (٢٠) ويدورون عليهم بفاكهة مما يختارون.
 (٢١) ويدورون بلحم طير مما يشتهون.
 (٢٢) ولهم في الجنة نساء واسعات العيون في جمال.

﴿ كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ إِيْمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَكِيهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ أَجْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرْبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَوْمٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلِّ مِّنْ يَّحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصْرُفُونَ عَلَى الْغَنِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكُلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ﴿

- (٢٣) كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفه.
- (٢٤) جزاء لهم على ما عملوا من الأعمال الصالحة في الدنيا.
- (٢٥) لا يسمعون فاحش كلام في الجنة، ولا ما يأتهم به صاحبه.
- (٢٦) لا يسمعون إلا سلام الملائكة، وسلام بعضهم على بعض.
- (٢٧) وأصحاب اليمين، ما أصحاب اليمين؟ فيا لعظمة شأنهم عند ربهم.
- (٢٨) في سدر منزوع الشوك، سالم مما يؤذي.
- (٢٩) وفي موز يركب بعضه بعضاً قد صفّ بعضه إلى بعض.
- (٣٠) وظل دائم لا يتقطع.
- (٣١) وماء جار لا يتوقف.
- (٣٢) وفي فاكهة كثيرة.
- (٣٣) لا تتقطع عنهم أبداً، فما لها موسم، ولا مانع يحول دونها.
- (٣٤) وفرش مرفوعة عالية.
- (٣٥) إنا أنشأنا الحور إنشاء غير معهود.
- (٣٦) فجعلناهم أبكاراً لم يفتضضن من قبل.
- (٣٧) متحبيبات إلى أزواجهن، متماثلات في الأعمار.
- (٣٨) أنشأناهم لأصحاب اليمين خاصة بهم.
- (٣٩) وهم جماعة من الأمم السابقة.
- (٤٠) وجماعة من أمة محمد ﷺ.
- (٤١) وأصحاب الشمال، ما أصحاب الشمال؟ يا لسوء مصيرهم.
- (٤٢) في رياح شديدة الحرارة، وفي ماء متناهيها.
- (٤٣) وفي ظل دخان مسودّ.
- (٤٤) لا طيب حين يهبّ، ولا حسن المنظر حين ينظر.
- (٤٥) إنهم كانوا قبل هذا العذاب متنعمين، لا هم لهم إلا شهواتهم.
- (٤٦) وكانوا يصممون على الشرك بالله.
- (٤٧) وكانوا يكفرون بالبعث فيقولون استبعاداً له: إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً نخره أنبعث بعد ذلك، أيعقل هذا؟
- (٤٨) أو يبعث أبأؤنا الأولون؟
- (٤٩) ويأمر الله رسوله أن يقول للمنكرين للبعث: إن الأولين من الناس والمتأخرين منهم.
- (٥٠) سيجمعون يوم القيامة للجزاء.
- (٥١) ثم إنكم - أيها المكذبون بالبعث، الضالون عن الحق.
- (٥٢) لأكلون من ثمر شجر الزقوم يوم القيامة.
- (٥٣) فمالئون منه بطونكم الخاوية.

٤٣ - ٤٤ إن هذه الإشارة القرآنية لعذاب أهل النار بظل من يحموم وهو الدخان الأسود الحار كربه المنظر والرائحة، أصبحت معقولة عند إنسان العصر الحديث وبخاصة بعد عصر الثورة الصناعية وزيادة التلوث، وظهور ما يعرف بأسم «الضبخان» أو «السحابة السوداء» بما لها من أضرار صحية وبيئية في الأماكن التي تظهر فيها.



﴿ فَشَرِبُونَا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَلْتُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئْكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ؕ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَنَمَتًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أَفْسِسُ لِمَوْقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

- (٥٤) فشاربون عليه من الماء شديد الحرارة.
- (٥٥) فمكثرون من شربه كما تكثر الإبل من الشرب إذا أصيبت بداء الهيام.
- (٥٦) هذا المذكور هو قراهم الذي يستقبلون به يوم يجازي الله الناس على أعمالهم.
- (٥٧) نحن خلقناكم - أيها المكذبون - بعد أن لم تكونوا موجودين، فهلا صدقتم بأنا سنبعثكم أحياء بعد موتكم.
- (٥٨) أفأريتم - أيها الناس - ما تقدفونه من المنى؟
- (٥٩) أنتم تخلقون ذلك المنى، أم نحن خالقوه؟
- (٦٠) نحن قدرنا بينكم الموت، لا غيرنا، فلكل واحد منكم أجل لا يتقدم عنه، ولا يتأخر، وما نحن بعاجزين.
- (٦١) عن تبديل ما أنتم عليه من الخلق والتصوير مما علمتموه. ولا عن إنشائكم فيما لا تعلمونه من الخلق والتصوير.
- (٦٢) ولقد علمتم كيف خلقناكم الخلق الأول، أفلا تعتبرون، وتعلمون أن الذي خلقكم أول مرة قادر على بعثكم إذا متم؟
- (٦٣) أفأريتم ما تلقونه من البذر في الأرض.
- (٦٤) أنتم الذين تبتون، أم نحن منبتوه؟
- (٦٥) لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع متكسرا بعد أن قارب النضج
- والإدراك، فظلمتم بعد جعله متكسرا تتعجبون مما أصابه.
- (٦٦) قائلين: إنا لخاسرون ما أنفقنا في زرعنا، معذبون بما أصابه.
- (٦٧) بل نحن محرومون من الرزق.
- (٦٨) أفأريتم الماء الذي تشربون منه حين تعطشون؟
- (٦٩) أنتم أنزلتموه من المزن؟، أم نحن منزلوه؟، بل نحن منزلوه.
- (٧٠) لو نشاء جعلناه شديد الملوحة، لا ينتفع به شربا ولا سقيا، فلولا تشكرون من أنزله عذبا؛ تفضلا منه ورحمة.
- (٧١) أفأريتم النار التي توقدونها لمنافعكم.
- (٧٢) أنتم من أنشأ شجرتها التي توقد منها، أم نحن الذين منشئوها؛ رفقا بكم، ورحمة؟
- (٧٣) نحن صيرنا هذه النار تذكرة لكم، تذكركم بنار الآخرة، وصيرناها منفعة للمسافرين منكم.
- (٧٤) فنزه - أيها الرسول - ربك العظيم عما لا يليق به.
- (٧٥) يقسم الله بمواقع النجوم في مشارقتها ومغارها.
- (٧٦) وإن القسم بذلك - لو تعلمون عظمه - لعظيم؛ لما فيه من الآيات الدالة على قدرته سبحانه.
- (٧٧) إنه لقرآن كريم؛ لما اشتمل عليه من المنافع العظيمة.

٥٥ ان هذه الاشارة القرآنية لعذاب أهل النار بظل من يحموم وهو الدخان الأسود الحار كريبه المنظر والرائحة، أصبحت مفهومة عند انسان العصر الحديث خاصة بعد عصر الثورة الصناعية وزيادة التلوث، ومعرفة ظاهرة الضبخان أو السحابة السوداء.

﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَّمَ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَتَزُلُّ مِنْ حَمِيرٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصَلِّيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ بَيِّنٌ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

- (٧٨) في كتاب مصون، هو اللوح المحفوظ.
- (٧٩) لا يمسه إلا الملائكة المطهرون، فلا ينبغي أن يمسه إلا المسلمون المطهرون من الأحداث.
- (٨٠) تنزيل من رب الخلائق، لا سحر ولا قول بشر.
- (٨١) أفبهذا الحديث أنتم - أيها المشركون - مكذبون لا تصدقون أنه من الله.
- (٨٢) وتجعلون بدل شكركم لله على ما رزقكم به من المطر تكذيبكم به، فتنسبون المطر إلى النوء في قولكم: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا.
- (٨٣) فهلا إذا وصلت الروح الحلقوم.
- (٨٤) وأنتم حين تصل إليه تنظرون المحتضر.
- (٨٥) وملائكتنا أقرب إلى ميتكم منكم، ولكن لا تشاهدونهم.
- (٨٦) فهلا إن كنتم غير مبعوثين للجزاء.
- (٨٨) ترجعون روح ميتكم، إن كنتم صادقين، لا تستطيعون إرجاعها.
- (٨٩) فأما إن كان الميت من السابقين إلى الخيرات.
- (٩٠) فله راحة، لا تعب بعدها، ورزق طيب، وله جنة نعيم دائم لا ينقطع.
- (٩١) وأما إن كان من أصحاب اليمين. فلا تهتم لأمرهم، فلهم السلامة والأمن.
- (٩٢) وأما إن كان الميت من المكذبين بما جاء بالقرآن، الضالين عن الصراط المستقيم.
- (٩٣) فله عذاب يقدم إليه عند قدومه، وهو ماء شديد الحرارة.
- (٩٤) وله احتراق بنار الجحيم.
- (٩٥) إن هذا الذي ذكرنا لك - أيها الرسول - لهو حق اليقين الذي لا ريب فيه.
- (٩٦) فزّه اسم ربك العظيم، وقدّسه عما لا يليق به من صفات النقص.

٧٥ هذا القسم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى سبق القرآن الكريم إلى ذكر إحدى حقائق الكون المبهرة، والتي مفادها أنه نظراً للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم في مواقعها الحالية، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية وليست مطلقة، بل إن الدراسات الفلكية الحديثة قد أثبتت أن نجوماً قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة، والضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن، كما أنه نظراً لانحناء الضوء في صفحة الكون فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، ومن هنا كان هذا القسم القرآني بمواقع النجوم، وليس بالنجوم ذاتها - على عظم قدر النجوم - والتي كشف العلم عنها أنها أفران كونية عجيبة يخلق الله تعالى لنا فيها كل صور المادة والطاقة التي ينبنى منها هذا الكون المدرك؛ فمن الذي علم النبي الأُمّي أسرار الكون وما فيه قبل ألف وأربعمائة سنة سوى سوى خالق هذا الكون الذي أرسل رسوله ﷺ للعالمين.



سورة الحديد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّحُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّحُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَأَيَّتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ۞

- (١) نزه الله، وقده ما في السماوات والأرض من مخلوقاته، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وتقديره.
 - (٢) له وحده ملك السماوات، يحيي، ويميت وفق ما يشاء، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.
 - (٣) هو الأول الذي لا شيء قبله، وهو الآخر الذي لا شيء بعده، وهو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده.
 - (٤) هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، وهو قادر على خلقها في أقل من ذلك، ثم استوى على العرش استواء يليق به سبحانه، يعلم ما يدخل في الأرض من موتى ومطر وبذر، وغيرها، وما يخرج منها من نبات ومعادن، وغير ذلك، وما ينزل من السماء من المطر والوحي، وغيرهما، وما يعرج فيها من الملائكة ومن أعمال العباد وأرواحهم، وهو معكم - أينما كنتم - بعلمه، لا يخفى عليه منكم شيء، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.
 - (٥) له وحده ملك السماوات، وملك الأرض، وإليه وحده ترجع الأمور، فيحاسب الخلائق يوم القيامة، ويجازيهم على أعمالهم.
 - (٦) يدخل الليل على النهار، ويدخل النهار على الليل، وهو
- عليم بما في صدور عباده، لا يخفى عليه شيء منه.
- (٧) آمنوا بالله، وآمنوا برسوله، وأنفقوا من ماله الذي استخلفكم فيه تتصرفون فيه وفق ما شرع لكم، فالذين آمنوا منكم بالله، وأنفقوا أموالهم في سبيل الله لهم ثواب عظيم، وهو الجنة.
- (٨) وما يحول بينكم وبين الإيمان بالله؟ والرسول يدعوكم إلى الله؛ رجاء أن تؤمنوا بربكم، وقد أخذ منكم العهد على الإيمان به حين كنتم في ظهور آبائكم إن كنتم مؤمنين فأمنوا.
- (٩) هو الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات؛ ليخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وإن الله بكم لرؤوف، رحيم بإرساله رسوله إليكم.
- (١٠) وما يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ والله ميراث السماوات والأرض، لا يستوي منكم - أيها المؤمنون - من أنفق ماله في سبيل الله؛ ابتغاء مرضاته من قبل فتح مكة، وقاتل الكفار؛ إعلاء لكلمة الله، أولئك المنفقون، والمقاتلون في سبيل الله من قبل الفتح أعظم منزلة عند الله، وأرفع من الذين أنفقوا أموالهم، وقاتلوا الكفار في سبيله بعده، وقد وعد الله من قاموا بذلك قبل الفتح وبعبه أن يدخلهم الجنة، والله بما تعملون خير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِبَ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنن أنفسكم وتربصنم وازبنتم وعزبنكم الأمان حتى جاء أمر الله وعزكم بالله الغرور ﴿١٤﴾ فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ما أولئك إلا لئلا تبطلوا آيات الله ولئلا يفرحوا بما آتاهم من الله ولئلا يحزنوا على ما آتاهم من الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فآلأ لم يعلموا أن الله يفتن قلوبهم فقلوبهم وكثير منهم فاسفون ﴿١٥﴾ أعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴿١٦﴾ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضًا حسنًا يضاعف لهم ولهم أجر كريم ﴿١٧﴾ والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ﴿١٨﴾ أعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتره مضمراً ثم يكون حطماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿١٩﴾

والذين أعطوا الإنجيل من النصرى، فطال الزمن بينهم وبين بعثة أنبيائهم، فقسست بطول العهد قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله إلى معصيته، بلى أن لهم ذلك.

(١٧) أعلموا أن الله يحيى الأرض بآياتها بعد جفافها، قد بينا لكم - أيها الناس - البراهين على قدرة الله؛ رجاء أن تعقلوها فتعلموا أن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على بعث الموتى، وعلى جعل قلوبكم لينة بعد قسوتها.

(١٨) إن المتصدقين على المحتاجين، والمتصدقات عليهم، الذين ينفقونها بطيب نفس دون من، ولا أذى يضاعف لهم ثواب أعمالهم إلى ما شاء الله من مضاعفة، ولهم مع ذلك ثواب كريم هو الجنة.

(١٩) والذين آمنوا بالله، وبرسوله، أولئك هم الصديقون، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم، ولهم نورهم يوم القيامة، والذين كفروا بالله، وبرسوله، وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم، وهي النار يدخلونها خالدون فيها.

(٢٠) أعلموا أن الحياة الدنيا لعب للأبدان، ولهو للقلوب، وزينة يتجمل بها، وتفاخر بينكم بالملك والاستمتاع، وتباه بكثرة الأموال، وكثرة الأولاد كمثل مطر أعجب الزراع نباته، ثم لا يلبث نباته المخضر أن يبسى، فتراه - أيها المشاهد - مضمرًا بعد اخضراره، ثم يجعله الله متحطماً متكسراً، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار والمنافقين، ومغفرة من الله لذنوب عباده المؤمنين، ورضوان منه، وما الحياة الدنيا إلا متاع زائل، فلا يؤثر على نعيم الآخرة الباقي.

(١١) من ذا الذي يبذل ماله طيبة به نفسه لوجه الله، فيثبته على ما بذله من ماله مضاعفاً، وله يوم القيامة ثواب كريم، وهو الجنة.

(١٢) يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يتقدمهم نورهم بين أيديهم، وبأيمانهم، ويقال لهم في ذلك اليوم: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار؛ ماكنين فيها أبداً، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا يماثله فوز.

(١٣) يوم يقول المنافقون والمنافقات للمؤمنين: انتظرونا - أيها المؤمنون، والمؤمنات - لعلنا نقبض من نوركم ما نعبر به الصراط، ويقال للمنافقين؛ تهكما بهم: ارجعوا وراءكم، فاطلبوا نوراً تستنبرون به على الصراط، فضرِب بينهم بسور، لذلك السور باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين فيه العذاب.

(١٤) ينادي المنافقون المؤمنين؛ قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نعمل مثل عملكم؟، قال لهم المؤمنون: كنتم معنا في الظاهر، ولكن في باطنكم: أهلكم أنفسكم بالنفاق، وتربصتم بالمؤمنين بالله الدوائر، وأن يغلبوا، وشككتهم فيما وعدهم ربهم من النصر، وخذعتكم الأمانى الباطلة، وخدعهم بالله الشيطان.

(١٥) فالיום لا تؤخذ منكم - أيها المنافقون - فدية تتخذكم من عذاب الله، ولا تؤخذ فدية من الكفار، ومصيركم، ومصيرهم النار، هي أولى بكم، وساء المصير.

(١٦) ألم يحزن أن تلبس قلوب المؤمنين وتطمئن لذكر الله، وما نزل من القرآن، ولا يكونوا مثل الذين أعطوا التوراة من اليهود،



﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَضُرُّهُ وَيَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ فَضَّلْنَا عَلَىٰ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ إِذْ كَانُوا سُلُوفًا وَقَضَيْنَا إِلَيْهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَيَيْنَاهُمْ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْكُتُبَ وَالْحِزْبَ وَالْقُلُوبَ الْحَزِينَةَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٧﴾

فيه بأس شديد، فمنه يصنع السلاح؛ ليستخدم في القتال، وفيه منافع للناس يصنعون منه ما يحتاجون من أدوات وغيرها، وليعلم الله علما يظهر للعباد من ينصره من عباده بالغيب، إن الله قوي، عزيز، لا يغلبه أحد، ولا يعجز عن شيء.

(٢٦) ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم عليهما السلام، وجعلنا في أولادهما وحدهما النبوّة، وجعلنا فيهم الكتب المنزلة، فلم نزلها على غير أولادهم، فمن أولادهما مهتد إلى الصراط المستقيم، موفق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله وعن الاهتداء بالصراط المستقيم.

(٢٧) ثم أتبعناهما رسلنا، فبعثناهم إلى أقوامهم، وأتبعناهم بعيسى بن مريم، وأعطينا الإنجيل، وجعلنا في قلوب المؤمنين به، والمتبعين له رافة ورحمة، وابتدعوا الغلو في دينهم، فامتنعوا عن بعض ما أحل الله لهم من النكاح والملاذ، ولم نأمرهم بذلك، وإنما ألزموا به أنفسهم، وما حافظوا على ما ألزموا به أنفسهم، فأعطينا الذين آمنوا منهم ثوابهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله بالتكذيب بمحمد ﷺ.

(٢١) سابقوا - أيها الناس - إلى الأعمال الصالحة فهي سبب المغفرة ودخول جنة، عرضها مثل عرض السماء والأرض، أعدّها الله للذين آمنوا به، وآمنوا برسله، ذلك الجزء المذكور فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي لا يماثله فضل.

(٢٢) ما أصاب من مصيبة في الأرض من الجذب وغيره، أو من مصيبة في أنفس الناس إلا هي مثبتة في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الخليقة، إن ذلك على الله سهل.

(٢٣) وذلك لكي لا تحزنوا - أيها الناس - على ما فاتكم، أو تفرحوا بما أعطاكم من النعم فرح بطر، إن الله لا يحب كل متكبر، فخور على الناس بما أعطاه الله.

(٢٤) الذين يبخلون بالإنفاق الواجب، ويأمرون غيرهم بالبخل، ومن يتول عن طاعة الله لن يضر الله، بل يضر نفسه، إن الله هو الغني، فلا يفتقر إلى طاعة مخلوق، المحمود على كل حال.

(٢٥) لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحة، وأنزلنا معهم الكتب، وأنزلنا معهم الميزان؛ ليقوم الناس بالعدل، وأنزلنا الحديد

٢٥ يعتبر علماء الكونيات أن الحديد عنصر واحد من خارج الأرض. إذ يتطلب تكوين ذرة الحديد طاقة تساوي أربعة أضعاف طاقة المجموعة الشمسية. كما أن استخراج البشر للحديد من مناجمه في باطن الأرض جعلهم لا يتوقعون أن يكون الحديد قد نزل من السماء إلى الأرض وحملهم على الاعتقاد بأنه خلق مع سائر العناصر الأرضية. لذلك خلت العلوم التجريبية من أي إشارة إلى هذه الحقيقة قبل الربع الأخير من القرن العشرين، بينما ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة، فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الحقيقة. إن المنصف لا يجد إلا جوابا واحدا هو أنه من عند الله تعالى، وفي الآية الكريمة إنباء إلى أهمية معدن الحديد، بما يمتاز به من قوة ومنافع وإستخدامات متعددة ومنها مجال البناء والصناعة، وبخاصة بعد عصر الثورة الصناعية والتي غيرت وجه الحضارة الإنسانية.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَتَأْتِيَ أُمَّةٌ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

(٢٨) ينادي الله المؤمنين أمرا إياهم بتقوى الله ، واعداد الممثلين منهم أن يعطيهم نصيبين من الثواب والأجر على إيمانهم بحمد ﷺ ، وإيمانهم بالرسول السابقين، ويجعل لهم نورا يهتدون به في الدنيا، ويستتبرون به يوم القيامة، ويغفر لكم ذنوبهم، فلا يؤاخذهم بها، والله سبحانه ذو الفضل العظيم الذي لا يماثله فضل.

(٢٩) وقد بينا لكم فضلنا العظيم بما أعددناه لكم - معشر المؤمنين - من الثواب المضاعف؛ ليعلم أهل الكتاب السابقين من يهود ونصارى أنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله فيمنحونه من شأوا، ويمنعونه من شأوا، وليعلموا أن الفضل بيد الله، يعطيه من شاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم الذي لا يوازيه فضل.

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِطْرًا سِتِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

- (١) قد سمع الله كلام خولة بنت ثعلبة التي تراجعتك - أيها الرسول - في ظهار زوجها (أوس بن الصامت) منها، وتشتكى إلى الله مما صنع زوجها، والله يسمع تراجعتكما في الحديث، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بأفعالهم.
- (٢) الذين يظاهرون من نسائهم بتشبيهن بأمهاتهم، كذبوا في قولهم هذا، فلسن بأمهاتهم، ما أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم، وإنهم حين يقولون ذلك ليقولون قولاً شنيعاً، وكذباً، وإن الله لعفو، غفور، إن كفروا عن إثمهم.
- (٣) والذين يقولون هذا القول الشنيع، ثم يريدون جماع من ظاهروا منهم، فعليهم أن يكفروا بعتق رقبة من قبل
- (٤) الجماع، ذلكم الحكم تؤمرون به؛ كما لكم عن الظهار، والله بما تعملون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.
- فمن لم يجد منكم رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل جماع من ظاهر منها، فمن لم يستطع صيام شهرين متتابعين فعليه إطعام ستين مسكينا، لكل مسكين نصف صاع من بر أو تمر أو نحوهما، ذلك الحكم؛ لتؤمنوا بأن الله أمر به، فتمثلوا أمره، وتلك الأحكام التي شرعناها لكم حدود الله شرعها لعباده، فلا تتجاوزوها، وللكافرين بها عذاب موجه.



﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كِتَبًا مَّا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَوَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا يَتَذَكَّرُ لِّلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَأَلَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكْتُوْتُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حِيَّوْكَ بِمَا لَمْ يَحْجُبْكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسُوا الْمَصِيرَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞

- (٥) إن الذين يعادون الله ورسوله أذلوا وأخزوا كما أذلّ الذين عادوه من قبل وأخزوا، وقد أنزلنا آيات واضحات، وللكافرين بالله ورسوله وآياته عذاب مذل.
- (٦) يوم يبعثهم الله جميعاً، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا من الأعمال القبيحة، أحصاه الله عليهم، ونسوه هم، فوجدوه في صحائفهم، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.
- (٧) ألم تر - أيها الرسول - أن الله يعلم ما في السموات، و يعلم ما في الأرض، ما يكون من كلام بين ثلاثة إلا هو رابعهم بعلمه، ولا بين خمسة إلا هو سادسهم بعلمه، ولا أقل من ذلك، ولا أكثر منه إلا كان معهم بعلمه أينما كانوا، ثم يخبرهم الله بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.
- (٨) ألم تر - أيها الرسول - إلى اليهود الذين كانوا يتناجون إذا رأوا مؤمناً، فنهاهم الله عن التناجي، ثم هم يرجعون إليه مصرين على مخالفة نهيهِ، ويتناجون فيما بينهم بما فيه إثم كغيبية المؤمن، وبما فيه عدوان عليه، وبما فيه معصية للرسول، وإذا جاءوك - أيها الرسول - حيوك قائلين: السام عليك وهي تحية لم يحيك الله بها، ويقولون في أنفسهم: هلا يعذبنا الله بما نقول، لو كان محمد صادقاً لعذبنا الله بما نقول فيه، كافيهم جهنم عقاباً على قولهم هذا، يعانون من حرّها، فقبح المصير مصيرهم.
- (٩) وينادي الله المؤمنين محذراً إياهم من التناجي بالإثم والعدوان وعصيان الرسول حتى لا يكونوا كاليهود، وأمراً إياهم بالتناجي بما فيه طاعة لله وانزجار عن معصيته، وبتقوى الله، فهو الذي إليه وحده يحشرون يوم القيامة للجزاء.
- (١٠) إنما النجوى المنهي عنها من تزيين الشيطان لأوليائه؛ ليدخل الحزن على المؤمنين بأنهم يكره بهم، وليس الشيطان، ولا تزيينه بضار المؤمنين شيئاً إلا بمشيئة الله، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في شؤونهم.
- (١١) وينادي الله المؤمنين أمراً إياهم بالتوسع في المجالس إن طلب منهم التوسع فيها، والجزاء أن يوسع الله لكم في حياتكم الدنيا وفي الآخرة، وإذا قيل لكم: ارتفعوا من بعض المجالس؛ ليجلس فيها أهل الفضل فارتفعوا عنها، يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أعطوا العلم درجات عظيمة، والله بما تعلمون خبير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.
- (١٢) وينادي الله المؤمنين أن إذا أردتم مسارة الرسول فقدموا بين يدي مسارتكم له صدقة، ذلك التقديم خير لكم، وأطهر؛ لما فيه من طاعة الله، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم في مسارته دون تقديمها، فإن الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم؛ فلم يكلفهم بما لا يقدر على.

﴿ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَعُونَكُمْ صَدَقْتُمْ فَاذِلُّوا فَعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذِلَّةِ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُكَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ۞

- (١٣) أخفتم الفقر إن تصدقتم عند مناجاته، فإذ لم تفعلوا ما أمركم الله به، وتاب عليكم حيث رخص لكم في تركه، فأتوا بالصلاة على أكمل وجه، وأعطوا زكاة أموالكم، وأطيعوا الله ورسوله، والله خير بما تعملون، وسيجازيكم على أعمالكم.
- (١٤) ألم تر - أيها الرسول - إلى المنافقين الذين والوا اليهود المغضوب عليهم بكفرهم، ليس المنافقون منكم - أيها المؤمنون - وليسوا من اليهود، بل هم مذذبون، ويحلف هؤلاء المنافقون كاذبين، وهم يعلمون كذبهم أنهم مسلمون، ويحلفون أنهم ما نقلوا أخبار المسلمين إلى اليهود.
- (١٥) هيأ الله لهم عذابا شديدا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، إنهم قبح ما كانوا عليه من كفر في الدنيا.
- (١٦) اتخذوا أيمانهم الكاذبة وقاية من القتل فأظهروا بها الإسلام؛ ليعصموا دماءهم وأموالهم، فصدوا الناس عن الحق بالتشيط للمسلمين، فلهم عذاب مذل.
- (١٧) لن تغني عنهم أموالهم، ولا أولادهم من الله شيئا، أولئك أصحاب النار الذين يدخلونها ما كثين فيها أبدا.
- (١٨) يوم يبعثهم الله جميعا للجزاء، فيحلفون لله ما كانوا على النفاق، وإنما كانوا مؤمنين، يحلفون له في الآخرة كما كانوا يحلفون لكم - أيها المؤمنون - في الدنيا أنهم مسلمون، ويظنون أنهم بأيمانهم هذه على شيء مما يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً، ألا إنهم هم الكاذبون حقا في الدنيا والآخرة.
- (١٩) استولى عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله بوسوسته، أولئك المذكورون هم جنود إبليس، ألا إن جنود إبليس هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فقد باعوا الهدى بالضلالة، والجنة بالنار.
- (٢٠) إن الذين يعادون الله، ويعادون رسوله أولئك فيمن أذلهم الله من الأمم في الدنيا والآخرة.
- (٢١) حكم الله لينتصرن هو ورسوله على أعدائهم بالحجة والقوة، إن الله قوي لا يعجز عن نصر رسله، عزيز قادر على أن ينتقم من أعدائهم.
- (٢٢) لا تجد - أيها الرسول - قوما يؤمنون بالله، وبيوم القيامة يحبون من عادى الله، ولو كان من يحبونهم آباءهم، أو أبناءهم، أو إخوانهم، أو عشيرتهم؛ فالإيمان يحجز عن موالاته أعداء الله، ورابطة الإيمان أعلى من غيرها من الروابط، فهي مقدمة عند التعارض، أولئك الذين لا يوالون من عادى الله ولو كانوا أقرباء هم من أثبت الله الإيمان في قلوبهم، وقواهم بنصر منه على أعدائهم في الدنيا، ويدخلهم يوم القيامة في جنات عدن، تجري من تحتها الأنهار؛ مستمرين فيها أبدا، رضي الله عنهم رضوانا لا يسخط بعده أبدا، ورضوا هم عنه؛ لما أعطاهم من النعيم الدائم، أولئك المذكورون جند الله الذين يمتثلون ما أمر به، ويكفون عما نهى عنه، ألا إن جند الله هم الفائزون بما ينالون من مطلوبهم، وبما يفوتهم من مرهوبهم.



سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مَن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَزِي الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُم مِّمَّا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ ﴿

- (١) نزه الله عما لا يليق به ما في السماوات، وما في الأرض من المخلوقات، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الحكيم فيما يجريه ويقدره.
- (٢) هو الذي أخرج بني النضير لكفرهم بالله وتكذيبهم برسوله من ديارهم بالمدينة وهم أصحاب التوراة بعد نقضهم لعهدهم ومناصرتهم للمشركين، ما ظننتم - أيها المؤمنون - أن يخرجوا من ديارهم لعزتهم ومنعتهم، وظنوا هم أن حصونهم مانعتهم من بأس الله، وعقابه، فجاءهم بأس الله من حيث لم يقدروا مجيئه حين أمر رسوله بقتالهم، وإجلائهم من ديارهم، ورمى الله في قلوبهم الخوف الشديد، يدمرون بيوتهم بأيديهم من داخلها، ويدمرها المسلمون من خارجها، فاتعظوا يا أصحاب الأبصار بما نزل بهم بكفرهم.
- (٣) ولولا أن الله كتب إجلائهم من ديارهم لأصابهم ما أصاب إخوانهم من بني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب النار الذي لا ينقطع.
- (٤) ذلك العذاب الذي حصل لهم؛ لأنهم عادوا الله، وعادوا رسوله بالكفر ونقض العهد، ومن يعاد الله فإن الله شديد
- العقاب، فسيصبيه عقابه الشديد.
- (٥) ما قطعتم - معشر المؤمنين - من نخلة لبني النضير، أو تركتموها قائمة على جذوعها بأمر الله، وليذل الله به الخارجين عن طاعته من اليهود الذي نقضوا العهد، واختاروا الغدر على الوفاء.
- (٦) وما ردّه الله على رسوله من أموالهم فما أسرعتم في طلبه خيلاً، ولا إبلاً، ولا نالتكم فيه مشقة، ولكن الله يسلب رسوله على من يشاء، وقد سلط رسوله عليهم، ففتح بلادهم صلحاً، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.
- (٧) ما ردّ الله على رسوله من أموال أهل القرى من غير قتال فله يصرفه لمن يشاء، وللرسول ملكاً، ولذوي قرابته من بني هاشم، وبني المطلب؛ لحرمانهم من الصدقة، ولليتامى، وللفقراء، وللغريب الذي لا نفقة معه؛ لكي لا يقتصر تداول المال على الأغنياء وحدهم، وما أعطاكم الرسول من أموال الفيء فخذوه - أيها المؤمنون - وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب فخافوا عقابه.

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصِرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ .

دياركم، فسننصركم، ولن نسلمكم، فلئن أخرجكم المسلمون منها لنخرجن معكم، ولا نطيع من يمنعنا من الخروج معكم، وإن قاتلوكم لنعيننكم عليهم، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما ادعوه من الخروج معهم إذا أخرجوا، ومن القتال معهم إذا قاتلوا.

(١٢) لئن أخرجهم المسلمون لا يخرجوا معهم، وإن قاتلوهم لا يعينوهم، ولئن أعانوهم على المسلمين ليفرن منهم، ثم لا ينصر المنافقون بعد ذلك، بل يذلهم الله.

(١٣) لأنتم - أيها المؤمنون - أشد تخويفا للمنافقين واليهود، وإرهابا لهم من الله، شدة خوفهم هذا منكم وضعفها من الله بسبب أنهم قوم لا يفهمون، فلو كانوا يفهمون لعلموا أن الله أحق أن يخاف وأن يرهب.

(١٤) لا يقاتلكم اليهود والمنافقون مجتمعين إلا في قري محصنة بالأسوار، أو من وراء جدران، فهم جبناء عن مواجهتكم، بأسهم فيما بينهم قوي؛ لما بينهم من العداوة، تظن أن كلمتهم واحدة، وأن صفهم واحد، لكن قلوبهم مختلفة، ذلك الاختلاف؛ لأنهم لا يعقلون، إذ لو كانوا يعقلون لعرفوا الحق، ولم يختلفوا فيه.

(٨) ويعطى جزء منه للفقراء المهاجرين في سبيل الله الذين أجبوا على ترك أموالهم وأولادهم، يرجون أن يتفضل الله عليهم بالرزق في الدنيا، وبالرضوان في الآخرة، وينصرون الله، وينصرون رسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الراسخون في الإيمان حقا.

(٩) والأنصار الذين نزلوا المدينة قبل المهاجرين، واختاروا الإيمان يحبون من هاجر إليهم من دار الكفر، ولا يجدون في صدورهم حسدا إذا ما أعطي المهاجرون شيئا من الفيء، وحرموا هم، ويقدمون على أنفسهم المهاجرين في الحظوظ الدنيوية، ولو كانوا هم فقراء محتاجين، ومن يقه الله حرص نفسه على المال، فأنفقه في سبيله فأولئك هم الفائزون بمبتغاهم.

(١٠) والمؤمنون الذين يأتون من بعد هؤلاء يقولون: ربنا اغفر لنا ولإخواننا في الإيمان الذين سبقونا إلى الإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غشا ولا حسدا لأحد من المؤمنين، ربنا إنك رؤوف بعبادك، رحيم بهم.

(١١) ألم تر - أيها الرسول - إلى الذين أخفوا الكفر، وأظهروا الإيمان يقولون لإخوانهم في الكفر من اليهود: اثبتوا في

١٤ في الآية الكريمة إشارة إلى طبيعة نفسية ملازمة لليهود تدل على جبنهم الشديد، حيث أنهم لا يقاتلون إلا من وراء تحصينات وجدر، وهو ما نراه على مدى تاريخهم وصولا للعصر الحديث، وما خط بارليف والجدار العازل ببعيد.



﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ
﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَتَنظَّرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ .

ذلك الجبل متشققا من شدة خشية الله اتعاضا بمواعظه،
وخوفا من الوعيد الشديد، وهذه الأمثال نضربها للناس
لعلهم يتفكرون فيما تشتمل عليه من العبر.

(٢٢) هو الله الذي لا معبود بحق غيره، عالم ما غاب وما
حضر، رحمان الدنيا والآخرة، رحيمهما وسعت رحمته
الخلايق.

(٢٣) هو الله الملك، المنزه عن كل نقص، السالم من كل عيب،
المصدق رسله بالمعجزات، الرقيب على عباده، العزيز
الذي لا يغلبه أحد، الجبار الذي قهر بجبروته كل شيء،
المتكبر، تنزه الله عما يشركه به المشركون من الأوثان
وغيرها.

(٢٤) هو الله الخالق لكل شيء، الموجد للأشياء، المصور
لمخلوقاته كيف يشاء، له الأسماء الحسنى المشتملة على
صفاته العلا، ينزهه ما في السماوات وما في الأرض عن
كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم فيما يجريه
من قدر وما يشرعه من حكم .

(١٧) فكانت عاقبة الشيطان والذي أطاعه أنهما يوم القيامة
يكونان في النار ماكثين فيها أبدا، وذلك العقاب هو
عقاب الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي.

(١٨) وينادي الله المؤمنين أمرا إياهم بالتقوى، كما أمر أن تتأمل
نفس ما قدمت من عمل صالح لآخرتها، وأن يتقي
الجميع الله، إن الله خبير بما تعملون، وسيجازيكم على
أعمالكم.

(١٩) ويحذرهم أن يكونوا مثل الذين نسوا الله بترك امثال
أمره واجتناب نهيه، فأنساهم أنفسهم، فلم يعملوا بما
يسعدها، ويقربها من ربها أولئك الذين نسوا الله هم
الخارجون عن طاعة الله.

(٢٠) لا يستوي أصحاب النار، وأصحاب الجنة في العمل ولا
في الجزاء، أصحاب الجنة هم الفائزون بنيل المطلوب،
والنجاة من المرهوب.

(٢١) لو أنزلنا هذا القرآن - أيها الرسول - على جبل لشاهدت

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّتِكُمْ ءَوْلِيَاءَ تَلْقَوْتُمْ اِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ اَنْ تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ رَبِّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَاِنِغَاةً مَّرَضًا قِي تُسْرُونَ اِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَاَنَا اَعْلَمُ بِمَا اَخْفَيْتُمْ وَمَا اَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ اِنْ يَشْفِقُوْكُمْ يَكُوْنُوْا لَكُمْ اَعْدَاءً وَيَسْطُوْا اِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَاَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوْءِ وُوْدُوْا لَوْ تَكْفُرُوْنَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ اَرْحَامُكُمْ وَلَا اَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ اَسُوَةٌ حَسَنَةٌ فِيْ اِبْرٰهِيْمَ وَاَلَّذِيْنَ مَعَهُ اِذْ قَالُوْا لَقَوْمِهِمْ اِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ كُفْرًا بِكُمْ وِبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَاَبْغَضَاءً اَبَدًا حَتّٰى تُؤْمِنُوْا بِاللّٰهِ وَحَدُّهُ اِلَّا قَوْلُ اِبْرٰهِيْمَ لَآئِبِيْهِ لَاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا اَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِيْكَ تَوَكَّلْنَا وَاِلَيْكَ اَنْبَا وَاِلَيْكَ الْمَصِيْرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيْهِمْ اَسُوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوْا اللّٰهَ وَاَلْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَنْوَلْ فَاِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً وَاللّٰهُ قَدِيْرٌ وَّاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٧﴾﴾

عليه السلام والمؤمنين الذين كانوا معه إذ قالوا لقومهم الكفار: إنا بريئون منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بما أنتم عليه، وظهرت بيننا وبينكم العداوة والكراهية حتى تؤمنوا بالله وحده، ولا تشركووا به أحدا، إلا قول إبراهيم عليه السلام لأبيه لأطلبن لك المغفرة من الله، فلا تتأسوا به فيه بأن تطلبوا المغفرة لمشرك، ويقول إبراهيم لأبيه: لست بدافع عنك من عذاب الله شيئا، ربنا عليك اعتمادنا، وإليك رجعتنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

ربنا لا تصيرنا فتنه للذين كفروا بتسليطهم علينا فيقولون: لو كانوا على حق لما سلطنا عليهم، واغفر لنا ربنا ذنوبنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغلب، الحكيم فيما تجر به من قدر.

لقد كان لكم - معشر المؤمنين - فيهم قدوة حسنة لمن كان يؤمن بالله، هذه القدوة، إنما يتأسى بها من كان يرجو الخير من الله، ومن يستنكف عنها فإن الله غني عن عباده، لا يحتاج إلى طاعتهم، المحمود على كل حال.

عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم من الكفار محبة بعد توبتهم، فيكونوا إخوة لكم في الدين، والله قدير لا يعجز أن يقلب قلوبهم إلى الإيمان، والله غفور للتائبين من عباده، رحيم بهم.

(١) ينادي الله المؤمنين ناهيا إياهم عن اتخاذ أعدائه وأعداء المؤمنين أولياء يوالونهم، و يوادونهم، وقد كفروا بما جاء المؤمنين من الدين، يخرجون الرسول من بلده، ويخرجون المؤمنين من ديارهم بمكة، لا يراعون فيهم قرابة ولا رحما، لا لذنبا إلا أن المؤمنين آمنوا بالله ربهم، وينهاهم عن ذلك إن كان خروجهم لأجل الجهاد في سبيل الله، ومن أجل مرضاته، يسرون إليهم بأخبار المسلمين مودة لهم، والله أعلم بما أخفيتم من ذلك وما أعلنتم، ومن يفعل تلك الموالاة للكفار فقد حاد عن وسط الطريق طريق الحق.

(٢) إن يلاقوا المؤمنين أظهروا ما يضمرونه في قلوبهم من العداوة، ومدوا أيديهم إليهم بالإيذاء، وأطلقوا ألسنتهم بالسب، وتمنوا لو يكفر المؤمنون بالله وبرسوله؛ ليكونوا مثلهم.

(٣) لن تنفع المؤمنين قرابة الكفار، ولن تنفعهم أولادهم إذا والوا الكفار من أجلهم، يوم القيامة يفرق الله بينهم، فيدخل أهل الجنة منهم الجنة، وأهل النار منهم النار، فلا ينفع بعضهم بعضا، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

(٤) لقد كان لكم - معشر المؤمنين - قدوة حسنة في إبراهيم



﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُم مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجَّرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُم أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتُمْ لَهَا فَاعْتَمُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يُؤْتِينَ بِهَتَّاتٍ بَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْتَهُنَّ وَأَسْتَعْفَرْتَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴿

(٨) اللاتي أسلمن، ذلكم المذكور من رد المهور من جهتكم، ومن جهتهم هو حكم الله، يحكم بينكم، والله عليم بعباده، وأعمالهم، حكيم فيما يشرعه لعباده، وما يجريه من قدر.

(٨) لا ينهاكم الله عن الذين لم يقتلوكم على إسلامكم، ولم يخرجوكم من دياركم أن تحسنوا إليهم، وتعطلوا بينهم بأن تعطوهم ما لهم من حق عليكم، إن الله يحب العادلين الذي يعدلون في أنفسهم وأهليهم وما ولوا.

(١١) وإن خرج بعض نسائك إلى الكفار مرتدات، وطلبتن مهورهن من الكفار ولم يعطوها، فغنتم من الكفار، فأعطوا أزواجهن مثل ما بذلوا من المهور، واتقوا الله الذين أنتم به مؤمنون.

(٩) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم على إسلامكم، وأخرجوكم من دياركم، وأعانوا على إخراجكم، أن تولوهم، ومن يوالهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بما ارتكبوه من ذنب يوقعها في الهلاك.

(١٢) يا أيها الرسول إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئا، بل يعبدنه وحده، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن كعادة أهل الجاهلية، ولا يلحقن بأزواجهن أولادهن من الزنا، ولا يعصينك في معروف فبايعهن، واطلب لهن من الله المغفرة لذنوبهن بعد مبايعتهن لك، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.

(١٠) ينادي الله المؤمنين أمرا إياهم بامتحان المؤمنات إن جئن مهاجرات إلى أرض الإسلام بأن يختبروهن في صدق إيمانهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علموهن - بعد الاختبار - مؤمنات بما يظهر من صدقهن فلا يردوهن إلى أزواجهن الكفار، لا يحل للمؤمنات أن يتزوجن من الكفار، ولا يحل للكفار أن يتزوجوا من المؤمنات، وأعطوا أزواجهن ما بذلوا من مهورهن، ولا إثم على المؤمنين أن يتزوجوهن بعد انقضاء عدتهن إذا أعطوهن مهورهن، ومن كانت زوجته كافرة أو ارتدت عن الإسلام فلا يمسكها لانقطاع نكاحهما بكفرها، وأسألوها - معشر المؤمنين - الكفار ما بذلتن من مهور زوجاتكن المرتدات، وليسألوا هم ما بذلوا من مهور زوجاتهم

(١٣) وينادي الله المؤمنين محذرا إياهم أن يتولوا قوما غضب الله عليهم بكفرهم وظلمهم، لا يوقنون بالآخرة، بل هم يأسون منها مثل يأسهم من رجوع موتاهم لإنكارهم بعث الموتى.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ يَقُولُونَ لِقَوْمِهِمْ لَمَّا نَزَّلْنَا آيَاتِنَا فِي الْأَرْضِ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجْرِيفٍ نُجِّيكُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَوْمِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ .

- (١) نزه الله عما لا يليق به ما في السماوات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم فيما يجريه، ويقدره.
- (٢) ينادي الله المؤمنين محذراً إياهم من الادعاء الكاذب كأن يقولوا: قاتلنا ولم يقاتلوا.
- (٣) عظم سخطا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلونه، فلا يليق بالؤمن إلا الصدق.
- (٤) إن الله يحب المؤمنين الذين يقاتلون؛ ابتغاء مرضاته صفاً، بعضهم جنب بعض كأنهم بنیان مصفوف بعضه إلى بعض.
- (٥) ويأمر الله رسوله أن يذكر قول موسى لقومه: يا قوم لم تؤذونني بمخالفة أمري وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ فلما مالوا عما جاءهم به من الحق، أمال الله قلوبهم عن الحق، والله لا يوفق للحق القوم الخارجين عن طاعته.
- (٦) يأمر الله رسوله أن يذكر حين قال عيسى بن مريم: يا بني إسرائيل إني رسول الله، مصدقاً لما نزل قبلي من التوراة، ومبشراً برسول يجيء من بعدي اسمه أحمد، فلما
- (٧) وما من أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله الكذب بجعل شريك معه، وهو يدعى إلى الإسلام الداعي للتوحيد، والله لا يوفق القوم الظالمين لأنفسهم بالشرك.
- (٨) يريد الكفار أن يطفئوا نور الله بقولهم الباطل وتشويه الحق، والله مكمل نوره بإظهار دينه وإعزاز كلمته.
- (٩) هو الذي بعث رسوله محمداً ﷺ بدين الإسلام دين الهداية للخير، ليرفعه على جميع الأديان، ولو كره المشركون ذلك.
- (١٠) يا أيها الذين آمنوا بالله هل أرشدكم إلى تجارة رابحة، تتقدم من عذاب موجه.
- (١١) أن تؤمنوا بالله، وتجاهدوا في سبيله ببذل أموالكم، و أنفسكم؛ ابتغاء مرضاته، ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون، فسارعوا إليه.
- (١٢) يغفر الله لكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ويدخلكم مساكن طيبة في جنات إقامة دائمة، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم الذي لا فوز فوقه.



﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّنَ مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

بأن ينصروا دينه مثل نصر الحواريين لما قال لهم رسولهم عيسى: من أنصاري إلى الله، فأجابوه: نحن أنصار الله، فأمن فريق من بني إسرائيل بعيسى، وكفر به فريق آخر، فأيدنا الذين آمنوا به على الذين كفروا به فأصبحوا عاين عليهم.

(١٣) وخصلة أخرى تحبونها معجلة في الدنيا أن ينصركم الله على عدوكم، وفتح قريب يفتح عليكم، وبشر - أيها الرسول - المؤمنين بالنصر في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة.

(١٤) وينادي الله المؤمنين أمرا إياهم أن يكونوا أنصار الله

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ﴾

والله ذو الإحسان العظيم، ومن إحسانه العظيم إرساله محمدا ﷺ.

مثل الذين كلفوا القيام بما في التوراة، فتركوا ما القيام به واجب كمثل الحمار يحمل الكتب الكبيرة، لا يدري ما حمل عليه؟ قبح مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لا يوفق القوم الظالمين بالهداية للحق.

ويأمر الله رسوله أن يقول للذين بقوا على اليهودية بعد تحريفها: إن زعمتم أنكم أولياء الله اختصكم بالولاية فتمنوا الموت؛ ليعجل لكم ما تختصون به من الكرامة إن كنتم صادقين في دعاكم هذه.

ولا يتمنون الموت أبدا لكفرهم وظلمهم، وتحريفهم التوراة، والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من أعمالهم شيء.

(١) ينزه الله عن كل ما لا يليق به من صفات النقص ما في السماوات، وما في الأرض من الخلائق، المنفرد وحده بالملك، المنزه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه.

(٢) هو الذي أرسل في العرب رسولا منهم، يقرأ عليهم آياته، ويظهرهم من الكفر ومساوئ الأخلاق، ويعلمهم القرآن، والسنة، وإنهم كانوا من قبل إرساله إليهم لفي ضلال عن الحق واضح.

(٣) وبعثه إلى قوم آخرين من العرب وغيرهم لم يأتوا بعد، وسيأتون، وهو العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه.

(٤) ذلك المذكور من بعث الرسول فضل الله، يعطيه من يشاء،

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْبِ الْعَقَبِ وَالشَّهَادَةُ فَبَيْنَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

- (٨) ويأمره أن يقول لهم: إن الموت الذي تهربون منه ملافيكم لا محالة، ثم ترجعون يوم القيامة إلى الله عالم ما غاب وما حضر، فيخبركم بما كنتم تعملونه في الدنيا، ويجازيكم عليه.
- (٩) ينادي الله المؤمنين أمرا إياهم - إذا أذن للصلاة من يوم الجمعة بعد صعود الإمام المنبر - بالسعي إلى المساجد لحضور الخطبة والصلاة، وترك البيع؛ خوف الانشغال عن الطاعة، ما أمركم الله به - أيها المؤمنون - خير لكم إن كنتم تعلمون ذلك فامثلوا أمر الله.
- (١٠) فإذا أنهيتهم صلاة الجمعة فتفرقوا في الأرض؛ بحثا عن الكسب الحلال، واطلبوا من فضل الله، واذكروا الله أثناء بحثكم عن الرزق ذكرا كثيرا، ولا ينسكم بحثكم عن ذكر الله؛ لعلكم تفلحون في الدنيا والآخرة.
- (١١) وإذا شاهد بعضهم تجارة أو لهوا تفرقوا إليها، وتركوا - أيها الرسول - قائما على المنبر، فيأمر الله رسوله أن يقول لهم: ما عند الله من الثواب على العمل الصالح خير من التجارة واللهو الذي انصرتم إليه، والله خير الرازقين.

سورة المنافقون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾

- (١) يصف الله المنافقين عند حضور مجلس رسوله بإظهار الإسلام وإضمار الكفر، فهم في الظاهر يقولون: نشهد أنك لرسول الله، والله يشهد أنك لرسوله، والله يعلم إن المنافقين لكاذبون فيما يدعون أنه اعتقادهم، فليس من اعتقادهم.
- (٢) جعلوا أيمانهم التي يحلفونها ستره لهم من القتل والأسر، وصرفوا غيرهم عن الإيمان بما يبشرونه من الشبه.
- (٣) ذلك لأنهم آمنوا؛ نفاقا، ثم كفروا سرا فختم على قلوبهم بكفرهم، فلا يدخلها إيمان، فهم لا يفقهون ما فيه صلاحهم ورشدهم بسبب الحتم على قلوبهم.
- (٤) وإذا رأيتهم - أيها الناظر - تعجبك هيئاتهم نضارة وتنعمًا، وإذا نطقوا تسمع لكلامهم لبلاغته كأنهم في مجلسك - أيها الرسول - خشب مسندة، لا يفهمون شيئا ولا يعونه، يظنون من الجبن كل صوت يقصدهم، هم العدو حقا، فاحذرهم، لعنهم الله، كيف يصرفون عن الإيمان مع وضوح براهينه.



﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَيَلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

- (٥) وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله أموالوا رؤوسهم إعراضاً واستكباراً.
- (٦) سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق.
- (٧) هم الذين يقولون للأنصار لا تنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين حتى يتفرقوا عنه، ولله خزائن السموات والأرض وما فيها من أرزاق يعطيها من يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون ذلك.
- (٨) يقولون متوعدين: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن
- (٩) يا أيها الذين آمنوا لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم. عن ذكر الله وأداء ما فرضه عليكم من الصلوات، ومن تشغله أمواله وأولاده عن ذلك فأولئك هم الخاسرون يوم القيامة.
- (١٠) وأنفقوا في الزكاة مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب هلا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق بالزكاة وأكن من الصالحين.
- (١١) ولن يمهل الله نفساً إذا حان وقت موتها، والله عليم بما تعملون، يجازيكم عليه.

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

- (١) ينزه الله عن صفات النقص ما في السماوات، وما في الأرض من الخلائق، له وحده الملك، وله الثناء الحسن، وهو على كل شيء قدير.
- (٢) هو الذي خلقكم - أيها الناس - فمنكم كافر به، ومنكم مؤمن به، والله بما تعملون بصير، لا يخفى عليه من أعمالكم شيء.
- (٣) خلق السماوات، وخلق الأرض بالحق، لا عبثاً، وصوّركم - أيها الناس - فأحسن صوركم تفضلاً منه، وإليه وحده الرجوع يوم القيامة للجزاء.

﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبُحْبُوحِهِمْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَمَنَّوْا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ .

- (٤) يعلم ما في السماوات، ويعلم ما في الأرض، ويعلم ما تخفون من الأعمال، ويعلم ما تعلنونه، والله عليم بما في الصدور، لا يخفى عليه شيء.
- (٥) ألم يأتكم خبر الأمم المكذبة من قبلكم مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم، فذاقوا عقاب أعمالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة، عذاب موجه.
- (٦) ذلك الذي نالهم من العذاب؛ لأنه كانت تأتيهم رسلهم من عند الله بالحجج الجليلة، فقالوا؛ مستكرين أن يكون الرسل من جنس البشر: أبشر يرشدوننا إلى الحق؟ وأعرضوا فما ضرّوا الله شيئاً، واستغنى الله عن طاعتهم؛ لأن طاعتهم لا تزيده شيئاً، والله غني، لا يفتقر إلى عباده، محمود على كل حال.
- (٧) زعم الذين كفروا بالله أن لن يعذبوا أحياء بعد موتهم، فيأمر الله رسوله أن يقول لهم: بلى وربّي لتبعثنّ يوم القيامة، ثم لتخبرنّ بما عملتم في الدنيا، وذلك البعث على الله سهل؛ فمن خلقكم أول مرة لا يعجز عن بعثكم ثانياً للجزاء.
- (٨) ويأمر الله رسوله أن يذكر يوماً يجمعهم الله ليوم القيامة، ذلك اليوم يوم التغابن حقاً، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً يكفر عنه سيئاته، ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار؛ ماكتنن فيها أبداً، لا يخرجون منها، ولا ينقطع عنهم نعيمها، ذلك الذي نالوه هو الفوز العظيم الذي لا يقاربه فوز.
- (٩) والذين كفروا بالله، وكذبوا بآياتنا المنزلة على رسولنا أولئك أصحاب النار ماكتنن فيها أبداً، وقبح المصير مصيرهم الذي يرجعون إليه.
- (١٠) ما أصابت مصيبة إلا بقضاء الله، ومن يؤمن بالله وقضائه وقدره يرشد قلبه عند حلول مصيبة، والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.
- (١١) وأطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، فإن أعرضتم عما جاءكم به رسوله، فإنم الإعراض عليكم، وليس على رسولنا إلا التبليغ، وقد بلغكم ما أمر بتبليغه.

♥ جاء العلم الحديث ليؤكد باطل زعم الكافرين عدم البعث والنشور فقد اكتشف علماء الطب مؤخراً أن الذي يقوم بالتخليق والتنظيم لجميع خلايا الجنين هو الخيط الأولي والعقدة الأولية وهما اللذان ينظمان خلق الجنين وأطلق عليهما اسم (المنظم الأولي أو المخلوق الأولي والذي يستقر في عجب الذنب (آخر الفقرات أسفل العمود الفقري) وقد أثبتت التجارب المخبرية استحالة إضفاء عجب الذنب كيميائياً بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائياً بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، وهو ما أخبر به النبي ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) ليكون ذلك كله شاهداً باهراً على صدق ما أخبر به نبينا محمد ﷺ ودليلاً حقاً أنه على الله يسير.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَنَفِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ .

- (١٣) الله هو المعبود بحق، لا معبود بحق غيره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون في أمورهم.
- (١٤) ينادي الله المؤمنين مخبراً إياهم أن من أزواجهم وأولادهم عدواً لهم يشغلونهم عن ذكر الله، والجهاد في سبيله فليحذروهم أن يؤثروا عليهم، وإن عفوا عن زلاتهم، وعن تشييطهم إياهم عن الجهاد فإن الله يغفر لهم ذنوبهم.
- (١٥) إنما أموالكم وأولادكم ابتلاء واختبار لكم، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر طاعته على الأولاد، والأموال.
- (١٦) فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا وأطيعوا الله ورسوله، وابدلوا أموالكم التي رزقكم الله، ومن يقه الله حرص نفسه على المال فأولئك هم المفلحون حقاً.
- (١٧) إن تقرضوا الله قرضاً حسناً بالإنفاق من أموالكم في سبيله يضاعف لكم الثواب، ويتجاوز لكم عن ذنوبكم، والله شكور، يعطي القليل فيكافئ بالكثير، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.
- (١٨) عالم ما غاب، وعالم ما حضر، العزيز الذي لا يغلبه أحد، الحكيم في خلقه وشرعه.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَنْحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ
يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا
الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ .

- (١) يا أيها النبي إذا أردتم طلاق النساء فطلقوهن في طهر لم تمسوهن فيه، واحفظوا العدة؛ لتتمكنوا من مراجعتهن فيها إن أردتم مراجعتهن، واتقوا الله ربكم، لا تخرجوا مطلقاتكم من البيوت التي يسكنن فيها، ولا يخرجن بأنفسهن حتى تنقضي عدتهن، إلا أن يفعلن فعلة منكرة واضحة، وتلك الأحكام هي حدود الله، ومن يتجاوز حدود الله فقد ظلم نفسه بإهلاكها بالمعصية، لا تعلم - أيها المطلق - لعل الله يحدث بعد ذلك الرغبة في قلبك فترجع زوجتك.
- (٢) فإذا قاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن أو اتركوا مراجعتهن حتى تنقضي، مع إعطائهن ما لهن من حقوق، وأشهدوا عند مراجعتهن أو مفارقتهن عدلين منكم، واثتوا - أيها الشهود - بالشهادة؛ مبتغين وجه الله، ذلك المذكور يذكر به من كان يؤمن بالله، ويؤمن بيوم القيامة؛ لانتفاعه بالتذكير، ومن يتق الله يجعل مخرجاً من كل ضيق وحرَج.

﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾
 وَالَّتِي يُبَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَمْحَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ
 حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ
 أَجْرًا ﴿٥﴾ أَتَسْكُنُونَهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ
 حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمُّوا بِنِكَاحِكُمْ بِعُرُوقِكُمْ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمُ فَسَاطِرُكُمْ فَتَرْضَعْنَ لَكُمْ يُفْتَقُ ذُو سَعَةٍ مِّن
 سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَاتِبٍ مِّن
 قَرْبَةٍ عِنْتِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا ﴿٩﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾

- (٣) ويرزقه من حيث ما لا يقدر عليه، ومن يعتمد على الله في أموره فهو كافي، إن الله بالغ أمره، لا يعجز عن شيء، ولا يفوته شيء، قد جعل الله لكل شيء قدرًا ينتهي إليه، فلا دوام لشدة ولا استمرار لرخاء، ولا بقاء لغير الله.
- (٤) والمطلقات اللواتي من الحيض لكبر سنهن إن شككنكم في كيفية عدتهن، فعدهن ثلاثة أشهر، والصغيرات اللائي لم يبلغن سن الحيض عدتهن ثلاثة أشهر كذلك، والحوامل من النساء عدتهن من طلاق أو وفاة وضع حملهن، ومن يتق الله ييسر له أموره.
- (٥) ذلك المذكور حكم الله أنزله إليكم - أيها المؤمنون - فاعملوا به، ومن يتق الله يح عنه سيئاته، ويعطه أجرًا عظيمًا في الآخرة، هو دخول الجنة.
- (٦) ويأمر الله الأزواج أن يسكنوهن من حيث سكنوا من وسعهم، فلا يكلفون غير وسعهم، وينهاهم عن إدخال الضرر عليهن في النفقة والسكن، وغيرهما؛ بغية التضيق عليهن، وإن كانت المطلقات حوامل فلينفقوا
- (٧) لينفق من له سعة في المال على مطلقاته وعلى ولده من سعته، ومن ضيق عليه رزقه فلينفق مما أعطاه الله منه، لا يكلف الله نفسًا إلا ما أعطاه، سيجعل الله بعد ضيق حاله سعة وغنى.
- (٨) وكثيرة هي القرى التي عصت أمر ربها، وأمر رسله حاسبناها حسابًا عسيرًا على أعمالها، وعذبناها عذابًا شنيعًا في الدنيا بالجوع والعري وغيرهما، وفي الآخرة بالنار.
- (٩) فذاقت عقوبة أعمالها، وكان نهايتها خسارًا في الدنيا، وخسارًا في الآخرة.
- (١٠) هيأ الله لهم عذابًا قويا، فاتقوا الله - يا أصحاب العقول - حتى لا يصيبكم ما أصابهم، الذين آمنوا بالله وآمنوا برسوله قد أنزل الله إليكم ذكرا يذكركم بما يريد منكم.

٤ علاوة على ما كان معروفاً سابقاً من فوائد مرور الحيضات الثلاث لاستبراء رحم المرأة المطلقة وانتفاء أية شبهة في اختلاط الأنساب فقد كشف الأطباء بعد بحوث ومشاهدات سريرية ومخبرية أن العلاقة الزوجية لها بصمات مؤثرة في نفسية المرأة وجسدها لا تزول فوراً لدى انفصام عقد الزوجية بينها وبين زوجها، وإنما شيئاً فشيئاً؛ ومن ذلك فإن مراحل نضج البويضات التي يفرزها المبيض لديها لها تأثير نسبي يتدرج في زواله بانفصام العلاقة الزوجية على مراحل؛ بمعنى أن بصمة الزوج لا تزول إلا بعد حيضات ثلاث، وهذا الكلام صدر ما يشبهه عن طبيب فرنسي متخصص في هذا المجال، وقد أقيمت الأشهر الثلاثة مكان الحيضات الثلاث بالنسبة للصغيرة التي لم تحض وكذا الطاعنة في السن التي يئست من الحيض. فسبحان الله الخالق الحكيم الذي جعل لكل شيء قدراً.



﴿رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ .

(١١) هذا الذكر هو رسول منه يقرأ عليكم آيات الله مبينات؛ رجاء أن يخرج الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة من ظلمات الضلال إلى نور الهداية، ومن يؤمن بالله، ويعمل عملاً صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ماكتن فيهما أبداً، قد أحسن الله له رزقاً حيث أدخله نعيماً لا ينفد.

١٢ في الآية الكريمة إشارة إلى ما تقرر عند علماء الأرض بعد أن تطورت أجهزة القياس وأظهرت للعلماء تمايزاً واضحاً بين أجزاء الأرض الداخلية وجد العلماء أنفسهم يصنفون طبقات الأرض إلى سبع طبقات وأن طبقات الأرض السبع تختلف اختلافاً جذرياً من حيث تركيبها وكتافتها ودرجة حرارتها ونوع المادة فيها، يقودنا هذا إلى القول بأن القرآن الكريم قد حدد شكل الأرض وأنها طبقات، وحدد أيضاً عدد هذه الطبقات وهي سبعة، أي أن القرآن الكريم قد سبق علماء القرن العشرين إلى الحديث عن حقيقة الأرض بأربعة عشر قرناً.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ .

(١) يا أيها الرسول لم تحرم ما أحل الله لك من الاستمتاع بجارياتك مارية؛ تبتغي بذلك إرضاء زوجاتك، والله غفور لك، رحيم بك.

(٢) قد شرع الله لكم تحليل أيمانكم بالتكفير عنها إذا حشتم، والله ناصركم، وهو العليم بما يصلح لكم، الحكيم في شرعه.

(٣) وإذ أسر الرسول إلى زوجته حفصة حديثاً، فلما أفشته إلى عائشة، وأطلعها الله على ذلك عرفت حفصة ببعض ما أفشته من حديثه إلى عائشة، ولم يعرف بعضها، فلما أخبرها الرسول ﷺ بما أفشته قالت من أخبرك بما أفشيت من حديثك؟ قال: أخبرني بذلك العليم، الذي يعلم كل شيء، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء.

﴿ إِن نُّوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيْلٌ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظُهُورٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنْ أَن يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّمَّنْكَ مُّسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنِيْنَاتٍ تَيَبَّتْ عِيْدَاتٍ سَبَّحْتِ لِيْلَتِيْنَ وَأَبْكَرًا ﴿٥﴾ يَتَّيْبُهُا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَوْلًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٦﴾ يَتَّيْبُهُا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَعْدِرُوْا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿٧﴾ يَتَّيْبُهُا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا نُؤْبُوْا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوْحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُوْنَ رَبَّنَا آتِنَا مِنَّا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٨﴾ يَتَّيْبُهُا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَبِسِّ الْمَصِيْرِ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِيْنَ كَفَرُوْا أَمْرَاتٍ نُّوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُّوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدِيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِيْنَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِيْنَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِيْ عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيْهِ مِنْ رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنِيْنِ ﴿١٢﴾ ۝

فلا ينطفئ مثل نور المنافقين، واغفر لنا ذنوبنا، إنك على كل شيء قدير، فلا تعجز عن شيء مما طلبنا.

وينادي رسوله أمرا إياه أن يجاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، ويشدد عليهم، حتى يهابوه، ومأوهم يوم القيامة هو جهنم، وساء المصير مصيرهم.

(١٠) ضرب الله مثلا للكفار أن علاقتهم بالمؤمنين لا تنفع كعلاقة امرأتي نوح و لوط عليهما السلام، فقد كانتا زوجتين لعبيدين صالحين، فخانتا زوجيهما بما كانتا عليه من الصد عن سبيل الله، ومظاهرة الفساق من قومهما، فلم تنفعهما علاقتهم الزوجية بنوح و لوط عليهما السلام، وقيل لهما: ادخلا النار من جملة الداخلين فيها من الكفار والفساق.

(١١) وضرب الله مثلا للمؤمنين أن قرباتهم وصلتهم بالكفار لا تضرهم بحال امرأة فرعون حين قالت: يا رب ابن لي بيتا عندك في الجنة، وسلمني من جبروت فرعون، ومن أعماله السيئة، وسلمني من القوم الظالمين لأنفسهم بمتابعتهم إياه.

(١٢) وضرب الله مثلا للمؤمنين بحال مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها، فأمر الله جبريل أن ينفخ في كمّ درعها، فنفخ فيه، فحملت بقدرة الله بعيسى بن مريم من غير أب، وصدقت بشرائع الله، وبكتبه، وكانت من المطيعين لله.

(٤) ويخاطب الله عائشة وحفصة أنهما إن تابتا حصل المطلوب، فقد مالت قلوبهما إلى ما يكرهه ﷺ من تحريمه لجارتيه، وإن تعاضدتا عليه فإن الله هو ناصره، وكذلك جبريل عليه السلام، والمؤمنون الصالحون، والملائكة بعد نصر الله وجبريل وصالحي المؤمنين أعوان له عليهما.

(٥) عسى ربه إن طلقكن نبيه أن يبده أزواجا خيرا منكن، منقادات لأمره، مؤمنات بالله وبرسوله، مطيعات لله، تائبات من ذنوبهن، عابدات لربهن، صائمات، ثيبات، وأبكارا لم يدخل بهن غيره.

(٦) وينادي الله المؤمنين أمرا إياهم أن يجعلوا لأنفسكم ولأهليكم وقاية من نار عظيمة توقد بالناس وبالْحِجَارَة، على هذه النار ملائكة غلاظ على من يدخلها، شداد، لا يعصون أمر الله، ويفعلون ما يأمرهم به فورا.

(٧) وينادي الله الكفار يوم القيامة قائلا: لا تعتذروا اليوم مما كنتم عليه من الكفر، فلن تقبل أعداركم، إنما تجزون في هذا اليوم ما كنتم تعملونه في الدنيا.

(٨) وينادي المؤمنين أمرا إياهم بالتوبة إليه من ذنوبهم توبة صادقة، عسى ربهم أن يحو عنهم سيئاتهم، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يذل الله النبي ولا الذين آمنوا معه بالعذاب، نورهم يسعى بين أيديهم، وبأيمانهم على الصراط، يقولون: يا ربنا أكمل لنا نورنا،



سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِدًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ ﴾

- (١) تعاضم خير الذي بيده وحده الملك، وهو على كل شيء (٤) ثم ردّ بصرك مرّات فسيرتدّ إليك صاغرا دون العثور قدير، لا يعجزه شيء.
- (٢) الذي خلق الموت والحياة ليختبركم - أيها الناس - أيكم (٥) ولقد زيننا السماء القريبة إلى الأرض بنجوم كالمصابيح يكون عمله أحسن، وهو العزيز الذي لا يغالبه أحد، الغفور لذنوب من تاب من عباده.
- (٣) الذي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، ما ترى (٦) - أيها المشاهد - من تباين وعدم تناسب في خلق الله، فارجع البصر هل ترى من صدوع وشقوق.
- (٤) وللذين كفروا بالله وبرسوله من الإنس عذاب جهنم يوم القيامة، وساء المرجع مرجعهم.

٢ لقد اكتشف العلماء أن في داخل كل خلية من خلايا جسدنا ساعة حيوية فائقة الدقة، وهذه الساعة سخرها الله لتتحكم بجميع العمليات الحيوية بدءاً من ولادة الإنسان وحتى موته في النقاط التالية:

١- بعد أبحاث طويلة ومضنية اكتشف العلماء أن برنامج موت الخلية يخلق في الخلية ذاتها.

٢- يؤكد أطباء القلب أن ظاهرة الموت المفاجئ انتشرت كثيراً في السنوات الماضية، وأنه على الرغم من تطور علوم الطب إلا أن أعداد الذين يموتون موتاً مفاجئاً في ازدياد، وذلك من خلال الإحصائيات الدقيقة للأمم المتحدة والتي تؤكد أن ظاهرة الموت المفاجئ لم تظهر إلا حديثاً؛ وهي في تزايد مستمر على الرغم من كل الإجراءات الوقائية.

هناك حديث عجيب تتجلى فيه معجزة طبية لا تقبل الجدل، يقول النبي ﷺ: «إن من أمارات الساعة أن يظهر موت الفجأة» (رواه الطبراني). ألا تشهد هذه المعجزة للنبي ﷺ أنه رسول من عند الله؟

٣- وجد العلماء أن خلايا الإنسان والنبات والحيوان، فيها مواد داخل الشريط الوراثي تختص بموت هذه الخلية.

٣ تُسْتَعْمَلُ كَلِمَةُ (الطَّبَاقِ) فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الْآخِرِ تَارَةً وَفِيهَا يُوَافِقُ غَيْرَهُ تَارَةً كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْضُوعَةِ لِمَعْنَيَيْنِ ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي أَحَدِهِمَا مِنْ دُونِ الْآخَرِ.

٤ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْنِي وَهُوَ كَلِيلٌ وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ: الْحَسِيرُ الْمُنْقَطِعُ مِنَ الْإِعْيَاءِ وَمَعْنَى الْآيَةِ إِنَّكَ لَوَكَرَّرْتَ الْبَصَرَ مَهْمًا كَرَّرْتَ لَانْقَلَبَ إِلَيْكَ أَيْ لَرَجَعَ إِلَيْكَ الْبَصَرُ «حَاسِدًا» عَنِ أَنْ يَرَى عَيْبًا أَوْ خَللاً «وَهُوَ حَسِيرٌ» أَيْ كَلِيلٌ قَدْ انْقَطَعَ مِنَ الْإِعْيَاءِ مِنْ كَثْرَةِ التَّكْرُرِ وَلَا يَرَى نَقْصًا. وصف القرآن الكريم الكون بدقة مذهلة، وقد تمكن العلماء من فهم أبعاد الكون العظيمة عن طريق وجود راصدين بزوايا مختلفة لحساب بعد الأجرام السماوية، ووجد العلماء أن هذه النجوم والمجرات تدور في أفلاكها، وتتنظم في حركاتها مع ضخامتها وأبعادها المهولة، والتي تبعد عنا آلاف السنين الضوئية.

٥ سبقت الإشارة إليها في (الصفات: ٦)

﴿ إِذَا الْقُوفُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَمُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمْ أَمْنُكُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمْنُكُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾

- (٧) إذا رموا في جهنم سمعوا لها وهي تغلي صوتا منكرا فظيحا.
- (٨) تكاد جهنم تتقطع من الغيظ على أعداء الله، كلما طرح فيها جمع منهم سألتهم حراسها من الملائكة سؤال تقرير: أما جاءكم رسول يخوفكم من عذاب الله.
- (٩) فيجيب الكفار بلى جاءنا رسول يخوفنا من عذاب الله فكذبناه، وقلنا للرسول الذين جاؤونا: ما نزل من شيء مما زعمتم أنه من عنده، ولستم إلا في ضلال عظيم عن الحق.
- (١٠) وقالوا: لو كنا نسمع سماعا ينفع، أو نعقل عقلا يميز الحق من الباطل ما كنا ضمن أهل النار المستعرة.
- (١١) فاعترفوا بكفرهم وتكذيبهم بالرسول، فبعدا لهم من رحمة الله.
- (١٢) إن الذين يخافون عذاب ربهم وهو غائب عنهم لهم مغفرة من الله يغفر بها ذنوبهم، ولهم ثواب عظيم هو الجنة.
- (١٣) وأسروا - أيها الناس - ما تقولونه، أو أظهروه، فالله عليم بما في صدوركم من خير أو شر.
- (١٤) ألا يعلم من خلق ما يسر خلقه وما يجهرون به، وما يصلح لهم، وهو اللطيف بهم، الخبير بأمور عباده.
- (١٥) هو الذي جعل لكم - أيها الناس - الأرض سهلة منقادة فامشوا في مناكبها وجبالها، وكلوا من رزقه المبتوث فيها، وإليه رجوعكم بعد بعثكم للجزاء.
- (١٦) أأمتمم - يا مشركي مكة - الله الذي هو السماء وفق ما يليق به سبحانه أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي بعد ثباتها تضطرب.
- (١٧) أم أمتم الله الذي هو في السماء أن يرسل عليكم ريحا تحصبكم بالحجارة، فستعلمون كيف إنذاري لقد كان قويا.
- (١٨) ولقد كذبت الأمم السابقة برسولها فعاقتهم، فكيف كان إنكاري، لقد كان شديدا.

١٦ خسف الأرض من الظواهر المصاحبة لتصدع غلافها الصخري وغور أجزاء منه على هيئة ما يعرف باسم الأودية الخسيفة أو الأغوار، (المور) هو الحركة جيئةً وذهاباً في اضطراب وتموج شديدين، و(المور) و(الخسف) من العمليات المصاحبة للهزات الأرضية والثورات البركانية، و(الحاصب) هي الريح الشديدة التي من شدتها تثير الحصباء - الحصى، أو هي الحجارة المنزلة من السماء عقاباً للكفار والمشركين وأطفاة المتجبرين في الأرض، كما حدث لكل من قوم لوط، وأصحاب الفيل، ولغيرهم من العصاة السابقين. وقد سبقت الإشارة إلى وجود خسف في الأرض في سورة (النحل آية ٤٥).

فإذا هي تمور أي تذهب وتجيء. والمور: الاضطراب بالذهاب والمجيء، وقد اكتشف علماء الأرض أن قشرة الأرض على ألواح متحركة (الألواح التكتونية) التي تطفو على الصفيح الناري، ونتيجة لهذه الحركة فإن جزء الأرض في هذه الأجزاء يسقط. ويندمس في باطن الأرض. التي تمور فيها الدوامات النارية، فثبت لذلك تطابق دلالة النص مع الحقيقة التي عرفت حديثاً، ومن ناحية ثانية دلنا على أن هذا الكلام هو من خالق الأرض وسائر الموجودات الكونية، وأن المبلغ له هو رسول من الله، والثالثة أن هذا التهديد والوعيد يمكن وقوعه في كل لحظة لأن أسبابه متوفرة وباقية. وقد صور النبي ﷺ كما في حديث الخيلاء ما يجري في باطن الأرض من مور واضطراب في ذكره لحالة رجل خسف الله به الأرض فقال: (فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة).



﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَاتٍ وَيَقِظْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

تبصرون بها، وعقولا تعقلون بها، قليلا ما تشكرون نعم الله هذه وغيرها.

(٢٤) ويأمره أن يقول لهم: الله الذي خلقكم في الأرض، وإليه، لا إلى غيره تحشرون يوم القيامة للجزاء.

(٢٥) ويقول المكذبون بالبعث: متى يتحقق الوعد به مستبعدين إياه إن كنت - يا محمد - وأصحابك صادقين في دعواكم أنه آت.

(٢٦) ويأمر الله رسوله برّد علم ذلك إلى الله وحده، وأنه هو ليس إلا نذيرا بين النذارة.

(٢٧) فلما رأى الكفار الحشر قريبا منهم ظهرت الكآبة على وجوههم بعد معاينتهم العذاب، وقيل لهم تبكيتا: هذا العذاب هو الذي كنتم في الدنيا تطلبون وقوعه وتعجيله.

(١٩) أو لم يعاين المشركون الطير باسطات أجنحتها ويضممنها ما يمسكها ويمنعها من السقوط إلا الرحمن وحده، إنه بكل شيء بصير، لا يخفى عليه شيء.

(٢٠) بل من هذا الذي تزعمون أنه جند ينصركم من دون الرحمن؟ ما الكافرون في زعمهم أن آلهتهم تنصرهم إلا في خداع من الشيطان.

(٢١) بل من هذا الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه عنكم، بل تبادوا في طغيان عن الحق وشروء عن الهدى.

(٢٢) لا يتساوى الكافر والمؤمن كما لا يتساوى من يسير واقعا على وجهه مع من يسير معتدلا على طريق مستقيم.

(٢٣) يأمر الله رسوله أن يقول للمكذبين: الله، لا أصنامكم هو الذي خلقكم وجعل لكم أسماعا تسمعون بها وأبصارا

١٩ من الدلالات العلمية للآية الكريمة :

إن في إعطاء الطيور القدرة على ارتقاء الهواء، والسبح فيه بكفاءة عالية، والذي يتمثل في شكلها الخارجي، وتصميم جناحيها، والريش الذي يغطي جسمها، وخفة وزن هيكلها، وتزويد رثتها بشبكة من الحويصلات الهوائية، وتحويل طعامها إلى طاقة عالية، وتزويدها بقلوب ذات كفاءة عالية، والقدرة على التعرف على المواقع والاتجاهات والنجوم دلائل على قدرة الله وحكمته.

ويتم طيران الطيور بعمليتين أساسيتين هما الصف أو التحليق والقبض، أو الخفق، أو الرفرفة، أو ضم الجناحين وبسطهما، أو ما يعرف أحيانا باسم التصفيق بالجناحين، والصف أو التحليق هو بسط الجناحين إلى أقصى امتداداتهما، دون تحريكهما على هيئة سطح انسياب هوائي حاكاه الإنسان في صنع جناحي الطائرة. وباندفاع الطائر وسط كتلة الهواء يندفع الهواء إلى أسفل الجناحين مما يزيد الضغط عليهما فيساعد ذلك الطائر على الارتفاع إلى أعلى، وعلى التقدم بالانزلاق إلى الأمام، ويتحقق دفع الطائر إلى الأمام بتحكمه في زاوية ميل كل جناح من الجناحين والذيل، وفي درجة انحناء كل منهما، وبذلك يتحرك الهواء بسرعة. فوق الجناحين وأمامهما. تزيد على سرعته أسفل منهما وخلفهما مما يقلل الضغط فوق الجناحين، وأمام الطائر باستمرار فيساعده على الارتفاع في الطيران إلى الأمام، وإلى أعلى كلما أراد ذلك. فمن غير الله يمنحها كل تلك الوسائل، وهداها لحسن استعمالها؟ أفلا يؤمنون!

٢٣ قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ...﴾ (آية ٢٣)، سبق الكلام عن السمع والبصر والأفئدة في سورة (الإسراء آية ٣٦).

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ (٣٠).

من عذابه، فستعلمون بعد البعث من هو منّا في الدنيا والآخرة في بعد واضح عن الحق.

(٣٠) ويأمره أن يقول لهم: أخبروني إن أصبح ماؤكم الذي تشربون منه غائراً في الأرض، فمن الذي يأتيكم بماء جار يسير التناول. الله وحده هو الذي يأتي بذلك، لا أصنامكم.

(٢٨) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: أخبروني إن أماتني الله أو أهلك من معي من المؤمنين، أو رحمنا بأن نصرنا عليكم، فمن هذا الذي يحميكم من عذاب موجه يوم القيامة.

(٢٩) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين المتمنين هلاكه: هو الله الرحمن آمنّا به وعليه توكلنا فيجبرنا برحمته

٢٠ سبقت الإشارة إلى وجود خزانات في الأرض للمياه تمنع تسربها وتحفظها للإنسان فيحضر ويجد الماء. في قوله تعالى: ﴿ فأسكناه في الأرض ﴾ (المؤمنون: ١٨).

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنْ رَيْبُكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ نُفُوذُهُنَّ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَالٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾.

- (١) ن: سبق الكلام على نظائرها في بداية سورة البقرة. يقسم الله بالقلم، وبما يسطره الملائكة من الخير والشر.
- (٢) لست بإنعام ربك عليك بمجنون كما يدعيه المشركون.
- (٣) وإن لك على صبرك على أذاهم لثوابا غير مقطوع، بل هو مستمر.
- (٤) وإنك لعلی خلق عظیم رزقك الله إياه.
- (٥) فستبصر - أيها الرسول - ويبصر هؤلاء المكذبون.
- (٦) بأيكم الجنون أنت أم هم؟
- (٧) إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيل الحق، وهو أعلم بالمهتدين إليها، وسيجازي كلا بما يستحق.
- (٨) وينهى الله رسوله عن طاعة المكذبين.
- (٩) ويخبره أن المشركين يودون لو يصانعهم في الدين، فيصانعونه.
- (١٠) وينهاه عن طاعة كل كثير الحلف، حقير.
- (١١) مغتاب للناس، كثير المشي بالنميمة للإفساد بين الناس.
- (١٢) كثير المنع لما يلزمه من بذل ماله، ظالم، كثير الأثام.



﴿ عَتَلِ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْعٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِكَ أَسْطِيرُ الْأُولِيكَ ﴿١٥﴾ سَسِئُهُ عَلَى الْفَرْطُورِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ نَطَافَ عَلَيَا طَائِفٍ مِّن رَّبِّكَ وَهَرَمَ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرْيِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهَرَمَ يَنْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا لَوْلَا نُؤْتِلْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَنْفَجَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ ءَايَاتُنَا عَيْنًا بَلِغَةً إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَمَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ ۞

- (١٣) غليظ جاف مع تلك المثالب، دعيّ منسوب إلى قوم ليس منهم.
- (١٤) لأجل أن كان له مال وأولاد.
- (١٥) إذا تقرأ عليه آياتنا كذب بها وقال عنها: هي أساطير الأولين تبجحاً بما أنعمنا عليه من المال والأولاد.
- (١٦) سنجعل علامة تلازمه على أنفه تشينه.
- (١٧) إنا امتحنا مشركي مكة بالقحط كما امتحنا أصحاب البستان حين حلفوا: ليقطعن ثمره وقت الصباح.
- (١٨) ولا يستنون في قسمهم بأن يعلقوه على مشيئة الله.
- (١٩) فبعث الله عليه بلاء من عنده وهو نار محرقة، فأهلكته ليلاً وهم نائمون.
- (٢٠) فأصبحت سوداء من الاحتراق مثل الليل المظلم.
- (٢١) فدعا بعضهم بعضاً وقت الصباح.
- (٢٢) يقول بعضهم لبعض: بگرووا بالخروج قبل خروج المساكين إن كنتم قاطعي ثمار بستانكم.
- (٢٣) فساروا إلى بستانهم، يسر بعضهم إلى بعض.
- (٢٤) يقول بعضهم لبعض: لا تتركوا مسكينا يدخل عليكم اليوم بستانكم.
- (٢٥) وساروا وقت الصباح عازمين على منع ثمارهم عن المحتاجين.
- (٢٦) فلما عاينوها محرقة قال بعضهم لبعض: لقد ضللنا طريق جتنا.
- (٢٧) بل نحن محرومون من جني ثمارها لعزمنا على منع المساكين منها.
- (٢٨) قال أفضلهم: ألم أقل لكم حين عزمتم على ما عزمتم عليه من حرمانهم منها: هلا تسبحون الله، وتتوبون إليه؟! إننا كنا ظالمين لأنفسنا في منعنا المساكين.
- (٢٩) أي يلوم هذا هذا في القسم ومنع المساكين، ويقول: بل أنت أشرت علينا بهذا.
- (٣٠) قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين أي عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء.
- (٣١) إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما صنعت آباؤنا، راغبون في عطائه، راجعون إليه بالتوبة والندم.
- (٣٢) أي عذاب الدنيا وهلاك الأموال، لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن عقوبة الله لأهل الشرك به أكبر من عقوبته لهم في الدنيا.
- (٣٣) ويذكر الله جزاء الممثلين لأمره، المجتنبين لنهييه وهو جنات النعيم.
- (٣٤) وينكر جعل المسلمين كالكفار في الجزاء كما يزعم المشركون من أهل مكة؟ لا نسوي بينهم في الجزاء أبداً.
- (٣٥) ما لكم - أيها المشركون - كيف تحكمون هذا الحكم الجائر بتسوية الفريقين؟
- (٣٦) أم لكم كتاب فيه تقرأون أن المسلم والمجرم سواء في الجزاء؟
- (٣٧) إن لكم في ذلك الكتاب ما تتخرونه لكم في الآخرة.
- (٣٨) أم لكم علينا عهد مؤكدة بالأيمان بأن لكم ما تحكمون به لأنفسكم؟! ۞

﴿ سَلَّمَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ بَلَا أَنْ تَدَّارِكُهُ نَعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِءَ لَنُبْدِيَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ .

- (٤٠) أسأل - أيها الرسول - أصحاب هذا القول: أيهم كفيل به؟! (٤١) أم لهم شركاء من دون الله يجعلونهم سواء مع المؤمنين في الجزاء؟! فليأتوا بشركائهم هؤلاء إن كانوا صادقين فيما يزعمونه.
- (٤٢) يوم القيامة يبدو الهول ويكشف ربنا عن ساقه، وفق ما يليق به دون مماثلة لمخلوق، ويدعى الناس إلى السجود فيسجد المؤمنون، ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيعون أن يسجدوا.
- (٤٣) ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلّة، وقد كانوا في الدنيا وهم في عافية يطلب منهم السجود لله.
- (٤٤) فاتركني - أيها الرسول - ومن يكذبون بالقرآن، سنسوقهم شيئاً فشيئاً إلى العذاب من حيث لا يعلمون أن ذلك مكر بهم.
- (٤٥) وأخرهم زمناً؛ ليستمرّوا في إثمهم، إن كيدي بأهل الكفر والتكذيب قوي، فلا يفوتوني، ولا يسلمون من عقابي.
- (٤٦) هل تطلب منهم - أيها الرسول - ثواباً على دعوتهم، فهم يتحمّلون أمراً عظيماً، لذلك أعرضوا عنك؟! (٤٧) أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ما يريدون من الحجج التي يحاجونك بها؟! (٤٨) ويأمر الله رسوله بالصبر على إمهال الله لهم استدراجاً، و ينهاه أن يكون في التضجر من قومه مثل صاحب الحوت يونس عليه السلام حين نادى ربه وهو في كرب شديد.
- (٤٩) لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت إلى أرض خالية وهو مَلُومٌ لتبرّمه.
- (٥٠) فاختره ربه، فجعله من عباده الصالحين.
- (٥١) وإن يكاد الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله، ليضرب عونك بأبصارهم بإحداذ النظر إليك، لما سمعوا القرآن، ويقولون إن الرسول الذي جاء به لمجنون.
- (٥٢) وما القرآن المنزل عليك إلا تذكير للإنس والجن.

سورة الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا وَعَادٌ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ .

- (١) يذكر الله ساعة البعث التي تحق على الجميع.
- (٢) ثم أي شيء هي الحاقة؟
- (٣) وما أعلمك ما الحاقة؟
- (٤) كذبت ثمود رسولهم صالحاً، وعاد رسولهم هوداً، بالقيامة التي تفرع الناس من شدة أهوالها.
- (٥) فأما ثمود فقد أهلكهم الله بالصيحة المتناهية في الشدة.
- (٦) وأما عاد فقد أهلكهم بريح باردة متناهية في القسوة عليهم.



﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْمَجَزُونَ نَحْلًا خَاوِيَةً ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَا كُرًّا فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَاءَ آذُنٍ وَعِيَةٍ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نَفَخْنَا فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿١٣﴾ وَجَمَلْنَا الْأَرْضَ وَالْجِبَالَ فَذُكِّرْنَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْنِيئَةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حِسَابِيَةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْغَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأُوْتِ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرِي مَا حِسَابِيَةَ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ تَرَاهُ جَحِيمَ صَلْوَةٍ ﴿٣١﴾ تَرَى فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ۞

- (٧) بعثها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ تفنيهم عن بكرة أبيهم، فترى القوم في ديارهم هلكى في الأرض، كأنهم لما هلكوا أصول نخل ساقطة على الأرض.
- (٨) فهل ترى لهم نفسًا باقية بعد ما أصابهم من العذاب؟!!
- (٩) وجاء فرعون ومن قبله من الأمم، وقرى قوم لوط التي جعل عاليها سافلها لأفعالهم الخاطئة من الشرك والمعاصي.
- (١٠) فعصى كل منهم رسوله، فأخذهم الله أخذة زائدة على ما يهلكهم.
- (١١) إننا لما تعدى الماء حدّه في الارتفاع حملنا آباءكم في السفينة الجارية.
- (١٢) لنجعل السفينة وقصتها موعظة دالة على إهلاك الله أهل الكفر، وإنجائه أهل الإيمان، ولتحفظها أذن تحفظ ما تسمع.
- (١٣) فإذا نفخ في القرن نفخة واحدة هي النفخة الثانية.
- (١٤) ورفعت الأرض والجبال، فدقت دقة واحدة شديدة.
- (١٥) فيوم يحصل ذلك كله تقع القيامة.
- (١٦) وانشقت السماء يومئذ لتنزل الملائكة منها، فهي ضعيفة بعد شدة وتماسك.
- (١٧) والملائكة على أطرافها، ويحمل عرش ربك - أيها الرسول - يوم القيامة ثمانية من الملائكة المقربين.
- (١٨) يوم القيامة تُعرضون - أيها الناس - على الله، لا تخفى على الله منكم خافية، بل هو مطلع عليكم، لا يخفى عليه شيء من أمركم.
- (١٩) فأما من أعطاه الله كتاب أعماله بيمينه فهو يقول مسرورا: خذوا اقروا كتابي.
- (٢٠) إنني أيقنت في الدنيا أنني مبعوث، وملاقٍ جزاء عملي فيها.
- (٢١) فهو يوم القيامة في عيشة مرضية؛ لما يراه من النعيم الدائم.
- (٢٢) في جنة رفيعة.
- (٢٣) ثمارها قريبة ممن يريدتها.
- (٢٤) يقال لهم تكريمًا: كلوا واشربوا أكلاً وشراباً هنيئاً بما قدمتم من الأعمال الصالحة في الأيام السابقة في الدنيا.
- (٢٥) وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول: يا ليتني لم أعط كتاب أعمالى لما فيه من الأعمال السيئة المستوجبة لعذابي.
- (٢٦) يا ليتني لم أعرف أي شيء يكون حسابي.
- (٢٧) ياليت الموتة في الدنيا كانت الموتة الأخيرة التي لا بعث بعدها أبداً.
- (٢٨) لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئاً.
- (٢٩) غابت عني حجتي وما لي من قوة وجاه.
- (٣٠) ويقال: خذوه - أيها الملائكة - واجمعوا يده إلى عنقه.
- (٣١) ثم أدخلوه النار يعاني حرّها.
- (٣٢) ثم أدخلوه في سلسلة طولها سبعون ذراعاً.
- (٣٣) إنه كان لا يؤمن بالله العظيم.
- (٣٤) ولا يحثّ غيره على إطعام المسكين.

﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ، لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ، لَتَذْكُرٌ لِلْمُنْفِقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ، لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ، لِحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ۞ .

- (٣٥) فليس له يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب.
(٣٦) وليس له طعام إلا من عصارة أهل النار.
(٣٧) لا يأكل ذلك الطعام إلا أصحاب الذنوب والمعاصي.
(٣٨) يقسم الله بما تشاهدون.
(٣٩) ويقسم بما لا تشاهدون.
(٤٠) إن القرآن لكلام الله، يتلوه عليهم رسوله الكريم.
(٤١) وليس بقول شاعر؛ فما هو وفق نظم الشعر، قليلاً ما تؤمنون.
(٤٢) وليس بقول كاهن، قليلاً ما تتذكرون.
(٤٣) ولكنه منزل من رب العالمين كلهم.
(٤٤) ولو افتري علينا محمد بعض الأقاويل.
(٤٥) لانتقمنا منه بالقوة .
(٤٦) ثم لقطعنا منه العرق المتصل بالقلب.
(٤٧) فليس منكم من أحد يمنعنا منه، فكيف يفترى علينا بعض الأقاويل من أجلكم؟
(٤٨) وإن القرآن لموعظة للمتقين لربهم بلزوم طاعته، والبعد عن معصيته.
(٤٩) وإنا لنعلم أن من بينكم من يكذب به.
(٥٠) وإن التكذيب به لندامة عظيمة يوم القيامة.
(٥١) وإن القرآن لهو حق اليقين الذي لا يرتاب مرتاب أنه من عند الله.
(٥٢) فزه - أيها الرسول - ربك عن صفات النقص، واذكر اسمه العظيم.

٣٨-٣٩ كان الاعتقاد السائد في الماضي أن الإبصار يحدث نتيجة خروج شعاع من العين يسقط على الجسم فتتم رؤيته. وقد أثبتت الدراسات التشريحية والوظيفية للعين، حدوث الإبصار نتيجة سقوط شعاع من الضوء على الجسم، ثم ينعكس من الجسم ليسقط على العين، فتتم عملية الانعكاس، ولم تكشف حقيقة الإبصار وعدم الإبصار وأهمية وجود الأشعة المرئية وغير المرئية إلا بعد تقدم الدراسات البصرية حديثاً، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الأهمية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان في تلك الآية الكريمة. وبهذا جاء القسم العظيم ﴿ بما تبصرون وما لا تبصرون ﴾.

٤٦ الوتين: أصبح من المعلوم عند الأطباء أن هناك عرقاً رئيسياً يخرج من القلب يغذي البدن يسمى عندهم الشريان الأورطي وهو المعلوم لغة الشريان الأبهر وأنه إذا اعتراه قطع كان سبب الهلاك. والآية أشارت إلى هذا المعنى فحصل التطابق بين دلالة النص وما استقر علمياً فكان هذا شاهداً آخر على أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون من عند بشر وإنما هو كلام خالق البشر جل وعلا.



سورة المعارج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُّ حِمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُصْرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرَمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ۞

- (١) دعا داع من الكفار على نفسه وقومه بعذاب استبعادا لوقوع العذاب، وسخرية منه، وهو واقع يوم القيامة.
- (٢) للكافرين بالله، ليس لهذا العذاب من يدفعه عنهم.
- (٣) من الله ذي العلو والدرجات.
- (٤) تصعد إليه الملائكة وجبريل في تلك الدرجات، يوم القيامة؛ وهو يوم طويل، قدره خمسون ألف سنة.
- (٥) فاصبر - أيها الرسول - صبرا لا شكوى فيه.
- (٦) إنهم يرون هذا العذاب مستحيل الوقوع.
- (٧) ونراه نحن قريبا واقعا لا محالة.
- (٨) يوم تكون السماء مثل النحاس والذهب المذاب وغيرهما.
- (٩) وتكون الجبال مثل الصوف في الخفة.
- (١٠) ولا يسأل قريب قريبا عن حاله؛ فكل مشغول بنفسه.
- (١١) يشاهد القريب قريبه، ولا يسأل أحدا لشدة الموقف، يودّ مستحق العذاب أن يعذب أولاده عوضا منه.
- (١٢) ويفتدي منه بزوجه وبأخيه.
- (١٣) وبعشيرته، الذين يقفون معه في الشدائد.
- (١٤) وبمن في الأرض جميعا من إنس وجن وغيرهما، ثم ينقذه ذلك الافتداء، من عذاب النار.
- (١٥) ليس الأمر كما تمني، إنها نار الآخرة تشتعل.
- (١٦) تفصل جلدة الرأس فصلا شديدا من شدة حرها.
- (١٧) تنادي من أعرض عن الحق، ولم يؤمن به ولم يعمل.
- (١٨) وجمع المال، وبخل بالإنفاق منه في سبيل الله.
- (١٩) إن الإنسان خلق شديد الحرص.
- (٢٠) إذا أصابه ضرر في بدنه أو ماله كان قليل الصبر.
- (٢١) وإذا ناله خير كالصحة والغنى كان كثير المنع لإنفاقه في سبيل الله.
- (٢٢) إلا المصلين.

٤ مع اعتقادنا أن صعود الملائكة والرسول ﷺ في حالة المعارج بكيفية لا يعلمها إلا الله وحده، فلا يمنع ذلك من الالتفات إلى مرونة الدلالة اللغوية (عرج) التي من مشمولاتها تعرض الأشياء المنطلقة في الفضاء إلى السير في تعرج بسبب ما كشف من مصدات وعوائق وجاذبية.

١٩ - ٢٥ وردت أوصاف كثيرة يتصف بها الإنسان ومنها هلوعاً، جزوعاً، منوعاً، وقد تبين أن الصلاة والزكاة تعالج الصفات هذه النفسي الدنية والتي أن تركت على وضعها ربما أدت إلى أمراض جسدية وتبين أن المداومة على الصلاة تعالج الكثير من الأمراض الجسدية وكذلك إخراج الزكاة تعالج الكثير من الأمراض النفسية.

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيُطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلَّةٌ يَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ .

- (٢٣) الذين هم مواظبون على صلاتهم، يؤدونها في وقتها المخصص لها.
- (٢٤) والذين في أموالهم نصيب مفروض.
- (٢٥) يدفعونه للمحروم من الرزق سائلاً أو متعففاً عن المسألة.
- (٢٦) والذين يصدقون بيوم الجزاء.
- (٢٧) والذين هم من عذاب ربهم خائفون، لا يتكلمون.
- (٢٨) إن عذاب ربهم مخوف لا يأمنه مؤمن.
- (٢٩) والذين هم لفروجهم حافظون بالستر والعفة.
- (٣٠) إلا من زوجاتهم أو ما ملكوا من الإماء، فلا لوم عليهم في الاستمتاع بهن.
- (٣١) فمن طلب الاستمتاع بغير الزوجات وما ملك من الإماء، فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله.
- (٣٢) والذين هم لما اتتموا عليه من الأموال وغيرها، ولعهدهم التي عاهدوا عليها غيرهم حافظون من الخيانة والنقض.
- (٣٣) والذين هم قائمون بشهادتهم بالحق، لا ينحرفون عنها بأي سبب.
- (٣٤) والذين هم على صلاتهم يحافظون؛ بأدائها على الوجه المطلوب.
- (٣٥) أولئك الموصوفون بما ذكر في جنات مكرمون؛ بما يلقونه من النعيم المقيم.
- (٣٦) ما الذي جر هؤلاء المشركين من قومك -أيها الرسول- حوالبك أن يكونوا مسرعين إلى التكذيب بما جئت به؟! يحيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات.
- (٣٧) يحيطون بك عن يمينك وشمالك جماعات جماعات.
- (٣٨) يأمل كل واحد منهم مع كفره أن يدخله الله جنة النعيم؟! ليس الأمر كما تصوروا، إنا خلقناهم مما يعرفونه، فقد خلقناهم من ماء حقير، فكيف يتكبرون؟! يقسم الله برب مشارق الشمس والقمر، إنا لقادرون.
- (٤١) على تبديلهم بمن يطيع الله، ونهلكهم، ولسنا بمغلوبين متى أردنا إهلاكهم وتبديلهم بغيرهم.
- (٤٢) فاتركهم -أيها الرسول- يخوضوا في ضلالهم، ويلعبوا في حياتهم الدنيا حتى يلاقوا يوم القيامة الذي وعدوا به في القرآن.
- (٤٣) يوم يخرجون من القبور سراعاً كأنهم إلى علم يتسابقون.
- (٤٤) ذليلة أبصارهم، تغشاهم ذلة، ذلك هو اليوم الذي كانوا يوعدون به في الدنيا.

سبق الإشارة إلى المشارق والمغارب وكيفية الجمع بين ورود هذه الألفاظ بصيغ متعددة.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْصَمُوا بِثِيَابِهِمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيءُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾

- (١) إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه يدعوهم ليخوف قومه من قبل أن يأتيهم عذاب موجع لكفرهم بالله.
- (٢) قال نوح لقومه: إني لكم منذر بين الإنذار من عذاب ينتظركم إن لم تتوبوا.
- (٣) أن اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، واتقوه بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأطيعوني فيما أمركم به.
- (٤) إنكم إن فعلوا ذلك يغفر الله لكم من ذنوبكم ما لا يتعلق بحقوق العباد، ويطل أمد أمتكم في الحياة إلى وقت محدد في علم الله، تعمرون الأرض ما استقمتم على ذلك، إن الموت إذا جاء لا يؤخر، لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى الإيمان بالله والتوبة مما أنتم عليه من الشرك والضلال.
- (٥) قال نوح: يا رب، إني دعوت قومي إلى عبادتك وتوحيديك، ليلاً ونهارًا باستمرار.
- (٦) فلم تزدتهم دعوتي لهم إلا نفورًا وبعداً عما أدعوهم إليه.
- (٧) وإني كلما دعوتهم إلى ما تغفر به ذنوبهم من طاعتك سدوا آذانهم بأصابعهم؛ عن سماع دعوتي، وغطوا
- (٨) ثم إني - يا رب - دعوتهم جهرا.
- (٩) ثم إني رفعت لهم صوتي بالدعوة، وأسرت به إسارًا خفيًا، ودعوتهم بصوت منخفض؛ منوعًا أسلوب الدعوة لهم.
- (١٠) فقلت لهم: يا قوم، اسألوا المغفرة من ربكم بالتوبة إليه، إنه كان غفارًا للذنوب عباده التائبين.
- (١١) إن استغفرتموه ينزل عليكم المطر متتابعًا، فلا تقحطون.
- (١٢) ويعطكم أموالاً وأولادًا كثيرين، ويجعل لكم بساتين تأكلون من ثمارها، ويجعل لكم أنهارًا لكم ولزروعكم ومواشيكم.
- (١٣) ما شأنكم لا تخافون عظمة الله حيث تعصونه؟! (١٤) وقد خلقكم أطوارا من نطفة فعَلَقَةٌ فَمُضْغَةٌ.
- (١٥) ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات، سماء فوق سماء؟!

١٤ في حين كان المعتقد السائد قبل زمن التنزيل أن الجنين يتكون تكوّنًا كاملاً من دم الحيض كما زعم ذلك أرسطو، وأنه يتكون تكوّنًا كاملاً في مني الرجل كما زعم ذلك هارت سوكر، وجاء العلم الحديث وقرر أن الجنين يمر بمراحل وأطوار حتى ينمو ويكتمل، والقرآن الكريم قرر هذه الحقيقة قبلهم بقوله تعالى: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ مما يشهد لمحمد ﷺ أنه رسول من عند الله وأنه لا ينطق عن الهوى. وقد سبقت الإشارة إلى تفاصيل تلك الأطوار في سورة المؤمنون.

١٥ سبقت الإشارة إلى ذلك في سورة الملك آية ٣.

﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي عَصَوْتُ وَأَتَّبَعُوا مِنْ لَمَزِدَّةٍ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾ .

- (١٦) وجعل القمر ضياءً لأهل الأرض، وجعل الشمس مضيئة. (٢٤) وقد أضلوا بأصنامهم هذه كثيراً من الناس، ولا تزدد - يارب - الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي إلا ضلالاً عن الحق.
- (١٧) والله خلقكم من الأرض من تراب، ثم أنتم تأكلون مما تُنبته. (٢٥) بسبب خطيئاتهم التي عملوها أغرقوا بالطوفان في الدنيا، ثم يعيدكم فيها إذا متم، ثم يخرجكم للبعث منها إخراجاً. فأدخلوا النار بعد موتهم، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ينقذونهم من عذاب الله.
- (١٨) ثم يعيدكم فيها إذا متم، ثم يخرجكم للبعث منها إخراجاً. (١٩) والله جعل لكم الأرض مبسوطة معدة للاستقرار.
- (٢٠) لكي تسلكوا منها طرقاً واسعة سعيًا إلى الكسب المباح. (٢١) قال نوح: يارب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من عبادتك وحدك، واتبعوا رؤساءهم الذين لم يزدهم ما أنعمت به عليهم من الولد إلا ضلالاً.
- (٢٢) ومكر الأكابر منهم مكرًا عظيمًا بتحريض سفلتهم على نوح. (٢٣) وقالوا لسفلتهم: لا تتركوا عبادة آلهتكم؛ ولا تتركوا عبادة أصنامكم ودًّا ولا سواع ولا يغوث ولا يعوق ولا نسر.
- (٢٦) وقال نوح لما أخبره الله أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن: يارب، لا تترك على الأرض من الكافرين أحدًا. (٢٧) إنك - ربنا - إن تمهلهم يضلوا عبادك المؤمنين، ولا يلدوا إلا صاحب فجور، عاصيا شديد الكفر لنعم الله.
- (٢٨) رب اغفر لي ذنوبي، واغفر لوالدي، واغفر لمن دخل بيتي مؤمنًا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولا تزدد الظالمين بالكفر والمعاصي إلا هلاكًا وخسرانًا.

١٦ سبقت الإشارة إلى ذلك في سورة (الفرقان آية ٦١) في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾ (الفرقان: ٦١).. أشارت الآية الكريمة التي نزلت قبل أربعة عشر قرنًا إلى التفريق بين النجم والكوكب ممثلًا في الشمس والقمر، وهو ما توصل إليه علماء الفلك الحديث بعد اكتشاف المناظير وإجراء الدراسات الفوتومترية (الضوئية) والطيفية على النجوم والكواكب خلال القرون القليلة الماضية. فالنجم ما هو إلا جسم سماوي متلائي يشع الطاقة ذاتيا بينما الكوكب جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من النجوم، وينطبق هذا على التوابع الطبيعية للكواكب (الأقمار). فالشمس تعد مفاعلا نوويا عملاقا يسبح في الفضاء بسرعة كبيرة وله ضوء وطاقة وحرارة ذات أشكال شتى؛ ومتغيرة في كمها وكيفها، وهي ليست قرصا مضيئا ثابت الضياء، بل هو سراج وهاج. (وجعلنا سراجا وهاجا) النبأ: (١٣) وأن القمر كوكب يعكس ضوء الشمس فيضيء ليل الأرض نورا، وهو ما سبق القرآن الكريم في تقريره في هاتين الآيتين الكريمتين. كما أن في قوله تعالى: ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾ اللفظة القرآنية ﴿ فيهن ﴾ الدالة على ظرف المكان ينطبق مع ما استقر عليه العلم الحديث من كون الشمس والقمر ضمن السماء الدنيا. فمن أخبر محمدا ﷺ بهذه الحقائق إنه الله جل في علاه.

١٧-١٨ سبقت الإشارة إلى أصل تكوين الإنسان من تراب في مواضع كثيرة.

١٩ ﴿ والله جعل لكم الأرض بساطا ﴾ : البساط: ما يفرش للنوم عليه والجلوس من ثوب أو زربية، فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيهه بليغ، أي: كالسباط. ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه، وليس المراد أن الله جعل حجم الأرض كالسباط؛ لأن شكل الأرض كروي. وسبقت الإشارة إلى ذلك في سورة (البقرة الآية: ٢٢). فالأرض التي نقف عليه هي بساط وفرش ووقاية فوق طبقات الأرض التي تتكون من صهير بركاني، فتقينا من حرها. وهذه الحقائق العلمية عن الأرض والسماء لم تكن معروفة في زمن التنزيل إنما هو العلم الإلهي الذي يشهد لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَمَاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنهَا مَقْعِدَ اللَّسَمِ فَمَن يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴿١١﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَلِيصُ طُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ ۞ .

- (١) يأمر الله رسوله أن يقول لأمتة : أوحى الله إليّ أنه استمع إلي عند قراءتي للقرآن جماعة من الجن ، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: إنا سمعنا كلاماً مقروءاً معجّباً في بيانه .
- (٢) هذا الكلام الذي سمعناه يرشد إلى الصواب ، فأمنّا به ، ولن نشرك بربنا الذي أنزله أحدًا .
- (٣) وآمنّا بأنه - تعالت عظمة ربنا وجلاله- ما اتخذ - كما يقول المشركون - زوجة ولا ولدًا .
- (٤) وأنه كان إبليس يقول على الله قولاً منحرفاً حيث ينسب الزوجة والولد إليه سبحانه .
- (٥) وأنا حسبنّا أن مشركي الإنس والجن لا يقولون الكذب ، فصدّقنا قولهم هذا تقليدًا لهم .
- (٦) وأنه كان فيما مضى رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن عندما ينزلون بمكان مخوف ، فيقول أحدهم: أعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه ، فازداد رجال الإنس خوفًا ورعبًا من رجال الجنّ وكذلك فإن من يستخدم الجن أو يتعاون معهم فهو يسير عبدًا ذليلًا لهم .
- (٧) وأن الإنس ظنوا كما ظننتم - أيها الجن - أن الله لن يبعث أحدًا بعد الموت .
- (٨) وأنا طلبنا خبر السماء ، فوجدنا السماء ملئت حرسًا قويًا من الملائكة ، ملئت حرسًا قويًا من الملائكة وشهبا محرقة يرمى بها كل من يقترب منها .
- (٩) وأنا كنا في الماضي نتخذ من السماء مواقع نستمع منها ما يتداوله الملائكة ، فنخبر به الكهنة من أهل الأرض ، أما الآن فمن يستمع يجد نارًا مشتعلة مهياة له ، تحرقه إذا اقترب منها .
- (١٠) وأنا لا نعلم سبب هذه الحراسة الشديدة؛ أريد شر بأهل الأرض ، أم أن الله أراد بهم خيرًا ، فقد انقطع عنا خبر السماء .
- (١١) وأنا منّا المتقون الأبرار ، ومنّا من هم كفار وفساق؛ كنا أصنافًا مختلفة وأهواء متباينة .
- (١٢) وأنا جزمنا ألا مخرج لنا من الله إذا أراد بنا أمرًا ، ولن نفوته هربًا لإحاطته بنا .
- (١٣) وأنا لما سمعنا القرآن الهادي إلى الصراط المستقيم آمنّا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف نقصًا لحسناته ، ولا إثمًا يضاف إلى آثامه السابقة .
- (١٤) وأنا منّا المنقادون لطاعة الله ، ومنّا الجائرون عن سبيل الاستقامة ، فمن خضع لطاعة الله فأولئك الذين قصدوا الهداية والسداد .

سبق الكلام عن الشهب في سورة الصافات.

﴿ وَأَمَّا الْفَسِيطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُغْضَبْنَ عَلَيْكُمْ إِذْ يُرْسِلْنَ عَلَيْكُمْ حُبَابًا رِيشًا وَتُؤَذَّنُكُمْ وَأَنْتُمْ كَأَنَّ الْكُرْسِيَّ أَثْقَالٌ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿١٩﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَعْزَفُ النَّاصِرَ وَأَقْلُ الْعِدَّةِ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنَّ أَدْرِي مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٢﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٤﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٥﴾ ۞

- (١٥) وأما الجائر عن طريق الاستقامة فكانوا لجهنم حطباً
توقد به كأمثلهم من الإنس.
- (١٦) وأوحى إليّ أنه لو استقام الجن والإنس على طريق الإسلام، وعملوا بما فيه، لسقامهم الله ماء كثيراً، وأمدهم بنعم عديدة.
- (١٧) لنختبرهم أشكروا نعمة الله أم يكفرونها؟ ومن يُعرض عن القرآن، يدخله ربه عذاباً شاقاً لا يتحمل.
- (١٨) وأن المساجد له وحده، فلا تدعوا مع الله فيها أحداً، فتشبهوا اليهود والنصارى.
- (١٩) وأنه لما قام عبد الله محمد ﷺ يعبد الله ببطن نخلة، كاد الجن يكونون مُتراكمين عليه من شدة الزحام عند سماعهم قراءته.
- (٢٠) ويأمر الله رسوله أن يقول للمشركين: إنما أدعو ربي ولا أشرك به في العبادة أحداً.
- (٢١) ويأمره أن يقول لهم: إنني لا أملك لكم دفع ضررٍ، ولا جلب نفع، فكل ذلك بيد الله.
- (٢٢) ويأمره أن يقول لهم: لن ينجيني من الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه مُلتجأً أحتمي به.
- (٢٣) لكن ما أملكه هو تبليغ ما أمرني الله بتبليغه إليكم، ورسالته التي أرسلني بها، ومن يعص الله ورسوله فسيدخل نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.
- (٢٤) ولا يزال الكفار باقين على كفرهم حتى إذا شاهدوا يوم القيامة ما كانوا يوعدون به من العذاب، حينئذ سيعلمون من أضعف ناصراً، وسيعلمون من أقل أعواناً.
- (٢٥) ويأمره أن يقول للمشركين المنكرين للبعث: لا أدري أقرب ما توعدون من العذاب، أم أن له أجلاً لا يعلمه إلا الله.
- (٢٦) هو عالم الغيب كله، لا يخفى عليه منه شيء، فلا يُطلع أحداً عليه.
- (٢٧) إلا من ارتضاه من رسول، فيطلعه على ما شاء ويبعث من بين يدي الرسول حرساً من الملائكة يحفظونه حتى لا يطلع غير الرسول عليه.
- (٢٨) ليعلم الرسول من تلك العناية أن من سبقه من الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، وأحاط الله بما لدى الملائكة والرسول علماً، فلا يخفى عليه شيء منه، وأحصى عدد كل شيء، فلا يخفى عليه شيء.



سورة المزمّل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ ۝١ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِصْفَهُ ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَوقَوْمٌ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾ .

- (١) يا أيها المتكلف بشيابه.
- (٢) صلّ بالليل إلا قليلاً منه.
- (٣) صلّ نصفه إن شئت، أو صلّ أقلّ من النصف قليلاً حتى الثلث.
- (٤) أو زد عليه حتى تبلغ الثلثين، وبين القرآن إذا قرأته وتمهّل.
- (٥) إنا سنلقي عليك -أيها الرسول- القرآن، وهو قول ثقيل؛ لما فيه من التكليف والأحكام والحدود.
- (٦) إن ساعات الليل هي أشد موافقة للقلب مع القراءة وأصوب قولاً.
- (٧) إن لك في النهار تصرفاً في أعمالك، فصلّ بالليل تعويضاً عن الانشغال في النهار بالكسب.
- (٨) واذكر الله، وانقطع إليه انقطاعاً بإخلاص العبادة له.
- (٩) رب المشرق ورب المغرب، لا معبود بحق إلا هو، فاتخذه وكيلاً في شأنك كله.

٢-٣-٤ إن لأوقات الأسحار عند أهل الإيمان طعاماً متمتعاً لامثيل لها لما يجدون من الأُنس بالله والقرب منه. ويأتي العلم الحديث ويكشف لنا ما يعزز قيمة هذا الوقت الثمين الذي يجب أن لا يهدر في النوم والغفلة، حيث يقول الأطباء إن معظم النوم من النوع غير الحالم، وإن النوم الطبيعي يكون أكثر عمقاً في الثلث الأول من الليل، وأقل عمقاً في الثلث الأخير، وأن معظم النوم الحالم يأتي في الثلث الأخير من الليل، ويتميز هذا النوم بأنه يشبه إنساناً ذا مخ نشط جداً بجسم مشلول. هناك تغيرات فسيولوجية تطرأ على النائم لمصلحة الجسد في ثلثي الليل الأولين، وليست في مصطلحه في الثلث الأخير في حالة ما إذا ظل نائماً. يكون النوم الحالم في الثلث الأخير أقل عمقاً، ويزداد عدد مرات التنفس فيه وبدون انتظام، وينقص مستوى الأوكسجين بالدم، ويزداد ضغط الدم، ولا تنتظم ضربات القلب، ويزداد إفراز الحمض المعدي، وتزداد فرصة الأزمات الصدرية والقلبية والدماعية. وهناك بعض الاضطرابات السلوكية المصاحبة، والهلوسة السمعية، والصداع النصفي، والربو الليلي، كما يحصل فيه انقطاع التنفس الانسدادي، والمركزي، ويمكن أن يسبب التهاباً في الجيوب الأنفية. ومع استحضار ما روي عن رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَمَقْرَبَةٌ لَكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَكْفَرَةٌ لِلْسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاجٌ عَنِ الْإِثْمِ، وَمُطْرَدَةٌ عَنِ الْجَسَدِ» فقد أثبت العلم الحديث فوائد طبية لقيام الليل منها:

- الحماية من ارتفاع ضغط الدم والجلطات القلبية والسكتة الدماغية والموت الفجائي، وإذا كان مريضاً بهذه الأمراض فيكون أقل عرضة للمضاعفات، الوقاية من الأزمات الصدرية، وأمراض الختان، والجيوب الأنفية، كما يحمي من متلازمة انقطاع التنفس الانسدادي أثناء النوم.
- حماية الجهاز الهضمي من فرصة زيادة إفراز الحامض المعدي، والقرحة، والارتجاع المريئي.
- يحسن جهاز المناعة، حيث إنه يزيل التوتر، فيقل الكورتيزون المثبط للمناعة، والكاتوكيلاين فتتحسن المناعة.
- فقيام الليل وقاية وشفاء، فمن أخبر الحبيب المصطفى ﷺ بهذه الوقاية، وبأن فيها شفاء، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣)، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤).

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهَلْهُمُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْفُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۗ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلْثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا نَسَرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۗ إِنَّ عِلْمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى ۚ وَأَخْرُوجُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَأَخْرُوجُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا نَسَرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ مِّمَّا تُجِدُونَ ۗ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۗ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَابُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۝

- (١٠) واصبر على ما يقوله المكذبون، واهجرهم هجراً لا أذية (١٩) إن هذه الموعدة تذكرة، ينتفع بها المؤمنون، فمن شاء اتخاذا طريق موصل إلى ربه اتخذه؛ لينجو من عذاب الله.
- (١١) واتركني والمكذبين أصحاب التمتع بملذات الدنيا، وانتظرهم قليلاً حتى يأتيهم الموت.
- (١٢) إن عندنا يوم القيامة قيوداً ثقيلة، وناراً مُسْتَعْرَةً.
- (١٣) وطعاماً تغصّ به الخلق لشدة مرارته، وعذاباً موجعاً.
- (١٤) يعذبون بذلك العذاب يوم تضطرب الأرض والجبال، وكانت الجبال رملاً متناثرًا من هوله.
- (١٥) إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً على أعمالكم مثل إرسالنا إلى فرعون رسولاً.
- (١٦) فعصى فرعون الرسول المبعوث إليه فعاقبناه عقاباً شديداً بالغرق في الدنيا، وفي الآخرة بالنار.
- (١٧) فكيف تمنعون أنفسكم - إن كفرتم بالله ورسوله - يوماً شديداً طويلاً، يشيب رأس الأولاد الصغار من شدة هوله وطوله.
- (١٨) السماء متشقة من شدته، كان وعد الله مفعولاً لا محالة.
- (٢٠) إن ربك - أيها الرسول - يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل تارة، وتقوم نصفه تارة، وثلثه تارة، ويعلم قيام طائفة من المؤمنين معك، والله يقدر الليل والنهار، ويحصى ساعاتهما، علم أنكم لا تقدرون على ضبط ساعاته، فيشق عليكم قيام أكثره، فتأب عليكم، فصلوا من الليل ما تيسر، علم الله أنه سيكون منكم - معشر المؤمنين - مرضى يرهقهم المرض، وآخرون يسافرون يطلبون رزق الله، وآخرون يقاتلون الكفار؛ ابتغاء مرضاته وإعلاء لكلمته، فيشق عليهم قيام الليل، فصلوا ما تيسر لكم من الليل، وائتوا بالصلاة المفروضة على الوجه المطلوب، وأعطوا زكاة أموالكم، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الله، وما تقدموا لأنفسكم من أي خير، تجدوه هو خيراً وأعظم ثواباً، واطلبوا المغفرة من الله، إن الله غفور لمن تاب من عباده، رحيم بهم.



سورة المدثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكْبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ نَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ، تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَاءَ رَهَقَهُ، صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنِّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَنْزُرُ ﴿٢٨﴾ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ .

- (١) يا أيها المتغشي بثيابه (وهو النبي - ﷺ).
- (٢) قم وأنذر الناس عذاب الله.
- (٣) وعظّم ربك.
- (٤) وطهر نفسك من الذنوب وطهر ثيابك من النجاسات.
- (٥) واجتنب عبادة الأوثان.
- (٦) ولا تمن على ربك باستكثار عملك الصالح.
- (٧) واصبر لله على إيذاء المشركين.
- (٨) فإذا نُفخَ في القرن النفخة الثانية.
- (٩) فذلك يوم شديد.
- (١٠) على الكافرين غير سهل.. بل هو صعب.
- (١١) واتركني - أيها الرسول - والوليد بن المغيرة وأمثاله فقد خلقته وحيداً في بطن أمه لا مال معه ولا ولد.
- (١٢) وجعلت له مالا كثيراً.
- (١٣) وجعلت له بنين يشهدون المحافل معه لا يفارقونه.
- (١٤) وبسطت له في الرزق والولد بسطاً.
- (١٥) ثم يطمع أن أزيده على ما أعطيته مع بقاءه على كفره.
- (١٦) ليس الأمر كما يرى، إنه كان معانداً لآياتنا مكذباً بها.
- (١٧) سأكلفه مشقة من العذاب لا يستطيع تحملها.
- (١٨) إنه فكر فيما يصف به القرآن لبيطله، وقدّر ذلك في نفسه.
- (١٩) فلعن وعذب كيف قدر.
- (٢٠) ثم لعن وعذب كيف قدر.
- (٢١) ثم نظر وتروي فيما يقول.
- (٢٢) ثم كَلَحَ وجهه لما لم يجد مطعنا في القرآن.
- (٢٣) ثم صدّ عن الإيمان، واستكبر عن اتباع النبي ﷺ.
- (٢٤) فقال: ليس هذا الذي جاء به محمد إلا سحرا يرويه عن غيره.
- (٢٥) ليس هذا إلا كلام الإنس.
- (٢٦) سأدخل هذا الكافر طبقة سقر في النار يعاني حرّها.
- (٢٧) وما أعلمك - أيها الرسول - ما سقر؟!.
- (٢٨) لا تبقي شيئاً من عذب فيها إلا أتت عليه، ولا تتركه، ثم يعود كما كان، ثم تأتي عليه، وهكذا مرة بعد مرة.
- (٢٩) شديدة الإحراق والتغيير للجلود.
- (٣٠) عليها تسعة عشر خازناً من الملائكة.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرِذَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ لَا يُرْتَابُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِقَوْلِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْأَكْبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَبْقَىٰ أَوْ يَتَاخَرُ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَحْسَبَ الْيَهُودَ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتِ يَسَاءَ لَوْنٌ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَرَاكَ مِنَ الْمَصْلِيِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَرَاكَ نَطْعُمَ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النُّفُوسِ وَأَهْلُ الْمَعْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ۞

- (٣١) وما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة، فلا طاقة لأحد بهم، وما جعلنا عددهم إلا اختباراً للكفار؛ ليتيقن اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل حين صدق القرآن ما في كتابيهم، وليرداد المؤمنون إيماناً لموافقة أهل الكتاب ما عندهم، ولا يرتاب اليهود والنصارى والمؤمنون، وليقول المترددون في الإيمان، والكافرون: أي شيء أَرَادَ اللهُ بهذا العدد الغريب؟! مثل إضلال مُنكر هذا العدد وهداية المصدق به، يُضِلُّ اللهُ مَنْ شَاءَ إِضْلَالَهُ وَيَهْدِي مَنْ شَاءَ هِدَايَتَهُ، وما يعلم جنود ربك من كثرتها إلا هو، فكيف يستخف هؤلاء بعدد الخزنة؟ وما النار إلا تذكرة للبشر يعلمون بها عظمة الله وشديد عقابه.
- (٣٢) ليس القول كما يزعم هذا وأمثاله، أقسم بالقمر.
- (٣٣) وبالليل حين ولى.
- (٣٤) وبالصبح إذا أضاء.
- (٣٥) إن نار جهنم لإحدى البلايا العظام.
- (٣٦) تخويفاً للناس.
- (٣٧) لمن شاء منكم - أيها الناس - أن يتقدم بالإيمان بالله، أو يتأخر بالكفر.
- (٣٨) كل نفس بما كسبته مأخوذة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.
- (٣٩) إلا المؤمنون فإنهم لا يؤخذون بذنوبهم، بل يعفى عنهم.
- (٤٠) في جنات يسأل بعضهم بعضاً.
- (٤١) عن الكفار الذين أهلكوا أنفسهم بالمعاصي.
- (٤٢) يقولون لهم: ما أدخلكم جهنم؟
- (٤٣) فيجيبونهم: لم نكن من الذين يؤدون الصلاة الواجبة.
- (٤٤) ولم نكن نطعم الفقير من أموالنا.
- (٤٥) وكنا ندور مع أهل الباطل أينما داروا، وتحدث مع أهل الضلال.
- (٤٦) وكنا نكذب بيوم الجزاء.
- (٤٧) وأقمنا على التكذيب حتى جاءنا الموت، فحال بيننا وبين التوبة.
- (٤٨) فما تنفعهم يوم القيامة شفاعة الشافعين؛ إذ من شرطها الرضا عن المشفوع.
- (٤٩) أي شيء جعلهم معرضين عن القرآن؟!
- (٥٠) كأنهم في إعراضهم عنه حُمْرٌ وَحَشٌ شديدة النفار.
- (٥١) نفرت من أسد؛ خوفاً من بأسه.
- (٥٢) بل يريد كل واحد منهم أن يصبح عند رأسه كتاب منشور يخبره أن محمداً رسول الله.
- (٥٣) ليس الأمر كذلك، بل تبادوا في ضلالهم لأنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فاستمروا على كفرهم.
- (٥٤) إن هذا القرآن تذكير.
- (٥٥) فمن شاء أن يقرأه ويتعظ فليفعل.
- (٥٦) وما يتعظون إلا أن يشاء الله ذلك، هو أهل لأن يتقى بالطاعة، وأهل لأن يغفر ذنوب عباده التائبين إليه.

٢٤ قد سبقت الإشارة إلى ظهور النهار والليل في سورة البقرة.



سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَالِمَةِ ۝٢ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ، ۝٣ بَلْ قَدَرِينِ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ، ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ، ۝٥ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِرَهُ، ۝١٥ لَا تُحْرَكُ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبَعِ قُرْآنَهُ، ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، ۝١٩ ﴾

- (١) يقسم الله بيوم القيامة.
- (٢) ويقسم بالنفس التي تلوم صاحبها كثيرا على التقصير في الطاعة، ليعتق الناس للحساب والجزاء.
- (٣) أيطن الإنسان أن لن يجمع عظامه للبعث؟! بل، نقدر مع جمعها على أن نعيد أطراف أصابعه خلقًا سويًا كما كانت.
- (٤) بل يريد الإنسان المنكر للبعث أن يظل على فجوره دون رادع.
- (٥) يسأل عن يوم القيامة: متى يحدث؟ مستبعدا وقوعه.
- (٦) فإذا تحير البصر حين يشاهد ما كان يكذب به.
- (٧) وذهب ضوء القمر.
- (٨) وجمع الشمس والقمر.
- (٩) يقول الإنسان الفاجر في ذلك اليوم: أين الفرار؟! (١٠)
- (١١) لا فرار في ذلك اليوم، ولا ملجأ يلجأ إليه.
- (١٢) إلى ربك - أيها الرسول - في ذلك اليوم المرجع للجزاء.
- (١٣) يخبر الإنسان في ذلك اليوم بما قدّم من أعماله، وما أخر منها.
- (١٤) بل الإنسان شاهد على نفسه حيث تشهد عليه جوارحه بما ارتكب من إثم.
- (١٥) ولو قدّم أعداء يدافع بها عن نفسه لم تنفعه.
- (١٦) لا تحرك - أيها الرسول - لسانك بالقرآن متعجلاً حذر أن ينفلت منك.
- (١٧) إن علينا أن نجعله لك في صدرك، وإثبات قراءته على لسانك.
- (١٨) فإذا أتم جبريل قراءته عليك فاستمع إلى قراءته.
- (١٩) ثم إن علينا تفسيره لك.

٣ تشير الآية الكريمة إلى أن في البنان ما يميز كل إنسان عن سواه، والبنان في اللغة أطراف الأصابع، وقد ثبت يقيناً أن:
 ١- بصمات الأصابع تميز كل إنسان، فاستخدمتها الجهات الأمنية دولياً لهذا الغرض.
 ٢- أن صورة البصمة لأي إصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته فلا تتغير.
 ٣- يتم تكوين بصمات البنان عند الجنين في الشهر الرابع، وتظل ثابتة ومميزة طوال حياته، والبصمات هي تسجيل للتغيرات التي تنشأ من التحام طبقة الأدمة مع البشرة، وتختلف هذه التغيرات من شخص لآخر، فلا تتطابق أبداً بين شخصين، ولذلك أصبحت بصمات الأصابع دولياً هي الوسيلة المثلى لتحديد هوية الأشخاص، وهنا نذكر بأن بعض المجرمين قد أجروا عمليات جراحية على بصماتهم وطعموها بجلود في أمكنة أخرى من أجسادهم ولكن فوجئوا بعد عدة أشهر أن بصماتهم عادت إلى ما كانت عليه.

فقدرة الله تعالى لا تقف عند إعادة الخلق فحسب بل تصل إلى إعادة تفاصيل هذا الخلق حتى بنانة ولا غرابة أن يكون البنان إحدى آيات الله تعالى التي وضع فيها أسرار خلقه والتي تشهد على الشخص بدون التباس فتصبح شاهداً عليه كأصدق دليل.

﴿ كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَازِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ ﴿٢٤﴾ تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ لَهَا مَرْقِيٌّ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنَّ كَذَبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُحٌ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ الْإِنْسَانُ أُنْزِلَتْ مِنْ سُدَىٰ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنِ يُخَيَّرَ الْمَوْتُكَ ﴿٤٠﴾ ﴾

- (٢٠) ليس الأمر كما زعمتم من امتناع البعث، لكن زعمتم ذلك لحبكم الحياة الدنيا.
- (٢١) ولترككم الآخرة التي تنال بطاعة الله والإيمان به.
- (٢٢) وجوه أهل الإيمان والسعادة في ذلك اليوم بهيجة.
- (٢٣) ناظرة إلى ربها.
- (٢٤) ووجوه أهل الكفر والشقاء في ذلك اليوم عابسة.
- (٢٥) توقن أن ينزل بها عذاب أليم.
- (٢٦) ليس الأمر كما زعموا من أنهم إذا ماتوا لا يُعذبون، فإذا وصلت نفس أحدهم أعالي صدره.
- (٢٧) وقال بعض الناس لبعض: من يرقني هذا؛ لعله يُشفي من علته؟!.
- (٢٨) وأيقن من في النزاع حينئذ أنه مفارق الدنيا بالموت.
- (٢٩) واجتمعت الشدائد عند التقاء الدنيا بالآخرة.
- (٣٠) يوم يحصل ذلك يُساق العبد إلى ربه.
- (٣١) فلا صدق الكافر رسوله، ولا صلى الله.
- (٣٢) ولكن كذب به، وأعرض عنه.
- (٣٣) ثم ذهب هذا الكافر إلى أهله يختال في مشيته من الكبر.
- (٣٤) فتوعد الله الكافر بأن عذابه قد وليه وقرب منه.
- (٣٥) ثم توعده على سبيل التأكيد، فقال: ﴿ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾.
- (٣٦) أظن الإنسان أن الله تاركه مهملاً غير مكلف بشيء؟
- (٣٧) ألم يكن هذا الإنسان يوماً نُطفة من مني يراق في الرحم؟
- (٣٨) ثم كان بعد ذلك قطعة من دم جامد، ثم خلقه الله، وجعل خلقه سوياً.
- (٣٩) فجعل من جنسه النوعين: الذكر والأنثى؟!
- (٤٠) أليس الذي خلق الإنسان من نُطفة فعَلَقَهُ بقادر على إحياء الموتى للجزاء من جديد؟! بلى، إنه لقادر على ذلك.

سبقَت الإشارة إلى معجزات خلق الإنسان وأطوار تكوينه في أكثر من موضع كما في سورة المؤمنون وغيرها. ٣٧-٣٨-٣٩

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

- (١) قد مضى على الإنسان دهر طويل كان فيه لا ذكر له.
- (٢) إنا خلقنا الإنسان من نطفة خليطة بين ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بما نلزمه به من الشرع، فجعلناه سميعاً بصيراً؛ ليقوم بما ألزم به.



﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسَّكِنَا وَبَيْنَمَا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لُوجْهَ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْكَانِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ أَطْفُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِتَانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾

- (٣) إننا بيننا له طريق الهداية، فاتضح له طريق الضلال، فإما أن يهتدي للصراط المستقيم، فيكون عبدًا شكورًا لله، وإما أن يضل عنها، فيكون عبدًا جحودًا لآيات الله.
- (٤) إننا هيئنا للكفار سلاسل يسحبون بها في النار، وأغلالًا يغلون بها فيها، ونارًا مستعرة.
- (٥) إن المطيعين لله يشربون يوم القيامة من كأس خمر مملوءة ممزوجة بالكافور.
- (٦) هذا الشراب من عين سهلة التناول، لا تغور، يروى بها عباد الله، يسيلونها ويجرونها.
- (٧) إن هؤلاء العباد يوفون بما نذروا من الطاعات، ويخافون يومًا كان شره منتشرًا.
- (٨) ويطعمون الطعام مع حاجتهم إليه، واشتياهم له، يطعمونه الفقراء واليتامى والأسارى.
- (٩) ويضمرون في أنفسهم أنهم ما يصنعون ذلك إلا لوجه الله، فهم لا يريدون منهم ثوابًا، ولا ثناء على إطعامهم إياهم.
- (١٠) إنهم يخافون من ربهم يومًا تكلح فيه وجوه الأشقياء لشدة.
- (١١) فواقهم الله بفضله شر ذلك اليوم العظيم، وأعطاهم بهاء ونورًا في وجوههم؛ إكرامًا لهم، وأعطاهم سرورًا في قلوبهم.
- (١٢) وأتابهم الله على صبرهم جنة يتنعمون فيها، وحريرًا يلبسونه.
- (١٣) متكئين فيها على الأسرة المزينة، لا يرون في هذه الجنة شمسًا يؤذيهم شعاعها، ولا بردًا شديدًا، بل هم في ظل، لا حر معه، ولا برد.
- (١٤) قريبة منهم ظلالها، وسخرت ثمارها لمن يتناولها، فيتناولها بيسر وسهولة.
- (١٥) ويدور عليهم الخدم بآنية الفضة، وبكؤوسها الصافي لونها عند إرادتهم الشراب.
- (١٦) هي في صفاء لونها مثل الزجاج غير أنها من الفضة، وهي مقدره وفق ما يريدون، لا تريد عنه ولا تنقص.
- (١٧) ويسقى هؤلاء كأسًا من خمر ممزوجة بالزنجبيل.
- (١٨) يشربون من عين في الجنة تسمى سلسيلا.

٢ رغم أن الصفة تتبع الموصوف في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث إلا أن لفظ (أمشاج) صفة دالة على الجمع لموصوف مفرد مؤنث وهي لفظة (نطفة) وهو ما توافق مع ما توصل إليه العلم الحديث بعد أن امتلك الإنسان الميكروسكوب الإلكتروني الذي مكّنه من مشاهدة هذه النطفة الواحدة والتي تحتوي على خلية مختلطة من كروموسومات الأب وكروموسومات الأم، وهو ما أشار إليه ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿من نطفة أمشاج﴾ يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، وقول عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. إن العلوم المكتسبة لم تصل إلى معرفة دور كل من نطفة الرجل - ونطفة المرأة - إلا في أوائل القرن السابع عشر الميلادي وهذا يعتبر سبقاً علمياً يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسوله ﷺ.

﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضْرٌ
وَأِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا
عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كُفُورًا ﴿٢٤﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَأَسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يَحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا نَفِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا
أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْتَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ ۞

والعصر آخره.

(٢٦) واذكره بصلاة المغرب وصلاة العشاء، وتهجد بعدهما.

(٢٧) إن هؤلاء المكذبين يحبون الدنيا ويحرصون عليها،
ويتركون وراءهم يوم القيامة، وهو يوم ثقيل، فلا
يستعدون له بالعمل الصالح.

(٢٨) نحن خلقناهم وقوينا خلقهم. وإذا شئنا إهلاكهم
وإبدالهم بأمثالهم أهلكتناهم وأبدلناهم.

(٢٩) إن هذه السورة تذكير، فمن شاء اتخذ طريق إلى رضا
ربه اتخذها.

(٣٠) وما تشاءون اتخذ طريق إلى رضا الله إلا أن يشاء الله
ذلك منكم، فالأمر كله إليه، إن الله كان عليماً بما يصلح
لعباده، حكيمًا في قدره وشرعه.

(٣١) يُدْخِلُ بالتوفيق للإيمان من يشاء من عباده في رحمته،
وأعد للظالمين أنفسهم عذاباً موجعاً في الآخرة.

(١٩) ويدور عليهم في الجنة ولدان باقون على شبابهم، إذا
رأيتهم ظننتهم لنضارة وجوههم وكثرتهم لؤلؤاً منشوراً.

(٢٠) وإذا رأيت ما هنالك في الجنة رأيت نعيمًا، ورأيت ملكًا
عظيمًا، ليس مثله ملك.

(٢١) قد علت أبدانهم الثياب الخضرة الفاخرة من الحرير
الرفيق، والديباج الغليظ، وألبسوا فيها أسورة من فضة،
وسقاهم ربهم شرابًا خاليًا من أي منغص.

(٢٢) ويقال لهم تكريمًا لهم: إن هذا النعيم الذي أعطيتموه
كان ثوابًا لكم على أعمالكم الصالحة، وكان عملكم
مقبولاً عند الله.

(٢٣) إنا نحن نزلنا عليك - أيها الرسول - القرآن مفرقًا.

(٢٤) فاصبر لما يحكم به الله، ولا تطع آثمًا فيما يدعو له من
الإثم، ولا كافرًا فيما يدعو إليه من الكفر.

(٢٥) واذكر ربك بصلاة الفجر أول النهار، وصلاة الظهر

٢٥ هذا الإرشاد الإلهي يستلزم الاستيقاظ باكراً، وبذلك يتحقق للإنسان شيئان:

(١) الاستفادة من فضائل ذلك الذكر وثمراته.

(٢) إن الاستيقاظ في الصباح الباكر والبقاء وعدم النوم قبل طلوع الشمس يحقق الفوائد الطبية التالية:

أ. التعرض لغاز الأوزون الذي لا يوجد إلا بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والذي ثبت أن له آثاراً إيجابية وصحية
منها: تعقيم الجو وإراحة الأعصاب وبعث النشاط في الجسم.

ب. التبكير انسجام مع ما أودعه الله في فطرة الإنسان من نظام أطلق عليه الساعة البيولوجية، فتنتظم إفراز
الهرمونات المختلفة وتنشط وظائف الأعضاء في عملها إلى غير ذلك من الفوائد الطبية، كما أن ذكر الله عند
المساء راحة للنفس وتوطئة لنوم هادئ وطرد للهموم التي تسبب الكوابيس أثناء النوم، إلى غير ذلك من الفوائد.
فيا فوز الذاكرين لله كثيراً والذاكرات.

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَأَلْصَقْنَ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرَتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَأَلْمَلَقَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُنْهِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَنْبَعِهِمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْظِلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِيبِ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا تَرْمَى بِشَجَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ۞

- (١) أقسم الله بالرياح المتتابعة مثل عرف الفرس.
- (٢) وأقسم بالرياح العاصفة.
- (٣) وبالرياح التي تنشر السحاب في الجو.
- (٤) وبالملائكة التي تنزل بما يفرق بين الحق والباطل.
- (٥) وبالملائكة التي تنزل بالوحي.
- (٦) ليكون إعدارًا من الله إلى الناس، وإنذارًا من عذاب الله.
- (٧) إن الذي توعدون به من البعث لواقع لا محالة.
- (٨) فإذا النجوم ذهب ضوءها.
- (٩) وإذا السماء شققت لنزول الملائكة منها.
- (١٠) وإذا الجبال انتزعت من مكانها ففتتت حتى تصير هباءً.
- (١١) وإذا الرسل جمعت في وقت محدد.
- (١٢) ليوم عظيم أُجِّلت للشهادة على أممها.
- (١٣) ليوم الفصل بين العباد، فيتبين السعيد من الشقي.
- (١٤) وما أعلمك - أيها الرسول - ما يوم الفصل؟!.
- (١٥) خسران في ذلك اليوم للمكذبين الذين يكذبون بما جاءت به الرسل من عند الله.
- (١٦) ألم نهلك الأمم السابقة؛ لتكذيبها برسالتها!.
- (١٧) ثم تبعهم المكذبين من الأمم المتأخرة، فنهلكهم كما أهلكتناهم.
- (١٨) مثل الإهلاك لتلك الأمم نهلك المجرمين المكذبين بما جاء به محمد ﷺ.
- (١٩) خسران في ذلك اليوم للمكذبين بوعيد الله.
- (٢٠) ألم نخلقكم - أيها الناس - من نطفة وهي ماء حقيق قليل.
- (٢١) فجعلنا ذلك الماء في رحم المرأة في مكان محروس.
- (٢٢) إلى أمد الحمل المعلوم.
- (٢٣) فقدَرنا صفة المولود وسعادته أو شقاهه وغير ذلك، فنعم القادرون لذلك نحن.
- (٢٤) خسران في ذلك اليوم للمكذبين بقدره الله.
- (٢٥) ألم نجعل الأرض تضم الناس جميعًا.
- (٢٦) تضم أحياءهم بالسكن عليها، وأمواتهم بالدفن فيها.
- (٢٧) وجعلنا فيها جبالًا ثوابت، تمنعها من الاضطراب، عاليات، وأسقيناكم - أيها الناس - ماءً عذبًا، فكيف نعجز عن بعثكم؟.
- (٢٨) خسران في ذلك اليوم للمكذبين بنعم الله عليهم.
- (٢٩) ويقال للمكذبين بما جاءت به رسالهم: سيروا - أيها المكذبون - إلى ما كنتم به تكذبون من العذاب.
- (٣٠) سيروا إلى ظل من دخان النار له ثلاث فرق.
- (٣١) ليس ظليلا، ولا مانعا لهب النار وحرها أن ينفذ إليكم.
- (٣٢) إن النار تقذف بشرارات، كل شرارة في عظمها مثل القصر.

٢٠، ٢٤ الآيات تشير إلى ثلاث حقائق علمية هما:

الحقيقة الأولى: الرحم.. القرار المكين.. قرار بالنسبة للجنين.. مكيماً بالنسبة للأم فهناك ثلاث آيات تجعل من الرحم قراراً مكيماً.. آلية تشريحية (وضع مميز للرحم يحفظه من الصدمات يتوسع بنمو الجنين) وآية ميكانيكية (أربطة قوية تحول دون إنقلاب الرحم حين يزيد وزنه من ٥٠ جم قبل الحمل إلى ٥٣٠٠ جم في المتوسط حين يأتي فيه الحمل بما فيه من جنين ومحصول الحمل)، وآلية هرمونية (تحول دون اعتصار الجنين بفعل الانقباض الشديد للرحم).

الحقيقة الثانية: وصف الآيات للرحم بالقرار المكين، وقد سبق الكلام عنها في سورة (المؤمنون). ونؤكد هنا بأن من المزايا التي تجعل من الرحم قراراً مكيماً ما قرره العلم من أن جدار الرحم يتكون من طبقات ثلاث خارجية رقيقة من مادة بروتينية ووسطى ثخينة مكونة من مواد عضلية في ثلاث طبقات وداخلية غشائية، ويحاط عنق الرحم والجزء العلوي من المهبل بنسيج خلوي ضام يربط الرحم لكل من المهبل والمثانة، لذلك يمسك بالرحم في موضعه مجموعة من الأربطة والصفاقات المتعددة التي تثبته في مكانه، وفي الوقت تسمح له بالاتساع التدريجي في مراحل الحمل المتتالية ليضاعف حجمه في مراحل المتأخرة إلى ثلاثة آلاف ضعف حجمه قبل الحمل، وعلى الرغم من ذلك يبقى الرحم مثبتاً بأربطته في مكانه من تجويف البطن، والرحم محمي كذلك بعظام الحوض وهي من أقوى أجزاء الهيكل العظمي للمرأة، وهو أيضاً مثبت تثبتاً محكماً بعضلات كل من الحوض والعجان.

الحقيقة الثالثة: إشارة إلى عمر الحمل الثابت تقريباً، أثبت علماء الأحياء أن جميع أنواع الكائنات الحية يبدأ تصنيعها من خلية واحدة فقط، وتنقسم بعد ذلك إلى عدة خلايا إلى أن يتم إنتاج جميع الخلايا التي تلزم لبناء جسم الكائن والتي قد يصل عددها إلى آلاف البلايين، بحيث تأخذ كل خلية من الخلايا الناتجة المكان المخصص لها في جسم هذا الكائن. وأن هذه الخلايا لا تحتاج إلى تدخل قوة خارجية لإتمام عملية التصنيع؛ فالخلية الأولية التي تبدأ منها عملية تصنيع الكائن الحي قد تم برمجتها بشكل كامل بحيث تقوم هذه الخلية وما ينتج عنها من خلايا من خلال الانقسام المتكرر بكامل خطوات التصنيع. وإن كل ما تحتاجه هذه الخلية لكي تنتج كائناً حياً بعد وضعها في وسط مناسب هو إمدادها بالغذاء اللازم لإنتاج بقية الخلايا من خلال الحبل السري. إن عملية خلق الكائنات الحية تبدأ من مكون واحد وهو النطفة والتي أثبت العلماء أنها خلية واحدة نتجت عن امتزاج كروموسومات خلية ذكرية مع أخرى أنثوية. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ﴾ آية ١٢.

٢٥ كفاتا: مأخوذة من فعل كَفَتَ، وَكَفَتَ يَكْفُتُ كَفْتًا، أي جذبته، وقبضه، وضمَّه، وكَفَتَ الثوبَ جَمَعَهُ وضمَّ بعضه إلى بعض. وبما أن من معاني هذا اللفظ اللغوي ضم الأشياء إلى بعضها لذلك فإن التتبع العلمي لواقع الكائنات فوق ظهر الأرض وفي باطنها قد انتهى إلى أن هذه الأرض فيها الكفاية لكل الكائنات التي تعيش وتدب على ظهرها، كما أن مظاهر القوى المحيطة بها تؤمن لهم الاستقرار وتحفظهم. ومن ناحية أخرى فقد ثبت أن الصفائح (الألواح) الأرضية تتحرك بصورة دائمة على الحدود الفاصلة بينها بحيث تتحرك كل صفيحة كوحدة مستقلة متماسكة، لذلك تكون الفواصل بين هذه الصفائح معرضة دوماً للإجهاد والشد، مما ينتج طيات وتصدعات، وتحدث الزلازل والبراكين نتيجة لحركة هذه الصفائح. فإذا كان اللوحان أحدهما قاري والآخر محيطي، ينزلق اللوح المحيطي تحت اللوح القاري حيث ينصهر في الوشاح ليذوب، ولذلك تعرف هذه الحركة بالهدامة، مثال على ذلك: أخدود بيرو شيلي غرب أمريكا. وبعيداً عن منطقة التصادم يخرج هذا الوشاح المنصهر في صورة براكين مكونة جبالاً بركانية.

- وإذا كان اللوحان المتقاربان قاريين، يحدث تصادم بينهما وينشأ عن ذلك سلاسل جبلية.
- إذا كان اللوحان المتقاربان محيطيين، ينزلق أحدهما (ذو الوزن النوعي الأكبر) تحت الآخر (ذو الوزن النوعي الأصغر) وينتج عن ذلك انبثاق البراكين، مثال على ذلك: ما يعرف بحلقة النار داخل المحيط الهادي. ولكن رغم هذا الذي يحصل لا يتناقض مع الأصل المتمثل بضم الكرة الأرضية لتلك الكائنات وتأمين الاستقرار لها لأن تلك الحوادث استثناء وحالات غير مستمرة، مما يجعل من وصف الأرض بأنها كفات صحيحة ومستمر.

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۙ (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۙ (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۙ (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۙ (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۙ (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۙ (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَجًا ۙ (١٤) نُنْجِجُ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۙ (١٥) وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ۙ (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفُصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ۙ (١٧) يَوْمَ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۙ (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ۙ (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۙ (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۙ (٢١) لِلطَّالِعِينَ مَنَابِتًا ۙ (٢٢) لِيُبَيِّنَ فِيهَا أَحْقَابًا ۙ (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۙ (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا ۙ (٢٥) جَزَاءً وَفِاقًا ۙ (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۙ (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۙ (٢٨) ﴾

- (٨) وخلقنا الناس أصنافا منهم الذكران والإناث.
- (٩) وجعلنا نومكم انقطاعا عن الحركة للراحة.
- (١٠) وجعلنا الليل ساترا للناس مثل اللباس.
- (١١) وجعلنا النهار ميدانا لكسبهم لرزقهم.
- (١٢) وبنينا فوقكم سبع سماوات قوية البناء محكمة الخلق.
- (١٣) وجعلنا الشمس مصباحا شديد الإنارة.
- (١٤) وأنزلنا من السحب المتهيئة للإمطار ماء كثير التدفق.
- (١٥) لنخرج به الحب، والنبات.
- (١٦) ونخرج به بساتين متداخلة الأغصان.
- (١٧) إن يوم الفصل كان موعدا مؤقتا لجمع الخلائق للفصل بينهم.
- (١٨) يوم ينفخ في القرن النفخة الثانية، فتأتون - أيها الناس - (٢٨) وكذبوا بآياتنا المنزلة تكذيبًا.
- جماعات جماعات.
- (١٩) وفتحت السماء، فصار لها فروج مثل الأبواب المفتحة.
- (٢٠) وصيرت الجبال تسير، فصارت هباء منثورًا، مثل السراب.
- (٢١) إن جهنم كانت مرتقبة.
- (٢٢) للظالمين مرجعا.
- (٢٣) ماكثين فيها أزمانه ودهورًا.
- (٢٤) لا يذوقون فيها نوما، ولا يذوقون فيها شرابًا يروي عطشهم.
- (٢٥) إلا ماء شديد الحرارة، وما يسيل من صديد أهل النار.
- (٢٦) جزاء موافقا لكفرهم.
- (٢٧) إنهم كانوا في الدنيا لا يخافون حسابًا؛ لإنكارهم البعث.

٦ ﴿ ألم نجعل الأرض مهادا ﴾:

جعل الله الأرض اليابسة، مهادا وفراشا للإنسان، وقد كشف علم الأرض أن اليابسة التي نعيش عليها ماهي إلا قشرة تغطي الصهير الناري الذي يمتد ويتحرك، ولولا أن الله قدر أمورا وأنظمة لها لما أمكن للإنسان أن يستمر في العيش على ظهرها، كما أشرنا إلى ذلك في سورة البقرة وغيرها.

٧ ﴿ والجبال أوتادا ﴾:

كشفت العلماء أن الأرض تفجرت منها البراكين العظيمة في الماضي ثم بردت هذه البراكين ولها جذور في باطن الأرض مكونة الجبال البركانية، وهكذا صارت الجبال للأرض بمثابة الأوتاد للخيمة، ولم يكن أحد يعلم بهذه الجذور للجبال إلا في القرن العشرين، بينما نجد هذه الحقيقة في كتاب الله الذي فيه العلم الإلهي.

٨ ﴿ وخلقناكم أزواجا ﴾:

كانت الزوجية معروفة في الإنسان والحيوان، ولكن العلم كشف عن وجود الزوجية في كل شيء حتى في الذرة، فوجدوا أن الإلكترون له زوج يسمى البروتون. وقد جاء التعميم لهذه الزوجية في قوله تعالى: ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾.

٩ ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾: كشف العلماء أهمية النوم للإنسان وأن عدم النوم يسبب أمراضا عدة؛ لأن هناك هرمونات تفرز أثناء النوم، كما أن هناك هرمونات تفرز في اليقظة، وأن الاختلال في ذلك يؤدي إلى أضرار صحية.



﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حُدُودًا وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَتَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرْبًا ﴿٤٠﴾ ﴿

- (٢٩) وكل شيء من أعمالهم معدود عندنا، و مكتوب في (٣٧) رب السموات والأرض، الرحمن لا يملك الجميع أن صحائف أعمالهم.
- (٣٠) فذوقوا - أيها المكذبون - هذا العذاب، فلن نزيدكم إلا (٣٨) يوم يقوم جبريل، والملائكة مصطفين، لا يتكلمون عذابا بعد عذاب.
- (٣١) إن للمتقين ربهم مكان فوز يفوزون فيه وهو الجنة.
- (٣٢) بساتين، وأعنابًا.
- (٣٣) وجواري متمائلات في العمر.
- (٣٤) وكأس خمر ملأى.
- (٣٥) لا يسمعون كلام باطل، ولا كذبا كحال خمر الدنيا.
- (٣٦) عطاء من الله كافياً.
- (٤٠) إنا حذرناكم - أيها الناس - عذابا قريبا، يقع يوم ينظر المرء ما قدم من عمله في الدنيا، ويقول الكافر متمنيا الخلاص من العذاب: يا ليتني صرت ترابا فأكون مثل الحيوانات يقال لها يوم القيامة: كوني ترابا.

١٠ ﴿وجعلنا الليل لباسا﴾: لليل فوائد صحية على الإنسان، وتعتبر الإضاءة في الليل من التلوث الضوئي الذي يضر بالإنسان، وينصح الإنسان بالنوم في ظلام، بعيدا عن الأضواء.

١١ وجعلنا النهار معاشا - جعل الله النهار وسيلة للحركة والمعيشة ومن عليها بهذه النعمة العظيمة، فحين تصل الأشعة من الشمس للوجه المقابل لها من الأرض تصطدم بذرات الغلاف الجوي مكونة طبقة النهار التي تضيئ للناس؛ ويدور عليها محور معاش الإنسان وحركته.

١٣ وجعلنا سراجا وهاجا - إذ تتحول فيها ذرات الهيدروجين إلى هليوم مكونة طاقة هائلة، وتبعد عن الأرض مسافة ١٤٩,٦ مليون كيلومتر، ويصل إلينا ضوءها بعد ثمان دقائق وتسع ثوان، وحرارة سطحها تصل إلى ٦٠٠٠ درجة وكل هذه الحقائق العلمية لا يوجد لفظ أنسب لوصفها من قوله تعالى: ﴿سراجا وهاجا﴾.

١٤ وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا. وصف القرآن الكريم أنواع السحب الممطرة جميعا وذكر طريقة تكوينها والظواهر المصاحبة لها، ونتائجها، وفي هذه الآية ذكر الله النوع الثالث من السحب الممطرة التي تتكون في مناطق خط الاستواء والتي ينتج عنها أمطار غزيرة وينتج عن هذه الأمطار النباتات الكثيفة والغابات الملتفة أشجارها من غزارة أمطارها. وكما أن هذه الحقائق التي صارت مشاهدة، وقد أشارت إليها الآيات فسيأتي اليوم الذي نشاهد ما وصفه الله تعالى في الآية التي بعدها ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتا﴾.



﴿ مِنْعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمَلُوا فِيهَا كَصَوَارِعَ الدَّيْثَانِ مَغْلُوبِينَ ﴾ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُذِرَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١) يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِعُهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مِنْهَا لَنْ نَحْشُرَكَ إِلَّا غَسِيَّةً أَوْ مَيِّتًا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يُخَشِئُهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُؤْتَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحْحًا (٤٦) ﴿

- (٣٣) ما ذكر منافع لكم - أيها الناس - ولأنعامكم، فمن خلق (٤٠) وأما من خاف القيام بين يدي ربه، وكف نفسه عن اتباع ذلك لا يعجز عن إعادة خلقهم وبعثكم.
- (٣٤) فإذا حصلت النفخة الثانية، وقامت القيامة.
- (٣٥) ذلك اليوم يتذكر الإنسان ما قدم من عمل.
- (٣٦) وجيء بجهنم بارزة.
- (٣٧) فأما من تجاوز الحد في الضلال.
- (٣٨) وقدم الحياة الدنيا على الحياة الأخرى.
- (٣٩) فإن النار هي مستقره يأوي إليه.
- (٤١) فإن الجنة هي مستقره يأوي إليه.
- (٤٢) يسألك - أيها الرسول - المكذبون بالبعث متى تقع الساعة؟
- (٤٣) ليس لك علم بها فتذكرها لهم، وليس من شأنك ذلك.
- (٤٤) إلى ربك وحده منتهى علم متى تقع.
- (٤٥) إنما أنت منذر من يخشى الساعة؛ فهو المنتفع بإنذارك.
- (٤٦) كأن المكذبين يوم يرون الساعة مشاهدة لم يلبسوا في الدنيا إلا عشيية يوم واحد، أو بكرته.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ بُرِّئَ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَصَنَ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) ﴾

- (١) عبس وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وأعرض.
- (٢) لأجل أن جاءه أعمى وهو عبد الله بن أم مكتوم يسترشده، جاءه وهو منشغل بأكابر المشركين يأمل هدايتهم.
- (٣) وما يعلمك - أيها الرسول - لعل ابن أم مكتوم يتطهر من ذنوبه.
- (٤) أو يتعظ بما يسمع منك، فينتفع به.
- (٥) أما من استغنى بماله عن الإيمان.
- (٦) فأنت تتعرض له وتقبل إليه.
- (٧) وما يضرك أن لا يتطهر من ذنوبه بالتوبة.
- (٨) وأما من جاءك يسعى.
- (٩) وهو يخشى الله.
- (١٠) فأنت تتشاغل عنه بغيره من أكابر القوم.
- (١١) لا ينبغي أن تعود إلى مثل هذا، إن هذه السورة موعظة وتذكير.
- (١٢) فمن شاء ذكر الله ذكره، واتعظ بما في القرآن.

﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضَا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَأَخْلَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غَلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأُنَا ﴿٣١﴾ مَنَعْنَا لَكُمُ الْوَيْدَانَ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَجِيئِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرٌ ﴿٣٨﴾ ضَاكِحَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾

- (١٣) فالقرآن في صحف عند الملائكة، شريفة.
(١٤) مرفوعة، مطهرة، لا ينالها رجس.
(١٥) وهي بأيدي رسل من الملائكة.
(١٦) كرام عند الله، كثير فعلهم للطاعات.
(١٧) لعن الإنسان الكافر، ما أشد كفره بالله!
(١٨) من أي شيء خلقه الله حتى يتكبر ويكفر؟
(١٩) خلقه من ماء قليل، فقد خلقه مرحلة بعد مرحلة.
(٢٠) ثم يسر له بعد هذه المراحل الخروج من بطن أمه.
(٢١) ثم أماته بعد نهاية أجله، وجعل له قبراً يدفن فيه.
(٢٢) ثم إذا شاء بعثه للجزاء بعثه.
(٢٣) ليس الأمر كما يتصور هذا الكافر أنه أدى ما عليه من حق لخالقه.
(٢٤) فلينظر الكافر إلى طعامه الذي يأكله كيف حصل.
(٢٥) فأصله أنا صببنا الماء من السماء صبا.
(٢٦) ثم فتقنا الأرض، فانشقت عن النبات.
(٢٧) فأنبتنا فيها الحبوب وغيرها.
(٢٨) وأنبتنا فيها عنباً وقضاً.
(٢٩) وزينناها ونخلنا.
(٣٠) وحدائق غلباً.
(٣١) وفكهة وأنا.
(٣٢) يوم يفر المرء من أخيه.
(٣٣) فإذا جاءت نفخة البعث.
(٣٤) يوم يهرب المرء من أخيه.
(٣٥) ومن أمه وأبيه.
(٣٦) ومن زوجته وأولاده.
(٣٧) لكل واحد منهم ما يشغله عن غيره من الكرب العظيم.
(٣٨) وجوه السعداء في ذلك اليوم نيرة.
(٣٩) ضاحكة مسرورة بما عاينته من رحمة الله.
(٤٠) ووجوه الأشقياء في ذلك اليوم عليها غبار.
(٤١) تجللها ظلمة.
(٤٢) أولئك المذكورون هم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

﴿ ثم السبيل يسره ﴾: قدر الله سبحانه وتعالى للأجنة أن تمكث في الأرحام مدة ثم يبسر الله لها الخروج إلى عالم الدنيا، ويلخص هذا التيسير بأمور ضرورية أهمها:
(١) إفراز هرمونات تتج انقباضات في قعر الرحم تدفع الجنين باتجاه المخرج (المهبل).
(٢) توسع في عضلات عنق الرحم.
(٣) ارتخاء في أربطة الحوض والغضروف الواصل بين جنبتي الحوض.
(٤) انفجار كيس السائل الأمنيوسي، وتوسع في عضلات جهاز المرأة عموماً مما ينتج عنه انزلاق الجنين بنتيجة ذلك كله وخروجه. وبعد خروجه بفترة تسقط المشيمة، ولو لا أن الله قدر هذا النظام لخروجه لحصلت متاعب وأمر محرجة جداً. فسبحان الله الذي قدر فهدي.



سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمْسُ كُوِّرَتْ ١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قِيلَتْ ٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ١٤ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ١٥ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ٢٢ وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ٢٧ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٩ ﴾

- (١) إذا الشمس لفت وذهب ضوءها.
- (٢) وإذا النجوم تساقطت من مواضعها ومحى ضوءها.
- (٣) وإذا الجبال حركت من مكانها حتى تصير هباء.
- (٤) وإذا حوامل النوق أهملت لانشغال أهلها عنها.
- (٥) وإذا الوحوش جمعت.
- (٦) وإذا البحار جعلت نارا.
- (٧) وإذا النفوس قرنت بمن يماثلها تقى أو فجورا.
- (٨) وإذا المدفونة حية سألتها الله.
- (٩) بأي جريمة قتلك من قتلك؟
- (١٠) وإذا صحف الأعمال نشرت؛ ليقرأها أصحابها.
- (١١) وإذا السماء نزع كما ينزع الجلد عن الشاة.
- (١٢) وإذا النار أوقدت إيقادا شديدا.
- (١٣) وإذا الجنة قربت للمتقين.
- (١٤) عند ذلك تعلم كل نفس ما أحضرت من الأعمال.
- (١٥) يقسم الله بالنجوم المستترات قبل ظهورها في الليل.
- (١٦) الجاريات المستترات مثل الأطباء تدخل كناسها.
- (١٧) ويقسم بالليل إذا أقبل أو أدبر.
- (١٨) و بالصبح إذا ظهر نوره.
- (١٩) إن القرآن لكلام الله بلغه ملك أمين، هو جبريل عليه السلام.
- (٢٠) وهو صاحب قوة عند رب العرش ذو منزلة عظيمة عنده.
- (٢١) يطيعه أهل السماء، مؤتمن على الوحي.
- (٢٢) وليس صاحبكم بمجنون كما تدعون بهتانا.
- (٢٣) ولقد رأي رسولكم جبريل على صورته بأفق السماء الواضح.
- (٢٤) وليس صاحبكم ببخيل عليكم، فلا يبخل أن يبلغكم ما أمر بتبليغيه، ولا يأخذ أجرا كالكهنة.
- (٢٥) وليس القرآن من كلام شيطان مطرود من رحمة الله.
- (٢٦) فأى طريق تسلكونها لإنكار أنه وحي بعد هذه البراهين؟
- (٢٧) ليس القرآن إلا تذكيرا للجن والإنس.
- (٢٨) لمن شاء منكم - أيها الناس - الاستقامة على الحق.
- (٢٩) وما تشاؤون شيئا إلا أن يشاء الله ذلك، رب الخلائق.

٧ قوله تعالى ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ (آية ٧) ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ (آية ٨).
الخلق والتقدير سبق الحديث عنه.

وأما التسوية والتعديل كلمة (سواك) تعني جعل الشيء مستويا ومستقيما وممهدا؛ لأداء شيء محدود، والتعديل في اللغة يعني التقويم فكلمة (فعدلك) تعني تغيير الشكل والهيئة؛ لتكوين شيء محدد، وكلمة (صورة) تعني هيئة أو شكل، وما ذكره القرآن الكريم هو ما قرره حقائق علم الأجنة، فالتسوية تبدأ عقب عملية الخلق في المرحلة الحميلية أي بعد الأسبوع الثامن، حيث يستقيم الجنين وتتهيأ الأعضاء لأداء وظائفها، ويتخذ الجنين المقاييس الطبيعية (التعديل) كما تتغير مقاييس الجسم وتتخذ ملامح الوجه المقاييس البشرية المألوفة، ويكتسب الجنين الصورة الشخصية (التصوير). إن ذكر القرآن الكريم لأدق هذه التفاصيل العلمية التي ما عرفت إلا بعد قرون عديدة من زمن التنزيل، وبعد أن امتلك الإنسان أحدث وسائل التصوير الحديثة لشاهد على أن الكلام هو كلام الله وأن من جاء به هو رسول من عند الله.

١٥- ١٦ والنجم عندما تنفذ طاقته يبدأ يهوي على نفسه ثم يتلاشى ويموت حسب وزنه فالنجوم الثقيلة جدا أو ما يعرف بالنجوم الزرقاء العملاقة إما تنفجر أو تنكمش على نفسها مكونة النجم النيتروني (النجم الطارق الثاقب) والذي تصدر عنه أشعة جاما وهي من أقوى الأشعة وأشدّها لمعانا وتكون ثاقبة لأي شئ في طريقها وتمكن العلماء من رصد ترددات صوتيه تصدر عن الغازات المحيطة به ، أو مكونة الثقب الأسود (مقبرة النجوم) وتم اكتشاف أول ثقب عام ١٩٧١ م. وهي تعمل على كس كل ما يصادفها (المكنسة الفضائية) وتمثل الثقوب السوداء Black Holes مرحلة الشيخوخة في حياة نجوم عملاقة أكبر كتلة من الشمس بأكثر من خمس مرات، وتتميز الثقوب السوداء بكثافة كبيرة وجاذبية بالغة الشدة بحيث لا يفلت من أسرها شيء حتى الضوء نفسه البالغ السرعة (حوالي ٣٠٠ ألف كم/ثانية)، ومن هنا كانت تسميتها التي تعكس وجود مناطق كالثقوب في صفحة السواء اختفي فيها كل شيء فبذبت فجوات، وقد ورد القسم في معرض الاستدلال على أن القرآن وحي من عند الله، قال تعالى: «فَلَا أَسْمُ بِالْخُنُسِ. الْجَوَارِ الْكُنُسِ. وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» التكوير ١٥-١٩، وتنعكس عظمة القسم وأهميته في الاستدلال على المقسوم به وهو هنا مذكور بصفات تلتقي تماما مع صفات ما يسمى بالثقوب السوداء، فهي في الأصل نجوم تجري في مداراتها فيصدق عليها الوصف باللفظ (جوار)، وأما اللفظ (خنس) فيتطابق معها بكل معانيه في اللغة ومنها: التواري والاحتجاب والاختفاء، والتراجع والاندثار بعد ظهور وازدهار، وهي بالفعل نجوم عملاقة هوت في نهاية أعمارها وانكمشت مادتها واستترت ولا يظهر منها أية ضوء. وشدة جاذبيتها تجعلها تنكس كل شيء يجاورها في طريقها وتبتلع فتزداد كتلة وقوة؛ وهنا يتجلى وصفها بلفظ (الكنس) أو المكانس العظام. والمعرفة بتلك الأوصاف حديثة لذا فإن ورودها في القرآن بألفاظ تدل عليها بدقة في معرض تأكيد الوحي به لدليل حاسم على أنه كلام الله الخالق.

١٧- ١٨ كلمة (عَسَسَ) في اللغة كلمة معبرة؛ لأنها تتكون من مقطعين هما (عس عس) ومعنى «عس» أي سار في الظلام ومنه «العسس» أي الذي يعس في الظلام ليس ماشياً على هدى فهو يمد يديه كي يتعرف بها على الأشياء. ونسب العس إلى الليل نفسه دليل قوى على شدة الظلام ، فالليل نفسه يعس، فكأنه لا اهتداء له، فكيف يكون حال الإنسان الذي يمشى فيه؟! وهذه هي بلاغة القرآن الكريم، فعندما نعطي الشيء صفة منتهى الخفاء فهي للملتصق به أشد وأقوى. فما دام الليل هو الذي يعسس، فيكون الذي فيه أشد عسوسة منه، وذلك كما قال الله سبحانه وتعالى ضاربا مثلا للظلمة «أَوْ كظلماتٍ في بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» سورة النور، فإدراكه التي يعرف مكانها جيدا لا يراها، فما بالك بالشيء الذي لا يعلم موقعه جيدا، فأنت بأشد شيء التصاقا بالنفس ومع ذلك لا يراها. ثم يقول وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ وكأن الصبح من وطأة ظلمة الليل كأنه كانت مخمودة أنفاسه فبالليل لا تتم عملية التمثيل الضوئي ثم أخذ يتنفس عند ضوء النهار بالتمثيل الضوئي، وكذلك يعطينا هذا التعبير الحيوي معنى أن النهار وإشراق الضوء يمنحنا الهواء النقي للتنفس، وقد وجد العلماء أن مع ضوء الفجر تكون نسبة الأوزون O3 في أعلى مستوياتها فالنباتات تأخذ ثاني أكسيد الكربون وتنتج الأكسجين الصالح الذي يجعل الناس والكائنات الحية تستطيع التنفس وأن التنفس هذا يحدث نتيجة حركة ودوران الهواء في الجو فيحل الأوكسجين محل ثاني أكسيد الكربون وهذه تشبيه بليغ إذ جعل النهار كرثة كبيرة يحدث فيها دوران وحركة الهواء كما يتم هذا في رثة الكائن الحي، وكأن ذلك رمز للرسالات التي كانت موجودة ثم ذهبت، ثم طم الظلام بعدها فكان هذا الظلام يحتاج أن يخرج الله صبحا ، هو صبح هداية بالإسلام فكأن منهج النبي «صلى الله عليه وسلم» هو متنفس الصبح للبشرية كلها.



سورة الانفطار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا
بَلْ تَكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ
لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ ۞

- (١) إذا السماء تشققت وتصدّعت.
- (٢) وإذا الكواكب تساقطت وتناثرت أجزاءها.
- (٣) وإذا البحار اختلطت عذبها بلمحها.
- (٤) وإذا القبور قلبت؛ لبعث من فيها.
- (٥) ساعته تعلم كل نفس ما قدمت من عمل، وما أخرت منه، فلم تعمله.
- (٦) يا أيها الكافر ما الذي جعلك تخالف أمر ربك حين لم يعاجلك بالعقوبة نفضلاً منه؟
- (٧) الذي خلقك بعد أن لم تكن فجعلك مستوي الخلق، سالم الأعضاء فجعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء.
- (٨) في أي صورة من الصور شاءها ربك وأوجدك عليها.
- (٩) ليس الأمر كما تزعمون أنكم على الحق بل تكذبون -
- (١٠) أيها الكفار - بالجزاء على الأعمال.
- (١١) وإن عليكم لحافظين من الملائكة لأعمالكم.
- (١٢) كراما على الله كاتبين لها.
- (١٣) يعلمون ما تفعلونه جميعه.
- (١٤) إن الأبرار المؤمنين الصادقين في إيمانهم لفي نعيم الجنة.
- (١٥) وإن الكفار لفي نار محرقة.
- (١٦) يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء.
- (١٧) وما هم منها بمخرجين.
- (١٨) وما أعلمك ما يوم الدين؟
- (١٩) ثم ما أدراك ما يوم الدين؟
- (٢٠) يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من المنفعة، والأمر يومئذ لله، لا أمر لغيره فيه.

سورة المطففين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ
أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ ۞

- (١) عذاب في جهنم للمطففين.
- (٢) الذين إذا اكتالوا على من الناس يستوفون الكيل.
- (٣) وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم ينقصون الكيل أو الوزن.
- (٤) ألا يتيقن أولئك أنهم مبعوثون.

﴿ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾
 وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
 كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
 تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ
 ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
 الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَرْجَاهُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾
 وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أُنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا
 عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَاَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

- (٥) في يوم عظيم وهو يوم القيامة.
- (٦) يوم يقوم الناس من قبورهم لرب الخلاق للحساب والجزاء.
- (٧) ليس الأمر كما تصوّرتم من إنكار البعث، إن كتاب أهل الفجور لفي كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة.
- (٨) وما أعلمك - أيها الرسول - ما سجين؟
- (٩) هو كتاب مكتوب.
- (١٠) هلاك في ذلك اليوم للمكذبين.
- (١١) الذين يكذبون بيوم الجزاء.
- (١٢) وما يكذب بذلك اليوم إلا كل متجاوز لحدود الله، كثير الإثم.
- (١٣) إذا تقرأ عليه آياتنا قال: هي أقاصيص الأمم الأولى، لا وحي من الله.
- (١٤) ليس الأمر كما تصور المكذبون، بل غلب على عقولهم ما كانوا يكسبون من المعاصي، فأعمى قلوبهم عن الحق.
- (١٥) حقا إنهم عن رؤية ربهم يوم القيامة لمنوعون.
- (١٦) ثم إنهم لمعانون من حرّ النار وعذابها.
- (١٧) ثم يقال لهم يوم القيامة: هذا العذاب الذي لقيتموه هو ما كنتم تكذبون به في الدنيا.
- (١٨) ليس الأمر كما تصوّرتم من إنكار الجزاء، إن كتاب أصحاب الطاعة لفي عليين.
- (١٩) وما أعلمك - أيها الرسول - ما عليون؟
- (٢٠) كتاب مكتوب.
- (٢١) يحضر هذا الكتاب مقربو الملائكة من كل سماء.
- (٢٢) إن الكثيرين من الطاعات لفي نعيم دائم يوم القيامة.
- (٢٣) على الأسرة ينظرون.
- (٢٤) إذا رأيتم رأيت في وجوههم أثر التمتع.
- (٢٥) يسقون من خمر مختوم على إنائها.
- (٢٦) تفوح رائحة المسك في نهايته، وفي هذا الجزاء الكريم يتسابق المتسابقون بالطاعات، وترك المعاصي.
- (٢٧) يخلط هذا الشراب المختوم بعين تسنيم.
- (٢٨) عين في الجنة يشرب منها المقربون، ويشرب سائر المؤمنين منها مخلوطة بغيرها.
- (٢٩) إن الذين أجمروا بالكفر بالله كانوا يضحكون من المؤمنين؛ استهزاء بهم.
- (٣٠) وإذا مرّوا بهم غمز بعضهم لبعض.
- (٣١) وإذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا مسرورين بما هم عليه من الكفر والسخرية من المؤمنين.
- (٣٢) وإذا عاينوا المؤمنين قالوا: إنهم لضالون عن طريق الحق بترك دين آبائهم.
- (٣٣) وما وكلوا على حفظ أعمالهم حتى يقولوا قولهم هذا.
- (٣٤) فيوم القيامة يضحك المؤمنون من الكفار كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا.
- (٣٥) على الأسرة ينظرون.
- (٣٦) هل جوزي الكفار على أعمالهم السيئة؟

سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ٥ يَتَأَيَّهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، بِمِثْنِهِ ٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَى
 أَهْلِهِ مَسْرُورًا ٩ وَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابَهُ، وَرَاءَ ظَهْرِهِ ١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ١١ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُ، كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ١٣ إِنَّهُ،
 ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ١٤ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ، كَانَ بِهِ بَصِيرًا ١٥ فَلَا أُفْسِمُ بِالسَّفْقِ ١٦ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ١٨ لَتَرْكَبُنَّ
 طَبَقًا عَن طَبَقٍ ١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ٢١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ٢٢ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٢٥ ﴾

- (١) إذا السماء تصدعت وتشققت.
 (٢) واستمعت لربها، وحق لها أن تستمع له.
 (٣) وإذا الأرض مدت.
 (٤) ورمت ما فيها من الأموات وغيرهم، وتخلت عنهم.
 (٥) واستمعت لربها، وحق لها أن تستمع له.
 (٦) يا أيها الإنسان إنك عامل، فملاق ربك يوم القيامة؛
 ليجازيك على عملك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.
 (٧) فأما من أعطي كتاب أعماله بيده اليمنى.
 (٨) فسوف يحاسب حسابا سهلا.
 (٩) ويرجع إلى أهله مسرورا.
 (١٠) وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره.
 (١١) فسينادي بالهلاك على نفسه.
 (١٢) ويقاسي حر جهنم.
 (١٣) إنه كان في الدنيا في أهله مسرورا بكفره وعصيانه.
 (١٤) إنه ظن أن لن يعود بعد موته.
 (١٥) بلى ليعيدته الله كما خلقه أول مرة، إن ربه كان بحاله بصيرا لا يخفى عليه منه شيء.
 (١٦) يقسم الله بالحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.
 (١٧) وبالليل وما جمع.
 (١٨) والقمر إذا اجتمع، وصار بدرا.
 (١٩) لتركبن - أيها الناس - حالا بعد حال.
 (٢٠) فما للكفار لا يؤمنون بالله؟
 (٢١) وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لله.
 (٢٢) بل الكفار يكذبون بما جاءهم به رسولهم.
 (٢٣) والله أعلم بما يحفظون في صدورهم، لا يخفى عليه منه شيء.
 (٢٤) فبشّرهم - أيها الرسول - بما أعد لهم من عذاب مؤلم.
 (٢٥) إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، لهم ثواب غير مقطوع وهو الجنة.

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِيءُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثَ الْجَنُودِ ﴿١٧﴾ فَرَعُونَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴿

- (١) يقسم الله بالسماء ذات المنازل تسلكها الشمس والقمر وغيرهما.
- (٢) ويوم القيامة الذي هو ميعاد لجمع الخلائق.
- (٣) وبكل شاهد، وكل مشهود في ذلك اليوم.
- (٤) لعن الذين شقوا في الأرض شقاً عظيماً.
- (٥) وأوقدوا فيه نارا، ورموا المؤمنين فيه .
- (٦) إذ هم قعود على الشق المملوء نارا.
- (٧) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين من التعذيب شهود.
- (٨) وما عاب هؤلاء على المؤمنين شيئا إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي لا يغلبه أحد، المحمود في كل شيء.
- (٩) الذي له وحده ملك السموات، و الأرض، وهو مطلع على كل شيء.
- (١٠) إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بالنار؛ ليصرفوهم عن الحق، ثم لم يتوبوا إلى الله، فلهم يوم القيامة عذاب جهنم، ولهم عذاب النار التي تحرقهم.
- (١١) إن الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم
- (١٢) كوكبة اشتهرت بين الناس باسم الأبراج. وهذه الأبراج ما هي إلا الكوكبات التي تمر خلالها الشمس في رحلتها السنوية الظاهرة حول الأرض، إذ أن للشمس مدارا ظاهريا حول الأرض يعرف بدائرة البروج. فسبحان من له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.
- (١٣) إنه هو يبدئ الخلق ويعيدهما.
- (١٤) وهو الغفور لذنوب عباده ، وإنه محب للمؤمنين منهم.
- (١٥) صاحب العرش، الكريم.
- (١٦) فعال لما يريد.
- (١٧) هل أتاك - أيها الرسول - خبر الجنود المجتمعين لمحاربة الحق؟.
- (١٨) فرعون، وثمود أصحاب صالح عليه السلام.
- (١٩) لقد جاءتهم أخبار الأمم المكذبة، فلا يمنعهم من الإيمان أنها لم تأتهم، بل هم يكذبون بما جاءهم به رسولهم؛ اتباعا لأهوائهم.
- (٢٠) والله محيط بأعمالهم، لا يفوته منها شيء، وسيجازيهم عليها.
- (٢١) وليس القرآن شعرا، ولا سجعا كما يقولون، بل هو قرآن كريم.
- (٢٢) في لوح، محفوظ من أي تغيير.

١ سبق الكلام في سورة الحجر عن ذلك علماً بأن هناك (١٢) كوكبة اشتهرت بين الناس باسم الأبراج. وهذه الأبراج ما هي إلا الكوكبات التي تمر خلالها الشمس في رحلتها السنوية الظاهرة حول الأرض، إذ أن للشمس مدارا ظاهريا حول الأرض يعرف بدائرة البروج. فسبحان من له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.



سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُوبًا ﴿١٧﴾ ۞

- (١) يقسم الله بالسماء، و بالنجم يطرق ليلا.
- (٢) وما أعلمك - أيها الرسول - ما النجم يطرق ليلا ؟
- (٣) هو النجم المتوهج المضيء.
- (٤) ما من نفس إلا وكل بها ملك يحفظ أعمالها للجزاء يوم القيامة.
- (٥) فليتأمل الإنسان مم خلق الله؛ لتتضح له قدرة الله، وعجزه هو.
- (٦) خلقه الله من ماء ذي اندفاق يصب في الرحم.
- (٧) يخرج هذا الماء من بين صلب الرجل، وعظام صدر المرأة.
- (٨) إن الله الذي خلقه من ماء مهين قادر على بعثه حيا للجزاء.
- (٩) يوم تختبر السرائر، فيكشف عما فيها من خير وشر.
- (١٠) فما له يوم القيامة من قوة يمتنع بها من العقاب.
- (١١) يقسم الله بالسماء ذات المطر ينزل من جهتها.
- (١٢) و بالأرض تتشقق عما فيها من نبات.
- (١٣) إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل، والخير والشر.
- (١٤) وليس بلعب وباطل.
- (١٥) إن المكذبين يكيدون كيذا كثيرا ليردوا دعوة الإسلام، ويبتلوها.
- (١٦) وأكد أنا كيذا؛ لإظهارها ودحض باطلهم.
- (١٧) فأمهل - أيها الرسول - المكذبين، أمهلهم قليلا.

١ قوله تعالى ﴿ والسما والطارق ﴾ :

تمكن علماء الفلك في عام ١٩٦٧ من تسجيل إشارات راديوية، تبين أنها صادرة عن هذه نجوم نيوترونية. ولكن الإثبات العلمي اليقيني على وجودها لم يأت إلا في أواخر القرن العشرين عندما استطاع العلماء تصوير هذه النجوم ودراستها دراسة متعمقة، وتأكد لهم وجودها بكميات كبيرة في الكون. وأن هذه النجوم تصدر منها أشعة ثاقبة مثل أشعة اكس، كما أن لها نبضات تصدر عنها لها صوت مثل صوت المطرقة وهو ما أقسم الله تعالى به بقوله تعالى: ﴿ وما أدراك ما الطارق. النجم الثاقب ﴾. فالحمد لله الذي عرفنا بآياته وكشف لنا بعض أسرار خلقه.

٦ ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ :

كشف علماء الأجنة أن السائل المنوي والذي يحتوي على الحويين المنوي لديه القدرة على الحركة الذاتية بفضل ما أعطاه الله من ذيل يمثل المحرك الدافع له بسرعة، وهذه السرعة ضرورية لإحداث الإخصاب، وهذا ما يميز محتوى هذا السائل عن غيره من السوائل التي لا تملك حركة ذاتية، ولذا نجد دقة التعبير القرآني باستعمال لفظة ﴿ دافق ﴾ الدالة على اسم الفاعل القائم بذاته، ولم يستعمل لفظة مدفوق الدالة على اسم المفعول والتي تحتاج إلى فاعل، وكذلك البويضة فأنها تتدفق المبيض إلى قناة فالوب.

٧ الصلب والترائب :

بعد تطور وسائل الكشف العلمي كشف علم الأجنة مؤخراً أن منشأ خصية الرجل ومبيض المرأة يبدأ تكوينهما بجوار الكلى ويقع بين الصلب والترائب أي ما بين منتصف العمود الفقري تقريباً ومقابل أسفل الضلوع.. وبعد كمال نموها يأخذان في الهبوط إلى مكانه المعروف؛ فتهدب الخصية حتى تأخذ مكانها في الصفن ويهبط المبيض حتى يأخذ مكانه في الحوض بجوار بوق الرحم، وقد يحدث في بعض الأحيان ألا تتم عملية الهبوط هذه فتقف الخصية في طريقها ولا تنزل إلى الصفن فتحتاج إلى عملية جراحية، فإذا كانت الخصية والمبيض في نشأتها وفي إمدادهما بالدم الشرياني وفي ضبط شئونهما بالأعصاب قد اعتمدتا في ذلك كله على مكان في الجسم يقع بين الصلب والترائب فقد استبان صدق ما نطق به القرآن الكريم وجاء به رب العالمين ولم يكشفه العلم إلا حديثاً بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول ذلك الكتاب، وإذا هُدي الفكر إلى كل هذا في مبدأ خلق الإنسان سهل أن نصدق بما جاء به الشرع وهو البعث في اليوم الآخر.. «إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ» أي أن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء.. قادر أن يرده حياً بعد أن يموت».

١١ الرج في اللغة العربية:

رجع يرجع رجوعاً بمعنى: عاد يعود عوداً، و(الرجوع) العودة إلى ما كان منه البدء ذكره ابن عباس. رضي الله عنهما. الارتداد من الصفات البارزة في سمائنا أنها ذات رجح أي ذات ارتداد، بمعنى أن كثيراً مما يرتفع إليها من الأرض ترده إلى الأرض ثانية، وأن كثيراً مما يهبط عليها من أجزائها العليا يرتد ثانية منها إلى المصدر الذي هبط عليها منه، فالرجع صفة أساس من صفات السماء، أودعها فيها خالق الكون ومبدعه، فلولاها ما استقامت على الأرض حياة، ومن هنا كان القسم القرآني بها تعظيماً لشأنها، وتبهيها لنا للحكمة من إيجادها وتحققها...!!!

﴿السماء﴾ هي كل ما يقابل الأرض من الكون، والمراد بها ذلك العالم العلوي من حولنا، والذي يضم الأجرام المختلفة من الكواكب والكويكبات، والأقمار، والمذنبات، والنجوم، والبروج، وغيرها من مختلف صور المادة والطاقة التي تملأ الكون بصورة واضحة جلية أو مستترة خفية.

والمقصود بالسماء ذات الرجح طبقة من السماء تقوم بالإرجاع وقد ثبت أن طبقة من السماء التي تحيط بالأرض تقوم بإرجاع الأشعة الحرارية لحفظ الأرض من التبرد .

١٢ الصَّدْعُ:

هو الشَّقُّ في الشيءِ الصُّلْبِ كالزُّجاجة والحائط وغيرهما، وجمعه صُدُوعٌ، وقيل: صَدَّعَهُ شَقَّهُ ولم يفترق. ومما كان البشر على جهالة تامة به في زمن التنزيل ما كشفه علماء الأرض مؤخراً في عام ١٩٥٠ من وجود صدع في قعر المحيط الأطلسي في منتصف المسافة بين أفريقيا وأوروبا من جهة والأمريكيتين من جهة أخرى طوله ستة عشر ألف كيلو متر يمتد من آيسلندا في شمال الكرة الأرضية وحتى جنوب الأطلسي على عمق سبعة آلاف وسبعمائة متر مع اختلاف غريب في قياس الأعماق حيث تبين أن المنطقة عبارة عن سلسلة جبلية نشطة زلزالياً، وأن هذا الصدع هو جزء من صدع واحد يمتد إلى المحيط الهادئ يبلغ مجمله أربعمائة ألف كيلومتر يمتد في قعر المحيطات. وهذا القسم القرآني يمثل سبقاً علمياً ومعجزة معاصرة لصدق ما جاء به نبينا محمد ﷺ، فصدق الله القائل: ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها...﴾.



سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْنَاكَ إِن نَفَعْتَ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَكُرُونَ مِنْ يَخْشَى (١٠) وَيَنْجِنُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩) ﴾

- (١) نزه اسم ربك الأعلى عن صفات النقص، وعظمه.
- (٢) الذي خلق الإنسان سوياً، وعدل قامته.
- (٣) والذي جعل الخلائق على مقادير مخصوصة، وهدى كل مخلوق إلى ما يناسبه.
- (٤) والذي أخرج ما ترعاه الدواب من الأرض أخضر طرياً.
- (٥) فصيرره جافاً أسود.
- (٦) سنقرئك - أيها الرسول - القرآن، فلا تنساه، فلا تسابق جبريل عند قراءته؛ حرصاً على أن لا تنساه.
- (٧) إلا ما شاء الله أن تنساه، إنه يعلم ما يعلن، وما يخفى.
- (٨) ونهون عليك العمل بما يدخلك الجنة.
- (٩) فعظ الناس بما يوحى إليك، وذكرهم ما دامت الذكرى مسموعة.
- (١٠) سيعتظ من يخاف الله؛ لأنه من ينتفع بالموعة.
- (١١) وينفر منها الأشقى الذي لا يخاف الله.
- (١٢) الذي يقاسي حر نار الآخرة الكبرى.
- (١٣) ثم يخلد فيها بحيث لا يموت فيها فيستريح من العذاب، ولا يحيى حياة طيبة.
- (١٤) قد فاز من تطهر من الشرك والمعاصي.
- (١٥) وذكر ربه، وأدى الصلاة بالهيئة المطلوبة لأدائها.
- (١٦) بل تقدمون الحياة الدنيا على الآخرة.
- (١٧) وللآخرة أفضل من الدنيا وما فيها لدوام نعيمها.
- (١٨) إن هذا المذكور لفي الصحف المنزلة من قبلك.
- (١٩) في الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى عليهما السلام.

سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) ﴾

- (١) قد أتاك (أيها الرسول) حديث القيامة التي تغشى الناس بأهوالها.
- (٢) فالناس يوم القيامة أشقياء وسعداء، فوجوه الأشقياء ذليلة خاضعة.
- (٣) متعبة مجعدة بالسلاسل تسحبها، وبالأغلال تغل بها.
- (٤) تعاني تلك الوجوه من حر النار التي تدخلها.
- (٥) تسقى من عين ماؤها متناهي الحرارة.
- (٦) ليس لهم طعام إلا من ضريح.

﴿ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾ (٧) ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴾ (٨) ﴿ لِسَعِيدٍ رَاضِيَةٌ ﴾ (٩) ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ (١٠) ﴿ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴾ (١١) ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ (١٢) ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾ (١٣) ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ (١٤) ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴾ (١٥) ﴿ وَزَكَرَاتُ مَبْنُوتَةٌ ﴾ (١٦) ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ (١٧) ﴿ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾ (١٨) .

- (٧) لا يسمن أكله، ولا يسدّ جوعته.
 (٨) وجوه السعداء في ذلك اليوم ذات نعمة وسرور.
 (٩) لعملها الصالح راضية، فقد وجدت ثوابه أمامها .
 (١٠) في جنة مرتفعة.
 (١١) لا تسمع في الجنة كلمة لغو، بله كلمة إثم.
 (١٢) فيها عين جارية.
 (١٣) فيها سرر عالية.
 (١٤) وأكواب معدة للشرب.
 (١٥) وفيها وسائد مصفوف بعضها إلى بعض.
 (١٦) وفيها بسط وطنافس مبسوطة.
 (١٧) أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقها الله، وسخرها لهم.
 (١٨) وإلى السماء كيف رفعها.

١٧ في هذه الآية الكريمة إشارة إلى التركيب المعجز في خلق الإبل، باعتباره خلقاً دالاً على عظمة الخالق سبحانه وتعالى. وكمال قدرته وحسن تدبيره. فقد كشف العلم حديثاً عن بعض الحقائق المذهلة في خلق الإبل منها:

التصميم المذهل في أذني الإبل ليقبها من الرمال. ومنخرا الإبل: التي تسمح للجمل أن يغلقها أمام ما تحمله الرياح إلى رقبته من دقائق الرمال. وأن عين الإبل: ذات طبقتين مثل الفخ بحيث تدخل الواحدة بالأخرى، وبهذا فإنها تستطيع أن تحمي عينها وتمنع دخول الرمال إليه. وأن ذيل الإبل: يحمل على جانبيه شعرا يحمي الأجزاء الخلفية من حبات الرمل. وأن قوائم الإبل: طويلة لترفع جسمه عن كثير مما يثور تحته من غبار، كما أنها تساعده على اتساع الخطو وخفة الحركة، وتتحصن أقدام الجمل بخف يغلفه جلد قوي غليظ يضم وسادة عريضة لينة تتسع عندما يدوس الجمل بها فوق الأرض. وأما عنق الإبل: ذوات أعناق مرتفعة حتى تتمكن أوراق الأشجار المرتفعة. وحين يبرك الجمل للراحة أو ينام ليعد للرحيل يعتمد جسمه الثقيل على وسائد من جلد قوي سميك على مفاصل أرجله، وأما معدة الإبل: فهي ذات أربعة أوجه وجهازه الهضمي قوى بحيث يستطيع أن يهضم أي شيء بجانب الغذاء كالمطاط. إن الإبل لا تتنفس من فمها ولا تلهث أبدا مهما اشتد الحر أو استبد بها العطش، وهي بذلك تتجنب تبخر الماء من هذا السبيل.

وأما بالنسبة لتنظيم جسم الإبل للحرارة: يمتاز الجمل بكونه لا يفرز إلا مقداراً ضئيلاً من العرق عند الضرورة القصوى بفضل ما وهبه الله من قدرة على التكيف مع المعيشة في ظروف الصحراء التي تتغير فيها درجة الحرارة بين الليل والنهار. كما يقوم الجمل بإنتاج الماء الذي يساعده على تحمل الجوع وذلك من الشحوم الموجودة في سنامه بطريقة كيميائية يعجز الإنسان عن مضاهاتها. ولهذا يستطيع الجمل أن يقضي حوالي شهر ونصف بدون ماء يشربه.

حليب الإبل: لبن الإبل أعجوبة من الأعاجيب التي خصها الله سبحانه للإبل حيث تحلب الناقة لمدة عام كامل في المتوسط بمعدل مرتين يومياً. ومن عجائب لبن الإبل أن محتواه اللاكتوز في لبن الناقة يظل دون تغير منذ الشهر الأول لفترة الإدرار وحتى في كل من الناقة العطشى والنوق المرتوية من الماء. وهذا لطف من العلي القدير فيه رحمة وحفظ للإنسان والحيوان. إذ إن اللاكتوز (سكر اللبن) سكر هام يستخدم كملين وكمدّر للبول، وهو من السكاكر الضرورية التي تدخل في تركيب أغذية الرضع. وفضلاً عن القيمة الغذائية العالية لألبان الإبل، فإن لها استخدامات وفوائد طبية عديدة. وهكذا نجد أن الآية الكريمة ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ تمثل نموذجاً لما يمكن أن يؤدي إليه العلم بكافة مستوياته الفطرية والعلمية وفيها أعظم مفتاح للوصول إلى تلك الحقائق من الله العليم الخبير بأسرار خلقه.

١٨ سبق الكلام عن السماء وعظمتها وكيف أن السماء الدنيا لم يستطع العلم الإحاطة الكاملة بكل ما تشتمل عليه، فكيف بما فوقها من السموات الأخرى.



﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾

- (١٩) وإلى الجبال كيف نصبها.
 (٢٠) وإلى الأرض كيف بسطها، وأعدّها لاستقرار الناس عليها.
 (٢١) فاعظهم - أيها الرسول - وخوفهم من عذاب ربهم، إنما أنت مذكر، ليس عليك هدايتهم للإيمان.
 (٢٢) لست عليهم بمسيطر فتجبرهم على الإيمان.
 (٢٣) لكن من أعرض منهم عن الإيمان، وكفر بالله.
 (٢٤) فيعذبه الله يوم القيامة العذاب الأعظم.
 (٢٥) إن إلينا، لا إلى غيرنا رجوعهم بعد موتهم للجزاء.
 (٢٦) ثم إن علينا، لا على غيرنا حسابهم على أعمالهم.

١٩ ﴿ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾

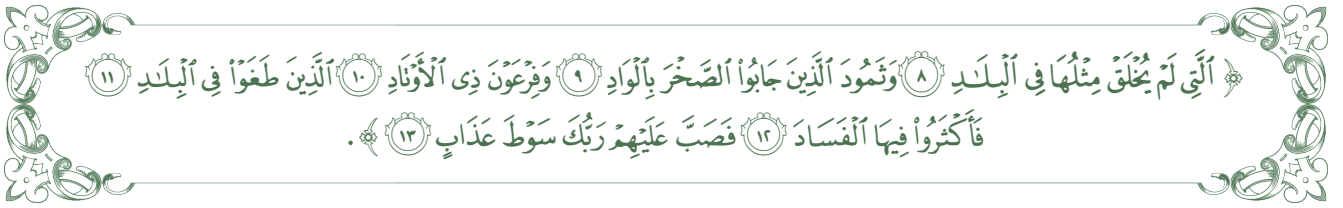
«نصبت»: من (النصب)، وهو التثبيت وكذلك للأرتفاع، وربما رمز هذا التعبير إلى بداية خلق الجبال أيضاً. فقد توصل العلم الحديث إلى أن تكون الجبال يعتمد على عوامل عديدة وقسمها إلى عدة أنواع: فمنها: ما تكون نتيجة للتراكبات الحاصلة على الأرض - ومنها: ما تكون من الحمم البركانية. وكذا منها: ما تكون نتيجة للترسبات الحاصلة في أعماق البحار ومن بقايا الحيوانات (كالجبال والجزر المرجانية). فالجبال وبكل ما فيها ولها تعدّ آية من آيات القدرة الإلهية لمن رآها. الجبال لها جذور في باطن الأرض، وتحيط بالأرض على شكل حلقات وسلاسل لتقلل من شدة الزلازل الناشئة من ذوبان المواد المعدنية في باطن الأرض، وكذا لما لها من دور في حفظ الأرض من عملية المد والجزر الناشئة من تأثيرات الشمس والقمر. الجبال كأوتاد في هذه الأرض لتثبيت القشرة الأرضية فوق الطبقة المواترة حتى لا تمور الأرض وتضطرب التي لولا أن الله يسر بهذه الهيئة لما توفرت ظروف عيش الإنسان على سطح الأرض، لما تمثله من سد منيع أمام قوة أثر العواصف، والجبال تحفظ الماء في داخلها لتخرجه لنا على صورة عيون فياضة تعم الأرض ليخضر بساطها بأنواع المزارع والغابات. ولذلك وصفها «أوتادا» في القرآن الكريم من أجل تثبيت القشرة الأرضية.

سورة الفجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ ﴾

- (١) يقسم الله بالفجر.
 (٢) وبعشر ذي الحجة الأولى.
 (٣) وبالزوج والفرد.
 (٤) وبالليل وقت يسرى فيه.
 (٥) هل فيما ذكر قسم يقنع ذا عقل؟
 (٦) ألم تير - أيها الرسول - كيف فعل ربك بعاد قوم هود لما كذبوا هودا.
 (٧) عاد إرم ذات القدود الطوال.



﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ۝۸ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۝۹ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝۱۰ الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبَلَدِ ۝۱۱﴾
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝۱۲ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝۱۳﴾.

- (٨) التي لم يخلق الله مثيلاً لها في البلاد.
(٩) وما فعل ربك بشمود قوم صالح لما عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم، ثمود الذين شقوا صخور الجبال، وجعلوا منها بيوتاً يسكنونها.
(١٠) وما فعل ربك بفرعون صاحب الجنود الكثيرة.
(١١) فقد تجاوزوا الحد في الجبروت والظلم، كل تجاوزه في بلده وزمنه.
(١٢) فأكثرُوا فيها الفساد بالكفر والمعاصي.
(١٣) فأذاقهم الله عذاباً مؤلماً مستمراً.

٦ ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أخباراً عن بعض الأمم البائدة، وجاء أيضاً الإخبار عن منازلهم ومساكنهم، وكيف كانت نهاية هؤلاء المكذبين، ومن هؤلاء الأقوام قوم عاد، الذين أرسل الله إليهم نبيه هوداً عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، فكذبوه واتهموه بالسفاهة والطيش، فأهلكهم الله تعالى بعد أن كذبوا رسوله ولم يؤمنوا به. وإن هناك تطابقاً واضحاً بين ما جاء في كتاب الله تعالى وبين مكتشفات العلم الحديث منها:

١. أن قوم هود كانوا يسكنون في الأحقاف، وقد أكدت الاكتشافات أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد ينطبق عليها هذا الوصف.
٢. أن المنطقة التي كان يسكنها قوم عاد كانت منطقة زراعية، تنتشر بها البساتين، ويوجد بها الأنهار والعيون، وكأنها واحة غناء في وسط الصحراء، ولذلك امتن الله عليهم بهذه النعمة. وقد جاء ذلك مطابقاً للصور التي التقطتها الأقمار الصناعية للمنطقة التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام ١٩٩٠م عن نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استعملت في الري في منطقة قوم عاد والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى ٢٠٠,٠٠٠ شخص، كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد، أحد الباحثين الذي أجرى أبحاثه في تلك المنطقة قال: «لقد كانت المناطق التي حول مدينة مأرب خصبة جداً ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة.

٣. ذكرت الآيات الكريمة أن قوم عاد كانوا يبنون القصور الشاهقة والحصون العالية، وكذلك كانوا يهتمون ببناء الأحواض التي يخزن بها الماء. وقد أكدت الاكتشافات الحديثة هذه المسألة.

٤. جاء في الآيات السابقة أن قوم عاد كانت لهم مدينة تسمى (إرم)، ووصفها القرآن الكريم بأنها ذات أعمدة، وقد جاءت الكشوف الحديثة لمساكن قوم عاد لتؤكد هذه الحقيقة، فقد اكتشفوا قلعة ثمانية الأضلاع سمكة الجدران بأبراج في زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى (٩) أمتار وقطرها إلى (٣) أمتار.

٥. أن قوم عاد لما كذبوا نبي الله هوداً أرسل الله تعالى عليهم ريحاً شديدة محملة بالأتربة قضت عليهم وغمرت دولتهم بالرمال، ومما أكدته الاكتشافات الحديثة لمساكن قوم عاد أن نهاية قوم عاد كانت بسبب عاصفة رملية هوجاء طمرت مساكنهم تحت تلك الرمال. وهذا كله صورة من صور الإعجاز التاريخي في كتاب الله تشهد له بأنه كلام الباري سبحانه وتعالى، وبأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٩ قوم ثمود هم قوم من الأقوام التي ورد ذكرهم في القرآن الكريم وهم قبيلة من قبائل العرب البائدة، وسبب تسميتهم بقوم ثمود نسبة إلى جدتهم ثمود كانت مساكنهم من الصخر والحجر وكانوا يسكنون مدائن صالح، وقد أرسل الله إليهم نبيه صالحاً فكذبوه وأذوه وحاربوه. وطلبوا منه على سبيل التعجيز أن يخرج ربه من هذه الصخرة ناقة لها مواصفات وصفوها له. واستجاب الله لدعاء نبيه صالح عليه السلام وأخرج من الصخرة ناقةً حسب ما وصفوها، ورغم ذلك فإن أكثرهم استمروا على طغيانهم وكفرهم. وتحذوا صالحاً أن يأتيهم العذاب من ربهم فقال لهم صالح (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) وبعدها اتهم الصيحة من السماء ورجفة قوية من تحتهم فزهقت أنفسهم وقال الله تعالى ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ لَثَمُودٍ﴾. واندثرت ديارهم ولكن الله هدى المتخصصين بعلم الآثار إلى تلك الديار ليكون ذلك إعجازاً قرآنياً وعبرة لأولي الأبصار.



﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حِبَّاءٍ ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يندَكُرُ الْإِنْسَانُ وَاقْنُ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَاقْفَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴿

- (١٤) إن ربك - أيها الرسول - ليعلم أعمال عباده، ويرصدها؛ ليجازيهم عليها.
- (١٥) فأما الإنسان إذا اختبره ربه وأكرمه بما يريد فيقول: ربي أكرمني لأنني مستحق لإكرامه.
- (١٦) وأما إذا اختبره بتضييق رزقه فيقول: ربي أهانني لهواني عليه.
- (١٧) كالا ليس الاختبار بالنعم دليلا على رضا الله عن عبده، ولا الابتلاء بالنقم دليل هوان العبد عند ربه، بل الواقع أنكم لا تكرمون اليتيم.
- (١٨) ولا يحث بعضكم بعضا على طعام الفقير.
- (١٩) وتأكلون حقوق الضعفاء من النساء واليتامى أكلا شديدا بمنعكم إياهم من الإرث.
- (٢٠) وتحبون المال كثيرا، فلا تنفقون منه حرصا عليه.
- (٢١) كلا، إذا حرّكت الأرض تحريكا شديدا، وزلزلت.
- (٢٢) وجاء ربك للفصل بين عباده، وجاءت الملائكة مصطفين صفوفًا يطوّقون بها الخلائق.
- (٢٣) وجيء في ذلك اليوم بجهرها الملائكة بأزمتهما، في ذلك اليوم يتذكر الإنسان تفریطه في جنب خالقه، وبعيد أن ينفعه التذكر فيه، فهو يوم جزاء، لا يوم عمل.
- (٢٤) يقول يا ليتني قدّمت الأعمال الصالحة لحياتي الآخرة.
- (٢٥) في ذلك اليوم لا يعذب أحد مثل عذاب الله.
- (٢٦) ولا يوثق أحد مثل وثاقه فيه.
- (٢٧) وأما نفس المؤمن فيقال لها تبشيرا لها: يا أيها النفس المطمئنة بذكر الله وطاعته.
- (٢٨) ارجعي إلى بك راضية عنه بالثواب الجزيل، مرضية عنده.
- (٢٩) فادخلي ضمن عبادي الصالحين.
- (٣٠) وادخلي معهم جنتي التي أعدتها لهم.

سورة البلد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ ﴿

- (١) يقسم الله بالبلد الحرام الذي هو مكة المكرمة.
- (٢) وأنت نازل هذا البلد، فاتحه.
- (٣) وبوالد البشر. وبما نشأ منه من ذرية.
- (٤) لقد خلقنا الإنسان في معاناة وتعب؛ لما يعاناه في الدنيا.
- (٥) أيظن الإنسان إذا اقترف المعاصي أنه لا يقدر عليه أحد، فيعاقبه؟
- (٦) يقول مفتخرا: أنفقت مالا كثيرا.
- (٧) أيظن هذا المفتخر بما أنفق أن الله لا يراه، وأنه لا يسأله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۙ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۙ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۙ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۙ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۙ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ ۙ (١٣) أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ ۙ (١٤) بَيْنَمَا ذَا مَقْرَبَةٍ ۙ (١٥) أَوْ مَسَكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۙ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ۙ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۙ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۙ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۙ (٢٠) ﴾

- (٨) ألم نجعل له عينين ينظر بهما؟
 (٩) لسانا وشفتين يتكلم بهما؟
 (١٠) وعرفناه طريق الحق، وطريق الباطل .
 (١١) فلم يركب هذا المفتخر العقبة، فيقطعها.
 (١٢) وما أعلمك ما العقبة التي إن قطعها دخل الجنة؟
 (١٣) هي إعتاق رقبة، ذكرنا كانت أو أنثى.
 (١٤) أو إطعام في يوم مجاعة يندر فيه الطعام.
 (١٥) يتيما قريبا له.
 (١٦) أو فقيرا ليس له شيء يملكه.
 (١٧) ثم كان من الذين آمنوا بالله، وأوصى بعضهم بعضا بالصبر، وأوصى بعضهم بعضا بالرحمة بالناس وغيرهم.
 (١٨) أولئك المذكورون هم أصحاب اليمين.
 (١٩) والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب الشمال.
 (٢٠) عليهم نار مغلقة يوم القيامة يعذبون فيها.

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۙ (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۙ (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۙ (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۙ (٤) وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ۙ (٥) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ۙ (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۙ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۙ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۙ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۙ (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۙ (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ۙ (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۙ (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۙ (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۙ (١٥) ﴾

- (١) يقسم الله بالشمس وبوقت ارتفاعها بعد الطلوع.
 (٢) وبالقمر إذا تبع أثرها بعد الغروب.
 (٣) والنهار إذا كشف وجه الأرض بضياءه.
 (٤) وبالليل إذا يغطي وجه الأرض فتظلم.
 (٥) وبالسما، وبينائها البديع.
 (٦) وبالأرض، وبسطها؛ لتصلح لسكنى الناس عليها.
 (٧) وبكل نفس، وبخلق الله لها سوية في الخلقة.
 (٨) فأرشدها إلى طريق الخير، وعرفها طريق الشر.
 (٩) قد فاز من طهر نفسه عن الرذائل، وحلاها بالفضائل.
 (١٠) وقد خسر من دس نفسه في المعاصي.
 (١١) كذبت ثمود صالحا بسبب طغيانها.
 (١٢) حين أسرع أشقاها وهو قدار بن سالف برضا وتمالؤ من قومه.
 (١٣) فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام: اتركوا ناقة الله، وشربها في يومها الخاص بها.
 (١٤) فكذبوه، فقتلها أشقاها مع رضاهم بصنيعه، فأطبق الله عليهم عذابه، فأهلكهم بذنوبهم، وسوَّاهم في العقوبة، ولم يفلت منهم أحد.
 (١٥) فعل الله بهم من العذاب ما أهلكهم، ولا يخاف من تبعه ما فعل بهم.

سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَمَا مِنْ آعْطَىٰ وَأَنْفَىٰ ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَا مِنْ يُجَلِّ وَأَسْتَعْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَىٰ ۝١٤ لَا يَصْلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝١٥ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾

- (١) يقسم الله بالليل إذا يغطي بظلامه ما بين السماء والأرض. هلك بدخوله العذاب.
- (٢) و بالنهـار إذا ظهر.
- (٣) و بخلقه الذكر والأنثى من البشر وغيرهم.
- (٤) إن عملكم - أيها الناس - لمختلف، فمنه ما يدخل الجنة، إن عملكمم - أيها الناس - لمختلف، فمنه ما يدخل الجنة،
- (٥) فأمـا من أعطى الواجب من زكاة ونفقة وغيرهما، واجتنب ومنه ما يدخل النار.
- (٦) وصدق بملة الإسلام.
- (٧) فسـنسهل عليه العمل الصالح.
- (٨) وأما من بخل بماله بمنع بذل الواجب فيه، ورجب عما فسـنسهل عليه العمل الصالح.
- (٩) وكذب بملة الإسلام.
- (١٠) فسـنسهل عليه عمل الشر.
- (١١) وليس يغني عنه ماله الذي بخل به في بذله فيما يلزمه إذا وليس يغني عنه ماله الذي بخل به في بذله فيما يلزمه إذا
- (١٢) إن علينا أن نبين طريق الحق من الباطل.
- (١٣) وإن لنا للحياة الآخرة، ولنا الحياة الدنيا، وليستا لأحد غيرنا.
- (١٤) فأندرتكم - أيها الناس - ناراً تتوقد فلا تشركوا بالله فتدخلوها.
- (١٥) لا يعاني حرّاً إلا الكافر الأشقى.
- (١٦) الذي كذب الرسول، وأعرض عن الإيمان والعمل الصالح.
- (١٧) وسيباعد عنها أبو بكر الصديق أتقى الناس.
- (١٨) الذي يبذل ماله في سبيل الله ليتطهر من الذنوب.
- (١٩) لا ليجازي نعمة أنعم بها أحد عليه.
- (٢٠) لا يريد بإنفاقه إلا وجه الله تعالى.
- (٢١) ولسوف يرضى بما يعطيه ربه من الثواب الجزيل.

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَىٰ ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١ ﴾

- (١) يقسم الله بأول النهار.
- (٢) وبالليل إذا سكن فيه أهله عن الحركة.
- (٣) ما تركك - أيها الرسول - ربك، وما أبغضك كما يزعم المشركون.
- (٤) وللدار الآخرة خير لك من الدنيا؛ لما أعد الله لك فيها من الثواب الجزيل.
- (٥) ولسوف يعطيك من الثواب الجزيل لك، ولأمتك حتى ترضى.
- (٦) ألم يجدك يتيما، فأواك بعطف جدك ثم عمك عليك.
- (٧) ووجدك غافلا لا تعلم الإيمان، ولا الشرائع، فعلمك ما كنت غافلا عنه.
- (٨) ووجدك معدما لا مال لك، فأغناك.
- (٩) فأما اليتيم فلا تذر.
- (١٠) وأما السائل عن دينه، والفقير السائل لما يدفع به حاجته فلا تزره.
- (١١) وأما بما أنعم الله عليك فحدث شكرا لله.

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ٨ ﴾

- (١) ألم نوسع لك - أيها الرسول - صدرك بما أودعنا فيه من العلم.
- (٢) وحططنا عنك ذنبك بمغفرة سابقة ولاحقه.
- (٣) الذي أثقل ظهرك.
- (٤) ورفعنا لك ذكرك، في الشهادة والأذان والإقامة، وغير ذلك.
- (٥) فإن مع الشدة سهولة.
- (٦) إن مع الشدة سهولة، فالشدة في الدنيا لا تدوم، فاصبر على ما تلقاه منها في سبيل دعوتك.
- (٧) فإذا انتهيت من مشاغلك فاتعب في عبادة ربك.
- (٨) وإلى ربك وحده اجعل رغبتك وقصدك.

سورة التين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَيْتُونِ﴾ (١) وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

- (١) يقسم الله بالتين، وبما يستخرج منه من زيتونه.
- (٢) و بجبل الطور الذي كلم عليه موسى عليه السلام.
- (٣) و بالبلد الحرام الذي يأمن داخله.
- (٤) لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدل خلق.
- (٥) ثم رددنا من يكفر هذه النعم إلى أسفل النار يعاني عذابها.
- (٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة، فلهم ثواب غير مقطوع، بل هو مستمر وهو الجنة.
- (٧) فأى شيء يحملك - أيها الإنسان - على التكذيب بيوم الجزاء مع علامات قدرة الله الكثيرة؟
- (٨) أليس الله بأحكم الحاكمين وأعدلهم، فلن يتركهم سدى دون مجازاتهم على أعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

١ فما من شيء يقسم الله تعالى به إلا وفي ذلك دلالة على فضله وعظمته، وفي ذلك لفت الأنظار إلى عظيم قدرة الله وعجيب صنعه، ومن ذلك الإقسام بالتين والزيتون. وقد أوردت كتب التداوي بالأعشاب ما في التين والزيتون من فوائد عديدة للتين، و أكدت الأبحاث العلمية تمتع هذه الثمرة بالمزايا الطبية المتكاثرة ومنها:

- اشتمالها على عدد من الفينولات التي تجعلها مثالية للصحة.
- سائل اللاتاكس في ثمار التين فيه فعالية عالية ضد تكاثر أنواع من الخلايا السرطانية.
- وفي الوقت نفسه فيه مادة اللاتاكس وهي علاج للغدة الدرقية والدمامل واحتقان اللوزتين.
- كما أن التين فيه علاج لأمراض تسرع القلب، ويمنع تجمع الماء في الرئتين والجسم عموماً، ويمنع من النزيف وينشط الدماغ والدورة الدموية فيه.

وأما الزيتون فإن له استعمالات علاجية كثيرة، ومن ذلك: علاج التهابات اللثة والحلق، ويستعمل لبخاً على الأورام، ولاسيما أورام اللوزتين والحلق، وهنالك فوائد صحية عديدة لزيت الزيتون. وبالإضافة إلى استخداماته العديدة في الطعام فإن زيت الزيتون يستخدم في إنتاج العديد من الأدوية والاستعمالات الطبية - يروي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة»، فسبحان خالق التين والزيتون غداء ودواء.

سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

- (١) اقرأ - أيها الرسول - مفتتحاً باسم ربك الذي خلق الخلائق.
- (٢) خلق الإنسان من نطفة صارت بعد قطعة دم متجمدة.
- (٣) اقرأ - أيها الرسول - وربك الأكرم، لا يدانيه كريم.
- (٤) الذي علم الكتابة بالقلم.
- (٥) علم الإنسان ما لم يعلمه من قبل.

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ هُدًى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فليدع ناديه ﴿١٧﴾ سَنَدَعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَسْجُدُ وَأَقْتَرِبُ ﴿١٩﴾ ﴾ .

- (٦) حقا إن الإنسان الكافر ليتجاوز الحدّ.
- (٧) لأجل أن رآه استغنى بما حوَّله الله من مال.
- (٨) إن إلى ربك - أيها الإنسان - الرجوع يوم القيامة ، لا إلى غيره.
- (٩) أرايت أعجب من أمر الذي ينهى.
- (١٠) عبدا إذا صلى لله وهو رسول الله ﷺ .
- (١١) أرايت إن كان المنهي على هدى من ربه.
- (١٢) أو كان يأمر الناس بتقوى الله، أنيهى من كان كذلك ؟
- (١٣) أرايت إن كذب هذا الناهي بما جاء به الرسول، وأعرض عنه ألا يخشى الله.
- (١٤) ألم يعلم الناهي أن الله يرى فعله؟
- (١٥) ليس الأمر كما يزعم هذا الناهي، لئن لم يكف عن أذاه لعبدنا لنجرّنه بناصيته إلى النار.
- (١٦) ناصية كاذبة القول، خاطئة الفعل.
- (١٧) فليدع أهل مجلسه حين يجرّ بناصيته إلى النار لينقذوه من العذاب.
- (١٨) سندعو نحن خزنة جهنم من الملائكة ، فلينظر أهل مجلسه أقوى أم خزنة جهنم.
- (١٩) ليس الأمر كما يزعم هذا الناهي، فلا تطعه في أمر ولا نهى، واسجد لله، واقرب منه بالطاعات، والنوافل.

١ إن كلمة «اقرأ» هي أول كلمة نزلت من القرآن الكريم، لأنها هي مفتاح العلم والمعرفة، وأن الله قد أمر نبيه عليه الصلاة والسلام في مفتح نزول القرآن بأن يجمع بين قراءتين: قراءة الوحي (القرآن) وقراءة الوجود (الكون)، حيث أن كلمة «اقرأ» وردت مرتين في تلك الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، ونحن مأمورون بأن نجمع بين القراءتين.

كما أن كلمة «خلق» قد وردت مرتين أيضا في تلك الآيات الأولى التي أنزلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، والأولى منهما أعم وأشمل حيث تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى هو خالق كل شيء في هذا الكون، أما الثانية فهي خاصة بخلق الإنسان (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)، ونحن مأمورون أيضا بأن نتفكر في الخلقين.. خلق الأكوان وخلق الإنسان.

٢ قال ابن عاشور في تفسيره الآية الكريمة:

معنى: ﴿ خلق الإنسان من علق ﴾ أن نطفة الذكر ونطفة المرأة بعد الاختلاط ومضي مدة كافية تصيران بعدها علقة فإذا صارت علقة أخذت في أطوار التكوّن ، وقد سبقت الإشارة إلى هذه المرحلة في آيات أطوار الجنين .

سورة القدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾ .

- (١) يخبر الله أنه أنزل القرآن إلى السماء الدنيا جملة واحدة (٤) تنزل فيها الملائكة، وينزل جبريل بإذن ربهم بكل أمر في ليلة القدر.
- (٢) ويخاطب رسوله ما أعلمك ما ليلة القدر؟ (٥) وهي ليلة مباركة خير كلها من بدئها. حتى انتهائها بطولوع
- (٣) ويخبره أنها خير من ألف شهر لمن قامها إيماناً واحتساباً. الفجر.

سورة البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ .

- (١) لم يكن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين مفارقين كفرهم حتى تأتيهم حجة جلية.
- (٢) هذه الحجة الجلية رسول من الله يقرأ صحفا مطهرة لا يمسه إلا المطهرون.
- (٣) فيها أخبار صدق، وأحكام عدل، تدلهم على الرشاد.
- (٤) وما اختلف اليهود الذين أعطوا التوراة، والنصارى الذين أعطوا الإنجيل في أمر الرسول إلا من بعد ما بعثه الله إليهم، فهم كانوا يعرفونه في كتابيهما.
- (٥) والغريب من أمرهم أنهم ما أمروا في هذا القرآن إلا بما أمروا به في التوراة والإنجيل من عبادة الله وحده، ونبذ من خاف ربه، فعمل بطاعته، واجتنب معصيته.
- (٦) إن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين يوم القيامة يدخلون جهنم مستمرين فيها أبداً، أولئك هم شر الخليفة؛ لكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله.
- (٧) إن الذين آمنوا بالله وعلموا الأعمال الصالحة أولئك هم خير الخليفة؛ لإيمانهم بالله وتصديقهم رسوله.
- (٨) ثوابهم عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار، مستمرين فيها أبداً، رضي الله عنهم، فلا يسخط عليهم أبداً، ورضوا عنه لما أجزل لهم الثواب، ذلك الثواب الجزيل الذي يناله من خاف ربه، فعمل بطاعته، واجتنب معصيته.

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾
 بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
 يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾

- (١) إذا حرّكت الأرض التحريك الشديد يوم القيامة.
- (٢) وأخرجت كنوزها وموتاهها، فألقتهها على ظهرها.
- (٣) وقال الإنسان ما شأنها تتحرك تحركا شديدا؟
- (٤) يوم يحدث ذلك يصدر الناس من موقف الحساب فرقا؛ ليعاينوا عملهم في الدنيا.
- (٥) ويخبر الله عن عظيم عدله، فمن عمل وزن ذرة من الخير عاينه أمامه، ومن عمل وزنها من الشرّ عاينه كذلك.

سورة العاديات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكٍ لَّشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾

- (١) يقسم الله بالخليل تجري، فيسمع لنفسها صوت من شدة الجري.
- (٢) وبالخليل التي توقد نارا عند ملامسة حوافرها الصخر.
- (٣) وبالخليل تغير على عدوّها وقت الصباح.
- (٤) فهيجن بجريهنّ غبارا.
- (٥) فتوسطن جمعا من العدو.
- (٦) إن الإنسان لمنوع للخير الذي يأمره ربه به.
- (٧) وإنه لشاهد على منعه؛ لما يأمره به ربه منه.
- (٨) وإنه لكثير الحب للمال.
- (٩) أفلا يعلم هذا الإنسان المغترّ إذا بعث الله الأموات من قبورهم وأخرجهم للجزاء.
- (١٠) وميّز ما في القلوب من النيات وغيرها.
- (١١) إن ربهم بهم في ذلك اليوم لخبير، لا يخفى عليه من أمرهم شيء.



سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ٩ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ١٠ نَارٌ حَامِيَةٌ ١١ ﴾

- (١) الساعة التي تفرع القلوب لهولها.
- (٢) ما الساعة التي تفرع القلوب لهولها؟
- (٣) وما أعلمك - أيها الرسول - ما الساعة التي تفرع القلوب لهولها؟
- (٤) يوم تحدث يكون الناس كالفراش المتفرق.
- (٥) وتكون الجبال مثل الصوف تفرقه الأصابع وغيرها.
- (٦) فأما من رجحت أعماله الصالحة .
- (٧) فهو في عيشة مرضية في الجنة.
- (٨) وأما من رجحت أعماله السيئة .
- (٩) فمستقره يوم القيامة هو جهنم.
- (١٠) وما أعلمك - أيها الرسول - ما هي ؟
- (١١) نار شديدة الحرارة.

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ٥ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨ ﴾

- (١) شغلكم - أيها الناس - التباهي بالأموال والأولاد عن طاعة الله.
- (٢) واستمرّ تباهيكم حتى تمّ.
- (٣) فستعلمون عاقبة التفاخر بها والانشغال عن طاعة الله.
- (٤) ثم سوف تعلمون عاقبة الانشغال عن الطاعة.
- (٥) حقا لو أنكم تعلمون لقاء الله لما انشغلتم بالتفاخر بهما.
- (٦) والله لتعاينن يوم القيامة النار.
- (٧) ثم لتعايننها معاينة يقين.
- (٨) ثم ليسألنكم الله عما أنعم به عليكم.

سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾

- (١) يقسم الله بالعصر.
 (٢) إن الإنسان لفي هلاك.
 (٣) إلا الذين آمنوا بالله، وعملوا الأعمال الصالحة، وأوصى بعضهم بعضا بالحق، وبالصبر على الحق، فليسوا بهالكين.

سورة الهمزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، ۝٣ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطْمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحُطْمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الموقدةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الآفَعِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤَصَّدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ۝٩ ﴾

- (١) شدة عذاب لكثير الاغتياب للناس، والطعن فيهم.
 (٢) الذي جمع المال وعدده.
 (٣) يظن أن ماله سينجيه من الموت، فيخلد في الدنيا.
 (٤) ليس الأمر كما يريد، ليطرحن في نار جهنم التي تحطم كل ما طرح فيها.
 (٥) وما أعلمك - أيها الرسول - ما النار التي تحطم كل ما طرح فيها؟
 (٦) إنها نار الله الموقدة.
 (٧) التي تنفذ إلى قلوب الناس.
 (٨) إنها على الداخلين فيها مغلقة، بعمد ممددة تمنعهم من الخروج من عذابها.

سورة الفيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ ۝١ أَلَمْ يجعلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فجعلتهم كغصفٍ مأكولٍ ۝٥ ﴾

- (١) ألم تر - أيها الرسول - كيف فعل ربك بأصحاب الفيل حين أرادوا هدم الكعبة.
 (٢) ألم يجعل سعيهم إلى هدم الكعبة في ضياع، فلم يصلوا إلى ما يريدونه.
 (٣) وبعث عليهم طيرا موزعة جماعات جماعات.
 (٤) ترميهم بحجارة من طين متحجر مطبوخ.
 (٥) فأهلكتهم وجعلتهم كورق زرع أكلته الدواب، وداسته.



سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِئْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ .

- (١) لتعود قريش.
 (٢) لتعودهم رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام.
 (٣) فليعبدوا رب هذا البيت الحرام، ولا يشركوا به أحدا.
 (٤) الذي أطعمهم من جوع.
 (٥) وآمنهم من خوف بجعل العرب يعظمون الحرم، وساكنيه.

سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾ .

- (١) هل عرفت الذي يكذب بالجزاء يوم القيامة؟
 (٢) إن كنت لم تعرفه فهو ذلك الذي يدفع اليتيم بشدة عن حاجته.
 (٣) ولا يحض نفسه، ولا يحض غيره على إطعام الفقير المحتاج.
 (٤) فهلك للمصلين.
 (٥) الذين هم عن صلاتهم لاهون، يؤخرونها عن وقتها.
 (٦) الذين هم لا يخلصون عملهم لله، بل يعملون رياء الناس.
 (٧) ويمنعون إعانة غيرهم بالفأس والإبرة وما لا ضرر في الإعانة به.

سورة الكوثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ .

- (١) يمتن الله على رسوله بإعطائه نهرًا في الجنة.
 (٢) ويأمره أن يشكره على هذه النعمة بأن يصلي له وحده،
 (٣) ويخبره أن مبغضك مثل (العاصي) هو المنقطع عن كل خير.
 يتقرب إليه بالذبح مخالفًا ما يفعله المشركون من التقرب

سورة الكافرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۝٤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

- (١) يأمر الله رسوله أن يقول للكفار. (٢) لا أعبد ما تعبدون من الأصنام. (٣) ولا أنتم عابدون ما أعبده أنا، وهو الله الذي لا شريك له. (٤) ولا أنا عابد ما عبدتم من الأصنام. (٥) ولا أنتم عابدون ما أعبده أنا وهو الله الذي لا شريك له. (٦) لكم دينكم الذي افترتموه أنتم وأباؤكم، ولي ديني الذي أوحاه الله إلي.

سورة النصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾

- (١) إذا جاء نصر الله للدين ، وحدث فتح مكة. (٢) ورأيت (أيها الرسول) الناس يدخلون في الإسلام فوجا بعد فوج. (٣) فسبح بحمد ربك؛ شكره على النصر للدين، وفتح مكة، واطلب منه المغفرة، إنه كان توابا، يقبل توبة عباده، ويغفر لهم.

سورة المسد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

- (١) خسرت يدا أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب إذ كما يؤذي النبي ﷺ، وخسر هو. (٢) لم يغن عنه ماله وولده من شيء، فلم يجلبها له رحمة، ولم يدفع عنه عذابا. (٣) سيقاسي حرّ النار عند دخولها يوم القيامة. (٤) وستدخلها زوجته أم جميل؛ لكفرها وإيذائها النبي ﷺ، بإلقاء الشوك في طريقه. (٥) في عنقها حبل قويّ الفتل ترفع به إلى النار.



سورة الإخلاص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ .

- (١) يأمر الله رسوله أن يقول : الله هو المنفرد بالألوهية. (٣) الذي لم يلد أحداً، فلا ولد له ، ولم يلبده أحد، فلا والد له.
(٢) وأن يقول: الله هو السيّد الكامل السوّد. (٤) ولم يكن له مماثل من خلقه في ذاته ولا صفاته ولا أسمائه.

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ .

- (١) يأمر الله رسوله أن يقول : أعوذ برّب الصبح، وأستجير به. (٤) وأعوذ به من شرّ السواحر ينفثن في العقد يسحرن بها.
(٢) أعوذ به من شرّ كلّ ذي شرّ من مخلوقاته. (٥) وأعوذ به من شرّ حاسد إذا عمل بما يمليه حسده.
(٣) وأعوذ به من شرّ الليل إذا أظلم، ومن شرّ القمر إذا غاب.

سورة الناس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦﴾ .

- (١) يأمر الله رسوله أن يقول: أعوذ برّب الناس، وأستجير به. عند الغفلة عن ذكر ربه، ويتأخر عنه إذا ذكره.
(٢) ملك الناس، فلا ملك ولا مالك لهم غيره. (٥) يقذف بوسوسته إلى قلوب الناس.
(٣) معبود الناس بحق. (٦) وهذا الشيطان الموسوس يكون من الإنس ويكون من الجن.
(٤) أعوذ به من شرّ الشيطان يقذف بوسوسته إلى الإنسان

الفهـرس

الصفحة	الموضوع	م	الصفحة	الموضوع	م
٣٦٠	القصص	٢٨	٥	المقدمة	٠
٣٦٩	العنكبوت	٢٩	٧	الفاتحة	١
٣٧٧	الروم	٣٠	٨	البقرة	٢
٣٨٥	لقمان	٣١	٥٠	آل عمران	٣
٣٩٠	السجدة	٣٢	٧٢	النساء	٤
٣٩٣	الأحزاب	٣٣	٩٦	المائدة	٥
٤٠٢	سبأ	٣٤	١١٢	الأنعام	٦
٤٠٨	فاطر	٣٥	١٣٤	الأعراف	٧
٤١٤	يس	٣٦	١٥٧	الأنفال	٨
٤٢٠	الصفات	٣٧	١٦٥	التوبة	٩
٤٢٨	ص	٣٨	١٨٠	يونس	١٠
٤٣٣	الزمر	٣٩	١٩٢	هود	١١
٤٤١	غافر	٤٠	٢٠٢	يوسف	١٢
٤٤٩	فصلت	٤١	٢١٢	الرعد	١٣
٤٥٥	الشورى	٤٢	٢٢١	إبراهيم	١٤
٤٦١	الزخرف	٤٣	٢٢٦	الحجر	١٥
٤٦٧	الدخان	٤٤	٢٣٢	النحل	١٦
٤٧٠	الجاثية	٤٥	٢٤٩	الإسراء	١٧
٤٧٤	الأحقاف	٤٦	٢٦٠	الكهف	١٨
٤٧٩	محمد	٤٧	٢٧٢	مريم	١٩
٤٨٤	الفتح	٤٨	٢٧٩	طه	٢٠
٤٨٨	الحجرات	٤٩	٢٨٨	الأنبياء	٢١
٤٩٠	ق	٥٠	٢٩٨	الحج	٢٢
٤٩٤	الذاريات	٥١	٣٠٩	المؤمنون	٢٣
٤٩٨	الطور	٥٢	٣١٧	النور	٢٤
٥٠٠	النجم	٥٣	٣٢٨	الفرقان	٢٥
٥٠٣	القمر	٥٤	٣٣٦	الشعراء	٢٦
٥٠٦	الرحمن	٥٥	٣٤٨	النمل	٢٧



الصفحة	الموضوع	م	الصفحة	الموضوع	م
٥٦٩	الطارق	٨٦	٥٠٩	الواقعة	٥٦
٥٧١	الأعلى	٨٧	٥١٣	الحديد	٥٧
٥٧١	الغاشية	٨٨	٥١٦	المجادلة	٥٨
٥٧٣	الفجر	٨٩	٥١٩	الحشر	٥٩
٥٧٥	البلد	٩٠	٥٢٢	المتحنة	٦٠
٥٧٦	الشمس	٩١	٥٢٤	الصف	٦١
٥٧٧	الليل	٩٢	٥٢٥	الجمعة	٦٢
٥٧٨	الضحى	٩٣	٥٢٦	المنافقون	٦٣
٥٧٨	الشرح	٩٤	٥٢٧	التغابن	٦٤
٥٧٩	التين	٩٥	٥٢٩	الطلاق	٦٥
٥٧٩	العلق	٩٦	٥٣١	التحريم	٦٦
٥٨١	القدر	٩٧	٥٣٣	الملك	٦٧
٥٨١	البينة	٩٨	٥٣٦	القلم	٦٨
٥٨٢	الزلزلة	٩٩	٥٣٨	الحاقة	٦٩
٥٨٢	العاديات	١٠٠	٥٤١	المعارج	٧٠
٥٨٣	القارعة	١٠١	٥٤٣	نوح	٧١
٥٨٣	التكاثر	١٠٢	٥٤٥	الجن	٧٢
٥٨٤	العصر	١٠٣	٥٤٧	المزمل	٧٣
٥٨٤	الهمزة	١٠٤	٥٤٩	المدثر	٧٤
٥٨٤	الفيل	١٠٥	٥٥١	القيامة	٧٥
٥٨٥	قريش	١٠٦	٥٥٢	الإنسان	٧٦
٥٨٥	الماعون	١٠٧	٥٥٥	المرسلات	٧٧
٥٨٥	الكوثر	١٠٨	٥٧٥	النبأ	٧٨
٥٨٦	الكافرون	١٠٩	٥٦٠	النازعات	٧٩
٥٨٦	النصر	١١٠	٥٦١	عبس	٨٠
٥٨٦	المسد	١١١	٥٦٣	التكوير	٨١
٥٨٧	الإخلاص	١١٢	٥٦٥	الانفطار	٨٢
٥٨٧	الفلق	١١٣	٥٦٥	المطففين	٨٣
٥٨٧	الناس	١١٤	٥٦٧	الانشقاق	٨٤
			٥٦٨	البروج	٨٥



المصالح